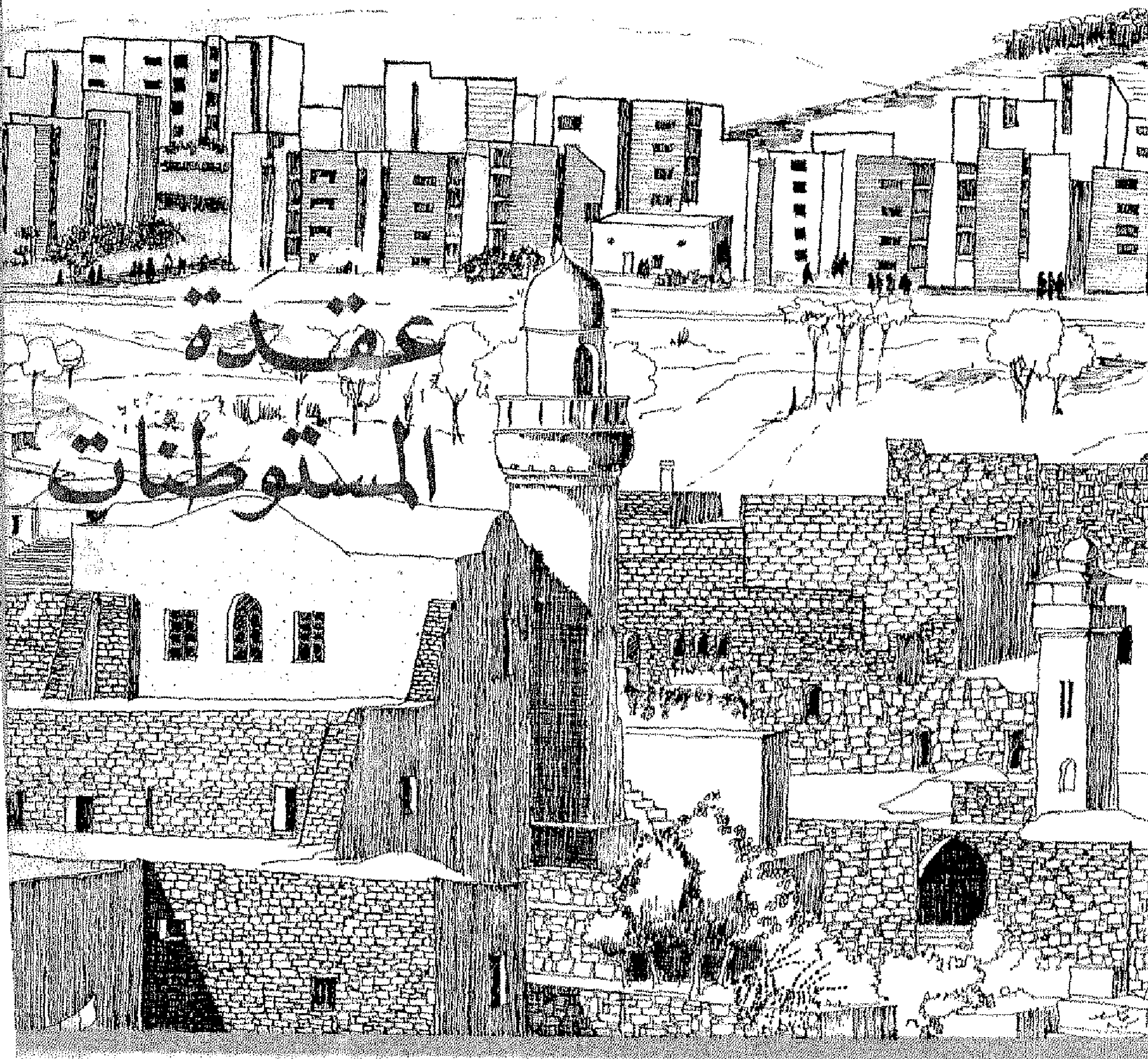
آب (أغسطس) ١٩٨٠ - رمضان - شوال ١٤٠٠

المختار



AL MUKHTAR min Reader's Digest August 1980 Nº 21

آب (اغسطس) ١٩٨٠ - رمضان - شوال ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف ـ تونس ٧٠٠م ـ المغرب ٤د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢د



أكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

□ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

□ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

□ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

□ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

□ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

□ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

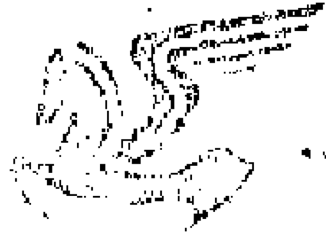
الاشتراطات

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة أفكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
37, Avenue George V
75008 Paris, France


SUN 5
فاخرة،
أنيقة، مثيرة.
ساعات سيكو ٥ الجديدة
ذات القرص البرّاق.
سيكو
SEIKO



المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون: رمزي بشعازي.
امانة التحرير: راغدة حداد.
الاخراج: امل الزين عيد.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.
الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية - بيروت.
الخدمات الصحافية:
شركة النهار ش.م.ل. بيروت.
التحرير:
شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية ص.ب ٢٢٦ - ١١ (التلكس الموقت) ٢٢٣٤٤ بيروت.
الادارة والاعلانات والاشتراكات:
شارع المقدسي، بناية الشرتوني - الطبقة السادسة التلكس LE ٢٢٢٨٨ ص.ب ٨٧٠٧ - ١١؛ التلفون ٣٤١٥٩٧ - ٣٤٥٧٣١

توجه المراسلات والاشتراكات الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE

الصف والتنفيذ:
المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: آلان دوليرو.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلدية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

الغلاف: الطاووس.

AL MUKHTAR min Reader's Digest
August 1980 No 21 (New Series). Vol. 2



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA

PRINTED IN ITALY

الحلم والأمل

منذ مباشرتنا تحضير هذا العدد من "المختار"، وهو الاول الذي يصدر من بيروت، غمرنا الشعور نفسه الذي احسسنا به ونحن نحضّر العدد الاول من المجلة في باريس قبل عامين. وهو شعور القلق الذي يرافق كل ولادة جديدة. القلق الذي تولده الرغبة في ان يأتي العمل كاملا، مرضياً ومحققاً للآمال.

وكان همنا الرئيسي ان يكون مناخ بيروت مناسباً للمجلة والعاملين فيها، وان يكون الانتقال من باريس الى بيروت حقق فعلا الامنية التي نشدتها "المختار"، اي العودة من الغربة الى الوطن.

... وتمت العملية بنجاح، وها هو المولود يتجاوز مرحلة القلق ويحمل الفرح الى اهله وعائلته الكبرى المنتشرة فيارجاء العالم العربي وخارجه.

الا ان انتقال المجلة من فرنسا الى لبنان ترتبت عليه مجموعة من التضحيات ابرزها انفصال جزء من السرب الذي انطلقنا به من باريس والذي لولاه لما كان لنا "المختار" الذي نعرف. فمن بين مجموعة الكفايات التي تحلقت حولنا هناك من لم تسمح له ظروفه بالعودة معنا الى بيروت فبقي في باريس صديقاً للمجلة وقارئاً ناقداً، غيوراً على مصالحها. كما ان هناك من ترك كل شيء في باريس وتبع "المختار" الى حيث استقرت في بيروت مكملا الرحلة الطويلة مع رفقاء جدد.

فالى الذين بقوا في باريس نقول ان فضلكم على المجلة كبير، واننا نعاهدكم الوفاء لكل ما جمعنا بكم وشدنا اليكم، اما الذين انضموا الينا حديثاً فنقول لهم، ان رحلتنا طويلة وانكم مطالبون بتضحيات كبيرة لاستحقاق ثقة القراء وتقديرهم، فهما الحلم والامل بالنسبة الينا جميعاً.

رئيس التحرير.

قرن البوظة
ابتكار سوري

هناك اشخاص اصحاب مشاريع طريفة. تخلو المراجع من اسمائهم الا انهم موجودون في واقع الحياة اليومية

القرن السوري ـ كان ارنست حموي، وهو بائع فطير ولد في دمشق، قد حصل على ترخيص لبيع الزلابية (كعكة فارسية رقيقة تقدم مع السكر أو غيره من المحليات) في معرض سان لويس الدولي عام ١٩٠٤، وعلى خطوات منه كان هناك كشك لبيع الجيلاتي (البوظة) في اطباق صغيرة. وفي يوم صيف نفدت الأطباق لدى بائع الجيلاتي. فاذا بحموي يتناول الزلابية الساخنة ويجعلها في شكل قمع، ويدعها تبرد ثم يفرغ فيها ملعقة من الجيلاتي. وقد حقق الابتكار الذي سمي "قرن السوق الدولي" ـ وسمي لاحقاً "قمع الجيلاتي" (قمع الآيس كريم) ـ نجاحاً فورياً.

حلقات النعناع ـ كان كلارنس كرين يعمل اساساً في مجال صناعة الشوكولاتة. الا ان شدة الحرارة في أشهر الصيف كانت تسيل انتاجه فتهبط نسبة المبيعات. لذلك اتجه كرين الى اختصاص آخر مارسه في فترة الصيف، اذ اخذ ينتج نوعاً من حلوى النعناع. واستعان بصاحب مصنع اقراص الدواء لكبس النعناع في شكله الخاص. وحالت بعض العقبات الآلية دون انتاج النعناع على شكل مستديرات بسيطة، فجعله كرين على شكل حلقات طرحها في الأسواق

Condensed from «Felton & Fowler's Famous Americans You Never Knew Existed», copyright 1979 by Bruce Felton and Mark Fowler, published by Stein & Day, Briarcliff Manor, N.Y.

عام ١٩١٢، تحت اسم «Life Savers» (المنقذون). ومنذ ذلك الحين تم بيع ٢٩ مليار لفة منها.

عربة التسوق – في العام ١٩٣٧ ابتكر رجل من مدينة أوكلاهوما، يدعى سيلفان غولدمان، عربة التسوق، اذ أنه كان يتألم – وهو صاحب شبكتين من المحلات الكبيرة (السوبرماركت) – كلما رأى الزبائن يتجهون الى نقاط الدفع من غير ان يملأ الواحد منهم سوى سلة واحدة. اما الآن فقد أصبحت تلك العربة أهم واسطة نقل على اربع عجلات، من حيث الانتشار، بعد السيارة. وقد حصل المعهد السميثوني على احدى عربات التسوق الأصلية لضمها الى معروضاته.

واقية الاذن – في العام ١٨٧٣ تلقى تشستر غرينوود – وكان في الخامسة عشرة من عمره – مزلجين كهدية عيد الميلاد. فهرع بحماسة الى البركة المتجمدة ليجربهما. الا أن اذني تشستر كانتا حساستين للبرد، فلم تمر بضع دقائق حتى عاد الى المنزل وأذناه تؤلمانه كثيراً.

وبعد محاولات عدة جرب فيها تشستر تشكيلة من اغطية الرأس، توصل الى وقاء الأذن المثالي ضد البرد، وهو قطعتان من القماش تتصلان بسلك رفاص في شكل نصف دائرة. وما لبثت والدة تشستر وجدته أن انشغلتا بانتاج اغطية واقية لاذان جميع جيرانها من بلدة فارمينغتون الصغيرة في ولاية مين، بينما سجل المخترع الشاب براءة اختراعه تحت اسم "ابتكار غرينوود الرائد لحماية الآذان"، تحت الرقم ١٨٨،٢٩٢. وهكذا أصبحت فارمينغتون عاصمة العالم لوقاية الآذان، وصار تشستر غرينوود صاحب ملايين.

الكوكتيل – ظهر "الكوكتيل" للمرة الاولى في حانة صغيرة في مقاطعة وسنشستر (ولاية نيويورك) خلال الثورة ضد السلطات البريطانية. ويرجع الفضل في ابتكار ذلك الشراب، الذي يعد من خمور مختلفة، الى ساقية الحانة، واسمها بيتسي فلاناغان، التي مزجت أول كوكتيل اعدته بريش من ديك الجيران. وكانت مجموعة ضباط تجلس على البار في انتظار المشروبات التي كانت بيتسي تعدها. فلما قدمتها اليهم اقترح أحدهم، وهو فرنسي، ان يشرب الجميع نخب "الكوكتيل" (بالانكليزية ذيل الديك). وهكذا اطلق الاسم على المشروب.

رقاقات البطاطا – كان أحد هنود أمريكا، ويدعى جورج كرام، أول من خرط رقاقات البطاطس (البطاطا). ففي العام ١٨٥٣ كان كرام يعمل طباخاً في مطعم أنيق في بلدة ساراتوغا سبرينغز (ولاية نيويورك). وذات مساء رفض ضيف صعب الارضاء قبول البطاطس المحمرة مرات عدة لأنها "اكثر سماكة من اللازم". فأمسك كرام بالبطاطس وخرط منها رقاقات في سماكة الورقة، ثم غطسها في الزيت المغلي، فكانت النتيجة رقاقات ذهبية ملتوية أعلن الزبون العنيد أنها لذيذة. وقد عرف هذا الصنف حتى

بداية هذا القرن باسم "ساراتوغا تشيبس"، الا أنه سمي لاحقاً "تشيبس البطاطس، أي رقاقات البطاطس.

ورق التواليت ـ في العام ١٨٥٧ انعم جوزف غاييتي، من أهالي نيويورك، على العالم بورق المرحاض (التواليت) الذي طرحه في الأسواق تحت اسم "ورق غاييتي الطبي ـ صنف في منتهى النقاء من مستلزمات الحمام". وكانت كل ورقة تصنع من القنب غير المصبوغ المستورد من مانيلا، والذي كتب عليه غاييتي اسمه بطريقة التمويج المائي. وقد سعرت العلبة، التي تحتوي على ٥٠٠ ورقة، بنصف دولار.

دب الرئيس ـ عندما ذهب الرئيس الامريكي الراحل تيودور روزفلت الى ولاية مسيسيبي عام ١٩٠٢ للمساهمة في حل الخلاف الجاري على الحدود بين تلك الولاية وولاية لويزيانا، انتهز الفرصة لممارسة رياضة صيد الدببة. فأطلق المرشد كلاب الصيد على دب عجوز اعرج. فساقته الى زاوية تمكن المرشد فيها من ربطه بشجرة ليكون هدفاً سهلا للرئيس. الا ان روزفلت رفض اطلاق الرصاص على الحيوان الأعزل. فاستوحى رسام كاريكاتور من الحادث صورة نشرها في الجريدة اليومية. فلما رآها موريس ميتشوم، وهو صاحب محل لعب وحلوى، خطر له ان يبتكر لعبة على هيئة حيوان بني اللون ذي أطراف متحركة وعينين من أزرار.

ولما انتهى ميتشوم من صنع اللعبة ووضعها في واجهة العرض مع صورة كاريكاتورية وعبارة **«Teddy's Bear»** (دب تيدي، أي تيودور روزفلت)، كتب ميتشوم الى الرئيس روزفلت يستأذنه استخدام اسم "تيدي" كعلامة تجارية للعبة. فأجابه الرئيس بخط يده: "أشك في ان يكون لاسمي أثر في ترويج تجارة الدببة، ولكن في امكانك أن تستخدمه اذا شئت". ولم تنقض أربع سنوات حتى كان "تيدي بير" يكتسح اسواق اللعب في الولايات المتحدة.

■ **بروس فلتون ومارك فاولر**



"النتيجة المشرفة"

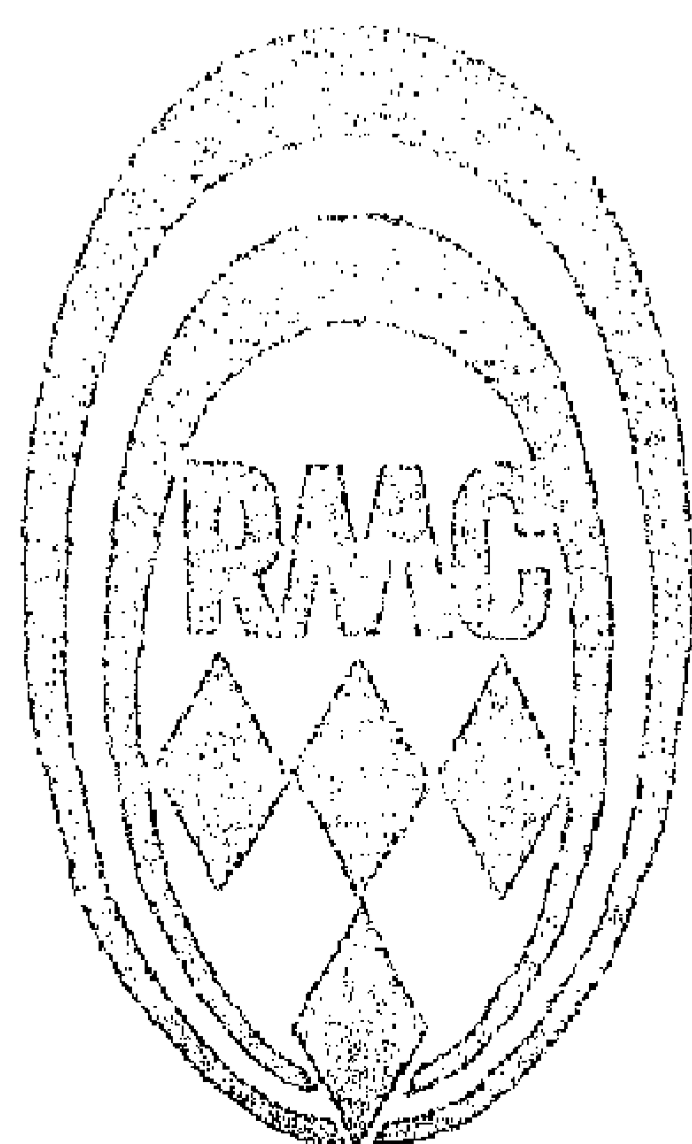
قبل حلول عيد الام ببضعة ايام، جرت مناقشة في الصف حول افضل الطرق لاسعاد الأم. والفكرة التي نالت اكبر استحسان كانت: "لا تحمل سجل علاماتك الى البيت في نهاية العام".

ش.ش.

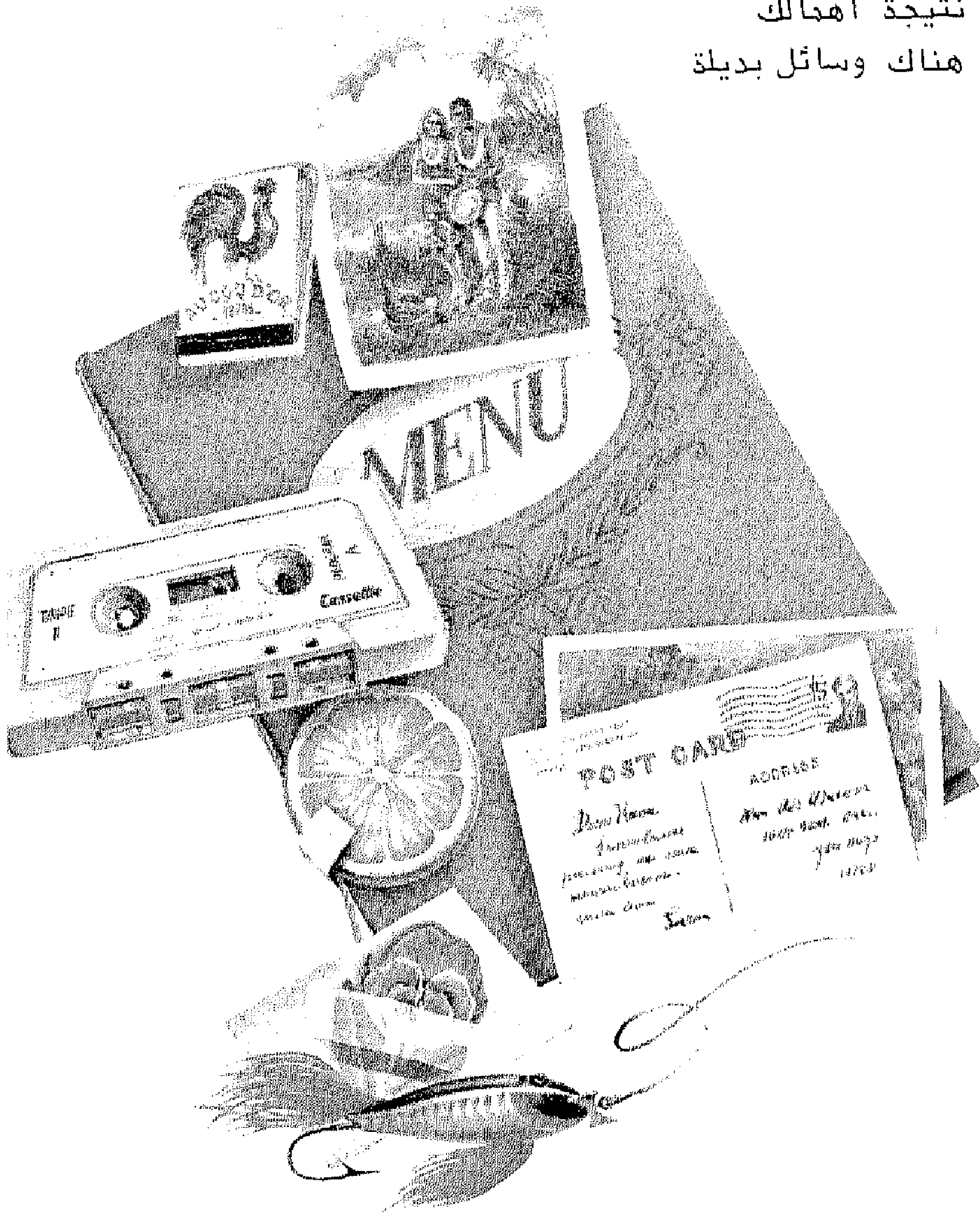
خيط رفيع

بين الشجاعة والحماقة خيط رفيع، ليته كان سياجاً.

ج.ف.


RMC

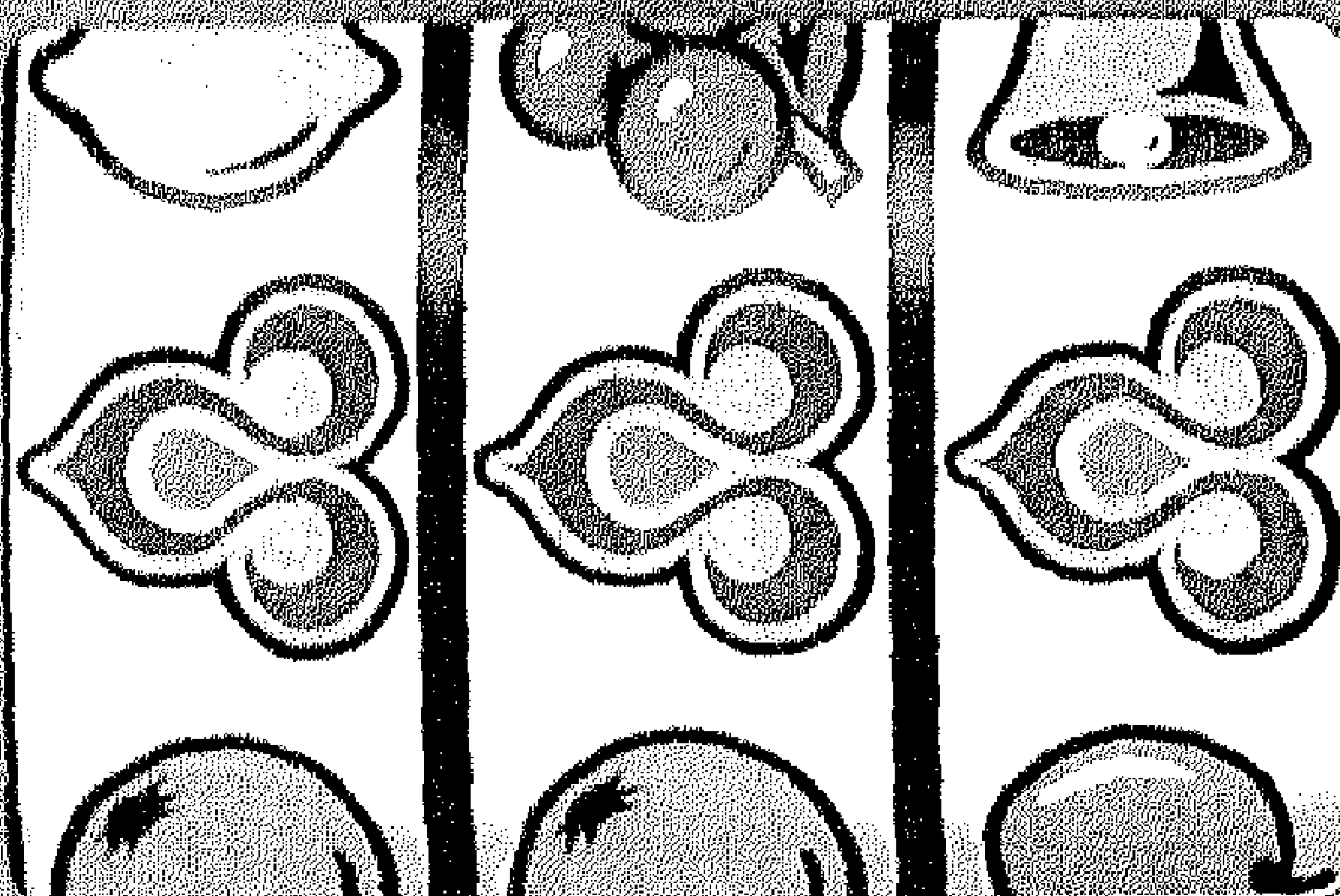
هل تشعر بالذنب نتيجة اهمالك المغلفات والورق؟ هناك وسائل بديلة



هناك اساليب متنوعة لاستخلاص الرسائل من المتقاعسين عن الكتابة. وقبل فترة غير بعيدة قرأت الاعلان الآتي في صحيفة للطلاب: "عجوز قصيرة ولطيفة ترغب في مراسلة طالب طوله ١٨٢ سنتيمتراً، بني العينين، الحروف الاولى من اسمه ج.د.ب. التوقيع: امه!"

وذات مرة راهن الكاتب الشهير اندرو كارنيغي بمبلغ مئة دولار على اغراء ابن اخيه الذي لا يحب المراسلة على الكتابة اليه، فبعث الى الصبي برسالة حافلة بالدعابة والمرح، وأنهاها بالآتي: "طيه خمسة دولارات"، من غير ان يرفق أي نقود برسالته. واذا به يفوز باجابة كئيبة

A winning combination to America has finally come up.



Most gamblers can't wait to try their luck.



So if you're planning a trip to America and gambling is included, your best bet is to fly there on one of our magnificent 747's.

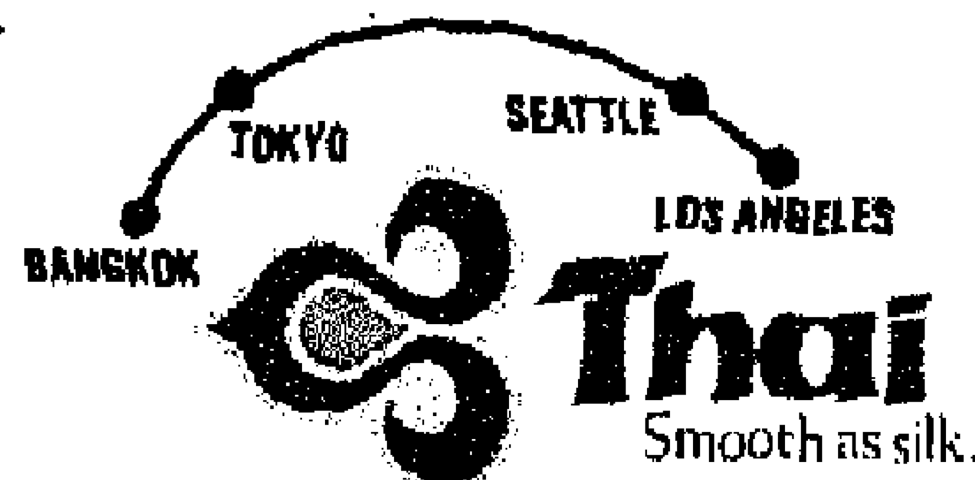
For a start, we can get you there over an hour faster, because Seattle is 432 miles closer to Tokyo than other west coast airports.

From Seattle you're closer to the action, too.

The airport is less congested than others on the west coast, so the odds are you'll be quicker off the plane, quicker through immigration and quicker with your onward connections.

Whether you're reclining on a slumber seat in First Class, savouring the quiet of our Business Class, or enjoying our famous Royal Orchid Service in Economy, you'll arrive in good shape for the business at hand.

All things considered, you'll hit the jackpot when you put your money on Thai.



على جناح السرعة: "عمي العزيز اندرو..."

وجدير بالذكر أن الكسل في كتابة الرسائل ليس بالظاهرة الجديدة، فقبل نحو ألفي عام عاتب الكاتب الروماني بلينوس الأصغر أحد مراسليه المتخاذلين بقوله: "اذا صح انه ليس هناك ما تكتب عنه، فاكتب واخبرني انه ليس هناك أمر للكتابة عنه!"

١. البطاقات البريدية.

للبطاقة حيز محدود. وفي امكانك ان تكرس جانباً كبيراً منه للحديث عن الصورة على الوجه الآخر. ويمكنك ايضاً الكتابة بأحرف كبيرة. وما عليك الا ان تحمل بطاقات عليها طوابع بريدية داخل حقيبة اليد. وكلما خطرت لك ملاحظة طريفة وانت في حافلة النقل أو في غرفة انتظار طبيب الاسنان او في أي مكان آخر، فأسرع الى تدوينها.

٢. الجعبة البريدية.

لهذا النوع الغريب من فنون المراسلين الكسالى أتباع عديدون. ومن هؤلاء عالم طبيعة يؤثر الصمت ويرسل الى زملائه قشوراً من جذع شجرة او أزهاراً نادرة مجففة. وبعد متعة البحث السريع عن مرسل تلك الاشياء الطريفة، تسمع كلا منهم يتمتم: "ألا ترى ان سليماً كان يقضي وقتاً في الجبال؟"

وهناك صياد قوي، الا انه قليل الكلام، يقشر بعض حراشف مثيرة للاعجاب عن سمكة فضية ضخمة ويرسلها الى اصدقائه الذين يحسدونه.

والخبير في اختيار المآكل قد يبعث الى اصدقائه بمنافض سجائر خفيفة وعلب كبريت تذكارية من فندق شهير، اضافة الى لائحة الطعام. فاذا كان الطعام رديئاً عمد الى شطب القائمة بخطين متقاطعين، واذا كان جيداً وضع طيها شريحة ليمون دلالة على جودة الطهو.

٣. بطاقات التحية.

في ايامنا هذه هناك بطاقة لكل مناسبة، من فرح وتهنئة الى حزن وتعزية، ومن معايدة قريب او صديق بلغ السابعة والستين الى المشاركة في الحزن على موت سمكة ملونة عزيزة!

٤. الرسائل الصوتية.

نظراً الى توافر الوف آلات التسجيل والأشرطة، لن يتعذر على احد ان يسجل رسائله او ان يستمع الى شريط سجله سواه. ولا داعي الى اعداد خطاب رسمي. بل ان تسجيل اجتماع افراد الاسرة حول مائدة الطعام، مثلاً، أو تسجيل حفلة صغيرة في حضور الجيران، هو كل ما تحتاج اليه.

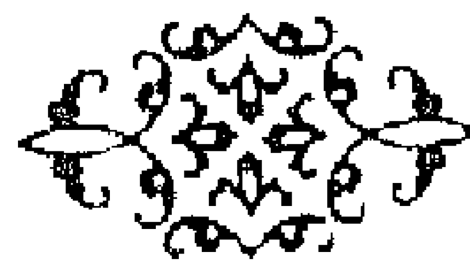
٥. الصور الفوتوغرافية.

ما عليك الا التأكد من ان الصور مأخوذة عن قرب وانها واضحة وتمكن رؤية تفاصيلها. ويجب ان تروي كل صورة قصتها. فهناك، مثلاً، ام كابدت طوال عشر سنين أعباء غسل أقمطة اطفالها الثمانية. ولما تجاوز اصغرهم مرحلة استعمال القماط، ارسلت تلك الأم الى أهلها صورة لحبل الغسيل وقد خلا من كل شيء سوى علم رفعته فوقه. ولم يكن اهلها في حاجة الى اي تعليق بالكلام.

٦٠ القصاصات٠
من غير كتابة كلمة واحدة، يمكنك ان تبلغ اسرتك انك انتخبت رئيساً لنادي الفتوة او انك كنت في عطلة مدرسية٠ وقد توجه قصاصة الى جدتك تقرأ فيها بافتخار ان حفيدها وحفيدتها يحتلان لائحة الشرف المدرسية٠

٧٠ الهدايا٠
كم من مرة شاهدتر في واجهة احد المحلات الهدية المثالية لعمتك مثلا، بثمن زهيد والآن مر عيد ميلادها وما زالت هناك أشهر قبل ان تحين مناسبة اخرى للتهنئة، علماً انك مدينة لها برسالة٠ لم لا تشترين الهدية وترسلينها، بغض النظر عن وجود مناسبة، وترفقين معها كلمات مقتضبة: "اظن ان هذه تناسبك"؟ إن العمة ستغفر لك على مدى سنوات عدم محافظتك على المراسلة٠

■ ج٠ ماكستون غراهام



اختلاف فطري

سألتني صديقة عما اذا كنت اظن ان هناك اختلافاً كبيراً بين تصرف البنات والصبيان الصغار٠ فأخبرتها عن الاحتفال الاول بعيد ميلاد ابنتي٠

لقد اهدى اليها جدها وجدتها في تلك المناسبة عربة للعبة٠ فما كان منها الا ان وضعت فيها احدى لعبها الجديدة واخذت تدور بها حول الغرفة٠ وكان في الحفلة صبي صغير عبَّر عن افكاره بطريقة مختلفة كلياً٠ فقد قلب العربة رأساً على عقب وحاول ان ينتزع عجلاتها٠

ج٠غ٠ب٠

كبار وصغار

سُمح لطفلة بالجلوس على درج المنزل فترة قصيرة حين دعا اهلها عدداً كبيراً من الأصدقاء الى حفلة استقبال٠ وفي اليوم التالي سُئلت عن رأيها في الحفلة، فأجابت: "لقد شعرت، وسط ذلك الضجيج، بأني في الحافلة التي تنقلني الى المدرسة"٠

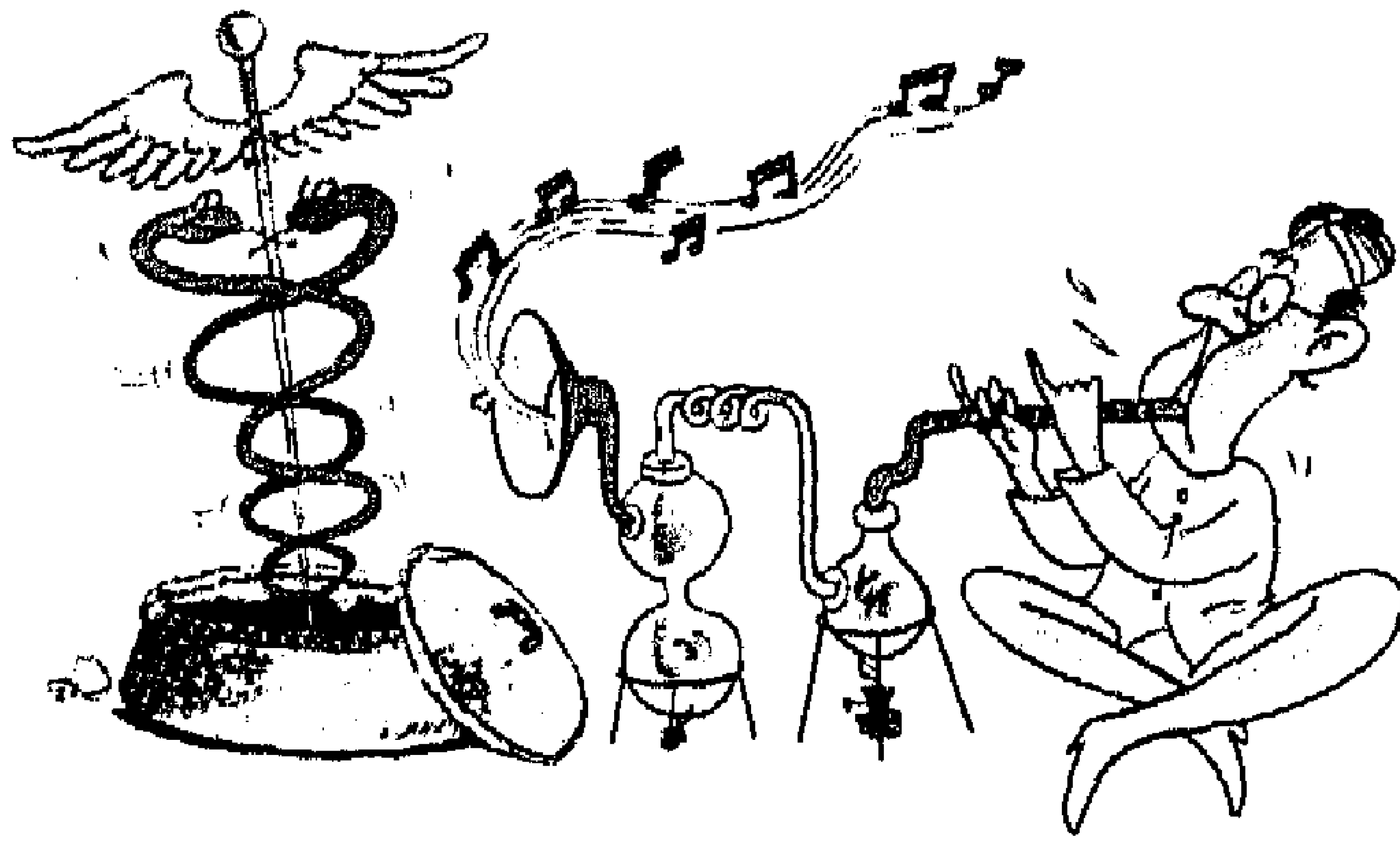
ي٠م٠و٠

الله يسعدهم ويبعدهم

وجدت امرأة اغراض منزلها مبعثرة بعدما قضت ساعات طويلة تعتني باحفادها٠ وأخذت تتمتم: "يشهد الله على اني مستعدة لاقتسام آخر لقمة من خبزي معهم، بشرط ان يحملوها الى بيتهم ليأكلوها هناك"٠

ا٠س٠س٠

أصداءٌ من عالم الطب



الكف عن جراحة تغيير الجنس

"متبدلو الجنس" هم الذين يصرون على اعتبار انفسهم منتمين الى الجنس الآخر. ويعرض الآلاف منهم حالياً انفسهم لجراحات عنيفة من اجل اكتساب هوية "جنسية" جديدة.
هذه الجراحات كانت مثار جدل دائم بين الاطباء. وقد قرر الآن مستشفى جونز هوبكنز في بالتيمور (ولاية ماريلاند الامريكية) - وهو مستشفى ذو شهرة ومكانة. احدى المؤسسات الاولى في الولايات المتحدة التي اجرت جراحة تغيير الجنس - عدم جدوى هذه الجراحة في افادة عدد ضخم من المرضى. الى حد انها قررت الكف عن اجرائها في المستقبل.
وكانت لجنة تحديد الجنس التابعة لمستشفى جونز هوبكنز احالت اكثر من مئة مريض على جراحة تغيير الجنس خلال العقدين الماضيين. وقد سوغ اجراء تلك الجراحات النظرة القائلة بأن مبدلي الجنس يستطيعون ممارسة حياة سعيدة بمجرد السماح لهم باكتساب الجنس الآخر جسدياً وعقلياً.
لكن الدراسة التي قام بها جون ماير. طبيب الامراض النفسية في مستشفى جونز هوبكنز. اظهرت ان الجراحة لم تحسن من انسجام مبدلي الجنس مع محيطهم. وقد قوم ماير وزميلته دونا ريتر النشاط الجنسي والعلاقات العائلية والتكيف مع الحياة اليومية لدى خمسين مريضاً سابقاً. فلم يجدا اي اختلاف يذكر بين تكيف من اجرى جراحة تغيير الجنس ومن لم يجرها.

"نيوزويك"

ورم يزن ٩٠ كيلوغراماً

نجح حديثاً الاطباء في جامعة كاليفورنيا (سان فرنسيسكو) في ازالة ورم خبيث يقارب وزنه التسعين كيلوغراماً من مبيض امرأة في الثلاثين من العمر. ويعد هذا الورم الضخم واحداً من اكبر الاورام المعروفة حتى اليوم.
ويقدر الاطباء ان هذا الورم استمر في النمو مدة ١٥ سنة. فقد اخذ وزن المرأة في الازدياد مذ كانت في سن المراهقة، لكنها ظنت ان الامر مجرد سمنة عادية.
وقد اجرى العملية الجراحية التي استغرقت اربع ساعات ونصف ساعة، في ٢٤ مايو(ايار) ١٩٧٩، فريق من سبعة اطباء سحبوا قرابة ٧٢ كيلوغراماً من السائل من كتلة الورم قبل ان يتم استئصال ١٨ كيلوغراماً من المادة الصلبة وهي على حالها.
وحين دخلت المرأة المستشفى كانت تزن ١٧٢ كيلوغراماً وتشكو الماً في البطن. ولكن مع انتهاء العلاج انخفض وزنها فاصبح ٨٢ كيلوغراماً.

"اسوشيتد برس"

المختار

غسطس (آب) ١٩٨٠ السنة الثانية (سلسلة جديدة)

العلاج بالتنويم المغناطيسي

هذا النوع من العلاج ليس جديداً.
وفي احيائه، كما تبين هذه الامثلة، أمل كبير
في تطوير أساليب العلاج الحديثة

قصد اخيراً طبيب شاب في الثلاثين من عمره عيادة الطبيب النفسي هارولد وين في مستشفى وولتر ريد العسكري في العاصمة الامريكية واشنطن. وكان الاول قد جرح انفه قبل خمس سنوات وهو يلعب الكرة الطائرة، وبات العظم المكسور يعوق تنفسه. وكان في حاجة الى جراحة تستعمل فيها الات من نوع المطرقة والمبضع والمشرط من أجل اعادة مظهر أنفه الطبيعي. لكن فكرة تلك العملية اخافته، فقصد لطبيب النفسي من أجل مساعدته على تبديد مخاوفه.

وجدير بالذكر ان وين، المختص في الناحية النفسية من الامراض، ينتمي الى جماعة طبية نامية تستعمل التنويم المغناطيسي كوسيلة فعالة الى جانب العلاج العادي. وقد توصل الطبيب الشاب، في اشراف وين، الى حال من الاسترخاء العميق تبدد معها قلقه ازاء العملية الجراحية. وبعد جلستين استغرقت الواحدة منهما ٤٥ دقيقة، حقق مستوى من الجرأة والثقة جعله يعلن عن استعداده للجراحة ولاجرائها تحت اثر التنويم المغناطيسي وحده وعدم استعمال المخدرات التقليدية مطلقاً.

وبموافقة الجراح، قاد وين مريضه الى حالة غيبوبة. ويقول وين ان "الهدف كان نقله، عن طريق الايحاء، الى شاطىء استوائي، حيث ينظر الى

القوارب تطلق اشرعتها للريح بينما تبلل وجهه نسمة عليلة. وقد استغرق في ذلك المشهد الذهني الى حد أنه لم يجفل او يهتز مرة واحدة خلال ساعة كاملة اجريت فيها الجراحة".

تعود ظاهرة التنويم المغناطيسي كعلاج الى آلاف السنين الى المصريين والاغريق الذين لجأ كهنتهم الى هذا الفن لمعالجة المرضى. غير ان الناس في القرون الوسطى نظروا الى الذين يتمتعون بتلك الموهبة على انهم سحرة. ولدى حلول القرن التاسع عشر، بات التنويم المغناطيسي، بما حمل من عناصر صوفية، محصوراً في ممارسي السحر والمشعوذين الذين جعلوا بعض صغار العقول يصدقون ان الواحد منهم دجاجة او مكنسة.

سلاح فعال – مع تراكم الشواهد المخبرية والتجارب العيادية الناجحة اليوم، ازداد الادراك بأن التنويم المغناطيسي، بالنسبة الى الاشخاص المختارين، يمكن ان يكون سلاحاً فعالا للسيطرة على الالم والخوف والعادات السلبية. وفي امكان التنويم المغناطيسي احداث ظواهر حسية قد لا تصدق لفرط غرابتها لولا الشواهد الثابتة على صحتها.

ففي أحد الاختبارات اعطيت مجموعة من طلاب الطب حقناً عبر الوريد من مسكّن قوي اسمه "سيربازيل"، بمقادير من شأنها ان تولد فيهم النعاس والخمول. لكن الطلاب وضعوا تحت تأثير التنويم المغناطيسي قبل اعطائهم الدواء، واوحي اليهم ان الدواء لن يكون له اثر البتة. وفور حقنهم بالدواء، اجري للطلاب امتحان متعدد الجوانب، يحوي عناصر مكانية وآلية وعصبية وعضلية، فأظهرت ردود فعل كل منهم يقظة وانتباهاً طبيعيين. وبعد ايام حقن أفراد المجموعة نفسها بجرعات من مسكن سيربازيل، قليلة بالنسبة الى الجرعات الاولى، من دون لجوء الى التنويم المغناطيسي. لكنهم اخفقوا جميعاً في الامتحان اللاحق، واستسلم بعضهم للنوم خلال الامتحان.

ان السيطرة على الالم هي الحقل الذي تظهر فيه حسنات التنويم المغناطيسي الحقيقية. وفي دراسة على ضحايا الحروق في مستشفى بروك العسكري في هيوستن (ولاية تكساس)، تبين ان التنويم الذي ترافقه ايحاءات ايجابية وصور ذهنية ممتعة يمكن ان يخفف كثيراً من كمية العقاقير اليوميةالمهدئة. وقد اظهر المرضى الذين عولجوا بالتنويم انهم يحتاجون الى أقل من نصف كمية العقاقير المهدئة التي يحتاج اليها المرضى الذين يعالجون بالادوية فقط. وأتاح لهم تخفيف كمية العقاقير المسكنة أن يأكلوا على نحو افضل ويظهروا وعياً وانتباهاً اقوى ويحققوا شفاء أرسخ.

صداع الشقيقة – كذلك تبين ان الذين يعانون صداع الشقيقة (الميغرين) أفادوا من العلاج بالتنويم. وفي احدى الحالات، قدر لرجل في الحادية والخمسين من عمره، كان اختبر هذا النوع من الصداع مدة ست ساعات يومياً طوال ثلاثة وعشرين عاماً، ان يبرأ برءاً شبه تام من نوبات الصداع ويقلع عن تناول المسكنات. وبمساعدة التنويم المغناطيسي ايضاً،

تمكنت امرأة في الثامنة والثلاثين من عمرها لازمها منذ الطفولة نوع من الصداع يرافقه العمى احياناً، ان تتحرر من هذه الاعراض. وقد اجريت دراسة استمرت عاماً كاملا في بريطانيا على مرض صداع الشقيقة، تبين منها ان فعالية العلاج بالتنويم تفوق فعالية العلاج بالعقاقير أكثر من ثلاثة أضعاف من حيث ازالة الالم.

وهناك امراض اخرى أثبت التنويم المغناطيسي جدارة في معالجتها، مثل الارق والقلق وارتفاع ضغط الدم ونزف الدم والربو.

ما هو التنويم المغناطيسي بالتحديد؟

يقول الدكتور هربرت شبيغل، استاذ الطب النفسي العيادي في كلية كولومبيا للاطباء والجراحين، ان "أفضل طريقة لفهم ماهية التنويم المغناطيسي ربما كانت معرفة ما ليس هو".

١. التنويم المغناطيسي لا يؤدي الى نوم عادي.

على رغم ان العبارة مشتقة من الكلمة اليونانية "هيبنوس" التي تعني فعلا "النوم"، الا ان النوم المغناطيسي يبقى شيئاً مختلفاً. ويوضح شبيغل ان "النوم المغناطيسي، على صعيد الوعي الانساني، هو على الطرف الآخر للغيبوبة، مع الوعي العادي في الوسط. وتشبه حالة النوم المغناطيسي شعاعاً من الانتباه العالي التركيز الذي يعكس في ضوئه المهيجات الخارجية". وهناك حالات شبيهة بحالة النوم هذه، تحدث في الحياة اليومية خلال أحلام اليقظة مثلا، او عندما "ينسى" المرء نفسه او "يضيعها" لدى مشاهدة عرض سينمائي او قراءة كتاب.

٢. النوم المغناطيسي لا يعني ان تكون تحت سيطرة شخص آخر.

ليس هناك شيء "يتم فعله" بالنسبة الى الشخص المنوَّم. ولكن - كما يقول شبيغل - "هناك قابلية فطرية للنوم، وهي مثل قابلية العزف على البيانو، وتمكن تنميتها بواسطة التعليم والتمرين. وما يفعله المنوِّم هو مساعدة المنوَّم على استعمال ملكة كانت أصلا لديه".

٣. القابلية على النوم ليست علامة ضعف عقلي.

"على العكس"، يقول شبيغل، "انها علامة الذكاء والقابلية على التركيز". ان الاشخاص الذين يتمتعون بأكبر قابلية على النوم هم اولئك الذين يتحلون بخيال خصب. أما اصحاب التفكير التحليلي فهم أبعد الناس عن هذه القابلية. وفي تقدير معظم الخبراء ان نسبة ٥٠ الى ٩٠ في المئة من الناس تمكنها الافادة، الى حد ما، من التنويم، وان نسبة ١٠ في المئة لا يمكنها الاستغراق في حالة النوم الى الحد الذي ينقطع معه الالم الحاد كلياً.

٤. النوم المغناطيسي ليس ظاهرة محض نفسية، بل هو ظاهرة جسدية ايضا.

يعتقد شبيغل ان هناك تغيرات مادية قابلة للقياس تطرأ على تموجات الدماغ، وان بعضها تمكن مراقبته على لوحة خاصة ترتسم عليها التموجات خلال فترة النوم. وقد اظهرت الدراسات الحديثة ان في

امكان الدماغ انتاج مسكنات نابعة منه، وهي مواد كيميائية تشبه المورفين. ويذهب بعض الاطباء النفسيين الى القول بأن الشخص، خلال فترة التركيز العميقة التي يتيحها النوم، ربما استطاع انتاج هذه العقاقير الطبيعية.

ويعتقد شبيغل ايضاً ان النوم المغناطيسي يضع الجزء التحليلي من الدماغ في حال استكانة، في حين يضع الجزء الانفعالي الحساس في أقصى حال من التأهب. وهذا يجعل الدماغ في حال تقبل للايحاءات الواردة من الخارج من غير رقابة نقدية او منطقية من جانبه. وهذا هو السبب في أن الايحاءات التي ترد على الشخص خلال النوم المغناطيسي يمكن ان تفعل مباشرة في اعطاء نتائج جسدية، منها التغيرات التي تطرأ على حركة الدم وحرارة الجلد والانتباه. ويخرج شبيغل من هذا الى "أن لدينا سيطرة على وظائفنا الجسدية والنفسية أكبر كثيراً مما نتصور".

في الواقع ان التنويم، عندما يتم على وجه حسن، يمكن ان تكون له نتائج مذهلة في مجالات كثيرة. ويمكن، في أشراف منوم بارع، التخلص بسرعة من ضروب الخوف. ويروي عالم النفس السريري ميلفين غرافيتس من واشنطن قصة امرأة كانت تخشى ركوب الطائرة الى حد الذعر. لكنها اضطرت يوماً الى حضور حفلة زفاف ابن أخيها في سويسرا. فاستشارت غرافيتس الذي عالجها في ثلاث جلسات وضعها خلالها تحت اثر التنويم وجعلها، عن طريق الايحاء، تتصور نفسها في طائرة.

وهكذا قضى على هواجسها. ويقول غرافيتس انها "ركبت الطائرة من دون اي مشكلة. وهي، منذ ذلك الحين، تسافر في الطائرة دونما خوف".

نطاق واسع ـ اما نطاق الاستعمال الممكن للتنويم المغناطيسي فيبدو واسعاً سعة الحاجات الانسانية. وقد نجح البحاثة السوفييت في اعتماد التنويم من اجل تقوية ملكة الابداع لدى الموسيقيين والرسامين ولاعبي الشطرنج. ويقول طبيب نفسي ـ عصبي من موسكو ان هذه العملية "توقظ طاقات كامنة ربما كان صاحبها يجهلها".

وهناك استعمال متزايد للتنويم في حقل العلاج الجنسي. ويقول ملتون كلاين من مؤسسة نيويورك الرسمية لبحوث التنويم:"ان تنويم المريض ينقلنا الى بداية الصدمة الجنسية، وهي فترة لا يحفظها المريض في وعيه عموماً. ثم نوقظ لديه الذكريات الجميلة التي من شأنها ان تطغى على الذكريات الاليمة. وغالباً ما يكون اكتشاف سبب الصدمة والكلام عنه خلال عملية التنويم كافيين لتحسين حال المريض".

ولا شك في ان المجال الذي يشهد فيه التنويم المغناطيسي الحديث اكبر تقدم هو السيطرة على العادات. وقد اعتمد شبيغل التنويم لمساعدة بعض الاشخاص على الاقلاع عن التدخين، فانقطع ٣٠ في المئة منهم عن التدخين بعد جلسة العلاج الاولى. واستعمل كلاين الطريقة نفسها في بضع جلسات، فنجح ٨٠ في المئة من مرضاه في الانقطاع عن التدخين.

وفي مستشفى وولتر ريد توصل الدكتور وين، الذي يصف نفسه بأنه مفرط بعض الشيء في الاكل، الى تخفيف خصره من ١٠٢ سنتيمتر الى ٨٦ سنتيمتراً عن طريق التنويم الذاتي. وهو يقول: "الشرط الاول الذي نسعى الى تحقيقه في محاولة تخفيف الوزن هو مساعدة الشخص في ان يكون سيد نفسه والايحاء اليه، وهو تحت اثر التنويم، بضرورة النظر الى ذاته ليس كوعاء للفضلات بل كذواقة، وضرورة التلذذ بكل لقمة يمضغها والتفكير في المتعة الفائقة التي تنتج عن تخفيف الكمية". وجدير بالذكر ان ٦٠ في المئة من مرضى وين ينجحون في تخفيف وزنهم، حتى ان أحدهم خسر نحو ٩٠ كيلوغراما.

ثمة مجالات اخرى سجل فيها الدكتور وين نجاحاً في استعمال التنويم المغناطيسي، مثل التأتأة في النطق وآلام الذبحة الصدرية والغثيان الناتج من معالجة السرطان بالمواد الكيميائية. لكن وين، كسواه من الذين يتعاطون العلاج بالتنويم على نحو رزين، يسارع الى التحذير من أن التنويم المغناطيسي ليس ذلك العلاج السحري الذي يشفي كل الامراض. ولكن يجب استعماله بما يناسب حال كل مريض بمفرده.

ان الاهتمام النامي بالتنويم المغناطيسي قد يكون ذا نفع في المجتمعات التي تعتمد العقاقير بكثرة. ويقول شبيغل ان هناك "نظرة طبية متطرفة جعلتنا نكثر من الاتكال على الاطباء الذين يقصرون علاجهم على استعمال الاشياء الملموسة، كالعقاقير والمباضع والاجهزة الالكترونية، لمحاربة المرض والالم. ولهذه الاشياء، حتماً، موضعها. لكن هناك عنصراً مفقوداً في المسألة، وهو أننا منذ زمن بعيد أهملنا قدرة العقل العلاجية".

ويوصي الخبراء اولئك الذين يسعون الى العلاج بالتنويم بان يلزموا جانب الحذر ويحسنوا اختيار الطبيب. ويقول وين ان "أفضل طريقة للعثور على منوّم مغناطيسي جديد هي ان تسأل طبيبك او تكتب الى المؤسسات العلمية المختصة".

■ اميلي وبير دولير



لا يخشى النقد

كان رجل الدين يشجع افراد الرعية على التكلم معه بعد الصلاة لابداء آرائهم في عظاته. ومرة سمع التعليمات الآتية:

- انك دائماً تجد شيئاً لملء الوقت.
- لا يهمني ما يقوله الآخرون عنك، لكني احب عظاتك.
- لو عرفت انك ستبلي بلاء حسناً اليوم لاصطحبت احد جيراني.
- هل تدري ان هناك ٢٤٣ لوحاً من الزجاج في هذه النوافذ؟
- ينبغي ان نجعلك تكف عن الوعظ معظم الاحيان.

ا٠م٠

الحياة في الثمانين

كاتب كبير يكتشف حياة مختلفة بعد الثمانين

هكذا اقاموا لي حفلة في عيد ميلادي الثمانين. وانهالت علي البطاقات والرسائل والبرقيات والهدايا، وحتى كعكة عيد الميلاد الكبيرة التي غرسوا في سطحها، لسبب اجهله، شمعتين فقط... ترى هل رجعت القهقرى الى طفولتي.

انا اؤمن بالحفلات الكبيرة التي تقام في المناسبات الخاصة كعيد الميلاد الثمانين، فمن يعش ثمانين حولا يدخل مرحلة جديدة من الحياة: فصلها الاخير. فلا بأس ان هو خضع للطقوس اللائقة بالعبور الى الضفة الثانية.

ان من يعمر ثمانين عاماً ينضم الى أقلية او نخبة من الناس. ولا اخالك ايها القارىء الا منضماً الى صفوف هذه الاقلية يوماً اذا قيضت لك النجاة من ارتفاع ضغط الدم والسرطان القاتلين. واذا شئت ان تعرف ما ستلقاه في دار الثمانين، فاليك تقريري الخاص أقدمه خريطة تسترشد بها.

يشعر الثمانيني الجديد، وهو جالس على كرسي مريح، بأنه قوي البنية كسابق عهده تماماً. ويسترسل في الذكريات والاحلام والتأمل، فيرى ان الشيخوخة زي فرض على سواد، وان الذات الجوهرية الحقة لا يطالها الهرم. وبعد هنيهة تراوده فكرة النهوض من كرسيه والخروج في نزهة الغابات، حاملا معه بندقيته او قصبة

Condensed from Life (December' 78), New York. N.Y.

صيد السمك اذا كان الفصل ربيعاً. لكنه حين يقف على قدميه، تقرقع مفاصله، فيبالغ في الانحناء الى الامام كي يحافظ على توازن جسمه. حينئذ يدرك انه لن يحقق شيئاً مما اعتزمه لان جسده يقول له: "انت هرم". وهي عبارة يرددها الجسم مراراً كلما انجز - بعد اعمال الفكر والتبصر في العواقب والتؤدة - ما كان ينجزه فطرياً في ما مضى، أو كلما وجد انه لا يستطيع الوقوف على رجل واحدة ويستعصي عليه ارتداء سرواله، او حين يقضي وقتاً في البحث عن الاشياء يفوق الوقت الذي يقضيه في استعمالها، او عندما يصغي بانتباه وتركيز الى نكتة فيسمع منها كل شيء سوى ما يضحك فيها.

عيوب الشيخوخة - ان اكبر عيوب الشيخوخة، في نظري، هي الجشع والفوضى والخيلاء، وأسوأها الجشع. ترى لماذا يصر عدد كبير من الطاعنين في السن على ادخار المال من غير أن تكون لديهم فرصة لاستخدامه، بل من غير ان يكون لهم أحياناً ورثة يستفيدون منه؟ لعلهم يعدون المال أحد اشكال القوة، فيرون في نموه وتراكمه عزاء للنفس في وقت تتناقص قواهم الاخرى وتتلاشى!.

ولكن لماذا يصبح عدد كبير من المسنين فوضويين لا يأبهون للترتيب والنظام، بل تراهم يكدسون سقط المتاع على نحو مذهل؟ ها هي ادراج مكاتبهم ممتلئة بها، وها هي النفايات مكدسة فوق المناضد، في حين تنوء قضبان خزاناتهم الحديد بأثقالها من الثياب التي لم يرتدوها منذ سنوات طويلة. ولعل ذلك راجع، من ناحية، الى الكسل، ومن ناحية أخرى الى الشعور بان كل ما نفعهم في الماضي وجب الاحتفاظ به.

اما خيلاء المسنين فمسألة يسهل تفسيرها والتغاضي عنها، لانه ما دام امامهم القليل مما يصبون اليه، فهم يتمسكون بما كانوا عليه في الزمن الغابر ويتوقون الى كسب تقدير الآخرين واعجابهم، سواء أكانوا لاعبين رياضيين او طلاب علم جادين وبارعين أو ملكات جمال. على ان الجميلات يواجهن أصعب الاوقات في الشيخوخة، فتراهن احياناً يصبحن سخرية بين الناس وهن يحاولن الحفاظ على مفاتنهن الدراسة. اما الرياضيون فلهم رفوفهم لصف الكؤوس والميداليات، كما لطلاب العلم جدرانهم لتعليق الشهادات والاشادات بمواهبهم. والحق ان هذا السعي الى اعجاب الآخرين ينبع من دافع عاطفي بريء، لكنه احياناً يفضي بأصحابه الى مسخ شخصياتهم.

لا يهزه شيء - الا ان الشيخوخة لا تخلو من ملذات، كأن يجلس المرء مستكيناً كأفعى فوق حجر ادفأته الشمس، فيشعر بلذة الكسل الذي قلما يتمتع به المرء شاباً. ويغدو العجوز في هذه الاوقات جزءاً من الطبيعة، لكنه جزء حي ينساب الدم في عروقه بهدوء لان المستقبل لم يعد موجوداً. واذا فكر في أمر على الاطلاق، ففي حياة من هم دونه سناً: يراهم في معركة طاحنة كبرى يقف الواحد منهم ضد الآخر، بينما هو لا يهزه شيء.

فما من شيء يكسبه او يخسره. وعلى هذا الهامش من الحياة، يمكن العجوز ان يراقب دورات الاختلاس والابتزاز وأن يسمع صياح المنتصر ونحيب الجريح المقهور، وان ينعم بطمأنينته لانه ما من طامع فيه يباغته من مكمن ما.

ومع ذلك، فأنا أغبط الرجال والنساء الذين يواجهون الشيخوخة باعتبارها سلسلة من التحديات، فيعدون كل عجز يلم بهم عدواً ينبغي قهره بقوة الارادة. وتراهم احياناً يظفرون بفوز عظيم، مثل الفنان الفرنسي بيار اوغست رينوار الذي تابع رسم اللوحات العظيمة سنوات عدة وهو مصاب بالتهاب المفاصل، فيما كانت فرشاة الرسم تربط فوق ذراعه، ومثل الفنان الاسباني فرنسيسكو غويا الذي اصيب وهو في الثامنة والسبعين بالصمم وضعف النظر حتى اضطر الى وضع عدد من النظارات بعضها فوق بعض، كي يواصل انتاج اللوحات الفنية الرائعة وبأسلوب جديد.

من المتوقع ان يمتد أجلي فترة ست سنوات وسبعة أشهر حسب تقديرات دائرة احصاء السكان. والسؤال المحير هو: ماذا افعل بهذا الوقت؟

ان الكتب التي لجأت اليها لم تعطني كثيراً من النصائح العملية التي كنت اتوقع العثور عليها. ولسبب أجهله، لا يكتب المسنون الا القليل عن مشكلات الشيخوخة. وما قرأته في هذا الموضوع هو من تأليف رجال ونساء في اواخر الخمسينات واوائل الستينات من اعمارهم، اي الفترة التي يشاء معظمهم فيها ان يرسم صورة مشرقة لبقية ايامه. ومقالة السياسي والخطيب الروماني الشهير شيشرون عن الشيخوخة، التي كتبها وهو في الثانية والستين، ما هي الا من قبيل طمأنة النفس. وقد حاول الكاتب الامريكي رالف والدو امرسون في مقالته "الشيخوخة"، وهو في الخامسة والسبعين، اقناعنا بأن خيرات السنين ومكافآتها ستتدفق علينا من فوهة عريضة. وعلى رغم اعتباري امرسون أحد الابطال الذين أجلهم، الا ان ملاحظاته كثيراً ما تعوزها الواقعية.

روح المرح – لقد بدأت حديثاً قراءة آخر النشرات التي اصدرها زملاء الدراسة الجامعية الباقون على قيد الحياة، ترويحاً عن النفس بعدما تعبت من قراءة الكتب. وقد ساهم خمسة وأربعون منهم في تدوين ملاحظات عن أنفسهم وحياتهم. والانطباع الرئيسي الذي خرجت به من كتاباتهم هو تقبل العجز والعقبات بمرح واعتدال.

والاكثر مرحاً بين هؤلاء الزملاء هم الذين احتفلوا بيوبيل زواجهم الذهبي (الذكرى الخمسين)، خصوصاً اذا حضر الاحتفال اولادهم واحفادهم. (وكان حرياً بي ان اذكر الاحفاد في عداد المباهج الحقيقية في سني الشيخوخة).

لكم شعرت بانتعاش نفسي وتجدد في همتي حين علمت ان الكثيرين من زملائي لم يتقاعدوا عن العمل، وان بعضهم شرع في اعمال جديدة كصناعة خشبات التزلج او العناية بالحدائق او بيع كتب نفدت

طبعاتها. والواقع اني اؤمن، على رغم ما قلته عن الكسل، بأن كل واحد منا يحتاج الى مشروع ما لكي يبقى حياً. قد يكون المشروع بدأ في الماضي وهو الآن في حاجة الى اتمامه، وقد يكون جديدا كل الجدة. لكن المهم في الامر ان يكون كبيراً بحيث يتطلب من المرء أقصى جهده، من غير أن يكون مشروعاً عملاقاً يثبط العزيمة.

ثمة مشروع يغريني حقاً، وهو محاولة اكتشاف النمط الذي حدد مسلكي حتى الآن. فالحياة، وان بدت سلسلة من الاحداث العارضة، تنطوي على شؤون اخرى ذات دلالة. فلكل حدث حبكة محكمة الترابط، الا انها محجوبة تحت ركام السنين. والسؤال هو: هل يمكننا ان نتخلص من هذه النفايات ونتبين معالم الحبكة وفصولها وفترات توقفها واستئنافها؟ هل نحن أبطال الروايات، كل واحد في مسرحيته؟ بأي الخصال او انعدامها يتميز الواحد منها عن سائر الممثلين؟

قد لا نجد اجابات عن هذه الاسئلة. الا ان هناك خطوات بسيطة ينبغي اتخاذها في البحث عن اجابات، كأن نقرأ من جديد رسائلنا القديمة، وان نربط بين الذكريات، وان نرسم الصور، وأن نتذكر مقاطع من الموسيقى. لان هذا قد يفضي بنا الى كتابة مذكرات صريحة وصادقة تماماً. وليس هناك ما يخسره المتقدمون في السن من قول الحقيقة. او ربما أفضى بفئة من المسنين الى تدوين ملاحظات ونصائح يفيد منها الشباب او يغفلونها. ولكن مهما تكن النتيجة، فان جهودنا لن تضيع هباء، لان في مثل هذه الرحلات عبر الماضي ما يسعفنا على اثبات هويتنا. وسنتمكن، على الاقل، من أن نقول للآخرين، أو لانفسنا ان لم يسمعنا احد: "لقد كان لي وجود حقيقي". بل ربما قلنا بثقة أكبر: لقد كنت هذا".

■ **مالكوم كاولي**

مؤرخ أدبي، نشر، يزيد على العشرة كتب، أشهرها "عودة المنفي"، وهو ذكريات عن الحياة الادبية في باريس ونيويورك.

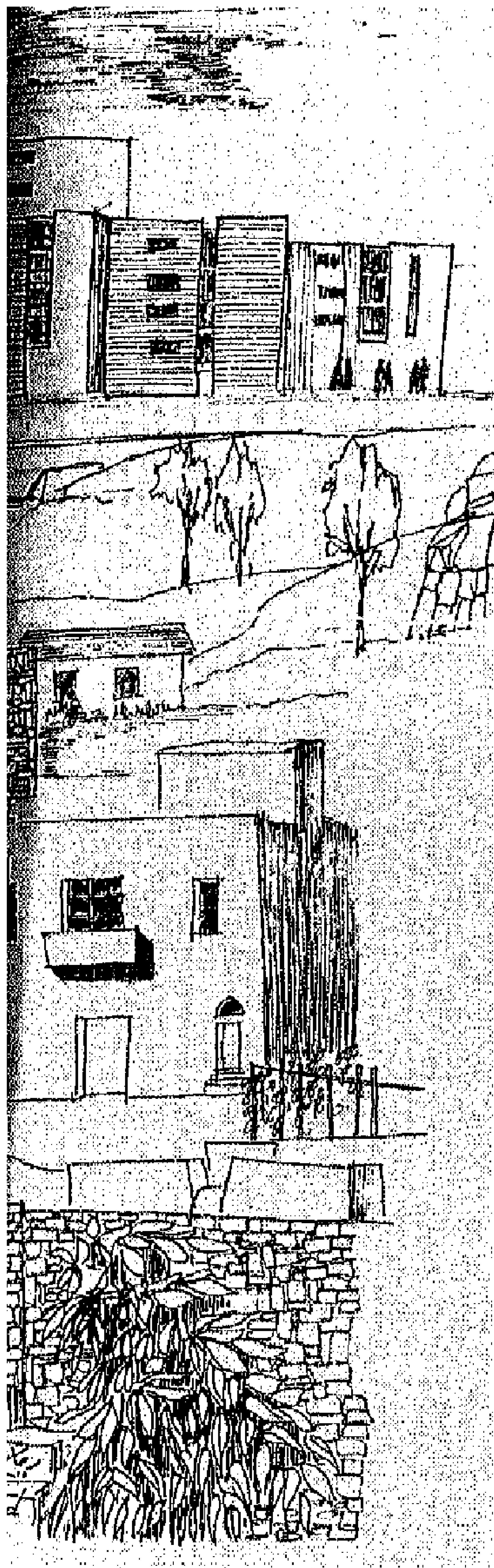
التجدد الدائم

عندما تقترب ليلة آخر السنة، يجتمع افراد عائلتنا في غرفة الجلوس ويبدأون جولة عبر الذكريات. فيحمل كل واحد منا تقويم العام ويستعيد اهم ما حدث معه شهراً شهراً حتى يأتي على اشهر السنة الاثني عشر. وعندئذ يدع السنة الغابرة ترتاح بسلام.

والحق ان الذكريات ليست كلها احداثاً سعيدة. فهناك احداث اليمة، وبعضها لم يمح اثره. لكن مشاركة الآخرين تمنحنا العزاء وتجعلنا نقبل الواقع.

على هذا النحو نودع السنة ونستقبل سنة اخرى، نعلق اشهرها وايامها على الحائط ونحن لا ندري ما تخبىء لنا. وهكذا تستمر حياتنا بأن تبدأ من جديد.

ب.ا.ج.

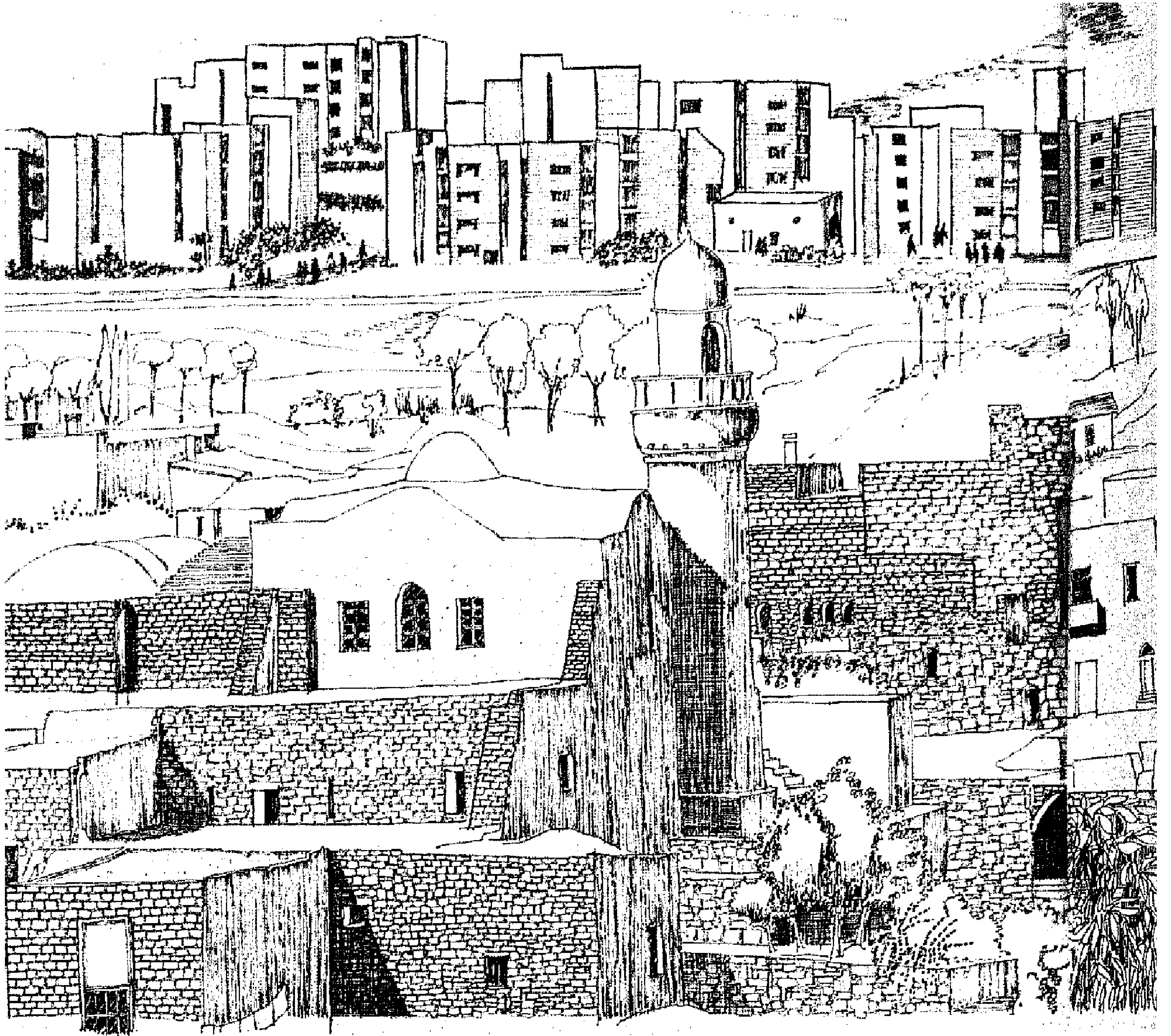


عقدة المستوطنات

على رغم الادانة
التي تلقاها
سياسة اسرائيل الاستيطانية
في الاراضي العربية المحتلة
منذ العام ١٩٦٧،
فان حكومة تل ابيب
ماضية في خطتها
الرامية الى تجريد
الفلسطينيين العرب
من املاكهم

بينما تستمر الجهود لايجاد صيغة سلام دائم في الشرق الاوسط يواصل المدنيون الاسرائيليون الاستيطان في الضفة الغربية من نهر الاردن. وكثيراً ما يرافق اقامة المستوطنات اليهودية في الضفة انتزاع اراض من فلسطينيين عرب ملكوها ورعوها طوال اجيال.

ففي قرية الخضر جنوب بيت لحم يجد ما لا يقل عن ٤٢ مزارعاً عربياً انفسهم مضطرين الى البحث عن وظائف عرضية لاعالة اسرهم. فقد صودر حوالي مليوني متر مربع من الارض التي يملكونها منذ آلاف السنين، وذلك لمصلحة مستوطنة "افرات" الاسرائيلية المجاورة.



وتتكرر المآسي. ففي قرية العوجا (شمال مدينة اريحا) اتلفت محاصيل المزارع العربية صيف ١٩٧٩ لان سلطات الاحتلال الاسرائيلية رفضت السماح للمزارعين بحفر بئر في القرية بحجة ان الحق في استغلال المياه الجوفية في تلك المنطقة مقتصر على المستعمرات الاسرائيلية المجاورة حيث تطفح احواض السباحة بالمياه وتتباهى اشجار الليمون والكرمة بلونها الاخضر فوق التلال الكلسية عند سفح الجبل.

هذان مثلان على النتائج المدمرة لاستمرار سياسة الاستيطان الاسرائيلية في الضفة الغربية، فوق مساحة تبلغ ٥٦٠٨ كيلومترات مربعة

الى ايام العثمانيين الذين حكموا فلسطين في القرن التاسع عشر. ويشتمل معظم الضفة الغربية على ارض "ميري"، او "ارض اميرية"، وهي املاك حكومية يستثمرها مزارعون يسددون جميع الضرائب المتوجبة عليهم.

ونادراً ما كلف القرويون انفسهم عناء مراجعة المسؤولين لفرز الارض والحصول على سندات ملكية. فقد كان ادراج اسمائهم في سجلات الضرائب الاردنية بمثابة صك ملكية ضمني. وكان الجميع يعلم اين تنتهي شجرات الزيتون او المنحدر الصخري لاحدهم لتبدأ حدود عقار آخر. وقد استغل المسؤولون الاسرائيليون هذه الصيغة غير الرسمية لتجاهل مطالب القرويين العرب، بحجة ان ادراج اسمائهم في سجلات الضرائب لا يخولهم ملكية الارض.

وكانت قرية الخضر مسرحاً لعملية من هذا النوع انكشفت فيها بوضوح اجراءات السلطات الاسرائيلية. وتقع القرية على جانب طريق فرعية جنوب بيت لحم، وأرضها منحدرة وصخرية لا تصلح للزراعة الا جزئياً. غير ان المزارعين عمدوا الى تجليلها (تحويل المنحدر الى جلول او مصاطب فيصبح شكله كالمدرج) فأصبحت صالحة لزراعة الزيتون والكرمة.

وقد سبق لاهالي هذه القرية ان جردوا من ملكية ٣٤٤ الف متر مربع "لاغراض امنية" عام ١٩٧٣، لتتحول هذه المساحة في ما بعد الى مستعمرة "اللعازار" اليهودية. وها هي القرية ثانية توشك على مواجهة محنة جديدة، ذلك بان الاسرائيليين قرروا بناء مركز مديني رئيسي هو افرات. وستجري اولى مراحل البناء فوق مساحة مليوني متر مربع من الارض الميري التي يملكها سكان القرية.

وكان في وسع بعض المزارعين ابراز ايصالات الضرائب المسددة التي تثبت حقهم الشرعي في ملكية اراضيهم. الا انهم لم يمنحوا تلك الفرصة. فما العمل؟ هل يوكلون الى محام مهمة رفع امرهم الى القضاء؟

سكان الحصون - ان الحصول على الانصاف القضائي بالنسبة الى المصادرة الاعتباطية أمر يكاد يكون ميؤوساً منه؛ فلا يمكن الاعتراض على اوامر الحاكم العسكري الاسرائيلي الا امام المحكمة العليا. وحتى العام ١٩٧٨ لم يسبق ان تقدم أي من ضحايا المصادرات بشكوى من هذا النوع. ذلك بأن معظم القرويين كانوا يجهلون ان في استطاعتهم اللجوء الى المحكمة العليا. يضاف الى ذلك ان قلة من المحامين العرب في الضفة الغربية يتكلمون العبرية، وهي اللغة الرسمية في المحكمة العليا، وينتمون الى نقابة المحامين.

ومنذ ١٩٧٨ لم تقدم الى المحكمة العليا سوى خمس شكاوى. ولم تؤد هذه الشكاوى الى نتيجة حتى اواخر ١٩٧٩ بسبب تأكيد الجيش الاسرائيلي ان المصادرات كانت ضرورية لامن الدولة. لكن ما حصل في يونيو (حزيران) ١٩٧٩ كان أمراً لم تستطع المحكمة العليا هضمه. موجز القضية ان عدداً من اعضاء حركة "غوش ايمونيم" (كتلة المؤمنين)، وهي حركة صهيونية دينية متطرفة، طلبوا السماح لهم ببناء مستوطنة فوق تلة

صخرية تشرف على مدينة نابلس في قلب المنطقة الاكثر كثافة في الضفة الغربية. وقد اخفق سعيهم طوال اشهر. فهدفهم كان صريحاً وهو تطوير المستوطنة الى مركز مديني يضم مئة الف يهودي، أي ما يفوق عدد سكان نابلس نفسها. وسيطلق على المستوطنة اسم "ايلون موراي"، وهو اسم مستوطنة النبي ابرهيم الاولى التي انشئت في "السامرة" عندما قاد ابناء اسرائيل الى "ارض الميعاد".

وكانت الحكومة الاسرائيلية منقسمة حينذاك حول موضوع المستوطنات. اذ شعر بعض الوزراء بالقلق ازاء سرعة بناء المستوطنات والتهديد الواضح الذي تشكله لمفاوضات السلام مع مصر. وعارض آخرون بشدة تشييد مستوطنات في مناطق ذات كثافة سكانية عربية. وتساءل كثيرون عن مدى الفائدة التي يجنيها امن اسرائيل من المستوطنة الجديدة.

ولدى تصويت اعضاء الحكومة على مشروع المستوطنة لم يتوان معظمهم، حتى وزير الدفاع آنذاك عازر وايزمان، عن رفضه، غير ان مساندة مناحيم بيغن القوية للمشروع رجحت كفة اقراره. وبعد بضعة ايام تسلق مقاتلو "غوش ايمونيم" الهضبة قبل بزوغ الفجر، تساعدهم طائرة هليكوبتر حربية، ونصبوا بضع خيام اعلاناً لتأسيس المستوطنة وذلك في ما يشبه هجوماً عسكرياً مفاجئاً. وقال بيغن حينئذ: "ليس هناك امر أكثر قانونية من هذا".

وكان احد معارضي المشروع محامياً عربياً في التاسعة والعشرين يتكلم العربية، قصير الجسم وممتلئ. هو الياس خوري ابن الناصرة الذي يعمل في القطاع الشرقي من القدس. فراح يراقب تطورات مشروع "ايلون موراي" نيابة عن ١٧ ملاكاً عربياً من قرية الرجيب المجاورة. تلك المرة لم تكن الارض المغتصبة مشاعاً (ميري) وانما كان في حوزة موكليه سندات ملكية لجزء كبير من هذه الارض التي تبلغ مساحتها ١،٦ مليون متر مربع.

وتقدم الياس خوري الى المحكمة العليا بطلب للحصول على انذار قضائي موقت للمستوطنين باخلاء المكان فكان له ما اراد. وقد قال موشيه لاندو، رئيس المحكمة العليا: "اني اتفهم مرارة الملاكين العرب ونقمتهم". ولم تمض اسابيع حتى اصبح الانذار القضائي دائماً ويؤكد على ان هدف "ايلون موراي" سياسي وليس امنياً، وقضى باخلاء المستوطنة.

غير ان المرارة والغضب لم يهجرا قرية رجيب. ويقول السيد احمد صادق المفتي، وهو عربي كاد ان يفقد ١٦ الف متر مربع في هذه المحاولة: "ان الالم يحز في قلوبنا بعدما حاول هؤلاء الاشخاص فعله".

وليست خسارة الارض هي الحسرة الوحيدة في صدر العرب، فهناك ايضاً موقف السلطات الاسرائيلية من مشكلة المياه. ان ثلث حاجة اسرائيل المائية، وتبلغ ١،٦ مليار متر مكعب، يؤمن من المياه الجوفية في الارض الاردنية المحتلة. وعمد الاسرائيليون الى حفر نحو ٢٠ بئراً عميقة في الضفة الغربية. غير ان السلطات

كانت تابعة للاردن واحتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧. ولا تزال حكومة تل ابيب تتجاهل قرارات الامم المتحدة القاضية بانسحابها، كما تتجاهل معاهدة جنيف التي تنص على منع الاستيطان في الاراضي المأهولة المحتلة، فتقلص بذلك احتمالات السلام مع الدول العربية المجاورة.

وتنصب الشكاوى على سياسة الاستيطان الاسرائيلية من بلدان كثيرة. ففي النمسا استقال رئيس لجنة جمع التبرعات الخاصة بالسندات الاسرائيلية من منصبه. وفي الولايات المتحدة نشر ٥٩ من اليهود الامريكيين البارزين كتاباً مفتوحاً جاء فيه: "ان سياسة تعتمد مصادرة الاراضي العربية من دون اي مبرر امني، وتتجرأ على مواصلة احتلال منطقة يسكنها ٧٥٠ الف فلسطيني، هي سياسة مرفوضة اخلاقياً". وكان بين الموقعين على هذا الكتاب جيروم وايزنر، رئيس معهد مساتشوستس للتكنولوجيا، وليونارد برنشتاين، المؤلف الموسيقي الشهير.

وتشير نتائج استطلاعات للرأي العام داخل اسرائيل نفسها الى ان ٥٠ في المئة من الاسرائيليين يجدون في المستوطنات خطراً على السلام.

وعلى رغم تراجع الرئيس الامريكي جيمي كارتر عن الموقف الذي اتخذه مندوب الولايات المتحدة في الجلسة التي عقدها مجلس الامن الدولي في اول مارس (آذار) ١٩٨٠، واجمع فيها مندوبو الدول الاعضاء الخمسة عشر على ادانة سياسة الاستيطان الاسرائيلية، فان الولايات المتحدة عادت واكدت موقفها السابق من ان المستوطنات هي "غير شرعية" وتشكل "عقبة في طريق السلام". غير ان العرب يجدون في المساعدة الامريكية لحكومة تل ابيب والتي تبلغ مليارى دولار سنوياً، حافزاً على مواصلة اسرائيل تثبيت اقدامها في الارض العربية.

صك غريب ــ فور انتهاء حرب العام ١٩٦٧ وضعت الخطط التفصيلية لبناء المستوطنات الاسرائيلية الاولى، وكان لها آنذاك دور امني. ولكن ما ان اقبل العام ١٩٧٧ حتى كانت ٤٠ مجموعة من المستوطنين اليهود قد وجدت مستقرات لها فوق "الاراضي المدارة" والتي كانت تابعة للاردن، قبل الاحتلال طبعاً. وتزايدت هذه المجموعات منذ تسلم مناحيم بيغن رئاسة الحكومة الاسرائيلية في منتصف ١٩٧٧. فهناك الآن ما لا يقل عن ٣٠ مستوطنة جديدة في الضفة الغربية.

ان الضرورة الامنية لم تعد المبرر الرئيسي للاستيطان، اذ ان بيغن وعدداً من زملائه يعتبرون التوارة صك ملكية. وهم يؤمنون بأن الله اعطى وعداً لليهود بـ "ارض اسرائيل" التي تضم، في ما تضم، "يهودا" و"السامرة"، اي ما يعرف اليوم بالضفة الغربية. فمن حق اليهود ــ حسب بيغن ــ ان يستوطنوا اينما شاؤوا من هذه الارض ومتى شاؤوا والا يعيروا اهتماماً لحقوق السكان العرب الذين يملكون تلك الارض منذ قرون.

والمستوطنات هي في معظمها مجموعات صغيرة من عشرة مساكن الى ثلاثين مسكناً تشبه في احيان

كثيرة عربات الرحلات المقطورة. وهي تجثم فوق التلال على بعد حوالي كيلومتر ونصف كيلومتر من القرى العربية المجاورة. غير ان بعض المستوطنات هي، في الواقع، مدن صغيرة انشئت فيها مشاغل ومصانع.

وجميع المستوطنات مزودة بالماء وبخطوط الهاتف والكهرباء. ويقدر مجموع ما سينفق على مشاريع الاستيطان هذه السنة بـ ٢٠٠ مليون دولار، وربما اكثر. ومن اجل تنفيذ هذه المشاريع تم الاستيلاء - بالاستملاك والمصادرة - على آلاف الهكتارات من الاراضي التي يملكها فلسطينيون عرب.

وفي العادة، تجري عملية الاستيطان كالآتي:

يصل جنود اسرائيليون فجأة، فيضعون علامات حدودية وينذرون المزارعين بالابتعاد عنها. وغالباً ما يصل الى القرية لاحقاً اشعار رسمي بقرب استخدام المنطقة لاغراض عسكرية. وخلال اسابيع قليلة تمهد الارض بالحفارات ويختفي الجنود ليحل مدنيون مكانهم في الارض المسلوبة.

وأحياناً يتولى المستوطنون انفسهم مهمة المصادرة. ففي "عفرا"، مثلا، بنى الاسرائيليون مستوطنتهم عام ١٩٧٥ فوق انقاض مخيم عسكري اردني. ويقول سكان الجوار العرب ان المستوطنين رغبوا في مزيد من الارض بعد ثلاث سنوات. فدخلوا ذات يوم من ١٩٧٨ ارضاً يملكها محمد ابرهيم عيسى، وهو سائق اوتوبيس، تبلغ مساحتها حوالي ٤٠٠٠ متر مربع. وبسطوا الاسلاك الشائكة حول ثلاثة ارباع هذه الارض. ثم بادروا الى قلع اشجار التين والليمون والعنب التي زرعها عيسى، واحلوا مكانها اثني عشر بيتاً جاهزاً. ولم تلاق الدعاوى التي قدمها عيسى الى الحاكم العسكري المحلي اذناً صاغية.

ولم يبق المستوطنون اليهود لهذا الفلسطيني سوى قطعة الارض التي يقوم عليها بيته وموقف سيارته، الى جانب قطعة اخرى صغيرة يزرعها خضراً.

وفي مكان آخر، لا يبعد كثيراً عن ارض محمد عيسى، وصل مستوطنون اسرائيليون عام ١٩٧٧ الى شايلو، او سيلون، وهي منطقة ورد ذكرها في التوارة. وهم جاؤوا، ظاهرياً، للتنقيب عن بعض الآثار القديمة. لكن اياً من خبراء الآثار لم ينضم اليهم ولا جرت حفريات في الموقع. وكل ما حدث هو انه خلال اسابيع انتقلت الى الموقع نحو ثلاثين عائلة يهودية اقامت منازل لها فوق ٨٠ الف متر مربع تابعة لبلدة قريوت العربية.

عدالة القوي - والحجة المشتركة بين السلطات الاسرائيلية والمستوطنين تقوم، في غالب الاحيان، على الآتي: ان اليهود لا يحتلون سنتيمتراً واحداً من الاملاك الخاصة، بل انهم يضعون يدهم، ببساطة، على "املاك اميرية"، وهي اراض كانت تابعة للاردن، بالملكية او الاشراف، قبل العام ١٩٦٧. ان هذا الامر صحيح احياناً لكنه غالباً غير صحيح.

ان هذا الادعاء قد يبدو مقنعاً، ذلك بان انظمة الملكية القديمة غامضة وشديدة التعقيد، وتعود غالباً

الاسرائيلية حرمت على العرب حفر آبار في اراضيهم الا في حالات خاصة، وذلك طوال السنوات الثلاث عشرة الماضية.

وكما كان متوقعاً، ظهرت في المنطقة موجة عنف اخذت تتعاظم وتلاحق المستوطنين اينما حلوا. وتعددت حوادث القتل حول مدينة الخليل في اقصى جنوب الضفة الغربية، حيث انشئت مستوطنة "كريات اربع" عام ١٩٧٠ بهدف استيعاب ٣٠٠ شخص. واليوم اصبحت هذه المستوطنة بلدة شبيهة بالحصن، يسكنها اكثر من ٢٥٠٠ شخص وتحيط بها الاسلاك الشائكة والانوار الكاشفة.

وفي العام ١٩٧٩ بلغ التوتر في الخليل حداً اخذ الشبان العرب معه يحملون اكياس الحجار لرجم السيارات الاسرائيلية، مما دفع الاسرائيليين الى استقدام لجنة امن اهلية مسلحة من "كريات اربع" لحفر شوارع البلدة. وفي بلدة حلحول التجارية، على بعد كيلومترات قليلة من الخليل، اطلق بعض مستوطني "كريات اربع" النار على المتظاهرين العرب فقتلوا تلميذين ثانويين.

الشوكة المؤلمة – بلدة حلحول هي منذ زمن طويل شوكة في جسد سلطات الاحتلال الاسرائيلية. ويعود ذلك جزئياً الى جرأة رئيس بلديتها محمد ملحم الذي يناقش في المسألة الفلسطينية ببلاغة مؤثرة داخل اسرائيل نفسها. وهو تلقى رسالة من جندي اسرائيلي شلت ساقه بعد صابته في احدى المعارك. ويحلم هذا الجندي بالسلام بين العرب واليهود، وقد وردت في رسالته عبارات لاذعة موجهة الى "المستوطنين الذين يحسبون ان من حقهم اقتلاع فلاح من ارضه لينصبوا مكانه خيمة". وهو يضيف: "اقدم لك احترامي وتقديري لاعلانك على الملأ صرخة شعبك من اجل الحرية".

وليس هذا الجندي هو الوحيد الذي ينادي بوضع حد لحركة الاستيطان. فهناك اقلية ناطقة ونشطة من الاسرائيليين، تضم عدداً وافراً من اعضاء الكنيست (البرلمان الاسرائيلي)، تساند حركة "السلام الآن" التي ظهرت عام ١٩٧٨.

ورغبة من اعضاء حركة "السلام الآن" في كسب تأييد شعبي ارسلوا، يشاركهم في ذلك ٣٥٠ جندياً وضابطاً احتياطياً في القوات المسلحة الاسرائيلية، عريضة الى مناحيم بيغن يطالبون فيها بسياسة اكثر مرونة ترمي الى تحقيق تسوية سلمية شاملة لازمة المنطقة.

ويقول امري بادان، الناطق باسم حركة "السلام الآن": "كنا على استعداد للتنازل عن اراض كثيرة على جميع الجبهات، بما فيها الضفة الغربية، في مقابل ضمان امني اكيد".

وفي الثاني من سبتمبر ١٩٧٨، اي قبل ثلاثة أيام من بدء محادثات نظمت حركة "السلام الآن" مسيرة داخل تل ابيب شارك فيها ١٠٠ الف اسرائيلي رفعوا شعارات تدعو الى السلام.

واليوم تشكل المستوطنات محور نشاطات حركة "السلام الآن". ذلك بان خطر هذه المستوطنات يتعدى احتمالات السلام الى اقتصاد البلاد نفسه. ويقول الجنرال الاحتياطي

ماتياهو بيليد: "على رغم التكاليف الهائلة تبقى المستوطنات غير مكتفية ذاتياً. وهي عامل اساسي في التضخم المدمر الذي نعانيه".

ويقول ديدي تسوكر، وهو ناطق آخر باسم حركة "السلام الآن"، "ان ضم الضفة الغربية من شأنه قلب التوازن السكاني برمته، مما يهدد حتى صفة اسرائيل اليهودية". وتبعث هذه النقطة الرعشة في قلوب اسرائيليين عديدين. فهناك نحو ٥٠٠ الف عربي في اسرائيل، يقابلهم نحو ٣،٣ ملايين يهودي. فاذا اضفنا اليهم ١،٢ مليون عربي يسكنون الضفة الغربية وأخذنا في الاعتبار نسبة الولادات التي هي الاكثر ارتفاعاً لدى العرب. لفقد اليهود اغلبيتهم بعد جيل او جيلين.

اما الاستاذ يهوشافات هاركابي، وهو عماد وضابط استخبارات سابق يدرس حالياً في الجامعة العبرية في القدس، فيلاحظ انه ليس هناك عدد كاف من المستوطنين لملء المجمعات التي يخطط لها مناحيم بيغن ووزير الزراعة الجنرال اريل شارون. ويضيف هاركابي: "لم يستطع المسؤولون خلال عقد كامل ان يستقدموا اكثر من ثمانية آلاف يهودي للسكن في مستوطنات الضفة الغربية. حتى وان ارتفع عدد هؤلاء الى ١٥ الفاً فلن يتعدى المستوطنون حجم نقطة في بحر بالنسبة الى مئات الآلاف من سكان الضفة العرب".

وكانت السلطات الاسرائيلية ابعدت الى لبنان في ٣ مايو (ايار) ١٩٨٠ رئيس بلدية حلحول السيد محمد ملحم ورئيس بلدية الخليل السيد فهد القواسمة وقاضي الشرع في المدينة الشيخ رجب التميمي. واتهمت سلطات الاحتلال المبعدين الثلاثة بالتسبب في الوضع المتفجر في الضفة في اعقاب تصاعد المعارضة العربية لسياسة الاستيطان الاسرائيلية هناك. واثار هذا التصرف احتجاجات في الضفة وخارجها. ودان مجلس الامن الدولي عملية الابعاد ودعا اسرائيل الى الغاء قرارها "غير المشروع".

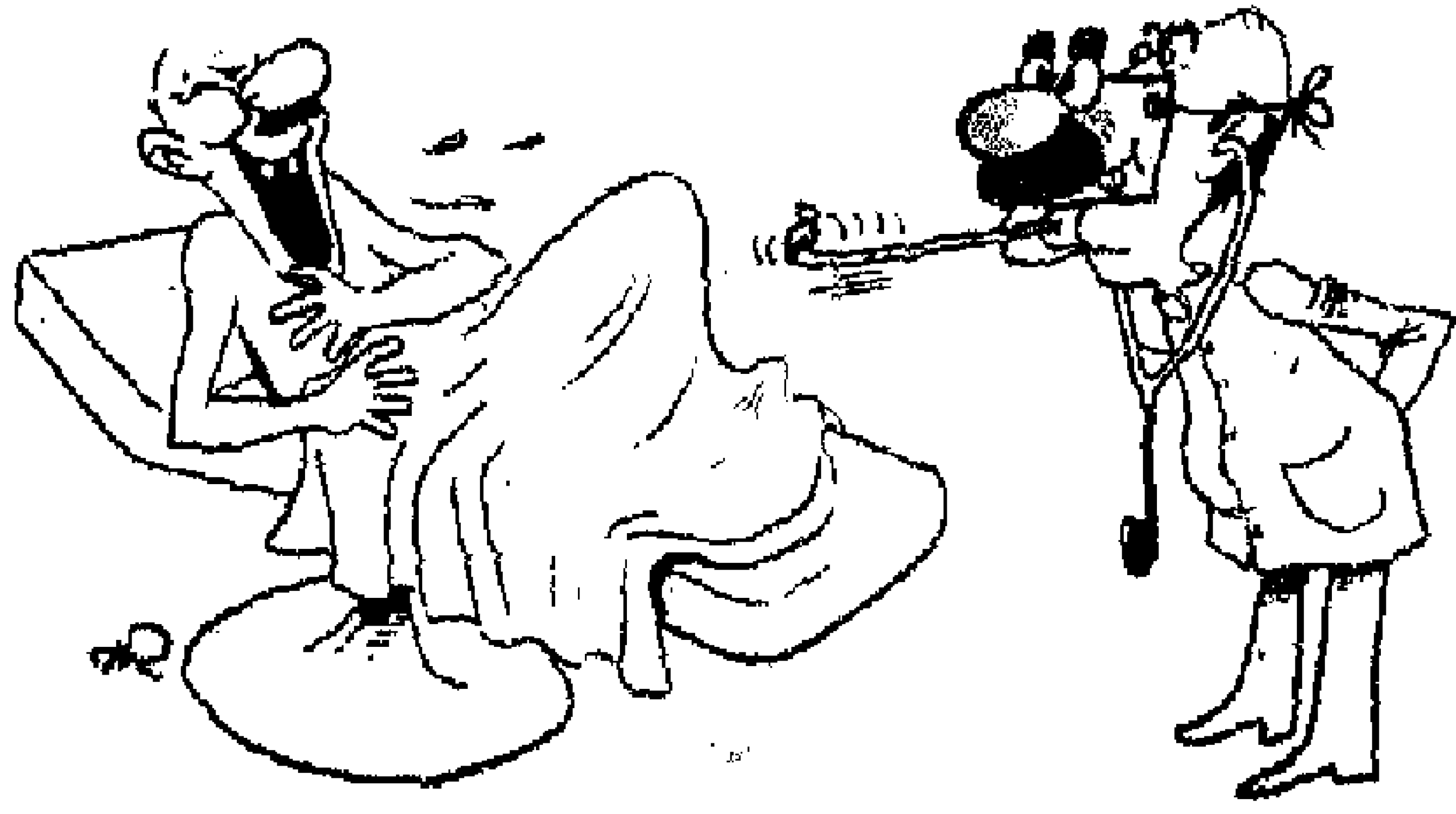
ويظهر المراقبون قلقهم ازاء موقف حكومة بيغن المتصلب من سياسة التوسع الاستيطاني.

وفي الولايات المتحدة، كما في بلدان كثيرة، لا يشك معارضو سياسة الاستيطان الاسرائيلية - حتى اكثرهم صراحة - في حق اسرائيل في الوجود او في الحدود الآمنة لكنهم يدينون السياسة التي تهدد بالخطر كل تسوية تعد بمنح اسرائيل الامن الذي سعت اليه طويلا.

وعلى رغم الجدل المتزايد حول المستوطنات فقد طلبت تل ابيب من واشنطن مضاعفة المساعدات الامريكية لاسرائيل لتبلغ ٣،٤٥ مليارات دولار سنة ١٩٨٠. وما لم ينجح الرأي العام داخل امريكا وخارجها في ارغام اسرائيل على تعديل سياستها الاستيطانية في الارض العربية المحتلة منذ العام ١٩٦٧ فأن جزءاً غير قليل من دولارات دافعي الضرائب الامريكيين ستصب في مشروع هو في نظر واشنطن نفسها غير قانوني وعقبة في طريق السلام!.

■ ادوارد هيوز

الضحك خير دواء



اهون الشرور

كانت المدرسة الصغيرة المحافظة التي التحقت بها تدير جهاز التدفئة في بناية النوم بعد انقضاء فترة معينة من خريف كل عام. وذات عام جاءنا البرد قبل اوانه. فبذلنا مساعي دؤوبة مع الادارة للحصول على التدفئة، ولكن من غير جدوى.

وبعد ايام امضيناها في تلك الغرف الباردة غير المريحة، قررت وصديقاتي ان نقوم بعمل مؤثر لافت. ولأننا كنا نعلم ان بناء نومنا نحن الطالبات يواجه بناء الطلبة البارد بالمثل، فقد دلينا من الطابق الثالث لافتة كتبنا عليها: "اديروا جهاز التدفئة حالا والا ادرنا رؤوس الفتيان".

وبعد ساعات قليلة كان جهاز التدفئة يؤدي مهمته بكفاية تامة.

ك.غ.

المحامي البارع

استدعى رجل بخيل، وهو على سرير الموت، طبيبه ومحاميه ورجل الدين في محلته. وابلغهم وصيته الآتية:

"طالما سمعت ان الانسان لا يأخذ معه شيئاً من هذه الفانية، لكنني قررت كسر هذه القاعدة. ولذلك احضرت ثلاث رزم، في كل منها ٣٠ ألف دولار. وانا ارجو كلا منكم ان يحمل رزمة ويرميها في ضريحي قبل ان يهال التراب عليه".

وفي الدفن رمى كل من الثلاثة رزمة من يده. ولدى مغادرتهم المكان، اعترف رجل الدين بأنه ابقى معه عشرة آلاف دولار لصرفها على مشروع ديني. وأقر الطبيب بأنه احتفظ بعشرين الفاً تعينه في بناء مستشفى صغير. اما المحامي فقال: "لقد اخجلتماني ايها الصديقان. فانا رميت حوالة مصرفية بالمبلغ كله".

ج.س.

زوجة متفهمة!

اعترف رجل لزوجته بأن له عشيقة، وانها راقصة في ناد ليلي. فطلبت ان يصحبها لمشاهدة العرض والفتاة. ووافق الزوج على مضض. وعندما بدأ العرض، اشار الزوج الى شقراء طويلة القامة في صف الراقصات، قائلا: "هذه هي فتاتي. اما ذات الشعر الاحمر في آخر الصف فهي صديقة شريكي".

ونظرت الزوجة بطرف عينها الى الفتاة ذات الشعر الاحمر، ثم تفحصت الشقراء بعناية، واخيراً همست: "اتعرف؟ اني افضل فتاتنا!"

و.و.

لا تزل قدمك الى الطلاق

خبيرة اجتماعية تقترح طرقاً لتجنب الطلاق والندم الذي يعقبه

السنوات الأخيرة التي حاضرت وكتبت فيها عن الطلاق حملت إلي روايات كثيرة من رجال ونساء تعبر عن ندمهم على إنهاء زواجهم. هؤلاء هم الناس الذين طلقوا عن خطأ ـ لأن الطلاق بات سهلا هذه الأيام، أو لأنهم أخطأوا في تقدير المواقف وإصدار الأحكام. والعديد منهم استخدم العبارة نفسها: "آه لو حاولت فقط أن أحل مشاكلي عوضاً عن الهرب منها الى الطلاق!"

كيف يحصل الطلاق خطأ؟

ليس هناك اختبار مضمون للاجابة عما اذا كان ممكنا أو واجبا إنقاذ زواج ما. إلا أن هناك طرقاً من شأنها تجنيب الوقوع في ستة مزالق شائعة.

١. لا تتهالك على الطلاق.

هناك رجل لم يكن سعيداً في حياته الزوجية. ولكن لم يتمكن من تحديد عدم رضاه أو الهرب من واقعه. كل ما كان يعرفه أن حياته كانت "خطأ بخطأ".

وأحس بأنه أسير البلدة التي يعيش فيها وينطلق منها الى عمله. وسفّه القيم التي ينادي بها المتزوجون الآخرون. وبات يتشاجر كثيراً مع زوجته حول المبادىء التي تعتنقها. وأسرع الى محكمة الطلاق كما لم يسرع من قبل الى أي تغيير رئيسي في حياته، ظناً منه أن الطلاق يكفل إخراجه من مأزقه ومن حال الركود التي يعيشها.

هذا الرجل يشغل اليوم الوظيفة نفسها ويعيش في بلدة شبيهة جداً بالبلدة السابقة. لكنه لا يزال تاعساً كما كان، مع فارق واحد هو أنه اليوم يعيش وحيداً. وقد أدرك هو وسواه أن الطلاق حل لمشكلة واحدة هي مشكلة زواج غير فعال. لكنه ليس علاجاً لوظيفة غير مرضية أو للاضطراب الذي يلازم مرحلة منتصف العمر أو لكره الذات.

والناس الذين يطلقون لدافع لا علاقة له بالزواج لا يكتفون بالعجز عن حل مشكلتهم، بل ينفصلون عن الشخص الوحيد الذي كان في امكانه ان يقدم إليهم عوناً حقيقياً.

٢. لا تزّل قدمك الى الطلاق.

اذا كنت مطلقاً في هذه الأيام، فهذا لا يمنع أن تصبح رئيس مجلس

ادارة لاحدى الشركات أو ترشح نفسك لمنصب عام أو تكون مقبولا من معارفك وجيرانك٠ والمشاكل المالية لم تعد عائقاً٠ وهذا كله يعني أنه من السهل أن تزل" قدمك الى الطلاق٠

هناك امرأة اختارت الطريق "السهل"٠ لقد سئمت حياتها وشعرت بأنها غير نافعة٠ وقدرت أن الطلاق لن يؤثر على مهنة زوجها الناجحة التي كرس وقته لها؛ ولا على راحة أولادها المتزوجين أو سمعتهم٠ وتركت زوجها يبدأ حياته الخاصة من جديد٠ غير انها اليوم تتلقى علاجاً للشفاء من الكآبة وفقد المعنويات٠ ان هذه المرأة؛في محاولةيائسة لبث شيء من الحيوية في كيانها؛ قضت على أفضل وسيلة كانت لديها لاذكاء شعلة حياتها٠ وعلينا أن نأخذ منها عبرة؛ فنحذر الانزلاق نحو الطلاق كما فعلت٠

٠٣ لا تجعل من الطلاق موضوع كلام٠

بعضهم يهدد شريكه بالطلاق اذا كرر أمراً غير مستحب٠ ولئن كان هذا التهديد مجدياً في الماضي، فهو اليوم لم يعد يجدي٠ وقد اخبرتني امرأة عمدت الى تهديد زوجها بالطلاق أنه أجابها بأن تنفذ ما قالته٠ وأضافت باكية: "أرجوك ان تنصحي الناس بعدم ذكر الطلاق إلا اذا كانوا جادين!"

ومهما تكن خلفية الزوجين ومشكلاتهما؛ فالكلام عن الطلاق من شأنه أن يحل رباطهما الزوجي بسرعة فائقة٠ ان تبادل الكلام عن الطلاق أمر هدام لأن الزواج؛ بمعنى، هو كيان من الأحلام والذكريات والتوقعات٠ واذا أكثر احد الزوجين من التهديد بالطلاق؛ فهذا يقضي نهائياً على شيء من البراءة ويدنس سراً زوجياً مقدساً٠ وربما كانت الصدمة من القوة بحيث تولد حساً مريراً بالثأر لدى الطرف الآخر٠ ومن النادر أن يستمر الزواج بعد أشهر من الكلام الدائم عن الطلاق٠

٠٤ لا تقع ضحية مؤامرة للطلاق٠

لئن تكن الزوجات يحرضن؛ الى حد كبير؛ على الطلاق؛ فالأزواج عادة مسؤولون عن تفجير الوضع في النهاية٠ وظناً منهم أنه ليس من الشهامة أن تبدأ عملية الطلاق من جانبهم، فهم يتمادون في التصرف على نحو ذميم الى أن تطلب الزوجة الطلاق٠

فاذا كان رجل متيماً بامرأة اخرى أو شاء أن يعود أعزب من جديد؛ فهو يبدأ رمي الحطب في النار٠ فيكثر الشراب ويسهر طويلا خارج البيت ويتصرف حيال زوجته كما يفعل النمر مع فريسة ضعيفة٠ وعندما يطفح كيل الزوجة وتذكر الطلاق؛ فهو يهز كتفيه قائلا: "لا خير من هذا الحل إن كان ما تريدين"٠ وليس من السهل أن يدافع المرء عن نفسه في وجه خطة مدبرة بحرص كبير٠

ولكن ليس ضرورياً أن تكون هذه النتيجة هي ما يطمح اليه الشريك المخطط دائماً٠ وربما لم يكن يريد سوى اختبار المدى الذي يمكن بلوغه٠ وهناك امرأة استسلمت لخطة زوجها؛ لكن الاثنين نادمان اليوم على ما حصل٠ فقد أنشأ الزوج علاقة عابرة مع امرأة تصغر زوجته سناً،

وكان سلوكه الشرس في البيت من قبيل رد الفعل الهدام النابع من شعوره بالذنب. وتتمنى زوجته اليوم لو واجهت الوضع آنذاك بقولها له: "اذا كنت تظن أنك تسعى الى التحرر والانفلات، فالجواب: لا!" لكنها، عوضاً عن ذلك، سقطت في الشرك الذي نصب لها وسارعت الى التهديد بالطلاق. فما كان من زوجها، الذي آلمه التهديد، إلا أن منحها ما طلبت. وسرعان ما انتهت قصة الحب التي نشأت بينهما. ولكن كيف له أن يبطل اليوم ما حدث؟ لقد فرط عقد زواجه.

ولنقارن بين هذه المرأة وأخرى رفضت أن تستعجل الطلاق. هذه احتفلت بذكرى زواجها الثانية عشرة من زوجها الثاني. وقد عانى زوجها في السنوات الماضية نكسات مالية محطمة جعلته يلجأ الى أقسى ردود الفعل نحو نفسه ونحوها. وحين سألتُها عن سر قوة هذا الزواج بالنسبة الى زواجها الاول الذي لم يتصف بأفعال من هذا النوع، أجابت:

"هناك سببان. الاول أني تعلمت أن أكف عن القول: "ليته كان غير ما هو عليه". وكلما سمعت نفسي قائلة: "ليته كان أكثر نجاحاً أو أقل نكداً أو أقوى على تحمل الخيبة"، كنت أعض لساني. فأنا أعرف أنه كائن غير كامل، تماماً كما أنا، يحاول أن يعيش حياته، أما السبب الثاني فهو أني احاول ألا أدع الكآبة تسيطر عليّ في الوقت نفسه الذي تسيطر عليه. فأنا أعلم أن حالات الغيظ والغم لديه تمر بسرعة. ولذلك احاول السيطرة على انفعالاتي الى ان تستقيم حاله. والنتيجة أننا، معظم الأحيان، سعيدان جداً معاً".

هكذا نرى أنه في الامكان وقف السعي الى الطلاق اذا لم يكن قائماً على مؤامرة عنيفة.

٥. لا تدع المحاكم تستدرجك الى الطلاق.

على رغم أن قسم المحامين يقضي بمساعدة الأزواج على المصالحة في حال نشوب خلاف واستشارتهم في شأن الطلاق، إلا أن بعضهم يحاول تضخيم الامور على نحو يعزز إمكانات الطلاق. وعندما تغدو التفاصيل المحزنة لحياة زوجين عرضة لاعادة الصياغة على يد محام بارع الحجة، فمن السهل أن تتحول الافعال العادية جرائم على الورق. وما أن يتبلغ الطرف المعني قائمة تتضمن بدل أتعاب المحامي حتى يكون الزواج قد شارف على النهاية. فاذا لم يكن المرء جاداً في طلب الطلاق، فهو يجازف كثيراً بدخوله عالم المحامين والمحاكم.

وأحياناً يكون مجرد طلب المشورة أمراً خطراً. وقد كتبت اليّ امرأة تخبرني عما حلّ بها من هذا القبيل. فهي كانت زوجة مزارع طوال ٢٣ سنة تخللتها بعض الخلافات الزوجية. وحين أخبرت والدها بالأمر بعد هذه السنوات، حثها على استشارة محام لحفظ حقوقها، قائلا: "لا تنسي أن أكثر من نصف الأرض هو لك: انه ما وهبتك اياه لدى تقاعدي".

وكان أن رضخت لنصيحة والدها وذهبت الى مكتب محام. وحين اكتشف زوجها الأمر أحس بصدمة قوية وجرح في كرامته. وفي فورة

اهتياجه اتصل بمحاميه يسأله: "ماذا يمكنها أن تفعل ضدي؟" وهكذا أخذ القانون مجراه، وتشاور محاميا الطرفين، وحصل الطلاق. وكتبت المرأة تقول لي: "هذا كان يجب ألا يحصل اطلاقاً".

ان عبرة هذا الحادث واضحة، وهي الآتية: اذا لم تكن متأكداً من رغبتك في الطلاق، ففكر في الأمر ملياً قبل الاتصال بمحام.

٦. لا يغررن بك أحد للطلاق.

هناك رجال ونساء كثيرون اليوم يدفعهم الى كسر الرابطة الزوجية ما تقدمه اليهم وسائل الاعلام الغربية من برامج مليئة بالمشاهد المثيرة والمواقف المفتعلة يؤدي بطولتها أشخاص بارزون في فنون التسلية والرياضة وسواهم من وجوه المجتمع، ويصورون فيها حياتهم الناجحة بعد الطلاق.

ويستبعد أن يأخذ المرء مجلة غربية بين يديه لا يقع فيها على مقال يطري شجاعة اناس بنوا حياة جديدة مثيرة على أنقاض زواج مخفق. وهذه القصص حقيقية، وهي تتكلم عن نجاح ولدته الضرورة. ولكن ماذا يحدث ان قرأت ربة بيت غير سعيدة بأولادها الذين لا يكفون عن الحركة والصياح وبزوجها السيء الطبع وبأكوام الثياب المتسخة التي يجب غسلها، عن مطلقة خمسينية تدير محلا للملبوسات وتذهب في رحلات تجارية وتستطيب عشرة الشباب؟ ألا يحمل هذا النوع من الاعلام خطراً الى زواج مضطرب؟

الطلاق ليس دواء للتعاسة ولا للملل، ولهذه الحالات علاج، لكنه ليس تحطيم الزواج. وأسهل من الهدم ان نبني حياة مثيرة نحياها مع شريك.

ان الطلاق لم يعد بالضرورة كابوساً أو أمراً مستحيلا. وبعضهم يجد راحة عظمى في هذا الواقع الجديد. ولكن من المهم أن نتذكر أن الطلاق ليس حلا لأي مشكلة سوى مشكلة الزواج التاعس حقاً. وأحياناً ليس هو حلا حتى لهذه المشكلة.

اني لا أدعو أحداً الى الابقاء على زواج استحال جحيماً. لكني اريد التذكير بقدرة الزواج على بناء الذات على نحو حازم، وبأن المكان الأفضل لحل كثير من المشكلات هو البيت.

■ **لويز مونتاغ**

مؤسسة الاتحاد الامريكي القومي للنساء المطلقات، ومؤلفة عدد من الكتب، منها "دليل المطلقة" و"خطة حياة جديدة".



حتى الدولار...

اين ستنتهي المنافسة بين اليابان والولايات المتحدة؟
لقد صنعت اليابان اولا اجهزة الراديو، فجعلتها اقل ثمناً. ثم صنعت اجهزة التلفزيون بثمن ادنى. والامر نفسه حصل بالنسبة الى السيارات. وها هي اليابان تجعل الدولار أقل ثمناً.

ا.ك.ك.ا

مطلع قرن جديد

يحتفل المسلمون هذه السنة ببداية القرن الخامس عشر. ففي ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ يدخل التقويم الهجري قرناً جديداً.

عند غروب يوم ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ يبدأ قرن جديد هو القرن الهجري الخامس عشر.

فهذا اليوم، بالنسبة الى المسلمين، هو اليوم الاول من العام ١٤٠١ الهجري (★) نسبة الى العام الذي هاجر فيه محمد رسول الله (صلعم) من مكة الى المدينة فاتخذ بداية للتقويم الاسلامي (الهجري). وطبقاً للتقويم الميلادي، حدثت الهجرة سنة ٦٢٢ ميلادية.

ويعتبر حساب التقاويم لدى معظم الناس العاديين أمراً معقداً.

بل ان الخبراء يجدون صعوبة أحياناً في أن يوضحوا بجلاء السبب في أن العام ١٩٨٠ هو في التقويم الصيني الاسطوري العام ٤٦٥٤، أو

(★) في كل من التقويمين الاسلامي والميلادي تكون السنة الاولى من القرن الاول هي السنة ١، ومن ثم فان السنة الاولى من القرن الثاني هي السنة ١٠١، وتكون السنة الاولى من القرن الهجري الخامس عشر هي السنة ١٤٠١.

في اهمية السنوات الكبيسة او في أن شهر فبراير (شباط) في التقويم الميلادي لا يضم الا ٢٨ يوماً، أو في أن اشهر سبتمبر (أيلول) وأبريل (نيسان) ويونيو (حزيران) ونوفمبر (تشرين الثاني) يحتوي كل منها على ثلاثين يوماً.

والواقع أن اضطراب التقاويم كان أحد العناصر التي حفزت عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين، على وضع تقويم اسلامي خالص. وكانت دقة التقاويم قليلةالاهمية لدى المسلمين في العالم العربي حتى بداية عهد عمر، عندما أخذت الدولة الاسلامية في الاتساع على نحو تعاظمت معه مشكلات ادارتها.

لقد وجد عمر نفسه يواجه المراسلات الواسعة النطاق مع القادة العسكريين وحكام مناطق الدولة وأقاليمها، الى جانب المهمات اليومية التي يقتضيها أمر تنظيم الشؤون المالية. وأخيراً كتب رجل – هو أبو موسى الاشعري الذي أصبح في ما بعد والياً على الكوفة – الى عمر يلفته الى مشكلة مهمة، اذ قال له: "انك ترسل لنا خطابات بلا تاريخ".

وأدرك عمر مدى الارتباك الذي يمكن أن تؤدي اليه الخطابات غير المؤرخة، وبحث الامر مع مستشاريه، فتبين له أن التقاويم المختلفة المتبعة في أنحاء الامة الاسلامية تثير الارتباك بتنوعها.

كان اليهود يستخدمون تقويماً تحسب بدايته من تاريخ "خلق العالم"، وهو تاريخ تحف به شكوك لها ما يبررها. أما التقويم المسيحي فكان يعتمد تاريخ ميلاد المسيح. وكان الاقباط في مصر يتبعون تقويماً يبدأ من تاريخ اعتلاء الامبراطور دقلديانوس (ديو كليشان) عرش الامبراطورية الرومانية، في حين استخدمت جماعات أخرى تقويم "عهد الاسكندر". وكان التقويم الفارسي يبدأ بتاريخ اعتلاء الملك يزدجرد عرش الامبراطورية الفارسية.

ونظراً الى هذا الارتباك العام – ولان هذه التقاويم المختلفة ارتبطت بديانات أخرى او بتواريخ دول مناهضة – قرر عمر احداث تقويم اسلامي.

قوم يعلمون – كانت الخطوة الاولى، بطبيعة الحال، اختيار تاريخ البداية، وكان الاقتراح البديهي ان يكون عام ميلاد النبي هو أول أعوام التقويم الجديد. غير أن ذلك التاريخ لم يكن محدداً على نحو قاطع. ولذا برز اقتراح آخر لقي الموافقة والقبول، وهو أن يتخذ عام الهجرة بداية للتقويم الجديد.

غير أن المسلمين لم يحسبوا يوم وصول محمد (صلعم) الى المدينة اول أيام العام في التقويم، وانما جعلوا يوم البداية ذاك اليوم الاول من الشهر الاول، وهو شهر محرم. وبذلك بدأ التقويم باليوم الاول من شهر محرم عام ١ الهجري الذي يوافق ١٦ يوليو (تموز) عام ٦٢٢ ميلادي (وبعض المراجع يذكر أن هذا اليوم هو ١٥ يوليو (تموز) حيث ينشأ الخلاف نتيجة كون المسلمين يحسبون أيامهم من غروب الشمس الى غروب الشمس، بينما يحسبها الغربيون من منتصف الليل الى منتصف الليل).

وقد ورد في الآية ٥ من سورة يونس: "هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون". وهذا يتضمن توجيها للمسلمين الى استخدام الاشهر القمرية - أي استخدام تقويم يعتمد منازل القمر. لذلك فان السنة الهجرية لا تتوافق مع السنة الميلادية التي تعتمد في حسابها السنة الشمسية. ويحتوي الشهر القمري على ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣ ثوان. والسنة القمرية التي تحتوي على ١٢ شهراً من هذه الاشهر القمرية مدتها ٣٥٤ يوماً و٨ ساعات و٤٨ دقيقة و٣٦ ثانية، أي انها اقصر من السنة الشمسية بنحو ١١ يوماً.

عملية حسابية - جرى التقليد على أن تدوم اشهر السنة الهجرية ٢٩ يوماً و٣٠ يوماً بالتبادل. وهكذا تحتوي السنة الهجرية على ٣٥٤ يوماً. اما فارق الـ ٨ ساعات و٤٨ دقيقة و٣٦ ثانية (١١ جزءاً من ٣٠ من اليوم) بين هذا الرقم والطول الحقيقي للسنة القمرية فيبلغ ١١ يوماً في كل دورة مدتها ٣٠ عاماً. وتدرج هذه الايام الاحد عشر في التقويم في سنوات كبيسة.

وعلى ذلك فان كل دورة مدتها ٣٠ عاماً تحتوي على ١١ سنة كبيسة تضم كل منها ٣٥٥ يوماً بدلا من ٣٥٤ يوماً. وأرقام هذه السنوات في الدورة هي عادة: ٢، ٥، ٧، ١٠، ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٩. ويضاف "اليوم الكبيس" في هذه السنوات دائماً الى نهاية شهر ذي الحجة، وهو شهر الحج الى مكة المكرمة وآخر اشهر السنة الهجرية. وتتبع في التقويم الميلادي طريقة مماثلة باضافة يوم الى شهر فبراير (شباط) مرة كل أربع سنوات.

ونظراً الى ان السنة الهجرية اقصر من السنة الميلادية بأحد عشر يوماً، فان بداية كل سنة هجرية تأتي - بالنسبة الى التقويم الميلادي - مبكرة عن سابقتها بأحد عشر يوماً. وبذلك فان السنة الهجرية تتراجع باطراد بالنسبة الى السنة الميلادية، فتقع الاعياد الاسلامية في أوقات مختلفة من كل عام ميلادي، مع بقائها ثابتة في مواعيدها من العام الهجري. وفي كل ٣٣ سنة هجرية تقريباً، تكمل اشهر التقويم الهجري دورة كاملة الى الخلف بالنسبة الى فصول السنة. وهذا ما يفسر السبب في أن الحج يقع في منتصف الشتاء احياناً وفي فصل الصيف احياناً اخرى. ذلك لان اشهر السنة الهجرية، خلافاً لاشهر السنة الميلادية، لا ترتبط بالفصول الاربعة.

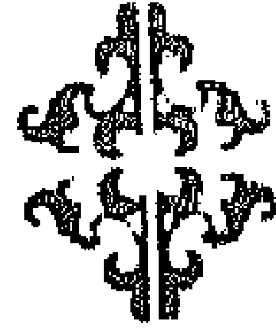
وعملية تحويل التواريخ الميلادية الى تواريخ هجرية، أو العكس، ليست الغريغوري بالامر السهل. وما يزيد المسألة تعقيداً ان التقويم الميلادي الحالي - وهو التقويم الذي اوجده البابا غريغوريوس الثالث عشر - لم يبدأ تطبيقه الا عام ١٥٨٢ في اوروبا وفي منتصف القرن الثامن عشر (١٧٥٠) في بريطانيا. أما التواريخ السابقة فلا بد من حسابها طبقاً لتقويم آخر، هو التقويم الجولياني الذي كان متبعاً من قبل والذي ادخله الامبراطور الروماني يوليوس قيصر

عام ٤٦ قبل الميلاد. وقد اعتمد التقويم الغريغوري القاعدة نفسها التي اعتمدها التقويم الجولياني.

الا ان تحويل السنوات فهو أكثر سهولة. من تحويل التواريخ. والقاعدة المبسطة هي ان كل قرن ميلادي (غريغوري) يعادل نحو ١٠٣ سنوات هجرية، وأن كل قرن هجري يعادل نحو ٩٧ سنة ميلادية غريغورية.

وهناك علامة مفيدة في ضبط الحساب، وهي أن العام ١٣٠٠ الميلادي يوافق العام ٧٠٠ الهجري. ولدينا الآن علامة أخرى أقرب من ذلك، وهي أن ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ يوافق غرة محرم ١٤٠١ هجرية، وهو أول أيام السنة الاولى من القرن الهجري الخامس عشر.

■ بول لوندي



أعراض غير مألوفة

الفرق بين قراءة كتاب في الطب العام وآخر في الطب النفسي هو ان القارىء، في الحال الاولى، يظن ان لديه جميع الامراض التي يصفها الكتاب. أما في الحال الثانية فيظن ان معارفه هم المرضى.

و.ر.

فرخ البط...

اصطحب رجل ابنته الصغيرة الى نادي سباق الخيل. وشاهدت الفتاة أباها يدفع مبلغاً من المال على الصندوق قبل ان يجلس لمشاهدة السباق. وانتظرت الصغيرة طويلا قبل ان تبوح لوالدها بأفكارها: "متى يحين دوري في ركوب الحصان".

ا.و.

طرد ميتافيزيقي

قال الممثل الساخر وودي الن معلقاً على دراسته الجامعية:
"لقد طردت من جامعة نيويورك خلال سنتي الدراسية الاولى لأنني لجأت الى الغش في امتحان مادة الفلسفة الميتافيزيقية، اذ انعمت النظر داخل روح الطالب الجالس الى جانبي".



موزار الخالد

طفولة في الشمس، ورجولة في الظل، وقبر بلا شاهدة... وشهرة خالدة

اذا طفت في احد الشوارع وانفرجت شفتاك عن صفير هادىء، فمن الارجح انك رحت تصفر لحناً من الحان موزار. فلكَم ترددت الحان هذا الموسيقي العبقري على اسماعنا منذ الطفولة، وتغلغلت في نفوسنا واستقرت في اعماق آذاننا الباطنية وأصبحت جزءاً حميماً من الكنز الموسيقي الذي ادخرناه. وأي نفحة عابرة من الهناء تهب في حنايانا فتهز كوامننا وتنتزع من شفاهنا انغاماً موزارية مثل "اللحن الليلي الصغير"!

ولا عجب، فلقد قضى فولفغانغ اماديوس موزار حياته القصيرة (١٧٥٦ - ١٧٩١) في انتاج خصب

للالحان التي بلغ عددها ٦٢٦ لحناً موزعة على اغان ورقصات، والقطع الموسيقية المعدة لآلة مفردة او آلتين (سونات)، والموسيقى الكنسية، والمؤلفات الموسيقية الكبرى (كونشيرتو)، اضافة الى ٥٠ لحناً موسيقياً طويلا (سيمفونية) و١٩ اوبرا، ومن اشهرها وأحبها "زواج فيغارو" و"دون جيوفاني" و"الناي السحري". ويعكس معظم هذه الانغام المتنوعة حماسة واقبالا على الحياة ساعدا الموسيقي على مغالبة المتاعب الكثيرة التي واجهها، ولم تخبُ جذوتهما الا في ايامه الاخيرة.

وتدفقت عبقرية موزار في كل مكان ومن دون انقطاع. فهو ألف، مثلا، لحناً شهيراً في احدى المباريات في لعبة البولينغ، ولحناً آخر أمام طاولة البليياردو، كما كان يؤلف ـ أو يتأمل حسب تعبيره ـ خلال رحلاته في عربات البريد المتخبطة ارتفاعاً وانخفاضاً في ذلك العهد. وهو يتحدث في أحدى رسائله عن الانتهاء من وضع أوبرا في نزل كان يقيم فيه "بين عازف على الكمان في الطابق الأعلى، وآخر في الطابق الأسفل، واستاذ غناء في الغرفة المجاورة، وعازف على المزمار في الغرفة المقابلة. وكلها مصادر وحي والهام لا ينضب معينها!"

وكانت الموسيقى تجري في عروقه، فقد كان والده ليوبولد رئيساً لجوقة مطرانية سالزبورغ. وخلال دروس الموسيقي التي كان ليوبولد يعطيها لابنته ماريا ـ آنا (نانيرل) الاكبر سناً من فولفغانغ، كان الصبي يراقب الدروس باهتمام، ويداه الصغيرتان تداعبان اوتار البيانو القيثاري. ولم يكد يبلغ الخامسة من العمر حتى كان يعزف بلا ادنى خطأ مؤلفات طويلة، ويرتجل بعض المعزوفات القصيرة. فاستثار بذلك ابتهاج ليوبولد الذي عقد العزم على تكريس نفسه لتنمية مواهب الصبي.

وفي العام ١٧٦٢ اصطحب ليوبولد كلا من فولفغانغ ونانيرل إلى فيينا، درة الامبراطورية النمسوية المتألقة، حيث طُلب من الصغيرين أن يعزفا في البلاط الامبراطوري أمام الامبراطور فرنسوا الأول. وبعد ذلك رافقا أباهما في جولة استمرت ثلاث سنوات ونصف سنة، جعلت من فولفغانغ أشهر طفل في أوروبا، ووصفته صحيفة "بابليك آدفير تايزر" اللندنية بقولها: "إن أعظم طفل عبقري تفخر به أوروبا، بل البشرية جمعاء، هو بلا نزاع ذلك الألماني الصغير فولفغانغ موزار".

ولم يكن النجاح باعثاً على تجريد فولفغانغ من الانفعالات التي يتميز بها أي طفل طبيعي. فكان وجهه الرقيق، الذي يكسوه جدّ تام حين يعزف، يضيء بالمرح الطفولي عندما يجيء وقت اللهو واللعب. وكانت عيناه البنيتان الواسعتان تحفلان بمقدار لا يستهان به من عبث الأطفال. وقد قال شاهد عيان بريطاني في هذا الصدد: "كان الطفل العبقري من حين الى آخر يركض حول الغرفة ممتطياً عصا بين ساقيه بمثابة الحصان".

وفي هذه الاثناء اصطحب ليوبولد الفتى فولفغانغ إلى إيطاليا، أرض الموسيقى والموسيقيين، حيث كانت

الشهرة سبقت هذا المراهق. وأخذت المدن الايطالية، واحدة بعد اخرى، تستسلم لعبقريته. فمنح فولفغانغ في مدينة بولونيا عضوية الأكاديمية الموسيقية التي لا ينالها المرء الا بشق النفس، على رغم أنه كان أصغر بسنوات من الحد الأدنى لسن العضوية، وهي عشرون عاماً. وفي روما منحه البابا كليمنت الرابع عشر وسام المهماز الذهبي. وفي ميلانو أخرج أولى أوبراته الكبرى، "ميثريداتيس"، التي ألف ألحانها بسرعة آلمت أصابعه، والتي أعيد عرضها عشرين مرة في قاعة لم يبق فيها موضع لقدم.

مدينة الساعات - في تلك الايام، كان معظم الفنانين الشباب ذوي المواهب المبشرة بنبوغ مرتقب يبحثون عن مراكز لهم في البلاطات الملكية او الأميرية الاوروبية. وعندما عاد فولفغانغ الى سالزبورغ التحق بخدمة رئيس الأساقفة كموسيقي في بلاطه وكان في السادسة عشرة من العمر. لكن سالزبورغ كانت آنذاك مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ١٦ الف نسمة، تسودها حياة نصف ريفية ويسهل فيها الفوز بالساعات المرصعة بالماس وبالتصفيق أكثر مما يسهل الحصول على مركز مرموق، مما حمل موزار على مغادرتها بعد حين الى مدينة مانهايم الشهيرة بفرقتها الموسيقية، حيث عزف في قصر الحاكم المحلي الكونت بالاتين وقبل يده. فقال له الكونت: "لقد عزفت عزفاً لا نظير له"، ثم أهداه ساعة أخرى كانت الخامسة التي تلقاها موزار. لكنه لم يمنحه وظيفة.

وفي مانهايم التقى فولفغانغ اسرة فيبر المؤلفة من الأب فريدولين، وكان ناسخ موسيقى، وزوجته ماريا سيسيليا وكوكبة من البنات ذوات المواهب الفنية. وسرعان ما وقع الشاب في غرام ألوزيا ذات الخمسة عشر ربيعاً. وما ان علم ليوبولد بالأمر حتى انفجر غضباً، ووجه الى فولفغانغ رسالة شديدة اللهجة يأمره فيها "بمغادرة المدينة إلى باريس حيث تنطلق شهرة المرء واسمه الى آفاق العالم".

وتوجه العاشق الحزين ذو الاثنين والعشرين عاماً إلى باريس، فلم يحظ بأي شهرة او وجاهة. فاضطر للعودة الى سالزبورغ ليأكل خبز رئيس الأساقفة المرير.

اما اليوم فقد اصبحت سالزبورغ تدعى موزارتاون او مدينة موزار وكل ما فيها يتغنى باسمه: كل حجر وقبة وبرج مستدق. وكنيت أكاديميتها الموسيقية (موزارتيوم) باسمه، ويقام فيها كل عام "أسبوع موزار" في اطار مهرجانها الموسيقي الذي تعزف فيه روائع الموسيقي العظيم. وقد تحول البيت الذي ولد فيه الى متحف يستقطب جماهير السياح من انحاء العالم ويزين تمثاله ساحة المدينة. ومن سخرية القدر أن يتحقق كل ذلك في مدينة كان يكرهها فولفغانغ في الحقيقة.

وتعود تلك الكراهية الى سوء طبع سيده كبير الأساقفة هيرونيموس كولوريدو الذي عامله كخادم بسيط. فكان الموسيقي، عندما يتناول

وجباته في البلاط يجلس بين الخدم والطهاة. وقد تحمل فولفغانغ هذه المعاملة تسع سنوات كاملة، ولكن في العام ١٧٨١ حرم عليه كبير الأساقفة كولوريدو احياء حفلات موسيقية خاصة به في فيينا، فترك موزار خدمته وذهب لمقابلة الكونت آركو، مساعد كولوريدو. وبعد أن تبادل الاثنان الاهانات، رفسه الكونت طارداً اياه من الغرفة. وكان من شأن تلك الركلة ان جعلت من الموسيقي رجلا حراً، وفوق ذلك مواطناً من اهالي فيينا.

وبدت فيينا المفتونة بالموسيقى "مدينة رائعة في عيني موزار وأنسب مكان في الدنيا لمهنتي". وشاء الحظ ان تستقر السيدة فيبر الأم بعد ترملها في فيينا مع ثلاث من بناتها. وكانت ألوزيا قد تزوجت أحد الممثلين، لكن شقيقتها كونستانس الأصغر منها سناً فكانت لا تزال عزباء. فتزوجها موزار بعد خطبة قصيرة، وبقي زوجاً وفياً مخلصاً طوال سنوات زواجهما التسع التي انتهت بوفاته. وقد أنجبا ستة أطفال لم يعش منهم بعد الفطام سوى صبيين.

برافو موزار! ـ احتفت فيينا بالوافد الجديد واحاطته بآيات التقدير. فأصبح موزار يتقاضى أجراً عالياً في مقابل دروسه الموسيقية. وغدت حفلاته العامة، التي كان يعزف فيها أحدث مؤلفاته، شغل المدينة الشاغل. وكان هو انتقل من العزف على البيانو القيثاري الى البيانو المستحدث آنذاك وما يتسم به من انغام عذبة رخيمة تتصاعد من لمسات موزار الرائعة التي تبلغ حد الاعجاز، فيكافئها دوي التصفيق المتواصل وهتاف الجمهور: "برافو موزار!"

وكانت حفلة افتتاح الاوبرا الخفيفة "جناح الحريم" او "سيراليو" بحضور الامبراطور، في ١٧٨٢، مناسبة احلت موزار في مرتبة "المعلم". وقد اعترف بعد ذلك قائلا: "الاوبرا هي بهجتي وغرامي".

وخلال السنوات الأربع التالية قرأ موزار ما يزيد على ١٠٠ ليبريتو (الكتاب المحتوي على نص الاوبرا) قبل ان يهتدي الى الاسلوب المناسب في عمله اللاحق، وهو اقتباس لورنزو دا بونتي لمسرحية بومارشيه الثورية "زواج فيغارو". وتتدفق ألحان موزار السريعة في هذه الاوبرا من اولها الى آخرها ليؤكد من خلالها بعبقريته الوضاءة تلك الرسالة "التمردية" التي شاء ان تؤديها هذه الأوبرا، وهي أن الناس جميعاً يخلقون سواسية. وقد استقبلت أوبرا فيغارو في براغ (عاصمة تشيكوسلوفاكيا التي كانت آنذاك تحت سلطة فيينا) بابتهاج شديد يرقى الى مرتبة الهذيان. وعندما جاء موزار الى المدينة وجد سكانها جميعاً يصفرون ويغنون ويرقصون على نغمات هذه الاوبرا.

وهناك وجد موزار نفسه في مناخه المفضل. وعندما كلفته براغ وضع أوبرا جديدة جاء هو وزميله دا بونتي بنص جديد لأسطورة "دون جيوفاني" (الدون جوان)، ذلك الذكر الخارق الذي ينتهك كل القوانين الأخلاقية ليلقى جزاءه في نهاية الأمر. وحمل موزار قطعته الموسيقية التي لم تكتمل بعد الى براغ، وكتب

افتتاحيتها في الليلة التي سبقت يوم العرض الاول. وكانت "دون جيوفاني" انتصاراً آخر لموزار، وهي تعتبر اليوم من أعظم الأوبرات التي عرفها التاريخ.

وكثيراً ما تستمد اعمال موزار حيويتها من الايمان بنبالة الانسان وبانتصار الفضيلة على الشر. وقد انضم الى جماعة الماسونية، تلك الاخوية التي اجتذبت الى صفوفها طائفة من الشخصيات البارزة في ذلك الحين. ولاحظ اصحاب المعرفة عدداً من الرموز الماسونية في آخر أوبراته "الناي السحري"، بينما لا يرى فيها الآخرون سوى حكاية خرافية لطيفة. وأياً يكن الأمر فان موزار اسبغ على هذه الأوبرا بعضاً من أكثر ما اتسمت به موسيقاه من حيوية ومرح. وقد عرضت اوبرا "الناي السحري" للمرة الاولى في ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٧٩١، ثم تكرر عرضها ٢٤ مرة قبل نهاية أكتوبر (تشرين الاول) من العام نفسه. وكان موزار آنئذ في الخامسة والثلاثين من عمره، ولم يمهله الموت، بعد ذلك، الا خمسة أسابيع.

فيينا المتقلبة - يبدو ان الأمور اخذت تسوء بالنسبة اليه في أواخر أيامه. صحيح انه كان في وسعه، حتى في أثناء انهماكه في وضع الألحان العظيمة لأوبرا "دون جيوفاني"، ان ينتج الى جانب ذلك رباعيتين وتريتين بديعتين، اضافة الى سيريناد (لحن يعزف ليلا في الهواء الطلق) عنوانها "اللحن الليلي الصغير"، تعتبر اليوم من أحب أعماله. لكن هتافات الاعجاب "برافو موزار!" خفتت. ويقول بعض الخبراء أن سيمفونياته الثلاث الاخيرة لم تعزف للجمهور في حياته، ومن بينها سيمفونية "جوبيتر"، كبير آلهة الرومان، التي ألفها في غمرة انفجار ابداعي خلال صيف ١٧٨٨. أما أوبرا "زواج فيغارو" التي اجتاحت أوروبا فقد توقف عرضها في فيينا بعد الحفلة التاسعة، كما اخفقت هناك كذلك أوبرا "دون جيوفاني" التي أصابت نجاحاً باهراً في براغ وأماكن أخرى كثيرة. فماذا كان السبب؟

من سخرية القدر ان الكونت آركو، صاحب الركلة التاريخية، هو الذي حذر موزار من مزاج فيينا المتقلب حين قال له: "في البداية يحصل الوافد الجديد على الشهرة والمال. لكن أهل فيينا لا يلبثون بعد أشهر قليلة ان يعودوا الى البحث عن جديد آخر". وها هوذا موزار المتفائل يضطر فعلا الى الاعتراف بأن تأييد الجمهور قد أفلت زمامه من قبضته الواهنة.

وانتقل آل موزار الى مسكن رخيص ولدينا الآن ٢١ رسالة يائسة حافلة بالاستعطاء وجهها موزار الى ثري من "الماسونيين الأحرار" هو ميخائيل بوتشبيرغ الذي لم يتقاعس عن اعانة الموسيقي بقروض كبيرة. وعلى رغم ذلك فان الأسرة، بافرادها الأربعة، لم تلبث ان واجهت الفقر.

وفي يوليو (تموز) ١٧٩١ طرق باب موزار رجل غريب يرتدي ثياباً رمادية، وطلب منه ان يؤلف موسيقى قداس جنائزي، ونقده سلفاً اجر أتعابه. وبدأ فولفغانغ كتابة القداس على نحو متقطع، فأنتج منه

مقطوعات روحانية رائعة. لكنه كان فقد الحيوية التي تميز بها طوال حياته، فأصبح شاحباً، ضعيفاً، محموماً، تنتابه نوبات من الاغماء وآلام تورم في المفاصل. وقال لزوجته كونستانس: "انني أكتب قداس جنازتي".

وحال الشلل الجزئي دون انجاز العمل. فقد عاودت موزار حمى الروماتيزم التي طالما انهكته في طفولته. ودقق الطبيب السويسري الدكتور كارل بار في مرض موزار الأخير، وانتهى الى أن الاسفار الكثيرة التي قام بها فولفغانغ في طفولته "غرست في جسم الصبي الرقيق جذور المرض الذي قضى عليه في النهاية".

وعندما توفي الموسيقي الكبير كان نصيبه جنازة من الدرجة الثالثة هي أفضل قليلا من جنازة المتشردين. ودفن في قبر وضيع يضم عدداً من الموتى في مقبرة سان مارك.

أما اليوم فان أنغام موزار الخالدة تتردد في أركان العالم كلها. وقد تم تطويع الكثير منها بنجاح لموسيقى الروك والبوب، فتكاثر بذلك اصدقاء الموسيقي العظيم وتزايدت مساهمته المتواصلة في اثراء الحياة بهجة واشراقاً.

■ ارنست هاوزر



مرونة انكليزية

في زيارة الى بريطانيا، اعطانا الدليل السياحي مثلا عن العناد الانكليزي، فقال ان علينا ألا نغتاظ من السائق لأنه يقود الحافلة على شمال الطريق: "ربما كان الانكليز هم الشعب الوحيد الذي يتبع قانون السير هذا. لكننا لسنا متزمتين. ونحن على استعداد لتغيير هذه العادة اذا غيرّها الآخرون".

ا.ر.

الأمس واليوم

من الابتكارات العصرية مروحة تطرد بخار المطبخ الى الخارج، وكذلك رشاش عطري يزيل رائحة الطبخ. أما في حداثتي فكانت رائحة الطبخ التي تفوح في ارجاء المنزل وخارجه هي التي تجمع افراد العائلة حول المائدة.

ب.س.

جنازة رائعة

انقطع صديق لي عن التدخين، وشرب الخمر والافراط في الأكل وملاحقة النساء ـ وذلك كله في آن. وحين سُئل عن شعوره، قال: "انها جنازة رائعة".

ر.ا.



حديقة أفكار

يشاع عن اناس كثيرين انهم بالغو النشاط، في حين انهم عصبيون فحسب٠

ج٠م٠ك٠

في اي صراع بين القوة والصبر، راهن على الصبر٠

و٠ب٠

بعض الناس يجعلك تشعر بأنك في بيتك، والبعض الآخر يجعلك تتمنى ذلك٠

ا٠غ٠

ان عقلا يفكر يشبه كرة ثلجية متدحرجة، فهو يكبر باستمرار٠

ا٠ا٠

اذا عزيت نفسك بالرثاء عليها، فلا تتوقع ان يشاركك الآخرون الا بالطريقة عينها٠

ب٠ك٠

من يخش السؤال يخجل من التعلم٠

مثل دانمركي

التاريخ هو ثمرة الزواج بين الشخصية والظروف٠

د٠ك٠

ما ورثته عن آبائك يجب ان تعيد كسبه بنفسك، والا فهو لن يكون لك٠

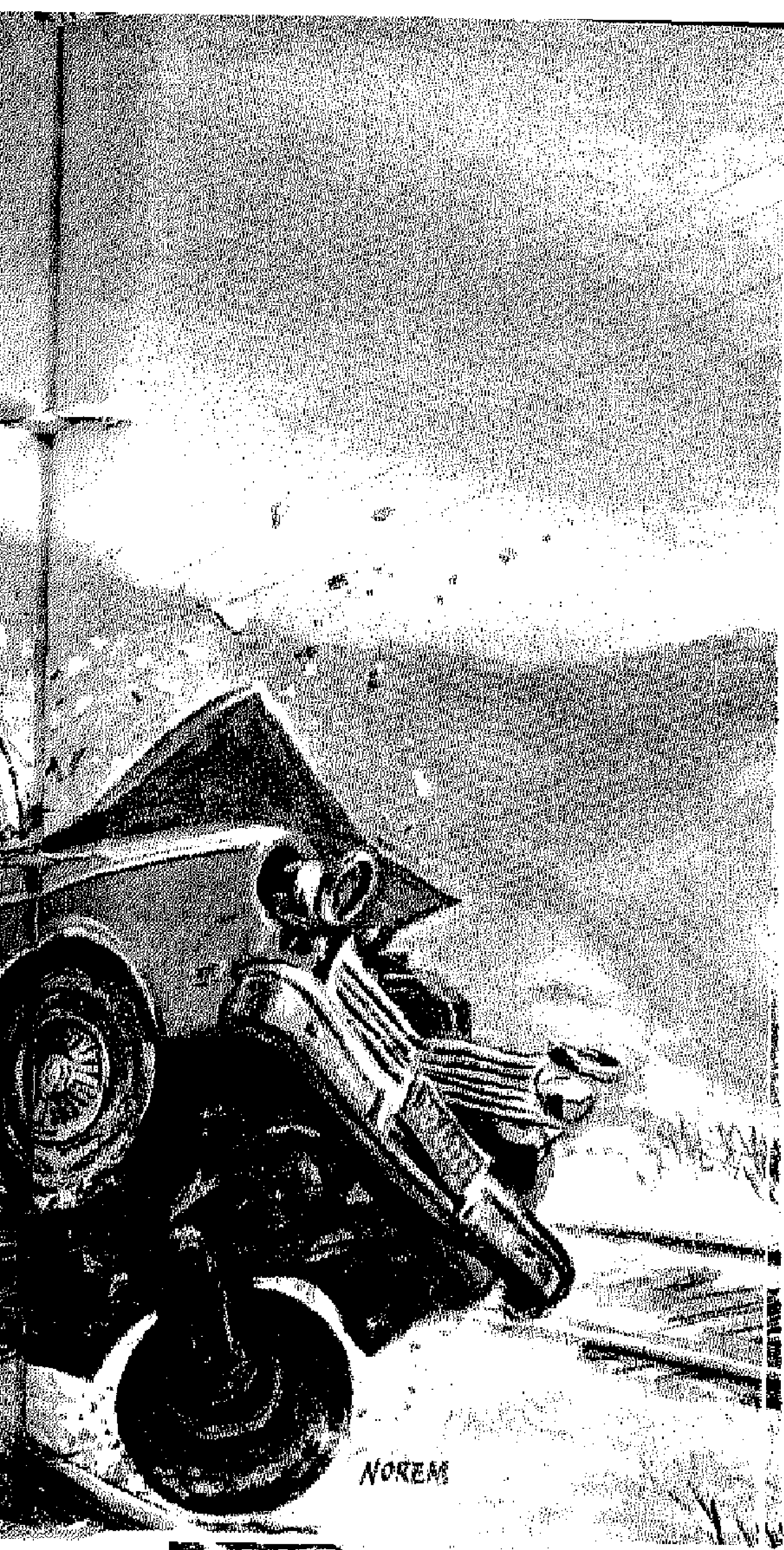
غوته

ان حبيبات الثلج هي من اضعف الاشياء في الطبيعة٠ ولكن لنتأمل ما يمكن ان تفعله عندما يلتصق بعضها ببعض٠

ف٠م٠ك٠

الابتسامة هي طريقة غير مكلفة لتحسين مظهرك٠

ش٠غ٠



مأساة واقعية

جلس السائق المسكين
مذعوراً في انتظار
الموت. لكن الاقدار
كانت تنسج خيوطاً أخرى

رعب على السكة الحديد

كانت الساعة تشير الى الثالثة والربع بعد ظهر الاول من مارس (آذار) ١٩٧٨، عندما قال ليندنر لزوجته انه سيعود الى المنزل قبل حلول الظلام. وقد انقضت على ذلك عشر دقائق، وكان الثلج يكسو منطقة غرين ماونتينز (الجبال الخضراء) جنوب ولاية فيرمونت الاميركية بطبقة كثيفة بيضاء، وهبطت الحرارة الى ما دون درجة التجمد.

لكن ماكس ليندنر رجل شديد التدقيق في التوافه والتفاصيل. وكان فخوراً بسيارته التي اشتراها بعد احالته على التقاعد. ولا يكف عن العناية بها حرصاً على بقاء محركها في احسن حال. وقد اقلقته نتيجة



فحص المشعاع (الرادياتور)، فقرر ان يذهب عصر ذلك اليوم الى محطة اصلاح السيارات في بلدة باونال المجاورة. ومضى ليندنر بسيارته عبر ممرات المزارع الضيقة حتى بلغ الطريق الواسع الرقم ٧ المؤدي الى وجهته.

وكان الطريق الرقم ٧ خالياً من الثلج والجليد بسبب كثافة حركة المرور. وانحرف ليندنر بسيارته يساراً عند منعطف طويل يشرف على واد عميق. وكانت الشمس الغاربة تقذف بأشعتها السيارات المقبلة في عكس اتجاه ليندنر في النصف الآخر من الطريق. وبعد لحظات رأى ماكس اشعة الشمس تلمع كالبرق على الزجاج الامامي لشاحنة ضخمة تصعد المنحدر في الاتجاه المعاكس، وقد تعالى زئير محركها المرهق.

وأخذت الشاحنة تجنح في اتجاهه وتدنو من سيارته كأنما تقصد الارتماء عليها. فتملكه القلق وانحرف يميناً الى اقصى حد جرؤ عليه، ثم اعتلى حافة الطريق حتى لم يبق له

اي مجال للابتعاد، اذ كانت على يمينه هوة شديدة الانحدار تنتهي عند خط السكة الحديد.

وما هي الا لحظات حتى اندفعت الشاحنة في موازاة سيارة ليندنر من دون أن تصدمها. غير ان الوقت قد فات، ولم يعد امام ماكس اي سبيل الى استعادة الوضع السوي، فاندفعت به سيارته متخطية حافة الطريق، ومضت تتواثب بجنون فوق المنحدر. وبذل ماكس اقصى جهده ليحول دون انقلاب السيارة المتراقصة، ولوى عجلة القيادة بكل قوته فانكسرت بين يديه. ثم اندفع رأسه الى الامام، فاصطدم وجهه بدعامة عجلة القيادة وبالنافذة الجانبية.

المارد الآتي – في موعد سابق من ذلك اليوم غادر قطار الشحن "نيوانغلاند – ١" مدينة بورتلاند في ولاية ماين الاميركية وهو يجر ٨٠ عربة شحن محملة بالورق والمواد الكيميائية والمنتجات الغذائية. وبعدما توقف في بلدة فيتشبورغ، في ولاية مساتشوستس لتنضم اليه قاطرتان اضافيتان تعزيزاً لقوته، انطلق بحجمه الهائل في اتجاه الغرب. ثم دخل نفق هوساك قرب بلدة زوار، وخرج منه عبر بوابات ضخمة صممت كي تحول دون تسرب الثلج الى الداخل. وبعد ذلك اجتاز بلدة نيو آدامز (ولاية مساتشوستس) ولم تبق امامه سوى دقائق قليلة يقطع خلالها الطرف الجنوبي الغربي من ولاية فيرمونت كي يدخل ولاية نيويورك. وكانت الساعة تشير الى الثالثة والنصف بعد الظهر.

ووجد ماكس ليندنر نفسه منهاراً فوق عجلة القيادة المكسورة في سيارته، وقد تحطم عدد من اسنانه وراح الدم يتدفق من انفه وفمه بغزارة. وجاهد ماكس للبقاء واعياً، فتبين له ان سيارته لم تنقلب، لكنها – وهنا استولى عليه ذعر عظيم – مستقرة وسط خط السكة الحديد.

ويستعيد ماكس تلك اللحظة بقوله: "كنت اعلم ان هناك قطار شحن سيمر في اي لحظة، فلا بد من ان اغادر السيارة. غير اني كنت عاجزاً عن الحركة". وقد اتاح له حزام الامان المثبت الى المقعد ان يبقى في مكانه خلال سقوط السيارة، لكنه اصبح الآن عاجزاً عن فك هذا الحزام. كما ان باب السيارة الى جانبه التوى وتعذر فتحه.

ساعدني! في محطة اصلاح السيارات، عند نهاية المنعطف، كان ليو بامبيانكي، الذي يبلغ من العمر ٦٦ عاماً، قد فرغ لتوه من اصلاح احدى نوافذ سيارته ووقف مسترخياً يتناول زجاجة عصير. وبعد لحظات توقفت أمامه سيارة تقودها سيدة قالت له: "عندما اجتزت المنحدر منذ برهة خيل الي ان هناك سيارة متوقفة على خط السكة الحديد".

وتفرس بامبيانكي في وجه السيدة غير مصدق وسألها: "هل فيها احد؟" فأجابت: "لا اعرف". ثم انطلقت بسيارتها.

وعلى الفور ابلغ ليو دائرة الشرطة ووحدة الانقاذ في بلدة باونال ما سمعه على رغم ارتيابه من صحة الرواية، اذ ان حركة المرور بدت

طبيعية جداً· غير انه قال في نفسه: "حسناً، ساذهب كي استطلع الامر"· وكان ذلك في الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين·

قاد ليو سيارته بتمهل في اتجاه المرتفع وهو يلقي نظرات عجلى عبر الطريق الى خط السكة الحديد في الاسفل من دون ان يستوقفه شيء· وبعد مسافة قصيرة اشتد الانحدار واختفى الخط الحديد، فاستدار ليو بسيارته عائداً وهو يرجح ان تكون السيدة قد اخطأت·

في تلك اللحظة رأى ليو ضالته· فتوقف على الفور وقفز خارج سيارته، واسرع يهبط المنحدر وهو يحملق في الحطام· فرأى في المقعد الامامي رجلا غارقاً في الدم، وسمعه يناديه بصوت خافت· وجذب ليو الباب المجاور للسائق فلم ينفتح، فدار حول السيارة وفتح بابها الآخر وصاح بالسائق الجريح: "ازحف في هذا الاتجاه"· لكن ماكس ليندنر هز رأسه· فأدرك ليو انه لا يستطيع الحركة·

وجهان في التراب ـ انحصر هم ليو في الرجل النازف امامه حتى الموت، وأخذ يفكر في ما يستطيع ان يفعله لانقاذه· فالرجل ضخم الجثة، ولا بد من جهد كبير لتحريكه· وقد يكون من الافضل انتظار النجدة· ونظر ليو الى اعلى فرأى السيارات تجتاز الطريق الرقم ٧ من دون ان تتوقف احداها·

وشهق ماكس: "ساعدني! ساعدني!"·

لكن ليو كان رجلا هادىء الاعصاب لا يستسلم للذعر والارتباك، فأجابه: "سوف اخرجك من هنا"· ثم زحف داخل السيارة حيث تمكن من فك حزام المقعد، وسأل السائق الجريح: "هل تستطيع الحركة الآن؟"

فأجاب ماكس لاهثاً: "كلا، اني محصور"·

ومد ليو ذراعيه وأمسك بساق ماكس اليمنى وراح يجذبها حتى مدها فوق المقعد الامامي· ثم ازاح الساق الاخرى بعيداً عن دواستي الكابح وناقل السرعة·

وكان ليو يجهل ان قطار الشحن "نيو انغلاند ـ ١" اصبح على بعد كيلو مترات قليلة منهما، وقد مضى يهدر فوق الخط الحديد في اتجاه الغرب، متأرجحاً بعرباته الثلاث والثمانين، حتى وصل الى بلدة باونال· وكانت الساعة قد بلغت الثالثة والدقيقة الثانية والاربعين·

جذب ليو ساقي ماكس بجهد كبير حتى تدلتا خارج باب السيارة· ثم انحنى ولف ذراعه حول ماكس وسحبه الى الخارج وأسنده الى كتفه· ثم اتكأ على السيارة ليأخذ قسطاً من الراحة من دون ان يتخلى عن دعم ماكس، وهو يتساءل عما يستطيع ان يفعل بعد ذلك· فهو لا يقوى على حمل ماكس والصعود به الى اعلى المنحدر، كما ان الفسحة بين الخط الحديد والجدار الصخري تشكو قلة اتساعها ·فما كان من ليو الا ان حمل ماكس وتراجع به عن السيارة متجاوزاً الخط الحديد·

وقبل ان يبلغ هدير القطار مسامع ليو، احس هذا باهتزاز الارض تحت قدميه وهي تنوء بثقل القطار الماضي باندفاع مخيف· ثم رآه يظهر

متلوياً حول المنعطف بأنواره الصفراء وقاطرته الزرقاء، وهو يوشك ان ينقض عليهما. وللحال احاط ليو جسد ماكس بذراعيه ودفعه الى جانب الجدار الصخري، فألصقه بد وتمدد، هو الآخر، قربه محذراً: "لا تتحرك مليمتراً واحداً. "الصق وجهك بالتراب وتماسك حيث انت".

سيارة التقاعد ـ انقض القطار بزئيره المخيف. وتعالى الصرير المعدني الحاد لدى اصطدام القاطرة الامامية بالسيارة المعطلة، ثم انطلقت وهي تجرف الحطام امامها. وفور عبور القاطرة اصابت الرجلين صدمة تفريغ الهواء الناتج. ثم هبت ريح شديدة، وعلا الضجيج المرعب من كابح القطار. وتناثر حولهما الشرر والشظايا المعدنية المتطايرة. وأحس الرجلان بقوة السحب التي تجتذبهما في اتجاه القطار، فخيل اليهما انه يبسط ذراعه ليمسك بهما ويجرهما تحت عجلات عرباته المتأرجحة على بعد سنتيمترات منهما.

وسمر الرجلان المتضامان اصابعهما في صفحة الجدار الصخري باستماتة، وقد اعمتهما عاصفة من الجمر والشرر والحجار والقطع الملتهبة المتناثرة من اسطوانات كابح القطار. وتباطأ القطار ثم توقف وسط صرير العجلات وتأرجح العربات وارتعاشها العنيف.

وبادر ليو الى استجماع شتات نفسه على مهل. ورأى من خلال سحابة الدخان والتراب افراد طاقم القطار مقبلين نحوهما عدواً، ثم سمع صفارات سيارة الانقاذ وهي تقترب. وكانت الساعة تشير الى الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين.

وانزلق رجال الشرطة وأعضاء فريق الانقاذ الطبي على صفحة الجدار الصخري ومعهم حمالة جرحى. ولاحظت احدى الممرضات ان ماكس يمسك بالجانب الامامي من عنقه، فأدركت انه عاجز عن التنفس. ومدت يدها داخل حلقه وانتزعت منه كتلة مختلطة من الاسنان المكسورة والدم المتخثر.

وما هي الا دقائق حتى مدد ماكس على الحمالة ونقل الى الطريق في اعلى الجدار الصخري، واسرعت به سيارة الاسعاف الى المستشفى وقال احد اعضاء الفريق مخاطباً ليو: "سوف ينجو! سوف ينجو!"

وعندما انتهت عملية الانقاذ ركب ليو سيارته واتجه بها الى اعلى المنحدر. ووقف هناك يراقب سيارة السحب وهي ترفع الكتلة المعدنية المتشابكة التي كانت، منذ دقائق، "سيارة تقاعد" ماكس ليندنر. واجتاحته الانفعالات التي خلفها الحادث، فأحس بموجة وهن تتغلغل في جسده. وقد قال في ما بعد: "كان يوماً مرهقاً. ورأيت من الافضل لي ان اعود الى بيتي لاستريح".

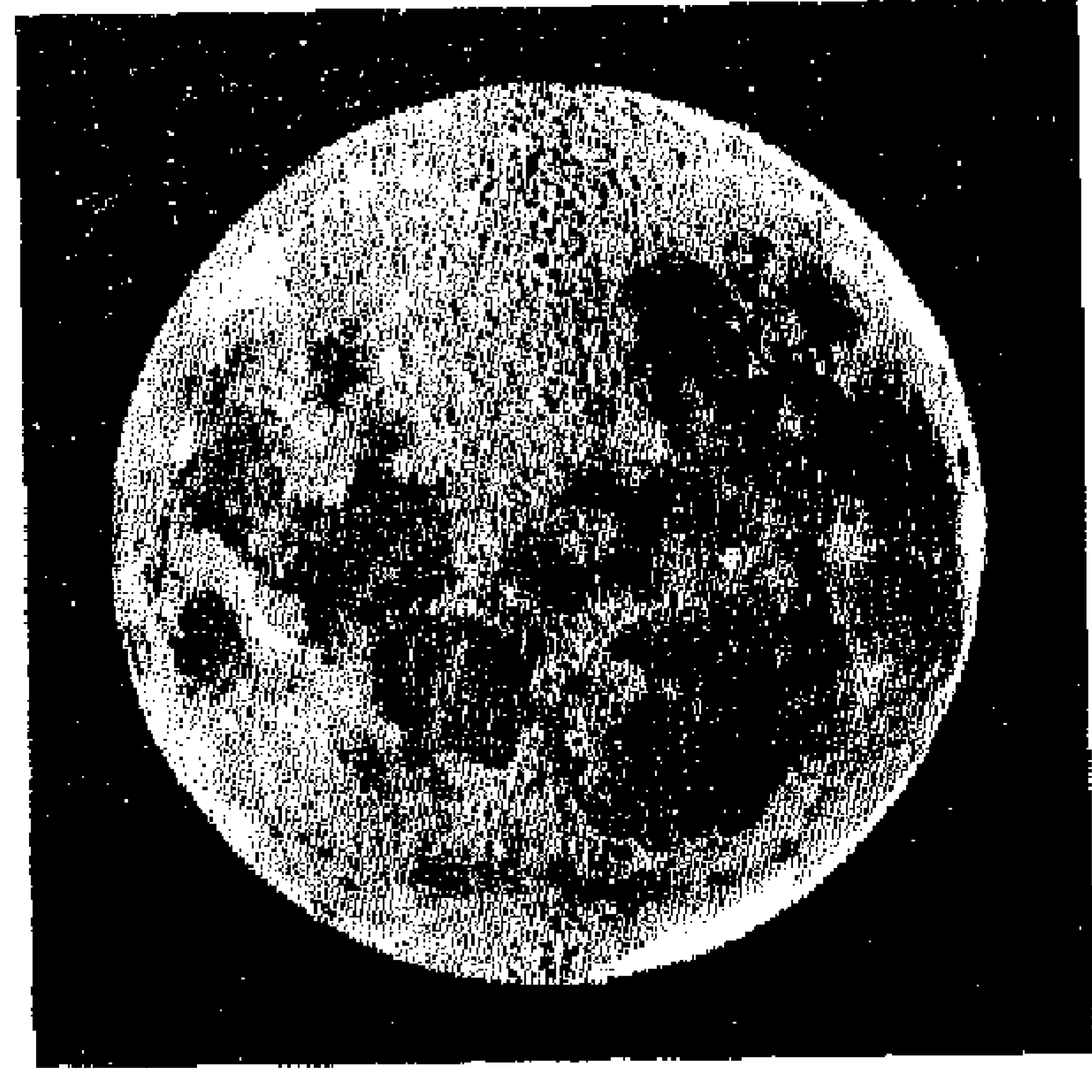
ايفان ماكلاود وايلي

كوفىء ليو بامبيانكي على بطولته بتكريم خاص من دائرة الاسعاف في ولاية فيرمونت. ثم حصل في مارس (آذار) ١٩٧٩ على ميدالية كارنيغي، وهي ارفع وسام مدني للشجاعة في الولايات المتحدة الامريكية.

النقد والاطراء

ليس هناك من يحب النقد البناء. وغاية ما نستطيع تحمله هو الاطراء البناء. م.م.

هل يتحكم



بمزاجك؟

... ام ان الخصائص الوراثية، لا القوى الكونية، هي المسؤولة عن تصرفاتك وأحوالك؟

يعلم العشاق، كما يعلم هواة الصيد بالصنارة ومعلمو المدارس والآباء، ان ثمة واقعاً خاصاً بالقمر. فحين يكتمل ليصير بدراً تحدث امور كثيرة. ومن الكتب الصادرة حديثاً واحد يرى ان اقرب الجيران الينا بين الاجرام السماوية هو ذاك الذي يهيمن على معظم أجوائنا الذهنية. على ان البعض الآخر من مراقبي الأحوال البشرية - وإن أقرّ بأننا جميعاً عرضة لسعد الحياة ونحسها - يرى ان العوامل النفسية والجسدية هي وحدها التي تقرر أحوال أمزجتنا.

وتكثر في هذا الميدان، كما في سواه من الميادين الغامضة، التعليلات النظرية. ولعل أقواها حجة وإقناعاً

تلك التي ظهرت في كتاب حديث آخر يقول إن الجينات (جزيئات الخلية التي تحمل الخصائص الوراثية) هي المسؤولة رئيسياً عن احوالنا العقلية. ولكن بما ان الحسم بين النظريتين غير متوقع، فقد يكون من النافع والمثير معاً ان نحلل كلا منهما على حدة.

النظرية الاولى: القمر يتحكم بامزجتنا.

جاء في تقرير وضعه قبل بضع سنوات فيرغوس وود، احد العلماء في قسم مسح المحيطات القومي الامريكي أن ارتفاعاً حاداً سيطرأ على حركة المد والجزر مرتين متتاليتين، يومي ٨ يناير (كانون الثاني) و٧ فبراير (شباط) ١٩٧٤.

ولاحظ وود ان الارض والشمس والقمر ستقع في كلا المرتين على خط مستقيم تقريباً يعرف باسم "نقطة اقتران القمر"، وان القمر يوم ٨ يناير (كانون الثاني) سيبلغ نقطة الحضيض، وهي أقرب نقطة الى الارض في مدار اهليلجي (بيضوي). وهذه ظاهرة غير مألوفة. ومن شأن هذا الاقتران النادر بين الارض والقمر والشمس في النظام الفلكي ان يتسبب في ارتفاع المد والجزر في المحيط.

ومن الذين قرأوا توقعات فيرغوس وود بعناية وانتباه فائقين الدكتور آرنولد ليبر، الطبيب النفسي في مدينة ميامي (ولاية فلوريدا الامريكية)، خصوصاً لأنه أصبح يولي الظواهر القمرية وأثرها في السلوك البشري اهتماماً عميقاً بعدما توصل الى نتيجة مفادها ان ثمة علاقة قوية تقرن بين العدوانية عند البشر والدورة القمرية. وهذه الظاهرة ملحوظة خصوصاً بين مدمني الكحول ومتعاطي المخدرات، كذلك بين المعرضين دائماً للحوادث المشؤومة والنكبات والذين ينزعون الى ارتكاب الجرائم أو غير الراجحين عقلياً.

وفي هذا المجال يقول الدكتور ليبر: "يتكون الانسان، شأنه في ذلك شأن سطح الارض، من ٨٠ في المئة من الماء و٢٠ في المئة من مواد صلبة. وفي اعتقادي ان القمر يمارس تأثيره على رطوبة الجسم البشري، أي على كل منا، كما يفعل بالنسبة الى مياه المحيطات وجميع المياه على الارض. وفي ظني كذلك ان للحياة مداً وجزراً احيائيين يتحكم بهما القمر، وهما يشتدان تأزماً في مناسبتين: حين يهلّ القمر وحين يصير بدراً. وفي هاتين الحالين يبلغ أثر القمر في مسلكنا ذروته".

وما ان سمع الدكتور ليبر بتقرير وود حتى عزم على إنذار المسؤولين في ميامي بأنه يخشى ان يصحب ارتفاع المد والجزر غير العادي تصعيد في اعمال العنف. ودعم ليبر توقعاته بالنتائج التي اسفرت عن حادث اقتران القمر في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠، وقد لاحظ آنذاك ارتفاعاً قوياً في نسبة حوادث القتل المحلية.

يقول ليبر في كتابه "الأثر القمري" إنه حذر شرطة ولاية ميامي والصحف وقسم الطوارىء الخاص بالامراض النفسية في مستشفى جاكسون التذكاري بما يتوقعه من حدوث "اضطراب عام في السلوك خلال فترة اقتران الارض والشمس

والقمر في خط واحد، مع دنو القمر من الارض".

ترى ما الذي حدث في ذلك الوقت؟

"لقد اندلعت نار جهنم"، حسب تعبير ليبر، "وتجاوز عدد القتلى في الاسابيع الثلاثة الأولى من السنة الجديدة ضعفي العدد الاجمالي لحوادث القتل طوال شهر يناير (كانون الثاني) من العام السابق (١٩٧٣)". كما تكررت جرائم قتل بشعة من دون اي حافز حقيقي على القتل. واستنتج ليبر من هذه الاختبارات وسواها نظريته القائلة بأن للقمر، وللفلك الخارجي، اثراً مباشراً على بعضنا ونفوذاً كامناً في معظمنا.

النظرية الثانية: الجينات الموروثة هي التي تقرر مزاجنا.

يرى استاذ طب النفس التحليلي في مركز كولومبيا الطبي التابع للكنيسة البروتستانتية المشيخية في مدينة نيويورك – وهو رونالد فيف، مؤلف الكتاب الآخر الذي صدر حديثاً بعنوان "تأرجح المزاج" – ان اثر الجينات الموروثة يفوق كثيراً اثر اي عامل خارجي آخر في تقرير أمزجتنا. ويولي الدكتور فيف اهتماماً خاصاً اولئك المصابين بالمس الانقباضي، وهم اولئك الذين تتأرجح امزجتهم بين الابتهاج المفرط والانقباض الشديد. ويستنتج فيف من دراسة اكثر من ٦٠٠٠ حالة ان معظم تقلبات المزاج ينبثق من تبدل يطرأ على كيمياء الجسم، وان هذا التبدل ناجم بدوره عن طبيعة الجينات الموروثة وعن ضغوط الحياة الرئيسية.

لكن ليبر، من ناحية اخرى، يؤكد ان للقمر اثراً ذا أهمية خاصة بالنسبة الى حالاتنا العقلية. وبين الاحصاءات والاستنتاجات التي يوردها دعماً لوجهة نظره ما يأتي:

□ وجد مركز فينيكس لاطفاء الحرائق في ولاية اريزونا الامريكية انه يتلقى، في الليالي التي يكون فيها القمر مكتملا، بين ٢٥و٣٠ طلباً اضافياً للنجدة.

□ يفيد بعض العاملين في الاقسام الخاصة بالطب النفسي ان المرضى المصابين بمس عقلي يظهرون، وقت اكتمال البدر، تزايداً ملحوظاً في شرودهم واضطراب تصرفاتهم.

□ تعادل دورة الحيض عادة لدى النساء الشهر القمري: اي انها تدوم ٢٩ يوماً ونصف يوم. ولا يخف ان دورة الحمل لدى المرأة تدوم نحو تسعة أشهر قمرية.

هل المؤثرات الخارجية، اذاً، هي التي تثير حالاتنا الذهنية الباطنية؟

لا، ليس بالضرورة كما يقول الدكتور فيف في كتابه "تأرجح المزاج". ويستشهد فيف بحياة ثلاثة من عظماء الرجال، احدهم ابرهام لينكولن الذي عرف عنه تعرضه لنوبات من الانقباض النفسي الشديد، يصفها فيف بأنها كانت "متواترة ومنبثقة من أسباب باطنية تدل على مقدار من الحساسية للتقلبات الكيميائية".

ولعل اشهر نوبات الانقباض النفسي التي ألمت بالرئيس لينكولن هي تلك التي تزامنت مع فسخ خطبته للآنسة ماري تود في شهر يناير (كانون الثاني) (١٨٤١)، اذ بقي اسبوعاً كاملا لا يقوى على لم شتات نفسه لحضور الجلسات النيابية في ولاية ايلينوي، حتى خشي زملاؤه من

ان يصبح انتحاري المزاج. وبعد سنوات كثيرة في تلك الحال، مر لينكولن في طور من النشوة والابتهاج المفرط، علماً انه كان يخوض معركة مناظراتـه البرلمانيـة الشهيـرة مـع السناتور ستيفن دوغلاس الذي اعيد انتخابه نائباً ديموقراطياً عام ١٨٥٨، بعد سلسلة مناظرات بليغة مع المرشح الجمهوري لينكولن. وخسر دوغلاس معركة رئاسة الجمهورية امام لينكولن بعد سنتين من ذلك التاريخ.

ويقول فيف في كتابه: "على رغم ان لينكولن خسر تلك الجولة الحاسمة، الا انه ظل يتمتع بمعنويات مرتفعة. ويبدو ان تلك الصدمة لم يكن لها اي مخلفات نفسية انقباضية. واذا كان محتملا أن يسفر بعض ضغوط الحياة عن انـقـبـاض نـفـسـي لـديـه، إلا ان معظم حالاته النفسية التي تنتمي الى هذا النطاق ظهر مستقلا عن ظروف المرحلة الزمنية وضغوطها، تماماً كما هي حال أكثر أعراض الانقبـاض الناتجـة عـن تغـيـرات كيميائية في الجسم.

ابتهاج مفرط - يضرب فيف مثلا من حياة رئيس امريكي آخر، هو تيودور روزفلت، على حال الابتهاج المفرط في المزاج. فهو، على خلاف لينكولن الذي هيمنت السوداوية على مزاجه، كان نزاعاً الى البشاشة. ويقول فيف: "اصبح البيت الابيض مثل السيرك تماماً، حيث كان روزفلت لا ينقطع عن الكلام امام حشد من الزوار الذين يجالسونه الى مائدة الغداء. وبعد انتهاء وجبة الغداء كان يسرع الى مكتبه حيث يقابل الوزراء والنواب والشيوخ ورؤساء المكاتب وسيلا من المواطنين العاديين، ثم يخرج لركوب الخيل او السباحة او المشي، وأحياناً للثلاثة معاً، قبل حلول وقت العشاء حيـن كـان يستأنـف احاديـثـه، أو بالحري صياحه، بلا توقف".

ويبدو ان الشخصية الثالثة من عظماء التاريخ جمعت في نفسها كلتا النزعتين: السوداوية او الانقباض الشديد من ناحية والابتهاج المتطرف من ناحية اخرى. ولعل هذا الجمع هو الذي أتاح للشخص المقصود فرصة مواصلة اعماله ليل نهار. انه ونستون تشرشل.

لقد اسفرت تقلبات المزاج لدى تشرشل، كما كانت حال روزفلت، عن افتقار الى الحرص والانسجام في التصرفات، مما أقلق زملاءه كثيراً. ويقول فيف: "ما من شك في ان مزاجه السوداوي كان جزءاً مميزاً من شخصيته". ويخلص الى القول ان "تعبئة جينيـة مشبعـة" تعمـل فـي شجرة عائلته. ولذلك فقد انتقلت تقلبات مزاجه اليه "على نحو رئيسي، من الجينات الموروثة، لا من بيئته ومحيطه".

الاجرام السماوية - اما الفرضية البديلة التي يعرب عنها الدكتور ليبر في كتابه "الاثر القمري" فتتجه الى الأجرام وأثرها على الاجسام البشرية بما يميزها من توازن دقيق بين الهرمونـات والسـوائـل والمـحلـول الكهربائي (الالكتروليت) الذي يلهب الأعصاب. ويقول ليبر: "إن بشرة الجسم تشبه غشاء شبه نفاذ يسمح بتسـرب القـوى المغناطـيسـيـة -

الكهربائية في كلا الاتجاهين ويحافظ على توازن الحركة"، ذلك لأن النبض أو الاندفاع العصبي يولد مجالا ضئيلا من الطاقة خاصاً به. وكل خلية في الجسم ايضاً هي بمثابة نظام شمسي مصغر ذي حقل صغير من القوى المغناطيسية ـ الكهربائية.

ويشرح ليبر رأيه كما يأتي: "متى تزامنت الدورات الكونية للأجرام، كالتي تسببت في ارتفاع المد وانخفاض الجزر على نحو ضخم عام ١٩٧٤، تعرض الجسم فجأة لوابل من الاضطرابات الشديدة في مجال الجاذبية وفي الحقل المغناطيسي ـ الكهربائي الذي يغلفه. ومن شأن هذا الاضطراب ان يبدل بعنف التوازن بين عالمين: عالم الجسم الداخلي والعالم الخارجي المحيط به. وقد يغدو الجهاز العصبي سريع التهيج الى حد تتبدل معه حدة الاعصاب والمشاعر. وفي تلك الاوقات ينقص الماء كثيراً وينحسر عن اجزاء مختلفة من الجسم".

ويضيف ليبر ان بين مرضاه عدداً من المصابين بالمس الانقباضي، وهم يعالجون بمادة الليثيوم. "وفي بعض المناسبات يأتي عدد كبير منهم الي دفعة واحدة، وكلهم يشكون تكرر أعراض مماثلة لديهم، هي التململ الدائم والانقباض والارق وتسارع خفقان القلب. واني لعلى يقين من ان سبب شمولية هذه الظاهرة هو ان المرضى يستجيبون جماعياً لاضطراب يحدث في الجو، والأرجح انه ذو صلة بالقمر".

ترى أي الفرضيتين أصح:

ربما كان الرأيان كلاهما صحيحين. ومهما يكن الأمر ففي المقاطع القصيرة الآتية، وهي من كتاب "تيارات الحياة" الجدير بالاهتمام لمؤلفه ليال واطسن، عالم الانثروبولوجيا (علم الانسان) البريطاني، ما يوحي بوجود نوع من الوحدة في الخليقة ككل. يقول واطسن:

"كل شخص هو متحف متنقل. فالسوائل التي تتحرك في أجسادنا هي صورة أمينة عن البحر في غابر الأزمنة. وتجمعات الصوديوم والبوتاسيوم والكلورايد في الدم والكوبالت والمانغنيزيوم والزنك في الأنسجة هي كلها مماثلة لتلك التي وجدت في المحيط القديم الأول.

"ونحن نحمل ذلك المحيط في أحشائنا، كأنما ترسبات الماضي لا تزال حية فينا. وفي اعماق كل بحر مصغر ما زالت الصراعات القديمة محتدمة كسالف عهدها قبل ثلاثة مليارات سنة".

"في امكانك ان تجمع ما تشاء من عينات من ماء البحر، لكن اياً منها لن تحتوي على التيار كاملا او تنبئك بأي من اخباره. ذلك لأن الحياة نمط وحركة، أو ترخيم للمادة. انها حصيلة المصاحبة والطباق لوقع ما هو محتمل الوقوع. انها شيء فذ، رائع، لا معقول".

■ ادوارد زيفلر

كفاح إمرأة

من أجل الحياة



مهما الحقت الطبيعة بالانسان من تشويه ومصائب، يبقى في صدره صوت ينادي: سوف أحيا!

كان ذلك اسوأ يوم في حياة مارجوري إذ هي أدركت انه لم يعد في امكانها التمييز بين اولادها الثلاثة الا بتحسّس شعورهم او ملابسهم. فهي لم يسبق لها ان سمعت اصواتهم لانها صمّاء منذ طفولتها. وها هي تفقد الآن بصرها تماماً بعد ان أخذ يتدهور ببطء طوال سنوات، فتصبح كفيفة وصماء، تعيش مع زوجها الاصم والابكم وتسهر على رعاية ثلاثة اطفال في مدينتها فانكوفر الكندية ابان الازمة الاقتصادية العالمية.

وتقول مارجوري عندما تعاودها الذكريات: "يبدو اني كنت أحاول دائماً التغلّب على الصعاب". فهي كانت احياناً تضع في الطعام المنكّهات غير المناسبة. وكانت الوان الملابس تنحْل في آلة الغسل. وكان يستحيل عليها رتق الملابس الا في ما يتعلق بخياطة الازرار. وكانت المعيشة عسيرة نظراً الى ضآلة الاجر الذي يتقاضاه زوجها البرت. والاسوأ من كل هذا انها لم تكن تستطيع مغادرة المنزل بمفردها.

Illustration: Pierre Decelles.

ولدت مارجوري ديك، وهو اسمها قبل الزواج، في ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٠٣. وبدأت حياتها طفلة جميلة لامعة الذكاء. وما ان بلغت الثالثة من العمر حتى أصيبت بالحصبة، فتسبب ذلك في التهاب عينيها وشدّة حساسيتهما للضوء. وراح نظرها يشح وتسوده غشاوة. ثم اصيبت بالصم في سنتها السابعة، وربما كان هذا نتيجة اصابتها السابقة بالحصبة.

وكانت مارجوري تستمد لحظات السعادة في طفولتها من بعض المخلوقات الصغيرة، كاليساريع والديدان والسرطانات، اذ انها تمشي ببطء تتيسر معه للصغيرة رؤيتها بدس انفها في الارض. وعلى رغم تلك العوائق فقد كانت مارجوري طفلة نشطة ودائمة الحركة تتناول ما يفوق نصيبها من الصدمات والكدمات. وقد اعمتها حدة الشمس مرة فسقطت عن درجات الرواق وتكسرت اسنانها الامامية. ومرة أخرى تعثرت وسقطت في مجرور وعلاها الوحل. وذات يوم كادت ان تغرق لدى محاولتها السباحة، وهي عائدة الى الشاطىء من منصة الغطس التي جرفها التيار بعيداً داخل البحر.

في بادىء الامر كان يتعذر على افراد الاسرة والاصدقاء ان يخاطبوا مارجوري الا عن طريق الكتابة على لوح اسود. ثم ارسلت في الحادية عشرة الى مدرسة تدرس بالالفباء اليدوية، حيث تنقر الكلمات على اليد في ما يشبه شيفرة مورس، وبلغة الاشارة حين تتعذر قراءة الشفاه.

وتعلمت مارجوري بسرعة، ولازمت مكتبة المدرسة حيث غمرتها سعادة لم تعرفها في أي وقت مضى، الى ان جاء يوم تبينت الفتاة ان الالتحاق باحدى الكليات امر مستحيل بسبب ضعف بصرها. فعادت وقلبها يتفطر حزناً الى حياة كئيبة مليئة بالاعباء المنزلية التي تولتها نيابة عن امها العاملة. لكنها، بما تبقى لها من بصر، راحت تقرأ كل كتاب يصل الى متناولها.

صبغة اليود – في الثامنة عشرة تصادقت مارجوري مع جماعة من الصم البالغين، فغدت لها فجأة حياة اجتماعية. وقبلت عرضاً للزواج من البرت ماكغافين، وهو أصم وأبكم يكبرها بثلاث وعشرين عاماً، ويكاد لا يملك من العلم شيئاً، وانما له وظيفة ثابتة في مصنع للتوابيت.

وتزوج الاثنان قبل عيد ميلاد مارجوري التاسع عشر بفترة وجيزة، وانتقلا الى شقة حقيرة غير مزودة بمصعد. وبعد نحو عام وُلِدت بكرهما دورين، وأخذت مارجوري تعلمها لغة الاشارة منذ شهرها الثامن. وأعقب ذلك، خلال السنوات القليلة التالية، ولادة طفلين آخرين هما وارين ومودي، لكن مارجوري فيما كانت تستمتع بسعادة الامومة، بدأ بصرها يأفل.

وراحت الأم تلقن اطفالها الالفباء اليدوية. فأصبحت دورين بارعة فيها، كذلك في لغة الاشارة، قبل ان تبلغ السادسة. وتعود مارجوري بذاكرتها الى تلك الايام فتقول: "عندما كانت دورين تريد ان تقول لي كلمة لا تعرف هجوها، كانت تحاول ابلاغي إياها

بواسطة حروف الاشارة. وعندما اخبرتها جارتنا مرة ماذا ينبغي لي ان اضع على ركبتي الجريحة أشارت الى عينيها (اي بالانكليزية) ورسمت بأصبعها الحرف "او" ثم أتت باشارةترمز الىفعل "مات" (داي بالانكليزية) وأخيراً رسمت بأصبعها الحرف "ن". ففهمت انها تعني "ايو داين" اي صبغة اليود".

وعندما بلغت مارجوري الحادية والعشرين اكرهها تدهور بصرها على التخلي عن القراءة.وتعلمت ان تنام وهي تضم اصغر اطفالها بين ذراعيها حتى اذا ما بكت مودي تسببت الذبذبات الناتجة من صراخها في ايقاظها. وأعطت الجيران مفتاح بيتها كي يتمكنوا من تنبيهها اذا ما سمعوا صراخ أحد الاطفال. وكانت تعوّل على دورين في كل شيء، من توجيهها في عملية التسوق الى اخطارها بضرورة تغيير ملابس شقيقها الصغير.

وكان امر تهذيب الاطفال بمثابة كفاح مستمر. فكثيراً ما كان يبدو لها انها تكلم الحائط، ذلك لان الاطفال كانوا ينطلقون الى الخارج فراراً من التوبيخ والتعنيف. وكانت تقودهم الى اسرتهم في الثامنة مساء للنوم باكراً. وانما لم يخطر في بالها أنهم يظلون يقظين وهم يتشاجرون ويغنون الى ساعة متقدمة من الليل حتى يجيء احد الجيران ويعلمها بذلك. ولم يخطر لها ايضاً ان صندوق التفاح الذي ظنت ان الفئران عبثت به وانهالت عليه قضماً قد التهمه الاطفال، كما اعترفوا لها انفسهم بعد سنوات.

وذات يوم كادت مارجوري ان تختنق بالدخان عندما لم تهتد الى غطاء الموقد فاستعانت بالمقلاة لتحول دون تصاعد السنة اللهب. وهناك حوادث أخرى كثيرة أقل خطورة. فهي وضعت مرة منكهات الدجاج في فطيرة اليقطين. ولم تشأ ان ترمي الفطيرة، فطبختها وقدمتها الى الاسرة. ولفرط دهشتها وارتياحها اعجب زوجها بالفطيرة. ومرة أخرى حاولت ان تصنع مربى التوت في قدر كبيرة، وطلبت من وارين ان يأتيهابزجاجة اليكتين (مادة هلامية) من الطابق الاسفل ولما عاد بالزجاجة صبت محتواها في القدر، واذا برائحة غريبة تملأ جوانب المطبخ. فطلبت الى الصبي ان يقرأ الرقعة الملصقة على الزجاجة، واذا بها زيت التربنتينة (زيت يستخرج من الصنوبر). وللحال افرغت في الحديقة قدر المربى الكبيرة بينما يتصاعد منها الدخان.

من الضعف قوة ـ مع تقدم الاطفال في السن وتزايد نزعتهم الى الاستقلال، بدأت الحياة تضيق بمارجوري. وكانت تجد نفسها منبوذة بحكم صممها في الحفلات الخاصة بالعميان، كذلك في الحفلات الخاصة بالصم حيث لا يتحدث اليها أحد لعجزها عن "قراءة" الشفاه. وبعد ان تملكها الغضب وحزّت فيها الخيبة امتنعت عن محاولة كسب الاصدقاء. وكان ألبرت يعمل ستة أيام في الاسبوع نظراً الى قلة الايدي العاملة في الحرب العالمية الثانية. وبدأ الاولاد يحصلون على وظائف

ويتركون المنزل· وسرعان ما اصبحت مارجوري وحيدة لا ملاذ لها في ايامها المظلمة الصامتة سوى الحبك بالصنارة·

وذات يوم من أواخر الاربعينات بلغ اليأس منها أشد وطأته، ففتحت درج مطبخها والتقطت سكيناً· لكنها ظلت واقفة والسكين في يدها من دون ان تقدم على الانتحار: "لقد قررت ان اكافح فترة وجيزة اخرى"·

بعد ذلك اليوم البغيض بمدة قصيرة وصل الى صندوق البريد ظرف يحتوي على مجموعة من النشرات الدينية· فحثت مارجوري زوجها البرت على أن يقرأها لها· وكانت النتيجة ان أوقدت تلك النشرات فيها شوقاً الى قراءة الكتاب المقدس· وراحت تبحث عن كتاب قديم لتعليم مبادىء "البرايل" (طريقة في الكتابة خاصة بالعميان تستخدم احرفاً مؤلفة من نقاط نافرة) كانت قد حصلت عليه قبل ذلك بسبعة عشر عاماً وأهملته وما ان اهتدت اليه حتى أخذت تجاهد من جديد في تحسس نقاطه النافرة·

وعندما تم لها الالمام بذلك، بادرت الى قراءة الكتاب المقدس من الغلاف الى الغلاف· ثم اخذت تلتهم كل ما استطاعته من كتابات البرايل·

فادركت، لدهشتها الشديدة، عن طريق المجلات الاميركية والبريطانية أن هناك آلافاً من امثالها مصابين بعائق مزدوج· واشترت آلة قديمة للكتابة بطريقة برايل، وشرعت في مراسلات كثيفة·

وبعد ذلك تعلمت مارجوري استخدام الآلة الكاتبة العادية بطريقة اللمس· وانخرطت في مجال الدروس الخاصة بالعميان عن طريق المراسلة· وتعلمت الانشاء بفضل الدراسة المنزلية· وسرعان ما أخذت تبيع أعمالها للصحف·

ولم تكتف بكل تلك التحديات، فتعرفت الى صديق ايطالي بالمراسلة واشترت كتاباً لقواعد اللغة الايطالية مكتوباً بطريقة برايل وراحت تراسله·

وحملتها قراءاتها ومراسلاتها على ادراك حاجة الصم المكفوفين الماسة الى وسيلة افضل للاتصال في ما بينهم نظراً الى تردد رنين الوحدة والخيبة في رسائلهم· فعقدت عزمها على اصدار مجلة بنفسها·

وفي ٦ يوليو (تموز) ١٩٥٢ انتهى تحضير العدد الاول من مجلة "نقط ونقرات"· ولم يكن هناك منه سوى نسخة واحدة تضم ١٦ صفحة مشدودة بعضها الى بعض بخيط منزلي· وأرسلتها مارجوري بالبريد بمثابة نشرة دورية الى ١١ كندياً من الصم العميان حصلت على أسمائهم من مجلات انكليزية واميركية·وقد لاقت "نقط ونقرات" نجاحاً فورياً ونمت بسرعة· وهناك اليوم ١٧٠ نسخة من كل عدد ربع سنوي يصدر في ٨٠ صفحة· وللمجلة مشتركون في كندا والخارج· وتولت مارجوري تحرير مجلتها طوال ٢٢ عاماً حتى تقاعدت على مضض عام ١٩٧٤ عندما بلغت السبعين·

الهاتف المهتز ـ بعد فترةوجيزة من بدء مارجوري أصدار مجلتها بادرت الى تأسيس "العصبة الكندية للصم المكفوفين"· وقد تسنى لهذه

العصبة، بفضل المال الذي جمعته مارجوري من كتابة مقالاتها ومن بيع الملابس التي كانت تحبكها، ان تقتني العشرات من آلات برايل والآلات الكاتبة وساعات اليد وساعات الحائط. ثم حولت مارجوري هذه العصبة الى مكتب ارشادي تديره امرأة واحدة. وراحت تستحث الصم العميان وتشبعهم تحريضاً وتأنيباً كي يخرجوا من "أكواخ الثلج الاجتماعي" التي يعيشون فيها. ولم تلبث ان حولت غضبها نحو المعهد الكندي القومي للعميان. وكانت تصر على ضرورة تعليم المدرسين الخاصين الالفباء اليدوية الى جانب طريقة برايل حتى يتمكنوا من الاتصال بالعالم الخارجي.

وكانت النتيجة ان ادى السيل المستمر من رسائل التذمر والالحاح الى حصول مارجوري على وظيفة في ١٩٥٧ اذ عينها المعهد الكندي القومي للعميان مستشارة قومية للصم العميان. عندئذ اصبحت حياتها دوامة من الاسفار في طول البلاد وعرضها. وكانت تزور مكاتب المعهد وتعقد الاجتماعات للاعضاء من الصم المكفوفين وتناصر قضيتهم أينما ذهبت. وكثيراً ما اضطرت الى القاء الخطب والظهور على التلفزيون مما دفع اصدقاءها الى مساعدتها على تحسين نطقها. وانما كان من الصعب على المرء، ولا يزال حتى اليوم، ان يتتبع حديثها ما لم يعتمد على صوتها.

وفي العام ١٩٥٨، بينما كانت مارجوري تقوم برحلة الى كالغاري، توفي ألبرت بعد نوبة قلبية في منزلهما في فانكوفر. فبادرت مارجوري الى انشاء صندوق مالي باسمه لانتاج الكتاب المقدس بطريقة برايل. وأدى بها هذا المشروع الجديد الى التقاء زوجها الثاني. فقد تلقى اريك وود، وهو أعمى غير اصم، نسخة من الكتاب المقدس أرسلتها اليه مارجوري بالبريد. فذهب بنفسه ليقدم اليها الشكر. وبعد ذلك بسبعة عشر يوماً كانا مخطوبين، ثم تزوجا بعد ١٧ يوماً اخرى في ابريل (نيسان) ١٩٦١.

واشترت مارجوري مركبا صغيراً لرحلات المتعة يحتوي على حجرة خاصة وراحت هي وزوجها يقومان برحلات صيد السمك كلما تسنى لهما ايجاد شخص مستعد لقيادة المركب. وتقول مارجوري: "كلما تفاقمت العاصفة ازدادت غبطتي. فكم كان يطيب لي تأرجح المركب وملمس الرذاذ الملحي البارد على وجهي".

وتوفي اريك عام ١٩٧٦. وتعيش مارجوري اليوم وحدها في بيتها ذي الطبقة الواحدة الذي تسوده نظافة وترتيب رائعان. ويتولى ابها وارين وزوجته ادنا مهمة التسوق نيابة عنها، كما يعنيان بحديقتها. أما في المنزل فلديها مجموعة من الاشياء الصغيرة المختلفة التي تساعدها على تدبير امرها. فهناك قطع من الشريط اللاصق تشير الى درجات الحرارة على جهاز الترموستات (جهاز تنظيم الحرارة)، وأخاديد تسم درجات الحرارة على ازرار الموقد الكهربائي، وساعة حائط من طراز برايل. وهناك الهاتف الذي يعد الرابط الحيوي بينها وبين أسرتها. فهي تدير الرقم الخاص

بابنها وارين وتطرح السؤال الذي تريده، ثم تعيد سماعة الهاتف الى مكانها. فترد الاسرة على سؤالها بشيفرة متفق عليها: رنة واحدة مثلا تعني "نعم" ورنتان تعنيان "لا" وثلاث رنات معناها "لا نعلم"، وهكذا دواليك وتعد مارجوري الرنات بوضع يدها على الهاتف المهتز.

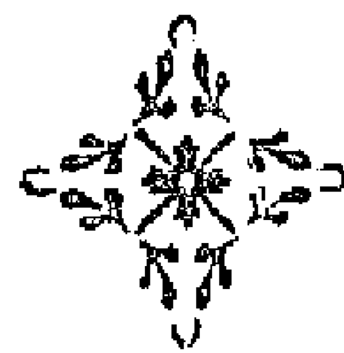
وقد احرزت مارجوري جوائز عدة خلال السنوات العشرين الماضية. اذ هي منحت جائزة العيد الخمسيني للمعهد الكندي القومي للعميان، وميدالية ذهبية مع اشادة بانجازاتها من مجلس العميان عام ١٩٦٨. وفي العام ١٩٧٦ منحت وسام الاستحقاق الكندي.

وقامت مارجوري، برحلة الى أوتاوا، عاصمة كندا، ترافقها ابنتها دورين. وفي حفلة الاستقبال التي اقيمت على شرفها توافد المهنئون باعداد ضخمة لم تكف معها أصابع دورين عن الترجمة.

على أن احدث الجوائز الاولى التي حصلت عليها مارجوري، وهي الجائزة الرئيسية لنادي الصحافة النسائي لعام ١٩٥٩، لا تزال تغمر نفسها بالغبطة والارتياح. لان مارجوري كسبتها في مباراة مع نساء غير معاقات، على قصتها "لمسة يد بشرية". وهي تروي في هذه القصة اسفارها مع البرت وقد نشرتها لها مجلة "صوت الاسرة" واختيرت كأفضل قصة من انتاج كاتبة لتلك السنة. وتسلمت مارجوري جائزتها في مأدبة متألقة في أوتاوا. وعندما تركت المائدة الرئيسية لتتسلم الميدالية تبين لها فجأة أن الذبذبات القوية التي شعرت بها كانت نتيجة التصفيق الحاد ودق الارض بالارجل تحية لها من الحضور. وتقول مارجوري في هذا الصدد: "كانت تلك البرهة اكثر لحظات حياتي اعتزازاً".

وتقول أغنس هورن مدرسة التأهيل المتقاعدة من المعهد الكندي القومي للعميان: "لم يكن هناك سبيل اطلاقاً لمساعدة الصم العميان في غرب كندا، الى أن جاءت مارجوري". وتضيف: "كانت مارجوري، ولا تزال، مصدر الهامي الدائم. انها سيدة رائعة على جانب عظيم من الحيوية والاقدام".

■ مويرا فارو



ديموقراطية الانكليز

مرة قدم شخص انكليزي النصيحة الآتية الى سائح في لندن: "يجب ألا تفوتك زيارة "وايت هول": ففي ناحية منها تجد تمثالا لملك قُطع رأسه، وفي الناحية المقابلة تمثالا للسياف الذي نفذ الاعدام. وهذا برهان واضح على نزعتنا لارضاء الجميع".

الدايجست الانكليزي

ادواح من العصر الحجري

الرسوم الصخرية القديمة في فنلندا تروي لنا اسرار ما قبل التاريخ



أكبر لوحة جدارية منقوشة على الصخر عثر عليها في شمال أوروبا: في استوفانسالمي التابعة لمنطقة ريستينا الفنلندية، وهي تضم أكثر من ٦٠ رسماً بالمغرة الحمراء داخل مساحة يبلغ قطرها ٣٠ متراً. وقد كان الموقع الذي وجدت فيه مثالياً لصيد الأيائل.

ذات يوم من العام ١٩١١ كان المؤلف الموسيقي جان سيبيليوس يتنزه في جوار بحيرة فيتراسك، فلفته رسم قديم ملون بالمغرة (اوكسيد الحديديك) الحمراء على جانب جرف عند الشاطىء. وكان الرسم قوي الشبه بالرسوم الزخرفية التي كانت شائعة في الانسجة الفنلندية التقليدية القديمة. وأبلغ سيبيليوس اكتشافه الجهات المختصة، لكن الامر لم يلق اهتماماً، بل أن علماء الآثار لم يتكلفوا عناء زيارة الموقع الا عام ١٩١٧.

وكان ذلك الرسم الجداري اول نموذج عثر عليه في فنلندا لفن الرسم الصخري في ما قبل التاريخ: تلك الصور الملفتة، من حفر ورقاقات ورسوم على الصخور بأيدي فنانين مجهولين من العصر الحجري، كالتي عثر عليها في أنحاء متفرقة من فرنسا واسبانيا وغيرهما من جهات العالم.

وبعد أكثر من نصف قرن اكتشفت في فنلندا ثلاثة رسوم صخرية أخرى، بينها رسم في منطقة استوفانسالمي يعتبر اكبر رسم من نوعه في شمال أوروبا. ونتيجة لذلك أجري بحث منهجي خلال العقد الماضي أسفر عن اكتشاف ٢٨ موقعاً آخر لهذه الرسوم في أنحاء مختلفة من البلاد.

الى اي زمن تعود هذه الاعمال الفنية؟

يحدد الخبراء تاريخ الرسوم الصخرية عن طريق مقارنتها بالزخارف الموجودة على قطع اثرية تعود الى عصر معروف عثر عليها في



هذا الرسم هو اللوحة الثانية في أويتامونسالمي في منطقة ريستينا، وتبدو صور الرجال والأيائل والقوارب واضحة، وقد اكتشف هذا الموقع عام ١٩٧٥، ويتباهى برسومه الكثيرة الموزعة على اربعة اماكن داخل مساحة قطرها ٥٠٠ متر.

المنطقة ذاتها. وهناك طريقة أخرى تعتمد التاريخ الجيولوجي. ففي منطقة بحيرتي باياني وسايما، مثلا، رسوم جدارية على ارتفاعات كبيرة زينت واجهات الجروف التي تحف بالبحيرتين. ولا بد من أن الذين حققوها فعلوا ذلك وهم واقفون على صفحة البحيرة المتجمدة أو في قوارب، حينما كانت الكتلة الارضية أكثر انخفاضا ومستوى الماء أكثر ارتفاعاً مما هو الآن.

ونظراً الى اننا نعرف متوسط الارتفاع السنوي للكتلة الارضية، فاننا نستطيع أن نحسب الزمن الذي استغرقته البحيرتان كي تبلغا منسوبهما الحالي. وعلى هذا الاساس يمكننا أن نجدد تاريخ هذه الرسوم بالحقبة المراوحة بين العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ومستهل الالف الميلادي الثاني، أي بين العصر الحجري وبداية العصر البرونزي.

ولكن كيف بقيت هذه الرسوم القديمة، الدموية اللون، أزمانا تراوح بين الفي سنة وخمسة آلاف سنة في مناخ فنلندا القاسي؟

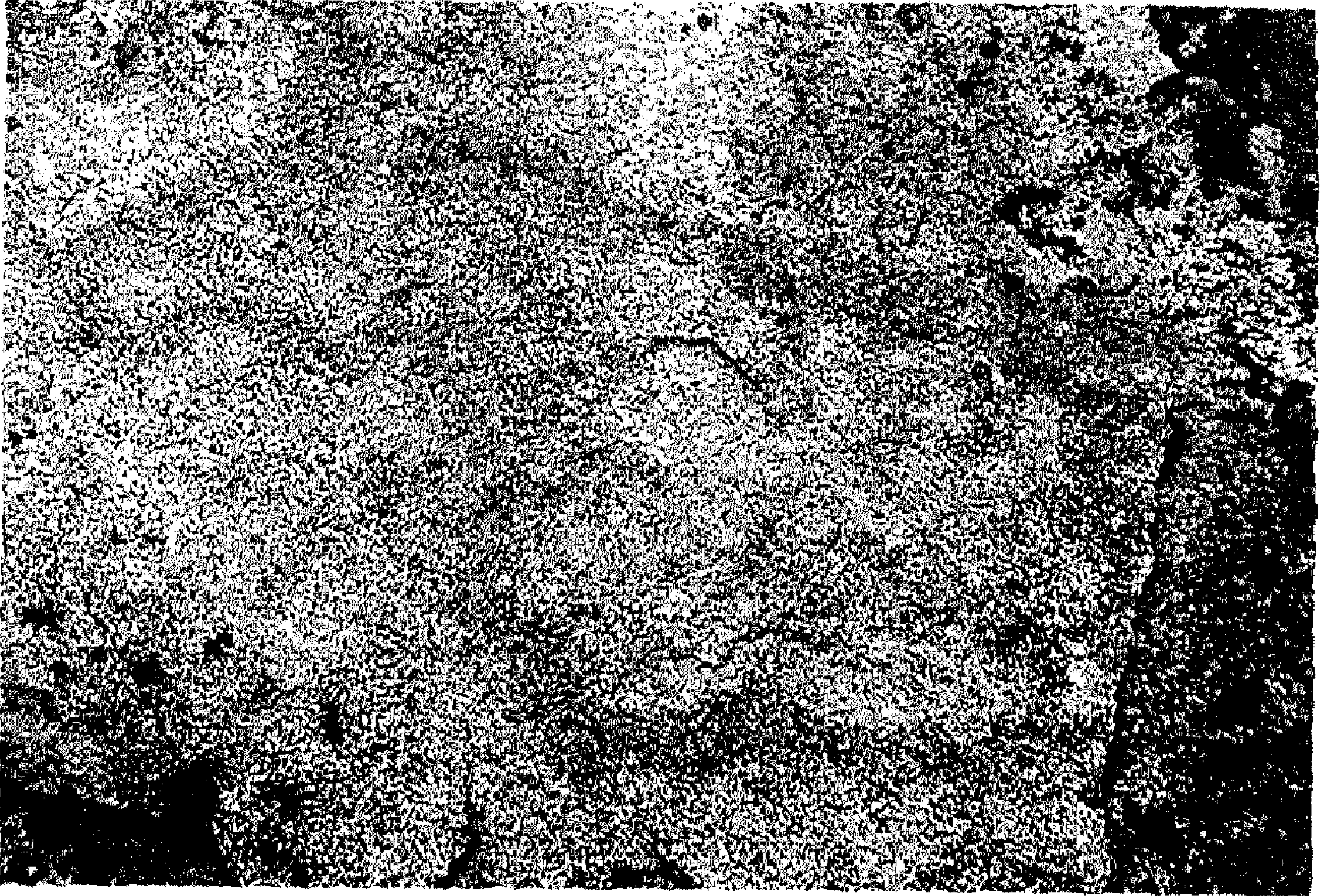
كثيراً ما نقشت هذه الرسوم على صخور ناعمة. وقد تدفقت المياه عبر العصور على واجهات الصخور العمودية فأدت الى ترسب طبقة ملساء صقيلة من الكوارتز فوق الرسوم فاصبحت كأنها مكسوة بالزجاج. وكان الماء يحتوي على الطبشور احياناً، مما يعني أن كثيراً من الرسوم لا بد وأن تكون قد طليت بماء الكلس.

فنانو البراري - ان مواقع المساكن والآثار التي عثر عليها فيها تنبئنا بأن رسامي العصر الحجري هؤلاء كانوا قناصين وصيادي أسماك وغزاة يطوفون بحثاً عن الكلأ والطعام ويعيشون حياة بداوة وترحال.

وهناك ثلاثة موضوعات رئيسية تتجلى في تلك الرسوم: البشر والقوارب والأيائل. والبشر مرسومون في وضع المواجهة بأسلوب الخطوط الرفيعة او "عيدان الكبريت"، من دون تمييز بين الذكور والاناث عموماً. أما الرسوم التي تتألف من



هذا الرسم البشري، من اللوحة الرابعة في أويتامونسالمي، يمثل على الارجح صياداً يستعد للطقوس، أو احدى ارواح الغابات التي كان الصيادون يلتمسون منها العون.



كانت الأيائل تزود مجتمع الصيادين باللحم للغذاء وبالجلود لصنع الملابس ،وبخيوط الاعصاب للحياكة ، وبالعظام لصنع الاواني، والأيل الظاهر في الصورة مأخوذ من اللوحة الاولى في اويتامونسالمي .

في هذا الرسم من اويتامونسالمي يبدو زوج "القوارب" (أعلى اليسار) شبيها بقرني الايل. ويظن بعض الباحثين أن هذه "القوارب" ترمز في الحقيقة الى الحيوان نفسه .



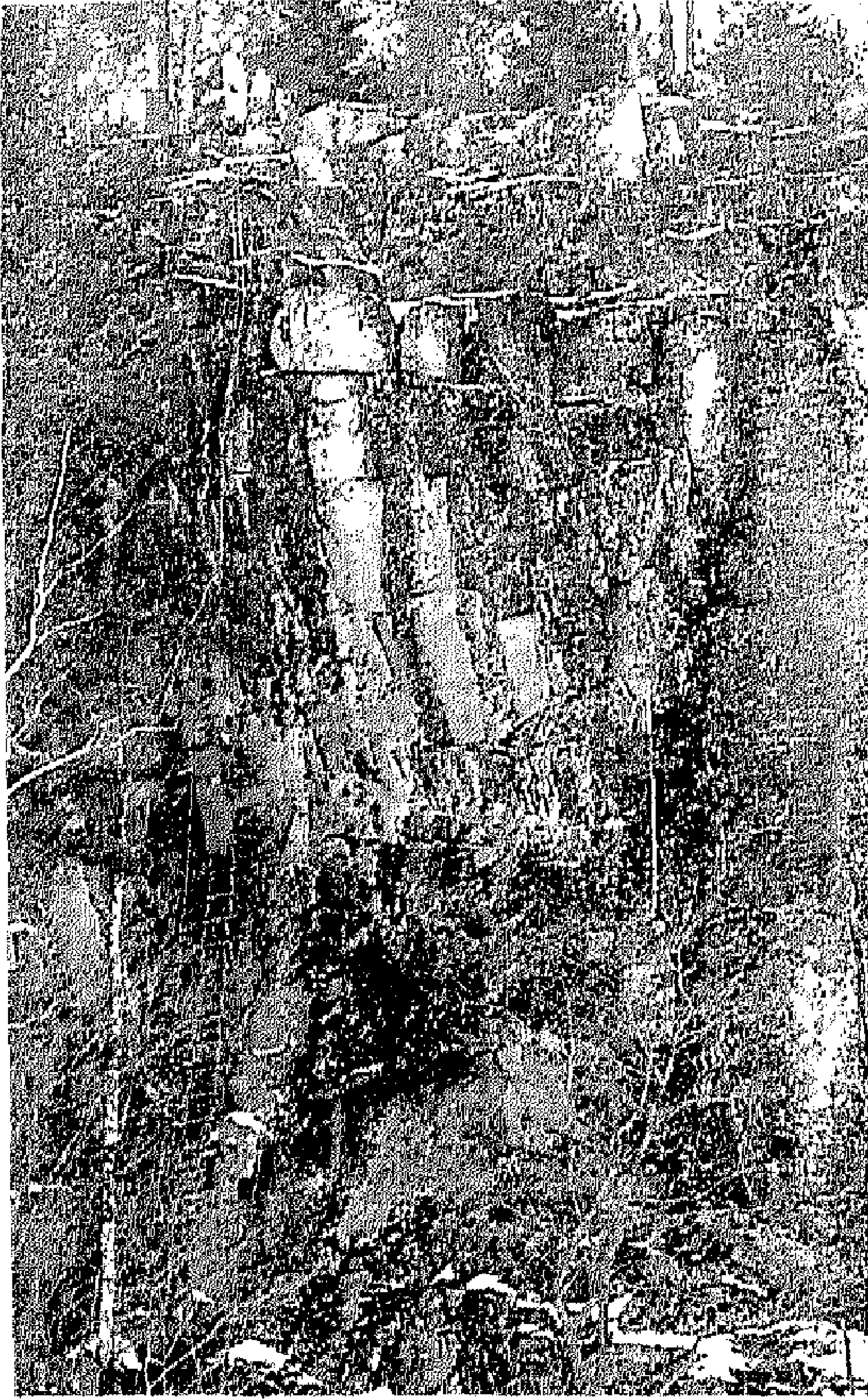
خطوط بسيطة محنية تعلوها خطوط رأسية قصيرة، فهي تفسر على أنها قوارب تضم رجالا يجذفون.

واما رسوم الأيائل فانها تاتي عادة في شكل تخطيطي، مع بيان قلب الحيوان في أحيان كثيرة ورسم القرون صغيرة أو أهمالها تماماً. الا أن هناك حالات قليلة تبدو فيها القرون كبيرة ومرسومة على نحو فيه شبه كبير بخطوط القوارب. والواقع، حسبما يقول الاستاذ بيكا سارفاس من المجلس الوطني الفنلندي للتحف والآثار، أن "بعض رسوم القوارب قد تكون في حقيقتها قروناً، فهي جزء من الحيوان يرمز الى الحيوان بأكمله".

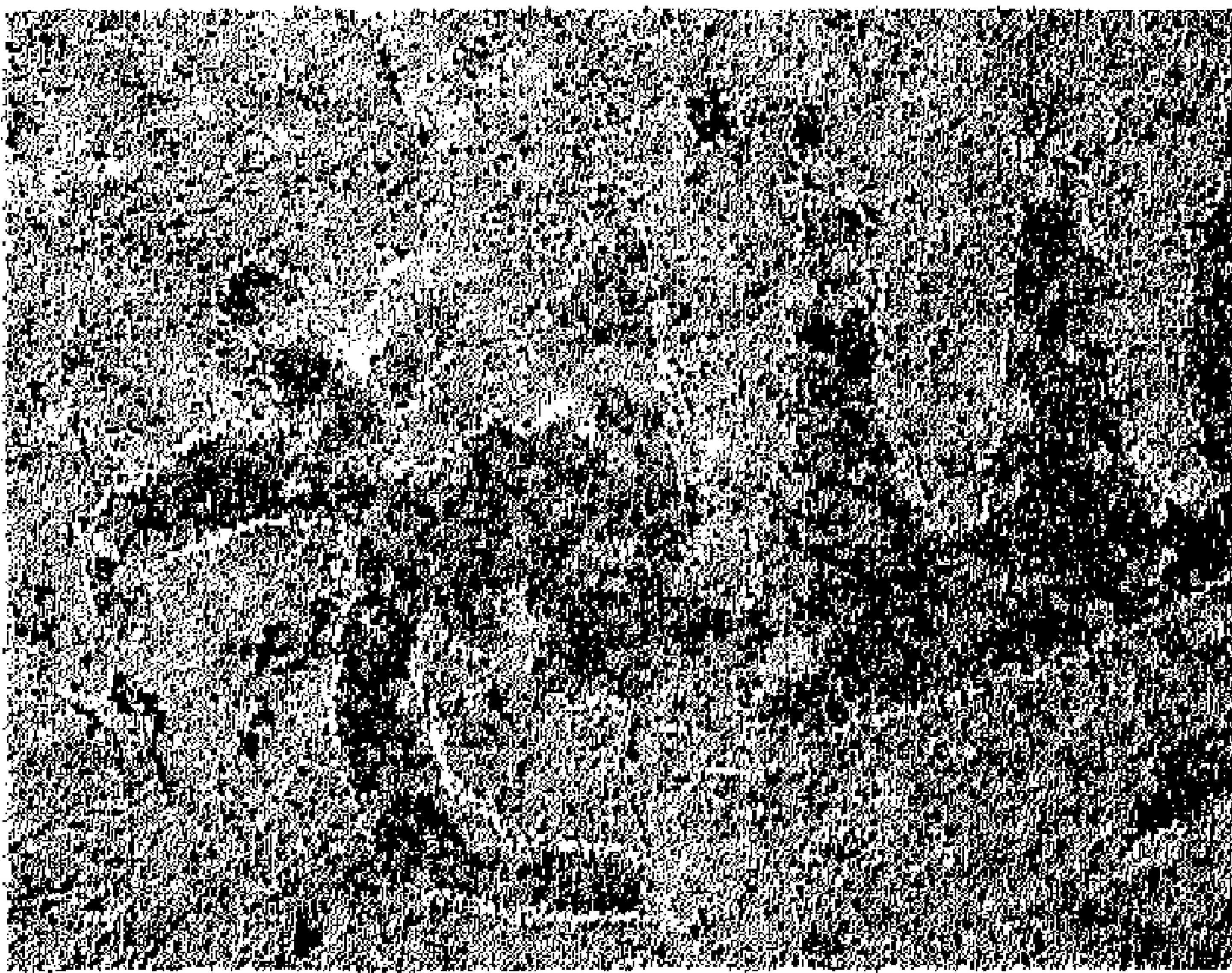
وهناك رسوم اكثر ندرة في تلك اللوحات الجدارية، مثل الايدي المطبوعة والخطوط المتعرجة التي يظن أنها تمثل ثعابين او اسماكاً او حيوانات يصعب تحديدها، ومثل الرسم الزخرفي الذي عثر عليه في ناحية فيتراسك.

لماذا رسموها؟ – يفترض الاثريون أن هذه الاعمال الفنية كانت جزءاً من طقوس الصيد. ذلك ان عدداً كبيراً من هذه الرسوم الصخرية يحف بالمناطق الضيقة من البحيرات، وهي مواقع تتسم بملاءمتها الممتازة لدفع الطرائد ومحاصرتها، وهو الاسلوب التقليدي القديم في صيد الأيائل.

فعندما كانت ثلوج الشتاء تتكاثف وتكسوها قشرة صلبة، كان الصيادون المتنقلون على الزلاجات يحاصرون طرائدهم ويدفعونها عبر الاودية نحو



عندما يعثر على لوحة جداريه جديده تصور فوتوغرافيا وتنسخ بمقياس كامل على البلاستيك. ويبدو هنا أحد علماء الآثار وهو يتأهب لنسخ لوحة ساراكاليو التي عثر عليها عام ١٩٧٥.



رسم يمثل قارباً في مقدمه رأس ايل، عثر عليه في ساراكاليو في منطقة لاوكا الفنلندية. واكتشف في لينتويارفي في منطقة روفانيمي رأس مماثل لقارب يعود الى العصر الحجري.

الثغرات الضيقة في ابحيرات. وكانت الأيائل المطاردة تتقطع أنفاسها من العدو في الثلوج الكثيفة، وتتجرح سيقانها بسبب اصطدامها بقشرة الثلج المتجمدة، فتضطر الى العرج والتلكؤ.ويطير صوابها من انقضاض كلاب الصيد وراءها، وينتهي الامر الى سهولة قتلها بالعصي والرماح. وكانت هناك وسيلة صيد أخرى تتلخص في مطاردة الأيائل من مستقراتها في الغابات، حيث ينتزعها صياح الرجال من مخابئها فتندفع مسعورة وهم يوجهونها بضجيجهم حتى تنهار من فوق جرف صخري شاهق.

ويحاول علماء الآثار معرفة الطقوس التي كانت تقام وقتذاك أمام تلك الصخور الشاهقة. فعمدوا الى دراسة المخطوطات الفولكلورية لبعض الشعوب التي صمدت في ظروف مشابهة، مثل قبائل "تانغوس" التي تقطن سيبيريا فافراد هذه القبائل يتجمعون مرة كل عام لاداء رقصات سحرية والتضرع الى أنثى أيل أسطورية - هي في اعتقادهم الام الاصلية للقبيلة وملكة الحيوانات - ملتمسين منها أن تكلل صيدهم بالنجاح. وهذه الانثى الاسطورية متمثلة عادة بصخرة تشبه ايلا، ترسم عليها صور بالمغرة الحمراء.

وبفضل تلك المدونات الفولكلورية وما تتيحه من استثارة للخيال تنبعث الرسوم الصخرية الفنلندية الى الحياة. ولنتصور عصبة صغيرة من الصيادين وقد تجمعوا عند قاعدة جرف شاهق ليلتمسوا معونة الآلهة. فيبدأ الصيادون بالرقص أمام الصخرة المقدسة، بينما يتولى الشيوخ رسم الصور الحمراء بلون الدم على واجهة الصخرة. وتعقب ذلك طقوس اخرى يطلق فيها الرماة سهامهم على صور الأيائل المرسومة، كما يتضح من رؤوس السهام التي عثر عليها في استوفانسالمي. ويتبين كذلك من الاواني الفخارية التي وجدت في فالكياساري أن حملة الصيد الموفقة كان يعقبها تقديم ذبيحة من الطرائد أمام الرسوم.

الا أن مجيء الزراعة تسبب في تضاؤل اهمية الصيد. فقد اقتضى اسلوب الحياة الجديد ان يستقر الناس في مساكن دائمة وان يعبدوا آلهة جديدة تزودهم بالمحاصيل الجيدة. وبما ان الآلهة الجديدة التي اعتمدتها الثقافة الزراعية الغازية لم تتوافق مع الآلهة القديمة التي تدين بها قبائل البدو، فقد انتهى الامر بأن عفا الزمن تقاليد الرسم على الصخور.

■ يوسي بيكا تافيتسانين



□ ذكر خطأ في العدد ١٦ من "المختار" (مارس ١٩٨٠) ان رونالد ريغان هو ابرز المنافسين الديموقراطيين للرئيس الامريكي جيمي كارتر. والصواب ان ريغان هو ابرز المرشحين الجمهوريين □

عجائب الجراحة المجهرية

هل تصبح للجسد البشري يوماً مخازن قطع غيار كما للسيارات؟

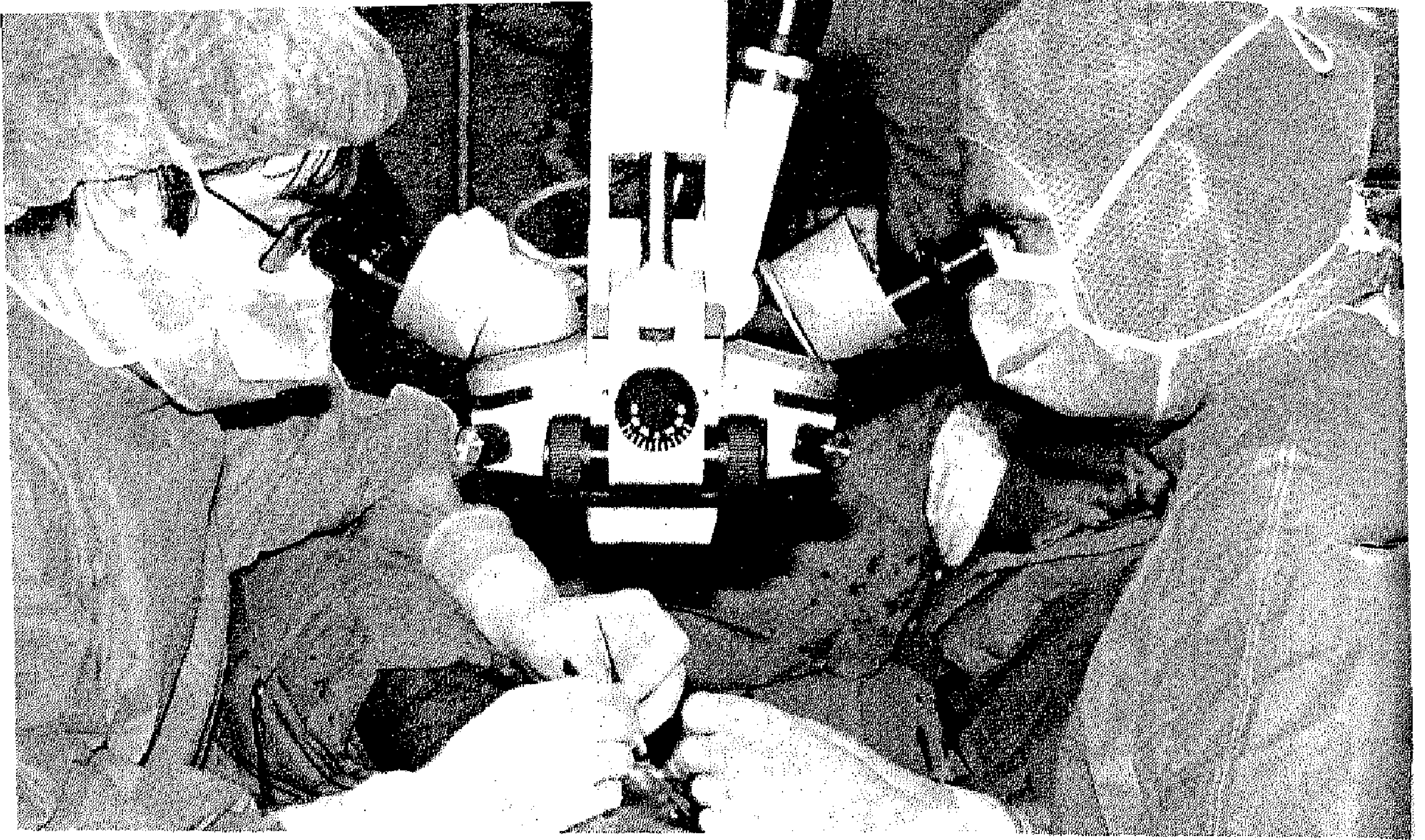
● داخل غرفة العمليات في مستشفى رادكليف في مدينة اكسفوردالانكليزية ، تسجل شاشة الفيديو الكبيرة المتصلة بمجهر قوي مراحل احدى جراحات الدماغ التي كان اجراؤها مستحيلا قبل سنوات . والمريض موظف اداري كبير في الثانية والخمسين ، يعاني تعثراً في النطق ونوبات توقف دماغي تسببت في اضعاف ذراعه وساقه اليمنيين .

ويستخدم الجراح في هذه العملية ادوات بالغة الدقة تحت مجهر يكبر الصورة عشرين مرة . وهو يجتاز بها المجرى الجانبي لأحد الشرايين المسدودة في الدماغ ، ثم يخيط اكثر من ١٢ غرزة شعيرية بالغة الدقة ليصل وعاءين دمويين صغيرين لا يتجاوز قطر كل منهما نصف قطر عود الثقاب . ومن المرجح ان هذه الجراحة حالت دون حدوث نوبة دماغية كان يمكن ان تقضي على المريض .

● في مستشفى كليفلاند كلينيك في ولاية أوهايو الامريكية يعمل احد الجراحين على استئصال الكلية الوحيدة الباقية لدى سيدة في الرابعة والأربعين سبق أن استؤصلت كليتها الأخرى قبل اعوام . وينقل الجراح الكلية المستأصلة الى طاولة قريبة حيث يعمد الى معالجة انتفاخ في شريان رئيسي تعذر الوصول اليه داخل جسد المريضة ويستخدم الجراح بعد ذلك مجهراً جراحياً كي يعيد الكلية الى جسد صاحبتها ، حيث يحكم ربطها من جديد بسبعة شرايين فرعية تشبه الخيوط . ويستلزم وصل كل شريان نحو ساعة من الخياطة الدقيقة . وبعد عشرة أيام تغادر السيدة المستشفى بكلية سليمة وقد تحررت من خطر قضاء حياتها مستخدمة آلة لتنقية الدم .

● في مستشفى ريتشنس دير إيزار في مدينة ميونيخ الالمانية يدرس اختصاصيو الجراحة المجهرية نتائج ٧٢ جراحة لزرع الابهام في ايد بترت ابهامها بسبب الحوادث . وبعد انقضاء ستة اشهر على هذه الجراحة ، تبين ان ٥٨ من هؤلاء المرضى استعادوا نحو كامل كفاية الابهام الحركية وكامل حساسيتها وقوتها .

Based on an article in the Atlantic Monthly (February '80).
Photo: Joe Guardino, Bellevue Hospital.



تلك هي بعض الانجازات الحديثة في عالم الجراحة المجهرية المدهش. ويقول الدكتور رولين دانييل من مستشفى فيكتوريا الملكي في مدينة مونريال الكندية: "إن المجهر الجراحي والأدوات البالغة الصغر والدقة التي ترافق استخدامه جديدة رحبة؛ فتحت امام الطب آفاقا واتاحت لنا ان نحقق انجازات كانت تتجاوز احلامنا قبل خمسة اعوام".

وليست فكرة استخدام المجهر في الجراحة فكرة جديدة، اذ سبق ان استخدمه جراحو العيون والآذان منذ سنوات. غير ان فضل الريادة في الجراحة المجهرية الحديثة يعود الى جراحي كلية الطب في جامعة فيرمونت، في الولايات المتحدة الامريكية. الدكتور جوليوس جاكوبسون اول من فكر، عام ١٩٥٧، في الاستعانة بمجهر لخياطة الأوعية الدموية والأعصاب الدقيقة. وكانت الأدوات الجراحية المتوافرة آنئذ ضخمة الحجم بالنسبة الى هذا العمل. فراح الدكتور جاكوبسون وزملاؤه يتدربون على استخدام الآلات الدقيقة التي يستعملها اختصاصيو المجوهرات، وانكبوا على تجربتها على الحيوانات سنوات عدة حتى تمكنوا اخيراً من تطوير الأدوات الكفيلة بوصل الأوعية الدموية، والتي لا يزيد قطرها على المليمتر، أي ما يعادل حجم رأس دبوس.

ويقول الدكتور بيردون دوناغي من قسم جراحة الأعصاب في كلية الطب التابعة لجامعة فيرمونت: "إن المشكلة الرئيسية في وصل أوعية

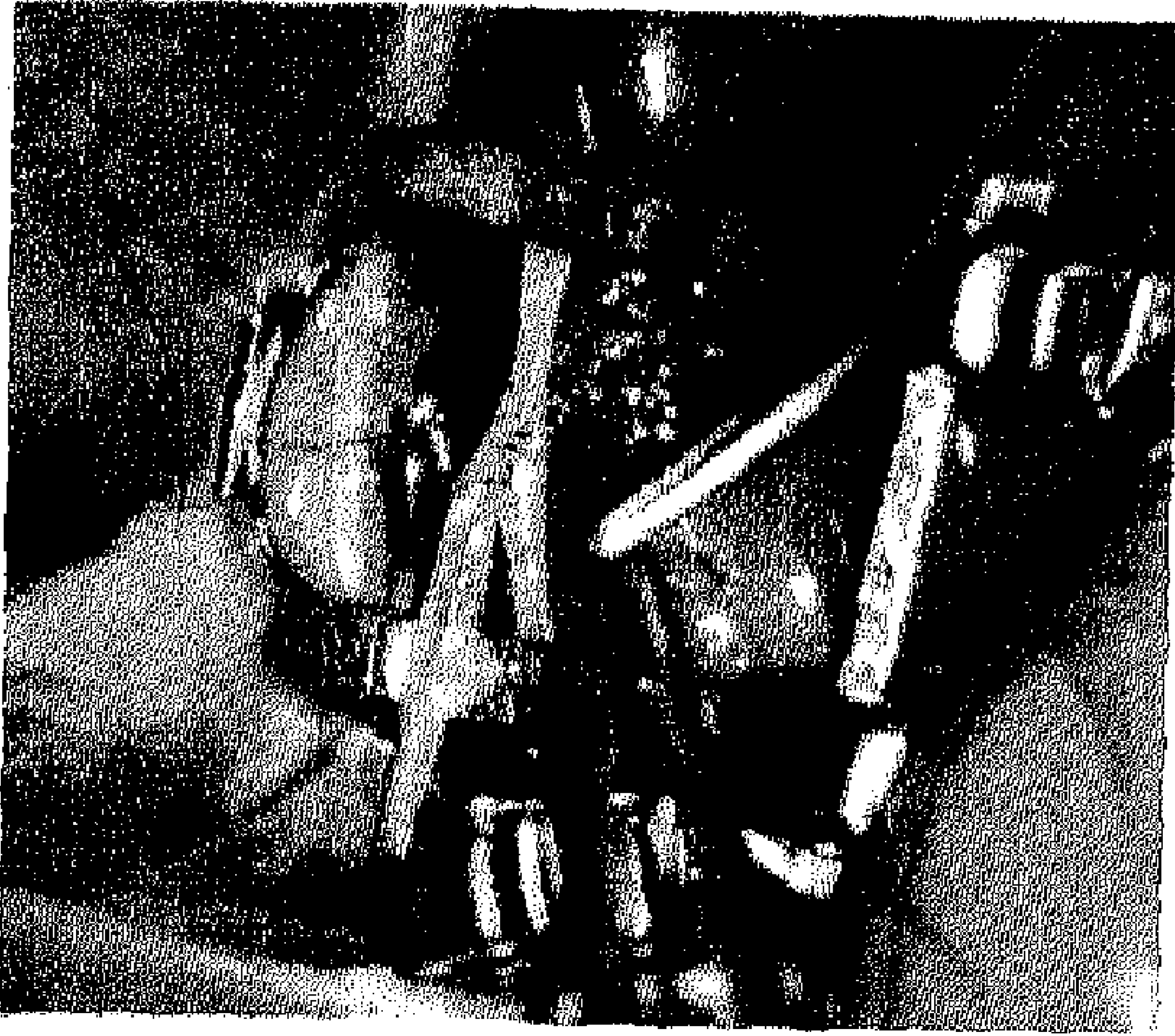
دموية بهذا الحجم البالغ الضآلة تكمن في المحافظة على بقاء جوفها مفتوحا عند الوصلة".

ولننظر الى المشكلة على النحو الآتي: لنفترض أنك تريد وصل انبوبين من المطاط شبيهين بقطعتين مطهوتين من المعكرونة الدقيقة، سواء أفي صغر قطرهما أو في مرونتهما. في هذه الحال عليك أن تضبط اولا تحاذي الطرفين بحيث تلتقي الفتحتان بدقة تامة. وعليك بعد ذلك أن تخيط هذين الطرفين احدهما الى الاخر بما يقرب من اثنتي عشرة غرزة كي تثبتهما في موضعهما. وعليك أخيراً أن تستوثق من احكام الغرز ومتانته على نحو كاف لمنع التسرب، ولكن من غير افراط كي لا تتعرض الانبوبتان للتمزق او الضيق او الانتفاخ عند الوصلة.

مهمة للشباب - يحتاج الجراح، وإن يكن ضليعاً بارعاً، الى ما لا يقل عن ٤٠ ساعة من التدريب المخبري على الأوعية الدموية المأخوذة من الجثث والحيوانات قبل أن يتمكن من اتقان الاساليب الدقيقة في تلك الجراحة. وقد تبينت سبب ذلك عندما أجرى الدكتور دوناغي تجربة بسيطة كي يوضح لي الأمر.

وضع الطبيب قطعة من خيط الجراحة المجهرية، يبلغ قطرها نصف قطر شعرة بشرية، تحت مجهر جراحي. وطلب مني أن أرفعها بطرف معقوف يكاد لا يرى لآلة جراحية دقيقة. وبعد ضبط الرؤية في المجهر بدا الخيط واضحاً كحبل السفينة، وبدأت أحرّك الأداة تحت عدسة المجهر.

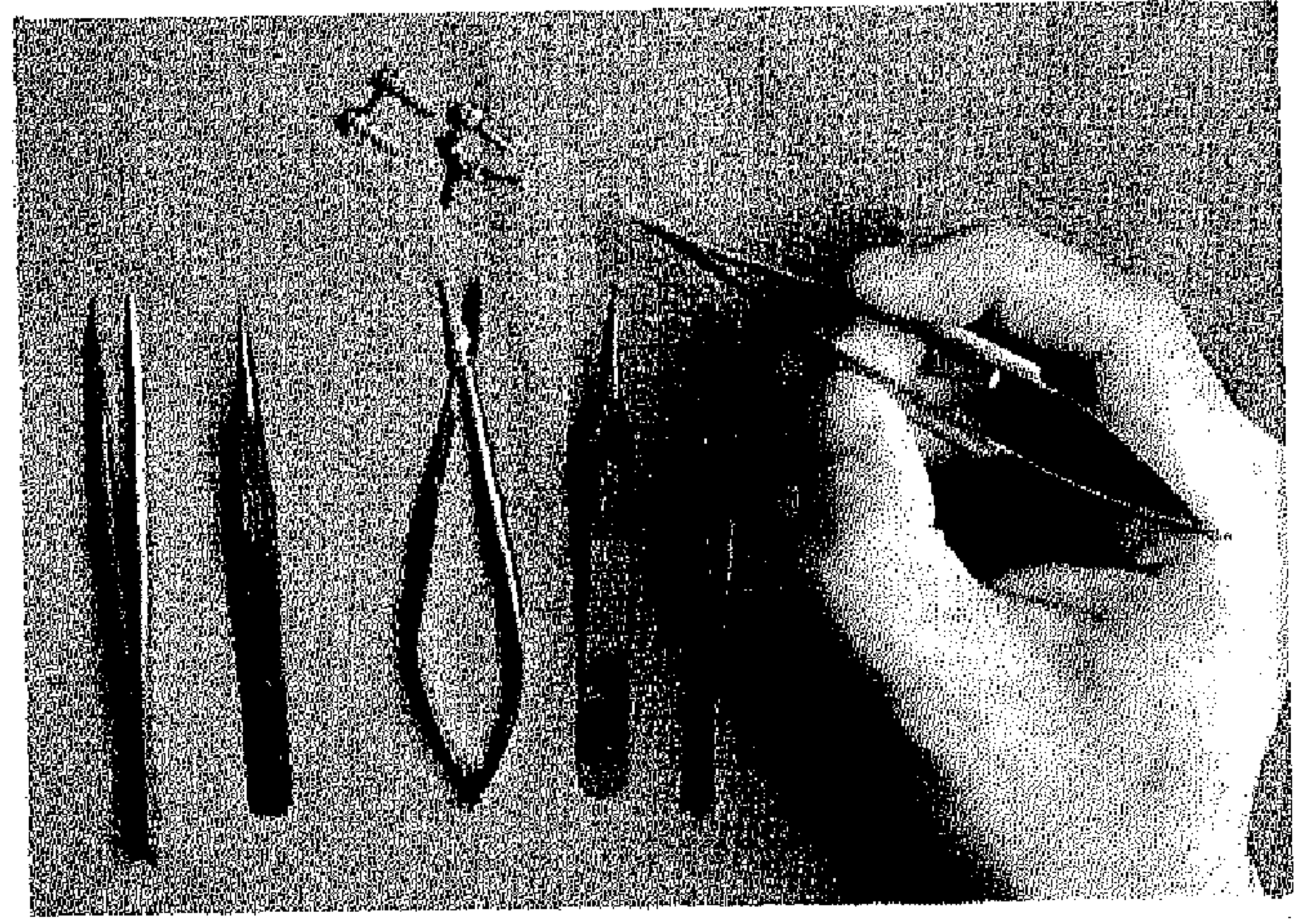
وكان أول ما أثار دهشتي درجة ارتعاش يدي التي كشف عنها المجهر. وقال لي الدكتور دوناغي: "ان الجراحين، حتى اولئك الذين يظنون أيديهم ثابتة كالصخر، يشعرون بالاسى حين يكتشفون أنهم لا يستطيعون الامساك بمبضع أو مقص بدرجة كافية من الثبات تحت المجهر". ولا بد لاختصاصيي الجراحة المجهرية من ان يتعلموا كيف يعملون وهم يسندون أذرعهم وأيديهم تماماً على طاولة، مستخدمين أصابعهم وحدها في فتح الأدوات وإقفالها وتحريكها. وهناك مقعد خاص للجراحة المجهرية يتيح للجراحان يسند كامل جسمه اليه.



جراحة اختبارية تدريبية على فأر لفتح ممر جانبي يتجاوز شرياناً مسدوداً (التكبير: ٤ مرات). ولكي يتضح لك المقياس: لاحظ المشبك الذي يبدو في الصورة الى اليسار.

وظهرت مشكلتي الثانية عندما حاولت لمس الخيط الجراحي. ولم

تكن درجة التكبير تزيد على عشر مرات؛ في حين ان اختصاصيي الجراحة المجهرية كثيراً ما يعتمدون على تكبير يبلغ أربعين مرة. ومع ذلك فان الطرف المعقوف للأداة بدا كأنه يطفو سابحاً حول المنطقة من دون أن يلمس الخيط الا عرضاً. ففي هذا العالم المجهري تحتاج الحركات الى عمليات ضبط وتكييف بالغة الدقة. ومثال ذلك انه لدى اجراء



تشتمل ادوات اختصاصي الجراحة المجهرية على مقص دقيق (ممسكاً به) وملقطين دقيقين مما يستعمله الجوهري، ومقص وملقطين ومشبكين (اسفل الصورة).

غرزة قلما يتجاوز نطاق حركة يد الجراح مجال قوس طوله ثلاثة مليمترات. وقد قضيت عشر دقائق أحاول عبثا التقاط الخيط. وخرجت من تلك التجربة وأنا أشعر بالاحباط والارهاق.

ويقول الدكتور أندرو نوفيك، اختصاصي الجراحة المجهرية للمسالك البولية في مستشفى كليفلاند في ولاية اوهايو الامريكية: "لا حاجة اطلاقاً الى العجلة في هذه الجراحة؛ فهي عمل بطيء مرهق يقتضي مقداراً بالغاً من التركيز".

والجراحة المجهرية تعتبر من وجوه كثيرة مهمة خليقة بالشباب؛ ذلك لأنها تتطلب درجة عالية من اللياقة البدنية واليقظة العقلية. ولم اقابل اختصاصياً واحداً في الجراحة المجهرية يدخن أو يتعاطى التبغ في اي شكل؛ كما أن معظم هؤلاء الجراحين يتجنبون المشروبات التي تحتوي على الكافيين طوال ٢٤ ساعة قبل اجراء أي جراحة. وهم في غالبيتهم الساحقة يمارسون الرياضة البدنية.

اسلاك متقاطعة – لعل زرع الأعضاء هو اشق الجراحات اطلاقاً. فقد نقلت منذ قليل، وعلى وجه السرعة، الى مستشفى فيكتوريا الملكي في مونريال سيدة شابة اطبقت على يدها آلة كبس بترت اربعاً من أصابعها. ولحسن الحظ أن أحد الموجودين في مكان الحادث قد حمله حضور البديهة على جمع الاصابع الاربع ولفها في شاش طبي ووضعها في علبة مبردة بالثلج. وما ان وصلت الى المستشفى حتى باشر فريق الجراحة المجهرية مهمتهم. وكان الأمر يقتضي عمل الكثير، بما في ذلك ادخال رقع في سبعة أوعية دموية وسبعة خيوط عصبية مثل خيوط العنكبوت. ولم يشعر الأطباء بمرور الوقت، لكن احدى الممرضات اعلنت، لدى انتهائهم من الغرزة الاخيرة ان الجراحة استغرقت ٢٤ ساعة و٣٠ دقيقة.

ومن أصعب المراحل في جراحة زرع الاعضاء المرحلة الخاصة بوصل الأعصاب المقطوعة. فالعصب يشبه سلك الهاتف في احتوائه على حزمة من "الخيوط" أو "الأسلاك" الصغيرة المنفصلة التي لا بد من شدها وربطها بأحكام إذا أريد للمريض ان يستعيد امكان نقل الاشارات بين المخ والعضو المزروع. وكثيراً ما يستخدم الجراحون المتخصصون في إعادة وصل الأعصاب، مثل الدكتورة جوليا تيرزيس من مستشفى فيكتوريا الملكي، رسوماً تخطيطية من إعداد الدماغ الالكتروني، تدون على ورق معقم يكفل اصطحابها الى داخل غرفة العمليات للاستعانة بها في التمييز بين عشرات الألياف والعناية بوصلها. غير أنه قد يتعذر في بعض الأحيان، حتى مع التكبير ٤٠ مرة، تجنب حدوث بعض "التقاطع في الأسلاك".

ان التقنيات المتبعة في زرع الأعضاء تستخدم الآن أيضاً في نقل الأنسجة من جزء الى آخر في جسم المريض نفسه. وقد اهتدت مراكز الجراحة المجهرية الكبرى الى مجموعة وافرة من التطبيقات الجديدة التي لن يلبث ان يروج استخدامها.

ومن أمثلة ذلك نقل إبهام القدم الى اليد لدى العديد من الأطفال الذين يولدون بأصابع ناقصة. ومن التقنيات الأخرى التي تبشر بالنجاح "مبادلة الأجزاء". ويتحدث الدكتور رونالد مالت من مستشفى ماساتشوسيتس العام في هذا الشأن، وهو الذي اجرى اول زراعة ناجحة للأطراف عام ١٩٦٢، فيصف حالة اطلع عليها خلال زيارته الصين حيث تجرى إعادة زرع الأعضاء على نطاق واسع: فقد اصيب المريض في حادث قطار وبترت قدمه اليسرى. وعندما وجد الأطباء الصينيون أنهم لا يستطيعون إنقاذ الساق اليسرى ولا القدم اليمنى، أعادوا زرع القدم اليسرى على الساق اليمنى، وأصبح للرجل ساق يمنى كاملة وساق يسرى اصطناعية. وهو يستطيع التنقل من دون الاستعانة بعكازين.

والجراحة المجهرية تفتح باب الأمل أيضاً في وجوه الذين يفقدون أجزاء حيوية من أجسامهم بسبب السرطان وغيره من الأمراض. فمنذ ثلاث سنوات عمل جراحو مستشفى كانيسبورن في مدينة غلاسكو في اسكتلندا على معالجة مريض تحتم استئصال جزء من مريئه (الانبوب الذي يمر الطعام عبره الى المعدة). فعمدوا الى قطع جزء من الأمعاء الدقيقة لدى المريض وخاطوه داخل عنقه مع وصل جميع الأوعية الدموية عن طريق الجراحة المجهرية. فاستعاد جسم المريض بذلك اداء وظيفته العادية.

الاعاجيب الصغيرة ــ يستخدم الجراحون حالياً تقنيات الجراحة المجهرية لنقل مساحات كبيرة من النسيج الحي من أحد أجزاء الجسم الى جزء آخر. وقد استخدم هذا الاسلوب في مستشفى برينس أوف ويلز في مدينة سيدني في اوستراليا، لترقيع وجه فتاة في الثامنة عشرة من عمرها مصابة بمرض رومبرغ، وهو تشوه خلقي يكون فيه النصف الأيسر من الوجه خالياً من الشحم تماماً مما

يؤدي الى خشونة الملامح وغور العين واعوجاج الفم. وقد عمد الجراحون أولا الى نزع الغلاف الدهني، ويسمى الثرب، من بطن المريضة، مع المحافظة التامة على الأوعية الدموية. ثم فتحوا الجانب المشوه من الوجه بأن أحدثوا شقاً عبر فروة الرأس. ثم سلخوا الجلد الى أسفل بدءاً من الجبهة. واستخدموا أدوات دقيقة لوصل أوعية الوجه الدموية المكشوفة بأوعية الثرب، ثم عملوا على تبطين الملامح بالدهن قبل أن يعيدوا خياطة جلد وجه الفتاة. وهكذا غدت الفتاة راضية عن مظهرها للمرة الاولى في حياتها.

ولا تزال التطبيقات التي تتمخض عنها الجراحة المجهرية في تزايد مطرد. وقد كان معظم الجراحين في بادئ الأمر ينفرون من إجراء الجراحات على الاورام الصغيرة المدفونة في مناطق حساسة من الدماغ وعلى الغدة النخامية او الحبل الشوكي، خشية المساس بالأنسجة المحيطة وإثارة مزيد من المشاكل للمريض. أما الآن فقد اصبحوا، بفضل الجراحة المجهرية، قادرين على استئصال هذه الأورام مع انخفاض كبير في احتمالات التسبب في انتكاس حال المريض او وفاته. وهناك حالات كثيرة يؤدي فيها استئصال هذه الأورام الصغيرة الى الابلال من الشلل أو العمى أو تعثر النطق أو العقم.

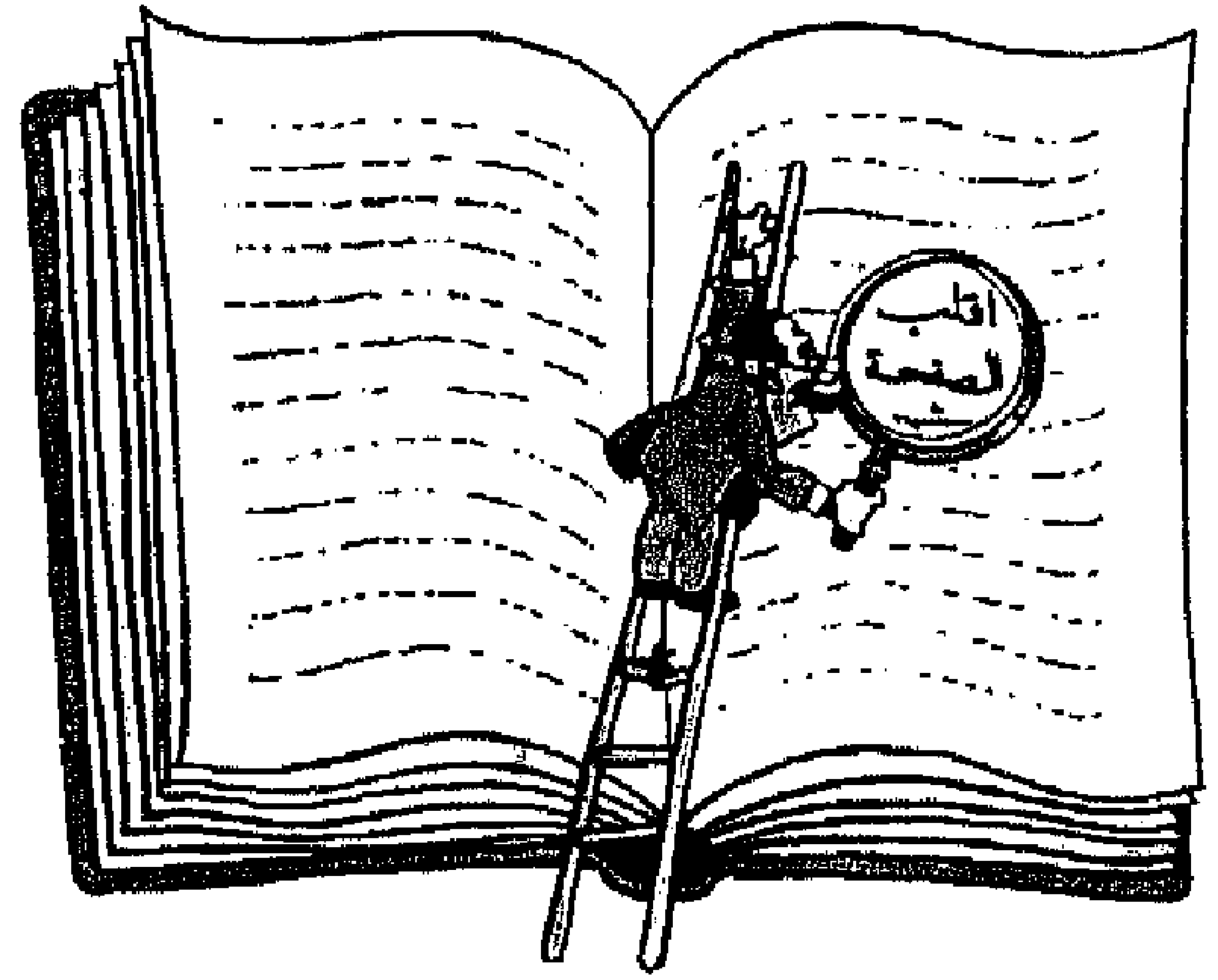
وتساهم الأدوات الجراحية الجديدة في توسيع نطاق الجراحة المجهرية لتشمل فروع الطب كافة. ومن بين الاجهزة التي ظهرت في السنوات الأخيرة نذكر المجاهر الجراحية التي قد يبلغ ثمن الواحد منها مئة الف دولار ويشتمل على ثلاثة رؤوس للنظر أو أكثر حتى تتسنى متابعة تفاصيل الجراحة لأطباء عدة في الوقت نفسه، ودارا منفصلة للتلفزيون الملون، وضوابط بالقدم للتركيز والتكبير، وعدسات تلفزيونية، واضاءة عبر العدسات على نحو لا تلقي أيدي الجراحين معه ظلالا على منطقة العمليات، وخيوطاً جراحية في دقة خيط العنكبوت لكنها قوية بما يكفي تحمل ضغط الشد الجراحي، وابراً ومشابك ومقصات وأنابيب حقن وملاقط كلها مصغرة الى أحجام بالغة الدقة.

وتتيح هذه الأدوات الآن للجراحين اعادة زرع قناة فالوب (التي تنتقل البيضة عبرها من المبيض الى الرحم) المفصولة أو المصابة بالمرض، وأن يعيدوا الخصوبة الى الرجال الذين أجروا جراحة تعقيم بفصل القناة المنوية، وأن يجروا جراحة عبر أنف المريض على الغدة النخامية المتصلة بالدماغ.

وقد نتساءل الآن: وماذا بعد؟ الى أين ستصل الجراحة المجهرية؟

يقول أحد الجراحين في هذا الصدد: "ربما استخدمت الجراحة المجهرية يوماً في نقل الأعضاء من الجثث، مثل الأذرع والسيقان وغيرها، اسوة بما يجرى في عمليات استبدال القرنيات والكلى والقلوب. بل لعل فكرة ايجاد بنك لقطع الغيار البشرية تصبح يوماً واقعاً حقيقياً كما هي الحال بالنسبة الى مخازن قطع غيار السيارات".

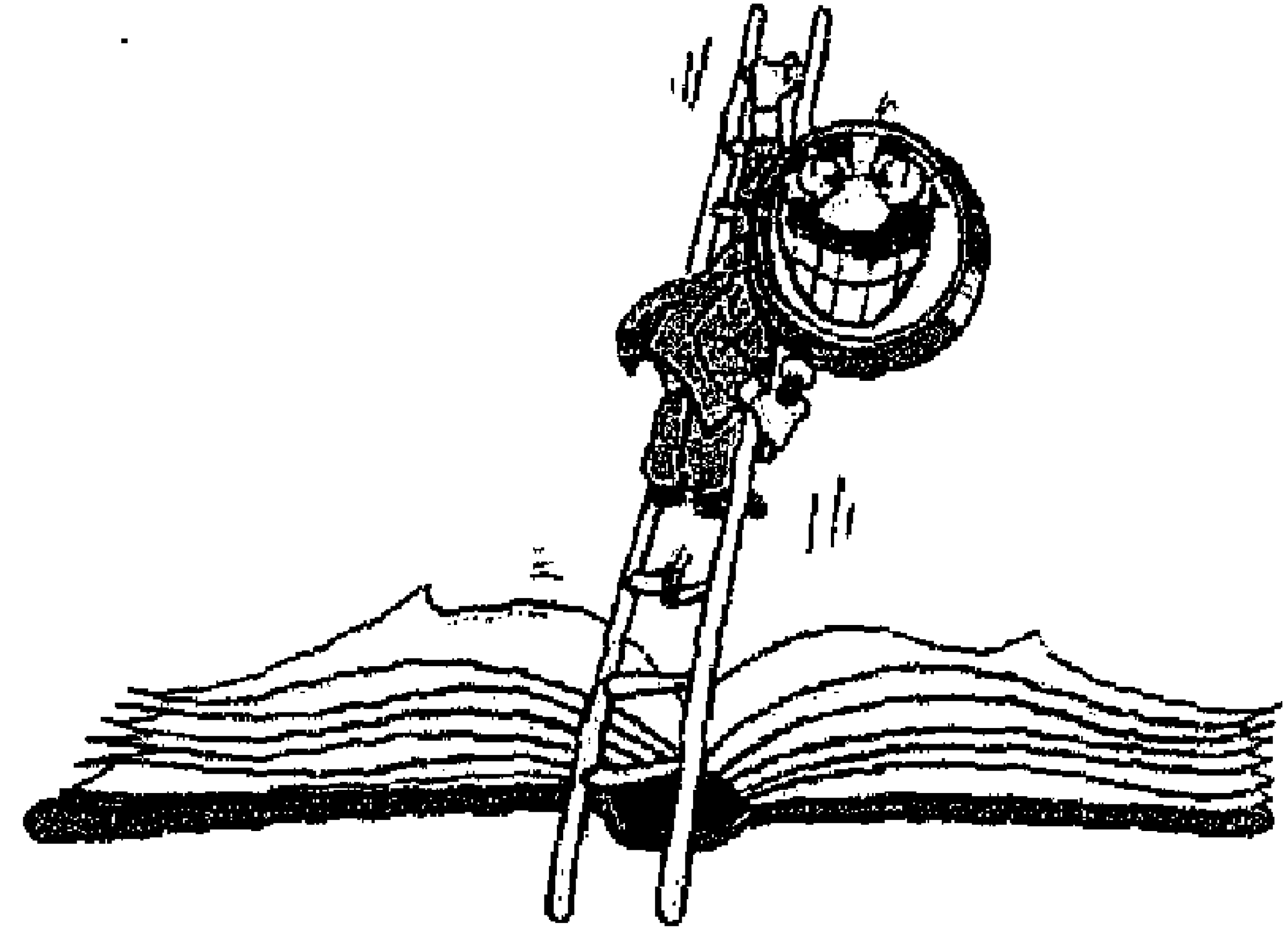
■ **ستانلي انفلبارت**



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد مصطلحات زراعية، وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها فقط صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

٠١ مِنْجَل: فأس ـ عصفور ـ آلة لقطع الزرع ـ منشار.
٠٢ فَدّان: سكة ـ ثورا الحراثة عربة ـ نهران.
٠٣ اخدود: حفرة ـ كهف ـ تلة ـ نبع.
٠٤ مَشْتَل: اناء الزهر ـ مكان لزرع الغراس ـ كَرم ـ تربة خصبة.
٠٥ آفة: حيوان كالجرذ ـ سلة ـ ريح حارة ـ كائن مؤذ.
٠٦ خَردل: نبات عشبي ـ فطر ـ زهر جميل ـ شجر.
٠٧ تقليم: قلع الشجر ـ حراثة ـ قطع الاغصان ـ توزيع التراب.
٠٨ بَيْدر: حقل قمح ـ غابة ـ موضع الدرس ـ مرج.
٠٩ آر: مقياس للطول ـ مقياس للمساحة ـ ماء كثير ـ مئة طن.
١٠ جَرش: حصاد ـ نقل الغلال ـ درس ـ طحن الحب.
١١ لَقاح: ثمار ـ غبار اصفر ـ بذار ـ مادة تحقن في الشجر.
١٢ طُفَيلي: شجرة غير مثمرة ـ مُزارع ـ كائن مؤذ ـ نبتة صغيرة.
١٣ شوكة: اداة مسننة ـ مِعْول ـ غصن ناتىء ـ مجرفة.
١٤ فول سوداني: فستق ـ شجر وارف ـ لوبياء ـ من الفاكهة.
١٥ تَهجين: زرع الجنائن ـ نثر البذار ـ حراثة ـ اختلاط النسل.
١٦ جَرّار: خزانة للمعدات ـ مركبة ـ مِحْراث ـ حبل يربط حول عنق الدابة.
١٧ دلتا: هَضَبة خصبة ـ بئر ـ ارض منبسطة ـ نهر عميق.
١٨ نِيْر: خشبة بين عنقي ثورين ـ حبل ـ حِمْل الدابة ـ عصا.
١٩ سِباخ: صحارى ـ بِرك الري ـ مستنقعات ـ اراض مهملة.
٢٠ تطعيم: تسميد التربة ـ رش المبيدات ـ غَرس ـ وصل غصنين.
٢١ لِحاء: صَمْغ ـ قشرة ـ الياف ـ لُبّ.
٢٢ خَميرة: طُحْلُب ـ من التوابل ـ فُطْر ـ مادة تستخرج من الشعير.
٢٣ نَورج: مِحْراث ـ حجر مستدير ـ دابة ـ آلة الدرس.
٢٤ بُور: ارض غير مزروعة ـ بئر جافة ـ دغْل ـ زرع فاسد.
٢٥ تُرعة: نبع ـ حوض ماء ـ قناة ـ سد.
٢٦ حَجَر الرّحى: غطاء البئر ـ مطحنة ـ علامة الحدود ـ حجر رملي.
٢٧ بكتيريا: امراض ـ كائنات محللة ـ حشرات ـ عَفَن.
٢٨ فَزّاعة: شجرة يابسة ـ زهرة قبيحة ـ ناطور ـ مُبْعِدة الطير.
٢٩ تشذيب: ازالة الاغصان ـ قَطْع الشجر ـ حصاد ـ قَطْف الثمر.
٣٠ غِربال: مطحنة ـ طائر اسود ـ مُنْخُل ـ مزارع ماهر.



الأجوبة الصحيحة

٠١ مِنْجَل: آلة من حديد محنية في شكل نصف دائرة، يقطع بها الزرع .
٠٢ فَدّان: ثوران يُقرن بينهما للحراثة .
٠٣ اخدود: حفرة مستطيلة في الارض يزرع داخلها .
٠٤ مَشْتَل: مكان تزرع فيه الغراس ثم تؤخذ منه لتزرع في مكان آخر .
٠٥ آفة: جرثومة او حشرة تتسبب في اتلاف المزروعات .
٠٦ خَردل: نبات عشبي برّي ذو حب صغير اسود يستعمل في التوابل .
٠٧ تقليم: قطع بعض اغصان الشجرة في موسم معين لزيادة نموها .
٠٨ بَيْدر: موضع يدرس فيه القمح ونحوه كي يخرج حبه .
٠٩ آر: وحدة لقياس المساحة تعادل مئة متر مربع .
١٠ جَرش: طحن الحب طحناً خشناً .
١١ لَقاح: غبار اصفر يتألف من خلايا ذكرية نباتية .
١٢ طُفَيْلي: نبات او حيوان يعيش على كائن حي آخر .
١٣ شوكة: اداة معدنية ذات اسنان تستخدم في قلب التربة وتسويتها .
١٤ فول سوداني: نوع من الفستق داخل غلافه حبتان عادة .
١٥ تهجين: تزاوج بين سلالتين مختلفتين من نوع نباتي او حيواني واحد .
١٦ جَرّار: مركبة تستخدم في جر المعدات الزراعية او تشغيلها .
١٧ دِلتا: ارض منبسطة بين فرعي نهر يصبان في بحر او بحيرة مالحة . استعملت الكلمة سابقاً للاشارة الى دلتا النيل في مصر التي تشبه الحرف الاغريقي "دلتا" .
١٨ نِير: خشبة بين عنقي ثورين قُرِن بينهما للحراثة . جَمْعها انيار ونيران .
١٩ سِباخ: ما لم يُحْرث من الارض ولم يُعْمَر .
٢٠ تطعيم: وصل غصن بآخر من غير شجره كي يحمل ثمر هذا الشجر .
٢١ لِحاء: القشرة الخارجية للشجرة .
٢٢ خَميرة: فطر وحيد الخلية يستخدم في انتاج الخبز والكحول .
٢٣ نَورج: آلة لدرس القمح تجرها الحيوانات .
٢٤ بُور: ارض لم تزرع .
٢٥ تُرعة: قناة واسعة للري . ايضاً: روضة في مكان مرتفع .
٢٦ حَجَر الرَحى: جهاز لجرش الحبوب قوامه قرصان من حجار الطحن، السفلي منهما ثابت والعلوي يدار باليد .
٢٧ بكتيريا: نباتات وحيدة الخلية يعيش بعضها في التربة فيحلل المواد العضوية ويحولها سماداً .
٢٨ فَزّاعة: ما ينصب في الحقول تخويفاً للطير .
٢٩ تشذيب: ازالة بعض اغصان الشجرة حتى يظهر قشرها .
٣٠ غِربال: جهاز كالمُنْخُل يستخدم في تنقية الحبوب .

المستوى

٢٥ ـ ٣٠: ممتاز
١٩ ـ ٢٤: جيد
١٣ ـ ١٨: مقبول

ميناء مالابار

ميناء سانت لوسي

ميناء شارلوت

ميناء لابيل

ميامي

فلوريدا

الولايات المتحدة الاميركية

تعال الى العمل في بيع افضل ما تمنحه فلوريدا

أراض ومنازل ومجمعات سكنية

شركة التنمية العامة هي احدى كبرى شركات بناء المجمعات السكنية في ولاية فلوريدا الاميركية، فروعها الرئيسية في ميناء شارلوت على خليج المكسيك وميناءي سانت لوسي ومالابار على ساحل المحيط الاطلسي وميناء لابيل وسط فلوريدا.

والشركة في حاجة الى وكلاء مؤهلين في البلدان العربية تتوافر لديهم الخبرة والطموح، وسوف يتم تدريبهم في مدينة ميامي على شاطىء فلوريدا.

شركة التنمية العامة هي من كبرى الشركات المسجلة في بورصات نيويورك وتورنتو والباسيفيك، وقد تجاوزت ايراداتها في السنة الماضية الـ ٠٠٠،٠٠٠،٤٠٠ دولار.

ترسل الطلبات الى:

Write to:
Nicholas H. Morley, Chairman
INTERTERRA DEVELOPERS, LTD.
P.O. Box 450249
Miami, Florida 33145, U.S.A.
(305) 751-9898



منازل مطلية بالكلس تجثم على صخور شواطىء سانتوريني.

جُزر اليُونان الخالدة

كل صخر فيها وكل زهرة ينشدان ترنيمة إلهية قديمة

ركل كوستا النجار باب منزله فانفتح، وقفز منه خمس خطوات عبر رصيف الميناء الى مياه بحر أيجه. وخاطبني بأعلى صوته: "تعال وانضم الي". وما كاد ينتهي من توجيه تلك الدعوة حتى دفعني ابناؤه السبعة بشيء من المرح والدعابة - وأنا لمّا أزل في ملابسي - الى المياه الصافية. فأخذنا نغوص بين افواج السمك الاحمر وهو يحوم بصمت حول مرساة قديمة غارقة. وما هي الا لحظات حتى التقطنا اخطبوطا شاء له القدر أن ينتهي في امعائنا عند الغداء.

وانتشلنا فريستنا المتلوّية وتوجهنا الى حانة على الشاطىء حيث قمنا بجولة على الطناجر التي كانت تتصاعد منها الابخرة في المطبخ، واخترنا ما اردنا أن يكون جزءا من وجبتنا: حبات من الطماطم (البندورة) الحمراء اليانعة المحشوة، وتحت مظلة شحب لونها من اشعة

الشمس، ابتسم كوستا وهو يحتضن قصعة نبيذ بيده، وسألني عما اذا كنت أعرف ما كتبه ثيوسيديس قبل نحو ٢٥٠٠ عام، وهو أننا، نحن الاغريق، نعشق كل جميل، ومع ذلك فان اذواقنا بسيطة متواضعة. واردف: "وهكذا، يا صديقي، لم يتغير شيء حتى هذه الايام".

وبينما كنا نتناول اخطبوطنا المقلي، مرت قافلة من الحمير المحملة بسلال مملوءة حطبا وزيتونا أسود وهي تنحدر عبر الممر السحيق المرصوف بحجار الوادي، آتية من القرية المرتفعة. وبين مجموعات من المنازل المكتظة التي اختلفت الوانها بين الوردي والابيض والاخضر، كان يجلس صيادو السمك وهم يرأبون شباكهم تحت اروقة ظليلة.

وتمنيت في نفسي ان يكون كل يوم من العمر مثل هذا اليوم. وشعرت بأني لا أريد مبارحة المكان اطلاقا. ذلك هو الاغراء الذي تنطوي عليه انشودة جزر اليونان الساحرة التي ما زالت من أروع الامكنة وأحبها حيث يجد الانسان ملاذا.

عطيّة إلهية ـ جاء في الاساطير ان حفنة من الصخور بقيت في يد الله سبحانه وتعالى بعدما خلق الارض، فألقاها من عل لتشكل ارخبيل الجزر اليونانية. وهذه العطيّة الربّانية تضم نحو ١٥٠٠ جزيرة ليس بينها ما هو مأهول سوى ١٦٦ جزيرة انغرست كلها في حضن بحر أيجه، وهو الجيب الشرقي الاقصى في البحر الابيض المتوسط. وهذه الجزر، بشطآنها العاجية وخلجانها الصخرية الوعرة، تستحم في شمس صيف يدوم ثمانية أشهر، وبذلك تغوي خمسة ملايين سائح سنويا. وفي تلك الانحاء تلتقي أبهى السماوات زرقة بأصفى البحار زرقة في العالم. والازرق هو اللون الايجي الاولي الذي تتفاوت ظلاله من الياقوتي المظلم الى اللازوردي الشاحب. اما هطول المطر فكأنه من الاحداث التي لا تقع الا في بقاع أخرى من العالم.

وعلى رغم الماضي الصاخب، فقد حافظ سكان تلك الجزر، الفخورون والقادرون على استرداد نشاطهم بسرعة، على شيمة الكرم. والحق ان تلك الجزر هي لكل الناس في كل الفصول، وهي من تلك الاماكن التي ما أن تزورها مرة واحدة حتى تظل تنهش التفكير وتثير الذكريات. وهكذا، وبعد غياب دام احدى وعشرين سنة، عدت في رحلة ذات اشجان فلم يخب أملي.

النور البهي ـ على بعد نصف نهار في القارب من أثينا تقع جزيرة

طاحونة هواء ذات أشرعة
من قنب تقف كالحارس فوق ميكونوس الساحرة.



ميكونوس، وهي تحفة فنية تفوق التصديق. ولئن كانت مساحتها لا تتجاوز ٧٣ كيلومترا مربعا، الا أنها من أكثر الجزر التي تشهد تنوّعا كبيرا في اجناس الناس الذين يؤمونها، وهي من أجل الجزر وأنشطها. وتكاد تكون سان تروبيه (الفرنسية) وقد تحولت الى منطقة يونانية.

وميناء ميكونوس،بما يحيطه من تلال حمراء جرداء واشجار صنوبرية نحيلة وطواحين هواء مسقوفة بالقش معمراوحها ذاتالاشرعةالقماشية، هو بمثابة ملحمة موسيقية بيضاء. فمنازله الالف والخمسمئة ذات الطبقتين طليت كلها بلون ابيض ناصع يجدّد مرتين سنويا. ولا يميز الواحد عن الآخر من تلك المنازل سوى ابوابها ونوافذها التي دهنت بالأزرق الشاحب أو الاحمر او الاخضر التفاحي. كذلك يبدو التفاوت واضحا بالمقارنة مع ارصفة مبلطة غمرتها الزهور وقباب زرق بلون السماء توجت سطوح كنائس المدينة ومعابدها التي يبلغ عددها ٣٦٥.

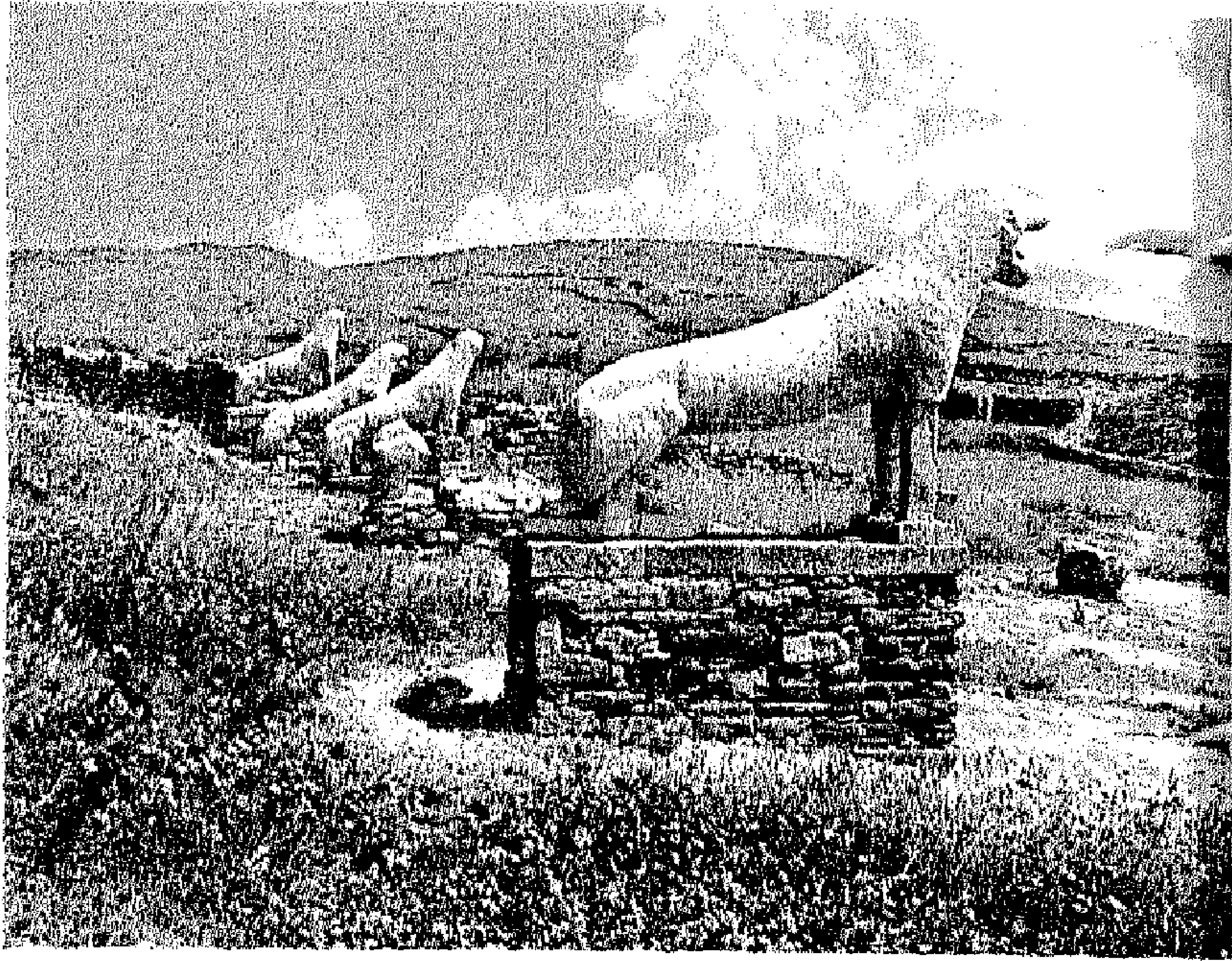
تجتذب ميكونوس - وكأنها منظر على خشبة مسرح - عددا هائلا من الزوار يبلغ ٣٥٠ ألفا في العام. وفي ذروة الموسم السياحي، يفوق عدد الزوار عدد سكان الجزيرة بنسبة ثلاثة أضعاف. ولكن ما الذي يفعله السياح؟

بعد نهار من السباحة واندباغ البشرة تحت اشعة الشمس، تهرع أفواج الزوار نحو الساحل فتغدو كل ليلة مهرجانا في مقاهي المرفأ وحاناته المكشوفة الكثيرة. انه استعراض مدهش، يضم عددا كبيرا من الناس. ومن هؤلاء من يلبس أحدث الازياء من تصميم كريستيان ديور، ومنهم من يلبس سراويل من قماش الدينم. وتتردد في الجو اصداء موسيقى الروك او انغام البوزوكي اليونانية على نمط زوربا اليوناني.

تلك هي ميكونوس الدنيوية التي لا يمكن ان يختلف عنها مكان آخر اكثر من اختلاف ديلوس التي لا تبعد سوى رحلة ساعة في القارب، ولكن تبدو كأنها مسافة سنة ضوئية. وجزيرة ديلوس، التي كانت في وقت من الاوقات اقدس جزر اليونان القديمة، باتت الان مهجورة يلفها السكون. وتذكر الاساطير انها مسقط رأس ابولو، إله الشمس ورب جميع الفنون الذي لا يضاهى جماله. وقد بلغت ديلوس عبر القرون مستوى رفيعا من الازدهار والرقي. وانتشر عابدو الشمس على أرض الجزيرة الجرداء التي تبلغ مساحتها خمسة كيلومترات مربعة، حيث أقاموا ثلاثة هياكل رائعة للأله ابولو ورواقا من الاعمدة الرخامية وتمثالا جبارا لإله الشمس يطل على الجزيرة بجلال ومهابة.

اجتاح ميثريداتيس، الملك المحارب من آسيا الصغرى، تلك الجزيرة عام ٨٨ قبل الميلاد وقتل سكانها العشرين ألفا. وكانت تلك نهاية ديلوس التي ظلت، بعد نهب رخامها، مهجورة طي النسيان قرابة الفي عام. وعندما اكتشفها عالم آثار فرنسي عام ١٨٧٢، كانت اعظم الآثار العريقة التي تم العثور عليها بعد بومبيي.

اما اليوم فليس في ديلوس شجرة



الأسود الرخامية الصامتة في ديلوس، جزيرة اليونان المقدسة.

جنوبا الى سانتوريني النائية، تلك الجزيرة الجميلة الحزينة. ولعلها أغرب الجزر واكثرها اثارة للدهشة واستفزازا للمشاعر. ولدى بزوغ الفجر، تبدو في البحر الحالك الزرقة كحصن هائل وقد ارتفعت خصورها العملاقة الفاحمة السواد الى ٣٠٤ امتار مثل متاريس اقامها جبابرة عتاة. ويسود في الجو شعور بخطر، بل بتوتر بدائي، يدخل الرعب في النفوس.

واحدة، بل مجرد ازهار برية وشوك حاد يخدش السيقان العارية، مع حرارة خانقة تبلغ ٤٦ درجة مئوية. وعلى اي حال، فقد كنت، وأنا اتجول في هذا القفر الذي لا يسكنه سوى قلة من الماعز العجاف، اتعثر بتلك الآثار التي تسري فيها ارواح من التاريخ. فهنا امتقع لون حجاره من اشعة الشمس ونمت بين ادراجه الثلاث والاربعين اعشاب بدت كأنها نظارة جاءت تشاهد مسرحية التاريخ. وهناك خمسة آسود نحتت في أفخر رخام اغريقي وقد توترت في أجسادها كل عضلة كأنما تبغي الوثوب لتصل الى سيدتها الشمس. ان ديلوس، في صمتها الغامض الذي لا تعكّره سوى اصوات مياه بحر أيجه، هي مكان يوحي بأحساس من المهابة.

أسطورة حية ــ وينقلك قارب بخاري

ان العيش على سانتوريني يعني في الواقع عيشا على بركان. فالجزيرة منذ القدم تخضع لاهواء الطبيعة الغاضبة كما لم تفعل منطقة اخرى في العالم. لقد غمرها البحر بوحشية، ثم قذفها من جديد. وهي عانت قبل ٣٥٠٠ عام اشد الكوارث التي حلت منذ أن وطئت قدم الانسان ارض هذا الكوكب. لقد ثار البركان ذات ليلة ومحق الحضارة المينوية التي كانت ارقى حضارات العالم. ويظن البعض ان سانتوريني ما هي الا جزيرة اطلنطيد المفقودة، التي دمرت في انفجار حدث في وسطها على اتساع ٨٠ كيلومترا مربعا، دوى هديره الهائل في منطقة البحر الابيض المتوسط كلها.

وذات صباح عقدت العزم على مشاهدة اطلنطيد عن كثب. فتوجهت الى قرية اكروتيري حيث راح علماء

الآثار، في واد سحيق مغطى بالرماد البركاني والحجار البركانية السوداء، يكشفون عن مدينة كاملة تعود الى عهد الحضارة المينوية التي ازدهرت بين عامي ٢٨٠٠ و١٥٠٠ قبل الميلاد. وهنا تحولت الاساطير الى واقع ملموس.

وسرت عبر شوارع مرصوفة بحجار الوادي احاطت بجوانبها منازل أنيقة من طبقتين او ثلاث، وتميزت بنوافذها الواسعة وساحاتها الرحبة وبمنافذ للتهوية تدل على براعة في التصميم. وفي مدينة العصر البرونزي هذه ورشات عمل ومخازن وحتى حمامات ومراحيض. ووجدتني أقف مشدوها أمام رقي المينويين.

لكن عذاب سانتوريني لم ينته. فقد ثار البركان مرة أخرى عام ١٩٥٦ ودمر المنازل. غير ان ارادة الناجين لا تقهر. وكما قال بتروس ديليندااس: "لم القلق؟ لقد أحسست انا نفسي بأكثر من الف ارتجاج".

سيناريو العصور الوسطى - ومن اطلنطيد المنكوبة انتقلت ليلا على متن باخرة الى رودس الباسمة، أكثر الجزر اليونانية خضرة وتقدما وحياة. وتقع هذه الجزيرة على بعد خمسة كيلومترات عن الساحل التركي، وتمتد على مساحة ١٤٠٠ كيلومتر مربع من الارض الخصبة المشمسة. ويؤم رودس سنويا نحو ٨٠٠ الف سائح، أي ما يعادل عشرة سياح مقابل كل شخص من سكان الجزيرة. وترى الزوار على امتداد كيلومترات من الشطآن الجميلة، يكاد الواحد منهم يلتصق بالآخر وكأنهم يقدمون شعائر الولاء الى ابولو، إله الشمس.

ان رودس جنة يحلم بها كل بستاني. وقد تشابكت فيها الانهار والجداول متعرجة كالشرايين بين مروج اكتنفتها الازهار والكروم التي تنتج افخر أنبذة اليونان. وتنمو على تربتها الصلصالية الخصبة ازهار الخبازى وكوب الماء والدفلى، بينما تزهر نبتات البوغنفيلية والسنط طوال العام. وامتلأت التلال والاودية ببساتين الليمون والمشمش وبمليون شجرة زيتون.

وعلى رغم ذلك كله، فان اعظم امجاد هذا الفردوس تكمن في مخلفات العصور الوسطى. فقد كانت رودس، بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، معقلا للصليبيين ومعسكرا منيعا لحملاتهم التي استهدفت استعادة الاراضي المقدسة (وظلت كذلك حتى العام ١٥٢٢ عندما تغلب سليمان الفاتح على الصليبيين فيها). ولا تزال ضمن اسوار عاصمة الجزيرة شواهد حية على القرون الوسطى. ففي المدينة القديمة متاريس تبلغ سماكة بعضها ١٤ مترا، تحميها خنادق شديدة الانحدار وجسور ضخمة متحركة. ولا تزال المدينة القديمة مأهولة وناشطة، كأنما العصور الوسطى باقية لم تنقرض. وفي تلك الازقة يجد الزائر حانوت خياط أو اسكافيا يقص الجلد او صائغا يصنع سلاسل من ذهب وفضة.

وراء الزمن - ان المفارقات في بحر ايجه لا نهاية لها. وبعد عودتي من رودس المكتظة الى سيمي الحبيبة، وجدت في الجزيرة اربعة عشر زائرا فقط، ووجدت سكانها الثلاثة آلاف يعيشون قرب ايالوس، الميناء البحري حيث لا يزال الرجال البارعون

في صيد الاسفنج يتوجهون بقواربهم الى عرض البحر. وما زالت طواحين الهواء في الجزيرة تطحن القمح، والنجارون يصنعون المراكب الشراعية. ان كل ما يدور هناك شريف ووادع الى ما لا نهاية.

ثمة صفاء بدائي محبب يكتنف سيمي المشمسة. ومع ذلك، فانك تجد لهذه الواجهة البسيطة الفتانة جانبا قاتما: لقد دمر النازيون مدينتي ايالوس وكوريو التوأمتين مرتين في الحرب العالمية الثانية. ويرى الصاعد الى قمة تل خوريو منازل مدمرة وأقواسا فينيسية محطمة. لكن معالم الخراب ليست كئيبة، بل تبدو وكأنها أعدت لاحتفال. فالجدران المتشققة المتصدعة امتلأت بالنبات المتسلق والعرائش، بينما ترعى قطعان الماعز بين الاطلال حيث يلعب الصبية. حقا ان الناجين في سيمي شديدو التفاؤل والقناعة.

ان سيمي، بالنسبة الي، تعني جزر اليونان. وهي، بشمسها الساطعة وهوائها المنعش، اكثر من ترياق. وكبقية الجزر، تعيش سيمي كنف الطبيعة بالقرب من قوى جبارة عاتية تكون احيانا فظة قاسية واحيانا لطيفة هادئة. لكن الانسان حوّلها الى يباب ايضا. ومع ذلك، فقد استعاد سكانها برباطة جأشهم نشاطهم بمقدار المثابرة والمرونة عينه الذي ابقى يوليسس في منجى من الاذى. وبين المرح والمأساة، تمكنت سيمي من الاستمرار في الحياة على رغم تلك التوترات التي جعلت جزر اليونان من أكثر الاماكن اثارة للاعجاب والتناقض في آن.

■ كريستوفر لوكاس



فن المزج

كان قريب لي يعمل خبيرا في الالوان في محل كبير. فسأله أحد الزبائن يوما عن الالوان الناتجة عن مزج كل من الاخضر والازرق، والاصفر والازرق، والاصفر والاخضر.

ولرغبته في أن يقدم رأيا دقيقا، سأله قريبي اذا كانت الاصباغ المستخدمة من الصنف البراق أو من صنف آخر.

فأجاب الزبون "لست رساما ايها الشاب، وكل ما اريده هو مزاوجة ببغاواتي".

ج.ك.

تأخرنا قليلا

كان الفيلد مارشال اللورد مونتغومري أحد القلائل الذين يحافظون على برودة اعصابهم عند التعامل مع سائقي سيارات الاجرة في لندن.

وعصر أحد الايام لوح المارشال بيده لاحدى سيارات الاجرة، وحين توقفت استقلها وقال للسائق: "واترلو".

فسأل السائق بصفاقة "المحطة؟" فأجاب المارشال وهو يلقي نظرة على ساعته: "بالتأكيد، فقد تأخرنا عن المعركة".

ج.ا.

الوسائد الهوائية هل تقلل ضحايا حوادث السير؟

تتزايد حوادث السيارات وتتفاقم نتائجها باطراد مما يدفع المسؤولين الحكوميين واصحاب شركات السيارات الى العمل على تطوير وسائل فعالة لضمان سلامة الركاب. ويجري حالياً في الولايات المتحدة استخدام الوسائد الهوائية في السيارات بعد سلسلة اختبارات بشرت بفعالية اكيدة. فهل تكون الوسادة الهوائية هي المنقذ؟

استمر الجدل العنيف طوال عشر سنين حول الوسائد الهوائية، وهي الوسائد التي تنفخ اوتوماتيكياً لاحتجاز ركاب السيارات في اماكنهم وحمايتهم لدى حدوث اي اصطدام. وكانت هذه الوسائد موضعاً للثناء والتبني تارة وللانتقاد والالغاء طوراً، في غمار ارتباك وتأرجح لا نهاية لهما.

ولن يعتم الامر حتى تصبح هذه الوسائد امراً راهناً، ما لم يطرأ هناك تأجيل آخر. فقد تقرر اعتمادها في الولايات المتحدة ابتداء من خريف ١٩٨١ بمقتضى تشريع اتحادي. وعلى رغم معارضة النقاد الصارخة. وسيركب هذا الجهاز في آلاف السيارات الكبيرة الجديدة، على ان يدخل تدريجاً على السيارات الاصغر حجماً الى ان يغدو، بعد ثلاث سنوات، من التجهيزات الالزامية في ملايين السيارات الجديدة.

وثمة حقائق ثلاث تكمن وراء هذا الجدل المرير:

١٠ يزعم انصار الوسائد الهوائية انها كفيلة بتوفير درجة عالية من الامان للركاب في المقاعد الأمامية. الا أن هناك نقصاً ملحوظاً في المعلومات التي تدعم هذا الافتراض. والحقيقة البسيطة الاليمة هي ان الحكومة فرضت هذه الوسائد من دون اجراء اختبارات كافية للتثبت من فعاليتها.

وظل خبراء الأمان من الدوائر الصناعية والجامعية يناشدون البيروقراطيين في العامين ١٩٧٦و١٩٧٧ ألا يجعلوا هذه الوسائد الزامية قبل ان تتوافر المعلومات الكافية عنها وذلك من خلال تجارب القيادة على الطرق الكبرى. لكن هذه الالتماسات كلها قوبلت بالرفض.

٢. صممت الوسائد الهوائية كي تعمل في حالات الاصطدامات الأمامية أو شبه الأمامية، لكنها تكاد لا توفر أي حماية في حوادث الاصطدام الجانبي أو الخلفي أو في الانقلاب أو الحوادث التي تقع في السرعات المنخفضة. وهذه كلها تمثل نحو نصف الحوادث المميتة التي تقع سنوياً على طرق الولايات المتحدة الامريكية، والتي يبلغ عددها نحو ٥٠ الف حادث. كما ان ثماني اصابات من كل عشر تعود الى أمثال هذه الحوادث.

٣. يعترف موظفو النقل الرسميون بأن استخدام أحزمة الكتف يكفل، بالنسبة الى مختلف أنواع الحوادث، مقداراً من الحماية يفوق ما تكفله الوسائد الهوائية وحدها. وان تلك الاحزمة تعادل في فعاليتها وسائد الهواء وأحزمة الحِجْر مجتمعة. وعلى ذلك، فمن الضروري استكمال درجة الوقاية الراهنة بحمل ركاب السيارات المزودة بالوسائد الهوائية على استخدام أحزمة الحجر أيضاً.

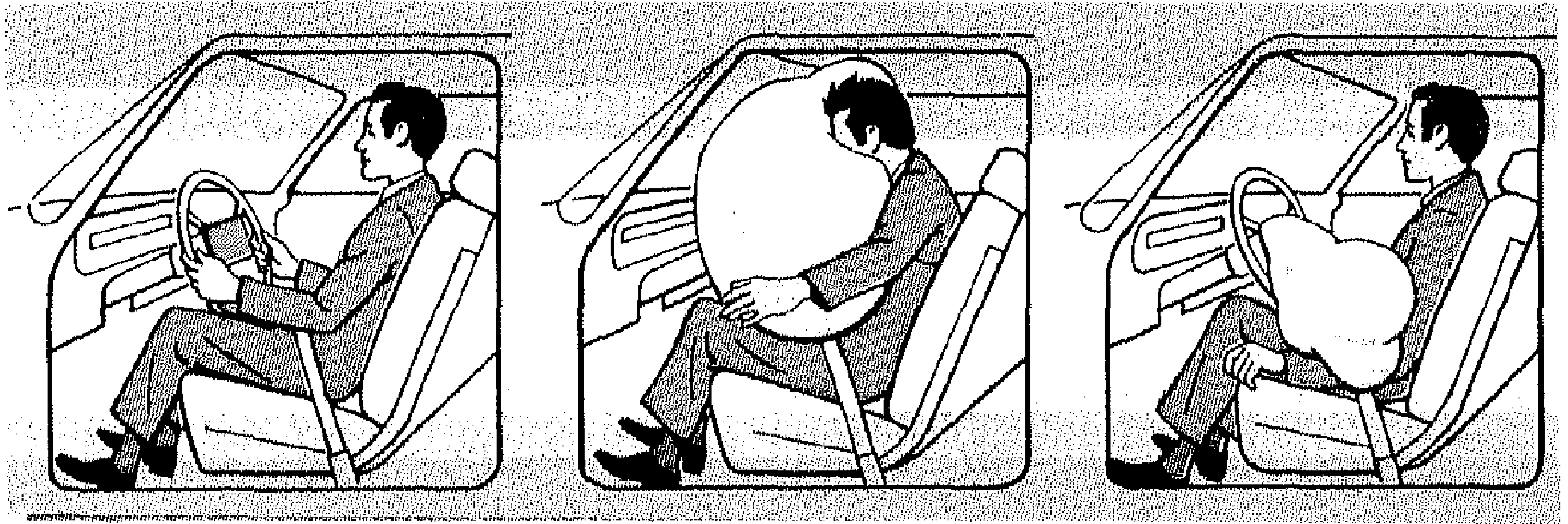
فلماذا نرى، اذاً، ادارة امن المرور على الطرق الكبرى، التابعة لمصلحة النقل في الولايات المتحدة، تمارس كل هذا الضغط لفرض الوسائد الهوائية؟ السبب، بحسب قول الادارة، هو أن راكباً واحداً فقط من كل سبعة ركاب يستخدم حزام مقعده. ولذا فقد بات من الضروري توفير نظام أوتوماتيكي لحماية هؤلاء الركاب. فالوسائد الهوائية تؤدي دور "الكبح السلبي"، أي أنها تعمل تلقائياً من دون اي تدخل من جانب السائق أو الركاب.

وقاية فورية ـ تؤدي الوسائد عملها على النحو الآتي: في مقدم السيارة اجهزة استشعار الكترونية مبرمجة بحيث تستجيب للقوى أو الصدمات التي تتجاوز سرعتها العشرين كيلومتراً في الساعة. وتصدر عندئذ اشارات كهربائية الى جهازين خاصين يحتويان على وسادتي هواء فارغتين ومطويتين، احد الجهازين في عمود القيادة والآخر في لوحة اجهزة القياس امام الراكب المجاور للسائق. ولدى صدور الاشارة تشتعل حمولتان، وزن كل منهما رطل واحد (٤٥٣ غراماً). من أزيد الصوديوم الذي يحترق بسرعة فورية ليتحول الى غاز النيتروجين غير المؤذي الذي يملأ

الوسادتين في أقل من عشر الثانية. وبمجرد اتمام وقاية الراكبين من الاندفاع أماماً والاصطدام بعجلة القيادة او بلوحة اجهزة القياس يجري تفريغ الوسادتين من الغاز تلقائياً.

وقد بدأ الاقبال على استخدام الوسائد الهوائية في أواخر الستينات، بعد ان اقر الكونغرس الامريكي قانوناً يفوض الى وزير

قاعدة للتنفيذ، اذ انه يحدد الهدف ويتيح للمنتجين اختيار الوسائل الكفيلة بتحقيقه. فهناك اختياران متاحان في هذا الصدد: الوسائد الهوائية والأحزمة الاوتوماتيكية التي تحيط بالنصف الاعلى من الجسم (أي الكتف والحجر) كالتي زودت بها بعض سيارات فولكسفاغن من طراز "رابيت" ابتداء من ١٩٧٥ وبعض



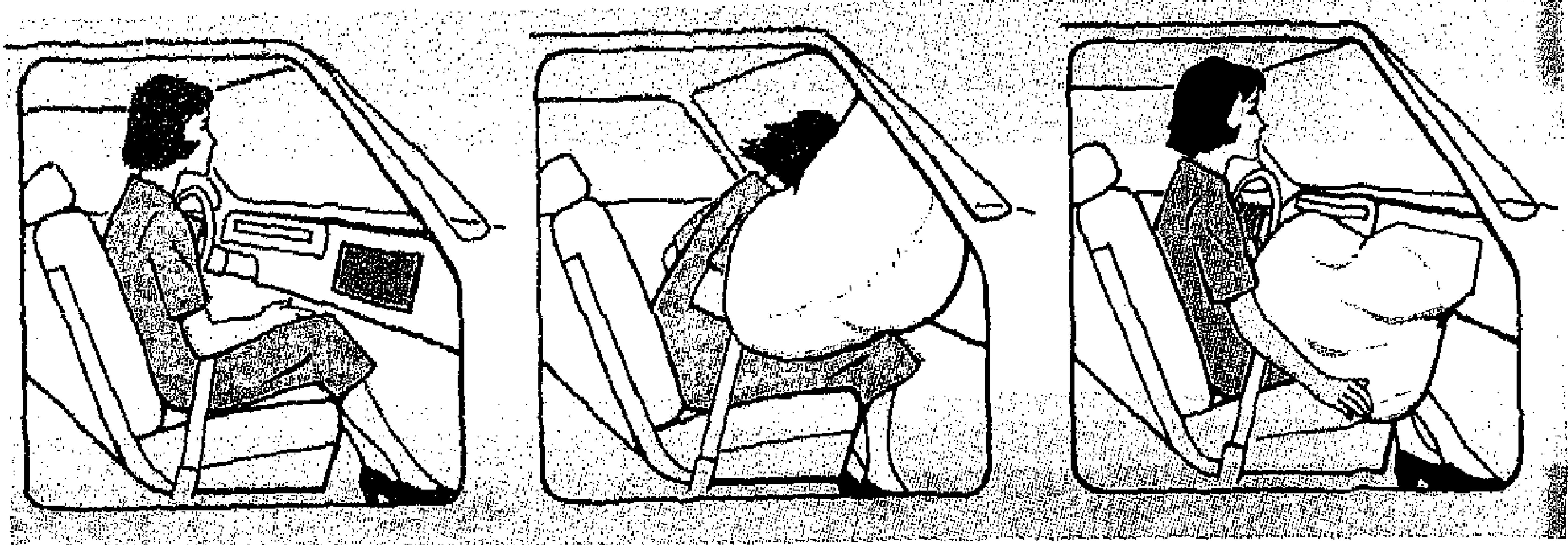
عند حدوث اصطدام امامي تنطلق اشارات كهربائية تشعل علبة مليئة بأزيد الصوديوم في عمود القيادة فتتحول هذه المادة الكيميائية فوراً الى غاز النيتروجين الذي يملأ وسادة هوائية تنتفخ وتحول دون اندفاع السائق الى الامام.

النقل وضع قواعد الأمان التي يجب ان يلتزم بها منتجو السيارات. وسعى موظفو وزارة النقل في السبعينات الى حل المشكلات وسبر الاحتمالات الخاصة بالوسائد الهوائية باعتبارها جزءاً من قواعد الامان هذه. وأخيراً، قرر بروك آدامز الذي كان وزيراً للنقل آنذاك في العام ١٩٧٧، ان يجعل الواقيات الاوتوماتيكية الزامية في السيارات التي يتم انتاجها بعد ٣١ اغسطس (آب) ١٩٨١.

ويمثل الالزام الذي فرضه آدامز

سيارات شيفروليه من انتاج ١٩٧٩. والعيب في هذه الاحزمة هو أنها، لأسباب ميكانيكية، مقتصرة على السيارات ذات المقعدين المنفصلين في الامام.

وهناك نقص آخر يشوب الأحزمة الاوتوماتيكية. ذلك ان تصميم هذه الاحزمة يجب ان يتم على نحو ييسر تحرر الركاب من حطام السيارة. فهناك عدد كبير منها يمكن فكه في أي وقت ووضعه جانباً اذا ما رأى الركاب في هذه الأحزمة مصدر



هناك وسادة هوائية اخرى مركبة في لوحة اجهزة القياس امام الراكب المجاور للسائق. وكلتا الوسادتين مصنوعتان من مادة مسامية تسمح بسرعة تفريغها من الغاز فتمنع الارتداد الخطر عن الوسادتين. ولضمان الحد الاقصى من الحماية ينبغي استخدام احزمة الحجز ايضاً.

ازعاج. أما الوسائد الهوائية فهي معدة للوقاية السلبية ولا يمكن فكها بسهولة، وانه يمكن تركيبها في جميع السيارات.

حماسة وارتياب - نأتي الآن الى صميم المسألة، فنتساءل عما هي امكانات الوسائد الهوائية في انقاذ حياة الركاب.

لا أحد يعرف هذه الامكانات على وجه التحقيق. فمن المعلوم ان اختبار أجهزة الامان في السيارات يجري اما من خلال القيادة على الطرق الكبرى واما من خلال التجارب في المختبرات. وقد أظهر هذان النوعان من الاختبارات بعض النواقص في الوسائد الهوائية.

ففي أوائل السبعينات تطوعت شركات جنرال موتورز وفورد وفولفو فزودت ١٢،١٨٧ سيارة بالوسائد الهوائية. وقد وقع لهذه السيارات ٣٦٩ حادثاً معروفاً في شهر أغسطس (آب) ١٩٧٩. وفي حوادث التحطم الـ ٢٢٨ التي عملت فيها الوسائد الهوائية وقعت ٦ حالات وفاة. وتقدر ادارة أمن المرور انه لولا الوسائد الهوائية لبلغ عدد حالات الوفاة ١١ حالة. لكن ادارة أمن المرور نفسها تحذر من ان صغر حجم العينة يجعل الأرقام المستمدة منها تنطوي على "احتمالات تترك مجالا كبيراً للشك من الناحية الاحصائية".

وعلى رغم الاعتراف بقلة المعلومات المستمدة من التجربة الواقعية، الا ان وزير النقل ومديرة ادارة أمن المرور اكدا أن افتراضاتهما عن فعالية الوسائد الهوائية تدعمها النتائج المستمدة من تمثيل حوادث الاصطدام وغير ذلك من تجارب المختبرات التي أجريت على مدى السنين العشر الماضية. واستناداً الى هذه الدراسات قدرت ادارة أمن المرور عام ١٩٧٧ أن الجمع بين الوسائد الهوائية والأحزمة الاوتوماتيكية من شأنه انقاذ حياة تسعة آلاف شخص كل عام، وهو دون رقم العشرين الفاً الذي قدمته مصلحة المواصلات الى الكونغرس عام ١٩٧٠.

وقد قضى عدد من محققي المكتب المستقل للمحاسبة العامة أخيراً ما يزيد على سنة في البحث عن الحقيقة في ما يتعلق بموضوع الوسائد الهوائية. وانتهوا من ذلك الى تقرير يشكك في مزاعم ادارة أمن المرور المؤيدة للوسائد الهوائية ويؤدي الى نتيجة فحواها أن ادارة أمن المرور كانت تمارس عملها الحكومي اعتماداً على التخمين. وحدد محققو المكتب المستقل للمحاسبة العامة نواحي النقص الآتية في احصاءات ادارة أمن المرور:

– إن مزايا الوسادة الهوائية مستمدة من تجارب أجريت في المختبر وتمثل صوراً بالغة التبسيط للحوادث التي تقع فعلا.

– إن النتائج التي انتهت اليها ادارة أمن المرور تستند الى أحكام ذاتية. وباستثناء حالات الاصطدام الأمامي الكامل فان أرقامها المتعلقة بجميع أنواع الحوادث الأخرى هي، كما يقول أحد مهندسي ادارة أمن المرور ذاتها، "لا يُعتمد عليها لأننا غير واثقين من جميع بيانات الاختبار".

– إن زعم ادارة أمن المرور انقاذ ٩٠٠٠حياة سنوياً عُرض على فريق عمل لاختبار بياناته، فأبى الفريق اعتماد هذا التقدير.

وقد اعترض أعضاء الكونغرس أيضاً على نتائج تجارب المختبرات التي اجرتها ادارة أمن المرور. واستمرت مديرة ادارة أمن المرور، طوال عامين وهي تمنى بالفشل في المعارك التي تخوضها كي تحول دون موافقة الكونغرس على تعديلات تدل على مشاعر النواب السلبية تجاه الموضوع.

كلفة باهظة – على رغم التشكك في فعالية الوسائد الهوائية، الا ان المستهلكين الامريكيين قد يرغمون على دفع مليارات الدولارات ثمناً للواقيات الأوتوماتيكية على مدى العقد المقبل. واذا كانت كلفة الأحزمة الاوتوماتيكية مئة دولار أو أقل من ذلك قليلا لكل سيارة، فان كلفة الوسائد الهوائية تزيد على ذلك كثيراً.

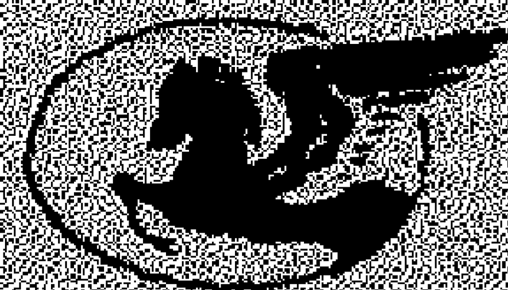
ففي العام ١٩٧٧، عندما أرادت ادارة أمن المرور تبرير قرارها بفرض الواقيات الأوتوماتيكية، ذكرت أن ثمن الوسائد الهوائية هو ١١٢ دولاراً للسيارة الواحدة. إلا ان هذه الادارة بدأت تتحدث عام ١٩٧٩ عن كلفة تبلغ ٣٣٣ دولاراً للسيارة الواحدة. أما شركة جنرال موتورز فتقدر هذه الكلفة بما يراوح بين ٥٠٩ دولارات و٥٨١ دولاراً، علماً بان الثمن الذي سيدفعه المستهلك لم يحدد بعد. وتقول شركة فورد انها تقدر الكلفة بمبلغ قد يصل الى ٨٢٨ دولاراً عام ١٩٨٢.

ومع أن ادارة أمن المرور ومنتجي السيارات يختلفون على التكاليف، إلا أنهم يتفقون جميعاً على أن كلفة استبدال الوسادة المستعملة تفوق كلفة الوسادة الأصلية بمقدار ضعفين ونصف ضعف، ولن تقل عن مبلغ يراوح بين ٧٥٠ دولاراً و١٠٠٠ دولار. وربما امكنت تغطية تكاليف استبدال الوسائد الهوائية باضافة زيادة صغيرة الى أقساط التأمين.

آب (اغسطس) ١٩٨٠ - رمضان - شوال ١٤٠٠

المختار

من ريدرز دايجست



وفروا ٥٠٪

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٥٠٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٤٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٢٠٠م - ليبيا ٢٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٤د - الجزائر ٥د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا واميركا الشمالية ٢$.

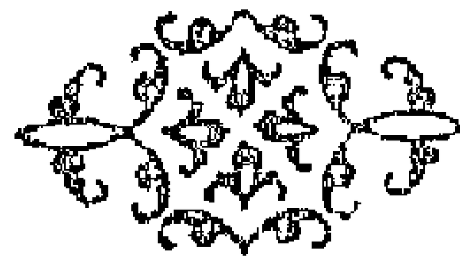
وللتخفيف من قلق المستهلكين إزاء هذه الكلفة الباهظة راحت إدارة أمن المرور تؤكد لأصحاب السيارات أن الواقيات الأوتوماتيكية كفيلة بانقاذ حياة الناس والحدّ من الاصابات، مما يؤدي الى انخفاض متطلبات التأمين واقساطه. وتقول الادارة: "إن هذا سيعني ان الكلفةالاولية للواقيات الأوتوماتيكية سوف تُسترد مرتين أو ثلاثاً على شكل توفير في أقساط التأمين طوال عمر السيارة الواحدة".

غير أن أقصى ما وعدت به اي شركة تأمين في مجال خفض الأقساط بالنسبة الى السيارات المزودة بالوسائد الهوائية لم يزد على الثلاثين دولاراً في العام. وان سجلات المتطلبات الفعلية، وليس مجرد التنبؤات، هي التي ستحدد في النهاية قيمة اقساط التأمين.

وقبل أن تفرض الحكومة على المستهلكين دفع هذه التكاليف الاضافية ينبغي لها أن تفصل في السؤال الجوهري المتعلق بعدد الاشخاص الذين ينتظر أن تنقذ هذه الوسائد حياتهم.

ان الحصول على أدلة قوية ومقنعة يقتضي ادخال الوسائد الهوائية على عدد كبير من السيارات كي يتسنى قياس مدى فعاليتها. وعندئذ فقط يعقل اتخاذ قرار في صدد فرض هذه الوسائد الهوائية.

■ ايرل وميريام سيلبي



النظرية والواقع

من اجل معالجة غيرة ابنتي البالغة من العمر سنتين ونصف سنة من اختها المولودة حديثاً، اتبعت ارشادات احد الكتب في علم نفس الطفل. فاذا عانقت اختها على نحو خانق، ناولتها لعبة وقلت لها: "خذي هذه ومثلي عواطفك تجاه اختك الطفلة معها".

وبالنسبة الى الكتاب، كان على ابنتي الكبرى ان تعانق اللعبة بدلا من معانقة الصغيرة. لكنها، بكل ابتهاج، توجهت نحو الطفلة وضربتها باللعبة على رأسها.

ج.ب.

حافلة سيدنا نوح

في ساعة ازدحام ماطرة، لم يكف سائق حافلة عمومية عن التوقف للركاب. وعند كل موقف كان يقول للركاب: "الرجاء ان تذهبوا الى مؤخر الحافلة لأن هناك ركاباً آخرين يريدون الصعود واتقاء المطر". وكاد احد الركاب ان يختنق من شدة الزحام. فصرخ قائلا: "يا سيدي، هذه حافلة فقط. انها ليست فلك سيدنا نوح".

م.و.

صور من الحياة



القبضة الملكية

في سيرتها الذاتية التي نشرت اخيرا، وصفت مارغريت ترودو لقاءها الملكة البريطانية اليزابيت يوم كانت الاولى زوجة لرئيس وزراء كندا بيار ترودو:

"كنت ارتدي ثوبا جديدا، شديد الاناقة، وحذاء ذا كعب عال جدا. وكنت عصبية الى اقصى حد. ولما انحنيت انحناءة شديدة لتحية الملكة، وضح لكل منا انه لن يكون في استطاعتي النهوض وحدي. ومن دون ان تغير الملكة تعبير وجهها، شدت قبضتها اليمنى بكل قوتها ورفعتني حتى اعتدلت بقبضة حديدية، فيما كانت هي تبتسم طوال الوقت".

كتاب "ما وراء العقل"

الام تلميذة الابنة

اليسيا الونسو، الراقصة الاولى في فرقة الباليه الكوبية القومية، ولدت في كوبا ودرست الباليه في الولايات المتحدة. ولا تزال حتى اليوم، وهي في الثامنة والخمسين، طالبة تتلقى كل صباح درسا خاصا على يد ابنتها لورا ذات التسعة والثلاثين عاما ومعلمة الباليه في الفرقة.

وتصحح لورا اخطاء اليسيا كما لو كانت راقصة مبتدئة: "لا تبطئي حركة هذه الركبة. إنك تحركين هذا الفخذ بعيدا. لا تكبحي حركتك في هذه القفزة الكبرى، فاني اريد ان ارى اندفاعة حقيقية في الفضاء".

وتلخص لورا الامر بقولها: "في الصف هي راقصة، وانا اخبرها بما يجب ان تفعله. اما خارج الدرس فهي امي، وانا افعل ما تأمرني به".

و.ت.

الحب الاعمى

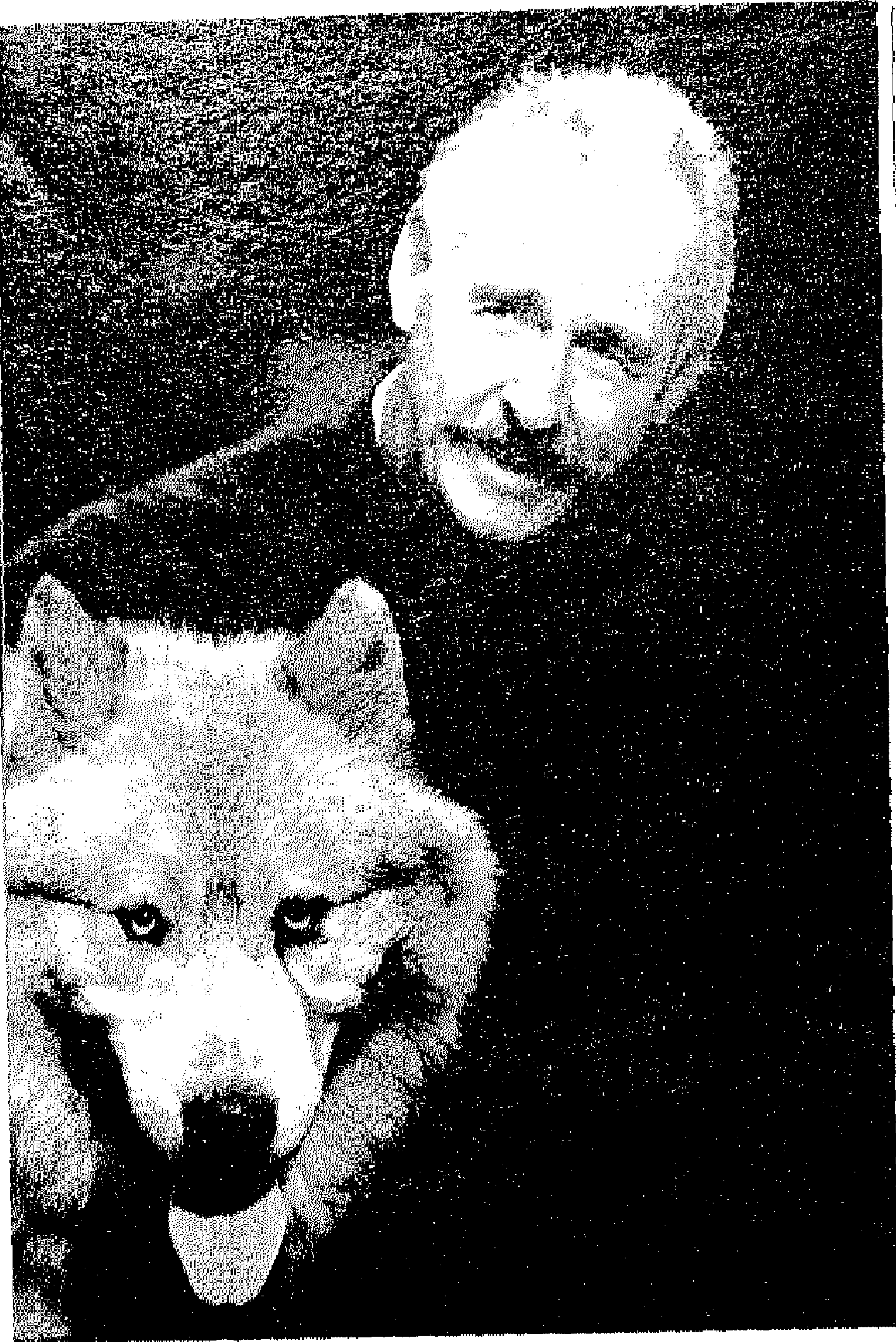
في خزانة ملابسي ثوب بال قديم الطراز، اهداه الي زوجي في عيد رأس السنة قبل عشرة اعوام. واتذكر اليوم كيف انتفضت آنذاك لدى رؤيتي العلامة الدالة على قياس الثوب. فقد كنت ارتدي قياسا اكبر بثلاثة ارقام.

وعلى رغم خيبتي، فلم اشأ افساد مناسبة العيد على زوجي، وسألته: "كيف تعرف القياس الذي يناسبني؟" فقال: "هذا امر بسيط. فاني ابحث عن احدى البائعات التي تبدو في مثل قوامك واطلب القياس الذي ترتديه".

وبعد العيد قصصت خلسة قطعة كبيرة من قماش الجزء الاسفل الوفير ووسعت به الثوب. واضفت قطع قماش مزركشة لاخفاء اماكن القص والوصل الجديدة.

وارتديت الثوب حتى رث. وكرهت ان اتخلى عنه لانه كان يذكرني دائما بهدية زوجي الحقيقية في اول تلك السنة، وهي ادراك المعنى الحقيقي للمثل القائل: "الحب اعمى". فحب زوجي لي جعله يراني اكثر رشاقة.

ك.ك.



رجل قد استبدت
به فكرة جليلة
فأقدم على ما ينبغي
فعله لإنقاذ ما تبقى
من ذئاب أسطورية

رَجل الذئاب

الراجح انه ليس هناك رجل اشد تفانياً على استمرار جنس الذئاب من جاك لينش الذي أمضى ١٩ عاماً في العناية بهذه الحيوانات الرائعة وحراستها، بل في العيش معها٠ وهو لا يزال يقيم مع ٩٨ ذئباً فوق رقعة أرض مسيجة في شبه جزيرة أولمبيا ضمن ولاية واشنطن٠

لينش في السادسة والخمسين من عمره٠ واهتمامه باستمرار أشهر ذئاب امريكا الشمالية – واسمها "لوبو" – يكاد يبلغ حد الحماسة المفرطة٠ وكلمة "لوبو" اسبانية الاصل، وهي تعني الذئب٠ وتعرف هذه الحيوانات كذلك باسم "ذئاب الجاموس"، نظراً الى افتراسها الجواميس٠

وتضم مجموعة لينش ٧٢ من ذئاب

الجاموس. وهي، في الحقيقة، البقية الباقية من هذه الفصيلة التي انقطعت اخبارها الاكيدة منذ نحو نصف قرن. اما بالنسبة الى الانواع الاخرى. فهناك بضع مئات من ذئاب الغاب التي تعيش آمنة ضمن بقاع مسيجة شمال ولايتي ميتشغان ومينيسوتا. كما ترد بين الحين والآخر أنباء تتحدث عن مشاهدة ذئاب في القطاع الشمالي من منطقة جبال "روكي". ويحتمل أن يكون هناك ايضاً عدد، ولكن ضئيل جداً، من الذئاب الحمر في المناطق الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة.

ضحى لينش عبر السنين الطويلة بأغلب الكماليات والضروريات التي تعد من الامور المألوفة في حياة الانسان، وكلف نفسه العمل المجهد، وكابد في سبيل الذئاب مشاق كثيرة حتى أضناه التعب وأضحى في حال الاجهاد المزمن. فالى جانب مشاقه المستمرة في دق الاوتاد والتسييج وجرف الاوساخ والتطبيب والبحث عن المال والفوز برضا مفتشي الحكومة، هناك مشكلات الغذاء التي لا بد من تدبرها، خصوصاً لان الذئب، اذا بلغ، يحتاج الى ما يراوح بين ١٥ و١٨ كيلوغراماً من اللحم النيء كل اسبوع كي يظل في حال صحية سليمة.

ولانه قلما ملك من المال ما يسد به رمق الذئاب، فقد بذل لينش كل ما في وسعه للبحث عن اللحوم في المسالخ والمزارع والمراعي وفي كل مكان آخر يحتمل ان تنفق فيه الماشية، خصوصاً في الطرق حيث تدهم السيارات والناقلات البرية الغزلان وسواها من الحيوانات فتقتلها. وسواء عنده ان انفتحت السموات او تفجرت نار الجحيم أو حل الطوفان أو اثيرت عليه المحاكم او جابهته قضية الطلاق من زوجته او جاءه الدائنون من كل صوب، بل سواء عنده ان قصم ظهره او اصابه زكام شديد. فقد تحتم عليه أن ينقل الى ذئابه نحو طن من اللحوم كل اسبوع.

الرجل المناسب - لبى لينش نداء مهنته باسلوب غريب الى حد ما. وهو في الاصل من ولاية ايلينوي، ومن قدامى المحاربين في الحرب العالمية الثانية. وقد تخصص في الطيران فوق المناطق غير المأهولة والممرات الجوية غير المطروقة، كذلك في اعمال الهدم والنسف. وعمل في المكسيك في مجال التنقيب، ثم استقر في مدينة ميلووكي الامريكية (ولاية ويسكونسن) حيث عمل في مؤسسة للبناء.

غير انه، كعادته، بقي ضجراً متململا يبحث عن حوافز تثيره حتى شرع في تدريب كلاب المزالج وتنظيم سباقات تزلج بواسطتها. وكان أن وقع نظره ذات يوم من ١٩٦٠ على مقال في احدى المجلات عن رجل اسمه ماكليري، يحمل شهادة دكتوراه ويعمل في تربية ذئاب اللوبو في ولاية بنسلفانيا. وخشي ماكليري أن تباد الذئاب على نحو تام في جميع المقاطعات الغربية من الولايات المتحدة، فأقدم، في عشرينات القرن الحالي، على شراء ٢٥ ذئباً من أسراب مختلفة صيدت حية، وأمر بشحنها اليه. وكان معظمها من ذئاب اللوبو الاصيلة، وهي نوع نادر كان محتوماً ان ينقرض من البراري في اواخر

الثلاثينات. وذكرت المجلة ان تلك الذئاب تعيش الآن في مزرعة خارج بلدة كين في بنسلفانيا. ويقول لينش: "لا أستطيع تفسير الدافع الذي حداني على طلب المعرفة حول هذا الامر. ولذلك طلبت اجازة من العمل وانطلقت بسيارتي نحو كين".

كان ماكليري يناهز الثالثة والتسعين حين جاء لينش فوجده معدماً، عليل الصحة، واهن الهمة، يتناهشه القلق ازاء ما سيحل باللوبو بعد رحيله عن هذه الدنيا. ويقول لينش عن أثر ذلك اللقاء في نفسه: "أيقنت، خلال الدقائق الخمس الاولى، ان الاعتناء بالذئاب سيعطي حياتي بعض المعنى. اني لم أر قط في حياتي حيواناً او انساناً حرك وجداني مثلما فعلت الذئاب".

وعاد لينش الى ميلووكي وباع املاكه واستقال من وظيفته، وانتقل عام ١٩٦١ الى بنسلفانيا حيث اشترى جزءاً من اراضي مزرعة ماكليري وذئابه الاثنين والثلاثين كلها بثمن الف دولار للرأس الواحد. وهو يقول معلقاً: "لم أكن أعرف شيئاً عن الذئاب. وبلغت حماقتي حداً لم اعلم معه مدى جهلي".

لكنه سرعان ما تعلم. فلم تنقض ثلاثة أسابيع حتى وجد لينش ان احد ذكور الذئاب - واسمه سابر ووزنه تسعون كيلوغراماً - بدأ يوسع بأسنانه فتحة في السياج الذي يطوق حظيرته. وفي ذلك يقول:

"لم اواجه من قبل متاعب من هذا القبيل، بل كدت اجزم اني اتعامل مع فصيلة من الكلاب الكبيرة. ولهذا دخلت حرمة الحظيرة وباشرت اصلاح السياج من غير تحية سابر.

"وعلى حين غرة انقض الذئب على كتفي وطرحني ارضاً. ووضع ساقي بين فكيه الضخمين اللذين يقضمان حتى ظهر الجاموس، وراح يجرني في انحاء الحظيرة. لكني كنت واعياً ما فيه الكفاية لاكف عن محاولة الصراع معه. وبقيت اسمعه حلو الكلام وأطري خصاله الى ان اغمي علي. ولما افقت بعد دقائق وجدتني خارج بوابة الحظيرة. ولا شك عندي في انه اطلق سراحي، وان انقضاضه لم يكن هجوماً حقيقياً بل امتحاناً يختبر به محتدي او طريقتي في الرد عليه. وما ان هدأ روعي حتى توجهت الى البيت وأخبرت ماكليري بما حصل. فبدا لي انه سر بالنبأ. ثم قال: "يبدو اني وجدت الرجل المناسب".

الملجأ الوطني الفذ - أجفل لينش ظهيرة احد الايام حين عوت الذئاب كلها دفعة واحدة طوال عشرين دقيقة او أكثر، على نحو لم يسمعه سابقاً أو لاحقاً. لقد توفي الدكتور ماكليري! وكان ذلك بعد مرور قرابة ثلاثة اشهر على الحادث الذي وقع مع الذئب سابر.

ومع الايام غدا لينش، بحكم عمله، الحارس المؤتمن على صندوق حفظ الجينات (الجزيئات الوراثية) لنوع نادر من الذئاب. وقدرت مصلحة رعاية الاسماك والحياة الطبيعية في الولايات المتحدة أعماله، فأطلقت على مزرعته اسم "الثروة الوطنية الفريدة" وكان وحده معين السرب والداعية له وحاميه وسط العالم الخارجي.

لم تتوقف رحى الكد والكدح عن

الدوران منذ اللحظة الاولى التي تولى لينش مسؤولياته نحو الذئاب. وفي العام ١٩٧١، عقد العزم على نقل ذئابه الى ملاذ أنسب لسربه. ووقع اختياره على قطعة أرض مشجرة في محاذاة عدد من المزارع، مما يسهل له الحصول على اللحم ونقله.

وبرهنت الايام فعلا عن حسن اختياره لهذا الموقع. وراح لينش يعد الحظائر لذئابه ويحرص على نظافتها الى حد كبير. والحق ان الذئاب بدت متينة الجسم، مفعمة بالنشاط، وقد ارتفعت نسبة توالدها. وما حالها الممتازة تلك سوى دليل على انها عاشت في كنف رجل نشط، دؤوب على العناية بها.

ويبدو ان الذئاب، بطريقتها الخاصة، اعترفت بأفعال لينش الحميدة نحوها. ولما كانت مراتب السلطة في أنظمة السرب الصارمة تتوّج بما يسميه علماء النفس السلوكيون "مرتبة الذئب - أ" (الاول) فقد سمحت الذئاب للينش بأن يصبح الذكر الاول بينها.

الذئب الفخري - رافقت لينش ذات صباح في جولاته التفقدية بين الذئاب. واتضحت لي طبيعة وضعه وأهميته حين دلفنا من البوابة الرئيسية الى رقعة الارض التي تحتلها الذئاب، وهي أرض مسيجة كثيفة الاشجار، تبلغ مساحتها اربعة هكتارات.

ورحنا نسير في الممر الاوسط ورأينا الحيوانات تندفع من ادغالها وعرائنها نحو أسيجة حظائرها المنفصلة، وعددها ثلاثون حظيرة. ولم تبدر منها اي علامة تدل على انها عدائية الموقف، أو أنها كالاسيرة ارتاعت لمرأى سجانها فانكمشت خوفاً أو هجمت تحدياً للنيل منه. بل بدا لي ان مزاجها شبيه بمزاج حشد من الناس الطيبين الذين تجمعوا لتحية شخصية مرموقة كرئيس طائفة او رئيس دولة.

وكان لينش يدخل حظيرة هنا وأخرى هناك ليعانق - ان صح التعبير - المعجبين به. وتوقف في احداها ليحك جلد ذئب ذكر ويزيل عنه بعضاً من شعر الشتاء. وراح يداعبه كأنما يذكره بحال فروته المؤسفة التي تساقط نصفها بفعل الموسم. ومشت نحوه ذئبة هرمة ببطء وبياس في قوائمها التي تؤلمها بسبب التهاب المفاصل، فأخذ لينش يدلك سيقانها بلطف. ثم استدار نحو لاموكس، وهو ذكر من فصيلة اللوبو وزنه ثمانون كيلوغراماً ويعد الاول بين سربه، وأخذ يتصارع معه ويلاعبه بخشونة. ويقول لينش: "ليست هناك طريقةمثالية واحدة للنجاح مع الذئاب. فهي فردية النزعات، وينبغي التعامل مع كل منها باسلوب مختلف".

وفي نهاية ارض الذئاب ووسط أجمة كثيفة من اشجار الارز حظيرة يسكن فيها لوبي، الذئب الكبير الممشوق، ومعه رفيقته الصغيرة اللعوب التي راحت تقفز بحيوية وحماسة كي تلفت لينش وتفوز بمداعبته. الا ان لوبي حال بينها وبين الباب، معترضاً طريقنا اليها، وأخذ يهر مهدداً وقد انتصب شعر عرفه كاشفاً عن انيابه المخيفة وهو يزمجر. وقال لينش: "انه غيور جداً.

الا ان بعض ازواج الذئاب لا ينزع كثيراً الى الاستئثار برفيقاته. لكن لوبي في مأزق الرجل الطاعن في السن الذي يتزوج بفتاة صغيرة غير متحفظة!" ثم وجه لينش كلامه الى الذئب قائلا: "انا لا احب هذا يا لوبي!".

وكانت كلماته صارمة، لكن صوته خلا من اي أثر للغضب او نفاد الصبر. وأردف لينش بصوت خفيض: "في امكان الذئاب ان تقبل بالنظام والتأديب، لانها حيوانات اجتماعية منضبطة بطبيعتها. غير انها قد تشعر بالاهانة او الاذلال، واذ ذاك ربما أصبحت مؤذية. وهذا تلعمته من دروس قاسية".

تلقى لينش فعلا بضع عضات خطرة، لكنها نتجت، كما يقول، من اسباب وجيهة بعدما انتهك، جهلا او نزقاً، المحرمات او الاحكام الاجتماعية في شريعة الذئاب.

واستمر لوبي في هريره. الا انه سمح للينش بان يربته بضع مرات، ولكن باحترام شديد، وان يلعب من بعد قليلا مع رفيقته. ويقول لينش ان ارتقاءه مرتبة الزعيم التي جعلته يعد بين السرب ذئباً فخرياً، جاء ثمرة عملية مضنية من التحدي المستمر مع الذئاب. غير ان الفوز بتلك المرتبة كان المكافأة العظمى التي اثلجت صدره.

أم العرائن — العون الوحيد الذي تلقاه لينش في تربية الذئاب جاء على يد ماري ويلر التي اصبحت بدورها الانثى الاولى في نظام الذئاب. وظهرت ويلر على مسرح الاحداث ذات يوم من ١٩٧٦ حين سمعت في حانوت القرية حديثاً عن لينش، رجل الذئاب الذي يحتضر في منزله وما من احد حوله. فانطلقت للحال الى حجرة لينش ووجدته في غيبوبة. وأظهر التشخيص لاحقاً ان حاله نشأت عن اجتماع عوامل الارهاق الشديد والطعام الرديء والقليل والاصابة بعدوى فيروسية، ناهيك بالقلق الذي مزقه.

تولت ويلر ادارة المزرعة. وراحت تطعم الذئاب وتنظف حظائرها وتبذل كل ما قويت عليه من أجلها. وحين استعاد لينش صحته بقيت ويلر في المزرعة. واعترف لينش بأن قدومها كان أفضل بشرى له وللذئاب. وخصت ويلر جراء الذئاب بعنايتها، وأصبحت خبيرة في شؤونها بعدما ربت وحدها ١٣ جرواً.

وحتى وقت قريب، بقي لينش يفرض رسوماً على الزوار الذين يفدون لرؤية ذئابه. وكانت تلك الرسوم مورده المالي الوحيد، اذ لم يكن في امكانه أن يفعل شيئاً آخر يكسب به ما يعينه على تربية الذئاب، خصوصاً لانه يقضي ما يراوح بين ١٢ ساعة و١٤ ساعة يومياً في تربيتها. واعتبر لينش استيفاء الرسوم من الزوار شراً لا بد منه.

ويوحي موقفه بانه يعتبر قدوم الناس لمشاهدة الذئاب اهانة مخزية له وللذئاب التي يعدها كنزاً قومياً لا يقدر بثمن. وقد اصبح ملجأ الذئاب يعتمد حالياً، الى حد كبير، على هبات مئة او أكثر من الافراد والاسر الذين "تبنوا" الذئاب في طول الولايات المتحدة وعرضها والتزموا

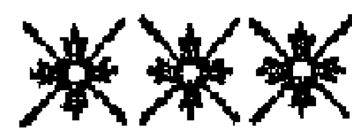
تقديم تبرعات شهرية في مقابل صيانتها. لكن النفقات لا تزال تفوق التبرعات. وما فتئت الذئاب تنعم ببقائها معتمدة على استعداد لينش وويلر للقبول بشظف العيش.

السؤال الاخير الذي وجهته الى لينش صغته بعناية شديدة: "لقد ضحيت يا جاك بتسع عشرة سنة من حياتك كانت قاسية، وذلك كله من اجل الذئاب. والحقيقة المجردة هي ان الكائنات التي تجشمت المتاعب في سبيلها لا تعدو كونها قطعاً عارية - كبندقية قديمة - لا يمكنها البقاء الا كالقاصر تحت الوصاية. وما من وظيفة طبيعية لها او أثر يذكر تخلفه في البيئة. ولا يحتمل ان يتبدل الوضع عما هو الآن. لذلك، فالسؤال الصعب الذي اوجهه اليك هو: لماذا فعلت ما فعلته ولماذا تبقى انت الوصي عليها؟"

وأجال لينش نظره في حظائر الذئاب بضع لحظات قبل ان يقول بدوره: "ألست حقاً تسألني ان كانت حياتي تساوي اي شيء؟ ان هذه الحيوانات، اذا اختفت من حظائرها، لاختفى ذئب الجاموس عن وجه الارض الى الابد، ولما أمكننا بعد ذلك ان نفعل شيئاً من اجل بعثه. وفي جيناته الوراثية يكمن تاريخ عوامل النشوء والتطور والتبيوء، وهي العوامل التي جبلت بواسطتها هذه الارض، ونحن ايضاً.

"ان ما فعلته هو المحافظة على كيان فريد، كيان تاريخي ورائع وحي في هذا العالم. وقبل ان آتي الى هنا لاعتني بالذئاب كنت، كمعظم الناس، غير قادر على ذكر شيء واحد فعلته يعود بأي فائدة على سواي، فيخلد ذكري بعد موتي. اما الآن فقد انقذت جينات ذئب الجاموس من الزوال، فاصبحت بذلك جزءاً من المستقبل، سواء أذكر الناس اسمي او نسوه. أجل، انا اعتقد ان حياتي تساوي شيئاً ما. واني لا أحسد اي شخص على نمط حياته.

■ بيل غيلبرت



اللهم أعني!

قبل ذهابنا الى السوق للتبضّع، تمنيت في سريرتي ما اوّد الحصول عليه، وهكذا فعل زوجي. وعندما سألته عن امنيته، أجاب: "لقد تمنيت ان اتمكن من تحقيق امنيتك".

س.ب.

روح المنافسة

اذا كان احد يظن ان روح المنافسة خمدت لدى الناس، فما عليه الا ان يراقب تهافت الزبائن في محل كبير عندما يفتح صندوقاً للدفع كان مقفلا.

ج.ا.ت.

حكايات من العالم

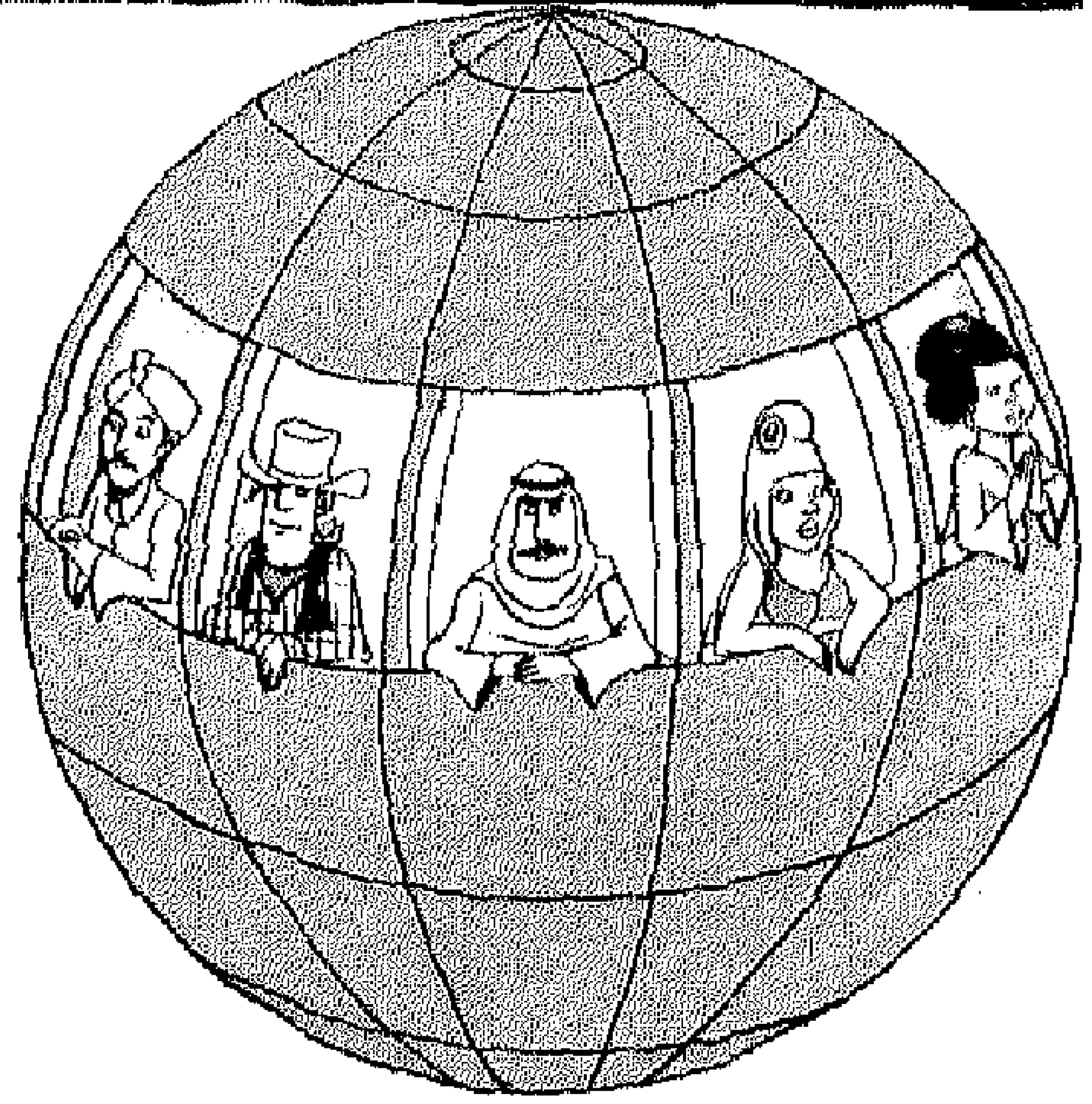
البركة في انف الرئيس

في مدينة بينكنيفيل في ولاية ايلينوي الامريكية، استطاعت الصغيرة بيت ايملينغ التي تبلغ الحادية عشرة من عمرها ان تقلب السياسة التي جرت عليها الولاية طوال ستة اعوام، وتجعل انف ابراهام لينكولن في متناول الايدي مرة اخرى. وهذا الانف جزء من تمثال نصفي للينكولن مقام عند ضريحه في مقبرة اوك ريدج قرب مدينة سبرينغفيلد في الولاية. ويعتقد معظم اطفال الولاية ان من دواعي الفأل الحسن ان يحكوا انف المحرر العظيم. فانتهى حبهم هذا بان اضفى على الانف لمعاناً ملفتاً.

ورأى موظفو حكومة الولاية ان هذا البريق يبدو مضحكاً على الوجه القوي الناحل. فقرروا عام ١٩٧٠ زيادة ارتفاع قاعدة التمثال النصفي بمقدار ٧٠ سنتيمتراً لابعاد الانف عن ايدي الصغار المحبين.

ومرت الصغيرة بيت بتلك التجربة عندما زارت القبر. فساءها ذلك، واعربت عن استيائها في رسالة وجهتها الى نائب دائرتها الانتخابية. فما كان من النائب الا ان احال الرسالة على مدير المحافظة على الآثار في الولاية. وحقق المدير في الامر، فلم يجد اي قوانين او لوائح تحظر تلميع الانوف. ودارت عجلة حكومة الولاية، وهبط التمثال النصفي الى ارتفاعه السابق... لكي يتبرك الاطفال بصقل انفه.

ل.و.


رجل مرور في السماء

من المتوقع ان يتولى رجل مرور، مزود بدماغ الكتروني تبلغ كلفته ٣،٢ ملايين دولار، تنظيم المرور في السماء حين تؤثر احوال الشتاء الجوية على حركة الطائرات في مطارات الولايات المتحدة. وسيمكن بهذه الوسيلة انقاذ ما هو اكثر اهمية من الناحية الاقتصادية، اي الآلاف من براميل وقود الطائرات التي لن تكون مكرهة على التحليق طويلا فوق المطارات المكتظة او المغلقة جزئياً.

وقد ابتكرت احدى الشركات في ولاية فلوريدا هذا الدماغ الالكتروني لتستخدمه ادارة الطيران الاتحادية. ويتولى هذا الدماغ جمع المعلومات الخاصة برحلات الاقلاع والوصول الى مطارات البلاد الخمسة عشر الكبرى. وسيكون مركز التوجيه والتحكم بهذا النظام الجديد التابع لادارة الطيران الاتحادية في واشنطن العاصمة. وهو سيسجل حركة الازدحام وتأخيرات الهبوط، ويقترح الحلول للتخفيف منها.

يونايتدبرس


Arthur Shil

زلزال ١٩٢٩

قصة الانهيار الاقتصادي الكب
الذي مهد للحرب العالمية الث





زلزال ١٩٢٩

قصّة الانهيار الاقتصادي الكبير الذي مهّد للحرب العالمية الثانية

في مستهل شهر (اكتوبر) تشرين الاول ١٩٢٩، دهمت بورصة نيويورك عمليات ارتفاع مذهل في الاسعار كانت من اغرب ما عرفته السوق المالية الامريكية منذ تأسيسها. فقد استولت حمى جنونية من الكسب السريع على مئات الالوف من صغار المستثمرين فاستسلموا لها وراحوا يصبون جميع مواردهم المالية في وول ستريت (السوق المالية الامريكية).

وأطلت على هؤلاء في عتمة الكواليس، وجوه عمالقة الاموال: من جهة، فئة كبار المضاربين على الصعود الذين يستثمرون الملايين من الدولارات، ومن اخرى، فئة المقامرين الذين يلعبون بمصير الاسهم فيصعدون قيمها من اجل مصالحهم الخاصة، ومن جهة ثالثة، فئة المضاربين على الهبوط الذين يتقنون فنّ الانقضاض على السوق كلما بدت فيها ثغرة تبشر بتدهور في الاسعار.

في كتاب شائق، كثير الرواج، كتبه غوردون توماس وماكس مورغان – ويتس انك تحس برعشة الحياة تنساب الى جسم هذه القصة المدهشة التي تروي تفاصيل تلك الايام العصيبة وقصة الانهيار المريع الذي لحق بسوق نيويورك فقصفها قصفاً مخيفاً.

في الساعات الخمس الاخيرة من النهار، تدفق على بورصة نيويورك سيل جارف من الزائرين توافدوا اليها ليشهدوا اغرب حدث اقتصادي ضج به تاريخ اميركا، حدث الهستيريا التي بلغت ذروتها في سوق الاسهم.

يوماً بعد يوم، تصاعدت حرارة السوق المالية الى اقصى حدودها، فقفزت اسهم "راديو كوربوريشن اوف اميركا" من ٨٥ نقطة الى ٤٢٠ خلال الاشهر الاثني عشر الاخيرة. ورابط مايكل ميهان، مدير عمليات هذه الشركة، في المركز الرقم ١٢ من البورصة يحركها فيجعل من زبائنه، ومن نفسه ايضاً، اصحاب ملايين بين ليلة وضحاها.

في الثالثة من بعد ظهر الاثنين ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٨، نهض احد مديري ردهة البورصة، كعادته، وضرب الجرس بمطرقته الخشبية، معلناً نهاية يوم آخر من ايام السوق. وعلى الفور، باشرت اوركسترا مؤلفة من خمس قطع عزف انغامها في احد اطراف رواق الزائرين، بينما اخذ الخدم في مطعم البورصة يتنقلون بين المدعوين، حاملين الاطباق الفضية مع كوكتيل عصير البطلينوس (السمك الصدفي) مشروب السماسرة المفضل منذ عشرين سنة - يوزعونه كمقبل لمناسبة حفلة رأس السنة التقليدية.

وفي صحن ردهة البورصة كان جمع من الرجال والنساء يدور على ذاته كما في دوامة، فينهمك بعضهم بالرقص، ويشد البعض الآخر عزائمه بواسطة بطحات مسطحة متحايلا على قانون تحريم الكحول، وهو القانون الذي سن في الولايات المتحدة في ١٩٢٠ واستمر حتى العام ١٩٣٣، فحظر صنع المشروبات الكحولية ونقلها وبيعها وامتلاكها..

وفي مكان آخر جلس المحررون في مكاتب صحيفة "نيويورك تايمس" يعدون مقالات لنهاية السنة. وقد اهتمت الاخبار الواردة من الخارج بأهالي لندن المجمهرين خارج القصر الملكي والقلقين على صحة ملكهم جورج الخامس الذي يعاني مرضاً خبيثاً. وتحدثت الاخبار ايضاً عن الترتيبات التي يعدها اهالي برلين لاستقبال السنة الجديدة ١٩٢٩، في اجواء من الابتهاج الصاخب المعهود، حيث يحتسون ما يقدر بخمسمئة الف غالون (الغالون ٣،٧ ليترات) من البيرة ويحرقون عشرات الملايين من الاسهم البائرة. القى المحرر المالي الكسندر دانا نويس نظرة على نسخة من صفحته في الجريدة وتبين له ان سوق العملة اقفلت ابوابها على بوادر من الامل المنعش، بينما سجلت الاسواق الاجنبية، خصوصاً في برلين ولندن، ارباحاً متواضعة. وكان نويس تنبأ، على مرحلتين متتاليتين خلال سنة ١٩٢٨، بأن السوق المضاربة على الصعود لا بد من ان تتوقف وتنهار. وعلى رغم ان الاحداث خيبته، فقد اصر على تأكيد صحة تنبؤاته قائلا: "ان شيئاً ما سيفرط وينهار حتماً، كما هي الحال في الهزات الارضية. فبمقدار ما انت بعيد عن الهزة الاولى فأنك تجد نفسك، بالمقدار ذاته، قريباً من الهزة اللاحقة". وظل حدسه هذا يوحي اليه باستمرار بأن الانهيار في السوق واقع حتماً، وبأنه اذا ما وقع فسيمسح وول ستريت عن بكرة

ابيهـا . ويـكـون ذاك الـيـوم يـوم الكارثة...

وعلـى بعـد قـرابـة خمسـة آلاف كيلومتر من نيويورك، في المنطقة الشمالية في ولاية كاليفورنيا، هبطت سيارة "رولز رويس" بخريرها الناعم الشارع الرئيسي في احدى المدن الصغرى. وكان صاحبها اماديوبيتر جيانيني تاجـر خضـر وفواكـه فـي ١٩٠١. وهو ترك هذه التجارة عام ١٩٠٤ ليؤسس المصرف الشعبي الاول في امريكا. وقد نظر اليه المصرفيون في سان فرنسيسكو نظرة الدخيل عليهم، الا ان ذلك لم يمنعه من ان يملك، بالاضافـة الـى "بـنـك اوف اميركا" ذي الشهرة العالمية، ٢٨٦ فرعاً من مصرف "بنك اوف ايطالي" في شهر مارس (آذار) من عام ١٩٢٨. وادرك جيانيني ان العدو متربص به على عتبة بابه، بسبب هذا النجاح. والعدو متجسد، في نظره، في المراهنيـن العامليـن فـي وول ستريت. فقد عمد هؤلاء الى رفع اسعار سعر اسهم مصرفه الى مستوى يفوق قيمتها الحقيقية، وذلك طمعاً في الربح. وفي شهر (فبراير) شباط ١٩٢٨، حذر جيانيني المستثمرين من النتائج السيئة لهذا السلوك ودعاهم الى الامتناع عن شراء اسهم مصرفه. لكن عمليات المضاربة لم تتوقف عند حدّ. "ان الثور الكبير في وول ستريت هو داخل الحظيرة وان الجميع يحاولون ركوبه". هكذا بدت الصورة لجوغارسيا، سائق سيارة جيانيني.

وفي شهر (ابريل) نيسان ١٩٢٨ قام جيانينـي برحلـة الـى البلـدان الاوروبية، وفي الحادي عشر من (يونيو) حزيران تسلم وهو في روما برقية تخبره بأن اسعار اسهم "بنـك اوف ايطالـي" هبطـت ٧٣ عـلامـة، واسهم "بنك اوف اميركا" ٧٠ علامة واسهم "بانش ايطالي كوربوريشن" ٤٢ علامة. وعلق غارسيا على ذلك بالآتي: "لقد تمكن المضاربون من تحقيق اهدافهم، تاركين اماديو بيتر جيانيني ينزف حتى الموت.

وفي الخامس من سبتمبر (ايلول) من السنة ذاتها، عاد جيانيني من رحلتـه، فوجـد اولـى كلماتـه الـى غارسيا: "من الان فصاعداً، لن نسمح لابناء الحـرام هـؤلاء بـأن يعيـدوا الكرة". وفي الحادي عشر من اكتوبر (تشرين الاول) . اعلن، وسط دهشة الاوساط المالية، انه صمم على تثبيت اركـان مؤسستـه المتعـددة الفـروع وجمعها تحت مظلة واحدة محكمة الاجزاء. وقال انه سيجعل منها اوسع شركة قابضة في العالم، تكون في مأمن من شراسة المراهنين في وول ستريت. وفـي الخامـس عشـر مـن نوفمبـر (تشريـن الثانـي) سـجـل مؤسستـه هـذه فـي بـورصـة سـان فرنسيسكو وسماها "ترانس اميركا كوربوريشن".

لم يكن جيانيني في طبيعة حاله ميالا الى الترف، لكنه شاء ان يدلل نفسه بصرعتين اضافهما الى سيارته الرولز رويس. فمن جهة، ركب ضوءاً للاطفائية على سطح غطاء محرك السيارة الانيق، ومن جهة اخرى، علق صفارة انذار داخل السيارة. وعندما سأله احدهـم: مـا هـذا النـوع مـن سيارات الاطفائية؟" أجاب: "انه نوع خاص يقينا نيران المضاربات".

في ذلك المساء، وفي مدينة نيويورك ادلى جون جاكوب راسكوب بتصريح جاء نقيض موقف جيانيني. وراسكوب هذا مليونير في التاسعة والاربعين. ولد في احد احياء نيويورك المتخلفة، فجاهد وكدّ حتى توصل الى وضع يده على شركة "جنرال موتورز" وسعى الى تطويرها. هذا الرجل كان له حلم كتمه طويلا وشاء في هذه الليلة ان يبوح به الى وليم لامب احد المهندسين المشهورين الكبار الذين بدلوا سماء مانهاتن، المنطقة الوسطى من المدينة.

سار الرجلان في اتجاه فندق "والدورف اوف استوريا" القائم على زاوية الشارع الخامس (فيفث افينيو) - الشارع ٣٤. فالقى راسكوب نظرة خاطفة على الفندق وقال لصديقه: "ان هذا الفندق هو في طريق الانحطاط، واتمنى عليك ان تهتم بشأنه. كما انني اطلب منك ان تخطط لتشييد اعلى بناء على سطح الارض". وقال ان هذا البناء سيحمل اسم "امباير ستايت بلدينغ"، ويريده نصباً تذكارياً يرمز الى "النهج الامريكي في الحياة" حيث استطاع ولد فقير مثله جمع ثروة طائلة.

تعددت السيارات الكبيرة الفخمة في وول ستريت وبدت كأنها مجموعة من الحرس امام البناء الواسع المنخفض المتربع كالحصن، ووقف الى جانبها السائقون ببزاتهم الرسمية يترقبون نهاية الطقوس الجليلة التي تتم في الداخل. فلا الجدران الخارجية ولا الابواب التي علق عليها الرقم ٢٣ من الشارع تحمل اي اشارة تدل على انه من هنا، من "هاوس اوف مورغان". تنطلق عمليات تمويل الحكومات في العالم والمصالح التجارية فيه، وذلك منذ سنة التأسيس ١٩١٤.

في هذه الليلة، جلس جون بير بونت مورغان الابن، كعادته في كل ليلة، يحسب الارباح المتراكمة خلال الاثني عشر شهراً، من اوروبا واليابان وافريقيا الجنوبية ومن اوستراليا وكل مكان آخر ومن اي انسان ساهم "هاوس اوف مورغان" في تمويله السنة الفائتة. ووردت على مورغان طوال النهار تفاصيل الفوائد ولوائح المدفوعات المستحقة فجمعها. وحسب العادة المتبعة في الدار، حفظ لنفسه خمسين في المئة من الارباح الصافية ووزع الخمسين الباقية على مجمل شركائه.

انهى الرجل حساباته بكاملها ثم نهض من مكتبه حاملا في يده قبضة من الغلافات واخذ يتجول بين المكاتب الاخرى، يناول كلا من الشركاء غلافاً خاصاً به يحوي علاوة اضافية على ارباح السنة لا تقل عن مليون دولار.

على اثر ذلك تباعدت السيارات الفخمة تاركة وول ستريت في حراسة شرطي واحد، يقرصه برد الثلوج الموسمية الاولى.

اما في شأن الاوضاع عبر الاطلسي، فقد ساد شعور لدى الشعب البريطاني بأن السنة الجديدة ستحمل، لا محالة، تحسناً ملموساً بالنسبة الى ١٩٢٨، فقد خيبت الاخيرة آمالهم اذ ترقبوا فيها بشائر العودة الى العافية.

وفي لندن، اعدّ كلارنس تشارلز هاتري، الخبير المالي المتقلب الاطوار، لصفقة مالية شاءها ان تكون صفقة العمر الاخيرة والاكبر حجماً في حياته. وقد شملت خبرة هاتري عمليات مضاربة مكثفة، ونشأ لديه حس مميز دفعه الى عمليات كبرى تهدف الى ادماج الشركات. وخطط هذا الرجل الاربعيني لدفع ٨ ملايين جنيه استرليني في عملية تهدف الى وضع يده على اسهم شركة "يونايتد ستيل كونبانيز ليمتد" المسيطرة على قسم واسع من صناعة الحديد والصلب في بريطانيا. وجاء توقيته موفقاً، لان اسهم صناعة الحديد كانت بلغت درجة مكشوفة من الانخفاض. الا ان مشروعه الطموح كان ينقصه امر واحد، الا وهو حاجته الماسة الى السيولة الكافية، فغياب السيولة قد يصيبه بضربة قاضية.

وعلى مسافة ١٥٠٠ كيلومتر شرق لندن، جلس لويس بول لوخز، المحرر المالي في احد مكاتب "اسوشييتد برس" في برلين، وقد قادته تحاليله الى النتيجة الآتية : بالنسبة الى ما يحدث لسوق السندات المالية في امريكا. وقفت الدول الاوروبية موقفاً واحداً من اثنين، عدم التفهم من جهة او عدم الاكتراث من جهة اخرى. لم تأت هذه النتيجة ملائمة لما توخاه منه رؤساؤه في نيويورك، فبرقياتهم له في هذا الشأن كانت واضحة: جمع ردات فعل اوروبية تدل على ان العالم القديم متلهف الى كل ما يحدث في العالم الجديد. وقد تميزت كل من سويسرا وفرنسا بموازنة متعادلة وفائض في ميزان التجارة الخارجية وقضاء تام على البطالة، مما سمح لهما بتجاهل ما يحدث في وول ستريت. وتخبطت بقية الدول الاوروبية في مشاكلها الداخلية من دون الالتفات الى الخارج: فروسيا التي دخلت خطتها الاقتصادية الجديدة التي رسمها لها ستالين، سنتها الثامنة لم يعد انتاجها الى مستوى ايام ما قبل الثورة. واستولى الشلل على اسبانيا من جراء جمودها السياسي. ووقعت يوغوسلافيا تحت رحمة ازمة دستورية اخرى، اذ ان الملك الكسندر كان على وشك تنصيب نفسه ديكتاتوراً، ودخلت الصناعة والزراعة في ايطاليا، في ظل موسوليني، مرحلة من الكساد المالي. أما النمسا فقد مزقتها الازمات السياسية واسلمت امرها الى عصابات مسلحة تسرح وتمرح في البلاد...

تبقى المانيا. فهذه الدولة على اثر جهد مدهش قامت به بعد الحرب من اجل بعث نموها الاقتصادي، تمكنت من ان تصبح واحدة من اعظم الامم الصناعية في العالم، وساحة مختارة لاستثمار الاموال الاجنبية. ان تدفقاً لا سابق له، معظمه من الولايات المتحدة، دفع بالشركات الالمانية الى بناء المصانع الجديدة. لكن الديون الخارجية على الدولة الالمانية تفاقمت وبلغت ستة مليارات دولار، علماً بأن القسم الوافر منها كان لاجل قصير وقائماً على قروض ذات فوائد مرتفعة. فراحت المانيا، كي تفي بديونها هذه، تفتش عن المزيد من الاموال في الخارج.

هذه الدلائل كانت بمثابة انذار واضح لوول ستريت.

اطلت كلار جيانيني من نافذة الطابق الثاني في مبنى "بنك اوف ميركا" ولاحظت ان شارع وول ستريت" قصير جداً لا يزيد طوله على ثمانية صفوف من المباني المتلاصقة. فبدت لها نقطة الانطلاق عند شارع برودواي من الجهة اليمنى، وظهرت "كنيسة الثالوث الاقدس وكأنها ضائعة في سماء شباط الرصاصية في الساعات الباكرة من النهار. وتمنت كلار لو انها كانت في تلك اللحظة في مدينة سان فرنسيسكو فاستحال عليها الامر لان والدها لم يند اشغاله هنا في الضفة الشرقية من البلاد مع مجلس الاحتياط الاتحادي ومجلس الاحتياط لمدينة نيويورك، ومع ج.ب مورغان وشركائه المستشارين القانونيين لامبراطورية جيانيني.

الممر الضيق

ثم نزلت كلار الى المنطقة المالية تجول فيها وتتعرف عن كثب على هذا المسرح الذي اختاره والدها ساحة للقتال. تخرجت كلار بتفوق في علم التاريخ فتكدست لديها معلومات يجهلها الكثيرون حول شبكة هذه الشوارع ذات الممرات المعقدة التي جمعتها المصادفات والتي ما زالت تحمل اسماء عهدها ابناء الجاليات الامريكية الاولى امثال مايدن لان، ناشر، بيفرستريت وغيرها...

في الزمن الذي سبق رصّ الطرق بالحجار السوداء سيج المستعمرون الهولنديون المنطقة للحفاظ عليها كمرعى ولمنع مواشيهم من الشرود في ذاك الممر القريب الذي سيصبح يوماً برودواي. ثم ابدلوا السياج بجدار من اجل حراسة مستعمرتهم.

ولما تهدم الجدار نهائياً، سمي المعبر الذي امتد على طوله باسم "شارع الجدار" (وول ستريت). وحدث ذلك عام ١٧٩٢. واخذ الشارع يحاذي صفاً متلاصقاً من بيوت السكن والمحلات التجارية الى ان قرر عدد من السماسرة، ٢٤ منهم بالضبط، وضع حجر الاساس لبناء البورصة في هذا الموضع بالذات في ظل شجرة جميز. اما اليوم فلم يبق الا الزهيد من آثار نيويورك القديمة، بالاضافة الى اسماء الشوارع، وتتألف المنطقة الان من سلسلة من الممرات الضيقة، وتقوم على الاسمنت وتحيط بها ارصفة هي امتداد لجدران المكاتب الشاهقة.

ادركت كلار في سريرتها ان بال والدها مرتبك بسبب استمرار الاسعار في الصعود وكانت الاسعار في هذه السوق شهدت في شهر يناير (كانون الثاني) هبوطاً مخيفاً للمرة الثالثة خلال سبعة اشهر، وخسرت بعض الاصدارات عشرات العلامات في نهار واحد.

لماذا حدث هذا الهبوط؟ وكيف استعادت السوق عافيتها بسرعة؟ وما هي الدوافع الخفية؟

هذه الاسئلة غابت عن بال الكثيرين. لكن جيانيني اهتم بدرسها وبتحليل هذه الفترة الوجيزة من التقلب ثم شرح لابنته استنتاجاته: "هناك جماعات صغيرة توظف مالا تفترضه من سماسرتها وقد انقلبت السوق عليها فجأة في واحدة من نوباتها العصبية المعتادة، على اثر ازدياد عدد طلبات الضمانات الاضافية ولما لم يتمكن هؤلاء من

الحصول على المزيد من السيولة اللازمة فقد اضطروا الى عرض اسهم هذهالجماعات في السوق من اجل استرداد قيم القروض. فنتج من ذلك هبوط سريع في الاسعار". وتابع جيانيني كلامه منذراً: "سيأتي يوم تعجزالقدرة الشرائية في السوق عن اداء اي منفعة، والله وحده عليم بوخيم العاقبة".

يطيب لجيسي ليفرمور (٥٥سنة)، المتباهي امام عشيقاته الموزعات في دور خاصة حول العالم بأنه على اطلاع على ما يحدث في السوق المالية، وهو يخصص سجلا لكل موضوع. فلديه مثلا سجل للوضع العام في السوق، وآخر لحالات الصعود والهبوط في اسعار الاسهم المفضلة. وثالث يضم آراءه الشخصية في مثل هذه التقلبات. لم تحظ تصرفاته برضا الجمهور الذي كان يعتبره واحداً من "الدببة" (المضاربين على الهبوط) في عالم يعج "بالثيران" (المضاربين على الصعود) فيشد باسعار السندات المالية نحو الهبوط عن طريق البيع لاجل قصير، طمعاً في زيادة ثروته الخاصة. فاذا ما لمس "الدب" ان الاسعار في السوق المالية هي على وشك التدهور، يبدأ ببيع اسهم لا يملكها بعد لكنه يعرف ان في وسعه استعارتها من احد السماسرة لاجل معين وفي مقابل رسم محدود، ثم يسلم هذه الاسهم المستعارة الى احد المشترين فيقبض ثمنها نقداً. ويقف متربصاً اللحظة التي تنهار فيها الاسعار فعلا، عندئذ يبدأ بشراء الاسهم بالاسعار المنخفضة ويسلمها بعد ذلك الى السمسار لتحل محل الاسهم التي استعارها منه، فيكون ربحه هنا الفارق بين السعر الذي باع به الاسهم المستعارة والسعر الذي دفعه ثمناً للاسهم المستبدلة.

انتاب ليفرمور هاجس المال، مع انه اصبح صاحب ملايين، فلم يكن له هم آخر في الدنيا. وبدت علاقاته الاجتماعية خشنة واعرب بوضوح عن احتقاره لكل مظاهر التحضر الانساني. وتروى عنه حكاية، يرفقها دوماً بقهقهة صاخبة غليظة الوقع، ان احد التجار سأله يوماً عن رأيه في الاديب الفرنسي، بلزاك، فأجابه: "انني ارفض التعامل مع هذه الشركة".

تلمس ليفرمور، على غرار جيانيني، عصبية السوق تنتفض كالفرس غير المروضة. فجلس وحده يتدارس الوضع في مكتبه القائم في "فيفث افنيو" والمعزول عن غرفة المواصلات التي تربطه باستمرار مع شيكاغو وسان فرنسيسكو ولندن وباريس وبرلين وميلانو.

وتردد لون شعر رأسه بين الاشقر والرمادي واحمرت خداه وارتسمت تقاسيم وجهه حادةفارغة، فبدا وكأنه اصغر سناً مما هو. وداوم على تدخين السيجار الهافاني الضخم الملفوف خصيصاً على اسمه في كوبا، فجاءت الثلاثمئة التي يدخنها في الشهر دليلا على التوترات التي تمزقه.

اخوة اهل المصارف

سار القطار "فولفرين" يهدر بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة متجهاً نحو مدينة ديترويت، وشلحت عرباته "البرلمان" من مسحة الخضرة على طبيعة ميتشيغان المكسوة بالثلوج.

نظر الركاب، من داخل العربات المقتربة من المدينة، الى ذلك المبنى الرمادي الضخم الذي تملكه شركة "جنرال موتورز"، من دون ان تسمح لهم المسافة الفاصلة بينهم وبينه من ان يتبينوا الحجار الصغيرة التي تزين سفح المبنى، ولمع امام اعينهم حرف D البارز المحفور في صدر كل حجر منها.

ان حامل الاسم الذي يبدأ بهذا الحرف، وليم كرابو دورانت، كان غارقاً منذ ١٤ ساعة في احد اجتماعاته الطويلة، بين جدران مقصورة فخمة في القطار الجاد في قعقعته. ولولا هذا الرجل لما كان هناك جنرال موتورز ولا شفروليه ولا بويك ولا بونتياك. فكل هذه السيارات هي وليد عبقريته. ولكن عندما دهمته الازمة المالية انقض عليه رجال المصارف وانتزعوا الشركة من قبضته، فقاده تحرره من اعباء ادارة شركة بهذه الضخامة الى سوق السندات المالية. وقدرت ارباحه في الشهر الاول بمليون دولار، وقفزت في الشهر الثاني الى عشرة ملايين، ووصلت الى خمسين مليوناً بعد ثلاثة اشهر، وهو الذي لم يحمل معه، لدى تركه جنرال موتورز، سوى كرسي حلاقة نقالة خاصة به، ترافقه في كل تنقلاته. وها هي الكرسي تتوسط الآن المقصورة الفخمة.

ترجل دورانت من القطار في ديترويت، وعلى وجهه بوادر الغضب. ان اتصالاته الهاتفية بنيويورك جاءت مبهمة؛ والنذر القليل الذي طرق اذنيه منها لم يساعد ابداً على تهدئة غضبه. انه سمع تشارلز ادوين ميتشل، رئيس "ناشونال سيتي بنك" اضخم المصارف الامريكية، يصرح ان القرار الذي اتخذه مجلس الاحتياط الاتحادي بدأ يعطي مفعوله. لقد توجه المجلس في هذا القرار الى جميع المصارف الامريكية طالباً منها الحد من القروض المعطاة للسماسرة، فقفزت قيمة القروض الى حين الطلب، خلال ٤٨ ساعة، ٣،٥ في المئة وواصلت ارتفاعها حتى بلغت ١٠ في المئة، هذا النهار، اي في السادس عشر من شهر فبراير (شباط).

والسؤال الآن: من يجرؤ على مواجهة هربرت هوفر، رئيس الجمهورية المنتخب، ويصارحه القول فيدرك هذا ان عافية الامة المالية انما تقوم على قانون الاعتمادات وان مجلس الاحتياط الاتحادي قتل بقراره الدجاجة التي تبيض ذهباً؟.

علم ميتشل بأن دورانت، في مقابلات صحافية سابقة عرفت انتشاراً واسعاً، ادلى بتصاريح عدة ردد فيها هذا القول واقتنع ضمنا بأن دورانت يتمنى محاورة هوفر.

وفي غرفة الاجتماع المكسوة جدرانها بخشب السنديان، وهي الغرفة الخاصة بمجلس ادارة مصرف "يونيون اندستريال بنك" في مدينة فلنت ميتشيغان تحلق ١٥ رجلا حول الطاولة المصقولة، يعلو رؤوسهم رسم تشارلز ستيوارت موت، رئيس مجلس الادارة ان هذا الرجل لم يدع الى الاجتماع، لانه اذا علم بما يدور فيه لطالب بزج المجتمعين في السجون. لقد كان هؤلاء موظفين عنده وامناء صندوق في مصرفه، لكنهم كانوا، في الوقت نفسه، مختلسين فيه.

نظر كرمبيت بيتت، احد نائبي رئيس المصرف، الى الاختلاس الذي يمارسه كأنه "مجرد قرض مالي من دون موافقة". مع ذلك، بدأ خطر افتضاح امره ينغص عيشه ويقض عليه مضجعه فلا يعرف للنوم سبيلا. وهو قلق على وضع زوجته نانسي واولاده في حال افتضاح امره وزجه في السجن.

وتعمد هارولد مور، نائب الرئيس الآخر، ابعاد نفسه عن مثل هذه الهواجس. وهو ايضاً رب عائلة، زوجته ديان مريضة، واولاده في مقتبل العمر. وقد ردد عليه الطبيب مرارا ان صحة زوجته "هشة" وان الاعتناء بها سيطول والتكاليف الطبية ستتضخم. وقد دفعته رغبته في الحصول على كميات اضافية من المال الى الانضمام الى هذه العصابة.

اما مساعد امين الصندوق، روجير مايز، فقد مارس الاختلاس لكي يحافظ على مستوى معين من المعيشة، لا يسمح له به راتبه الشهري المؤلف من ٣٧٥ دولاراً. وهو افتتح عمليات الاختلاس في مستهل ١٩٢٨، فاستخدم مال المصرف للمراهنة في السندات المالية النيويوركية. فقام بعملياته الاولى منفرداً، الى ان تبين له تدريجاً في بحر السنة، ان الآخرين يمارسون اللعبة ذاتها. فتجمع شملهم وازداد الارتياح لديهم مع ارتفاع عددهم فالفوا هذه العصابة، وبرز مايز بينهم قائداً مسلماً به، يبيع ويشتري السندات بواسطة الهاتف الخاص الذي يربط مكتبه بوول ستريت.

زادت كمية المال المختلس من المصرف على مليوني دولار، فوجد المختلسون انفسهم غارقين في الديون وتبين لهم ان السوق راكدة وان استثمارهم للمال لم يكن موفقاً. كما وجدوا انفسهم في مسيس الحاجة الى صفقة رابحة تساعدهم على استرجاع المال المختلس وتبرير ساحتهم بالتالي.

شاء روجير مايز ان يختم الاجتماع ببارقة امل، فأكد لرفاقه انهم سيخرجون عاجلا من هذا المأزق وان الثروات ستنهال على كل منهم. وقال: "ان السندات المالية مقبلة على قفزة تنطح بها القمر".

التجمع التجاري

في مساء الثامن والعشرين من شهر فبراير (شباط)، خلص مايكل ميهان والخبير في شركة "راديو كوربوريشن اوف امريكا" في البورصة الى الاعتقاد بأنه لا بد له من ايجاد تجمع تجاري ضخم انطلاقاً من اسهم الشركة. ففكر ملياً في اسماء الذين ينوي دعوتهم الى الاشتراك معه في هذا التجمع. وقرر بأن تتألف نواة المشروع من برسي روكفلر وجون راسكون وبللي دورانت الذين يعتمد عليهم.

وتبادر الى ذهنه اسم شريك آخر هو زوجته. ان قوانين البورصة تمنع عليه ان يكون شريكاً في التجمعات التجارية التي يتسلم ادارتها. لكن القوانين لا تحرم على زوجته اليزابيت المضاربة في اسهم شركة "آر. سي. آي" فقد سبق ان تعاطت هذا النشاط في الماضي.

لم يفاجأ ميهان لما بلغه ان السوق تدهورت، في الرابع من شهر مارس

(آذار) اي يوم تسلم الرئيس هوفر الحكم. وفي اليومين التاليين قفزت الاموال المسلفة الى حين الطلب الى ١٣ في المئة. وهذا المؤشر ٤ علامات اخرى حسب المؤشر الموحد لجريدة "نيويورك تايمس".

وفي السابع من الشهر، استجمعت السوق قواها فارتفعت قيمة اسهم الراديو (أر. سي. آي) من ٧٤ الى ٣/٤ ٩١. وفي هذا النهار كذلك، وزع ميهان بياناً سرياً وخاصاً حدد فيه اسس تجمعه التجاري. فتجاوب مع عرضه ستة وثمانون مستثمراً، وتعهد راسكون بتقديم مليون دولار، وتعهد والتر كرايزلر بنصف مليون، وسجلت اليزابيت ميهان تعهداً بمليون دولار. وبلغت قيمة التعهدات النهائية ١٢٦٨٣٠٠٠ دولار.

نهار الاثنين الواقع فيه الحادي عشر من مارس (آذار) ظهر في جريدة "دايلي نيوز" النيويوركية مقطع يقول فيه كاتبه - وهو احد الصحافيين القابلين للرشوة - ان اسهم "الراديو" ستقفز الى المئة في "القريب العاجل وان شراءها نهار الثلاثاء يعتبر صفقة موفقة". وهكذا، قبل ان يخف طنين المطرقة التي اعلنت افتتاح السوق صباح الثلثاء، اخذت اسهم "الراديو" تتحرك. فتوجه السماسرة الى جناح الشركة في المركز الرقم ١٢ وقدموا طلباتهم الاولى. لم تكن هذه ذات حجم كبير، ولكن لم تطل الحال حتى انضم اليها عدد من الطلبات الاخرى الواردة من انحاء عدة في البلاد، جاء بعضها نتيجة اكيدة للمقطع الذي ورد في جريدة "دايلي نيوز" وفي غيرها من الصحف التي تنشر في آن مقال الكاتب المذكور.

ولاحظ ميهان ان اسهم "الراديو" سلكت طريق الصعود بالنسبة الى سعر البارحة الذي بلغ ٩١/٨، ٩٠، وادرك انه خلال لحظات سيحمل الهاتف كلمة السر هذه يبثها السماسرة المحليون الى زبائنهم قائلين: "هذا هو الظرف الملائم لشراء "الراديو". فتنفس الصعداء وتأكد انه خلال ايام قليلة ستنهال عليه الطلبات من كل جهة.

تسلم مديرو التجمع التجاري طلبهم الاول الكبير قرابة الساعة العاشرة والنصف صباحاً والبالغ خمسة آلاف سهم. وبعد ثوان، نقل التلغراف الخبر. وللحال تدفقت الطلبات من بعيد، من سان فرنسيسكو وسياتل وفلوريدا ومن هاواي كذلك. واعلن المراسلون الماليون في "اسوشييتدبرس" و"يونايتدبرس" ان اسهم "الراديو" تتحرك صعداً. ورددت الاذاعات هذه الاخبار وادرجتها في نشراتها الاخبارية اللاحقة واضافها محررو الصحف الى طبعاتهم الاخيرة. وفي الساعة الحادية عشرة، تتابعت نقرات التلغراف تعلن صعوداً شبه متواصل في سوق اسهم "الراديو".

وقبع بللي دورانت في مكتبه في مانهاتان يراقب جهاز التلغراف، ولاحظ ان الاربعمئة الف دولار التي استثمرها في عملية التجمع بدت رابحة. ثم حول انتباهه الى مفكرته وانعزل في مكتبه فاحكم اقفاله وقطعه عن العالم الخارجي، لانه كان يعتقد ان الهواء الطلق يجر معه تلوثات قد تضر بصحته. وتميز

دورانت ايضاً بصفة اخرى تتم تفاصيلها ساعة الظهر. في هذا الوقت، دخل عليه الطاهي الشخصي القائم على خدمته، فانتهك حرمة المكتب المعزول وهو يجر عربة تضم فرناً نقالا طبخ فيه غداء دورانت. ويقطع الطاهي يومياً ثلاثين شارعاً في المدينة في سيارة سيده لكي يقدم اليه الطعام، لان هذا لا يثق بطهاة نيويورك لتحضير طعام خال من الجراثيم.

وكان سماسرة سان فرنسيسكو تلقوا سيلا من الطلبات لشراء اسهم "الراديو". وظهرت في بورصات بوسطن وبلتمور وهرتفورد صعوبات متزايدة للحصول على هذه الاسهم وعلت الصرخة ذاتها من ٢٢ بورصة اخرى المنتشرة بين سانت لويس ولوس انجيلوس، ووردت على وول ستريت طلبات تلغرافية، وبعضها الـ ١٠ اسهم او ٥٠ او ٧٥ سهماً.

وصلت اصداء هذا الاقبال على اسهم "الراديو" الى مسامع كرمت بيتت في فلنت، فبث النبأ الى رفاقه المتآمرين معه، ودارت على الاثر مناقشة في ما بينهم حول امكان "وضع اليد" على كميات اخرى من اموال المصرف لاستثمارها في "عملية بدت وكأنها ربح اكيد". لكن بيتت اقترح التريث ومراقبة تطورات الاحداث، فنزل الآخرون عند رغبته.

وادرك مايك ميهان ان تجمعه التجاري قد انطلق باجمل الوعود. ولاحظ أنه، خلال ما لا يزيد على خمس ساعات من النشاط المحموم، سلم السماسرة شركته طلبات لـ ٣٩٢٦٠٠ سهم، بينما باعت الشركة في الوقت نفسه ٢٦٤٠٠٠ سهم. وارتفعت اسعار الاسهم في ختام النهار الى ٥/٨ ٩١، ثم قفزت الى ٢/١ ١٠٩، لما اقفلت البورصة ابوابها عند منتصف نهار السبت الواقع فيه السادس عشر من مارس (آذار) كانت اسعار اسهم "الراديو" بلغت ذروتها. وهذا الامر لم يكن يعرفه سوى المسؤولين عن اللعبة. فاجتمع هؤلاء سراً نهار الاحد وتشاوروا وقرروا في النهاية ان "يفرطوها" في اليوم التالي.

وفي هذا النهار انزلوا بحذر الى السوق ٢٣٨٦٠٠ سهم، فاخذت اسعار "الراديو" طريق الهبوط التدريجي حتى وصلت الى ١٠١. عند هذا الحد، قرر "حلف الافندية" في مصرف "يونيون اندستريال بنك" في فلنت المجازفة مرة اخرى، فاستخدموا ودائع مختلسة لشراء اسهم "الراديو".

وفي الايام الثلاثة اللاحقة، هبط سعر سهم "الراديو" الى ٢/١ ٩٢، بعدما تمكن اركان التجمع من انجاز عمليتهم المدمرة. فارتأت جماعة فلنت ان وقت الانسحاب قد حان، فباع اعضاؤها حصصهم في "الراديو" بـ ٤/١ ٧٨، وتكبدوا بذلك خسارة كبرى اخرى ووجدوا انفسهم في ورطة مالية اسوأ من الورطات السابقة. اما الحال لدى شركاء ميهان فلم تكن على هذا الشكل. فقد اسفرت عمليتهم عن نجاح هائل واعطتهم ارباحاً صافية توازي ٤٩٢٤٠٧٨ دولاراً. وهكذا استعاد راسكوب مليونه وربح ما معدله ٢٩١٧١٠ دولارات وكسب دورانت ١٤٥٨٥٥ دولاراً، وميهان وزوجته ٦٥٢٧٨٣ دولاراً. أما مؤسسة ميهان ذاتها فقد بلغت حصة عمولتها

وحدها ٥٨٠٠٠٠ دولار. وجاءت حصيلة هذه الايام القليلة مرضية.

وتمت كل العمليات حسب الاصول المرعية في السوق، اي في ظل القوانين والانظمة الصادرة عن بورصة مدينة نيويورك وبالاتفاق التام معها.

مواجهة رئيس الجمهورية

وفي كل واحدة من محطات القطار "اوفرلند ليمتد" المتوجه من شيكاغو الى كاليفورنيا، كان يؤتى بآخر طبعات الصحف الى مقصورة جيانيني الخاصة فيتبين له منها ان اسهم شركته "ترانس اميركا" ما زالت تتبع خطاً معتدلا، لكن المسلك الاجمالي المسيطر عليها اقلقه، فبدا له ان هناك مؤامرة ترمي خلق وهم في عقول الناس بانهم عثروا للمرة الاولى في التاريخ على مفتاح سحري يفتح لهم ابواب سوق دائمة الصعود.

فرفض جيانيني بشدة اخبار الصحف وتقاريرها الماضية في قولها ان هناك سبيلا واحداً امام السوق، الا وهو الصعود. وتفاقم كرهه لهؤلاء الصحافيين المرتشين الذين يخدعون قراءهم لمصلحة اسهم مشبوه بها.

وبلغه في ساعة متقدمة من بعد ظهر الاثنين ٢٥ مارس (آذار) ان الاموال المقترضة الى حين الطلب قفزت الى ١٤ في المئة، وهي اعلى القفزات التي عرفتها منذ شهر يوليو (تموز) ١٩٢٠، فتدهورت اسهم "ترانس اميركا" وهبطت معها غالبية الاسهم. وسجل هبوط "ترانس اميركا" خمس علامات بينما ٩٠ شركة اخرى هوت الى اقصى الدرجات المعروفة خلال هذه السنة.

اما التلغراف، فقد تأخرت اخباره في ذاك النهار خمسين دقيقة عن موعدها. وفي هذا النهار كذلك انقض جيسي ليفرمور فجأة على السوق وضرب بشدة لم ينتظرها احد. وهو كان امضى صباحه مترقباً الاخبار عله يجد فيها الخبر الذي ينتظره، اي تصريحاً صادراً عن مجلس الاحتياط الاتحادي يعلن رفع معدل الفائدة الرئيسية او معدل الحسم او اعادة الحسم.

وعلم الجميع في وول ستريت ان المجلس منعقد منذ ايام وراء ابواب مغلقة في واشنطن. وكان في ظن ليفرمور ان السوق مقبلة على انهيار حتمي ناتج عن الغموض المنتشر في الاجواء. فهرع الى مكتبه في الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وما ان اعلن جرس البورصة افتتاح السوق حتى اندفع يغذيها بسلسلة محيرة من طلبات البيع والشراء من دون ان يدرك احد مقصده. وراح يبيع باسعار متدنية مستعيراً الاسهم التي يبيعها، فورد عليه للحال سيل من الطلبات المرعية الاصول من كل انحاء البلاد.

افتتحت السوق في الصباح التالي وبلغت الاموال المسلفة الى حين الطلب ٢٠٪، فيما مجلس الاحتياط الاتحادي صامت لا يحرك ساكناً. وتراكمت طلبات البيع في السوق فسجلت في ختام النهار رقماً قياسياً، اذ تم تداول ٧٤٠ ٢٤٦ ٨ سهماً، وهو اضخم حجم في تاريخ البورصة. عندها عاد ليفرمور فشن غارة جديدة على السوق وبدأ يبيع باسعار تدهور هبوطها الى القاع. وتبين في ما بعد ان ارباحه في هذين اليومين بلغت ٢٠٠ ٠٠٠ دولار.

ورصد تشارلز ميتشل، رئيس مصرف "ناشونال سيتي بنك" هذا التدهور الجدي المبشر بنهاية قاصفة تلحق بسوق الشراء التصاعدية، واخذ يدلي بتصريحات صحافية معلناً ان مصرفه على اتم الاستعداد لوضع كميات ضخمة من المال في تصرف المستدينين لاستخدامها على النحو الذي يشاؤون. وانتشرت اخبار هذا العرض في وول ستريت فتبخرت الغيوم السود فيها واخذ المال المسلف الى حين الطلب ينهال مجدداً على السوق وبدأت اسعار الاسهم تستجمع قواها مرة اخرى. وعند ساعة الاقفال في ذاك النهار بلغ هبوط المال المسلف الى حين الطلب الى ١٥ في المئة وكان فضل الفرج فيه عائدا الى تشارلز ميشتل. واتخذ هذا التدابير اللازمة في مصرفه للوفاء بوعده، وفي صباح الاربعاء ٢٧ مارس (اذار) طلب قرضاً بعشرين مليونا من مجلس الاحتياط الاتحادي في نيويورك، متحدياً بذلك مجلس الاحتياط الاتحادي في واشنطن، فلبى مجلس نيويورك طلبه بينما امتنع مجلس واشنطن عن التعليق، علماً أن الاموال ستوجه نحو تغذية السوق المالية. وهكذا عادت سوق الصعود الى صخبها المعهود.

وجلس الرئيس هوفر في واشنطن يصغي الى بللي دورانت. فحذره هذا من ان انهياراً مالياً واقع حتماً ما لم تكف يد مجلس الاحتياط الاتحادي وقال ان محاولات المجلس التحكم بالقروض المقدمة الى العملاء وبسندات الاعتماد هي السبب في ذلك. وتحدث دورانت باتزان مركزاً على الاحداث وسارداً تفاصيلها كما يراها هو، الى ان انهى كلامه قائلا: "والآن الامر بين يديك". لم يعلق الرئيس على الحديث، لكن دورانت خرج من عنده مقتنعاً بان مهمته كانت ناجحة.

ويوم الخميس ٣٠ مايو (ايار)، توجه البريطانيون الى صناديق الاقتراع في انتخابات عامة، وتجمهر الناس امام واجهة الرقم ١٠ من "داونينغ ستريت"، مقر رئاسة الحكومة يراقبون النتائج ويتكهنون بمصير الحكومة المقبلة: هل ستأتي حكومة جديدة ام يمدد لحكم المحافظين بقيادة ستانلي بلدوين؟ اما وزير المال في ذلك الوقت، ونستون تشرشل المشرف على الخامسة والخمسين من عمره، فقد صمم على زيارة امريكا في حال فشله في هذه الانتخابات. فتشرشل يملك اسهما امريكية ويحب الاطلاع المباشر على الاوضاع هناك. كذلك ان وجوده في امريكا يساعده بلا شك على التأكد من حقيقة المخاوف التي ابداها مونتاغو نورمان، حاكم "بنك اوف انغلند" اي البنك المركزي الانكليزي.

وفي النهار التالي، علم تشرشل بان حزب المحافظين خسر المعركة الانتخابية لمصلحة حزب العمال، وانه هو احتفظ بمقعده في المجلس. فاخذ يفكر جديا في السفر الى امريكا وباشر الاعداد لهذا الحدث.

وانعكس فوز العمال على بورصة لندن، فتدهورت اسعار الاسهم فيها وسعت المصارف البريطانية الكبرى الى سد الثغرات المالية.

وتنوعت ردود الفعل في اوروبا.

فعودة العمال الى الحكم بعد اقل من خمس سنوات، رافقتها لامبالاة في فرنسا وقلق في المانيا، ودهشة في ايطاليا وبلجيكا وهولندا. اما بورصات الولايات المتحدة فلم يحدث الخبر فيها اي تموج.

الغيوم المتلبدة

راح جيسي ليفرمور يفكر في وول ستريت من اعالي وكره الشاهق في "فيفث افنيو" فبدا له في ذاك اليوم الجميل من ايام الصيف، الثلثاء ١١ يونيو (حزيران)، وكأنه "مضخة عملاقة ماصة تستنزف رأس مال العالم بلا هوادة فيولد هذا الاستنزاف السريع فراغاً في البلدان الاوروبية.

وكان عملاؤه اجروا، خلال الاسبوع الماضي، حملة جس نبض للسوق المالية في اوروبا وكندا بحثاً عن مؤشر يسمح بشن غارة اخرى على السوق. فتبين لهم ان الولايات المتحدة تبتلع الرساميل الاوروبية على نحو لا مثيل له، وان هذا الابتلاع جعل من وول ستريت، على حد قول احدى المجلات الاسبوعية الانكليزية، "العاصمة المالية للعالم اجمع".

وعزا ليفرمور هروب رؤوس الاموال الى "ضعف الطاقة التجارية المتلبدة كالغيوم السود في سماء بورصات اوروبا"، وقد وجدت الاموال جاذباً في الاجواء الاميركية.

اكب ليفرمور مطولا على درس التقارير التي عرضها عليه معاونوه وانتهى منها مداعباً نفسه، على غير عادته، قائلا: "يسير التيار المائي الساخن في اتجاه واحد عبر الاطلسي، لكن التيار البارد يسير في الاتجاه المعاكس".

وفي المنازل طغت الاخبار والتقارير المالية على ما عداها من الصباح حتى المساء. واصبحت هذه الاخبار الرفيق الملازم لملايين الناس في امريكا الشمالية كما اضحت جزءاً لا يتجزأ من روتين حياتهم اليومية. وخصصت الصحف مجالات واسعة لجداول الاسهم ولوائح السوق الموزعة على مجموعات الصحافة المالية الموحدة.

بدا هذا كله، في نظر ليفرمور، طعماً للسمكات الصغيرة موجها الى صغار المستثمرين الذين "يجهلون تماماً لماذا يشترون ولماذا يبيعون". على كل، يظهر ان السمك الصغير لا يرفض الطعم على ما ورد في تقارير عملاء ليفرمور النشطين. فهم كدسوا جبالا من المقتطفات الصحافية التي تبين ان السوق نجحت في اغراء ابعد الناس عنها.

ويروي ان طاهية في احد منازل "فيفث افنيو" تركت عملها لان ارباب المنزل رفضوا تجهيز المطبخ بتلغراف خاص. وندبت احدى الارامل الثريات حظها لان سائق سيارتها تمنع عن خدمتها قبل ان تقفل السوق ابوابها. على ان ليفرمور اقتنع في سريرة نفسه بالمثل الشعبي السائر الذي يقول: "اشتر مما هب ودب تربح"، فجمع موظفيه وامرهم بأن يحللوا اوضاع السوق من خلال وجهة نظر جديدة. كما طلب منهم ان يقارنوا اسعار البورصة الحالية في نيويورك باسعار المرحلة الاولى من السنة ذاتها، فاكتشفوا خسائر ضخمة تعرض لها عدد من ابرز الاسهم في السوق المالية، ووجدوا

كذلك ان اسعار اسهم شركتي "يو. اس. ستيل" و"دوبون" قد فقدت ٤٠ علامة خلال الشهرين الاخيرين ورأوا ان ما يزيد على ستين في المئة من ١٠٠٢ نوع من الاسهم مسجلة في جدول بورصة نيويورك تدهورت الى ما دون المستوى الذي كانت عليه في شهر ديسمبر (كانون الاول).

وبرز عامل آخر هو ان مجموع حسابات التوفير في انحاء البلاد مال نحو الانحدار، وذلك بعد ١٩ سنة من الازدهار. ان السحب المتزايد من الودائع، في اعتقاد صحيفة "كومرشيال اند فاينانشل كرونكل"، يعود، في معظمه، الى اغراءات الكسب في البورصة.

وتأكد لليفرمور، في ختام يومه، الظن الذي كان يخامره، وهو ان هذا الشكل الجديد من المقامرة قد امتدت عدواه بسرعة الى امريكا بكاملها.. وأوحى اليه حسه الغريزي بأن انقلاباً مفاجئاً في السوق بات اقرب مما كان سابقاً، ويعود ذلك الى وجود هذا الجمهور من الناس الذين انضموا الى اللعبة من دون توجيه او تهيئة. "فالسمك الصغير" هذا، تنقصه المزايا الاساسية التي تساعد المقامر المحترف على الصمود: اعصاب باردة وبراعة في استقراء الاحداث وقدرة على ضبط النفس "ساعة يهب الباقون هائمين كالمجانين في كل اتجاه". اما "السمك الصغير" فيرعبه اي تبديل في السوق.

وفي مستهل شهر يونيو (حزيران)، عوض المختلسون في فلنت، معظم خسائرهم وذلك على اثر المشتريات المتأخرة التي قاموا بها خلال شهر مارس (آذار). وهم انتقلوا من استثمار ناجح الى استثمار آخر مثيل به، عن طريق تدوير قسم من الاموال المستعارة في صناعة الطيران والسيارات. وكسب هؤلاء، في ايام معدودة، ٤٠٠٠٠٠ دولار.

ونهار الاربعاء في ٩ يونيو (حزيران) تسربت الى احدهم، هارولد مور، كلمة سرّ مغرية، فوظف للحال قسماً من ماله في اسهم شركات المأكولات. وبعد يومين من هذا التوظيف، ذاع خبر مؤداه ان ج.ب مورغان وشركاه اعلنوا تأييدهم لعملية دمج قريبة بين عدد من الماركات المتزعمة صناعة المأكولات، فارتفعت للحال اسعار الاسهم التي اشتراها مور بنحو ٣٠ علامة. وهكذا، في نهاية الشهر، تمكنت جماعة فلنت من تعويض نصف قيمة المليونين ونصف المليون من الدولارات المختلسة. وادرك هؤلاء ان الطريق امامهم لا تزال شاقة، لكنهم رأوا ان استعادة مليون دولار ونيف، في سوق تستمر في الصعود، ليس بالامر المستعصي عليهم. فصرّح كرمت بيتت، وهو حذر في طبعه: "ان يوم الفرج آت لامحالة خلال شهر واحد او ثلاثة في اصعب الحالات".

اللعبة مفتوحة للجميع

جدّ شارلتون ماك فيغ، وهو احد المصرفيين العاملين في خدمة مورغان، مسرعاً، في اتجاه الباب الرقم ٢٣ في وول ستريت قبل ان يسبقه اليه احد من شركاء سيده. وبينما هو يعبر الشارع من رصيف الى آخر، وقعت عينه على جوزف كينيدي واقفاً في ظل كنيسة الثالوث الاقدس

وظهرت على الايرلندي ملامح انسان لذعته شمس حارة فبدا نحيف الجسم، رشيقاً يتمتع بحال من الارتياح بعيدة عن تلك التي وجده فيها ماك فيغ ذات صباح سابق على اثر الذل الذي انزله به معلمه جاك مورغان.

كان كينيدي أحد ابناء رجل اعمال وزعيم سياسي كاثوليكي في مدينة بوسطن، وقد جمع ثروة لا يستهان بها من الاعمال المصرفية. والانتاج السينمائي. ثم زاد على ثروته مالا فوق مال البورصة. لكن احداث بداية ١٩٢٩ اقلقته فقرر بيع اسهمه والانسحاب من البورصة. وقبل ان ينفذ قراره هذا، شاء مفاتحة مورغان في الامر. لكن مورغان رفض استقباله، مدفوعاً بعامل التعصب للمقاييس البروتستانتية التي تركزت عليها اركان مؤسسته.

اما اليوم فقد بدت دلائل العافية على وجه كينيدي معززة الاشاعات الرائجة في الاوساط المالية ومؤادها ان ابن بوسطن استسلم في الاونة الاخيرة لحياة اللهو والترف.

ان الرجل، على رغم حداثة نعمته، لا يزال منجذباً بالمراكز العليا والسلطة. وهو يدرك ان هذا لن يتم له ما لم يضع يده على ثروة ضخمة. وهو قصد وول ستريت صباح هذا الاربعاء ١٧ يوليو (تموز) وفي نفسه حاجة. قصده لكي يجس نبض سوق السندات المالية بعناية ويطلع بنفسه من دون وسيط، على الاوضاع ويصغي الى وجهات نظر ابرز المتحرفين القدامى هناك. وقد تنبه الى وجود مايكل ليفين الثري الكبير وصاحب اعرق مؤسسة للخدمات في المنطقة، فرآه يعبر دار "مورغان هاوس" من دون ان يعيرها اي انتباه، فلم يعجب للامر بل ردد في نفسه: "عاملوه في هذه الدار معاملة سيئة وليس كينيدي من الناس الذين يتناسون الاهانات بسهولة".

اظهر انداد كينيدي كرهاً مكشوفاً له، اذ انهم طالما وقعوا في فخ سحره من دون ان يدركوا ان وراء مداعباته يختفي انسان "له قلب لا يرحم وعقل ماض كحد الموسى" كما جاء على لسان جون. ج. راسكوب.

وراسكوب واحد من الذين غضوا النظر عن النهج العنيف التهجمي الذي يتبعه كينيدي في اعماله، فراح يردد ان هذا الايرلندي هو حصيلة البيئة التي عاش فيها. واسرّ ذات يوم للمصرفي جايمس ريوردان: "ان كينيدي يخفي وراء كلامه المعسول نفسية انسان ايرلندي من عامة الشعب". فابتسم ريوردان واعترض على هذا الكلام قائلا: "لو انه جاء على لسان شخص آخر غير راسكوب لكان صرعه ارضاً، اذ ان ريوردان من اصل ايرلندي كذلك وهو فخور بهذا الاصل".

استقبل الرجلان جو كينيدي بحرارة في احد مكاتب وول ستريت الذي يخص صديقاً لراسكوب يدعى ارتوركوتن. وظهر هذا كأحد ابرز المضاربين المستترين في وول ستريت. فنذر ان تظهر له صورة في الصحف او يؤخذ منه تصريح. وهو باح يوماً لجيانيني: "ان ذكر اسمك في الصحف لا يرد عليك مالا".

عقد الاجتماع الرباعي في جوّ من الارتياح والبساطة. فتح الحديث

راسكوب ثم تبعه ريوردان فكوتن. وعرض الثلاثة امام كينيدي احداثاً ليست غريبة عنه واظهروا تفاؤلهم بالنسبة الى الوضع العام. لكنهم لم يقنعوا كينيدي، فبدا له ان وجهة نظرهم التي تمثل وجهة نظر وول ستريت بالذات، ضيقة المدى وقد تكون ضحية الدعايات التي يخلقونها هم انفسهم. فتركهم وشأنهم وراح ينتقل من دار سمسرة الى اخرى، طارحاً الاسئلة ومصغياً الى الاجوبة عنها، فسمع الكلام نفسه الذي ردده عليه الرجال الثلاثة. وقيل له ان اسهم "دوبون" في ارتفاع، واسهم "يو.اس.ستيل" في ارتفاع ايضاً واسهم "كونسوليتداتد غاز" هي كذلك. وشعر بالتفاؤل يغمره من كل صوب.

وعند الظهر، وجد نفسه من جديد على رصيف وول ستريت. فتوقف امام الرقم ٦٠ واخذ يتأمل ماسح الاحذية بات بولونيا وهو مستغرق في قراءة "وول ستريت جورنال". فتسلق كرسيه المرتفعة وجلس فيها، ثم سأل الماسح: "كيف حال السوق يا بات؟" فأجاب: "انها مزدهرة، يا سيدي، مزدهرة جداً. هل انت في حاجة الى كلمة سر؟". فابتسم كينيدي وهز رأسه ايجاباً فتابع ماسح الاحذية: "اشتر اسهم البترول والقطارات الحديد. ان اسعارها ستنطح السحاب. مر علي اليوم احد المطلعين على الامور من الداخل واخبرني".

ناول كينيدي الماسح ربع دولار وابتعد.

في تلك الليلة اسر جوزف كينيدي في اذن زوجته روز: "ان سوقاً مفتوحة لجميع الناس، يتنبأ بها ماسح الاحذية، ليست سوقاً مناسبة لجوزف كينيدي".

قنبلة بابسون

عند اقفال البورصة نهار الخميس ٨ اغسطس (آب) انتشر الخبر بأن مجلس الاحتياط الاتحادي سمح اخيراً لمصرف الاحتياط في نيويورك برفع معدل الحسم علامة واحدة، فأصبحت ٦ في المئة. وقد اجتاحت وول ستريت، على الاثر، موجة من "العويل والرعب" دامت حتى الجمعة حين لوحظ حدوث هبوط واسع في الودائع، لكن السوق استعادت جزءاً من عافيتها في صباح السبت. الا ان الناس ظلوا يتخبطون في حيرة متسائلين عن مصير السوق: وهل هي حقاً في انحدار. وراح الناس يتوافدون على وول ستريت من كل انحاء امريكا ليشهدوا ماذا سيحدث نهار الاثنين.

وفي الثامنة من صباح الاثنين، ١٢ اغسطس (آب)، توجه الى وول ستريت احد مديري ردهة البورصة وليم كراوفورد، وهو قدم الى الساحة ساعة قبل موعده، فلاحظ بعينه الخبيرة الحشود حواليه. وكان تجمهر في وول ستريت وحده آنذاك ما لا يقل عن الف شخص. وتوزع مثلهم في الشوارع القريبة مثل "ناسو" و"برود" و"وليم". ووقف حشد آخر بصبر وجلد امام الرقم ٥٥، على ابواب مصرف "ناشيونال سيتي بنك"، بينما توزع آخرون امام المصارف الباقية مثل "بنك اوف مونتريال"، و"بنك اوف يونايتد ستايتس". وقدر كراوفورد هذه الحشود كلها بخمسة آلاف شخص.

وفي التاسعة، وقف احد السماسرة توم براغ عند طرف الشارع برفقة يو. اي هوتون ميللر، المعروف بـ"هوت" بين اصحابه. وقف الرجلان امام دار السمسرة الشهيرة" يو. اي.هوتـون" وشركاه التي اسسها جدّ "هوت". فاجال هذا بنظره في الشارع المكتظ بالناس ثم مال الى براغ سائلا: "ما رأيك لو نقلنا البورصة الى "يانكي ستاديـوم (اكبـر ملاعـب نيويـورك الرياضية)؟".

اخذ مايكـل ليفيـن طريقـه الـى مكتبه، حيث يشرف على ادارة جيش من السعاة مؤلف من الفي شخص. فبدا له ان هذا النهار سيكون انشط يوم عرفه في حياته. ولفتته خصوصاً نوعية الناس المحتشدين في الساحة: ليس فيهم ما يدّل على انهم من اهل المال.

قضـى ليفيـن نهـايـة اسبـوعـه يتدارس، على غرار سواه من محترفي السوق، الخطوة التي سيقدم عليها مجلس الاحتياط الاتحادي ويتساءل عن مدى مفعولها بالنسبة الى سوق الشراء التصاعدية. وبعد ساعة من النشاط، تبين له انه لا مجال الى القلق. ان رفع معدل الحسم، بعد جدل طال منذ شهر شباط، لن يولد اكثر من الحازوقة التي استولت على السوق خلال نهار الجمعة. وان الامور ستعود الى مجراها السابق، لا بل ستتحسن.

وفي الثالث والعشرين من يونيو (حزيران)، توصل كلارنس هاتري في لندن الى جمع قرابة ٩٠ في المئة من الاموال التي يحتاج اليها لشراء اسهم "يونايتد ستيل". ولكن ظلت تنقصه قيمة تقل عن مليون دولار، او، كما جاء على لسانه في ما بعد، "تلك الحصـة الاخيـرة المشؤومـة". لقـد استنفد جميع الموارد التي كانت فـي متناوله وتورط في عمليات لا تليق بأمثاله وهي مـن عـادة المحتاليـن. ووقف وراء خطةمن الاحتيال تقضي باصدار "شهادات علاوة" وهي كناية عن ايصالات في شكل سندات، تشير الى مال مقبوض، كانت تستبدل لاحقاً فـي الظـروف الطبيعيـة بسـنـدات صحيحة. وهذه الشهادات التي تتناول كميات ضخمة من المال، حملها عملاء هاتري الـى المصـارف واستودعوهـا اياها في شكل ضمانات تسليف. وهكذا اصدروا خلال ستة اسابيع ما توازي قيمته مليون جنيه استرليني.

وادرك هاتري ان الوقت لن يطول حتـى يـبـدي اصـحـاب المصـارف شكوكهـم فـي شهاداتـه الوهميـة. فحاول في بداية الامر التعامل مع وول ستريت من اجل سدّ عجزه المالي، فرفض الامريكيون الذين اتصل بهم التسليف الفوري للمال المطلوب، اذ انهم كانوا يراقبون حزب العمال وتصرفاته في معالجة شؤون الاقتصاد البريطاني المتراخي. فاضطر هاتري للتوجه الى كبرى دور المال في اوروبا. واستمرت محاولاته الاوروبية حتى ٣١ سبتمر (ايلول). وقد واجه تردداً في التعاون مع بلاد لم يصدر عنها الا النذر القليل من اشارات الانتعاش في ظلّ الاشتراكية. فعزم هاتري القيام بخطوة جريئة فلجأ الى مونتاغو نورمان، حاكم "بنك اوف انغلند"، الرجل الوحيد في عرفه القادر علـى انتشالـه مـن ورطتـه. فاستقبله نورمان بلطف، وقال له،

بعدما استمع اليه: : "اني آسف للمشاكل التي تعترضك ،واني اعتقد انك دفعت ثمناً غالياً لشركات الحديد التي تنوي شراءها". فأكد له هاتري ان الدمج الذي يقوم به "يلاقي الدعم الكامل والدعم التام من سلطات مدينة لندن".

فأجاب مونتاغو: "من الواضح ان واقع الامور يناقض قولك، والا لما كنت هنا الآن". فسأله هاتري: "هل هذا يعني انك لن تمد الي يد المساعدة". فأجاب مونتاغو جازماً: "اجل لن اساعدك". فخرج هاتري من "بنك اوف انغلند" شارد الافكار معقود اللسان.

وفي السادس والعشرين من اغسطس (آب) اشترى مختلسو "يونيون اندستريال بنك" في فلنت، اسهما للقطار الحديد بقيمة عشرة آلاف دولار، ثم بعد يومين باعوها بربح ملحوظ، ولم يعد ينقصهم لاستعادة المليونين ونصف مليون من الدولارات "المستقرضة" من مصرفهم سوى ٦٠٠٠٠ دولار، فبدا لهم ان ازمتهم هي في طريق الانفراج.

قبع جيسي ليفرمور في مكتبه في الطابق الثامن عشر من "فيفث افنيو"، مستسلماً لحسه الخاص الذي كان ينبئه بأن الاحداث تسير نحو "مرحلة حاسمة". ثم استدعى موظفيه ووعدهم بمكافآت اضافية اذا هم تمكنوا من تقديم البراهين الملموسة لحدسه هذا.

فنبلة الانذار الاولى وردت من وراء الاطلسي وتفجرت في مكتبه. فبعد ظهر الاربعاء ١٤ سبتمبر (ايلول).

روت الاخبار ان مسؤولا كبيراً في "بنك اوف انغلند" نشر اشاعات معينة حول محاولة يقوم بها مونتاغو نورمان، حاكم المصرف لايجاد المبررات اللازمة لرفع معدل الفائدة قبل نهاية الشهر. فاذا صدقت هذه الاشاعات، فذلك يعني ان الاموال المخصصة لسوق وول ستريت ستتحول في طبيعة الحال الى لندن، تاركة وراءها تاثيراً سيئاً على السوق الامريكية.

وجاء في الاخبار مقطع آخر جدير بالتأمل والاعتبار، يقول ان كلارنس هاتري في ورطة جدية مع ادارة الضرائب.

عاد ليفرمور الى مكتبه باكراً في الصباح التالي، قبل ان يعود موظفوه المنهكون الى حساباتهم المعهودة. وفي الساعة الثامنة، تحدث الى احد مراجعه في بوسطن فذكره هذا بأن الجمعية الوطنية للتجار تقيم في هذا النهار مأدبة غدائها السنوية وبأن خطيب هذه الحفلة سيكون روجير بابسون الاقتصادي الذي كانت له نظرة متشائمة الى السوق، خلال السنتين الاخيرتين.

عند الظهر، وضع ليفرمور اللمسة النهائية على مخططه واستعان بثلاثين وسيطاً فقط للمحافظة على سرية المخطط ثم شن غارة من البيع المخفض الاسعار باسهم تساوي ٣٠٠٠٠٠ دولار.

وفي الثانية عشرة والنصف، نقلت "اسوشييتدبرس"، على آلاتها المنتشرة في انحاء البلاد، خبراً خاطفاً يتعلق بخطاب بابسون. قال الخبر: اقتصادي يتنبأ بانهيار في

سوق السندات المالية يراوح بين ٦٠ و٨٠ علامة"٠ وفي تلك اللحظة، تأهب وليم هوتون ميللر لتلبية دعوة متأخرة للطعام، فسقط الخبر كالقنبلة على مكاتب شركته، واخذت المكالمات التلفونية، تنهال عليه من الزبائن المطالبين بالبيع٠

اقفل جون راسكوب باب مكتبه في "بارك افينو"، ثم القى نظرة على الحجرة التي تضم آلة التلغراف وما ان استقرت عيناه على شريطها الاخباري حتى هرع نحو مكتبه من جديد٠

وفي الثانية من بعد الظهر، اصدر البروفسور في جامعة "يال" ارفنغ فيشر، ردا معتدلا على قنبلة بابسون، نقلته صفحات "الهارولد تريبيون" واستبعد فيه حصول انهيار مرتقب، فانتقل الخبر الجديد بدوره الى خطوط التلغراف٠

تابع ليفرمور عملياته في البيع باسعار مخفضة حتى ساعة اقفال البورصة٠ فهبطت ارقام مؤشر جريدة "نيويورك تايمس" عشر علامات، وتدهور عدد وافر من الاسهم الفردية بنسبة اكبر٠ فبلغ عدد الاسهم المتداولة ذاك النهار، ٢٨٠ ٥٦٥ ٥ سهماً٠

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر، اخذ رد البروفسور فيشر يزداد انتشاراً في البلاد، فادرك ليفرمور ان السوق ستعود لتجمع قواها في اليوم التالي٠ فدعا موظفيه واحاطهم علما بأنه سيعمل، في الساعات الاولى من الصباح، على تغطية موقفه في البيع باسعار منخفضة٠

كان ليفرمور على صواب٠ فقد سلكت الاسهم طريق الربح، منذ الساعة الاولى من نهار الجمعة ٦ سبتمبر (ايلول) واستعادت غالبية الخسائر التي لحقت بها بالامس٠ "وعاد كل شيء الى حاله السابقة" كما جاء على لسان بات بولونيا، ماسح الاحذية المتفائل، خلال النهار اللاحق، اي السبت وهو النهار نفسه الذي وصل فيه ونستون تشرشل الى الولايات المتحدة٠

وصباح الخميس ١٩ سبتمبر (ايلول)، دخل كلارنس هاتري برفقة ثلاثة من مديري امبراطوريته المكتب الفسيح الذي يملكه السيد غيلبرت غارنسي، احد ابرع المحاسبين القانونيين في لندن٠ وكانت ادارة "لويدز بنك" كلفت غارنسي التحقيق في قدرة شركات هاتري على توفير ضمانات اعتمادية٠ وكان هاتري اتصل في اليومين الاخيرين بـ "لويدز" في محاولة اخيرة يائسة للحصول على الاموال الضرورية لشراء "يونايتد ستيل" بغية الحفاظ على مصداقيته بين الناس ورد الخطر عن امبراطوريته الواسعة٠ لكن محاولاته قوبلت بالرفض، عندها فهم هاتري ان ساعة نهايته قد دقت٠

جلس غارنسي يستمع الى اعترافات هاتري وكأن على رأسه الطير٠ فاقر هاتري بانه ارتكب جرائم فادحة وان الديون المتراكمة على شركاته بلغت ١٩ مليون جنيه استرليني، بينما اصولها لا توازي اربعة ملايين٠

وفي ختام حديثه، وعده غارنسي بأنه سيتوجه تواً الى "بنك اوف انغلند" لمقابلة مونتاغو نورمان، علّه يجد معه وسيلة لتجنب الكارثة٠ لكنه

لم يلبث ان عاد متجهم الوجه وصرح ان وساطته قد فشلت. ثم اضاف، موجهاً كلامه الى هاتري وشركاه، "ايها السادة، لي نصيحة واحدة اعرضها عليكم. سلموا انفسكم الى العدالة".

في اليوم التالي، دخل جميعهم السجن.

هزة مالية

في التاسع عشر من شهر سبتمبر (ايلول)، تواعد مختلسو فلنت على الاجتماع في قاعة المجلس ليلا. فقد نزلت عليهم "قنبلة بابسون" كالصاعقة، وقفزت بخسارتهم من ٦٠٠٠٠ دولار الى ٣٠٠ ٠٠٠ دولار. وسبق ان حدث انهيار قاطع في السوق في العاشر من الشهر ذاته، فضربوا به وخسروا قرابة ٤٠٠ ٠٠٠ دولار.

قامت القيامة في صفوفهم تلك الليلة، واستولى "الرعب الشديد" عليهم جميعاً، فلم يعد كرمت بينت يذكر تماماً ما جاء على لسان رفاقه، لكنه يعلم ان كل ما قالوه كان مجرد هذيان. واستقر رأيهم، قبل ان يتفرقوا على ان لا مفر من متابعة العمليات الاحتيالية.

في هذا النهار اتهم كلارنس هاتري في لندن بالاحتيال بمبلغ ٢٧ مليون دولار.

ومساء الاحد ٢٢ سبتمبر (ايلول)، فتح ليفرمور صفحات مخطوط لكتاب جد في تأليفه واخذ يقرأ على مسامع زوجته: "العلة والمعلول يتفاعلان انطلاقاً من الاقتصاد الى السندات المالية، وليس العكس. ان اقتصاداً متقلباًتهزدكل الاحداث "المتنوعة والتي تبدو في ظاهرها وكأنها غريبة عنه". ثم اضاف: "ان انهيار امبراطورية هاتري يدخل في اطار هذه النوعية، فاذا صدق ان التملك المضلل تناول كميات ضخمةمن المال، فان ذلك قد يسبب موجة من التصفيات قادرة على ان تزعزع ليس فقط بورصة لندن وغيرها من اسواق السندات المالية المتأثرة بها، امثال شانغاي وجوهانسبورغ وسيدني ومونتريال وتورنتو، بل كذلك بورصة نيويورك بالذات.

ترقب شارلتون ماك فيغ انفضاض الاجتماع الباكر الذي عقده شركاء مورغان، فطال الاجتماع اكثر من المعتاد. وعلم شارلتون، كما علم غيره من الموظفين، ان الشركاء جاؤوا خصيصاً في ساعة مبكرة للتجمع حول مكتب توماس لامونت. وشاع خبر بأن رسالة خطيرة وصلت المجتمعين من جاك مورغان، الموجود حاليا في لندن لدرس وتقويم ردات الفعل الممكنة لسقوط هاتري. اما حقيقة الامر فلن يدري بها احد سوى الحلقة الانيقة من الرجال الملتفين في هذه اللحظة حول توماس لامونت، ولن يطلع احد غيرهم على تفاصيل جلستهم هذه، لان السياسة المتبعة في "مورغان هاوس" تمنع تدوين محاضر لمثل هذه الجلسات. بقي امر واحد وثق الجميع به، كما يدعي جاك مورغان في وقت لاحق، وهو ان سقوط هاتري اثر تأثيراً مباشراً على جميع الاحداث التي جرت هنا.

صباح الثلثاء ٢٤ سبتمبر (ايلول)، قاد جو غارسيا سيارة معلمه، محاطا بصمت نادر. فأخذت السيارة طريقها

بين سان ماتيو وسان فرنسيسكو، فقبع فيها اي٠ بي٠ جيانيني متحدباً بقربه، وجلست ابنته كلار صامتة في المقعد الخلفي من "الرولز رويس"٠

ان الضربتين اللتين اصابتنا السوق في بداية الشهر اقلقتا جيانيني٠ وقد تحدث هذا الى اخيه اتيليو ـ المعروف بـ "الدوك" بين افراد العائلة ـ في نيويورك، حسب عادته، فاخبره "الدوك" بأن عدداً من التجار المضاربين على الهبوط ظهر في الساحة وان بعضهم اخذ يشيع عن حدوث "هزة" قريبة في السوق٠

ولما وصل جيانيني الى فرع "بنك اوف امريكا" في الحي الصيني في سان فرنسيسكو تلقى مخابرة اخرى من "الدوك" في نيويورك يقول فيها: "لقد حدث تزعزع مفاجىء في السوق٠ اننا نغرق"٠

ان السرعة التي تم بها هذا التزعزع اخذ جيسي ليفرمور على حين غرة٠ فاذا بالسوق تعلو لحظة، ثم تتدهور في الاخرى٠ فجمد في مكانه يتفرس في تلغرافه يسجل مراحل هذا التقلب، فالانهيار٠ وعزا ليفرمور ما حدث الى ازمة هاتري٠ لكنه لبث مقتنعا بوجود "قوى" اساسية اكثر خطورة من هاتري تتمخض كأنها في اجهاد شبيه باجهاد الهزات الارضية٠ فكل العلامات، في نظره، اشارت فعلا الى ان هزة مالية هائلة، على مثال الهزة الارضية، ستحدث في القريب العاجل٠

اشاع هذا التزعزع جواً من الكآبة في اجواء المختلسين الخمسة عشر في "يونيون اندستريال بنك" في مدينة فلنت٠ فخلال اقل من شهر، انهم "اقترضوا" وخسروا معا مبلغ مليون ونصف مليون دولار٠

ان ازمة كلارنس هاتري لم تترك لبعض المضاربين الكبار في السوق سوى مخرجين، اما الانسحاب التام من اللعبة،واما البيع باسعار مخفضة ففي مساء الثلثاء، بدأ الخبير المالي برنارد باروخ "يبيع كل ما وقعت عليه يده"٠ وتشبه به ابنه، وهو من الوسطاء الشبان الطالعين، فتخلص من اسهمه٠ وتنازل السمسار القديم العهد ميشال سي٠ بوفييه، وهو في الثانية والثمانين من عمره، عن جميع الاسهم العادية التي ضمتها حقيبته٠ وضاهاه ابن اخيه جاك بوفييه، الاختصاصي في المركز الرقم ١١ من البورصة ووالد طفلة ولدت قبل شهرين، فحول معظم اسهمه الى اموال نقدية٠

اما جوزف كينيدي فقد ظل راسخاً في موقفه متربصا ساعته٠

وصباح الاربعاء ٢٥ سبتمبر (ايلول)، قبل افتتاح السوق النيويوركية، نقلت البرقيات خبر الاجتماع الذي ينوي عقده حكام "بنك اوف انغلند" وقالت مصادر موثوق بها "ان الحكام قرروا التذرع بسقوط هاتري وبتدني احتياط الذهب، لرفع معدل الحسم٠ في الساعتين الاولى والثانية من السوق، تدفقت طلبات ملحة للبيع٠ ثم وصلت اخبار اخرى سيئة من لندن: قيمة الجنيه الاسترليني ترتفع مما دل على ان الرساميل ستهجر بقية البلدان، بما فيها الولايات المتحدة، وتتوجه نحو لندن طمعا في الفوائد المرتفعة المرتقب دفعها في بريطانيا٠ فتدهورت للحال اسعار الاسهم٠

وفي اليوم التالي، رفع "بنك اوف انغلند" معدل الحسم الى ٢/١ ٦ في المئة، اي بزيادة نصف علامة على معدل نيويورك. فلم يصدر على هذا القرار اي تعليق رسمي من بورصة نيويورك او غيرها من البورصات في الولايات المتحدة، على ان السوق بقيت على حالها طوال النهار وارتفعت اسعار بعض الاسهم بنسبة معتدلة. لكن المصارف المركزية في النمسا والدانمرك واسوج والنروج وايرلندا،لم تنتظر اكثر من ٤٨ ساعة كي ترفع هي ايضا معدلات الحسم لديها.

البداية

لم يكف جون راسكوب، المتفائل الدائم، عن الحديث مع ضيوف الغداء عن الاسباب التي تحمله على التمسك بالمضاربة على الصعود.ومالت عيناه من طرف المائدة الى طرفها الآخر وتنقلت من بللي دورانت الى ارتوركوتن فالى جامس ريوردان وبرسي روكفلر والاخوة دوبون واوريس ومانتس فان سوارنغن، اصحاب امبراطورية شركة ضمان القطار الحديد حتى استقرتا في النهاية على وليم لامب المهندس المختار لبناء "امباير ستايت بلدينغ".

وقال راسكوب: "ان عوامل قوية تتحرك، وتنظر الى وول ستريت" نظرة غير ودية، مما يؤثر مباشرة على مسلك السوق. فالخطأ كل الخطأ ان نتجاهل، من جهة هذه "العوامل" ومن جهة اخرى، هذه النظرة. ان الموقف الصحيح يقوم على مواجهة الاثنين وعلى محض السوق "ثقة ايجابية".

ثم اشار الى وليم لامب، فغادر الاثنان الغرفة ثم عادا حاملين نموذجا يمثل "امباير ستايت بلدينغ". فقال راسكوب: "ايها السادة، اليكم صورة عن رهاني، نصباً للمستقبل". واوضح ان: "ناطحة السحاب ترمز الى امريكاالتي اؤمن بها - هذه البلاد التي نطحت السحاب في حين حافظت على اقدامها في الارض". المشروع ضخم وتكاليفه باهظة، لكن تحقيقه ممكن "لان الايمان بالمستقبل، المنعكس في السندات المالية، سهّل علينا مهمة جمع المال له من دون صعوبة".

وعاد لامب الى الكلام فذكر ان طلبات البناء قد وجهت الى كل المصانع في مدينة بيتسبورغ من اجل الحصول على ٦٠٠٠٠ طن من الحديد، اي ما يوازي مدّ خط حديد يربط نيويورك بمدينة بلتيمور، وستزين البناء ٦٥٠٠ نافذة، وترفعه عن الارض عشر ملايين قرميدة يكسوها ٥٥٠٠ متر مكعب من الكلس. وبدأت المعامل، قبل اشهر من موعد التسليم، تجدل ١٥٠٠ كيلومتر من القضبان الحديد الضرورية لحمل ٧٣ مصعداً كهربائياً تقوم على ممرات رأسية لا يقل طولها عن ١١ كيلومتراً.

هزّ الضيوف رؤوسهم باعجاب وقد اعتاد معظمهم المشاريع الضخمة. وانتصب راسكوب واقفاً الى جانب النموذج وقال: "ايها السادة، ان الوطن الذي يستطيع ان يوفر الرؤيا والمال والشعب لبناء نصب على هذه الشاكلة، لا يحق لنا ان ندعه ينهار بسبب غياب دعم امثالنا له".

وقد لاقى كلامه آذاناً صاغية.

وفي التاسع عشر من اكتوبر (تشرين الاول)، بدأت السوق تتزعزع بعد دقائق من افتتاحها، وخلال ساعتين من النشاط، شهد بعض الاسهم هبوطاً بنحو اربعين دولاراً. وما ان تسقطت آذان مختلسي "يونيون اندستريال بنك" هذه الاخبار حتى استولى عليهم الرعب مرة اخرى فراحوا يرفعون الصلوات الى رب السماء كي يشفق عليهم ويقوم حركة السوق. لقد ادركوا الآن ان ثرواتهم وثروات العديدين غيرهم من الناس عالقة بهذا الامر.

وبعد اربعة ايام، تدهورت الاسعار مجدداً وسجلت الاسهم هبوطاً مفجعاً. فهبط سعر سهم شركة "ادامس اكسبرس" ٩٦ دولاراً و"كومرشال سولفانتش" ٧٠ دولاراً و"مصاعد اوتيس" ٤٣ دولاراً و"وستنغهاوس" ٣٥ دولاراً و"جنرال الكتريك" ٢٠ دولاراً. وارتفع عدد الاسهم المبيعة حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر الى ٩٦٠ ٣٧٤ ٦ سهماً، مسجلا الرقم القياسي الثاني في تاريخ البورصة.

كانت هذه البداية.

الخميس الاسود

عصا النوم على جفن كرمت بيتت فهجر فراشه ودقت الساعة السادسة والنصف من صباح الخميس ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول). وبقي هذا التاريخ محفوراً الى الابد في ذاكرة كرمت. خارج منزله، تكدست الثلوج التي تركتها وراءها عاصفة مرت على المدينة. وتعطلت الخطوط التلفونية فقطعت فلنت عن العالم.

وكانت الاذاعات الثلاث كرست في الليلة السابقة، وقتا طويلا من برامجها لاخبار الهبوط الذي دهم السوق خلال النهار، وحققت اذاعات ديترويت تغطية واسعة واوردت تفاصيل انهيار اسهم صناعة السيارات. وجاء في هذه الاخبار ان "جنرال موتورز"، وهي الشركة الصلبة كالصخر، لم تخل من التزعزع على اثر الصدمة. ان المكالمات التي انهالت على بيتت حول اوضاع "جنرال موتورز" هي التي حرمته النوم تلك الليلة. والسبب انه هو ورفاقه وظفوا "جبلا من المال" في هذه الشركة، قبل هبوط نهار الاربعاء بفترة قصيرة. وعاد الى ذاكرته الذعر الشديد الذي لمسه في اصوات رفاقه الثلاثة - ابوّت بريد وروجير مايز وايريك تومسون، الوحيدين الذين يملكون في منازلهم خطاً تلفونيا، فعلت هذه الاصوات الى حد" الهستيريا. وصرخ بريد من جهته: "انها الكارثة" وردد تومسون: "اننا ندفع ثمن خطايانا".

قفل هوتون - ميللر راجعاً الى وول ستريت في الساعة السابعة والنصف من الصباح، بعد ست ساعات فقط من مغادرته له، واكب من جديد على العمل الشاق الذي اضطره الارهاق الى وقفه في ساعات السحر من يوم الخميس هذا. وهو في طريقه الى مكتبه،لفتته الجموع المحتشدة امام ابواب المصارف وغرف العمليات الخاصة بالزبائن. انها صفوف طويلة من البشر لم يشهد لها مثيلا. وكان هناك حشد من الرجال والنساء يسد مدخل دار "هوتون". وعندما بان "هوت" لاحد الحرس اخذه هذا بيده وقاده الى الداخل. وهنا تصاعدت

صيحات غضبه وتذمر وقال هوتون: "انني امثل واحداً من هؤلاء الذين يعملون على تحطيم احلامهم".

الساعة ٩،٤٥ صباحاً، وقف جون راسكوب الى جانب جهاز التلغراف وردد في نفسه: "انني غارق حتى رأسي في السوق، ان حياتي وحياة عائلتي، ان مستقبلي ومستقبلها... كلنا تحت رحمة ما تطل به علينا هذه الآلة من اخبار".

ونهيأ لبات بولونيا، ماسح الاحذية، ان الصمت في اجواء وول ستريت ينطوي على ترقب كبير. فقال: "جمد الناس في ارضهم وانظارهم عالقة بالبورصة. فجاء صمتهم شبيهاباللحظةالتي تسبق الانطلاق في السباق الكبير. بقيت الدقيقة الثالثة بعد العاشرة مشدودة الى بال "هوت" اذ سمع فيها صوتاً هائجاً يسقط كالصاعقة بين جدران الشركة ويصرخ: "السوق تبيع وتشتري بضخامة وانتعاش".

وهذا ما حدث فعلا، ففتحت السوق ابوابها بانتفاضة خاطفة.

عادت اسهم "كينكت كوبر" فارتفعت اسعارها ١١ دولاراً في عملية تناولت ٢٠٠٠٠ سهم، بعدما كانت عرفت سقوطاً قبل اقفال نهار امس. وسجل سهم "سنكلير اويل" ربحاً مقداره نصف دولار في عملية تناولت ١٥٠٠٠ سهم واستعادت "ستاندارد براندز" ٤٠ سنتاً في السهم الواحد. فتوجه "هوت" الى طاولة العمليات، ذاك المكتب الضخم المغطى بآلات الهاتف، ودار عملاؤه حوله في عجز ازاء تفاقم المخابرات غير المنقطعة.

والح العديد من الزبائن على تمديد مواعيد التسديد، بعدما اظهرت السوق بوادر العافية. وفي الدقيقة العاشرة من الساعة العاشرة جاء طلب بيع يتناول ١٣٠٠٠سهم لشركة "باكارد موتورز"، فتضاعفت الآمال بهذه العافية المستعادة. وصمدت الاسعار خلال الخمس عشرة دقيقة التالية.

وفي العاشرة والنصف تقريباً، عادت الخسارة فظهرت لدى "جنرال موتورز" بنسبة ثمانين سنتاً للسهم وتناولت هذه العملية ٢٠٠٠٠ سهم. وبعد اربع دقائق تناول "هوت" هاتفاً بقربه فطرق سمعه صوت يائس يطلب القبول بالبيع باي سعر معروض، ويردد باعلى حنجرته كلاماً تناهى الى اسماع سائر دور السمسرة: "بيعوا، بيعوا بسعر السوق".

وفي الحادية عشرة والنصف، ضاعت الطاسة بين الموظفين العاملين في البورصة فالقوا جانباً المراسم التقليدية المفروضة عليهم. فالاصول المرعية تحرّم عليهم "ان يركضوا او يشتموا او يتدافعوا او يتنقلوا من دون ستراتهم". فاخذ معظمهم في تلك الفترة يركض ويشتم ويتدافع ويتنقل بدون سترات. واستولى الرعب على الردهة وتفاقمت الفوضى مع ورود اخبار الشؤم على شريط التلغراف.

تسمر وسطاء المركز الرقم ١ حول منضدة العمل تضغط عليهم حشود تمكن منها انفعال شديد. واحاط باوليفر بريدجمان، الاختصاصي بشركة "يو. أس. ستيل" جمع صاخب يلوّح بأيديه مهدداً.

وفي هذه الفترة، اطل ونستون

تشرشل على الردهة من شرفة الزائرين. وهو كان قدم الى وول ستريت في الساعة التي عرف هذا الشارع ذروة الرعب. وشاء ان يراقب "حركة فيه من هذا المكان المفضل. واستيقظت فيه للحال نفسية المراسل الصحافي، الذي يسجل كل ما تقع عليه عيناه من معلومات شائقة فيجمعها في سلسلة من المقالات نوى ان يخص بها صحيفة "الدايلي تلغراف" اللندنية. فراح يراقب مسرح الاحداث باعصاب هادئة، وقد الفت نفسه مواجهة المواقف العصيبة، فتبين له "ان ما يراه يدل على هدوء عجيب وانضباطية (...) يراهم هنا يعرضون على بعضهم البعض جبالا ضخمة من السندات باسعار توازي ثلث اسعارها السابقة ونصف قيمتها الحاضرة ويقفون منتظرين دقائق طويلة فلا يجدون من تميز بالمناعة الكافية للاستيلاء على ثروات اكيدة فرض بيعها".

عاد ونستون تشرشل من زيارته الى وول ستريت من دون ان يتصدع ايمانه باميركا. فمهما كانت الانطباعات التي حملها معه في شأن تدهور السندات المالية الاميركية، فانه صمم على كبتها.

وفي الثانية عشرة والدقيقة العشرين، كتّف شارلتون ماك فيغ يديه وتوقف عن العمل عاجزاً، وانصرف مع رفاقه لمراقبة تسلسل الاحداث خارج "مورغان هاوس"، اذ لم تعد الجدران الغليظة التي تصون حرمة هذه الدار قادرة على تغطية الضجة الناقمة المتصاعدة من الحشود المزدحمة على ابواب البورصة.

دخل تشارلز ميتشل، الرئيس الجديد "لناشونال ستي بنك" على "مورغان هاوس" من دون سترته، فاستغرب الوسطاء الشبان الامر المناقض للاصول ورأوا في ذلك دليلا قاطعاً على "ان الاوضاع لا بد انها اصبحت سيئة حقاً". وتفاقم استغرابهم لما اطل عليهم غيره من الشخصيات المالية المرموقة التي توافدت على مكتب توماس لامونت. وكتبت ال"نيويورك تايمس" في وقت لاحق ان هذه المجموعة البارزة من اهل المال "كانت تمثل ما يفوق ٦ مليارات دولار من الموارد المصرفية الموحدة"، ولا تدخل فيها الثروة الطائلة التي يحتويها "هاوس اوف مورغان".

وتسرب الخبر بان لامونت وزملاؤه اسسوا، على اثر تداولهم، تجمعاً تجارياً لشركاتهم اودعوا صندوقه المشترك ملايين الدولارات، فشاؤوا بذلك "ان يوفروا للسوق حالا من الاستقرار". اما حجم الودائع التي دخلت الصندوق المشترك فكان يتبدل لدى انتقال اخباره من شفة الى شفة ومن مكتب الى آخر. لكن قيمتها الفعلية دارت حول رقم الخمسين مليوناً الذي وضع حالا قيد الانفاق.

وفي الاولى والنصف، دخل الردهة نائب رئيسها ريتشارد ويتني فتوقف امام المركز الرقم ٢. وهو نزل الى الردهة بصفة الوسيط الموفد من التجمع التجاري الجديد. فرفع صوته عالياً وسأل بريدجمان عن الثمن الاخير المعروض لسهم "ستيل" فاجاب هذا: "١٩٥". فقال ويتني: "سجل طلبا بعشرة آلاف دولار بسعر

٢٠٥"، وللحال خيم صمت على الردهة ثم تفجرت الحناجر ابتهاجاً حول الرجل. وواصل ويتني تنقله من مركز الى آخر يسجل الطلبات الكبيرة ويرافقها بابتسامة عريضة انارت وجهه ونقلت عدوى الثقة الى قلوب الاخرين، فظلت الاسعار محافظة على ثباتها. وكان ويتني في تلك الاثناء ينفذ التوصيات التي تلقاها من التجمع المؤسس بدعوة من لامونت بالذات. وهو انفق ملايين من الدولارات في دقائق معدودة.

وفي الثانية بعد الظهر، تبين لكرمت بيتت ولرفاقه ان خسائرهم تقدر بمليوني دولار وان المخارج كلها سدت في وجوههم. ورأى كرمت ان الوقت حان له ولرفاقه لوضع حد نهائي لعملياتهم. وطالبهم بذلك ملحاً فرفضوا التجاوب معه هازئين به.

وفي السابعة والدقيقة الثامنة مساء. اي بعد ٢٤٨ دقيقة من ذلك، توقفت آلة التلغراف عن تسجيل اخبار النهار وجاء فيها ان الوسطاء تداولوا يومها ٩٧٤ صنفاً من الاسهم خلال فترة من الانهيار ضربت رقماً قياسياً في عدد الاسهم البالغ ١٢٨٩٤٦٥٠ سهماً، وانقلبت فيها خسائر الصباح الى تحسن ملموس في الساعات المتقدمة واقفلت السوق في جو من الارتياح.

وسجلت الآلة الاسعار الاخيرة، ثم الحقتها بخبر وجيز مؤداه ان ممثلي ٣٥ من اضخم شركات وول ستريت اصدروا بياناً مشتركا جاء فيه: "ان السوق متينة في اساسها وانها، من الناحية الفنية، في حال افضل من اي

حال سابقة"٠ وانتهى البيان بكلمات ظلت عالقة في البال: "ان الاسوأ قد زال"٠

نذير شؤم٠

وفي التاسعة والنصف من اليوم التالي تجمع الناس في صف طويل امام مدخل البورصة حيث توافد السماسرة، فبدوا في نظر احد الصحافيين الحاضرين كأنهم "جنود قتال جددوا عزيمتهم وتأهبوا للعودة الى الخط الامامي من المعركة، مدركين انهم لن يخرجوا جميعاً سالمين منها وعازمين على البقاء احياء مهما كلفهم الامر٠ فكما ان الحروب تكسب في النفوس اولا، هكذا هي الحال في مناسبات الذعر المالي"٠

وفي دقائق قليلة حل الارتياح محل التوتر، اذ ظهرت الاسعار الاولى تشير الى ارباح فورية - وان تكن زهيدة - في عدد كبير من الاسهم٠ فكانت بادرة خير للنهار، وهي حملت العاملين في البورصة على الايحاء بأن الازمة روضت بنجاح٠

في الساعات الاخيرة من مساء الجمعة أكب "هوت" وموظفوه على درس الخسائر٠ فخلصوا الى النتيجة القاضية باقفال مئات الحسابات، بعضها كبير ومعظمها ضئيل٠ وبدأ هؤلاء الموظفون اتصالاتهم بالزبائن يطلعونهم على الوضع فيسمعون منهم الشتائم لانهم لم يبيعوا اسهمهم في الوقت المناسب٠ فكانت تلك المهمة جحيماً بالنسبة اليهم٠ وادرك "هوت" الطيب القلب ان " هذه الاتصالات ستترك وراءها سحابة طويلة من البؤس البشري"٠ لكن اشغاله الكثيرة والارهاق الذي تملكه لم يسمحا له

بالتوقف عند مثل هذه الاعتبارات الانسانية. فانهى ليلته الثانية على فراش بارد في غرفة فندق كئيبة.

وقبل ان تفتح السوق ابوابها صباح السبت حملت الصحف الى قرائها مزيداً من اخبار الارتياح التي صدرت عن رجال المال البارزين في البلاد. وظلت السوق باهتة، لا جديد فيها، خلال الفترة الوجيزة من نشاط السبت، وسجلت الاسعار هبوطاً طفيفاً.

واقبل نهار الاثنين في ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) يلف المنطقة المالية بجو من التفاؤل. وتوجه الآف القادمين الجدد والمتفرجين الى وول ستريت، وقد حمل بعضهم مالا للاستثمار. وكثرت الاشاعات بأن جبالا من طلبات البيع تكدست فوق مكاتب الوسطاء خلال نهاية الاسبوع.

غير ان مايك ميهان رفض المشاركة في هذه الحماسة. انه لا يدري الى اي حدّ ينوي رجال المصارف تزويد السوق بالمال، انما يدري ان الوضع في خطر اذا ما توقفوا عن ذلك. فصرف همه الى شؤون شركة "الراديو ".

وتفجر الوضع فياللحظة التي توقف طنين مطرقة وليم كراوفورد على جرس البورصة معلناً بداية النهار. اذ افتتحت "يو.اس. ستيل" سوقها بسعر ٢٠٢،٢٥ دولار للسهم، اي بأقل من ١،٢٥ دولار عن سعر السبت. وخسرت "انترناشونال تل اندتل" ٣ دولارات و"جنرال الكتريك" ٧،٥٠ دولارات في السهم الواحد. وتأخر التلغراف في اخباره، فبدت الدلائل تشير الى ان شبح "الخميس الاسود" يطل من جديد.

وفي العاشرة والنصف انهارت اسهم "ستيل" وتعدت الحدّ الاسطوري ٢٠٠. ولحق بها عدد من السندات الزرق في موجة من البيع دفعت الاسعار الى ادنى الدركات.

وفي الاولى بعد الظهر بلغ التأخر في التلغراف ٥٨ دقيقة، وازداد البيع الحاحاً كلما تقدم النهار، فتداولت الايدي في الساعة الاخيرة نحو ثلاثة ملايين سهم. وفي الظروف الطبيعية بعيداً عن الاجواء الحاضرة، يعتبر هذا من الارقام الجيدة بالنسبة الى يوم واحد.

ولما ضرب كراوفورد ضربة الاقفال على جرسه القرصي، بلغ الرقم الاجمالي للاسهم المتداولة ٩،٢١٢،٨٠٠، وهو ادنى قليلا من رقم "الخميس الاسود". فالفارق بين الفترتين ان هبوط الاسعار جاء اشد قساوة هذه المرة، اذ هبط المؤشر الموحد في جريدة "النيويورك تايمس" ٣٩ علامة، وهو حدّ لم يعرفه تاريخ البورصة.

وبلغ انهيار السندات في النهاية ١٤ مليار دولار.

وانهمك المحرر المالي في "النيويورك تايمس" في وضع الصيغة النهائية لسلسلة احداث النهار في مكتبه المشرف على "تايمس سكوار" فعزا "الانحدار" الى عوامل مختلفة، منها غياب الدعم الكافي واستنفاد الاحتياط، "ومنها البيع الذي صدر عن عدد وافر من مالكي الاسهم المتخوفين، ومنها اخيراً بعث موجة الذعر التي اكتسحت الاسواق في الاسبوع الماضي".

ونجا جيسي ليفرمور بريشه مرة اخرى من دون ان يتكبد خسارة

كبرى. وانكب هو وموظفوه على تحليل جديد للاوضاع، فوجدوا في الارقام ما يدل على ان السوق استنزفت "مرونتها" وهذا امر يدعو الى الشؤم. ووجدوا دليلا آخر اكثر شؤماً هو ان الضرر في غالبيته حصل في اللحظات الاخيرة من عمليات التبادل. وهذا يشير الى اسوأ العواقب في اليوم التالي.

يوم الكارثة

في التاسعة صباحاً غطى رذاذ المطر المنطقة بحجاب قاتم. لكنه لم يوهن عزيمة جيسي ليفرمور الخلاقة. فهو قضى معظم ليله يتأهب للعودة الى الهجوم، يدعمه فريق من الموظفين اضناهم التعب وتملكتهم الحماسة في آن.

وداخل ردهة البورصة تبدل مسار العمل على نحو مثير حول مركز عمليات "الراديو" منذ تسلم ادارته مايك ميهان وفريقه. ووصل هذا الايرلندي الموهوب والغريب الاطوار لابساً بذلة انيقة ذات لون ازرق قاتم، يتلاءم معها لمعان حذائه. فكان "في مظهره هذا، يوحي بأحدى صورتين: أما صورة صاحب ثروة طائلة واما صورة متأهب لحضور جنازة".

وعلا الضجيج في صحن الردهة قبل ان يرفع كراوفورد مطرقته، وتحول تدريجاً الى "نباح" ضاع فيه طنين الضربة الافتتاحية على الجرس القرصي..

وتعالى الصراخ من كل جهة:
"عشرون الفاً بسعر السوق"
"ثلاثون الفاً. بيعوا!"
خمسون الفاً. بيعوا بسعر السوق!"
وأجفلت ضربات المطارق اللواء اوليفر بريدجمان، الاختصاصي في شركة "يو.اس.ستيل" التي لحقها التهشيم في هذه المعركة، فتدهورت على نحو مفجع في ختام نهار البارحة وخسر سهمها ١٨٦ دولاراً بسبب هبوط اسعار ٦٥٠ الف سهم في الدقائق الثلاث الاولى من البيع. وولد هذا الانهيار ذعراً مروعاً. وراح الناس يشتمون ويتلاطمون ويضربون بعضهم بعضاً، فالتجأ بريدجمان الى المركز ٢ يحتمي داخله.

وحاول احد السعاة ان يشق طريقه بين الحشود المتراصة فوجد نفسه فجأة مرفوعاً فوق الارض ومحمولا بشعر رأسه، بينما الرجل الذي قبض عليه يقول صارخاً: "لقد خسرت كل شيء! لقد خسرت كل شيء!". وتمكن الشاب المذعور من النجاة بعد جهد تاركاً في قبضة الذي يمسك به خصلا من شعره، وأدار الساعي ظهره للبورصة من غير رجعة.

ترك الساعي وراءه مسرحاً من الجنون المتصاعد بعد ان تناول التدهور كتلا ضخمة من الاسهم في مراكز البورصة السبعة عشر، وبعد ان وضح تدريجاً ان هذا "سيكون النهار الذي تتم فيه مجزرة اصحاب الملايين".

لم ينس وليم كراوفورد ابداً كيف هام في البورصة يتلاطمه هذا التيار البشري الهائج. وتذكر الناس "وهم يصرخون ويزأرون ويفرزون انيابهم بعضهم في رقاب بعض، كأنهم زمرة من الوحوش المفترسة".

وفي المركز ٦ انهال موظفان بالسياط يضربان بها واحدهما الآخر، كأنهما فقدا في هذا الظرف حاسة الشعور بالالم. فاسرع الاختصاصي

في شركة "جنرال الكتريك" يفصل بينهما، ثم عاد الى ساحة القتال حيث راح ينظر بلوعة الى اسهمه وهي تنهار بمعدل دولار واحد كل عشر ثوان خلال الدقائق الست من بداية السوق.

أما في المركز ١٥، المخصص لشركات أكثر ضخامة، فقد انهالت الضربات على "وستنغهاوس" التي تدهورت اسعار اسهمها بمعدل دولارين في الدقيقة الواحدة، منذ لحظة الافتتاح حتى العاشرة والربع، وعند الظهر تخسر الشركة حتماً كل قيمة لها اذا ظلت سالكة الطريق. وبلغ عدد الاسهم المتداولة في ٣٠ دقيقة ٣،٢٥٩،٨٠٠ وتجاوز مجموع الخسائر الملياري دولار.

وفي السابعة والنصف بتوقيت سان فرنسيسكو ارغم جانيني نفسه على الاقرار بأن احلامه تحطمت، واقتنع بأن شركته "ترانس اميركا"، التي تمتعت بمناعة من العسير انتهاكها، تغرق بمعدل ٤٢،٥٠ دولاراً بالسهم وتعرض نفسها للبيع بسعر ٢٠،٢٥ فلا تجد من يشتري.

الخطوط الهاتفية مشغولة باستمرار عند جيسي ليفرمور. ويحاول موظفوه تتبع مجرى الاحداث في وول ستريت وغيرها من المناطق البعيدة، ودار ليفرمور على ذاته داخل مكتبه "كأنه واحد من الدراويش" على حد قول احد موظفيه، وهو يغزو السوق بطلباته المتلاحقة تارة للبيع وطوراً للشراء.

وظل شبح الذعر مهيمناً منذ الصباح حتى الفترات الاولى من بعد الظهر. الحديد والفحم والقطارات والسيارات - هذه كلها وغيرها من عمالقة الصناعة - قصمت قصماً. وذرف الناس دموعاً سخية في صحن البورصة، والتجأ بعضهم الى الصلاة فسجدوا على الارض في تضرعات مرتجلة. وانتقل كثيرون الى كنيسة الثالوث الاقدس القريبة فغصت بهم لما دقت ساعة الخدمة الالهية ظهراً، وظلت تعج بهم حتى نهاية النهار.

وفي الاولى بعد الظهر ارتفعت ارقام البيع الجنوني الى ١٢،٦٥٢،٠٠٠ سهم.

وقبيل الساعة الثانية عزم كرمت بتيت اخيراً على اتخاذ خطوته النهائية. فقصد الى مكتب رئيس المصرف "واين تشابمان" وطلب الاختلاء به. فقاده هذا الى غرفة مجلس الادارة حيث عقدت اجتماعات "عصبة الافندية" خلال اشهر طويلة لوضع مخططات عملياتهم. وبدأ بتيت اعترافه. وما ان لفظ كلمة "اختلاس" حتى اوقفه تشابمان وخرج حالا الى ردهة المصرف فأنجز بسرعة اعمال الزبائن القلائل وأقفل الابواب. ووقف متجهماً في رواق المصرف الكبير وامر جميع الذين لهم يد في الاختلاس ان يتوجهوا الى مجلس الادارة. ثم انضم الى بتيت وجلسا معاً يراقبان الباب المغلق في صمت رهيب.

وقرع هارولد مور الباب متردداً ثم دخل شاحب الوجه. وتبعه قرع آخر تلاه دخول تشارلز تايلور واريك طومسون، ولحق بهما جمع مؤلف من ثمانية امناء صندوق. ودخل الغرفة روجر مايز وابوت بريد من دون ان يقرعا الباب. وظل المختلسون في حال انتظار صامت ومتوتر. وأخيراً قرع الباب وظهر على عتبته جون تشابمان، ابن الرئيس وأمين

الصندوق في المصرف والخليفة المنتظر لابيه. وفغر تشابمان الاب فاهه وهتف: "حتى انت يا جون؟" فطأطأ هذا رأسه واغرورقت عيناه بالدموع.

اما الاموال التي اختلسها هؤلاء من مصرفهم فبلغت ٣٬٥٩٤٬٠٠٠ دولار.

وفي الخامسة والدقيقة الثانية والثلاثين سجلت اجهزة التلغراف، في بلاد خدرتها البورصة، التسعيرة الاخيرة. وختم العامل الميكانيكي شريطه بالنص الآتي: "بلغ مجموع المبادلات اليوم ١٦٬٣٨٣٬٧٠٠ سهم. تصبحون على خير".

مثلت هذه الملايين خسارة تقدر بعشرة مليارات دولار في بورصة نيويورك وحدها. في ذاك الوقت كان هذا المبلغ يوازي ضعف الكتلة النقدية المتداولة في البلاد كلها.

اما الخسارة الكلية خلال هذه المرحلة الجنونية التي هزت السوق المالية فيمكن تقديرها بمبلغ صاعق تعدى الـ٧٤ مليار دولار.

ذيول الكارثة

بلغ عدد المتضررين من الانهيار مليون امريكي في اقل تعديل، وهناك من يرفع هذا العدد الى ثلاثة ملايين، تكبد قسم منهم اضراراً فورية مباشرة وضرب قسم آخر ضربة قاضية افقدته كل ما يملك.

وشهدت الاسابيع التالية تدهوراً مستمراً في انتاج الحديد وصناعة السيارات وفي حمولات الشحن. وعملت الحكومة على اعادة الثقة الى النفوس. فأصدرت مرسوماً بتخفيف ضريبة الدخل، فجاءت بادرتها موضوع سخرية. فالرجل الذي يعول زوجته، مثلاً، بدخل سنوي يبلغ اربعة آلاف دولار لحقته منحة ٣٬٧٥ دولارات. ورفعت الحكومة موازنة الاشغال العامة الى ٧٠٠ مليون دولار لسنة ١٩٣٠، فعجزت هذه الموازنة عن كبح تزايد جيش العاطلين عن العمل.

ومع ذلك اصر اركان البورصة على التصرف كأن امراً لم يحدث فطلبوا من وليم كراوفورد ان يعد العدة لاضخم وأصخب حفلة تمكن اقامتها عشية رأس السنة، الثلثاء ٣١ ديسمبر (كانون الاول).

صباح ذلك النهار ذهب كراوفورد بنفسه، قبل افتتاح البورصة، يراقب الاعمال الجارية لاقامة منصة الفرقة الموسيقية في صدر الردهة. وفي الواحدة والنصف بعد الظهر اعتلت المنصة الفرقة التابعة لفوج المشاة ٣٦٩ في الجيش، واخذت تعزف الحاناً شعبية ومختارات رائجة من صميم العشرينات الصاخبة. وتطايرت في بهو البورصة آلاف القصاصات الورقية الملونة.

وبدت التكهنات حول السنة الجديدة براقة، والسوق اظهرت اشارات صعود اكيد. وفي واشنطن اعلنت وزارة العمل ان ١٩٣٠ ستكون "سنة رائعة يتم فيها القضاء التام على البطالة".

وانتهت حفلة تلك الليلة من دون ان ينتهي عهد الاوهام. ففي ١٩٣٠ لمس الناس تمرساً في الكساد ليس هناك من هو قادر على استئصاله. وعزم جون راسكوب على تشييد بناء "امباير ستايت بلدينغ" ليكون رمزاً للامل في زمن مضطرب قاتم. وهلل الناس ابتهاجاً لما شاهدوا ٥٧ الف

طن من الهياكل الحديد وهي تستوي منتصبة خلال ٢٣ اسبوعاً من العمل، اي قبل الموعد المضروب باثني عشر يوماً، فسجل بذلك رقماً قياسياً هو الاول في سلسلة من الارقام اللاحقة التي ستتحطم في عالم البناء. وازداد تهليل الناس وابتهاجهم عندما انصرف ما يزيد على ثلاثة آلاف عامل الى رفع البناء، طابقاً فوق طابق، بمعدل ٤،٥ طوابق في الاسبوع.

وفي الاول من مايو (ايار) ١٩٣١ احتفل بتدشين البناء رسمياً في رعاية هربرت هوفر، رئيس الولايات المتحدة آنذاك. واعلن راسكوب ان هذا التدشين علامة ظاهرة تشير الى عودة "ايام الخير". لكن العودة طالت من غير ان ينغص هذا التأخير على راسكوب عيشه. ان ما تبقى من ثروته الطائلة وفر له جميع اسباب الرخاء حتى ايامه الاخيرة.

وهشم الانهيار بيلي دورانت على نحو مفجع فقدرت خسائره بأربعين مليوناً على ما جاء في بعض التقارير. وأعلن افلاسه عام ١٩٣٦ مسجلا ديونا بقيمة ٩١٤،٢٣١ دولاراً. اما ممتلكاته فثياب لم تتجاوز قيمتها الـ ٢٥٠ دولاراً.

وثابر جيسي ليفرمور على العمل وجمع المال في سوق مترددة خلال ١٩٣٠. فتدهورت احواله في السنة التالية وبدأ يخسر الى ان تبخر نصف ثروته في نهاية السنة. ثم خسر معظم النصف الثاني في سلسلة من الصفقات التجارية جاءت قصيرة النظر درساً وتخطيطاً. وبدد ليفرمور خلال هاتين السنتين ثلاثين مليوناً، حسب التخمينات. وفي ٤ مارس (آذار) ١٩٣٤ اعلن افلاسه بدوره، فبلغت ديونه ٢،٢٥٩،٢١٢ دولاراً وممتلكاته، ومعظمها مشكوك فيه، ١٨٤ الف دولار.

وذات يوم من ايام الخريف، بعد ست سنوات من الافلاس، قصد ليفرمور الى مقهى فندق "شيري نذرلاند" حيث ابتلع قدحين من المارتيني. ثم تناول قلماً وورقة كتب عليها بخط عريض: "حياتي مخفقة! حياتي مخفقة!" ونهض عن كرسيه المرتفع وتوجه نحو مرحاض الرجال فتناول مسدساً من جيبه وصوبه الى جبهته وأطلق الرصاص منتحراً في الثالثة والستين من عمره (★).

ويروى عن مايكل ميهان انه، في اشد ساعات ازمة الانهيار، صرح الى احد زملائه مداعباً: "يبدو اني على عتبة الافلاس. ما رأيك لو وهبنا جميع موظفي المكتب منحة اسبوعي عمل لاثبات هذ الافلاس". وهكذا كان، فتعززت بذلك حيوية شخصيته الايرلندية الشهيرة. وكلفه الانهيار غالياً من دون ان يدري احد ما هي القيمة بالضبط، اذ انها بلغت "عشرات الملايين" كما جاء على لسان ابنه وليم.

وأصبح "بنك اوف امريكا"، الارث الذي تركه جيانيني، من اضخم المصارف في العالم. وواظبت ابنته كلار، بعد وفاته عام ١٩٤٨ عن ٧٩

(★) خلافاً للاشاعات لم تتفاقم حوادث الانتحار في اعقاب الكارثة. وتشير ارقام شركات التأمين الى ارتفاع طفيف في المعدل المرتقب لهذه الحوادث. الا ان العديد من اصحاب الاسهم وضعوا حداً لحياتهم بسبب الكارثة.

مكانس فيليبس ذات السّطح الدوّار - أربعة لا يمكن تجاهلها

...جدين كل المزايا التي تحبين أن تتوفر لك في مكنستك الكهربائية وأضيفي اليها المتانة الكاملة التي تستطيعين الاعتماد عليها كلية. والشكل الأنيق. وخدمات الصيانة السريعة التي يوفرها لك وكيل الشركة. ستجدين طلبك مجسما في هذه الصورة. انها مكنسة من طراز [illegible] ٦٢٤/... احدى مكانس فيليبس الأربع الجديدة ذات السطح الدوار. تعمل كل مكنسة منها بمحرك قوي الا انه هادئ الى حد مذهل تبلغ [illegible] ٨٥٠ واط. وتمتاز بخرطوم ذي سطح يدور بزاوية ٣٦٠° (انه يدور [illegible]) [illegible] متداخلة مطلية بالألمنيوم يمكن تعديلها بالشكل الذي يناسبك. وبشريط كهربائي يلتف تلقائيا. ومقبض سهل. وعجلة امامية مجهزة بنابض. وعجلتين خلفيتين كبيرتين تسهلان حركة المكنسة على السجاد. وسهولة تبديل كيس الغبار. ومع المكنسة مجموعة كاملة من القطع الاضافية المتينة ذات الأغراض العملية. والتي تجعل اعمال التنظيف كلها سهلة ميسرة. زوري وكيل فيليبس قريبا لتشاهدي مكانس فيليبس البديعة. والأفضل من هذا ان تطلبي من وكيل فيليبس ان يريك المكانس وعملها. وستدركين عندها السبب الذي جعل منتجات فيليبس تكتسب سمعة وشهرة عالمية بالجودة والمتانة. يحسدها الكثيرون عليها

PHILIPS

فيليبس الأفضل لكم دوماً

سنة، على العمل الفعلي فيه. وهي لا تزال حتى اليوم تقصد الى مكتبها فيه بانتظام فتبدو، وهي في الخامسة والسبعين، سيدة جذابة او فخورة بوالدها.

اما جوزف كينيدي فقد خرج من ازمة الانهيار سالماً، فأمن لنفسه ولعائلته مستقبلا باهراً. وفي ١٩٣٠ وما بعدها من السنوات وسع ثروته على اثر سلسلة من الصفقات الجريئة والخالية غالباً من الشفقة. انه عرف كيف يختار الصفقات الرابحة التي فرضتها ازمة الكساد. وفي يوليو (تموز) ١٩٣٤ عين كينيدي رئيساً للجنة المبادلات القائمة حديثاً، فساهم وجوده في وضع حد للتلاعب والمناورات في البورصة وتعزيز القوانين الجديدة المتعلقة باصدار السندات. وفي ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩، اسلم جو كينيدي روحه وسط عائلته، مدركاً انه ترك سلالة حاكمة في عالم السياسة. وكان آنذاك في الحادية والثمانين.

الشرارة الاولى

ترددت اصداء الانهيار في العالم، فسببت لالمانيا تدهوراً سريعاً في الازمة الاقتصادية المتخبطة فيها، وارتفع عدد العاطلين عن العمل الى مليونين في نهاية نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٩. ودخل ادولف هتلر الساحة الالمانية التي شهدت فراغاً شبه كامل في الحقول السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ووعد الشعب بأنه سيجعل من المانيا دولة قوية مكتفية. وعدهم، ببسيط الكلام، بأنه لن يسمح مرة اخرى لانهيار خارجي بأن يؤثر على شؤون بلادهم الداخلية. فتلقى الالمان وعوده بلهفة، وامتدت شعبيته وتفاقمت سطوته. هكذا مهد الانهيار في امريكا السبيل الى الحرب العالمية الثانية على نحو غير مباشر.

وهز الانهيار بورصة لندن التي كانت لا تزال تعاني ذيول فضيحة هاتري. وكانت لندن من اضخم الاسواق بالنسبة الى الاسهم الامريكية. فجاءت نتيجة الانهيار فيها تعلن ارتخاء سريعاً في قيمة الاسهم وارتفاعاً في الفوائد على القروض وفرض شروط اقسى على الاعتمادات. وفي نهاية السنة بدأ النشاط التجاري انحداره نحو ما هو معروف بـ "السقوط".

وأنقذ رجال الحكم البريطاني في الهند ما استطاعوا من استثماراتهم المالية في وول ستريت، فحولوها الى بورصة شنغهاي.

وكانت اوستراليا، كالولايات المتحدة، تتمتع بازدهار ساعد على انتشاره اكتشاف منجم الفضة والرصاص في جبل ايسا عام ١٩٣٢. لكن الحكومات الاوسترالية المتعاقبة تصرفت بطيش على مثال المضاربين في وول ستريت، فاستلفت ما استطاعت من الاموال طمعاً بارباح يلوح بها المستقبل. الا ان الانهيار قصف هذه الاحلام. وكان اقتصاد البلاد يعتمد على قروض تأتيها عبر البحار، وعلى التصدير. فالقروض والتصدير هبطت على نحو ساحق في الجزء الاخير من ١٩٢٩. وحل سقوط الاسعار العالمية للقمح والصوف كالكارثة على اوستراليا، فغرقت في نوع من الكساد الخاص بها.

واحتاجت كندا الى التصدير كي تبقى حية، غير ان القدرة على الشراء تضاءلت في الدول الاوروبية، باستثناء فرنسا حيث تلقت البورصة الفرنسية رساميل عائمة خسرتها وول ستريت. وأقفل الانهيار في وجه كندا ابواب الاسواق الامريكية القريبة والمربحة. فأطلت على كندا تلك الايام المعروفة بـ "ثلاثينات الجوع".

لماذا حدث هذا الانهيار؟

تحدث الناس طويلا عن البورصة ووجهوا اليها اصابع الاتهام. قالوا انها الوكر الانسب لجماعات المقامرين وانها ابرز الامثلة العصرية عن الضغط النفسي على الجماهير البشرية واستغلالها، وأخيراً انها ثمرة مرحلة معينة من التاريخ، فريدة من نوعها ومعروفة بالعشرينات الصاخبة.

ووجه الناس انتقاداتهم كذلك الى مجلس الاحتياط الاتحادي، يتهمونه بأنه هو الذي زج البلاد في الكارثة، عندما خفض معدل الفائدة وسهل عمليات التسليف في اواسط ١٩٢٨. والجميع يتفقون على القول ان هذا المجلس فقد فرصته الذهبية لمنع "الانهيار" يوم اصدر قرار الانذار والمطالبة بخفض كميات السيولة المخصصة للمضاربات من دون ان يرفق قراره هذا بمواقف عملية فعالة. فواصلت التصرفات الشاذة طريقها في غياب المراقبة اللازمة.

وانحى خبراء البورصة باللائمة على عاتق بعض الافراد او بعض الاحداث الفردية. فوجهوا اللوم الى ميتشل لانه لم يتقيد بموقف مجلس الاحتياط الاتحادي في مارس (آذار) ١٩٢٩، فجعل المال في متناول الناس في وقت كان المجلس يطالب بالحد منه. ولاموا ايضاً الرئيس هوفر، وكلارنس هاتري، وعمليات التجمع التجاري، والمراهنات على اسعار الاسهم، والبيع بالسعر المخفض، وأخيراً وسائل الاعلام.

ويستحيل حقاً استفراد اي انسان او حدث معين واتهامه بأنه كان السبب الوحيد لـ"الانهيار" الشهير.

هل يعقل ان يتكرر "الانهيار" يوماً؟

اذا حدث ذلك فلن يكون للاسباب ذاتها. فمن النتائج المباشرة للانهيار في وول ستريت اقرار مجموعة كبرى من القوانين لضبط زمام الامور وأقفال الابواب في وجه الاخطار والمفاجآت ولكن من السذاجة ايضاً تجاهل امكان حدوث عوامل ومناسبات جديدة تتجمع فتسبب انهياراً آخر.

ونجد في وول ستريت نفسها فريقاً من الخبراء المتمرسين الذين يؤكدون تأكيداً لا تردد فيه ان انهياراً ثانياً آت حتماً، كما نجد فريقاً آخر منهم يتمتعون بالمكانة ذاتها ويعتبرون ان الحديث عن انهيار آخر انما هو وليد تكهنات مغرضة. انهم يؤمنون بامريكا وبأن السوق مشرفة على "اضخم واقوى ازدهار اقتصادي في التاريخ".

ان المقلق في هذا الكلام هو انه دار على الالسن في زمن سابق، عشية اليوم الذي تفجر كل شيء... يوم الكارثة.

■ **غوردون توماس**
وماكس مورغان ـ ويتس



تأملات معاصرة

الخير والشر

حتى وان كان هناك اشرار في مكان ما يرتكبون آثامهم بغدر وبات ضروريا عزلهم عن سائر الناس وافناؤهم، فان الخط الفاصل بين الخير والشر سيحتل ركناً من قلب كل كائن بشري. ومن ذا الذي يقدر على تدمير جزء من قلبه؟

الكسندر سولجينتسين: كتاب "ارخبيل الفولاغ"

تقدير المعرفة

مرة نظر ابي الى واحد من كتبي المحشوة بالمعلومات وسألني: "اسحق، كيف تعلمت هذا كله؟"

- بفضلك يا ابي.

- بفضلي؟ اني لا افقه شيئا من هذا.

- لا داعي الى ذلك يا ابي. انك قدرت المعرفة وعلمتني ان اقدرها. وكل ما عدا ذلك جاء بيسر.

اسحق عظيموف: كتاب "طفولة ذاكرة"

اصنعوا هذا لذكري...

سيأتي يوم يرقد جسدي فوق فرشة بيضاء طويت بعناية بين زوايا السرير الاربع في مستشفى مليء برائحة الولادة والموت. وفي لحظة ما سيعلن الطبيب ان دماغي توقف عن العمل وان حياتي انتهت.

فمتى حل ذلك، لا تحاولوا بث روح اصطناعية في جسدي ولا تستخدموا الآلات. ولا تسموا هذا فراش الموت، بل ليكن فراش الحياة. وتعالوا خذوا من جسدي لكي ينعم الآخرون بحياة اكمل.

امنحوا عيني لمن لم ير في حياته شروق الشمس او وجه طفل او الحب في عيني امرأة. وهبوا قلبي لمن لم يحظ من قلبه بغير ايام الالم الدائم. واعطوا دمي لمراهق انتزع من حطام سيارته لعله يعيش حتى يرى احفاده يمرحون. وأهدوا كليتي الى من يعتمد آلة تساعده على الاستمرار من يوم الى يوم. وخذوا عظامي وكل عضلة ونسيج وعصب في جسمي، وابحثوا عن وسيلة تجعل طفلا مشلولا يسير.

استكشفوا كل زاوية في دماغي وخذوا كل خلية، اذا اقتضى الامر، ودعوها تنمو لعلها تساعد يوما ما صبيا اخرس على الصراخ عند ركل الكرة، او فتاة صماء على سماع صوت المطر يرشق نافذتها.

واحرقوا ما يتبقى مني وذروا الرماد في الهواء لكي اعين الورود على النمو.

واذا كان لا بد من دفن شيء، فادفنوا خطاياي وضعفي وكل احقادي ضد اخوتي البشر. واعطوا آثامي للشيطان وروحي لله.

وان رغبتم، عرضا، ان تتذكروني، فتذكروني بعمل طيب او كلمة رقيقة لمن يحتاج اليها. فاذا فعلتم كل ما طلبت، فسأبقى حيا الى الابد.


روبرت ن. تست



اوميغا المدينة صورت في كورفور ستاندام ببرلين

اوميغا المدينة . من اليسار الى اليمين : BA 591-0022, BA 591.0023 BA 591-0029 اجزاء الثلاثة الداخلية من الكوارتز ، عيارها ١٨ قيراطا . ذهبية ، ياقوتية بلورية نماذجها مسجلة

اشتريها من وكيل اوميغا الرسمي فقط ، واطلب منه شهادة الكفالة الرسمية .



المختار

من ريـدرز دايـجست



اسرار الحب الحقيقي

(ص ٣٩)

(ص ١٨)

اعترافات امرأة: هكذا ...

(ص ١١٣)

متى يتوقف تصدير الموت الى العالم الثالث

(ص ٣٤)

لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف تونس ٧٠٠م ـ المغرب ٣د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢د٠

AL MUKHTAR min Reader's Digest SEPTEMBER 1980 No 22

العصر الجديد

تم تخويل جي في سي كمورد رسمي للانظمة السمعية والبصرية لهذه المباريات.

كلما لاحت تباشير عصر جديد في الانظمة السمعية وأنظمة الفيديو، كانت جي.في.سي. السباقة.

اننا نفخر باعلان قرب دخولنا عصراً اكثر تقدماً في انظمة الفيديو وذلك باطلاقنا تقنية تبشر بانقلاب حقيقي في عالم الفيديو. انه نظام اسطوانة الفيديو V.H.D.

وهذا الانجاز يمثل تطوراً مثيراً الى درجة اننا شعرنا بأن علينا الاحتفاء بالمناسبة على نحو خاص.

وقد ارتأينا اشراككم في هذا الحدث عبر حملة اعلامية ننظمها من خلال الادوار النهائية لبطولة العالم في كرة القدم التي تمتد حتى بطولة كأس العالم في ١٩٨٢.

وربما تسائلون انفسكم: لمَ حملة رياضية؟ والجواب هو اننا في جي.في.سي.، نتمثل بالروح الشابة، وبالحيوية والشجاعة التي يحتاج اليها المرء ليصبح رياضياً عظيماً. فنحن نشعر بأننا كذلك كرسنا جهوداً مماثلة حتى استطعنا تجاوز العقبات وتحقيق النجاح المتواصل طوال ٥٣ عاماً. وقد حفلت هذه المرحلة بالتحسينات الرائدة في الانظمة السمعية وأنظمة الفيديو.

في المرة المقبلة عندما تهلل لفريقك المفضل فكر فينا. فنحن في جي.في.سي، نطلق كذلك بعض النشاطات المثيرة.

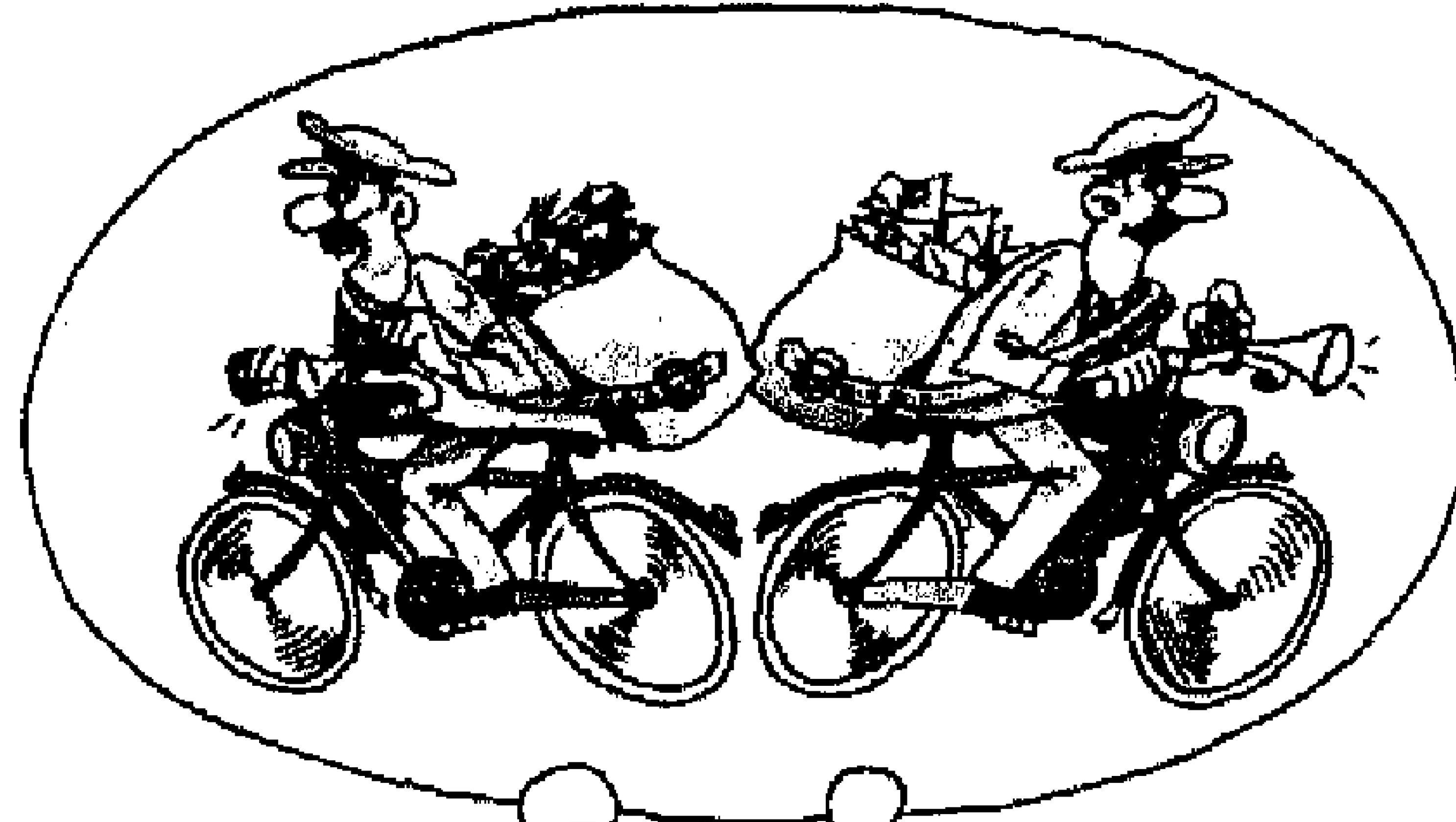
جي في سي

JVC

UEFA

AUSTRALIAN SOCCER FEDERATION

GOLD CUP





اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

□ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

□ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

□ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

□ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

□ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

□ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة أفكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
37, Avenue George V
75008 Paris, France

المسافرون على طائراتنا "الجامبو"
تمتعوا دائماً بالضيافة الملكيّة

لقرون عدة ظلت فيلة "الجامبو" واسطة السفر والانتقال في ذلك البلد النائي، تايلاند.

وعلى متن هذه الوسائط ضمنت الشخصيات المهمة المعاملة الملكية على رغم وعورة الطرق.

وما زال ذلك الجيل من وسائط السفر صديقاً ذكياً ومطية وادعة لخدمة الانسان.

لكننا اليوم، في الرحلات الطويلة، نؤمن للمسافرين من انحاء العالم جيلا اكثر تقدماً وعصرية من وسائط "الجامبو" طائرة "الجامبو ٧٤٧"

وفي رأينا المتواضع، لن يلمسوا معاملة ملكية اكثر وضوحاً كما على طائراتنا.

ستشعرون بها في حرارة الترحيب والخدمة.

وستدركونها في ترف وسائل الراحة والتجهيزات.

وستذوقونها ايضاً في مأكولاتنا.



طر معنا بنعومة كالحرير على متن جامبو تايلاندية، أنت هنا [illegible]



المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون: رمزي بخعازي.
امانة التحرير: راغدة حداد.
الاخراج: امل الزين عيد.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: آلان دوليرو.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية - بيروت

الخدمات الصحافية:
شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت.

التحرير:
شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية ص.ب ٤٣٦ - ١١ (التلكس الموقت) ٤٤٣٣٤ بيروت.

الادارة والاعلانات والاشتراكات:
شارع المقدسي، بناية الشرتوني - الطبقة السادسة التلكس LE ٤٤٢٨٨ ص.ب ٨٧٠٧ - ١١، التلفون ٣٤١٥٩٧ - ٣٤٥٧٣١
توجه المراسلات والاشتراكات الى العنوان الآتي:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE.

الصف والتنفيذ:
المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

الغلاف: موزاييك (آل بوتشي)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
September 1980 No 22 (New Series). Vol. 2



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٥ لغة

استبدلنا مقاييس الدقة العالمية بأخرى جديدة ومازال سعينا مستمرًا

سيكو تطل على العالم بمفهوم جديد ورائع في أناقة ساعات الكوارتز.



ما فتئت سيكو تسعى وراء الجودة والكمال وهي تقدم لك اليوم بثمرة هذه المساعي الجديدة
مطلة على العالم بمفهوم جديد تماما في كمال وروعة تصميم الساعات . وبما ان لك
ذوقك ومفهومك الخاص في الأناقة ، فقد صممت لك سيكو مجموعة ساحرة
وواسعة من الساعات الأنيقة لتختار منها التي تناسبك . تعال وشاهدها ، فروعة
مجموعة ساعات سيكو كوارتز الجديدة معروضة عند الوكلاء المعتمدين.

سيكو

SEIKO

سيأتي يوم تصنع فيه جميع الساعات بهذه الطريقة .

إلى القـــرّاء والمشـــتركين

مرة أخرى نجد انفسنا مضطرين الى الاعتذار لقرائنا ولمشتركينا عن التأخير الذي حصل لرسائلهم واشتراكاتهم بسبب انتقال المجلة من باريس الى بيروت.

ذلك ان هذا الانتقال تم في ظروف صعبة للغاية واستغرق وقتاً ما كنا لنحسب اننا سنحتاج اليه، فتوقف نشاط جهاز التحرير والادارة مدة شهرين في انتظار وصول المكاتب والملفات التي شحنت بحراً. وبعد وصول المشحونات انتظرنا مدة اسبوعين لاخراجها من الجمارك ونقلها الى المكاتب الجديدة ومباشرة ترتيبها. هذا بالنسبة الى المكاتب والملفات، اما الرسائل وطلبات الاشتراك فقد تراكمت على نحو غريب في مكاتبنا في باريس، علما اننا نتلقى منها ما يراوح بين ٤٠٠و٥٠٠ رسالة شهرياً. وصادف في الفترة بين آخر مارس (آذار) وبداية يونيو (حزيران) انطلاق الحملة الجديدة للاشتراكات والتي تدفقت فيها الرسائل علينا على نحو تعذر احياناً ايجاد العدد الكافي من الموظفين لفض الرسائل وختمها وتبويبها. وهذا الاهم نظراً الى ان هناك قراء يبعثون برسائل يضمنونها مواضيع شتى. فهناك قارىء مثلا يريد ان يساهم في باب "اكتب واربح" ويطلب تزويده بتعريفة الاشتراك في المجلة ويسأل عن امكانات الحصول على الاعداد السابقة، كما يسأل اذا كان في المستطاع منحه وكالة لبيع المجلة في المدينة او البلاد التي يعيش فيها. وفي هذه الحال يتعين على الموظف المسؤول عن رسائل القراء ان يستخرج ثلاث صور عن الرسالة فيوجه النسخة الاولى منها الى قسم "اكتب واربح" والثانية الى قسم الاشتراكات والثالثة الى دائرة التوزيع، مبقيا الرسالة الاصلية للحفظ.

وهذا واحد من الامثلة التي تتسبب في تأخير الرد على الرسائل احياناً، خصوصاً اذا كان الرد يتطلب معلومات من اكثر من قسم.

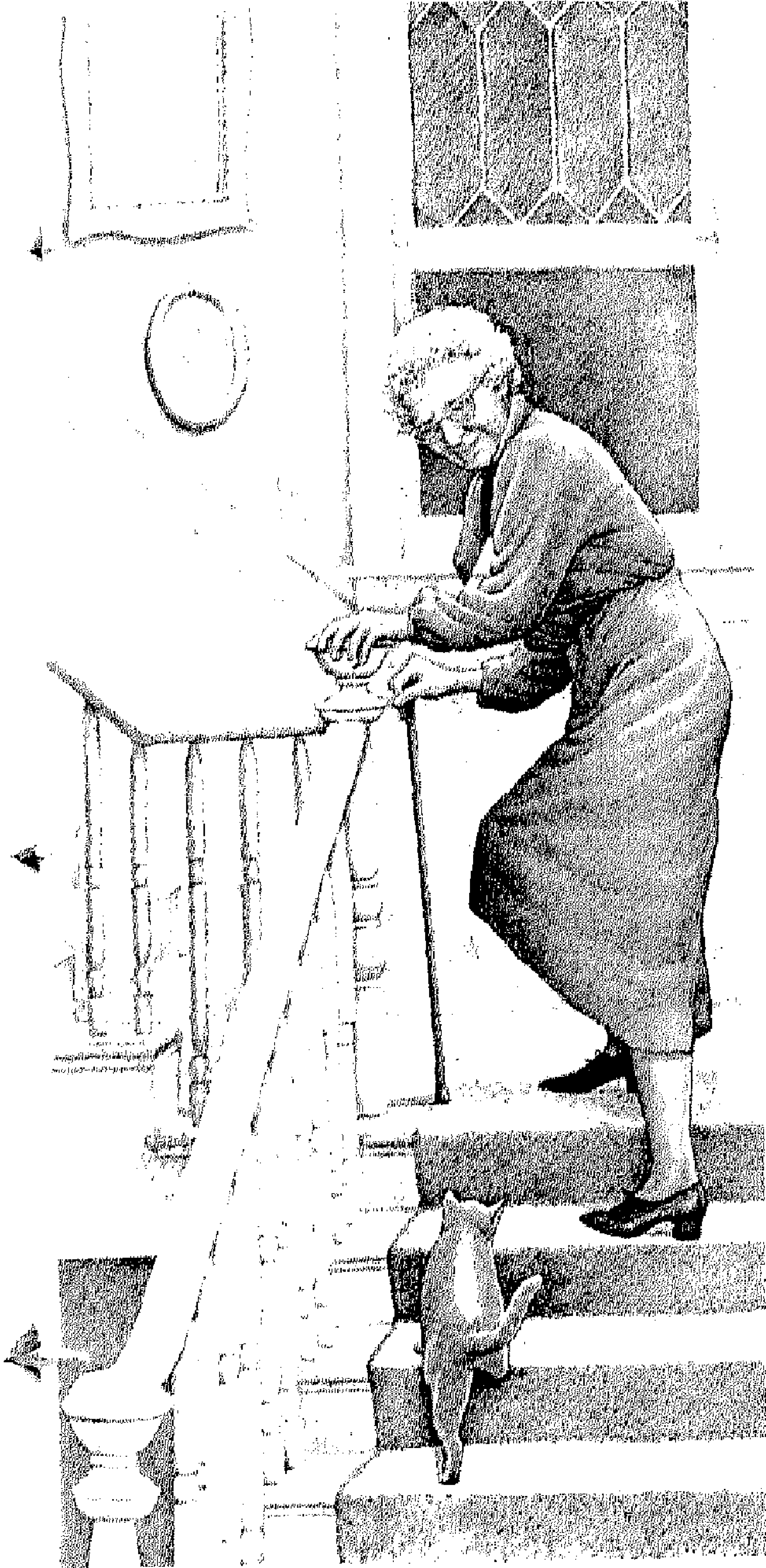
اما الاشتراكات فان البريد مسؤول عن جزء كبير من التأخير الذيلحق بها، وفي هذا المجال نرجو قراءنا منحنا الفرصة اللازمة لخدمتهم مؤكدين لهم ان لا داعي الى القلق اذا ارسل احدهم حوالة او شيكاً او حتى مالا واننا اذ نتفهم حرصهم على تلقي المجلة في اقرب وقت ممكن نود ان نؤكد لهم ان تاريخ اشتراكهم يبدأ منذ تسجيل طلبهم وان الوقت الذي يسري منذ ارسال الطلب حتى تسجيله هو زمن فائت بالنسبة الينا نحن وليس بالنسبة الى القارىء الذي تحفظ حقوقه. ونحن، في هذا المجال، على استعداد لتزويد القراء بما فاتهم من اعداد.

اخيراً نقول لقرائنا ومشتركينا: اننا نعمل من اجلكم وشكرا لثقتكم بنا.

رئيس التحرير

الرّحلة الأخيرة

لحظة الوداع كانت حزينة، ولكن مليئة بذكريات لا تُنْسى



بياتريس كانت امي: امرأة صغيرة الجسم ذات عينين زرقاوين حادتين وحس مرهف بالجمال. وكانت حياتها بمثابة مخطوطة مزخرفة، أو قُل كتابة موسيقية خُضبت بأحرف من نور. وهي كانت تعزف على البيانو والكمان، وفي سنواتها الاخيرة أضافت اليهما آلة نفخ من ثمانية ثقوب. كما كانت ترسم. وفي أول عهدها رسمت مناظر طبيعية، ثم انصرفت عنها الى الرسم على الأواني النحاسية وقطع الاثاث بطراز مطلع القرن التاسع عشر، أي التخطيط بالذهب واضافة الورد الاصطناعي وزخرفة الحواشي بالزهر الأحمر والبني والاخضر.

وأنظر حولي في الغرفة حيث أكتب هذه السطور، فأرى مقعداً قديماً وطبقاً من جهاز عروس وعلبة شمع، وهي وهبتها كلها حياة جديدة من عمل يديها. وكأن كلا من هذه الاشياء

تأكيد قوي لشعارها: افعل أقصى ما يمكنك... افعل أولا كل ما يتوقعد الآخرون منك. ثم ابذل غاية جهدك لتحقيق أقصى ما يمكنك. والامر "الاقصى" بالنسبة الى امي - فضلا عن الموسيقى والرسم والعناية بأخي وبي والمحافظة على الهدوء في اسرة صاخبة قليلا - كان النحت. الطين كان وسيلتها المفضلة للتعبير، وكانت تحفتها عذراء تحمل طفلا. وقد اعطتها تناسقا رفيعا وصقلتها بلون آزرق لازوردي.

وكانت قطتنا لوسي رفيقة امي في النهاية. وكانت في السابعة عشرة حسب التقويم العادي. لكنها في حساب القطط عجوز مهيبة بلغت الثمانين بعد المئة. وهي أيضاً كان لها حس متميز ازاء الجمال - والا فكيف نفسر جلستها الأنيقة في غرفة الجلوس ضمن شعاع ضئيل من شمس الخريف؛ أو كيف تكوّم نفسها في طرف الحديقة اذا لم تعرف أن الجلوس في ظل الخزامى - فيما الضوء الناعم المصفى عبر الصنوبر يتساقط على فروها الخمري المرقش - يكمل لوحة طبيعية صغيرة؟ وتذهب امي الى القول ان لوسي "تفعل ذلك عن قصد".

وكانت امي تزور ايطاليا مع أصدقاء حين أصابتها نوبة قلبية للمرة الاولى. في تلك الاثناء تلقت لوسي عضة كلب. وهي المجابهة الاولى التي تهزم فيها تلك القطة الوقور بعد دفاع بطولي. لكن الجرح القبيح في خاصرتها اليسرى أكد مخاوفنا من أن لوسي كانت تخبو هي الاخرى.

القوي والضعيف - ماذا تفعل العائلة عندئذ؟ انها تجتمع وتتشجع: العضو القوي الذي كان ضعيفاً يرد الجميل الى العضو الضعيف الذي كان قوياً. وهكذا كان عندما مكثت بياتريس ولوسي عندنا، رفيقتين مرحتين في رحلة بدا ان الاثنتين أدركتا أنها تشارف نهايتها.

وحملت ذاكرة امي الضعيفة مفاجآت كثيرة. فهي قد لا تعي مرور الايام والاشهر لكنها تعرف كيف تردع حفيداً مشاكساً بلباقة حازمة، فتتركه مفحماً مرتبكاً لا يسعه الا ان يكتفي ببسمة هي افصح تعبير عن شكره لجدته.

أما لوسي فأصبحت تعرج. وكانت تتكلف خطوة أنيقة، ثم ترتجف ولا تدري أي رجل تحرك بعدها. لكن مشيتها حفظت وقارها كمشية امبراطورة عجوز جليلة.

أمضت امي ولوسي أيامهما في غرفة الجلوس في منزلنا، تنظر الواحدة منهما طويلا الى الاخرى كأنها تستلهم منها مقالا افتتاحياً حول تلاشي الحجم. وكلما صعدت إحدى العجوزين الى غرفة النوم، كان يتضح أن نشاطها يتضاءل على نحو خطر. وفي النهاية اقتصرتا على صعود السلم مرة واحدة في اليوم.

وبعد أن أصيبت امي بنوبة قلبية ثانية، لم تعد عيناها الزرقاوان تتألقان وهما تلاقيان عينيّ. والمرء يبدأ استرجاع ذكرياته في أوقات كهذه. ورحت أستعيد العبر التي أمدتني بها، خصوصاً بهجة العثور على هواية جديدة. كانت امي تبدل هواية قديمة، بعد سنوات من

اشباعها، بأخرى جديدة. ومشينا، أنا وأخي، في خطاها، فكان يستثيرنا تعلّم الامور التي نجهلها وتبني الهوايات الجديدة.

ومنذ البداية تعلمنا منها الموسيقى والرسم، ثم قراءة الخرائط وعلم الفلك والعناية بالحدائق وجمع الفراش. وتعلمنا أن الفراش الاصفر يمكن التقاطه عن زهرة أنف العجل (فم السمكة)، وان الفراش المرقط المشقوق الذيل يحوم على زهر الخطمي. واكتسبنا خبرة بالنجوم، فكنا نعاين كوكبي الجوزاء والعقرب وسواهما في موكبها الجليل ليلة بعد ليلة حتى بتنا نعرف اسماء النجوم كلها في سماء الصيف الصافية.

حتى النهاية — وأسرعت الى امي بعد مرضها لاتعلم منها المزيد. وطلبت منها ان تعلمني مرة اخرى ما تعرفه حول الطلي بماء الذهب ومزج الاصباغ وتجنيد اليدين بأصابعهما العشر لعزف قطعة رباعية الاصوات من موسيقى باخ على البيانو.

واستجابت لطلبي بابتهاج. وعندما جرت أصابعي العار على روح باخ، استجمعت امي قدرتها على النقد اللاذع. وذات امسية ممتعة جلست اعزف قطعة بطيئة وأشرد في ضرب المفاتيح. فما كان منها الا ان سألتني: "يبدو ان اصابعك مترنحة قليلا هذا المساء، أم انك أنت المترنح؟" وتوقفت الموسيقى تلك الليلة وحل الضحك.

وبعد وقت أصابتها نوبة فاجعة تعطل معها الجانب الايسر من جسمها. وكان علينا ادخالها دار تمريض لتنال العناية الصحيحة. لكنها بقيت تحمل القلم بيدها اليمنى وتشغل تفكيرها في حل الكلمات المتقاطعة. وكانت معظم الوقت تحمل قلماً وتتصدى لاحجية، كأنما القلم في يدها حارس أو رمح في مواجهة الظلمة. ولكن بعدما كانت تصرف ساعة على حل الاحجية الطويلة في صحيفة الاحد، باتت تحتاج الى يوم كامل، وحتى يومين أو ثلاثة.

أما لوسي فضمرت خاصرتها وأصبحت مثل طيف يتموج بين وركين وهي تمشي في الحديقة. وكانت، معظم الاحيان، تضطجع تحت شجرة صنوبر هرمة عند مدخل البيت، وكانت ابنتنا تحمل اليها الطعام، لكن لوسي لم تعره اهتماماً بالغاً.

واقترب وقت الاعتدال الخريفي، حين يتساوى الليل والنهار، واتخذ نجم الشِّعْرى مكانه فوق ايكة الصنوبر، وصارت الامسيات باردة، ولم تبارح لوسي شجرة الصنوبر الهرمة، وهناك كانت تتناول طعامها. وحملت ابنتنا لحافاً عتيقاً لتبني لها عشاً دافئاً هناك، تفضلت لوسي وقبلت الجلوس عليه.

في تلك الاثناء كان اخي في دار التمريض يساعد امي على حل شبكة الكلمات المتقاطعة في صحيفة الاحد، وسألها: "حسناً يا امي! ما هي الكلمة المرادفة لوشاح ياباني فضفاض؟"

"اوبي"، أردفت امي، بسرعة وثقة جعلتا أخي يشكك في ما يسمع. وبعد استطلاع القاموس تأكد من صحة جوابها. ووقفنا كلنا مشدوهين حيال أسرار المعرفة. كانت امي عاجزة عن تذكر الشهر الذي هي فيه، لكنها تذكرت كلمة "اوبي".

الا ان ذلك لم يكن كل شيء. فقد حملنا اليها، بَعيْدَ ذلك، نبتة جميلة من مشتل زجاجي، وهي ذات لون أحمر ضارب الى الارجواني. وسألتني: "ما اسمها؟" وتوقعاً مني ان تطرح ذاك السؤال، فقد بذلت غاية جهدي لأسأل البائع عن اسمها وأحفظه: "سينيراريا". وعندما سمعت امي الاسم، أخذت قلماً وكتبته حرفاً حرفاً على هامش كتابها الخاص بالكلمات المتقاطعة، بخط واضح وتهجية صحيحة، متجنبة ظني الخاطىء ان حرف النون في الكلمة مشدد.

الضفة الاخرى — جاء يوم لم نعثر على لوسي. اللحاف تحت شجرة الصنوبر كان فارغاً. ورحنا نفتش، متوجسين خيفة مما قد نجد. لكنها اختفت من أيكة الصنوبر، ولم نقع على أثر لها في الممر الضيق حيث يسيل ماء الجدول، أو في بستان الجيران. ويبدو ان لوسي اندفعت، كعجوز من الاسكيمو في زورق جلدي، خارج مدى أنظارنا. لقد اضمحلت. ومثل امرىء يعيد المال الى دائنه، أعادت لوسي عناصرها الى الطبيعة.

وغاب نجم الشِّعْرى وراء الافق ووثب قلب العقرب مغتصباً العرش في قمة السماء الجنوبية. وعلى رغم ان حجم امي تقلص أكثر من قبل، الا ان اشعاعها الهادىء الجليل ما برح يوحي بقولها: "اني مستعدة". ولكن بدا واضحاً أن افكارها اتجهت الى الضفة الاخرى ولم تعد على هذه الضفة.

وكنت على وشك الا أزورها ذلك اليوم، يوم زيارتي الاخيرة، اذ أردت ان أصرف بعد الظهر في السباحة. الا ان زوجتي ذكرتني بأن زهر الخزامى فتّح براعمه، ويحسن ان نرسل ضمة منه الى الوالدة.

وراحت امي تتهجى كلمة "خزامى"، ثم عطست من جراء الرائحة العطرة.

وماتت امي في اثناء النوم بعد ايام اربعة. وها نحن الآن نقلّب مقتنياتها الباقية: أدوات نحت، فُرُشاً من وبر السمور الأحمر الناعم، رفوفاً من الرموز الموسيقية، خرائط وكتباً مصورة عن النجوم، كتباً حول الازهار البرية، شروحاً للكتاب المقدس... مع ذكريات حية وقوية وجميلة كعبير الخزامى.

■ **ادوارد زيغلر**



ينبوع العزاء

كل مرة كنت اذهب الى عيادة الطبيب كنت اصادف امرأة في غرفة الانتظار تحاول اسكات اولادها الثلاثة. وبعد انهاء نوبة صراخها، كانت تأخذ ورقة من حقيبتها وتقرأها ثم تبتسم. وبدت تلك الورقة مصدر تعزية لها. وفي احد الايام سألتها عن محتواها، فناولتني قصاصة من كتاب حول الارقام القياسية تقول ان اكبر عدد من المواليد لامرأة واحدة كان ٦٩: ففي ١٦ مرة ولدت توأمين، وفي سبع مرات ثلاثة توائم، وفي اربع مرات أربعة توائم.

س.غ.

الجبن
غذاء كامل



لقّب لحم الفقراء. انه الغذاء الذي يكاد يكون كاملا

الزمان: في حدود السنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد. المكان: صحراء تلفحها الشمس المحرقة، ووسط الصحراء جمل يخب وقد تدلى من كتف راكبه جراب صنع من جلد ومليء بحليب غنم دسم. فماذا كانت النتيجة؟ تخثر الحليب واستحال طعاماً جديداً. وما كان المسافر المشدوه ليسمي تلك الخثارة جبناً، لان هذه الكلمة لم تكن معروفة آنذاك. لكنها كانت جبناً. وتقول الاسطورة انه لا بد من ان ظهور الجبن للمرة الاولى تم على هذا النحو، بعدما تهيأت له العناصر الضرورية كلها.

ومع تعاقب الاجيال تحول هذا الاكتشاف العرضي الى احد الاطعمة الاكثر تغذية وتنوعاً وغرابة. فالحليب الذي يحتوي على اكثر من مئة عنصر غذائي، يكاد يشكل غذاء كاملا. والجبن،وهو حليب الابقار والاغنام والماعز المركز، يضم عدداً كبيراً من تلك العناصر الاساسية.

ان قطعة من الجبن تزن ٣٠ غراماً توفر ٢٠ في المئة من حاجتنا اليومية

الى الكلسيوم و١٦ في المئة من البروتيينات الضرورية، بما في ذلك الاحماض الامينية الحيوية والاساسية في عملية النمو وتجدد الانسجة الحية، كما تحتوي الكمية ذاتها على الفيتامين "ب" المركب والفيتامينات "أ"، "د"، "هـ"، "ك"، وعلى الفوسفور، فضلا عن نسبة عالية من المواد الدهنية.

وليس الجبن احد افضل الاطعمة فحسب، فهو من اقدمها كذلك. بل انه اقدم من الزراعة نفسها. والتاريخ حافل بالطرائف التي تروي عن الجبن:

ففي القرن الثامن قبل الميلاد، روى الشاعر الاغريقي هوميروس في ملحمته "الاوذيسة" ان السيكلوب، العملاق ذا العين الواحدة في الاساطير اليونانية، كان يحفظ في كهفه "جراب تجفيف مليئاً بالاجبان". وورد ذكر الجبن في الكتاب المقدس. كما عرف عن قياصرة روما ولعهم بالجبن الذيكان غذاء اساسياً للجيوش الرومانية. اما في العصور الوسطى، فكان الامبراطور الفرنسي شارلمان من عشاق الجبن.

وذات مرة كتب السياسي والفيلسوف الامريكي بنيامين فرانكلين الى احد اصدقائه ان حصوله علىوصفة لصنع جبن "بارما" الحرّيف يرضيه "اكثر من اي مكسب آخر". وفي العام ١٨٤٧ تمكن العميد كو، احد قادة بحرية الاوروغواي، من قهر

كيف تشترين الجبن وتخزنينه وتطهينه

لدى شرائك الجبن، احرصي على ان يكون سطح القطعة طريا، وغير جاف او متشقق. اما الجبن ذو الخطوط الزرقاء فينبغي الا تظهر على سطحه تغيرات بنية اللون تدل على الفساد. ويجب الا تنبعث من الجبن اللين رائحة النشادر (الامونيا). وبما ان الاجبان اللينة قابلة للفساد، فلا تشتري الا كمية يمكن استهلاكها في غضون بضعة ايام.

بعد لف الجبن باحكام باوراق البلاستيك او الالمنيوم، احفظيه في باب البراد او مستودع الخضر فيه. ان وضع الجبن في الثلاجة المجلدة يفقده بعض نكهته، وربما غير تركيبه. اما الاجبان الصلبة فيمكن حفظها جيداً في البراد اسابيع عدة. واذا ظهر العفن على الاجبان الطبيعية، فما عليك الا ان تكشطيه عنها. الا انه لا بد من رمي جبنة الحلوم والجبن القشدي والجبن القابل للمد حالما يظهر العفن عليها.

لدى تقديم اي نوع من الجبن، باستثناء جبنة الحلوم او الجبنة القشدية، ينبغي ان يكون في درجة حرارة الغرفة، ولذا يستحسن اخراج الجبن من البراد قبل ساعة على الاقل من تقديمه. كما يجدر بك الا تقطعي من الجبنة الا ما يكفي الاستهلاك الفوري، لأن اخراج الجبن تكراراً من البرودة الى حرارة الغرفة يفقده طعمه ويقصر مدة حفظه.

لدى طهو الجبن، اضيفيه الى العناصر الاخرى في قطع صغيرة تمتزج معها باعتدال وتنضج في وقت اقصر. وعند تحضير الصلصة، ليكن الجبن آخر عنصر تضيفينه.

اسطول الارجنتين، على رغم نفاد ذخيرته. وذلك بقصفه سفن العدو بقنابل من الجبن الهولندي!

كنوز وطنية – ويستهلك العالم سنوياً ما يزيد على ٨٠٠٠ مليون كيلوغرم من الجبن، ويستمتع جميع الناس بصنف من اصناف الجبن، الا في حالات استثنائية. فمعظم سكان الصين، مثلا، لا يتناولون اياً من منتجات الحليب.

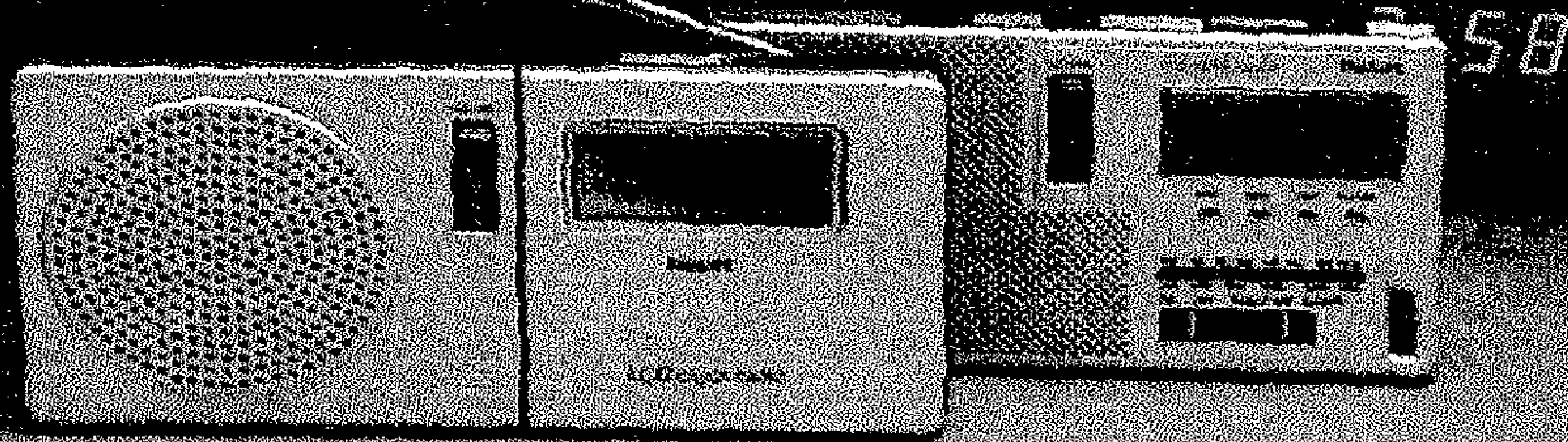
انظر الى محاسن الجبن التي تفتن البصر بلونها القرمزي او البرونزي او الوردي او الابيض القشدي او الاصفر او البرتقالي او الابيض الثلجي، وبأصنافها المغلفة بالقش او بورق العنب او ورق الكستناء، والمزينة بحب الفلفل او الجوز او بذور العنب.

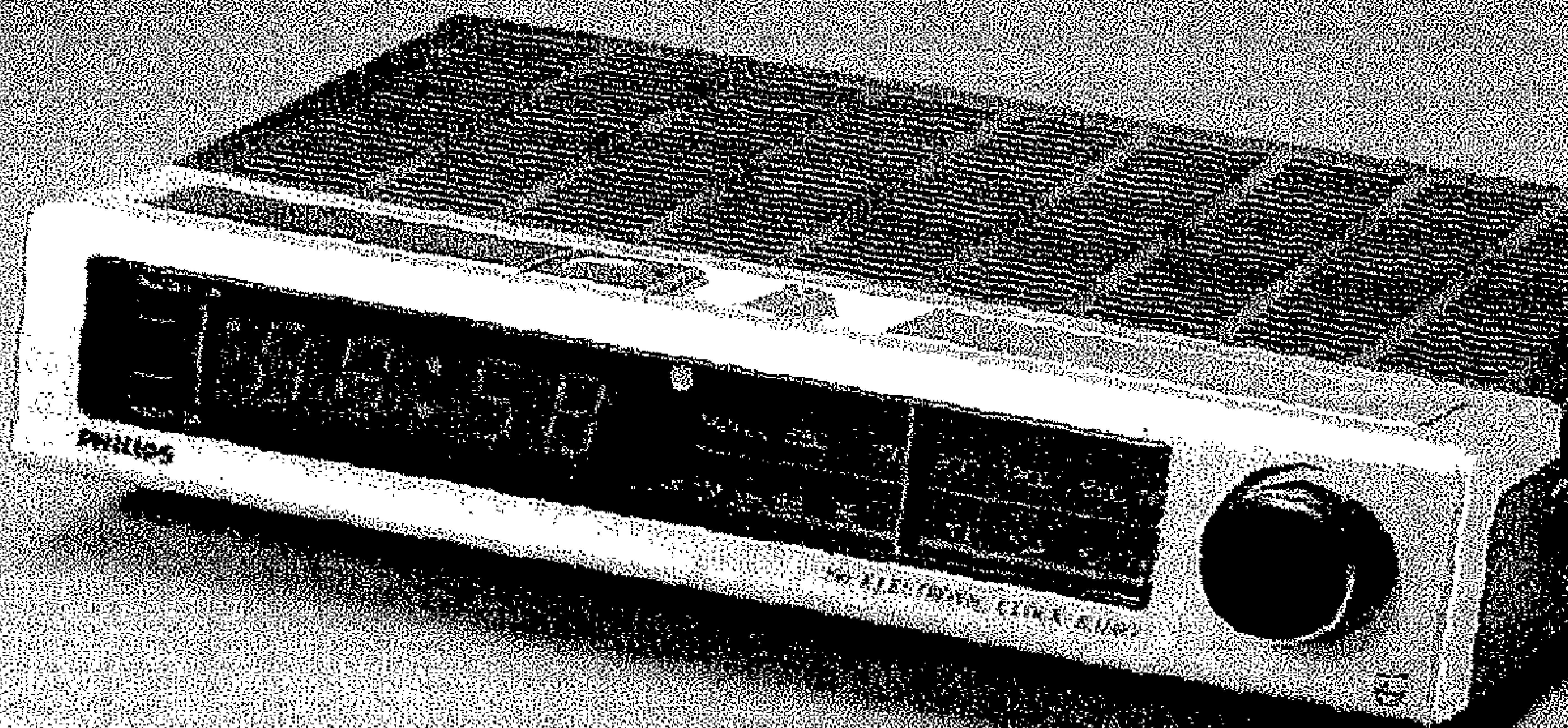
وتتخذ اصناف الجبن اشكالا شتى. فهناك ما هو في شكل قلب او كرة او رغيف او عجلة. ويراوح ملمس الجبن بين المحبب واللزج، ويختلف طعمه بين القشدي والحلو والجوزي والمالح والمدخن والدسم والحريف ذي الرائحة الحادة. فهو اذاً يناسب كل ذوق.

ويدخل الجبن في صنع كثير من اصناف الطعام. فهو يمد على خبز محمص ليؤكل مع الكافيار، ويدخل في الفطائر المختلفة وفي الحلوى والشوكولاتة والبسكويت الرقيق الهش، وفي الخبز والشطائر والبيتزا واطباق الرز وعجة البيض وكعك الجبن (ومنه الكنافة). ويزيد الجبن جودة الطعام، بدءاً بالبطاطا المطبوخة وانتهاء بلحم العجل الطري.

وتثير صناعة الجبن تحدياً بين البلدان التي تتبارى في ابتكار انواع فريدة منه. فثمة من يعتبر بعض انواع الجبن مفخرة وطنية. مثال ذلك

حان الوقت لاستيقاظك براديوات فيليبس ذات الساعة!

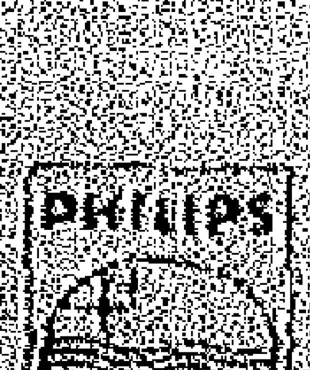




استيقظ على الطريقة التي تحبها ... وذلك بفضل راديو فيليبس ذي الساعة الرقمية الإلكترونية المتقدمة. استيقظ على برنامجك المفضل. او على رنين جرس ان كنت تفضل اشارة منبهة عادية. اما اذا كنت من الناس صعب ايقاظهم. فان ساعة الراديو تمكن ضبطها لتنبهك مرة بعد اخرى حتى وان دأبت انت على اسكاتها!

اتريد ان تتحقق ان كنت متاخرا؟ طراز المائدة يعرض الوقت بارقام ضوئية سهلة القراءة طيلة الاربع والعشرين ساعة. كما يعرض الوقت باقدار متقطع في حالة انقطاع التيار من المنبع. اما طراز الراديو النقالي ذو الساعة فيعرض الوقت بوضوح طيلة ١٢ ساعة. زد على ذلك ان الراديو ذا الساعة يبقى مشتعلا حتى تستسلم للنوم ويقطع التيار تلقائيا في موعد مسبق الضبط بين صفر دقيقة و ٥٩ دقيقة.

سواء اوقع اختيارك على طراز مائدة ام راديو نقالي ذي ساعة رقمية، فانك ستحصل حتما على استعمال ممتاز وكفاءة يعتمد عليها ... طريقة فيليبس. لقد ابتدعت فيليبس تشكيلة ستسعدك يوما بعد يوم: ساعة رائعة ... وراديو رائعا ... جهازا مثاليا يجمع بين الاثنين. فاستعن بفيليبس، الشركة التي تحرص على راحتك بابتكاراتها التكنولوجية المتقدمة!



فيليبس الأفضل لكم دائما

ان جبنة "بري" التي ولع بها شارلمان منذ العام ٧٧٤ لا تعتبر مفخرة لفرنسا فحسب، بل هي، في نظر كثيرين الجبنة الاكثر اعتباراً في العالم.

وعلى اي حال، فان الفرنسيين الذين يصنعون الاجبان منذ الفي سنة، وينتجون اليوم قرابة ٤٠٠ صنف منها، يكادون يجمعون على ان ملكة الاجبان الفرنسية هي "الروكفور" ذات الخطوط الزرقاء الشهيرة. وتصنع الروكفور من حليب النعاج، ثم تترك لتنضج في كهوف كلسية في قرية روكفور الفرنسية التي اعطت هذه الجبنة اسمها.

وتشمل هذه المنافسة العالمية اصنافاً عدة من الجبن. وتنتج الدانمارك ٥٠ صنفاً، وتصنع سويسرا ما يزيد على المئة. ولعل الصنف الذي يسعى الناس الى تقليده اكثر من سواه هو جبنة "ايمنتالر" السويسرية الكثيرة الثقوب.

حلم لذيذ – هناك على الارجح ١٨ صنفاً مميزاً من الاجبان فقط، يصنع كل منها بطريقة مختلفة. وتصنف هذه الانواع في فئات اربع: شديدة الصلابة، صلبة، لينة جزئياً، ولينة.

ولا يحتاج المستهلكون الى دليل لشراء الجبن المصنع الذي يسهل حفظه ومده وتذويبه، فضلا عن كونه زهيد الثمن. وهذا النوع من الاجبان معقم ويصنع عن طريق طحن اصناف الجبن الطبيعي او مزجها، ثم اضافة عامل استحلاب اليها يساعد على مزجها. وكثيراً ما تزاد عليها اعشاب وتوابل ونكهة مدخنة. ويبقى المذاق خير دليل الى الافضل بين الاجبان الطبيعية.

ويبلغ مجموع ما تنتجه الولايات المتحدة من الاجبان نحو ١٦٠٠ مليون كيلوغرام سنوياً، مما يجعلها اول منتج في العالم. غير ان اصناف الجبن الامريكي الاصيل لا تتعدى الخمسة: "البريك" و"الكريم" و"المونتري" و"الليدركرانتس" و"النيوورلد"، وهذا الاخير جبن ذو عفن ابيض.

ويحرص الامريكيون على الاحتفاظ بتفوقهم العالمي في هذا المجال، فينتجون من جبنة التشيدار الانكليزية اكثر مما تنتجه بريطانيا، ومن جبنة "الموتساريلا" الايطالية اكثر مما تنتجه ايطاليا، ومن الجبنة السويسرية اكثر مما تنتجه سويسرا. ومع ذلك، تستورد الولايات المتحدة نحو ١٣١مليون كيلوغرام من الاجبان سنوياً.

ما هو سر حماسة عشاق الجبن؟

يقول احد اصحاب مصانع الجبن: "الجبن يغري العين ويفتح الشهية على الفور (...) ولا يواجه الجبن، من الناحية الغذائية، الا منافسة ضئيلة. كما يستعمل حتى آخر ذرة".

ويراودنا الجبن حتى في الاحلام. ويقول الكاتب كليفتون فاديمان ان الجنود الامريكيين الذين عضهم الجوع يوم حاصرهم اليابانيون في جزيرة كورجيدور في الفيليبين أبان الحرب العالمية الثانية، لم يحلموا بفطائر التفاح او بالديوك الرومية المحمرة. صحيح ان بعضهم تلذذ في احلامه بأكل الشوكولاتة، اما الباقون فكانوا جميعاً يحلمون بالجبنة.

■ جاك دنتون سكوت



أصداء من عالم الطب

الشفاء من سرطان الدم

على رغم ان عبارة "قابل للشفاء" لا تستخدم في العادة لوصف مرض سرطان الدم الحاد الذي يصيب العقد اللمفاوية للاطفال (حيث تتلف كريات الدم الحمراء فيضرب لون الدم الى البياض)، الا ان تقريراً حول هذا المرض كتبه الدكتور ستيفن ل. جورج وزملاؤه في مستشفى سانت جود للاطفال في ممفيس (ولاية تينيسي الامريكية) استخدم هذا الوصف بالضبط. فالعلاج الحديث بعقاقير مضادة للسرطان والتعرض للاشعة، فضلا عن وسائل العلاج الاخرى الهادفة الى تطهير الخلايا السرطانية وابعادها عن الجهاز العصبي، ادت الى شفاء مرضى عديدين، حسب التقرير.

ولكي ينجح العلاج، لا بد من ان يدوم فترة طويلة. ذلك لان على الطفل المريض ان يتناول الدواء اولا حتى تخمد حدة المرض، فاذا تحققت هذه المهمةاستمر العلاج مدة سنتين ونصف سنة. وتفيد دراسة فريق سانت جود ان اكثر من ثلث الاطفال المصابين بالسرطان تخلصوا منه طوال اربع سنوات بعد اتمامالعلاج. ولما كان امكان الانتكاس نادراً بعد انقضاء هذه المدة، فان الاطباء يعتبرون الاطفال اصحاء.

الدكتور الان نورس

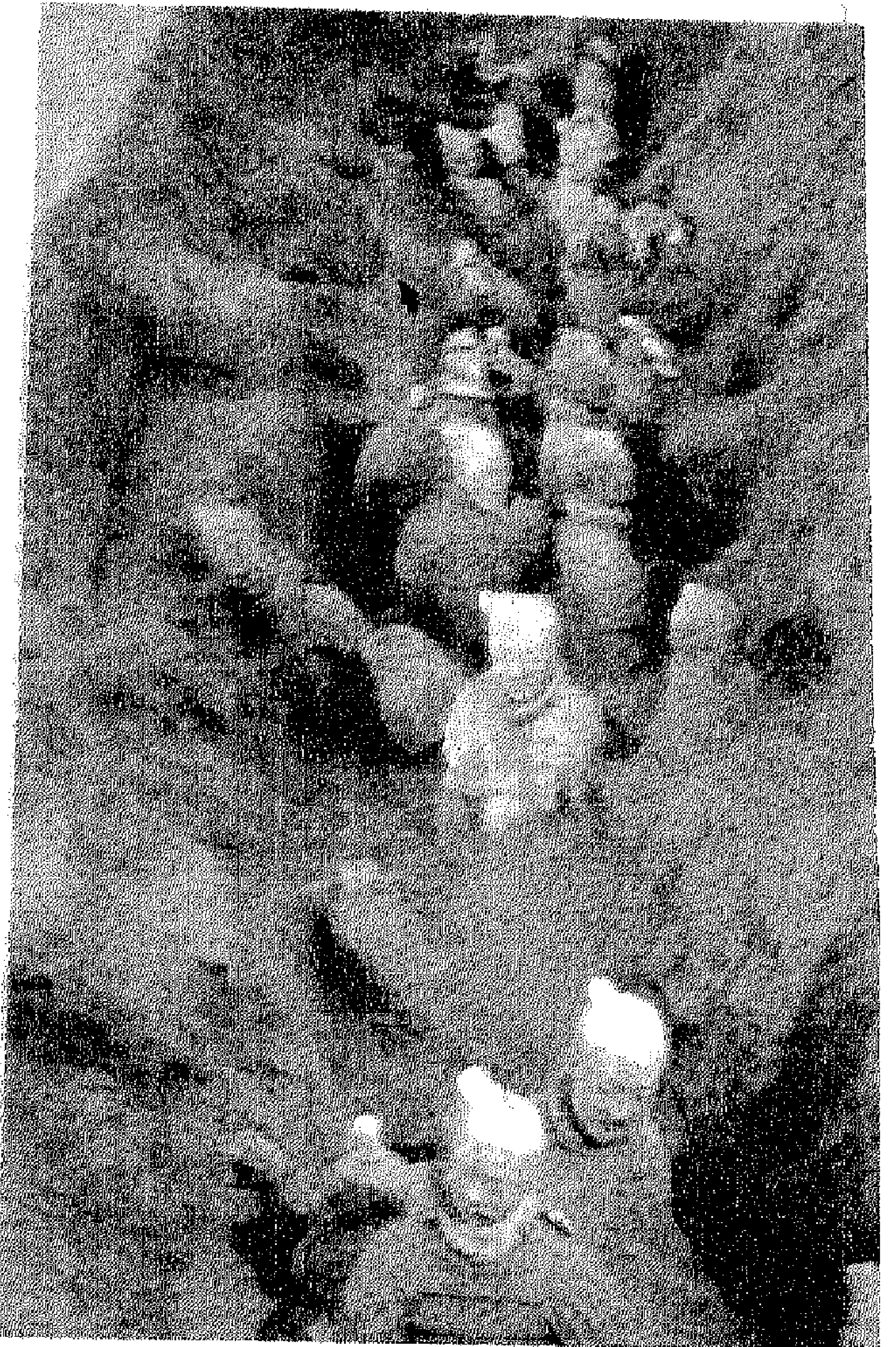
مرض الوهم

تطلق تسمية "مرض منخاوسن" - نسبة الى بارون الماني عاش في القرن الثامن عشر واشتهر بقدرته على رواية القصص الشديدة الطول - على اولئك الذين يترددون باستمرار على المستشفيات وينجحون غالباً في اقناع المسؤولين بعلاجهم من مرض حاد، على رغم انه زائف كلياً. ولعل اكثر حالات هذا المرض تطرفاً هي تلك التي كشفت عنها المجلة الطبية البريطانية.

فقد استطاع مريض، طوال ٣٤ سنة، دخول ٦٨ مستشفى نحو مئتي مرة، واجراء تحليل لدمه آلاف المرات، اضافة الى مئات المرات من التصوير بالاشعة. ويبدو بطن المريض كميدان معركة نتيجة العمليات الجراحية الكثيرة التي اجريت له، على رغم انه لم يعان فيالواقع اي خلل، عدا هوسه المرضي طبعاً. وقد بلغت تكاليف علاج المريض طوال تلك السنوات قرابة مليوني دولار!

س.ب.

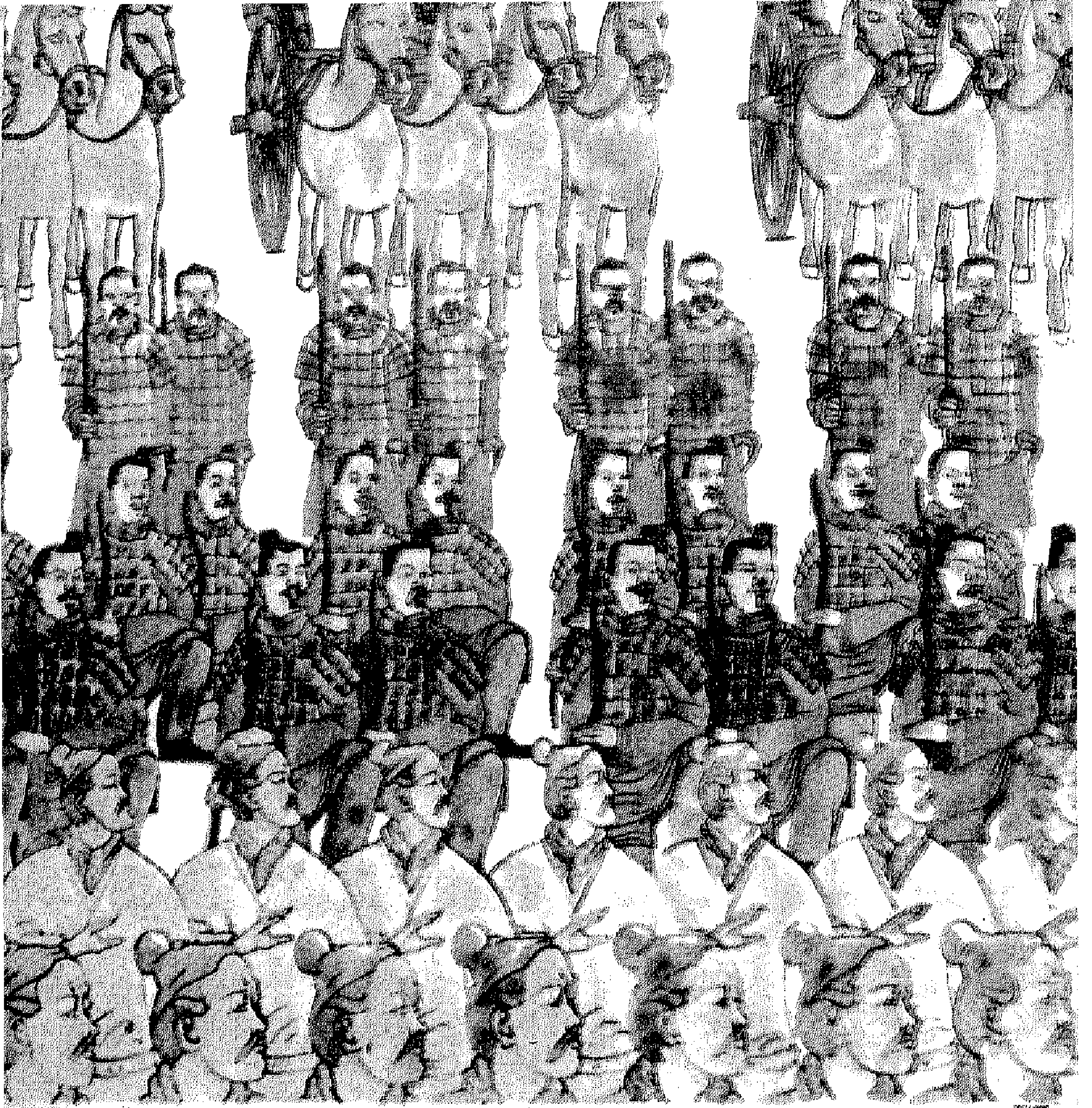
امبراطور الصين جَيشه من خزف



تقول اسطورة يونانية ان جايسون ورفقاءه المغامرين اشتبكوا مع محاربين كانوا يخرجون من اسنان تنين زرعت في الارض. واليوم تكررت القصة نفسها مع مزارعين صينيين. فقد اسفرت اعمال التنقيب التي جرت عام ١٩٧٤ قرب مدينة سيان، العاصمة القديمة للصين، عن اعظم كشف اثري حديث في البلاد، اذ ظهر الى الوجود جيش كامل من الفخار دفن في الارض منذ الفي سنة.

ويضم ذلك الجيش نحو ٧٥٠٠ جندي من خزف، دهنوا ببراعة فائقة وجهزوا بعربات حقيقية واسلحة برونزية، ليشكلوا حرساً امبراطورياً لسيدهم ويخدموه في حياته الثانية. ودفن هذا الجيش، في ما بعد، في سراديب تحت الارض شرق الضريح

الوان التماثيل المدفونة في الحفرة ـ ٢، كما تصورها الفنان نيجل هولمز من خلال رقاقات الطلاء الاصلية. الصف الاعلى: محاربو العربات وجيادها. الصفوف التالية: حملة الرماح المدرعون، رماة السهام (ركوع) والمشاة.



محاربون ازيل التراب عنهم جزئياً، وقد اختفت الوانهم الاصلية اذ اضفى التراب عليهم لوناً احمر.

الفخم الذي يرقد فيه امبراطور "تشين" الاول رائد توحيد الصين.

كان لتوحيد الصين، الذي حققه حاكم تشين عام ٢٢١ قبل الميلاد، وقع عظيم ما زالت تتردد اصداؤه في جمهورية الصين الشعبية. ان ذلك الحاكم، الذي اعلن نفسه اول امبراطور للصين، الغى الاقطاعية واسس اول امبراطورية حقيقية. فوحد الولايات المنفصلة في امبراطورية متصلة الاجزاء، وبنى سور الصين العظيم الذي يمتد ٢٤٠٠ كيلومتر، بعدما وصل الاسوار الكثيرة التي اقامها الملوك الاقطاعيون لصد هجمات البدو. وأوجد دستورا للبلاد، ووحد العملة ومقاييس الوزن والطول وسواهما، وحتى اللغة المكتوبة. ومع ان السلالة المالكة التي اسسها تقوضت دعائمها بعد اربع سنوات من وفاته عام ٢١٠ قبل الميلاد، الا انها

وضعت اسس النظام الامبراطوري الذي ساد الصين لالفي سنة تلت.

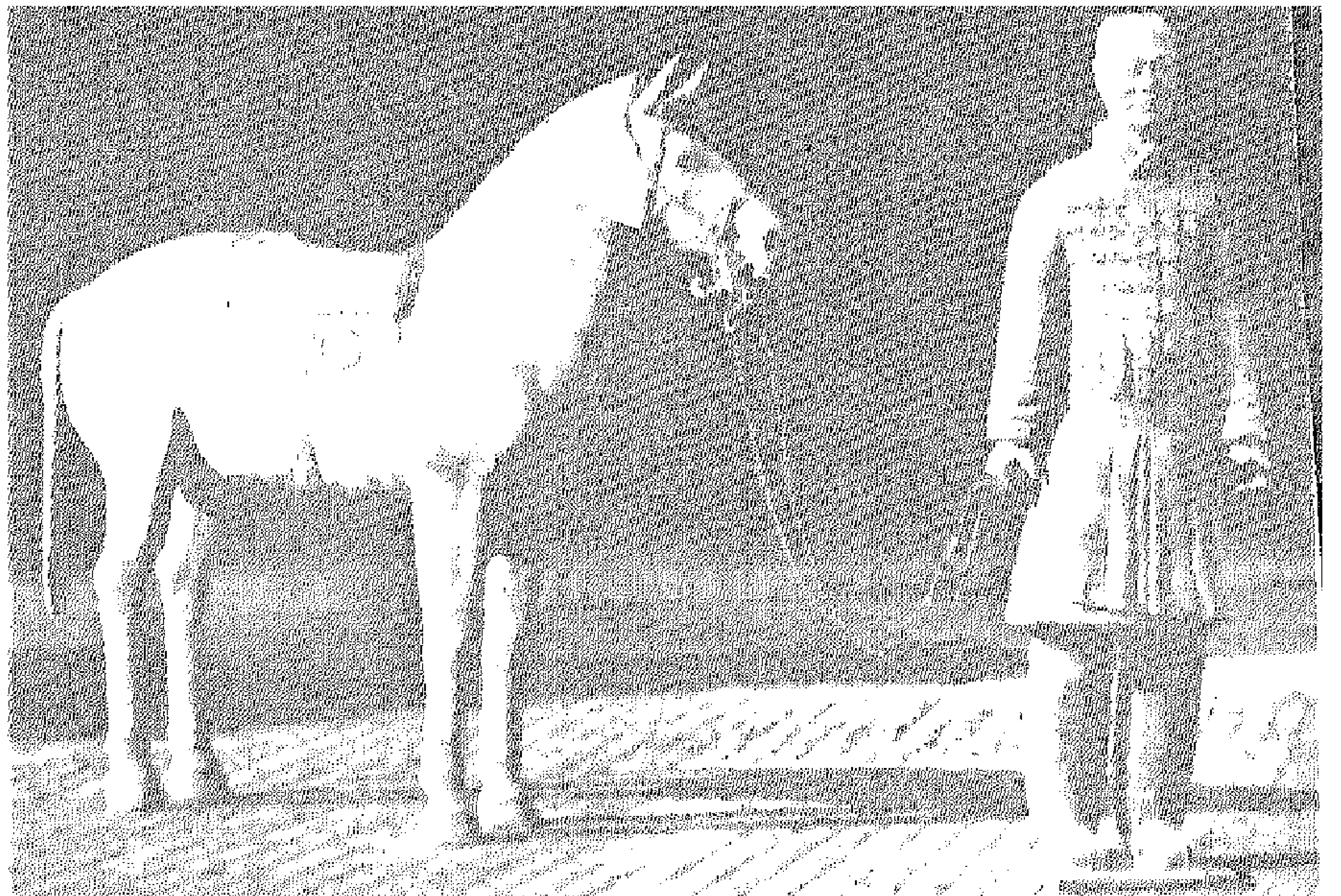
في سنه الثامنة والثلاثين كان الامبراطور الاول، في عرفه، حاكم العالم المتمدن بأسره. لكن رؤياه شخصت الى امبراطورية كونية. وكتب مؤرخ الصين القديمة الشهير، سيما تشيان، ان حاكم تشين حاول مراراً بسط سلطانه على مملكة الطبيعة. فذات مرة، عندما احبطت عاصفة عزمه على زيارة جبل سيانغ المقدس، انتقم الامبراطور من الجبل بأن ارسل ثلاثة آلاف سجين كي يقطعوا كل اشجاره، ثم امر بصبغ الجبل العاري بالاحمر، وهو اللون الذي يخلع على المجرمين.

وتعكس ثورات الغضب على الطبيعة، التي كانت تنتاب الامبراطور، شذوذاً في شخصيته. فحاكم تشين، الذي لم يرهب شيئاً حياً، نمّى في نفسه خوفاً متعاظماً من الموت. فاستمع الى اقوال السحرة والمنجمين حول السيطرة على مسار الحياة البشرية، واوفد جماعة تبحث عن جزر الخالدين وعن اكسير الحياة الابدية. وطغى على الامبراطور شعوره بالعظمة، فوضع خطة بناء واسعة شملت قصوراً سكنية وضريحاً عظيماً له.

وقبل وفاته بسنتين امر الامبراطور بتشييد مسكن امبراطوري فخم تجند له مئات الالوف من العمال. لكن البناء لم يكن مكتملا حين توفي.

ولم يبق من البناء الفسيح سوى اسس القاعة الكبرى التي تشهد على عظمته. ويمكننا ان ندرك رؤيا الامبراطور عن نظام عالم سرمدي اذا نظرنا الى تصميم ضريحه الفخم. وكما قال سيما تشيان، فان الضريح جسد بتفاصيل دقيقة معالم الكون الذي توقع الحاكم ان يسيطر عليه بعد وفاته:

"حفر العمال سرداباً عبر ثلاثة مجار جوفية احكموا سدها بالبرونز كي



خيال مع جواده في وضع استعداد. لجام الحصان من البرونز وعنانه مكسو بالخرز.



ضفائر معقدة تزين رأس احد الرماة

رام مدرع في وضع حامل القوس٠

تشكل قاعة المدفن٠ وامر الحرفيون بتركيب اقواس نشاب ميكانيكية تنطلق سهامها تلقائياً في اتجاه من يحاول اقتحام المكان٠ كما خطت نماذج للمجاري المائية في الامبراطورية، بما في ذلك نهر يانغ تسي والنهر الاصفر وحتى المحيط، ملئت زئبقاً يتدفق ويتموج ميكانيكياً٠ وصورت الابراج الفلكية على سقف الضريح وبسطت جغرافية الارض فوق ارضيته٠ وزودت المصابيح بزيت الحوت كي تشتعل الى الابد٠ وزرع العشب والشجر فوق القبر ليبدو كأنه جبل"٠

جيش من خزف – بين العامين ١٩٣٢ و١٩٧٠ ظهرت، تدريجاً، علامات تدل على ان المنطقة المحيطة بقبر الامبراطور تخفي مجموعة من الاشكال البشرية الخزفية٠ وتمت، في هذه الفترة، ازاحة التراب عن خمسة خدام ساجدين داخل الجدار الخارجي للضريح او قربه٠ وفي العام ١٩٧٤ كشف مزارعون صينيون، كانوا يحفرون آباراً في المنطقة، جزءاً من سرداب كبير تناثر في اركانه المتداعية حشد فخاري من المحاربين والخيول٠

وتظهر الحفريات المتلاحقة في منطقة السرداب هذه، وتدعى الحفرة ١، ان السرداب يمتد بطول ٢١٠ امتار من الشرق الى الغرب، وبعرض ٦٠ متراً من الشمال الى الجنوب، في سلسلة من ١١ خندقاً او ممراً متوازية يمكن ان تستوعب ستة آلاف تمثال خزفي٠ وحولت "الحفرة ١" الى متحف بعد ان سقفت فبدت كحظيرة كبيرة٠

ويتضح من توزيع مواقع التماثيل ان ذلك المجمع القائم تحت الارض صمم لتنظيم عسكري حقيقي: يضم الطرف الشرقي للسرداب وحدة طليعية من رماة السهام غير المدرعين، تكون البادئة في القتال باسلحتها البعيدة المدى في حال وقوع اي اصطدام عسكري٠ ويقف خلف تلك الوحدة صفان آخران من رماة السهام، ينتصب اولهما في مواجهة الجانب الخارجي، وهو مهيأ، لصد اي هجوم مباغت على جناح الجيش، ويقف الصف الخلفي في مواجهة المدخل، مستعداً للمؤازرة في الهجوم٠

ويقف بين هاتين الوحدتين قلب

Photos: Seth Joel.

الجيش المؤلف من ٣٦ صفاً من المشاة تتوزع على تسع كتائب· وفي ثلاث من هذه الكتائب تتولى القيادة مجموعات تتألف كل منها من ٣٢ رماحاً لا يحملون الدروع· اما الكتائب الست الباقية، فتتسلم قيادتها مجموعات تمتطي عربات الخيل ويتقدمها ١٢ رجلا من المشاة· ويتكون طاقم كل عربة من سائق وحارس محارب وتجر كل عربة اربعة جياد خزفية في حجم الخيل الحقيقية· وتحمي مؤخر هذا التشكيل العسكري ثلاث وحدات من المشاة المدرعين·

ويتوقع الخبراء ان يستغرق نبش "الحفرة ١" وترميمها بين ثلاث سنوات وخمس واكتشف في شهر مايو (ايار) ١٩٧٦ مجمع جنود آخر تحت الارض (الحفرة٢) على بعد عشرين متراً شمال "الحفرة ١"، قدر عدد التماثيل فيه بما يربو على ١٤٠٠ محارب وحصان· وتضم حفرة اخرى (الحفرة ٣)، تقع شمال الطرف الغربي لـ"الحفرة ١"، ٦٨ تمثالا فقط· وربما كانت هذه الفئة تمثل نخبة قيادية· وهناك حفرة رابعة بلا تماثيل، يوحي خلوها بأن العمل على اعداد الجيش الخزفي توقف قبل اتمامه·

وعلى رغم العدد المذهل من الاشكال البشرية التي تؤلف الجيش الخزفي فان المحاربين والخيول لم يصبوا في قوالب، بل صنع كل تمثال من الطين الخشن الرمادي ورفع جذعه المجوف فوق قائمتين صلبتين او اربع قوائم· وطلي سطح التمثال الخارجي بالطين الناعم· وصممت اذرع المحاربين ورؤوسهم، وذيول الجياد ونواصيها (شعر مقدم رؤوسها)، كل على حدة، ثم علقت بطبقات الطين· وركبت اذنا المحارب وسالفاه ودرعه والطين ما زال رطباً ثم شويت التماثيل في نار ذات درجة حرارة عالية، ودهن كل منها بطلاء لماع وجهز بالسلاح· وقد احتفظت الاشكال ببعض لونها مما سمح لخبراء الآثار بترميمها على نحو تجريبي·

ونظم المحاربون في تشكيل يناسب استعراضاً امبراطورياً· فمعظمهم يقف على اهبة الاستعداد، بينما يركع آخرون او يمشون او يقودون عربات او جياداً او يستعدون للاشتباك بالايدي· ويراوح طول المشاة بين ١٧٥ و١٨٣ سنتيمتراً، ويزيد طول سائقي العربات على ذلك· اما القائد فيبلغ طوله ١٩٦ سنتيمتراً، ويعود ذلك ربما الى اعتبارات رتبته·

ترى، كم كان فخماً وزاهياً هذا المشهد؟ وكم هي فريدة ومتميزة سمات وجوه اولئك المحاربين!؟ ان التفاصيل الجسدية لديهم مطابقة للتفاصيل البشرية الحقيقية على نحو مذهل· لقد نحتت العيون كأنها تتحرك تحت الجفون الضاغطة عليها· أما الآذان فتستطيع ان تميز في كل منها الغضروف الاعلى والطرف اللحمي السفلي· اما تصفيف الشعر فيظهر تبايناً في اشكال الضفائر وقمة الرأس·

وعلى رغم هذه الواقعية، فان معظم الوجوه تنسجم مع اشكال نموذجية تتميز بجبهة عالية ملساء وحاجبين مقطبين بارزين وعينين حازمتين وعظام بارزة وانوف ممتلئة·

ويبدو هذا التكوين الجوهري للوجه متفاوتاً الى اقصى الحدود نتيجة لتنوع تصفيف الشعر وشكل السالفين. فشعر قائد الطليعة وسالفاه صفت باتقان، كما يدل جبينه المتجعد على تحمله هموم القيادة.

وتعتبر التماثيل الخزفية التي وجدت في تشين اقدم مجموعات النحوت الكبيرة في الصين، وهي موضوع جديد في دراسة فنون النحت عند الصينيين. وهي توفر شروحاً بيانية للتنظيمات والدقائق العسكرية القديمة، وتقدم معلومات عن تفاصيل المعارك وعن البسة الجند ودروعهم.

وبالنسبة الى امبراطور تشين الاول، فان جيشه الخزفي ينقل اسمه من صفحة النسيان الى سفر الخلود الذي طالما تاق اليه.

■ ماكسويل هيرن



افكار متجددة

كان اسلافنا يظنون ان اكثر المشاهد ايحاء بالراحة هو مشهد كلب هرم متمدد امام الموقد. لكنهم لم يروا قط كلباً متمدداً أمام مكيف هواء.

قواعد ديبلوماسية

عندما وقع اختيار الحكومة الصينية على تسينغ تشي ـ تسي ليكون ثاني سفير لبلاده لدى الحكومة البريطانية، قالت له الامبراطورة دووا غير: "ان معرفتك للغة الانكليزية تغنيك عن ترجمان".

فأجاب تسينغ: على العكس يا مولاتي. سأحتاج الى ترجمان لسببين: الاول هو ان على الديبلوماسي ان يتكلم لغته دائماً. والثاني هو ان الترجمة تتيح لي متسعاً من الوقت للتفكير في الجواب الملائم.

و.ش.ك.

حكمة العصور

اذا تأملنا في الأقوال الآتية، وجدنا ان المسائل الانسانية لا تزال كما كانت منذ الازمنة الغابرة:

ـ في الصيف كما في الشتاء، راتبي لا يؤمن لي الراحة.

رسالة مصرية، العام ٢٥٦ ق.م.

ـ ها نحن في الاول من يونيو (حزيران) والحكومة لم تنجز شيئاً بعد.

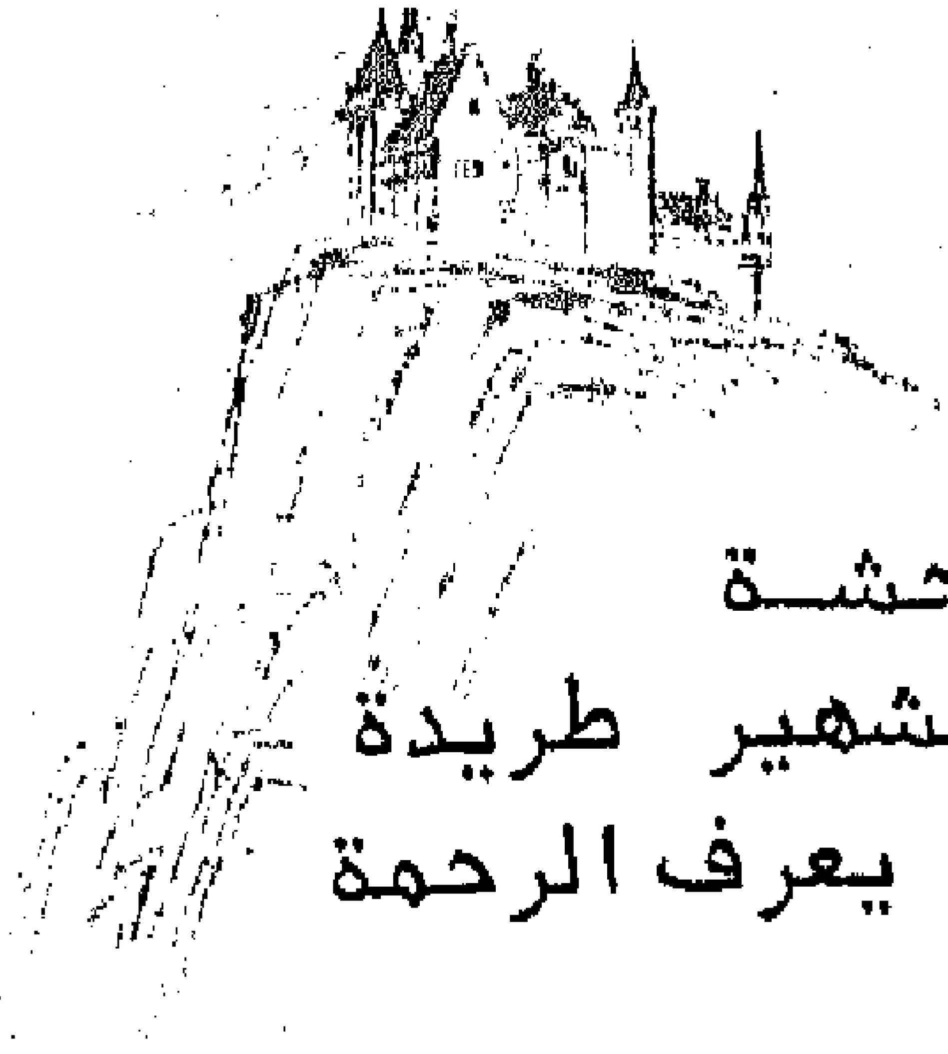
شيشرون ١٤٣ ـ ١٠٦ق.م.

ـ من منكم لم ير بعينه النزعة الحالية التي تسبب ارتفاع اسعار السلع الضرورية الى حد تعجز اللغة عن وصفه.

ديوكليتيان، ٣٠١ب.م.

ـ لقد غدت الرياضة مهنة.

سقراط، ٤٧٠ ـ ٣٩٩ق.م.



فوق جزيرة موحشة
اضحى الصياد الشهير طريدة
يلاحقها مهووس لا يعرف الرحمة

المصيدة البشريّة

قال ويتني: "انظر، في مكان ما الى يميننا تقع جزيرة "مصيدة السفن"، كما تشير اليها الخرائط القديمة. والملاحون يرهبون هذا المكان كثيراً. وهناك خرافة تقول..."

فقاطعه راينسفورد: "اني لا ارى شيئاً". ومضى يحاول ان يخترق بنظره غياهب الليل الاستوائي الرطب الذي لف اليخت.

– عندما نبلغ البرازيل بعد ايام، سوف ننعم بنور جيد. ونحظى بصيد وافر من مياه الامازون. ان الصيد رياضة عظيمة.

"اجل، انها افضل رياضة في العالم".

ونزل ويتني الى داخل المركب لينام، بينما بقي راينسفورد على ظهر المركب ينفث دخان غليون آخر. واذا بصوت متقطع يجفله. وتكرر الصوت مرة تلو أخرى. لقد اطلقت النار من بندقية ثلاث مرات وسط الظلام الحالك. وحدق راينسفورد الى جهة الصوت، ولكن كمن يحاول ان يتطلع من خلف ستار سميك. ثم امسك بالقضيب الحديد الممتد على ظهر اليخت كي ينظر من ارتفاع اعلى، لكن غليونه اصطدم بحبل فسقط من فمه.. واندفع راينسفورد الى الامام كي يلتقطه، لكنه فقد توازنه وهوى الى مياه البحر الكاريبي الحارة. ثم طفا واخذ ينادي ويصيح ويحاول اللحاق باضواء اليخت المتباعدة، غير ان هذه اختفت سريعاً وسط الظلام.

كان صوت الطلقات النارية آتياً من اليمين. فسبح راينسفورد بعناد نحو مصدر الرصاص فترة بدت كأنها بلا نهاية. وبعد قليل مزق الظلام الدامس صراخ حيوان مذعور مالبثان اخمدته طلقات مسدس متقطعة.

وبلغ راينسفورد الصخور قبل ان يراها. فاستجمع قواه وزحف الى خارج المياه. والقى بنفسه على الصخور لاهثاً، ثم غط في نوم عميق.

واستيقظ راينسفورد في وقت

متقدم بعد الظهر، ولم ير اثر مشي على ارض الغابة قرب الشاطىء. وكان المشي على الشاطىء اسهل منه في اي مكان آخر هناك. وبدأ الظلام يلف الغابة والبحر عندما رأى راينسفورد انواراً تشع في بيت كبير على جرف عال. فتسلق السلم الحجرية المؤدية اليه.

وفتح الباب رجل قوي البنية ذو لحية سوداء تدلت الى وسطه، يرتدي بزة رسمية ويحمل مسدساً.

فبادره راينسفورد: "لا تخف. أنا سانجر راينسفورد من مدينة نيويورك. وقد سقطت من مركبي".

ثم ظهر رجل طويل القامة، ابيض الشعر، يرتدي ملابس السهرة، ومد يده مصافحاً راينسفورد: "انا الجنرال زاروف. ومن دواعي غبطتي ان استضيف السيد سانجر راينسفورد، الصياد الشهير. اني قرأت كتابك حول صيد نمور الثلج في هضبة التيبيت". ثم اشار الى الرجل الآخر فوضع هذا سلاحه جانباً.

وتابع الجنرال: "ايفان قوي جداً وفظ. انه قوزاقي مثلي. ادخل يا سيد راينسفورد، فلا يجوز أن نتحدث هنا. انك تحتاج الى ملابس وطعام وراحة. تفضل واتبع ايفان".

لعبة الموت ـ جلس الجنرال وضيفه في قاعة فخمة يتناولان طعام العشاء. فقال الاول: "ربما ادهشك اني عرفت اسمك. انا اطالع كتب الصيد كلها، فبي شغف بأمر واحد يملأ حياتي. انه الصيد".

وأجاب راينسفورد وهو ينظر الى جدران القاعة: "ان لديك مجموعة ممتازة من الرؤوس. فرأس جاموس الكايب هذا غاية في الضخامة. ولطالما ظننت صيد جاموس الكايب اخطر اعمال الصيد الكبيرة (★)".

ـ هذا ليس صحيحاً. فأنا اصيد هنا طرائد اخطر منه. لكن صيدي لا يتوافر في الجزيرة اصلا، فعلي ان استورده.

"وأي الوحوش استوردت يا سيدي؟ النمور؟"

فابتسم الجنرال هازئاً: "لا، لم تعد النمور تثيرني، فليس في صيدها خطر حقيقي. وأنا اطلب الخطر يا سيد راينسفورد".

"ماذا اذاً؟"

ـ دعني اخبرك. لقد عزمت على ان اجد حيواناً جديداً اصطاده. فقلت في نفسي:

"ترى ماذا تكون صفات هذه الطريدة المثالية؟" وكان الجواب: "ان تملك الشجاعة والدهاء، وفوق ذلك، ان تكون قادرة على التفكير". وهناك، لحسن الحظ، حيوان واحد قادرعلى التفكير والتحليل.

"انت لا تعني ما تقول. ما تتكلم عنه هو اجرام".

ـ تلك كلمة قبيحة. لكني اصطاد حثالة المجتمع، اولئك هم بحارة سفن الشحن غير النظامية. تعال معي الى النافذة.

(★) جاموس الكيب ضار، ضخم الجثة، اسود اللون، يكاد يخلو من الشعر، وموطنه جنوب افريقيا. ويتصل قرناه عند قاعدتيهما فيشكلان ما يشبه الخوذة.

وضغط الجنرال زراً فظهر في عرض البحر وميض. وقال: "تهديك هذه الانوار الى قناة ليس فيها سوى صخور حادة كالموسى. على تلك الصخور تكسر السفينة كالجوزة.

"تلك هي لعبتي. فأنا اقترح على احد ضيوفي ان نذهب الى الصيد، وادعه يسبقني بثلاث ساعات اتبعه بعدها حاملا مسدساً من العيار ٠٠٢٢. فاذا استطاع الافلات طوال ثلاثة ايام، ربح الرهان. أما اذا وجدته - وهنا ابتسم الجنرال - فأنه يخسر".

"ولكن افترض ان صيدك المتوقع رفض مرافقتك في رحلة الصيد هذه".

- عندئذ أحيله على ايفان، وهو رجل بسيط وجلاد سابق لدى القيصر الابيض العظيم. وله وسائله الخاصة باللعبة. وزواري يختارون الصيد دائماً.

"هب انهم ربحوا".

فاتسعت ابتسامة الجنرال: "لم اخسر حتى اليوم، مع ان احدهم كاد ان يغلبني فاضطررت الى استخدام الكلاب. تعال معي الى المكتبة، اريد ان اطلعك على مجموعتي الجديدة من الرؤوس. ما بك؟ الا تريد المجيء؟ حسناً، فأنت في حاجة الى نوم عميق. وغداً تكون في احسن حال". ولم يظهر الجنرال زاروف ثانية الا وقت الغداء في اليوم التالي. وراحت عيناه السوداوان الباردتان تتفحصان ضيفه. ثم قال: "أنا وانت سنبدأ الليلة مغامرة الصيد. سوف تجدها



لعبة شائقة: عقلك وذكاؤك وقوتك ضد عقلي وذكائي وقوتي".

"ولكن اذا ربحت..."

- اذا لم اعثر عليك قبل منتصف ليل اليوم الثالث، فسأقر بهزيمتي وانقلك في مركبي الشراعي الى البر. اقسم على ذلك بشرفي. والان سيزودك ايفان بثياب الصيد وبالطعام وبخنجر. وانصحك بالابتعاد عن المستنقع الكبير في الطرف الجنوبي الشرقي للجزيرة فنحن ندعوه مستنقع الموت. وهو مليء بالرمال المتحركة. أما أنا فلن الحق بك قبل الغسق، فالصيد في الليل اكثر اثارة.

حيل الصياد - شق راينسفورد طريقه وسط الاجمة طوال ساعتين، يستحثه شعور يقارب الذعر. ثم توقف ليستجمع افكاره: "سوف اترك له اثراً يتبعه". وأقام سلسلة من الدوائر المعقدة، ذهاباً واياباً، جعلت آثار قدميه تظهر في وضعين متعاكسين. وهو اعتمد في ذلك حيل الثعلب التي تعلمها من صيد الثعالب.

ودهم الظلام راينسفورد المتعب وهو على تل غطي باحراج كثيفة. فقال في نفسه: "اني كنت ثعلباً. فعلي الآن ان اكون قطاً". وتسلق شجرة كبيرة كثيفة الاغصان محاولا الا يترك اثراً خلفه، ثم استقر على احد فروعها الممتدة العريضة.

ومر الليل بطيئاً. وعند الصباح سمع راينسفورد صوت شيء يتحرك على مهل وبحذر في الغابة. فبسط نفسه على فرع الشجرة، ومضى يراقب ما يجري تحته من خلال الاوراق الكثيفة.

انه الجنرال زاروف. وهو تبعه

مركزاً عينيه في الارض. وتوقف الصياد قرب الشجرة وركع يتفحص الارض. ثم وقف وأشعل سيجارة سوداء طويلة.

ضبط راينسفورد انفاسه بينما كانت عينا الجنرال تراقبان الشجرة، لكنهما توقفتا عن البحث قبل ان تبلغا الطرف الذي اختبأت فيه الطريدة. وابتسم زاروف ابتسامة ذات مغزى ونفث دخانه في الهواء وابتعد غير مكترث.

وهنا اندفع الهواء المحبوس من رئتي راينسفورد. لماذا ابتسم الجنرال؟ لماذا قفل عائداً؟ انه كان يلاعبه كي يمضي يوماً آخر في الصيد. الان فقط عرف راينسفورد معنى الرعب.

وانحدر راينسفورد عن الشجرة وواصل رحلته في الغابة. ثم توقف على بعد ٣٠٠ متر من المكان الذي بات فيه ليلته، فرأى شجرة ضخمة يابسة اتكأت على شجرة خضراء صغيرة. فانتزع خنجره من غمده وبدأ يعمل. ولما انتهى من عمله، توارى خلف غصن ساقط على مسافة ثلاثين متراً، منتظراً عودة الصياد.

كان القوزاقي مركزاً على آثار طريدته الى حد انه داس الفخ قبل ان يراه ولامست قدمه الفرع البارز - او الزناد - فأحس بالخطر وقفز الى الوراء. لكنه كان متأخراً، اذ انهارت الشجرة واصابته عرضاً، فوقف يفرك كتفه الجريح، بينما ترددت ضحكاته الساخرة في ارجاء الغابة.

وصرخ الجنرال: "اسمح لي بأن اهنئك يا سيد راينسفورد. قليلون هم من يحسنون نصب مصائد للبشر على طريقة اهل شبه جزيرة الملايو. ان في الصيد معك متعة يا سيد راينسفورد. سأذهب الان لاضمد جرحي..انه خدش بسيط فلا تهتم، سوف اعود اليك".

واستأنف راينسفورد رحلة الفرار. فحل الغسق وبعده الليل، وغدت الارض لينة وناعمة تحت قدميه. ثم خطا خطوة واحدة الى الامام فغرقت قدماه في الوحل. انه مستنقع الموت!

باب الخلاص الازرق - اوحت نعومة الارض للهارب بفكرة. فتراجع بضعة امتار عن الرمل المتحرك، وبدأ يحفر. وعندما تجاوزت الحفرة مستوى كتفيه، تسلق خارجاً منها. ثم صنع عصياً ذات رؤوس مسننة قطعها من شجيرات صلبة الاغصان وزرعها في قعر الحفرة. ثم نسج بساطاً خشناً من الاعشاب والاغصان وغطى به فوهة الحفرة. وعندما انتهى من ذلك اختبأ خلف شجرة والعرق ينضح منه.

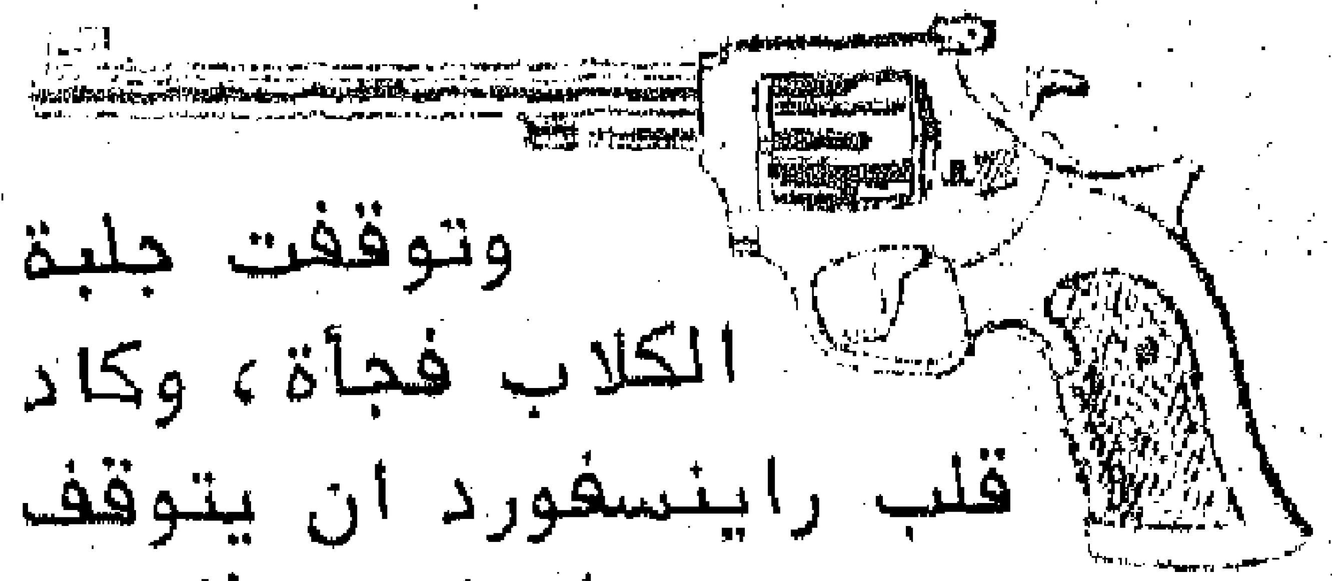
وسمع راينسفورد وقع اقدام على التربة الناعمة، فعلم ان مطارده عاد يقتفي آثاره. ثم جاءه صوت تكسير اغصان وصياح الم عال. فنظر ليرى رجلا ممسكاً بفانوس يقف على بعد متر من الحفرة.

وصرخ الجنرال: "ان فخ النمر الذي بنيته على طريقة شعب بورما، يا سيد راينسفورد، اهلك واحداً من افضل كلابي. سنرى مهارتك في وجه فريق الكلاب بأسره. انت انتصرت مرة اخرى. وأنا اشكرك على هذه الامسية الممتعة".

وفي صباح اليوم التالي افاق راينسفورد، الراقد قرب المستنقع، على صوت خافت متهدج آت من

البعيد، انه نباح الكلاب. فوقف لحظة يفكر، ثم طرأت له حيلة تعلمها في اوغندا.

انطلق راينسفورد مبتعداً عن المستنقع. وسرعان ما عثر على شجيرة لينة ربط بها سكين الصيد موجهاً نصلها نحو الارض. وحنى الشجيرة الى الخلف وربطها بشجرة عنب بري، ثم ركض يطلب النجاة. وعندما اشتمت كلاب الصيد رائحة القدمين اللتين وطئتا الارض منذ لحظات ازداد نباحها. وكان راينسفورد يعلم كيف يستفرس الحيوان ساعة الخطر.



وتوقفت جلبة الكلاب فجأة، وكاد قلب راينسفورد ان يتوقف معها. ان مطارديه وصلوا حتماً الى السكين.

تسلق راينسفورد شجرة بحماسة. واخذ ينظر الى الوراء. لقد توقف مطاردوه. لكن امله في النجاة اضمحل عندما رأى الجنرال زاروف واقفاً والمسدس في يده. ان السكين التي نشبت مع الشجيرة اصابت ايفان الذي كان يقود الكلاب.

ولم يكد راينسفورد ينحدر من الشجرة حتى عادت مجموعة الكلاب تنبح. فقال في نفسه، وهو يندفع لاهثاً: "تشجع يا رجل!" ثم انفتحت امامه، عبر الاشجار، ثغرة طغى عليها اللون الازرق. لقد بلغ البحر! ورأى حجار البيت الكبير الرمادية على الطرف الاخر لخليج صغير. وعلى عمق خمسة امتار او ستة تحته كان البحر يزمجر. فتردد راينسفورد لحظات ثم قفز الى المياه.

ذلك المساء كان يشغل الجنرال زاروف همان منعاه من الاستمتاع الكامل بعشائه: كان يصعب عليه ان يجد بديلا من مساعده ايفان، كما ان طريدته افلتت منه. ان ذلك الامريكي الانتحاري لم يلعب اللعبة كما ينبغي. وللتخفيف من شعوره بالخيبة، جلس الجنرال يقرأ في مكتبته. وفي العاشرة دخل غرفةنومه وقد نهكه التعب.

وقبل ان يشعل زاروف الانوار، توجه الى النافذة ونظر الى الساحة فرأى كلابه الضخمة في ضوء القمر، فصرخ: "سيكون حظنا افضل في المرة المقبلة". ثم اشعل النور. فاذا برجل كان مختبئاً خلف ستائر السرير يقف امامه. فصرخ الجنرال مذهولا: "راينسفورد! قل لي بربك كيف وصلت الى هنا". "سباحة. فتلك وسيلة اسرع من المشي في الغابة". فتنفس الجنرال وابتسم: "اهنئك لانك ربحت اللعبة".

لكن راينسفورد لم يبتسم. وقال بصوت اجش: "أما أنا، فما زلت حيواناً مستفرساً يدافع عن نفسه. فاستعد الان يا زاروف!".

فانحنى الجنرال انحناءة كبيرة وقال: "فهمت. هذا عظيم.

"ينبغي ان يكون احدنا طعاماً للكلاب. وسينام الآخر في هذا السرير الفخم.

"كلي استعداد يا راينسفورد...".

تلك الليلة ادرك راينسفورد انه لم ينم من قبل في سرير مريح كهذا.

■ ريتشارد كونيل

كيمياء الحب

في أكثر من مؤسسة علمية.
يعمل البحاثة بلا كلل
لكشف أسرار الحب... الكيميائية!
وهذه بعض النتائج التي قد تدهشك

قبل ثلاثين عاما ونيف التقيت على شاطىء البحر الفتاة التي أصبحت زوجتي. ومنذ ذلك الوقت حدثت امور غريبة. فالمناظر والأصوات المألوفة، كحقول الهندباء البرية والموسيقى التي رقصنا عليها في موعدنا الأول، ملأتني فجأة – ولسبب أجهله – بالحياة. وشعرت بقوة غير محدودة. وباتت الأيام تمر سراعاً حتى لم أعد أتبين ما يفصل أحدها عن الآخر. وقال صديق يفوقني تفتحاً على الشؤون الدنيوية: "انه ذلك السحر الأسود القديم عينه! انك عاشق".

لكن ذلك لم يعن أن سنة حبنا الاولى كانت كلها مفعمة بالنشوة. فحين انقطعت فتاتي عني بعد اشهر قليلة من تعارفنا انتابتني كآبة عميقة فقدت معها طاقتي ومعنوياتي ورغبتي في فعل أي امر، اللهم سوى قتل الوقت سيراً في أرجاء المنزل. إلا أن المكالمات الهاتفية الملحاحة آتت ثمارها. وحين استأنفنا ضرب المواعيد عاد قلبي يخفق من جديد... انها "الكيمياء" ما زالت حية.

على أني لم اسائل نفسي قط عن سبب تلك المشاعر المتناقضة ولا عن سبب حلول الالفة بعد ذلك. ان الشعراء لم ينفكوا عن الكتابة في الحب، لكن أحداً منهم لم يفسر حقيقته حتى الآن.

وفي السنوات الأخيرة أخذ الباحثون يجيلون النظر في الحب من زاويته المرضية. وأشارت نتائجهم الى أن ما يعده معظمنا قوة غامضة أثيرية (غير مادية) هو ظاهرة تحددها عناصر نفسية وجسدية معينة. واذا أدركنا هذه العناصر، أمكننا إنشاء علاقات حب أفضل والنهوض من سقطاتنا على نحو أسرع.

ويقول جون ماني، استاذ علم

النفس الطبي في جامعة جونز هوبكنز في بلتيمور (ولاية ماريلاند الاميركية): "تشبه تجربة الحب ما يسميه علماء الاجتماع "الصورة الجاهزة". فهناك، لدى كل شخص، مقاييس تعكس حياته العائلية وماضيه وأحياناً تراثه القومي أو العرقي. وحين يصادف أحداً ينسجم مع صورته عن الزوج أو الزوجة، فهناك احتمال كبير في نشوء الحب".

هذا يعني أنه، عندما اخترت الفتاة التي أصبحت زوجتي من بين عشرات الناس الذين كانوا على ذلك الشاطىء آنذاك، لم يكن اختياري عرضياً. فبالنسبة الى علماء الحب، كنت "في حال استعداد"، جسدياً ونفسياً، لاقامة علاقة حب. ولم يكن لأي من الحسان الاخريات المتمددات على رمل الشاطىء يومذاك الأشكال والأبعاد المصممة لتلائم برنامجي الذهني.

ويقول ماني: "الوقوع في الحب هو التجربة التي تقود الى انشاء علاقة ثنائية". وعلى رغم ان هذا كان أبعد ما يكون عن أهدافي الواعية، إلا أن جاذباً لا يقاوم شدني الى زوجتي المقبلة. غير أنها هي لم تكن متيمة بي أول الأمر. ولم اوافق صورتها الذهنية الجاهزة الا بعد أشهر من المواعيد واللقاءات وتناول الطعام معاً. وكما يقول ماني: "الوقوع في الحب يمكن ان يكون فورياً وعنيفاً، أي ما نسميه حباً من النظرة الاولى، كما يمكن أن يكون بطيئاً ومرحلياً".

وتقول دوروثي تينوف، استاذة علم النفس في جامعة بريدجبورت (ولاية كونتيكت)، ان الرابطة الثنائية، تمييزاً لها من الحب العادي أو الجنس العابر، هي حال تمتلك على المرء أمره الى حد أنها تكسف جميع العلاقات الاخرى.

لماذا، اذاً، نرى علاقات كثيرة من هذا القبيل تتضاءل حتى الانعدام أو تنتهي، في حال الزواج، الى محاكم الطلاق؟

الصورة المثالية ـ أحد الأسباب، في رأي ماني، أننا لا نقع في حب الآخر كما هو، بل نعشق صورة مثالية ذاتية لا يراها سوانا في الآخر معظم الأحيان. من هنا ان "الحب أعمى". ويضيف ماني: "ان العلاقة الثنائية القائمة على الحب الأعمى، لدى اصطدامها بالخيبة المحتومة، تضعف وتفضي الى خلافات، وربما تحولت كرهاً أو عنفاً".

ومن خلال دراسته عدداً كبيراً من علاقات الحب المستمرة، توصل ماني الى أن الحظ الأوفر لنجاح علاقة ثنائية يأتي حين يكون أحد الطرفين مجسّداً للصورة الذهنية لدى الآخر، "بغض النظر عما اذا كان الواحد شبيه الآخر أو نقيضه في الطباع والاهتمامات والانجازات. وسوى ذلك، المهم أن يكون الواحد تجسيداً لصورة الآخر".

ويتفق ماني وتينوف على أن الحب الرومنطيقي يبقى غالباً في أوجه سنتين أو ثلاثاً. ويذهب ماني الى القول ان هذه الظاهرة "قد تكون حكمة الطبيعة لانجاب الأولاد". كما يتفق الاثنان على أن زوال صفة "الجموح" عن الحب يفسح في المجال لاضفاء الهدوء والبهجة على العلاقة.

ويقول ماني: "المهم، على مر الزمن، هو القدرة على تكييف تصوراتك وتوقعاتك مع الظروف المتغيرة. واذا تمكن الواحد من الاستجابة لتوقعات الآخر في المدى الطويل، فهما يحافظان على الحب. أما اذا عجزا عن ذلك، فان كلا منهما ينمو مستقلا".

لكن هذا كله قد لا يعدو كونه نظرياً في ضوء الدراسات البيوكيميائية الراهنة. فهناك العلماء التابعون لمعهد الدراسات النفسية في مركز كولومبيا الطبي للطائفة المشيخية (احدى الطوائف البروتستانتية) في نيويورك، وهم يحللون الآن مادة كيميائية تشبه الامفيتامين (علاج مهدىء للاعصاب ومخفف للشهية) تسمى "فينيليثيلامين"، يستخرجونها من بول أشخاص تعودوا الوقوع القوي والفاجع في الحب. ويقول أحد هؤلاء البحاثة، ديفيد شفارتز: "تقوم نظريتنا على أن دماغ الشخص المتيم بغرام جارف يفرز المادة المذكورة بكميات أكبر مما يفرزه الشخص العادي". وهذا يفسر الطيش وفقد الشهية والشعور بالنشاط والخفة وامكان السهر الطويل، هذه الامور التي نراها في عشاق كثيرين كما في الأشخاص الذين يعالَجون بالأمفيتادين.

مرضى الحب – وربما كان دور الكيمياء أكثر وضوحاً لدى العشاق الذين رفضهم المحبوب. وقد عرف معظمنا خبرة من هذا القبيل هي خبرته الشخصية أو خبرة أحد معارفه، حيث يكون الشخص بالغ الحزن، كسولا، لا تمكن تعزيته، سريع البكاء، وأحياناً يستعيض من خسارته بالاكثار من الأكل. ان أشخاصاً من هذا القبيل هم حقاً "مرضى الحب"، وأعراضهم تشبه كثيراً أعراض الذين يعالَجون بالامفيتامين.

ولكن هل هناك أساس كيميائي لهذا المرض، مرض الحب؟

في رأي الدكتورين مايكل ليبوفيتز ودونالد كلاين من معهد ولاية نيويورك للطب النفسي ان هذا ممكن جداً. فكثيرون من المرضى الذين يقصدون تلك العيادة وهم في حال ذهنية مضطربة يكشفون عن مشكلات عاطفية متعلقة بتجارب الحب. ويظن الطبيبان النفسيان المذكوران ان بعض اولئك الأشخاص ربما ورث أو اكتسب طرقاً سلوكية غير مستقرة تجعل مستويات الامفيتامين وما شابهه من مواد في الدماغ تتقلب من حال الى حال على نحو غير طبيعي.

وقد صرّح عدد من مرضى هذين الطبيبين أنهم يفرطون في أكل الشوكولاتة وهم في تلك الحال. ويقول الدكتور ليبوفيتز "ان الشوكولاتة مشبعة بمادة الفينيليثيلامين". ولئن يكن هو وزميله يحذّران من الاستنتاجات السريعة، الا ان أكل الشوكولاتة قد يكون محاولة غير واعية للتعويض من مادة كيميائية لم يعد الدماغ ينتجها بكميات وافية.

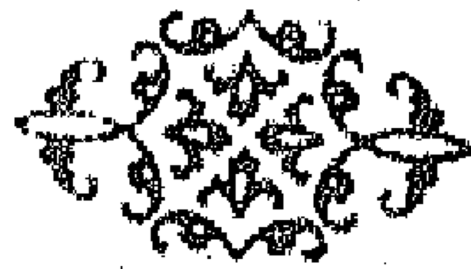
وعلى رغم جميع البحوث الجارية حول عناصر الحب النفسية والجسدية، إلا ان حقيقة تلك التجربة تبقى غير معروفة إلا قليلا. ويقول العالم النفسي نثانييل براندن: "ان الحب الرومنطيقي يجب ان يعرَّف على انه

علاقة عاطفية ـ روحية ـ انفعالية ـ جنسية تحمل مقداراً كبيراً من التقدير الذي يكنه الواحد للآخر". وأحياناً تكون هذه العلاقة ممكنة لأن طرفيها "وُجد أحدهما للآخر". ولكن في أحيان اخرى تمكن اقامة علاقة باقية وان يكن الواحد لا يوافق الصورة الجاهزة لدى الآخر، وذلك بالعمل على اقامة هذه العلاقة.

قبل وقت غير بعيد حضرتُ اليوبيل الذهبي (الذكرى الخمسينية) لزواج والدي أحد أصدقائي، وطرحتُ عليهما السؤال الآتي: "ما الانطباع الأول الذي كوّنه كل منكما عن الآخر؟"

وبعد فترة صمت نظر اليّ الرجل وقال: "لا شيء... كل ما حصل هو ان زواجنا تم عن طريق مكتب مختص حين قرر الوسيط ان الواحد منا وجد ليلائم الآخر. وأظنّ أنه كان على صواب".

■ ستانلي انغلبارت



سر الزواج السعيد

في يوبيل زواجهما الذهبي، سُئلت الزوجة عن العامل الرئيسي الذي تعتقد انه ادى الى نجاح زواجهما طوال هذه المدة، فقالت:

"في مرحلة باكرة من زواجنا، تعلم كل منا ان ينظر داخل الآخر، ولا يزال حتى الان يحب المنظر".

س.ن.

لو لم اعد...

من قسم الاعلانات المبوبة في احدى الصحف:

"شكراً لك يا زوجتي على ١٨ سنة من النعيم الزوجي. انت اجمل وأعز امرأة في العالم، وانا احبك اليوم اكثر من أي وقت مضى. ولو لم أعد اصدقائي بأني سألعب البوكر معهم هذه الليلة، لكنت حتماً الى جانبك في ذكرى أهم يوم في حياتنا. مع حبي".

ا.ف.

فارس النجوم البعيدة

قالت امرأة متزوجة حديثاً لصديقتها: "لقد وعدني بالشمس والقمر والنجوم، لكنه تخاذل حين ذكرت غسالة الصحون الكهربائية".

صحيفة "سمايلز"



الضحك خير دواء

برمائي في كاراج

ذات يوم ممطر جاء زبون الى المرآب الذي أعمل فيه وطلب مشورتي حول عطل اصاب سيارته الجديدة، اذ كان الماء يرشح عبر زجاج النافذة بحيث تشبعت ارض السيارة بالرطوبة.
وبينما كنت استمع اليه وهو يروي قصته دخل احد اصدقائي، وهو غطاس ماهر يقود سيارة من الطراز نفسه ويرتدي بزة الغطس، فصرخ الزبون القلق: "يا الهي، هل وصل الامر بسيارتك الى هذا الحد؟"

ج.د.د.

اخلاق تجارية

قال رجل لصديقه: "ان المبادىء الخلقية ضرورية لكل رجل اعمال ناجح. واليك مثلا: جاءني اليوم عميل قديم وسدد حسابه بورقة مالية من فئة المئة دولار. ولدى انصرافه اكتشفت انه سلمني خطأ ورقتين ماليتين ملتصقتين، كل منهما من فئة المئة دولار، فيكون بذلك دفع لي مئتين بدلا من مئة. وعلى الفور ثار موضوع المبادىء الخلقية: هل يجب ان اصارح شريكي؟"

مجلة "الاسد"

ثلاثة رجال

مرض اخي ولازم الفراش فترة طويلة وخلال تلك الفترة اطلق لحيته وشاربه حتى غمرا وجهه. وبعدما شفي، قضى وزوجته فترة النقاهة في فندق ريفي. وقرر ان يحلق وجهه من جديد. فحلق لحيته اولا، ثم شاربه الكث في اليوم التالي.
وفيما كانا يغادران صالة الطعام ذات صباح، سمعت زوجته سيدة مسنة تخاطب اخرى: "لا ادري من تكون المرأة. لكن هذا هو الرجل الثالث الذي تتناول معه الطعام هذا الاسبوع".

د.ج.

التدخين هو اليوم سبب الموت الاول في العالم، ولا يزال يهدد بـ"ابتكار" انواع جديدة من الامراض القاتلة

متى يتوقف تصدير الموت الى العالم الثالث؟

هبطت شعبية التدخين في الولايات المتحدة وبقية البلدان المتقدمة، فاضحى آفة تكاد لا تطاق وعرضة لحملات الشجب بعد ان كان عادة مقبولة. فمنذ خمس وعشرين سنة كان اكثر من ٥٠ في المئة من الامريكيين البالغين يدخنون، الا ان هذه النسبة تدنت اليوم الى ٣٢ في المئة.

ومع هذا، فان استهلاك العالم من السجائر ازداد في العام الماضي ١٩٧٩ عنه في اي وقت مضى، اذ بيع نحو اربعة آلاف مليار سيجارة في العالم بقيمة تراوح بين ٨٥ و١٠٠ مليار دولار.

ترى ما الذي حدث؟

بدأت القصة منذ ١٥ سنة، عندما ادى الخوف من اضرار التدخين الى تدني عدد المدخنين في الغرب: فاذا بشركات التبغ العالمية - وهي سبع: اربع في الولايات المتحدة واثنتان في انكلترا وواحدة في جنوب افريقيا - تواجه ازمة تقلص في سوقها وارتفاع شديد في تكاليف انتاجها. فصوبت جهودها نحو هدف جديد هو اسواق العالم الثالث حيث يعيش اكثر من ثلثي سكان الكرة الارضية.

وأعلنت كلية الاطباء الملكية في بريطانيا ان التدخين "سبب مهم للموت في ايامنا كما كانت الاوبئة السارية كالتيفوئيد والكوليرا والسل في الماضي". كما وصفت دائرة الصحة العامة في الولايات المتحدة التدخين بأنه "سبب الموت الاوسع شيوعاً بين الاسباب الممكن تفاديها في امريكا". اما الصحيفة الطبية

"بريتش مديكال جورنال" فكتبت تحذر من الهجوم الصاعق الذي تشنه شركات التبغ الكبرى على العالم الثالث: "ان هناك خطراً حقيقياً من تصدير هذه العادة الفتاكة الى البلدان الفتية في افريقيا وآسيا. والعالم الغربي مسؤول عن درء هذا الخطر".

بيد ان حكومة الولايات المتحدة ترفض تحمل هذه المسؤولية، بل انها ساهمت في تصدير وباء التدخين الى العالم الثالث عن طريق الدعم المالي.

ودعمت وزارة الزراعة الامريكية اسعار التبغ بمبلغ يناهز الخمسة مليارات دولار في شكل قروض قدمتها "مؤسسة اعتمادات السلع" التابعة لها. وتستدين وزارة الزراعة، بدورها، هذه المبالغ من وزارة المال. وكانت وزارة الزراعة، حتى اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ دفعت لوزارة المال فائدة بلغت ٥٥٠ مليون دولار على قروض التبغ، في حين انها لم تحصل الا على ١٧ مليون دولار كفائدة من مزارعي التبغ، مما يعني خسارة فعلية لدافعي الضرائب الامريكيين مقدارها ٥٣٣ مليون دولار. واضافة الى ذلك فان الخسائر الناجمةعن القروض نفسها بلغت ٥٥،٢ مليون دولار.

وتدعم وزارة الزراعة الامريكية زراعة التبغ عن طريق خدمات باهظة التكاليف، منها فحص المحصول واعداد نشرات عن اوضاع التسويق. هذه الخدمات، اضافة الى القروض، كلفت المواطنين الامريكيين ٥٤ مليون دولار عام ١٩٧٨. ومن ناحية اخرى فان الحكومة الامريكية، ضمن برنامجها الخاص بدعم الاسعار، توظف ٧٥٠مليون دولار عبر "مؤسسة اعتمادات السلع" في شكل قروض لدعم محاصيل التبغ. وقال المحلل الفني كنيث فريدمان في هذا المجال: "ان الحكومة تجعل نفسها، بذلك، شريكاً في دعم التدخين". وبكلام آخر فان كل امريكي يساهم من حيث لا يدري في اعمال شركات التبغ.

وبلغ من اهتمام الحكومة الامريكية بالتدخين انها ضمت التبغ الى قائمة المحاصيل التي يشملها القانون الرقم ٤٨٠ الذي يهدف الى توسيع اسواق المنتجات الزراعية الامريكية وراء البحار، وذلك ضمن برنامج "الغذاء من اجل السلام". وبموجب هذا القانون وحده صدرت الولايات المتحدة في العام ١٩٧٩ ما قيمته ٢٧،٧ ملايين دولار من التبغ الخام غير المصنع. وما هذا الا جزء صغير من صادرات التبغ الامريكية، اذ صدرت الولايات المتحدة كمية اضافيةمن التبغ الامريكي قيمتها ٢،١٢ مليار دولار، منها ٧٧،٦ مليار سيجارة.

مقياسان للصحة - تحار معظم الحكومات في موقفها من التبغ والتدخين نظراً الى المبالغ الطائلة المستثمرة في هذا الحقل. وجدير بالذكر ان صناعة التبغ الامريكية المحلية تحتل المرتبة الثانية في العالم بعد الصين. وحققت هذه الصناعة ربحاً اجمالياً مقداره ١٨ مليار دولار عام ١٩٧٨، دفعت منه ما يتجاوز الستة مليارات دولار ضرائب فلا عجب، اذاً، ان دوائر الدولة المعنية بالمحاصيل الزراعية والميزان التجاري والضرائب تشجع زراعة التبغ وتصنيعه، في حين حصلت وزارة

الصحة والتربية والشؤون الاجتماعية عام ١٩٧٩ على مبلغ زهيد مقداره ٢٩،٤ مليون دولار لمكافحة التدخين محلياً.

وتنعكس حيرة الحكومة الامريكية في اعتمادها مقياسين مختلفين للصحة، فعلى كل علبة سجائر امريكية تباع في الولايات المتحدة وللقوات المسلحة الامريكية في الخارج، تنبيه للشاري: "حذار! يؤكد الطبيب العام ان التدخين يشكل خطراً على صحتك". غير ان اصناف السجائر الامريكية المبيعة في السوق العالمية لا تحمل اي انذار.

وعلاوة على ذلك، فان السجائر المصنوعة خارج الولايات المتحدة، او بترخيص من الشركات الامريكية، هي غالباً اكثر ايذاء وفتكاً من مثيلاتها المصنوعة داخل الولايات المتحدة. واثبت اختبار اجري اخيراً ان متوسط نسبة القار (القطران) في سجائر "مارلبورو" و"كنت" و"كول" و"تشسترفيلد" هو ١٧،٥ مليغراماً في السجائر الامريكية المحلية و٣١،٧٥ مليغراماً في الاصناف نفسها المنتجة في الفيليبين.

وبدأت النتائج بالظهور على الصعيد الدولي. فعلى رغم انه لا يمكن تحديد المشاكل الصحية الرئيسة الناجمة عن التدخين في بلد ما الا بعد مرور ٢٠ سنة على نشوء جماعة كبيرة من المدخنين افادت منظمة الصحة العالمية عام ١٩٧٩ "ان انتشار الامراض المتصلة بالتدخين في بعض البلدان النامية بلغت حجماً يضاهي الامراض المعدية وسوء التغذية كاحدى مشاكل الصحة العامة".

والواقع ان امراض القلب والاوعية الدموية وسرطان الرئةكانت نادرة في البلدان النامية، الا انها تفشت الآن. مثال ذلك ان سرطان الرئة اصبح،عام ١٩٧٤، السبب الرئيسي لوفاة الذكور في البرازيل التي تعتبر امة مفرطة في التدخين (حيث يستهلك نحو ٢٥ مليون مدخن ١٣٥ مليار سيجارة سنوياً). كما ازداد معدل الوفيات الناجمة عن امراض القلب والاوعية الدموية بنسبة ٥ في المئة بين البرازيليين منذ ١٩٧٠. وفي امريكا اللاتينية عموماً ازداد عدد المدخنين بنسبة ٢٤ في المئة، بينما ازدادت النوبات القلبية، وغيرها من الامراض المتصلة بالتدخين، بالنسبة ذاتها.

ويقول الدكتور اميل فينين الهولندي، وهو استاذ سابق للصحة العامة في جامعة دار السلام في تنزانيا: "العالم الثالث هو في طور التحول الى مختبر هائل يثبت، مرة أخرى، ان التدخين قاتل".

المترفون الحفاة ـ تمكنت شركات التبغ العالمية،المعروفة بـ"الشركات السبع الكبرى"، من ان تخلق لنفسها مناطق نفوذ حول العالم. فشركة التبغ البريطانية ـ الامريكية المحدودة، وهي اكبر منتج للسجائر في العالم، تبيع ٣٠٠ صنف من السجائر في ١٨٠ بلداً عن طريق اكثر من ٥٠ مؤسسة فرعية. كما ان شركة "فيليب موريس انترناشونال" تطرح في السوق ما يزيد على ١٧٥ صنفاً من اللفائف عبر ٤٠ مؤسسة متفرعة عنها او تعمل بترخيص منها في نحو ١٦٠ قطراً. وتبيع "شركة رينولدز للتبغ" ٦٥ صنفاً في ١٤٠ بلداً، وتصنع

السجائر في فروع لها او مؤسسات تعمل بترخيص منها في نحو ٢٠ من هذه البلدان.

ونرى في بعض البلدان النامية ان توزيع السجائر اوسع انتشاراً من توزيع اي سلعة اخرى. حتى سيارة لاندروفر لا يمكنها ان تصل الى بعض اكشاك التبغ الـ٣٣ الفاً الصغيرة التي تتزود بالسجائر من الشركة البريطانية - الامريكية للتبغ في كينيا. فكثير من هذه الاكشاك لا يمكن بلوغها الا على دراجة او حمار او جمل. وتروج اصناف السجائر عبر حملات اعلانية قوية ومتنوعة، من يافطات واعلانات في الراديو والتلفزيون وافلام متجولة يتاح للجمهورمشاهدتها مجاناً. وفي ماليزيا تجد ان ما يقارب نصف الاعلانات، في كافة وسائل الاعلام، مخصص للسجائر.

وأظهرت دراسة اجرتها عام ١٩٧٤مجلة "وورلد توباكو" التي تتمتع باحترام بالغ في عالم التبغ، ان لدى ٩٥ في المئة من البلدان المتطورة قوانين لكبح تسويق السجائر (بما فيها انذارات تحذر من خطر التدخين على الصحة)، في حين لم تتوافر اي انظمة مماثلة الا لدى ٢٤ في المئة من بلدان العالم الثالث. فالاعلانات في تلك البلدان مطلقة الحرية. وثمة اعلانات تربط، عن طريق التورية، بين الذكاء والصفاء الذهني من جهة وبعض اصناف السجائر من جهة اخرى.كما ان صنفاً يحمل اسم "الخريج" يعتمد اعلانات تظهر طالباً يدخن. ومن الواضح ان سيجارة "دبلومات" لا يدخنها غير الطامحين.

وتقول لافتة اعلانية ترتفع في كثير من البلدان الافريقية ان سيجارة "بلايرز غولد ليف" مخصصة للاشخاص البارزين.ومع هذا فان "الاشخاص البارزين" هؤلاء غالباً ما يكونون حفاة وغير قادرين على شراء علبة سجائر كاملة، فيعمدون الى شراء كل سيجارة بمفردها لقاء عشرة سنتات للواحدة. وهذا اسلوب شائع للتسويق في العالم النامي.

وتوصلت شركات التبغ العالمية الى اقناع الحكومات المحلية، التي هي في امس الحاجةالى العملة الاجنبية والعاملةبموازنات هزيلة، بأن اقبالها على زراعة التبغ سوف يؤمن لمزارعيها محصولا جديداً ذا دخل سريع، ويعزز ايراداتها عبر الضرائب المفروضة على التبغ، ويزودها بالعملة الصعبة عن طريق تصدير التبغ.

تدفع الاغراءات المادية حكومات البلدان النامية الى تقديم الدعم المالي لمزارعيها بغية تحضير الاراضي لزراعة التبغ (اربعة آلاف دولار لمزرعة مساحتها هكتار واحد في زامبيا)، والى تسليفهم المال لشراء بذور التبغ والاسمدة والمبيدات. وكثيراً ما تكون المساعدات الاجنبية هي مصدر التمويل. ففي تنزانيا، على سبيل المثال، اقدم البنك الدولي - المدعوم مالياً من حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا - على تقديم قرض بقيمة ١٧ مليون دولار لمشروعين يهدفان الى تشجيع زراعة التبغ وانتاجه.

ويتلقى المزارعون المال من شركات التبغ او من مؤسسة حكومية لقاء محصولهم. الا ان شركات التبغ

هذه المتفرعة عن شركات عالمية، هي غالباً المصدر الوحيد لتأمين المعدات والخدمات الضرورية للمزارعين. وبما ان سبل التسويق خاضعة لاحتكار مماثل، فان الشركات وحدها تقرر دخل المزارع. المزارعين على بيع محصولهم الى "مؤسسة التنمية الزراعية والتسويق الزراعي" الحكومية لقاء سعر زهيد.

وكثيراً ما تكون العملة الاجنبية خادعة فان جزءاً كبيراً من الربح يضيع في دفع رسوم الترخيص لشركات التبغ العالمية وفي دفع ثمن ورق السجائر ومواد التعبئة والآلات المستوردة. وادى هذا، في زامبيا، الى هبوط ميزان التبغ التجاري الى ما يقارب الصفر.

سيف ذو حدين - لانتاج التبغ محاذير عدة اخرى. فمن المعروف ان التبغ يتطلب الكثير من الايدي العاملة في اوج المواسم الزراعية، في وقت تحتاج المحاصيل الاخرى الى الحراثة او الزراعة. وبهذه الطريقة يسلب التبغ البلدان الجائعة ايديها العاملة واراضيها الصالحة للزراعة التي يمكن ان تنتج الاغذية.

ولانتاج تبغ فرجينيا الاشقر ذي الشعبية الواسعة، لا بد لمزارعي العالم الثالث من معالجة اوراق التبغ المخزونة في مستودعات يتم تسخينها بحرق الحطب الذي هو المصدر الاساسي المحلي للطاقة. وتقتضي هذه العملية حرق هكتار كامل من الاشجار لمعالجة محصول هكتار واحد من التبغ، الامر الذي يستنزف الاراضي الحرجية.

وفضلا عن ذلك، فان مجلة منظمة الصحة العالمية "وورلد هيلث" تحذر: "بما ان كثيراً من مناطق زراعة التبغ في العالم الثالث تقع على حدود الاراضي الجافة، فهي اكثر تعرضاً لزحف الصحارى" وتلك مشكلة يزيدها سوءاً الاستهلاك الاعتباطي للحطب. وهذا ما يحصل فعلا في مالاوي وشرق كينيا.

وهكذا فان الدخل المالي السريع للتبغ لا يؤثر في الصحة فحسب، بل يترك اثاره الضارة على البيئة ايضاً. ولن يكون مستغلو التبغ من يدفع ثمن هذه الخسائر، وانما سكان العالم الثالث هم الخاسرون.

فما الذي ينبغي على الامريكيين ان يفعلوه لوقف انتشار التدخين في العالم الثالث؟ لا يسعهم ان يمنعوا حكومات البلدان الفقيرة، التي تواجه مشاكل مالية، من رهن مستقبلها بأموال تحصل عليها اليوم. كما لا يسعهم ان يمنعوا شركات التبغ العالمية من جني الارباح في بيع سلع يبيح القانون الاتجار بها.

غير انه في امكان الامريكيين الالحاح على حكومتهم للاقلاع عن تقديم التبغ ضمن برنامج المساعدات الخارجية، ومطالبة سياسييهم بمساعدة المزارعين على هجر زراعة التبغ من غير ان يواجهوا ازمة اقتصادية، وان يوضحوا لقادتهم ان دافعي الضرائب الامريكيين يرفضون اشراكهم عنوة في عملية دولية ترمي الى مقايضة صحة الشعوب بالمال.

■ والتر روس

رئيس تحرير مجلة "التدخين والصحة في العالم" الصادرة عن الجمعية الامريكية للسرطان.

العمر الضائع

المتعة موجودة، ولكن علينا ان نبحث عنها في المكان الصحيح

المتعة جوهرة نادرة يصعب الحصول عليها.

لكن الانسان، في يوم ما كون الفكرة القائلة ان المتعة امر جاهز، ما عليه الا ان يسأل عنه، وان الناس يستحقون المتعة، وانه ما لم نحصل على قليل منها يومياً لغدونا - اللهم ابعد الشر عنا - اناساً متزمتين.

واصبح السؤال الذي نحكم به على جميع امورنا: "هل كان ذلك ممتعاً؟" وهذا طغى على كل سؤال آخر من الاسئلة الملائمة، مثل: "هل كان ذلك خلقياً؟" "هل كان لطيفاً؟"، "هل كان نافعاً؟"، "هل انتفت منه الانانية؟"، (وهو سؤالي المفضل).

ولكن عندما اصبحت الملذات الهدف الرئيسي، كان طبيعياً ان تتحول المتعة صنماً معبوداً، واذذاك توقع الناس ان يروا المتعة في كل امر. واذا لم يكن هكذا، فوالله لنحولنه الى متعة، والا...

ولنتأمل في الامور التي وصفت بالمتعة: النزهات العائلية، الجنس، التربية، العمل، زيارة الاماكن المقدسة، الحفاظ على اللياقة البدنية.

وصارت المتعة هدفاً عظيماً حتى اخذ كل شخص يسعى الى اكثر الوسائل اثارة للحصول عليها. ومن هذه الوسائل ركوب الاخطار وارتكاب المحرمات، كالاسراف في تعاطي الكحول والمخدرات، من اجل الحصول على قليل من المتعة.

وفعلت الاعلانات التلفزيونية فعلها في اشاعة كثير من المتعة وفي تأمين جمهور كبير من عشاق المتعة. وكانت تصرفات ابطال الاعلان كلها من قبيل التمتع: تجرع المشروبات، شراء سندات التأمين، مسح الارض، تناول الاسبيرين، وكلما زاد عدد الاعلانات التي نشاهدها كنا نتساءل عن موعد بدء المتعة في حياتنا نحن.

حتى المناسبات الكبرى، الاعياد الدينية والقومية، أدرجت في باب المتعة. فصور شهر العسل كنموذج مصغر عن المتعة. وهكذا بات احتفالنا بكل من المناسبات الكبرى تمهيداً للمتعة.

من اسرار الحياة - بينما كنت مرة جالسة أنتظر المتعة، ادركت ان معظم الامور ليست كما تصورت، وأن علي نقل هذه الحقيقة الى الآخرين علهم يتوقفون عن التشكيك في قدرتهم على التمتع.

أني لا أبغي تثبيط عزيمتكم. وجل ما أعنيه أن علينا مواجهة المتعة ببعض التبجيل. فهي سر من أسرار حياتنا، ولا يمكن أن تنتقل كالعدوى أو ينصب لها مكمن كالحيوان ولكن عندما تدخل مرحة الى حياتك، فأنت غالباً لن تكون متوقعاً مجيئها. ولا استبعد ان تأتيك المتعة وانت تؤدي واجباتك. وهي قد تأتي في اي يوم.

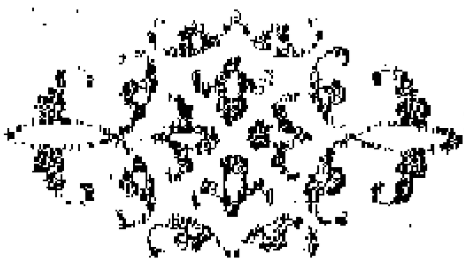
وأذكر يوماً من الماضي البعيد هو من أمتع أيام حياتي. كان يوم سبت، وقد خرجت وصديقتي صباحاً الى حانوت القرية لشراء بعض الحلوى. وكنا في الثانية عشرة، سن المرح. واشترت كل منا قطعة حلوى وقفلنا عائدتين الى البيت. وكنت سأقضي الليلة عندها، وأمامنا نهار مليء بالمتعة نترقبه، ولدينا كثير من الحلوى.

وكانت تفصلنا عن بيت صديقتي مسافة طويلة. وكلما أحسسنا بالتعب، كانت صديقتي تضع يدها فوق عينيها، وتنعم النظر الى الافق كما يفعل بحار، ثم تقول: "ينبغي أن نبلغ البيت مع حلول المساء". وهنا كنا نضحك حتى لا نعود نتحمل الضحك. وبعد انتهاء نوبة الضحك كانت صديقتي تكرر جملتها.

آه لو كنتم معنا هناك! ذلك اليوم، وهاتيك الصداقة، وتلك المناسبة - كانت من النوع الذي يجعلني أتأسف لاني أصبحت كبيرة.

كان ذلك ممتعاً حقاً!

■ سوزان بريت جوردان



فائدة مزدوجة

بعدما رفضت مساعدة زوجتي في لصق الورق الملون على جدران منزلنا، راحت تفعل ذلك وحدها.

وفي احد الايام عدت الى المنزل من عملي فوجدتها متكوّمة على الارض، وفوقها السلم التي سقطت عنها والاوراق التي كانت تحاول لصقها. وكان المعجون اللاصق متناثراً عليها، وصحت فيها: "لا تتحركي من هنا". وذهبت فوراً لإحضار آلة التصوير.

واخذت لها صورة وضعت تحتها عنوان "النغم الازرق"، وأرسلتها للاشتراك بها في مباراة للتصوير. وكان ان نالت الجائزة الاولى. فدفعت المكافأة المالية التي حصلت عليها الى شخص محترف كي يقوم بتغطية جدران منزلنا بالورق الملوّن.

ف.ل.ن.



"رائع! يفوق التصوّر"

الحادث الذي وقع لها وهي طفلة
ادى الى بتر قدميها.
لكنها اصرت على الركض مثل سائر الاحداث

كانت شيريل آرلو، الطفلة ذات السنوات الثماني، تتابع برنامجاً تلفزيونياً مع جدتها حين رأت بطلها للمرة الاولى. وفجأة تسمرت عيناها في الشاشة الصغيرة التي ظهر عليها شاب في مقتبل العمر، وسيم، أسود الشعر، يبتسم وهو يركض بخيلاء نحو آلات التصوير. كان اسمه جيري بنسون. وهو جندي سابق في التاسعة والعشرين. وكان يتكلم عن تصميمه على الركض مسافة ٤٢ كيلو متراً في سباق شيكاغو المرتقب، على رغم أن احدى رجليه كانت اصطناعية!

وأدركت شيريل، أكثر من معظم المشاهدين، البطولة التي ينطوي عليها ذلك العمل. فهي أيضاً كانت بتراء على أثر حادث غريب تعرضت له وهي في الثالثة وكاد أن يقضي على حياتها. لكنها عاشت بعد بتر قدميها الاثنتين. ومنذ السن الخامسة ركبت لها رجلان اصطناعيتان ثبتت كل منهما فوق حماة (بطة) الساق. واضيفت اليهما قدمان من مطاط كانتا تحدثان صوتاً مزعجاً كلما مشت.

وكانت رجلا شيريل الجديدتان تسببان أحياناً قروحاً أليمة في ساقيها، لكنها لم تتذمر قط. وعلى العكس، فهي كانت تضحك فيما كانت تمشي بصعوبة، محاولة كل ما في وسعها لمشاركة أصحابها وأقربائها في نشاطاتهم. وعندما

كان الالم يلح عليها، لم تكن تجد أمامها سوى الجلوس.

وها هي الآن تقتعد أرض المطبخ في منزل جدتها، وتحس بالحرارة والثقل والالم في رجليها. وفجأة ترى جيري بنسون على شاشة التلفزيون الموضوع في المطبخ كمن يرى معجزة بأم عينيه. وتهتف: "جدتي! اريد أن أركض مثله".

وهزت الجدة رأسها، والامل لديها يصارع الشك. واتصلت بشركة التلفزيون مستعلمة عن طريقة الوصول الى جيري بنسون. وبعد أربعة أيام، في العشرين من سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨، ذهبت شيريل مع امها وجدتها من ضاحية شيكاغو حيث يقمن الى منزل جيري الذي لا يبعد كثيراً.

"لن تركض أبداً" - كانت الام والجدة مترددتين وخائفتين بادىء الامر. لكن جيري وشيريل لم يضطربا. بل أحب أحدهما الآخر من النظرة الاولى. ولم تتكلم شيريل كثيراً، لكنها لم ترفع نظرها عن بطلها الجديد، وراقبته وهو يمشي، ويرمي الكرة برشاقة الى السلة ثم يركض. وحين سألها اذا كانت تسمح له برؤية رجليها، لم تتردد. ونزعت الام رجليها الاصطناعيتين، ورأى جيري القروح على جدعتيها (ما تبقى من ساقيها). ولمس أحداهما برفق، سائلا شيريل اذا كان ذلك يؤلمها. فأشاحت برأسها ولم تقل شيئاً. الا أن الالم ظهر في عينيها.

واغتاظ جيري مما رأى. فمنذ اللحظة الاولى التي دخلت شيريل منزله، أدرك أنها كانت تعاني الالم والعذاب. وجعلته خطواتها القصيرة المقيدة وحركة جسمها وتقوس ظهرها يواجه من جديد الادعاءات التي أنكرها طوال عشر سنين، منذ قطعت القذيفة رجله وهو في الجيش، والقائلة أن على الابتر أن يتحمل ألمه ويعيش حياة غير فعالة.

وخاطبته شيريل قائلة: "اريد أن أفعل ما يفعله أصدقائي".

ووثب قلبه اليها. لقد صدد الناس مرات لا يهمه عددها: "لا، لن تلعب كرة السلة ثانية". "لا، لن تسبح مرة اخرى". وأسوأها: "لا، لن تركض بعد الآن".



الا أنه لم يصغ الى تلك اللاءات جميعا. وبعد مرور ثمانية أشهر على بتر ساقه، كان جيري بنسون، القوي العزيمة، يعرج في ملعب لكرة السلة والدم يسيل من جدعة رجله في أثر احتكاكها بالجزء الاصطناعي القاسي الذي تم تركيبه في مستشفى عسكري. وقد دفعته تلك العزيمة، خلال السنوات التسع اللاحقة، الى استشارة عدد كبير من الجراحين الاختصاصيين الذين كان يتعلم منهم ويطرح عليهم الاسئلة ويفتش معهم عن حلول أفضل... ذلك كله من أجل أن يستطيع الركض ثانية.



شيريل ارادت، هي الاخرى، أن تركض انطلاق. وبينما كانت واقفة في ساحة منزل جيري الخلفية، تنظر الى الاطفال يلعبون في حقل مجاور، تحسس جيري فيها روحاً ترفض تلك "اللاءات" بها. وفي تلك اللحظة قطع عهداً على نفسه أن يبذل كل ما في امكانه لمساعدة شيريل.

سباق على عكازين

كان على جيري، قبل ذلك، أن يشترك في السباق كما وعد، ليكون قدوة لمن هم في مثل حاله. وحل يوم السباق حاملا معه مشكلات كثيرة: فهو كان يعاني الزكام، ولم تكن في مستوصفات السباق المراهم والقمط الخاصة بالأرجل المبتورة، وأخذت جدعته المنتفخة والمشققة تنز دما. الا أنه لم يستسلم، بل استعان بعكازيه للوصول الى نقطة السباق الاخيرة التي بلغها بعد تسع ساعات و٤٧ دقيقة من بدء السباق. وكان يعصره الارهاق والالم والوحدة، اذ تفرقت الحشود منذ وقت طويل. وشعر بأنه منسي ومهزوم، وهو لم يتلق برقية تهنئة حتى من شيريل وعائلتها.

غير أن ذلك السباق كان ليل جيري الذي يسبق الفجر. وبعد خمسة أيام تلقى مكالمة هاتفية من جان ستوكوزا، مدير معهد تقدم الجراحة الترقيعية (اضافة اعضاء اصطناعية الى الجسم البشري) في مدينة لانسينغ (ولاية ميشيغان)، الذي كان قرأ عن الصعوبات التي يعانيها جيري وتأكد من قدرته على مساعدته. وأخبر جيري أنه أنجز أطرافاً اصطناعية لاناس أمكنهم القيام بأفعال كثيرة، من ريادة الفضاء الى الرياضة البدنية البسيطة، كما انه علم بعضهم التزلج. وأخبره جيري عن شيريل، فأصر ستوكوزا على مساعدتها أيضاً.

وفي اليوم التالي توجه جيري وشيريل الى لانسينغ في طائرة خاصة قدمها وليم بار، وهو أبتر تولى وحده تمويل المعهد بعدما ركب له ستوكوزا رجلا اصطناعية. وفيما كانا يدخلان: جيري متكئاً على عكازين نتيجة للجروح التي سببها السباق وشيريل تمشي بتعثر ووهن، نظرا كما لو كانا ينتظران معجزة.

"رائع!" — لقد وصل جيري وشيريل الى المكان المناسب. وبقي ستوكوزا

يومين يريهما أشياء لم يرياها الا في الخيال، ومنها رسغ (كاحل) اصطناعي متحرك يتيح للأبتر أن ينوع خطواته لئلا يرهقه الاقتصار على استعمال عضلات معينة، وتجويف محشو بمادة السيليكون المطاطة، من شأنه التكيف مع أيّ ورم يصيب الجدعة، وجهاز فريد يمكن الجدعة من تحمل أي ثقل أو ضغط.

وفي اليوم التالي، بينما كانت شيريل تنتظر دورها بصبر، اعتصم جيري مع ستوكوزا الذي راح يأخذ القياسات ويخطط نموذجاً من الجصّ للرجل المبتورة. بعد ذلك حان وقت صنع الرجل مع لوازمها، ثمّ تركيبها في مكانها وفحصها مرة بعد مرة.

ولما اقبل يوم الاحد في ٨ اكتوبر (تشرين الاول)، وقف جيري برجله الجديدة، ونظر الى شيريل ثم الى ستوكوزا. بعد ذلك تقدم خطوة، فخطوة اخرى، من غير أن يصدق ما يحدث. فهو، للمرة الاولى منذ تسع سنوات، يستمتع بالمشي. وراح يخطو جيئة وذهاباً ويقول: "هذا رائع! أنه يفوق التصور!" وابتسم ابتسامة عريضة في وجه شيريل التي أخذت تعانق نفسها باهتياج، ورمق ستوكوزا ببسمة عبرت عن عشر سنين من الشكر، ثم قال "الآن جاء دور شيريل".

أن تكون طبيعياً ـ لم تنقطع مراقبة ستوكوزا للفتاة حتى وهو يعالج جيري. وكان جلياً أنها تعاني مشكلات كبيرة. وبعدما فحصها عن كثب أدرك حقيقة ما تعانيه. لقد كانت شيريل تتعثر طوال الوقت على قدمين أصغر ورجلين أقصر مما يجب أن يكون لها في تلك السن. والأسوأ من هذا أن رجليها الاصطناعيتين أحدثتا ضغطاً قوياً على ندوب الجدعتين الطرية. وانكمش ستوكوزا لدى رؤيته لون العظم الابيض يبان من أحد الجروح العميقة.

وساءل نفسه: "ترى كيف احتملت الفتاة الالم كلّ ذلك الوقت؟" كان من السهل جداً أن تستسلم، أن تجلس في كرسي ذي عجلات، أن تدب، أن تتكل على الآخرين لحملها. فهذه كلها حلول لجأ اليها آخرون في أوضاع أخف من وضعها. الا أنها مشت بطريقتها من دون عون، وبوجه ملؤه الترقب والحماسة. لقد أصرت، كما اكتشف ستوكوزا، على أن تكون طبيعية، ولم تتمكن من تحقيق ذلك الا عن طريق تجاهلها الالم. وقالت له: "اريد أن أركض، أن اقفز فوق الحبل، أن امارس الالعاب، أن أضع في قدمي الخفّين الخاصّين بكرة المضرب!" ولم يبدُ له ذلك من باب طلب المستحيل.

ولكن، قبل كلّ شيء، يجب أن تلتئم قروحها، وهذا يستغرق بعض الوقت. وعادت شيريل الى المنزل خائبة. وبقيت قرابة ستة أسابيع تتجنب استعمال قدميها ما أمكن. ولم تكد تمضي أيام حتى كان جيري يستفسر عنها مؤسياً وكانت كل مرة تسأله: "متى، يا جيري، متى؟" وكل ما أمكنه قوله كان: "لا أدري".

وفي منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) كانت شيريل تنطلق الى لانسينغ في رحلة تستغرق أربع ساعات في السيارة، ومعها جيري وأمها وجدتها. ولم تكف عن الكلام،

مما جعل جيري لا يدري ان كانت في أوج السعادة أو في أوج الخوف.

"انهما لا تؤلمانني" – في اليوم الاول في العيادة، طلب جان تصوير رجلي شيريل وظهرها بالاشعة وأظهرت الصور فداحة الامر: فقد كانت هناك بوادر التواء في العمود الفقاري لان الرجلين الاصطناعيتين لم تصمما على أساس أن احدى الجدعتين أطول من الاخرى بخمسة سنتيمترات. واذا لم تجر لها جراحة ترقيعية صحيحة، فستضطر عاجلا الى استعمال طوق معدني لظهرها.

وبعد ظهر ذلك اليوم أخذت شيريل الى غرفة صب القوالب لتنفيذ المرحلة الحاسمة من عملية تركيب الرجلين الجديدتين. ووضع ستوكوزا كلا من جدعتيها في علبة مثقوبة، مضيفاً عجينة باردة جداً ما لبثت أن تصلبت حول الجدعة لتكوّن القالب الضروري لصنع الرجل.

وكان قالب الرجل اليسرى صحيحاً منذ البداية. أما قالب الرجل الاخرى فلم يكتمل الا بعد المحاولة الثالثة صباح اليوم التالي. واستعمل ستوكوزا القالبين لصنع نسختين من الجص لجدعتي شيريل. وراح يهذب الجدعتين الاصطناعيتين بدقة بالغة قبل أن يباشر بناء الرجلين. وأخيراً أصبح كلّ شيء جاهزاً. وأخذت شيريل وجيري ينظران الى الرجلين الاصطناعيتين في قالبي تقويم.

وفي اليوم الرابع على وجودها في العيادة، نزعت شيريل الرجلين القديمتين لتنساب برجليها الجديدتين اللتين كانتا أخف وأطول، كما كانت قدماها أكبر.

وقال لها ستوكوزا: "انهضي يا شيريل. كيف تشعرين؟"

فأجابت: "انهما لا تؤلمانني".

كان ذلك كل ما قالته. غير أنها، بتلك الكلمات القليلة، اعترفت، للمرة الاولى، بأن الرجلين القديمتين كانتا تؤلمانها. وكان ذلك أفضل حكم تصدره على رجليها الجديدتين.

وبعد لحظات راحت شيريل آرلو تمشي وركبتاها تترنحان جذلا كبحار سكران. وكان ظهرها مستقيماً وجسدها مشرئباً خمسة سنتيمترات فوق ما كان. وقبل ان يتمكن أحد من



جيري بنسون وشيريل ارلو يسابقان بأرجلهما الجديدة.

ايقافها، أخذت شيريل تركض حول المكان. لقد أرادت أن تراها أمها، ان تراها جدتها، أن يراها العالم. نعم، انها تركض! وهي ارادت أن تركض دونما توقف.

لكنّ ستوكوزا، الذي لا يرضيه الا الكمال، لم يكن على قناعة تامة. وقالت شيريل باصرار: "الرجلان عظيمتان حقاً". فأجابها: "هذا صحيح، ولكن ستصبحان أعظم". وأراد أن يعيد الرجلين الى المختبر لاجراء بعض التحسينات. وهذا أخاف شيريل أول الامر، لكنها لم تلبث أن وافقت.

"**شكراً**" – تتذكر شيريل اليوم التالي جيداً. كان يوم الجمعة، ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨. وكانت تلبس رداء أخضر وعلى ثغرها ابتسامة عريضة. وحملت تحت ذراعها علبة أحذية وجلست في المختبر بهدوء بينما كانت التحسينات تجرى على الرجلين الجديدتين. وأخيراً أصبحتا جاهزتين وركبتا في مكانيهما. وقبل أن تقف على الارض، فتحت شيريل العلبة وسحبت منها خفّي كرة المضرب. كان لونهما أزرق زاهياً، مع خطوط خضر ضاربة الى الصفرة، تماماً مثل خفّي جيري. ووضعتهما في رجليها بصبر وعيناها ترقصان فرحاً. وبعد ذلك وقفت، وتقدمت خطوة، ثم اخرى، وبعدها راحت تركض بسرعة كما لو كانت تركض طوال أيامها الماضية.

وللمرة الاولى ذلك الاسبوع، ظهرت ابتسامة على وجه ستوكوزا الصارم. وراح جيري، الذي تلاشت ذكريات سباقه الفاجع سريعاً، ينظر بغبطة. ولم تقو والدة شيريل على الكلام. ونظرت الجدة الى ستوكوزا بهدوء وتمتمت: "شكراً لك. اني أشكرك من كل قلبي".

أما شيريل فلم تكن سوى فتاة صغيرة تركض حول المكان بخفّي كرة المضرب. وهذا غاية ما أرادت أن تكون.

■ **باتريشيا سكالكا**

في ٢١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩، كانت شيريل تشاهد التلفزيون بينما كان جيري يشترك للمرة الثانية في سباق الركض في شيكاغو. كان ذلك اليوم شديد الحرارة والرطوبة. وبدأ المباراة ٥٩٣٧ مشتركاً، ولكن لم يصمد منهم سوى ٢٨٦٩. ومن الصامدين كان جيري الذي قطع مسافة الـ ٤٢ كيلو متراً في ثماني ساعات و٢٦ دقيقة.

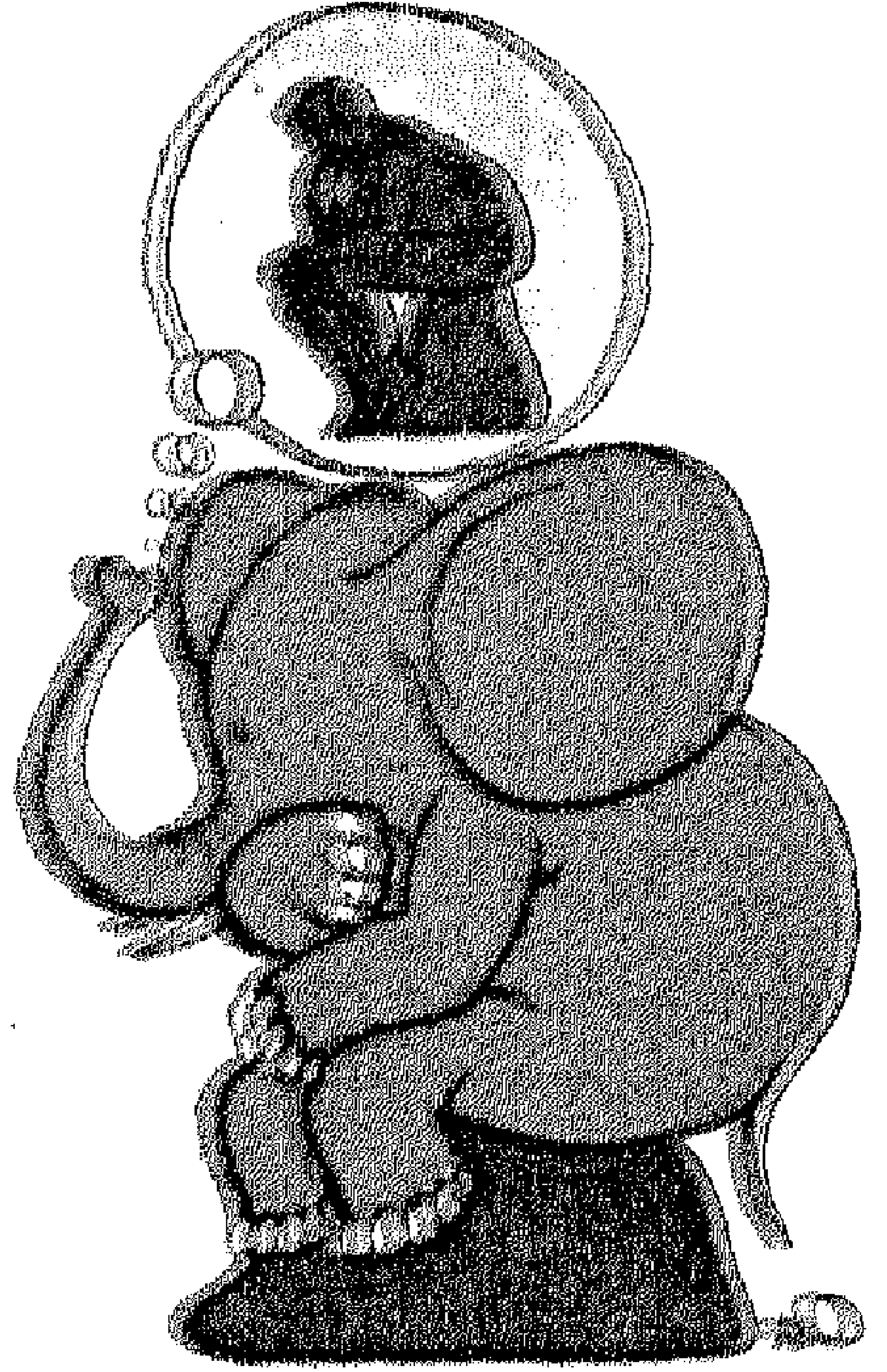


ولدنة أم خبث؟

عندما جاءت ابنتي الصغيرة لرؤيتي في المستشفى بعد ولادة ابني، سألت: "ماذا سيُدعى؟" فكشفت عنه الغطاء وأشرت الى سوار وضع في ساقه اليسرى وعليه اسمه. وهنا هتفت الصغيرة: "حسناً! ولكن ماذا ستسمين الرجل الاخرى؟"

ج.ش.

تأملات معاصرة



دروس المحن

عندما كنت وزوجتي نعيش في باكستان قبل سنوات، مات لنا طفل في الشهر السادس من عمره. وسمع احد مواطني البنجاب بمصابنا، فأتى ليعزينا. ومما قاله: "ان مصيبة كهذه تشبه ان يجد المرء نفسه في ماء يغلي بشدة: فاذا كان المرء كالبيضة جعلته المحنة قاسياً لا يشعر، واذا كان كثمرة البطاطا خرج من محنته لينا وحساساً وقابلا للتكيف". ومن غير ان ادري كيف يكون وقع كلامي على الله سبحانه وتعالى، فقد وجدت نفسي مرات عدة منذ ذلك الحين اصلي الصلاة الآتية: "يا الهي دعني اكون ثمرة بطاطا".

بيلي ويلكوكس

الحقيقة وابعادها

لدى ثلاثة اطفال، لو رأوا بيت عنكبوت، لتصرف كل منهم في شكل مختلف عن الآخر. فالاول سيتفحص الشبكة ويتساءل كيف نسجها العنكبوت. وسيبذل الثاني قصارى جهده لمعرفة مكان العنكبوت في تلك اللحظة. أما الثالث فسيهتف: "انظروا! خيوط من حرير".

حقيقة واحدة، وثلاثة ابعاد.

فيليس ثيروكس، صحيفة "النيويورك تايمس"

السرعة والتمهل

هناك حكمة في ان تفعل بعض الامور على عجل. فالوقت يمر بسرعة مذهلة، واذا لم نفعل الشيء في اوانه فلن نفعله ابداً. لذلك يجدر بنا ان نكوي الثياب بسرعة لكي ندهن المنزل بتمهل. كما يجدر شراء الاغراض بسرعة لكي نخيط الثياب بتمهل. وكذلك يجدر الطبخ بسرعة لكي نقضي وقتاً اطول مع طفلنا قبل ان يفر من ايدينا ليصبح بالغاً.

ب.ب.

الاعتراف بالخطأ

يجدر بالمرء الا يشعر مطلقاً بالخجل من الاقرار بخطئه، اذ لا يعني هذا غير القول انه اكثر حكمة اليوم مما كان بالامس.

جوناثان سويفت



تحت اشعة الشمس الحنونة يمتد الريف كلوحة ابدعتها يد الطبيعة

يوم جميل

تمادى المطر في الهطول، ثم صحا الجو وانجلت السماء كأنها الكنز المفقود يعاد الى صاحبه. واحتل الياقوت الازرق كبد الفضاء، وبرزت طلائع الاخضر اليشبي على الجبال المطلة من نافذة الصباح. وانبسط الوادي مشبعاً بضياء الشمس.

فنهضت ومشيت عبر المصاطب، تغمرني البهجة. وكانت خلواً من الناس، وأحسست كأني لست انا. ورحت اجوب الحقول في زهو وتمهل اسوة بالزهر. وشمرت عن ساعدي كي اتحسس ملمس النسيم، فخلت نفسي خفيفة مثل هبة الهواء. ورفعت رأسي

Condensed from «The Other Side of the Carpet», published by Ta Lin Publishing Co., Taipei, Taiwan. First published in Central Daily News, March 11, 1964

الى السماء فحسبتني حزمة من اشعة الشمس التي تبهر البصر ·

لم يسبق لي ان امتلأ قلبي بمثل هذا الارتياح · وتذكرت آية من الكتاب المقدس: "تشرق شمس الله على الاخيار والاشرار" (انجيل متى، الاصحاح ٥، الآية ٤٥) · ووجدتني فجأة مغرمة بكل حي وكل جماد · وأردت ان احبي جميع المخلوقات واتمنى لها الخير العميم ·

واسكرني ضوء الشمس كالخمرة المعتقة، وسرعان ما تملكتني الرغبة في زيارة تشين حيث تسكن في الريف ·

وبعد ان بدلت حافلات عدة بلغت طريقاً موحلا متعرجاً جففته الشمس · واذا بتربته تحت قدمي لينة ودافئة مثل عاطفة الارض · ووصلت الى سياج الخيزران أمام بيت تشين، لكني لم أسمع نباح الكلب الصغير وهو يرحب بي · ورأيت جرساً معلقاً فوق الباب فقرعته، فلم يأتني اي جواب · ثم اكتشفت قفلا نحاسياً صغيراً على الباب فأدركت ان تشين قد خرجت ·

وتلكأت، وفكرت في ان أترك لها كلمة صغيرة، ولكن خانتني الكلمة · لم أكن في الحقيقة متلهفة لرؤيتها، وانما كنت اسعى الى قضاء يوم في الريف ·

ورأيت في البعد حقول الرز الممتدة، تتناثر فيها أكوام السنابل فتبدو صورة من مشاهد الزمان القديم · ورحت أهيم دونما هدف حتى بلغت باحة مقطوعة الشجر تكسوها الحشائش الصفراء والخضراء وتنتثر فيها صخور غريبة الشكل · فاخترت منها صخراً ناعماً وجلست فوقه ·

وأحسست بأن أشعة الشمس الدافئة اضحت فراشي وغطائي · وبقيت قابعة في مكاني فترة طويلة كانني تحت تأثير التنويم المغناطيسي، تغمرني النشوة ويستخفني الابتهاج · كم مرة، يا ترى، يتسنى لاولئك الذين يتعقبون شؤون الحياة الدنيا ان ينعموا بمثل هذه الشمس الدافئة المحببة؟

وعاودتني آنئذ تلك اللحظات الكثيرة التي قارنت فيها بين قلقي وشمس الصيف التي يتجنبها الناس منزعجين · ولكم وددت ان اكون مثل شمس الشتاء: ساطعة من دون ان أبهر البصر، دافئة من دون حرارة سافعة · ترى متى أتعلم ان اكون على مزيد من الرقة واللطف والعمق؟

وتضرعت الى الله: "اذا اردتني يا رب ان أكون نوراً، فاجعلني مثل هذا النور · لا تجعلني وحيداً في السماء، بل احطني بالسحاب كي يصبح دفئي مبعث راحة لمن أصابهم البلل وهادياً للمتخبطين في الظلام" ·

الراعي الصغير – كنت احمل كيس طعام أردت ان اقدمه الى تشين، فأصبح ما فيه طعام غدائي · فجلست وسط المرج وتناولت غدائي البسيط · وما اطيبها برهة اتتني بوفرة من الاحاسيس الجديدة · وبعد الغداء غلبني النعاس فانسقت الى النوم ·

وحين صحوت رأيت بعض الاغنام السوداء متناثرة في مراعي المرج وبدا لي من بعيد طفل مضطجع على الارض وقد ثنى ركبتيه الى فوق، وهو يقضم ساقاً طويلة من الحشائش · ونهضت من مكاني وبدأت أسير ·

وحين نظرت الى الطفل ثانية كان قد جمع ذراعيه تحت رأسه على شكل وسادة. ولم اتمالك نفسي من ان اغبطه على جلسته، وكأنه يقول: "ان كنوز الارض لا تعدو في نظري ان تكون مثل السحابات العابرة".

وزحف ظل الشمس في اتجاه الغرب، فرجعت على عقبي وجلست. وبدت خطوط السحاب الرفيعة المتراصفة في السماء أبيات قصيدة صغيرة. وتذكرت بيتاً من الشعر من عصر أسرة يوان الملكية يشرح أسباب عجز رجل عن كتابة رسالة، ويقول فيه ذلك الرجل: "ان سبب عجزي عن الكتابة ليس الافتقار الى المشاعر، وانما هو أنني أجد الورق لا يستطيع التعبير كما تستطيعه السماء".

وبينما كان خاطري يمتلىء بهذه الافكار تغير شكل السحب ولونها، وأصبح نصف السماء قرمزياً ملتهباً يكسو الحشائش وهجاً ضارباً الى الحمرة ويبعث على الحيرة في ما اذا كان المرج مرجاً او بحراً من النار. وراح الطفل الراعي يجمع أغنامه بهدوء، وبدأ الدخان يتصاعد من اكواخ القرية، بينما الطفل يبعد عن قطيعه حتى اختفى في عتمة الغسق.

ونهضت من مكاني. كانت الصخرة لا تزال دافئة قليلا، لكن الهواء اعتمرته لمسة برد. ومرت بي مجموعة من الاطفال يحمل كل منهم رزمة من الحطب. وعندما رأوني توقفوا وراحوا يتهامسون: "يا لها من امرأة غريبة أليس كذلك؟".

فقال طفل أكبر سناً: "أعرف ذلك. وهناك اشخاص يأتون الى هنا ليرسموا".

ـ لكني لا ارى كراسة الرسم ولا علبة الالوان؟

ـ لا بد من انها انتهت من الرسم ووضعت كل شيء جانباً.

وما ان وصل الاطفال في نقاشهم الى هذه النتيجة المرضية حتى واصلوا طريقهم. ولم البث ان لمحت من بعيد، عبر غابة الخيزران، رقع الجدران الحمراء في القرية. وانتابني احساس بالحيرة والارتباك عندما رأيت الاطفال يتوارون في بيوتهم. وفكرت في شوارع المدينة الواسعة وناطحات السحاب الشامخة، وقلت ان المرء حين يسير بينها لا يرى من السماء الا النزر القليل. أما هنا، فان هذه البرية المترامية تتشبع بأشعة الشمس. فما أشد ما تختلف حياة الناس!.

واستدرت وغادرت المكان وخطت الشمس الغاربة دائرة حمراء ملتهبة خلفي. ورأيت في البعد ضوءاً لا يزال شاعلا في بيت صديقتي فترددت، لكني لم اقرع الجرس.

وحين بلغت موقف الاوتوبيس شعرت بأنني أعود اغنى مما كنت لدى قدومي. وفكرت: ترى، هل أنا احمل في الحقيقة رسماً معي؟ ألم يقل عني ذلك الطفل: "انها انتهت من رسم لوحتها ووضعتها جانباً"؟

وفي اثناء عودتي الى منزلي في الظلام المتكاثف بدا لي انني وجدت لوحتي. فسميتها: "يوم جميل" وقد رسمتها بالمداد الباهت على صفحات قلبي الذي تملأه السكينة. ولم يلبث الظلام ان انتشر فوق المحيط.

■ تشانغ هسياو ـ فينغ

اروع ما صنع الانسان

الكمان الذي برعت في صناعته ثلاث عائلات في بلدة كريمونا الايطالية ليس له مثيل. وهو شاهد باق على سمو الروح

ان كمان "ستراديفاري" شبيه بالمرأة المتقلبة الاهواء التي تريدك ان تخطب ودها. فهي قد تستجيب للتودد في بعض الايام، ولكن لا تأبه لك، بل تصدك، في أيام أخرى. واذا أخطأت في مسها، فهي لا تتورع عن الزعيق استنكاراً. لكن للمرأة عذرها، خصوصاً لانها الآن سيدة تناهز الـ ٥٠ عاماً. ومع ذلك، فهي لا تزال تنطق بالحسن في كل حركاتها، ولها صوت كالسحر تأثيراً.

وكمعظم الكمانات العظيمة، فان اوتار كمان ستراديفاري الذي املكه ما زالت تداعب بانتظام، مما يزيد نغمها رخامة يوماً بعد يوم. ولا يخفى ان سر شباب الكمان وسلامته كامن في استعماله المستمر.

بدأت حياتي الموسيقية في السادسة من عمري بالعزف على كمان من انتاج احد المصانع. وتدرجت من آلة الى أخرى حتى وقعت على كمان ستراديفاري وانا في الخمسين. وعندما زارني صانع الكمان النمسوي لودفيك تروستلر، أريته كماني

الجديد. واذا به يصيح وهو يحتضن الكمان بين يديه: "انت لم تخبرني ان لديك كماناً من صنع ستراديفاري!".

فسألته: "كيف تعرف ذلك؟".

- الا تتحسسه؟ ان روح ستراديفاري ترفرف فوقه.

ان صنع الكمانات العظيمة كلها ينحصر في ثلاث أسر: أماتي، ستراديفاري، غوارنيري. والغريب ان هذه الاسر كانت تسكن حياً واحداً في مدينة كريمونا الايطالية. وربما لا يزال هناك ٨٠٠ كمان من صنع اسرة ستراديفاري وحدها، ونحو ٢٥٠ كماناً من صنع غوارنيري، وستة فقط من صنع اندريا اماتي.

وبلغت شهرة عدد كبير من هذه الكمانات حداً صار يشار معه الى الكمان باسم علم، مثل "دانكلا" الذي صنعه ستراديفاري عام ١٧١٠ وابدع الروسي ميلشتاين في العزف عليه، و"باركه" (١٧١١)،وهو المفضل لدى العازف النمسوي البارع فريتز كرايسلر، و"دولفين" الذي عزف عليه ياشا هايفتز عازف الكمان الروسي الفذ. وفي خضم الحروب والثورات التي عصفت بالعالم، ضاع عدد من تلك الكمانات العظيمة. الا ان اشهرها لا يزال موجوداً، ويمكن تقصي تاريخه الذي يعود الى مشغل المعلم الحرفي في كريمونا.

في اواسط القرن السادس عشر، أي قبل بدء المرحلة التاريخية العظيمة التي تميزت بوجود اندريا اماتي، اشتهرت مدينة كريمونا الواقعة على ضفاف نهر بو شمال ايطاليا بقصورها الشامخة وكاتدرائيتها التي تعود الى القرن الثاني عشر. على ان المدينة، في القرون الثلاثة التالية، نالت شهرة اوسع بعد انتاج ٨٠٠ آلة عزف وترية، بما فيها الفيولا والتشيلو، على ايدي حرفييها الموهوبين.

كمال الاتقان - ان الكمان الكريموني هو الاتقان عينه. ولئن تكن الكاتدرائية العظيمة او الساعة الرائعة الصنع ثمرة تعاون بين أناس عديدين، فالكمان العظيم هو انتاج شخص واحد بمفرده، ولا يمسه سوى الحاذق الذكي في عزفه، الذي يحرك الاوتار لتصدح بنغم يسمو الى مرتبة النطق بلغة الروح البشرية. ومن حيث صناعته، يعد الكمان انتصاراً لعلوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات مجتمعة. وهو، في الوقت نفسه، انتصار للنزعة الباروكية (اسلوب فني في التعبير) التي طغت على الاعمال الكلاسيكية في عصر النهضة الاوروبية، والتي تتمثل في الانسجام التام بين العقل والعاطفة.

ظن الخبراء سابقاً، ان الكمان نشأ وتطور تدريجاً عن آلة الفيول. غير ان احداً منهم لم يعثر ابداً على حلقة مفقودة تؤكد نظريته. فليست هناك على الاطلاق اي انماط تجريبية لان الكمان، منذ بدئه، كامل البنيان. ويرجح ان يكون نموذجه الاول ظهر على يد أماتي نحو العام ١٥٤٠.

واكتسحت الكمانات اوروبا بعد ذلك، وغدا أماتي في غضون عشر سنين واسع الثراء. ولا يزال اقدم كمان من صنعه يعرفه العالم محفوظاً فيمدينة نيويورك، ويعود تاريخه الى العام ١٥٦٦. وقد اسعدني الحظ في

العزف عليه، وهو غاية في الجمال، تنبعث منه أنغام رخيمة ممتلئة. وتجدر الاشارة الى ان اول من ألف الموسيقى لآلة الكمان الجديدة هو كلوديو مونتيفردي، أبو فن الاوبرا، وهو ايضاً من ابناء مدينة كريمونا. وبعده أخذ الكمان يهيمن على بقية الآلات في جميع المؤلفات الموسيقية في الغرب. وليس خافياً ان الكمان هو حجر الزاوية في التأليف السيمفوني، واليه يسند دور نقل اهم التنويعات الصوتية، وغالباً ما يعتمد لاخراج اللحن أو اللحون الرئيسية.

الكمان، من وجهة بنيانية، جسم أجوف ذو أجزاء يراوح عددها بين السبعين والتسعين، ومنها الظاهر والخفي. على انه، في مجموعه، لا يزن اكثر من ٢٨٠ غراماً. ومع ذلك، فان عظمته فريدة في نوعها. فأنا استطيع التمييز بين النغم المخملي العذب الذي ينساب من كمان ستراديفاري والنغم الحسي اللامع الذي يتدفق من كمان صنعه غوارنيري. لكن من الخبراء من يستطيع التمييز حتى بين كمانين او اكثر من صنع ستراديفاري نفسه، في الوقت الذي يصرون على وجود عنصر مشترك فذ بين الكمانين.

من جيل الى جيل ـ تمتاز كمانات اماتي الاولى بطبقة صوتها الغنية الممتلئة. وعناصرها الرئيسية هي: مرنان في هيئة صندوق مقوس ذي سطح منحن، تمتد فوقه اربعة اوتار يمكن بضها (دوزنتها) على فترات فاصلة خمسية القياس. وللاوتار جسر شديد التقوس ولوحة مفاتيح في عنق الكمان مسطحة تماماً، اي انها بلا حزوز لقطع رقة الاوتار. ولذلك تفرض على العازف، كما تتيح له، تلوين طبقة صوتية حسب رغبته. وعلى رغم دقة هذه التفاصيل، لم يكن هناك نموذج معين ذو مقاييس محددة. ولهذا كان اماتي وعظماء الصناع الذين اتوا بعده يعتمدون حواسهم وفطرتهم في سحج الكمان وصقله.

وهناك كمانات رائعة الصنع ظهرت في اماكن اخرى من العالم، خصوصاً النمسا وبافاريا (المانيا). على ان افضلها لا يضاهي الروائع التي انتجت في كريمونا. فما هو السر يا ترى؟

حين باشر اندريا اماتي صنع الكمان كان الرسامان الايطاليان ميكال انجلو وتيشان قد اشرفا على الفصل الاخير من حياتهما، وعصر النهضة الاوروبية في ذروته. وكان لاندريا اماتي ابنان موهوبان هما انطونيو وجيرولامو (ايرونيموس) اللذان صنعا عدداً كبيراً من الكمانات المدهشة.

الا ان نيكولو ابن جيرولامو بزّ سائر افراد اسرته شهرة. وبلغ جمال كماناته حداً يفوق الوصف، وجميعها ينبض بصوت اماتي الساحر المميز. وفضلا عن ذلك، كان نيكولو اخطر معلم عرفه فن صناعة الكمان، وهو الذي لقن اسرار الطلاء بالورنيش اثنين من تلاميذه وأبناء شارعه في كريمونا، هما انطونيو ستراديفاري الذي يعد اعظم صانع للكمان وأندريا غوارنيري الذي كان طليعة افراد اسرته في احتراف تلك الصنعة.

لكن السر الاعظم في صنع الكمان

هو الصبر· والحرفيون احياناً يعتقون الخشب طوال عشر سنين لتقويته قبل البدء بصنع الكمان·

صنع اول كمان ستراديفاري، حسب علمنا، عام ١٦٦٦، اي حين بلغ انطونيو ستراديفاري الثانية والعشرين· ويبدو انه تتلمذ في مشغل نيكولو اماتي وهو بعد في الرابعة عشرة، وربما اعان معلمه نيكولو في صنع اخر كمانات اماتي· وبعد وفاة نيكولو عام ١٦٨٤، آلت ملكية ادواته ونماذجه وتصاميمه الى تلميذه ستراديفاري الذي بلغت تصاميمه الشخصية ذروة فرادتها في حدود العام ١٧٠٠· ويبدو انه تعلم على استاذه كل ما يحتاج الى معرفته عن الخشب والطلي بالورنيش، فاكتملت في كماناته جميع الصفات المطلوبة، من سهولة في استجابة الاوتار وصوت ذي طبقة جميلة وقوة كامنة في كيان الكمان·

ان اقرب اسم الى ستراديفاري في عالم صنع الكمان هو غوارنيري· وثمة بضع آلات من صنع اندريا الذي سبق ذكره و١٤٧ من صنع حفيده بارتولوميو غيوسيب، وهو اوسع افراد اسرته شهرة واكثر حرفيي كريمونا غموضاً·

نسيج وحده - لئن تكن كمانات نيكولو اماتي وانطونيو ستراديفاري تنم عن قوة شخصية صانعيها وتقيدهما بالنظام، فان كمانات دل جيزو لا تنم عن اي نظام، وانما تدل على براعة صانعها وعبقريته· فهي، من حيث صنعها، تبدو كثيرة الشذوذ وفي مظهرها اهمال· لكن دل جيزو فنان عظيم الموهبة، واكثر ما عني به هو طبقة الكمان الصوتية· والنغم الذي ينبعث من الآلة هو غاية في الجمال والقوة· وهو نفسه صانع الكمان المعروف باسم "ديفيد" (١٧٤٢) الذي سحر به العازف هايفتز جمهور مستمعيه· وله ايضاً، من العام نفسه، كمان آخر باسم "كانون"، ذو نغمة قوية وسعت نطاق ما يمكن عزفه على الكمان·

ان الكمان كامل البنيان ومتقن، الى حد ان اي تغيير يطرأ على تصميمه لا بد من ان يفسده· وفي صنعه تستعمل اخشاب من انواع مختلفة، مثل القيقب القاسي لظهر الكمان وعنقه وأضلاعه وجسره، وخشب شجرة البيسية (من الفصيلة الصنوبرية) الاوروبية الذي يستعمل في صنع سطح الكمان ودعامات زواياه وبطانته والاجزاء "الخفية" منه كقطعة الجهير، وهي القضيب الخشبي المثبت من الداخل بالجزء الايسر من الجسر الذي تمر الاوتار فوقه، كذلك يستعمل هذا الخشب في صنع العارضة الصوتية، وهي القطعة الممتدة من الداخل الى طرفي الكمان عرضاً· وهي تقع على يمين الجسر، فتشد من تدعيم هيكل الكمان، كما تؤثر في نوعية الصوت المنبعث منه·

ويستعمل خشب الابنوس وخشب الورد في صنع لوحة المفاتيح لشد الاوتار، كذلك في صنع القطعة المثلثة الشكل تقريباً التي تشد اليها اطراف الاوتار الدنيا، وتعرف اليوم باسم الذيل العاجي· ومن هذين النوعين ايضاً يصنع الزر الذي يثبت الذيل المثلث في اسفل الكمان· وتستخدم ثلاث ادوات في اعطاء الخشب هيئة الكمان وصورته، وهي

المسحاج والازميل والموسى. اما الاضلاع فهي مصنوعة من الخشب الذي يرقق ليصير بسماكة مليمتر واحد، ثم يغمس في الماء ويكوى بمكواة حارة الى ان ينثني على هيئة الكمان تماماً.

وقد اتخذ كل صانع حاذق منهجاً مستقلا في شق فجوات الصوت على سطح الكمان، وهي فجوات تعرف باسم "شقوق ف"، نظراً الى شبهها بحرف "ف" في الابجدية اللاتينية. وتحفر عادة فجوتان، واحدة عن يمين الاوتار والاخرى عن اليسار. وليست هناك معادلة حسابية دقيقة في حفرهما. ولذلك يعتمد الحرفي حواسه وفطرته في تقرير مكانيهما.

الاوتار الفضية ـ الى ما تقدم، كانت جسور الكمانات الاولى مسطحة، في حين انها اليوم شديدة الارتفاع والتقوس، بحيث تيسر انتقال ذبذبات الاوتار الى القسم الاعلى من الكمان والى ظهره ايضاً عن طريق العارضة الصوتية من الداخل. وقد ابدلت الاوتار المصنوعة من امعاء الحيوانات بأوتار اشد متانة واطول عمراً، وهي أوتار معوية اللب، مغلفة بالفضة او الالمنيوم.

والحق ان جوف الكمان الخفي اشد اذهالا حتى من سطحه. والطرف الذي تقع فيه قطعة الجهير وهو الطرف الذي يشد فوقه الوتر الخفيض من مقام "جي"، فيه رف دقيق مصنوع من خشب البيسية الاوروبية وملصق بالغراء فوق منحنى الكمان. ولذلك فان اقل خلل في صنع قطعة الجهير يفسد صوت الكمان بأكمله.

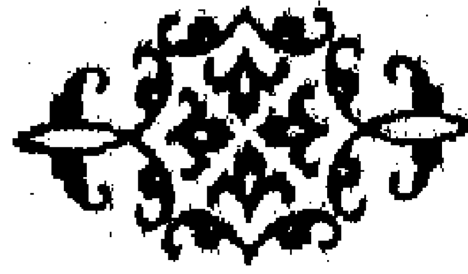
ومع انه ادخلت على تلك القطعة تعديلات كثيرة تمشياً مع متطلبات العصر، الا ان نبوغ الحرفيين من اهالي كريمونا وبعد نظرهم اتاحا للحرفي الحاذق في العصور التالية ان يدخل قطعة بديلة مكانها، مع الاحتفاظ بصوت الكمان الجميل القوي. والعارضة الصوتية البديلة هي قضيب صغير اسطواني مصنوع من خشب البيسية الاوروبية ويقع، كما ذكرنا، على الطرف الايمن من الجسر. وهو الذي يبث الذبذبات من السطح الاملس الناعم الى ظهر الكمان القاسي. والطريف ان الفرنسيين يسمون العارضة الصوتية "النفس" باعتبارها "نفس" الكمان. ولا غرابة في ما قاله عازف الكمان البلجيكي ايساي: "ان للكمان نفساً وعقلا".

الا ان اكثر اجزاء الكمان غموضاً هو طلاء الورنيش الذي يستخدم في صقله. ووظيفته الاولى حفظ الخشب من التسوس والتلف، لكنه ايضاً يكسب الكمان جرساً خاصاً. فالنغمة المزمارية التي يصدح بها كمان ستراديفاري تختلف كلياً عن نغمة البوق الفرنسي التي تنبعث من كمان غوارنيري دل جيزو، لأن لكل منهما ورنيشاً خاصاً. ويبدو ان ستراديفاري استخدم بين مستحضراته مادة لزجة راتينجية قاتمة الحمرة تسمى "دم التنين"، وهي مستخرجة من ثمار شجرة التخيل الملاوي التي عاد بها الرحالة ماركو بولو من الشرق. ولكن ما هي مقادير المستحضرات؟ وكيف صقل بها الكمان وهل خلط المزيج ساخناً ام بارداً ام بعد فتوره؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة طويت مع رفات ستراديفاري.

وعمد صناع الكمان اللاحقون الى استخدام الكحول بدل الزيت لتجفيف طلاء الورنيش بسرعة. لكن بعض الصناع المعاصرين عاد الآن الى الاساليب التقليدية من عهد كريمونا الذي عمل حرفيوه على مهل وفي مناخ دافىء وجاف. ويعلم الصناع المعاصرون ان الكمان العظيم هو وليد عناصر ثلاثة: فن الصانع وروحه والزمان. ولعل كماناتهم، بعد مرور قرنين على صنعها، ستصدح بنغم شبيه برنة الكمانات التي صنعها اماتي وستراديفاري وغوارنيري. غير ان العازفين البارعين، حتى في ذلك العصر المقبل، سيداعبون ايضاً اوتار الآلة الكريمونية العجيبة التي تزن ٢٨٠ غراماً لانها، بالتأكيد، من اعظم ما برع الانسان في صنعه.

■ جوزف فكسبرغ

موسيقي يعيش في فيينا. مؤلف "عظمة الكمان"، "البحث عن عصفور أزرق"، "الاوبرا"، افضل ما في الحياة".



على الطريقة النروجية

كنت مع زوجي واولادنا الثلاثة في سياحة الى النروج حيث كان لزوجي انسباء كثيرون. وهم لا يتكلمون الانكليزية. أما زوجي فهو الوحيد في العائلة الذي يتكلم النروجية. وهذا جعله منهمكاً معظم الوقت في الاجابة عن أسئلتهم خلال اللقاءات العائلية. وكنت واولادي تجلس صابرين ونسمع اسماءنا تذكر بين وقت وآخر. وغالباً ما كان انسباء زوجي يضحكون وهو يتكلم. وفي احدى تلك المناسبات همس احد ابنائي في اذني: "من المؤكد ان ابي مضحك في اللغة النروجية اكثر منه في الانكليزية".

هـ.ن.

سفاهة متبادلة

بعدما نزل احد الركاب من القطار في ساعة ازدحام، وجد نفسه محشوراً بين جمع غفير من الناس. وتعرض لضربات عنيفة ومؤلمة على ظهره. فاغتاظ جداً والتفت وراءه ليرى امرأة مسنة تنعره بشمسيتها.

فقال لها: "ايتها السيدة، الا تعلمين ان نعر الناس عمل سفيه؟"

فأجابت: "ايها الشاب، الا تعلم انه من السفه الا تتحرك حين تُنقر؟"

ل.و.

مدن جديدة

بات وشيكاً ان نقرأ عن مدن جديدة تقام بالقرب من المراكز التجارية الحديثة.

ت.ت.

لغة الحب

لا يلاحظ الاهل الاثر الذي تتركه كلماتهم في اطفالهم·
ان كل ما يحتاجون اليه
عبارات رقيقة صادقة تحقق العجائب·

هل نظرت مرة الى احدى مرايا مدن الملاهي ورأيت نفسك مشوهاً؟ ماذا كان شعورك؟ بعض الخوف وعدم الراحة، اليس كذلك؟ ومع هذا فانك ضحكت، اذ كنت تعرف ان انعكاس صورتك في المرآة ليس شكلك الحقيقي·

ولكن لنفترض ان تلك المرآة كانت الوحيدة التي عرفتها في حياتك· ربما اقتنعت عندئذ بان انعكاس صورتك فيها هو شكلك الحقيقي· في هذه الحال لن يخطر في بالك ان تحجب ثقتك عن المرآة او أن تحمّلها مسؤولية تشويه صورتك·

والطفل أيضاً لا ينزع الى الشك في الصورة التي يعكسها والداه له· وهو عادة يقبل تقويمهم السلبي كوصف دقيق لشخصيته، ويمكنه ان يقتنع بسهولة بانه غبي أو كسول أو أخرق أو أناني او عاجز عن تحمل المسؤولية· ان مخاطبة الولد بعبارات من نوع: "انك تبدو بغيضاً"، أو: "انك لا تأتي عملا جيداً على الاطلاق"، لا تساعده على الشعور بأنه بارع وكفي وحلو الشمائل· فبدلا من الانتقاد الهجومي، يحتاج الولد الى توجيه من غير تحقير·

عندما وضع عماد (١٣ سنة) ملعقته الكبيرة في صحن حلوى الشوكولا، وكاد ان يجهز على معظمها، كانت أمه على وشك نهره قائلة: "انك أناني، لا تفكر الا في نفسك· انت. لست الشخص الوحيد في هذا البيت!" لكن الأم كانت تعلمت ان الكلام عن عيوب الطفل وتضخيم هذه العيوب لا يساعدانه على النمو ليصبح انساناً اكثر حرصاً· لذلك قالت له: "يا عماد، ان هذه الحلوى يجب ان توزع على اربعة أشخاص"·

ـ كم أنا آسف يا امي· سأعيد بعض ما أخذت·

اننا لا نعي تأثير الكلمات التي

نستعملها يومياً، بل نقذفها في وجوه أطفالنا بخفة. نحن نصدر الأوامر والتوجيهات ونتدخل في كل مسألة ونقول أي عبارة تخطر في بالنا، وغالباً ما نكون غير دقيقين او محقين. نحن لا نبالي بالكلمات المؤذية، بل اننا لا نعير انتباهاً للهجتنا وأسلوبنا في الكلام، متخلين في ذلك عن ميزتي الاحساس المرهف والتصرف اللائق.

ان ما يفسد أطفالنا ويدمر شخصيتهم ليس افتقارهم الى الحب، بل عجزنا نحن عن اقامة قنوات اتصال ذات موجات ملائمة معهم. ما نفتقده فعلا هو لغة مناسبة توصل الحب وتدفع الطفل الى الشعور بأنه عنصر مرغوب فيه وموضع تقدير واحترام.

نحن نعرف ما هي العبارات الواجب علينا استعمالها. انها تلك التي طالما سمعنا أهلنا يرددونها مع الضيوف والغرباء، انها لغة كانت لا تؤذي المشاعر ولا تتعرض بالتهجم لتصرفات الآخرين. ولا شك في ان أولئك الذين نحبهم أكثر من أي شيء آخر يستحقون منا كلمات تعبر عن الحب لا عن الكراهية، كلمات تخفف حدة الخلاف ولا تقضي على الطموح، كلمات تعزز الحياة وتعطيها قيمة بدلا من أن تحطم المعنويات.

اسمعوها ما تحب! – في عصر أحد الأيام عاد ماهر (٨ سنوات) الى بيته منقبض النفس: "اني أكره معلمتي. لقد صرخت في وجهي، ولذا فلن أعود الى المدرسة أبداً!". ان ردة الفعل التلقائية لدى معظم الأهل في حال كهذه هي: "هذا ما تلقاه نتيجة عدم الانتباه آمل ان تكون تعلمت الدرس".

غير ان والدة ماهر تدرك ان الولد عندما يكون غاضباً فهو يحتاج الى تفهّم وليس الى مزيد من الانتقاد، لذلك أجابته: "لا بد ان الموقف كان محرجاً جداً لك. فمن المخجل حقاً ان توبخك المعلمة أمام التلاميذ الآخرين. لا شك في أنك غاضب جداً. فلا أحد يرغب في ان يعامل هكذا".

في هذا، لم تلقِ والدة ماهر اللوم على المعلمة أو على ابنها. كل ما فعلته هو انها وصفت بدقة المشاعر التي سيطرت على ابنها حين وبخته معلمته.

ان الجميع يبدون مهتمين بتصرفات الطفل وانجازاته، لكن الطفل يعتمد على أهله وحدهم ليولوا مشاعره عناية.

ليس في امكان الطفل وضع ضوابط لمشاعره، وانها لمسألة تتطلب شجاعة أن يعبر الطفل عن مشاعره بالكلمات، لذلك علينا ان نشجعه على الافصاح عن حقائقه المؤلمة ولا نقمعه.

ريما، الطفلة ذات السنوات الأربع، أخبرت أمها: "اني أكره جدّتي". وفي لهجة استنكار أجابت الام: "لا، انك لا تكرهينها. انك تحبين جدتك، في هذا البيت لا وجود للبغض. جدتك تعطيك الهدايا وتصطحبك في النزهات. كيف تستطيعين ان تقولي شيئاً كهذا؟"

لكن ريما أصرت: "اني أكرهها!" وعند هذا الحد فقدت الأم صبرها وقررت اللجوء الى تدبير "تربوي" اكثر حزماً، فصفعت ريما الصغيرة. غير ان الطفلة كانت ذكية، فلكي

تتجنب مزيداً من العقاب غيرت لهجتها: "اني أحب جدتي فعلا يا أمي". عندئذ قبلت الأم ابنتها وضمتها وامتدحت طيبتها.

ماذا تعلمت الطفلة ربما من هذه التجربة القاسية؟ تعلمت أن الافصاح عن الحقيقة مسألة خطرة: حين تقول الحقيقة فانك تتلقى صفعة، أما حين تكذب فانك تحصل على الحب. "أمي تحب الصغيرات اللواتي يكذبن. فلأسمعها ما تحب هي ان تسمعه". هذا هو الدرس الذي تلقته الطفلة من تجربتها. كان في امكان الأم ان تجيب: "أنا أفهم كيف تشعرين. ليس عليك ان تحبي جدتك، لكنني أنتظر منك ان تعامليها باحترام".

اعطوهم فرصة! ـ بحكم كوني طبيبة نفسانية، فأني أعرف ان الطريقة التي أتحدث بها الى مرضاي تحدث تأثيراً كبيراً في نفوسهم. الكلمات هي عدّتي. لكنني فكرت في المسألة ملياً منذ سنوات، فوجدت انه ليس من المنطق توجيه اللوم الى الأهل غير البارعين على تصرفاتهم التي تدمر حياة ابنائهم، في حين اننا، نحن الأطباء النفسانيين المدرّبين على تصحيح هذه الأخطاء، نقع في مثلها في حياتنا الخاصة. لقد ادركت هذا عندما انتبهت الى الكلمات التي استعملها مع أولادي، فوجدت انها لا تختلف عن تلك التي كانت امي تستعملها معي: اللوم والتقريع والصرخات الهستيرية الغاضبة. ومنذ ذلك الحين قررت ان أتصرف مع أولادي كما أتصرف مع مرضاي.

نحن ننزع الى اعتبار عدم الاستقرار العائلي وحده السبب في تدمير حياة الأطفال. ولسوء الحظ فان الأشخاص الذين يتميزون بالحب والرصانة، هم أيضاً، يستعملون لغة تؤدي الى الاذلال. بل انهم عندما يمتدحون خصائل طفل، فغالباً ما يكون في كلامهم ما يثير الحساسية. ان الطفل يشك حتى في العبارات الايجابية، حين تصدر لتقويم شخصيته أو جهوده. الأفضل في هذه الحال استعمال أوصاف تعبر عن السرور والرضا، وتعابير تنقل الشعور بالاحترام.

ترك اب الرسالة الآتية على غيتار يخص ابنته: "حين تعزفين، يمتلىء قلبي بهجة". وفي صباح اليوم التالي قالت له ابنته: "شكراً يا أبي لانك أخبرتني أني عازفة جيدة". فعندما وصف الوالد شعوره، اعطى ابنته فرصة كي تحوّل تقديره لها إلى صفات تعبر عن الثناء.

عندما أحاول تشجيع الأهل على التدرب على لغة رقيقة تعكس الاهتمام، فغالباً ما يجيبون: "ان أطفالي مراهقون، والتخريب الذي حصل في شخصيتهم قد حصل!".

هل صحيح أن الوقت ربما اصبح متأخراً لتصحيح الخطأ؟ بالتأكيد ليست الحال كذلك مع اليافعين. والواقع انهم محظوظون، لأن أمامهم فرصة أخرى. ان المراهقين يبدون غير منضبطين وغير منظمين، لأنهم يمرون بمرحلة اعادة تنظيم ذاتية. ونحن الاهالي نستطيع ان نؤثر في الاتجاه الذي سيأخذونه. إن مخاطبتهم بلغة الحب الرقيقة كفيلة باحداث التغيير نحو الأفضل.

■ أليس جينوت

ما بدأ حرباً ضد الارهاب
تحول حملة ضارية
يشنها اعوان السلطة بلا هوادة.
وقد بلغ عدد الذين اختفوا
في الارجنتين عشرة آلاف مواطن

جحيم الارجنتين

قفز اميليو مينيون من سريره مجفلا لدى سماعه طرقاً عنيفاً على باب شقته في مدينة بوينس ايرس. ونظر مينيون، المحامي ورئيس الجامعة السابق، الى ساعته التي أشار عقرباها الى الخامسة صباحاً فيما كان الظلام لا يزال يلف عاصمة الارجنتين. وفتح الباب ليفاجئه ستة رجال يحملون رشاشات بدخول المنزل. وأمروه بأن يوقظ ابنته مونيكا، البالغة من العمر ٢٤ عاماً، من النوم.

قبل سبعة أسابيع من ذلك الحادث، في ٢٤ مارس (اذار) ١٩٧٦، كانت مجموعة يمينية قد استولت على الحكم في إنقلاب عسكري. وشنت قوى الجيش والامن حملة اعتقالات واسعة ضد أشخاص عدتهم "مخربين". وكانت مونيكا فتاة متدينة درست علم النفس التربوي وعملت مع مجموعة دينية على تعليم الاطفال المتأخرين في دروسهم في أحد أحياء الفقراء. وهذا جعلها عرضة لملاحقة النظام الجديد الذي نظر بحذر شديد الى المثقفين، من طلاب ومدرسين وعمال اجتماعيين وعلماء نفس ومحامين وصحافيين.

ان الاشخاص الذين اقتحموا شقة آل مينيون ادعوا أنهم أفراد من الجيش. لكنهم كانوا يرتدون ثياباً مدنية ولم يبرزوا أوراقاً تعرف بهويتهم العسكرية. وانبرى أحدهم لمينيون قائلا: "نحن متأسفون يا سيدي. ولكن نريد أن نأخذ ابنتك بضع ساعات لتدلي بمعلومات عن احدى صديقاتها. والرجاء أن تعطيها اجرة سيارة تعود فيها". وغادر الرجال المنزل ومعهم الصبية المذعورة.

حدث ذلك قبل أربع سنوات. ومنذ ذلك الحين لم يعرف مينيون شيئاً عن ابنته.

"المختفون" - ليست مونيكا سوى واحدة من آلاف ضحايا حكم الرعب الذي يعذب الارجنتين منذ انقلاب ١٩٧٦. وقد اكتسب الرعب هذه الابعاد المروعة لان الذين وراءه ليسوا جماعة متطرفة خارجة على القانون، بل هم شراذم فاسدة تنتمي الى قوى الجيش والامن داخل السلطة الحاكمة. وهكذا أصبح أحد أكبر بلدان القارة الامريكية وأكثرها تطوراً أسوأ مثال على انتهاك حقوق الانسان. وتذهب التقديرات الى أن عدد المخطوفين الاجمالي بلغ عشرين ألفاً. ويشار اليهم بعبارة "المختفين".

ولئن يكن هناك جدار كثيف من الصمت الرسمي يطبق على "المختفين"، الا أن ثمة أدلة على مصيرهم ظهرت الى النور. ففي مرات ثلاث على الاقل، لفظ الموج عشرات الجثث على شواطيء الارجنتين والاورغواي المجاورة. وروي أن بعضهم ألقي من الطائرات الى عرض البحر. كما اكتشفت في بعض المقابر ضرائح جماعية وصف موتاها بـ "المجهولين". ويقول بعض المواطنين انه يتم احياناً حرق الاجساد أو قطع الرؤوس والايدي لجعل تعرّف أصحاب الجثث مستحيلا.

ان بوينس ايرس تبدو - كما تدل المظاهر - احدى أجمل العواصم في ذلك النصف من الكرة الارضية. فهي مليئة بالجادات الواسعة الممتدة والابنية الحكومية الضخمة والمحلات والمطاعم الانيقة والضواحي السكنية الفخمة. والارجنتين ليست بالبلد الفقير. ففيها أكبر طبقة وسطى بالنسبة الى بلدان أمريكا الجنوبية. ويتمتع سكانها، الذين يبلغون ٢٧ مليوناً معظمهم من أصل اسباني أو أيطالي، بمستوى معيشي مرتفع نسبياً.

لكن تحت هذا البريق السطحي مجتمعاً طال عليه المرض. ففي مطلع السبعينات اجتاحت الارجنتين موجة قاسية من الارهاب شنتها حركتان مسلحتان، احداهما ماركسية اسمها "جيش الشعب الثوري" والثانية - حركة "مونتونيروس" - خليط عشوائي يضم يمينيين ويساريين من أتباع الرئيس خوان بيرون الذي توفي عام ١٩٧٤.

وحين أسقطت القوات المسلحة حكومة ايزابيل بيرون، ارملة الرئيس بيرون وخليفته، عام ١٩٧٦، وقفت الاغلبية الساحقة من المواطنين الى جانب الانقلاب الذي رأت فيه فرصة لاستعادة القانون والنظام واعادة بناء الاقتصاد الذي نهكته الاضرابات والفساد والتضخم المالي الذي بلغ حداً يفوق التصور. ورحب معظم الارجنتينيين، الذين يعارضون الارهاب المسلح بشدة، باعلان الحكومة الجديدة عزمها على محاكمة الارهابيين.

"الحرب القذرة" - غير أن ما بدأ صراعاً مكشوفاً وشرعياً ضد الإرهابيين الخارجين على القانون، سرعان ما تحول الى "حرب قذرة" شنت، على رغم القوانين، ليس ضد الارهابيين الفعليين ولكن ضد كل شخص عد "مخرباً". ولم توجه الى المشتبه بهم أي تهمة ولا هم اقتيدوا الى المحاكم. وكل ما حصل أنهم اختفوا على أيدي "فرق الامن" التي توزعت فصائل

داخل الجيش والشرطة ونفذت عملياتها باستقلال عن رقابة الحكومة الفعلية.

ويقول أحد المراقبين المطلعين: "يبدو أن موقف الحكومة كان الآتي: تخلصوا منهم من غير أن تخبرونا شيئاً". ويضيف أحد الصحافيين: "انهم لجأوا الى الخطف لتنفيذ أهدافهم بسرعة وسرية ولنفي كل علم بالامر".

ان عدداً كبير من "المختفين" هم طلاب جامعات أو متخرجون جدد. وربما انتمى بعضهم الى احدى الحركتين الفدائيتين أو كان من مؤيديها، لكن تقرير حقيقة ذلك ترك للخاطفين. وآخرون هم من أتباع اليسار البيروني. كما ان بين المخطوفين رجال دين ومحامين وأطباء نفس، ولم يكن لكثير منهم اهتمامات سياسية.

بكاء وعويل – على رغم أن الكثرية "المختفين" الساحقة لم يرها أحد بعد خطفها، الا أن بضع مئات عادت، غالباً بعدما أمضت وقتاً في السجن أو خارج البلاد. ومن هؤلاء أرملة في منتصف العمر خطفت في مارس (آذار) ١٩٧٧. وروايتها الآتية ليست الوحيدة في نوعها:

"كنت أتناول طعام العشاء في شقتي، ومعي ابنتي البالغة التاسعة عشرة، وهي طالبة انتروبولوجيا (علم الانسان)، وخطيبها البالغ الثالثة والعشرين، وهو طالب تاريخ. واقتحم المنزل ١٦ رجلا مسلحون بالرشاشات. وبعدما عصبوا أعيننا نقبوا الشقة ونهبوا محتوياتها الثمينة. واتصل جيراننا بالشرطة، ولكن لم يأت أحد.

"ونقلنا المسلحون في سياراتهم الى مكان بلغناه بعد عشر دقائق. واوثقوا رجلي وحملوني الى غرفة في قبو كانت مليئة بالمهاجع الصغيرة على طول الجدار، مع حواجز بين المهجع والآخر ترتفع حتى الخصر. وجعلوني أضطجع في احدى تلك الزنزانات، مع كثيرين سواي في الغرفة نفسها. ولم ينقطع سيل الوافدين الى الغرفة. ولم يخف صخب الموسيقى عن سمعي أصوات البكاء والعويل التي كانت تملأ المكان.

"وبعد نصف يوم من وجودي هناك اختلست النظر من تحت العصابة لأرى ابنتي في المهجع المجاور. وحين رأتني قالت: "لم أعد أحتمل الصدمات الكهربائية التي تشل" فمي ولساني". وأخبرتني أنهم كانوا يحاولون الحصول على أسماء زملائها في الجامعة. ومددت يدي عبر الحاجز وأمسكت بيدها. لكن حارساً رآنا فأبعدها عني.

"بعدئذ سمعت ابنتي تبكي. وأردت أن تسمع صوتي، عله يعزيها، فطلبت الماء بصوت عال. وأجهشت قائلة: "هي ذي امي وأنتم تقولون انكم قتلتموها!" وبعد ذلك لم أعرف شيئاً عن ابنتي.

"وبعد يومين وضعت في شاحنة حملتني خارجاً، فيما قال أحد الرجال ان ابنتي ستطلق قريباً. وأمرني بأن أنسى ما حدث والا قتلت ابنتي، "فهذه حرب قذرة". وأجبته: "أنتم تجعلونها قذرة بأفعالكم!".

"ورماني الرجال أرضاً خارج الشاحنة. وظننت أنهم سيقتلونني، لكنهم انطلقوا بعيداً. أما أنا فنزعت

الحجاب عن عيني وتوجهت الى المنزل. وحتى الآن لم أعرف ماذا حل بابنتي أو بخطيبها".

الامهات المجنونات – ان اليأس الذي أصاب عدداً كبيراً من العائلات الارجنتينية أدى الى نشوء حركة معارضة بارزة سميت "امهات ساحة مايو (ايار) المجنونات". وأعضاء هذه الحركة نساء في منتصف العمر واخريات مسنات، ينتمي معظمهن الى قمة الطبقة الوسطى. ويجمع بينهن أن غالبيتهن فقدت بنتاً أو ابناً على الاقل خطفته الشراذم العسكرية. وقد نسبت المجموعة الى "بلازا دي مايو" (ساحة أيار) لانها تظاهرت سابقاً في المكان الذي يحمل هذا الاسم، أمام البناية التي تضم مكاتب كبار الموظفين الرسميين. وهتفت النسوة: "أين اولادنا؟". وكانت الحركة تتألف من ١٧ امرأة، لكنها اليوم تضم المئات. وسخر أحد الرسميين من اولئك النساء، ناعتاً اياهن بالجنون، ومن هنا استمدت الحركة اسمها. وتقول احدى الامهات: "أجل، نحن مجنونات – خبلنا الرعب والالم".

وفي ٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧، اجتمعت "الامهات المجنونات" في احدى كنائس بوينس ايرس من أجل جمع المال اللازم لاعلان في صحيفة يتوجهن به الى الحكومة للسؤال عن مصير اولادهن (★). وبينما كان المجتمعون يغادرون الكنيسة، تصدى لهم رجال مسلحون بالرشاشات وقبضوا على ثماني امهات وأربعة رجال وراهبة فرنسية كانت تعمل مع الامهات، واقتادوهم موثقي الايدي.

وبعد يومين قبض على شريكة الراهبة في السكن، وهي أيضاً راهبة ولكن لا علاقة لها بالحركة. ويظن أن الجميع لاقوا حتفهم. وتشعر "الامهات المجنونات" بأنه من الخطر أن يتلاقين في "بلازا دي مايو"، لكنهن لا يزلن يعقدن اجتماعاً يتم كل اسبوع في كنيسة.

صمت مطبق – لقد أثار حكم الارهاب في الارجنتين احتجاجاً عالمياً قوياً. وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩، طالب البابا يوحنا بولس الثاني الحكومة الارجنتينية علناً بالكشف عن قضية "المختفين". وأوقفت الحكومة الامريكية بيع الاسلحة للارجنتين، كما تدخل الرئيس الامريكي جيمي كارتر والرئيس الفرنسي جيسكار ديستان شخصياً في بعض الحالات الفردية. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩، أجرت "اللجنة الامريكية الداخلية لحقوق الانسان" التابعة لـ"منظمة الولايات الامريكية" تحقيقاً حول هذه المسألة داخل الارجنتين، وتسلمت ما يزيد على العشرة آلاف رسالة من أقرباء المواطنين المختفين.

الا أن الحكومة الارجنتينية ترفض باصرار الكلام على المفقودين. وفي خطاب ألقاه الفريق روبرتو فيولا العام الماضي، يوم كان قائداً للجيش وأحد ثلاثة من الزمرة العسكرية الحاكمة، قال: "هذه الحرب، كجميع الحروب، خلفت جروحاً بالغة لا يبلسمها الا الزمن. هناك موتى

★ على رغم انه ليس هناك رقابة صحافية معلنة في الارجنتين، الا أن أكثر من ٣٥ صحافياً اختفوا، مما جعل الصحف حذرة جداً في ما يتعلق بالكتابة عن حقوق الانسان.

وجرحى وسجناء، وهناك مفقودون لن يعودوا. ولكن لا تسألوا تفسيرات حين تكون هذه غير موجودة".

أما رئيس الارجنتين، الفريق جورج رفاييل فيديلا، فكان اكثر صراحة في مقابلة أخيرة حين قال: "هناك حقاً اناس اختفوا. وهذا من نتائج الحرب. ولا أحد ينكر هذا الامر، على رغم ان أحداً لا يحبه". وقد صرح فيديلا ان بعض المفقودين كانوا فعلا ارهابيين ينتمون الى منظمات سرية، فيما قتل آخرون في اشتباكات مع قوى الامن ولم يمكن تعرف هويتهم. وأضاف الرئيس: "اني اقرّ بأن بعضاً اختفوا نتيجة للقمع المفرط".

ويبدو أن الاحتجاج العالمي والصراع المستمر على السلطة داخل المؤسسة العسكرية أديا الى تقوية العناصر الاكثر اعتدالا، مثل الرئيس، فيديلا، والى تدني نسبة المختفين على نحو ملحوظ. ولكن بالنسبة الى اميليو مينيون وعدد كبير من الارجنتينيين، يبدو أن القلق الملازم للشك لن ينتهي. ويقول مينيون: "لا أظن أن مونيكا حية. ولكن لن أكفّ عن البحث عنها حتى يتأكد ظني".

ولا تزال عائلات كثيرة تحافظ على غرف نوم أفرادها المختفين تماماً كما تركوها، متحدية اليأس، كي يعودوا يوماً. ومن وقت الى آخر تنتشر الاشاعات قائلة أن المختفين لا يزالون أحياء، معزولين في مخيمات للتعذيب. ومع هذه الاخبار ترتفع الآمال، لكنها لا تلبث أن تهبط. فالحقيقة واضحة كلها. ومثل ستار يُسدل على المسرح في نهاية مأساة، ينزل صمت مطبق على الارجنتين.

■ ديفيد ريد

شرط الصلاح

المرء لا يحقق الصلاح بأن يكون ليناً مع الآخرين، بل بأن يكون قاسياً مع نفسه.

م.هـ.

الوزير الصغير

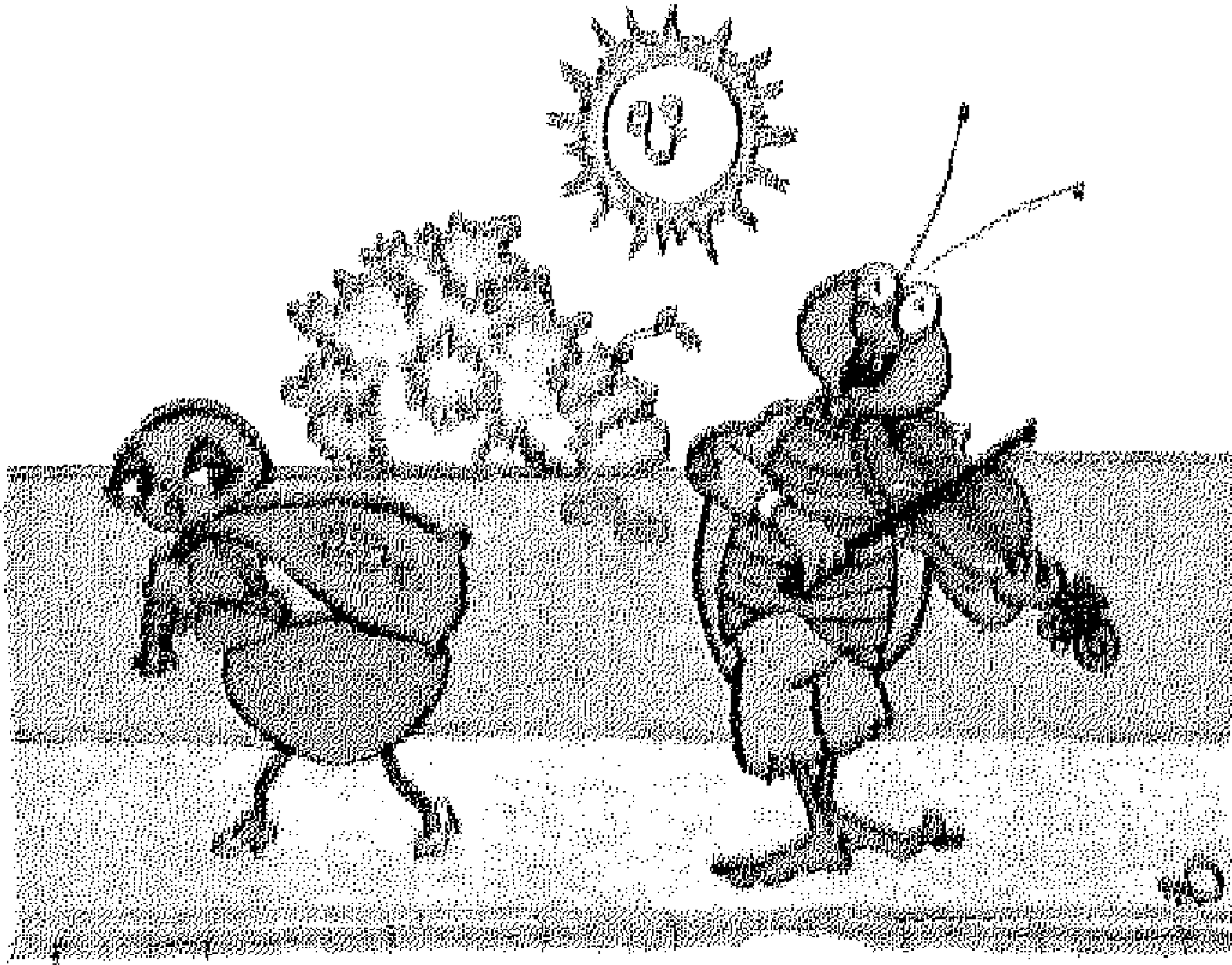
كان تلاميذ الصف الثالث الابتدائي يدرسون تركيب الحكومة ووظائفها. وأعطي كل منهم لقباً: فكان احدهم رئيس جمهورية، والآخر نائباً للرئيس، والثالث وزيراً، وهكذا. وكان ابني "وزيراً" للزراعة. وحين أخبرني ما حصل، سألته عما يفعل وزير الزراعة. فقال: "لا ادري ماذا يفعل هو. اما انا فكانت وظيفتي ري الازهار".

ك.و.

تحت كل ترابة...

قضيت يوماً في بلدة انكليزية احاول تعيين المكان الذي جرت فيه احدى المعارك. ولدى عودتي الى لندن قلت لصديق مؤنباً: "انتم الانكليز لا تضعون اشارات على الاماكن التي جرت فيها حروبكم". فأجاب بلهجة مماثلة: "لو فعلنا ذلك لما بقي لنا ملعب واحد نمارس فيه الرياضة".

ش.ف.



حديقــة أفكار

▩ حين يشير امرؤ باصبعه الى شخص آخر، فليتذكر ان ثلاثاً من اصابعه تشير اليه هو ايضاً.

د. ر.

▩ لا تنبع الشفقة الصادقة الا ممن ادركته المحن.

جون غاي

▩ لا يصنع التقدم اشخاص قانعون.

ف. ت.

▩ تمهل عند اختيار صديق، وتمهل اكثر عند تغييره.

بنجامين فرنكلين

▩ لا تعتمد آراؤنا في الناس على ما نرى فيهم بمقدار ما تعتمد على ما يجعلوننا نرى في انفسنا.

س. غ.

▩ النقود هي الربح الاضافي الذي تجنيه من عمل تحبه.

م. ج.

▩ القراءة من غير تأمل كالأكل من غير هضم.

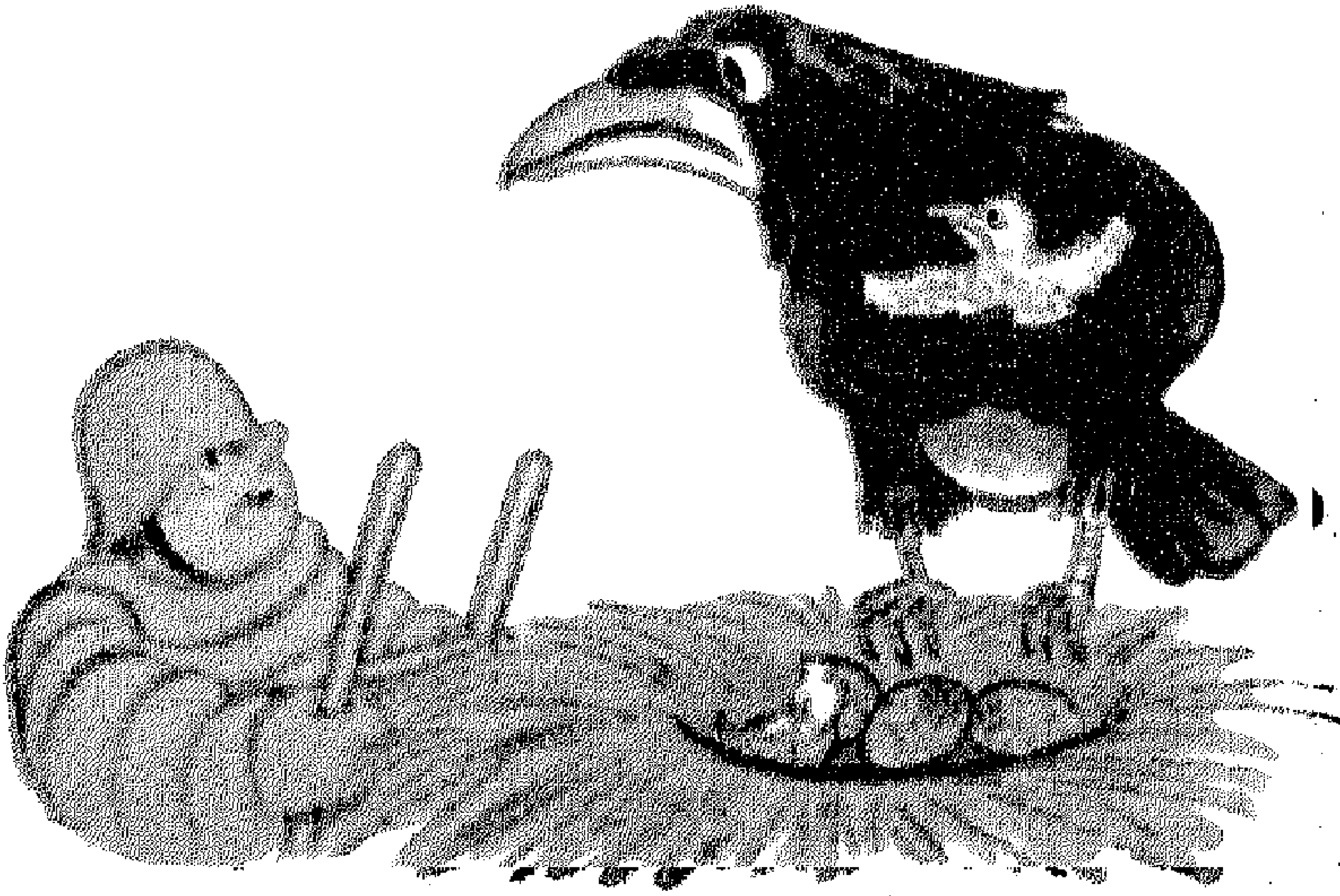
ا. ب.

▩ معظم ابتساماتنا تبدأ بابتسامة شخص آخر.

غ. ر.

▩ كم نتعود لبس الاقنعة امام الآخرين بحيث نبدو في النهاية مقنعين امام انفسنا.

ل. ك.



خذوا الحكمة من... الحيوانـــات

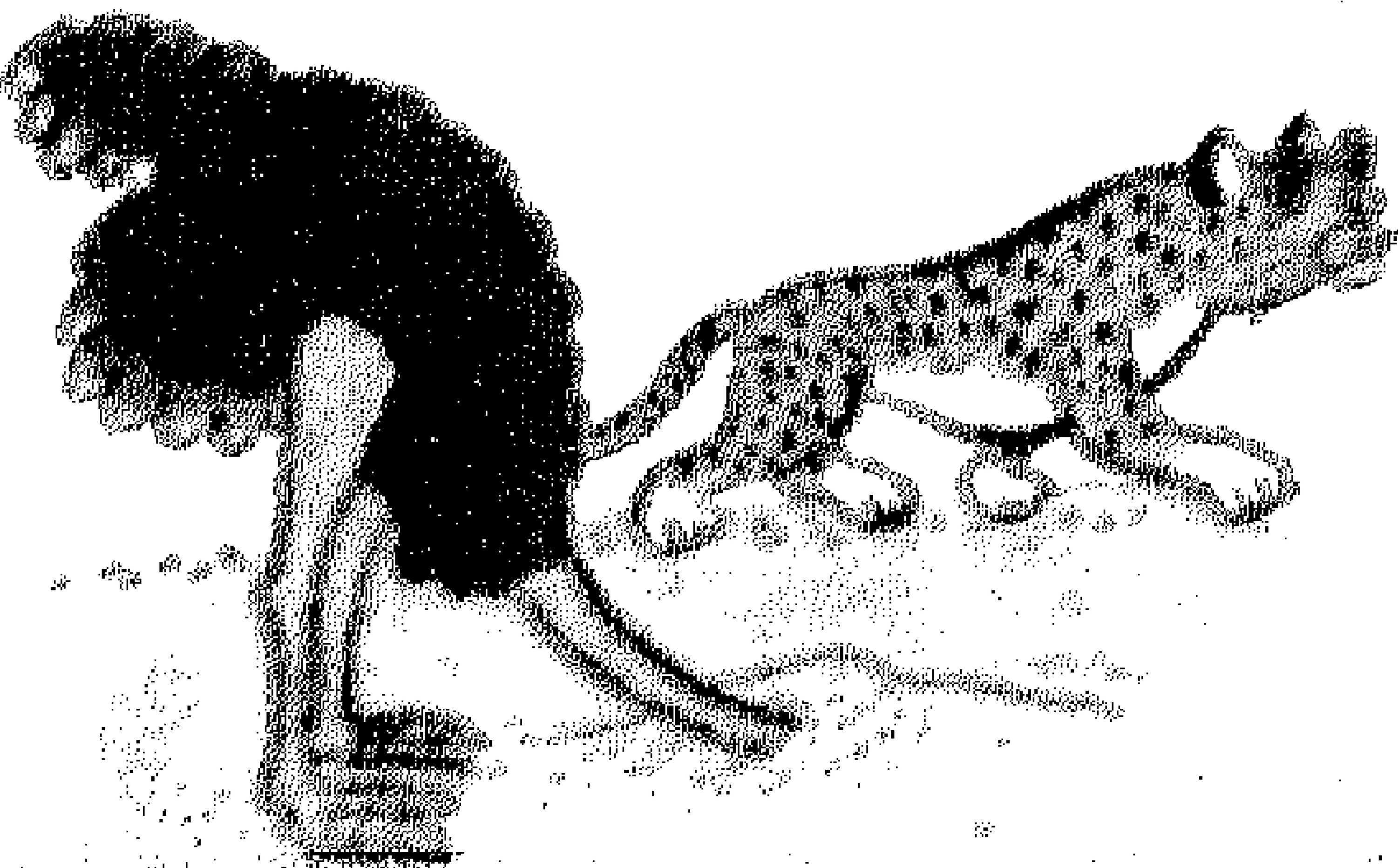
تحفل لغتنا بالمقارنات بين البشر والحيوانات، فنحن نقول: "ماكر كالثعلب" أو "نشطة كالنحلة"، او "يتبادلان الكراهية كالعناكب"، أو "ذلك الصبي يعشق كرة القدم كما تعشق البطة الماء".

وفي كتابه الذي صدر أخيراً بالالمانية بعنوان "اذا كنت وسط الذئاب فاعو"، ينبئنا فيتوس دروشر بأن كثيراً من هذه التشبيهات القديمة سخيف وخاطىء، ويقدم لنا في الوقت نفسه لمحات مدهشة عن الحياة في عالم الحيوان.

جبان كالنعامة ــ هل تلجأ هذه الطيور حقاً الى اخفاء رؤوسها في الرمال عندما يتهددها الخطر؟

تستطيع النعامة أن تسبق أي عدو من أعدائها الطبيعيين، لكن عشها في فترة التكاثر يحتوي على قرابة عشرين بيضة تزن كل منها قرابة كيلو غرام ونصف كيلو غرام، فيصبح بذلك طبقاً شهياً ومغرياً للاسود والفهود وغيرها من الوحوش. ومن أجل حماية تلك الذرية تلجأ أنثى هذا الطائر الضخم السريع الى عدد من الخدع الذكية.

وتتمثل احدى هذه الخدع في عملية تمويه ماهرة. وقد راقبت من مخبئي نعامة راقدة على بيضها، بينما راح فهد يتبختر عبر السهل المنبسط حيث تنتثر الشجيرات. وما ان رأت النعامة



ذلك الفهد حتى بسطت جسمها فوق العش، ناشرةجناحيها على الجانبين وملصقة عنقها الطويل بالارض، فبدت كغصن ضخم ساقط. أما رأسها فبدا مدفوناً في الرمال يكاد لا يرى. ونجحت الحيلة فعلا، فمر الفهد في عدوه البطيء من دون أن يلاحظ النعامة أو عشها.

نشطة كالنحلة - يضم قفير النحل بين ٥٠ الف نحلة و٦٠ الفاً، يهتم ٢٠ الفاً منها بجمع الغذاء وحاجات القفير الاخرى. فبعضها يمد القفير بالعسل، بينما يتولى الآخر جمع لقاح النبات للحصول على البروتيين واحضار الماء ومواد البناء.

وعندما يعمل النحل في حقل



برسيم، تستخلص النحلة الواحدة رحيقاً بمعدل اربع ثوان للزهرة الواحدة. فتحط بذلك على الف زهرة في فترة تزيد قليلا على الساعة، تمتلىء بعدها معدة العسل لديها فتطير عائدة الى القفير. وتزن حمولة معدة العسل للنحلة الواحدة ستة أجزاء من مئة من الغرام. وتقدر حاجات القفير بكيلو غرامين من الرحيق يومياً، وهي كمية تعادل ملء ٧٠ الف معدة عسل.

وربما تبادر الى ذهنك أن هذه الحياة مرهقة، لكن الواقع غير ذلك: أن كل نحلة جامعة للعسل تقوم بخمس رحلات أوست في اليوم، تستغرق اطولها خمس ساعات. أما بقية اليوم فهي ملك للنحلة تقضيها كما تشاء.

كالغراب الذي يهمل صغاره - هذه الصفة يوصم بها الوالدان اللذان يهملان أطفالهما أو يسيئان معاملتهم. ولكن ما هي حقيقة الحياة العائلية للغراب؟

عندما يحين وقت الفقس تعطي انثى الغراب فراخها مقداراً مدهشاً من "معونة الفقس". فجميع الفراخ التي توشك على الفقس تكون مزودة بنتوء قرني في مناسرها الدقيقة، يطلق عليه اسم "سن البيضة" ويحتاج اليه الفرخ كي يشق اخدوداً حول البيضة من الداخل. وبينما تضطر فراخ معظم الطيور الاخرى الى انجاز جزء من هذا العمل، على الاقل، وهي مقلوبة داخل البيض، نجد أنثى الغراب حريصة على أن تدير البيض باستمرار كي تتمكن فراخها من النقر وهي في وضع معتدل.

كما أن فراخ معظم الطيور تكافح كفاحاً رهيباً كي تخرج من البيضة. لكن هذا لا ينطبق على فراخ الغراب. فما ان ترى الام أحد فراخها وقد فقست بيضته حتى تسارع الى رفعه برقة خارج قشرة البيضة وتنظف بدنه تنظيفاً دقيقاً.

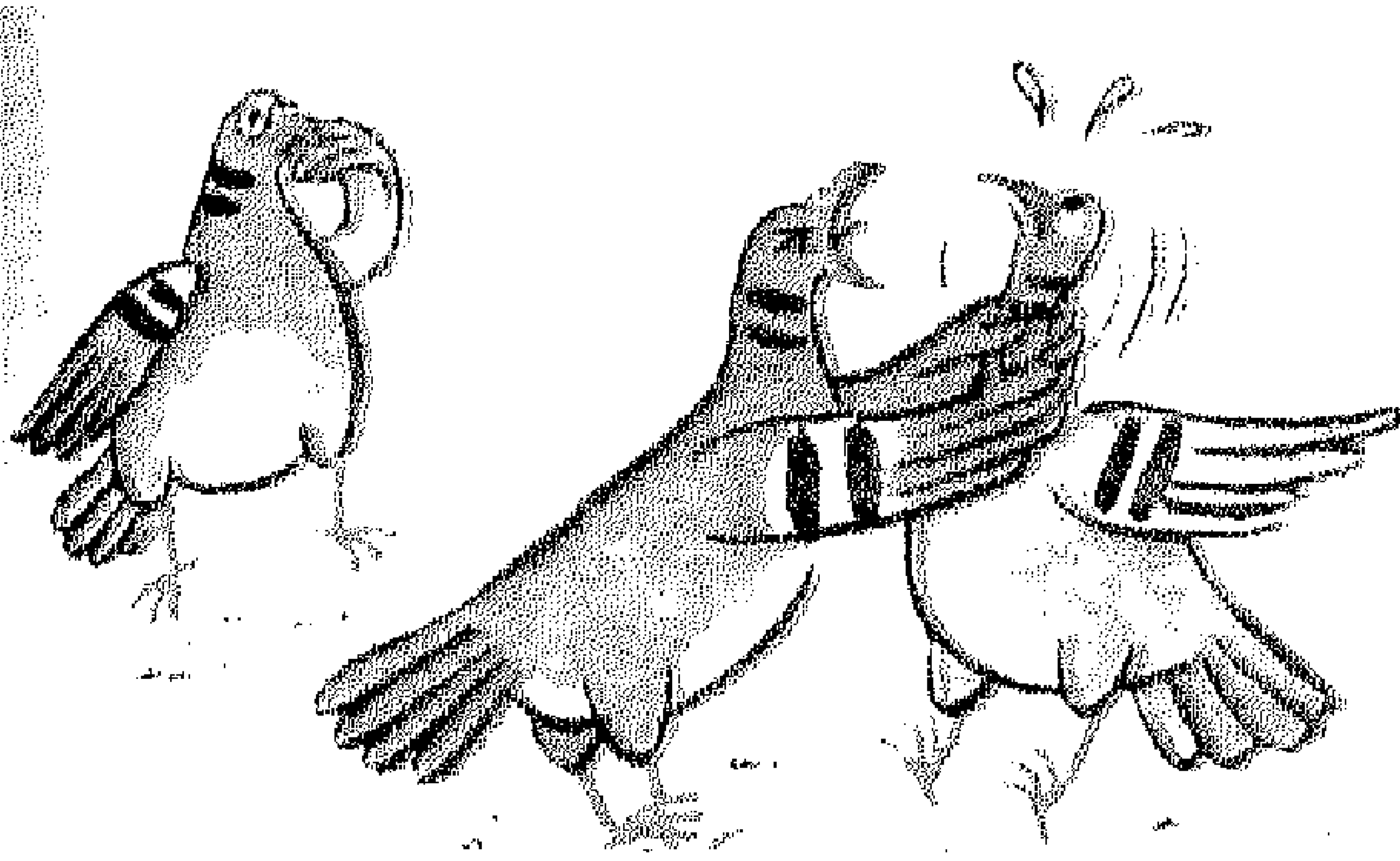
وفي الايام الباردة تغطي الغربان صغارها بقش كالذي يستخدم في بناء العش. وعندما ترتفع درجة

الحرارة تفتح الغربان ثقوباً في ارض العش كي توفر التهوئة للصغار. واذا لم يكف ذلك، فأن أنثى الغراب تطير الى أحد موارد الماء وتغطس فيه، ثم تعود لتعطي صغارها حماماً منعشاً بأن تهز جسدها وجناحيها فوقهم ناثرة عليهم ما علق بريشها من ماء.

ولعل فكرتنا السيئة عن الغربان ترجع الى أنها تدافع عن صغارها بقوة، مستخدمة مناسرها ومخالبها ضد كل من تتوسم فيه العدوان. ولا يجرؤ اختصاصيو الطيور على الاقتراب من عش للغربان يضم فراخاً الا وهم يضعون خوذاً من البلاستيك ويلفون اجسادهم تماماً بقماش سميك.

وديع كالحمامة - هناك امور رهيبة تحدث بين هذه الطيور التي تبدو مسالمة تماماً. مثال ذلك أن عالم الايثولوجيا (سلوك الحيوان) كونراد لورنز، الحائز جائزة نوبل، قرر مرة أن يزاوج بين ذكر يمام أنيق رقيق وأنثى قوية من الحمام المطوق الافريقي كان يملكهما. فوضع الاثنين معاً في قفص رحيب.

ظن لورنز ان المخاصمات الاولية التي رآها بين العروسين ليست سوى مماحكات العشاق المعتادة. فلم يقلقه الامر، ومضى في رحلة عمل مدة يوم واحد. وعندما عاد من رحلته وجد مشهداً رهيباً في انتظاره: "كان ذكر اليمام ملقى في زاوية القفص، وقد نتف ريش رأسه وعنقه وظهره تماماً وتحول جسمه كتلة من اللحم الدامي، وكانت حمامة السلام المطوقة تقف فوقه كنسر يعلو فريسته، وهي لا تكف عن نقر جروحه بقسوة وتقابل



كل محاولة متخاذلة يبذلها للافلات بضربه ضرباً عنيفاً بجناحيها، من دون أن تتوقف لحظة عن هجومها البطيء القاسي للقضاء عليه".

واثبتت التجارب أنه في أي موقف مماثل فان الحمامة الأقوى تهاجم الحمامة الاضعف وتقتلها. لكن هذا السلوك لا يظهر في الحمام الا عندما يكون محبوساً في قفص، وهو لم يلاحظ أبداً في العراء أو في أبراج الحمام، حيث تتاح للطائر الاضعف فرصة الفرار.

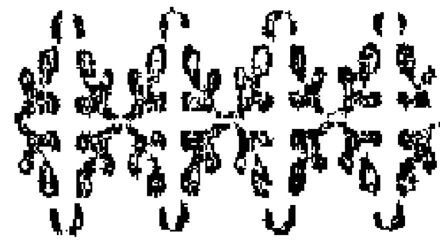
صامت كالسمكة - هناك أسماك كثيرة تصدر أصواتاً. واذا انزل ميكروفون، من النوع الذي يعمل تحت الماء، من سفينة الى صخر مرجاني عامر بالاسماك، فان مكبر الصوت المتصل به على متن السفينة يضج بخليط متنافر من الازيز والصفير. ذلك لان سكان البحر المزعنفين يصدرون أصواتاً متنوعة ذات نغمات مختلفة،من الخشخشةالى الطنين الى القرقعة التي تشبه قرقعة الزيت في المقلاة. وما هذه الاصوات سوى صيحات لطلب الطعام، واشارات انذار، وأغاني حب، ونداءات تزاوج، وصيحات قتال لملايين الاسماك.

ومن أكثر الاسماك زعيقاً وضجيجاً

نوع يسمى أبو شوكة، وهو يصدر عبر مكبر الصوت ما يشبه زئير الاسود. وليست هذه الاسماك الزاعقة هي الوحيدة "الناطقة" بين سكان الاعماق. بل ان سمك الرنكة نفسه يملك لغة خاصة تصدر كتغريد ذي طبقة صوت مرتفعة ترسل عبره السمكة اشارات لرفيقاتها تشبه اشارات "المورس" (الشيفرة). وتراوح مدة التغريدات بين جزء من عشرين من الثانية وأربعة أعشار الثانية. وقد أمكن حتى الآن حل رموز عدد من هذه "الكلمات".

ان القول الشائع ان شخصاً ما "صامت كالسمكة" ربما تضمن مغزى آخر أكثر عمقاً: أن الشخص المعني يبدو صامتاً، لكن عجزنا نحن يحول بيننا وبين "قراءة" ما يصدر عنه من اشارات.

■ فيتوس دروشر



الى امي، مع حبي

قضت امي مدة تعتني بالسلاحف التي رباها اخي البالغ من العمر سبع سنوات بعدما ملها. وما لبثت ان ملت هي نفسها تزويد السلاحف بالطعام والماء، فانذرت اخي بأن يهتم بسلاحفه او أن يهبها أحداً.

وغاب اخي ساعة، ثم عاد وفي يده ورقة زيّن دوائرها وحواشيها برسوم أزهار وكتب عليها العبارة الآتية: "امي العزيزة، هذه السلاحف لك. مع حبي!

ولدك".

ج.ب.

كل على طريقته

كل مخلوق من مخلوقات الطبيعة يواجه الخوف والاضطراب بطريقته الخاصة. فالغزال يطلق ساقيه للريح، والسمكة تنتفخ. أما الحكومة فتكثر من القرارات.

ب.س.

الهر الذكي

قال رجل انه يعدّ هرّه الذي ينام على جهاز التلفزيون من اذكى الهررة للاسباب الآتية: اولا لا يمكن ان يدوسه احد وهو هناك. ثانياً: لقد وجد مرتعاً جميلا ودافئاً ثالثاً: ذلك هو المكان الوحيد في الغرفة الذي يرتاح فيه المرء من مشاهدة التلفزيون.

ج.ز.

مأساة واقعية

الحادث الذي حصل لبطل سباق السيارات العالمي نيكي لودا
في بلدة نوربرغرينغ الالمانية
كان كافياً لانهاء حياته ـ المهنية على الاقل.
غير انه كان بداية لاعظم انتصار يحققه

نيكي لودا
بطل يقهر الموت

حين وصلت مارلين لودا الى مطار كولونيا، في المانيا الغربية، مساء الاول من اغسطس (آب) ١٩٧٦، توقعت أن يكون زوجها نيكي لودا، بطل العالم في سباق السيارات، في انتظارها. وكان لودا يتبارى للحصول على جائزة المانيا الكبرى في بلدة نوربرغرينغ القريبة. لكن مارلين كانت تبقى معظم الاحيان بعيدة عن حلبة السباق، اذ يكفي ان ترى مشاهد السباق على شاشة التلفزيون ليضطرب قلبها. واتفقت تلك المرة على أن تلتقي زوجها في المطار بعد السباق للعودة الى منزلهما في سالزبورغ.

الا أن لودا لم يكن في ردهة المطار، بل تقدم الى مارلين رجال لا تعرفهم، ناقلين الخبر السيىء، وهو أن اصطداماً حصل لزوجها، نقل على أثره الى المستشفى في بلدة مانهيم على بعد (٢٤١ كيلومتراً).

ولم تدر مارلين كيف مر الوقت قبل أن تجد نفسها واقفة في غرفة "العناية الفائقة"، تنظر الى قناع ضخم لا يشبه وجه زوجها. لقد أصاب وجهه حرق كبير جعله يتورم ليكبر ثلاث مرات حجمه العادي. وغارت عيناه وأنفه تحت كومة من اللحم المتفحم. وبدا أن كل حشرجة من فمه الواهن هي حشرجة نزاع.

رافق أحد الاطباء مارلين الى الخارج، فسألته: "هل ستكتب له

الحياة؟ "فهز الطبيب رأسه وأخبرها أن حروق زوجها الخارجية تمكن معالجتها، لكنه تنشق اللهب والغازات السامة التي عبرت الشعب الهوائية الى الرئتين. وهو لن يصمد سوى ساعات قليلة.

وانتظرت مارلين الليل بطوله وهي تبكي. لكن نيكي لودا، الذي قبع وراء الابواب الموصدة متحسساً الموت حوله، أبى أن يستسلم.

لقد بدأ يوم السباق ماطراً، فأضاف المطر عنصراً جديداً الى الخطر الذي يلازم حلبة السباق الكبرى في نوربرغرينغ. وحاول لودا عبثاً اقناع المسؤولين بأن ينقل سباق ذلك العام الى منطقة اخرى، متذرعاً بأن قيادة سيارة سباق خاصة (★)، ذات ١٢ أسطوانة وقدرة ٥٠٠ حصان، على حلبة نوربرغرينغ تشبه انزال طائرة جمبو فوق قطعة أرض معشبة. فهي مقسمة مراحل تمتد كل منها مسافة ٢٢،٥ كيلو متراً يتخللها ١٧٦ منعطفاً حاداً، ويرتفع عدد كبير منها على نحو مفاجىء. وتعرجاتها، كما يؤكد سائقون كثيرون، قلما تسمح للمشترك بأن يدفع السيارة بسلام الى خارج الحلبة في الاحوال الطارئة.

وبغض النظر عن تلك الحلبة بالذات، فأن محاولة انتزاع "الجائزة الكبرى" تبقى امتحاناً مرهقاً للسائقين والسيارات معاً. فهي تقتضي ١٧ سباقاً تمهيدياً، كل منها مجهد في ذاته، تجرى خلال عشرة أشهر في قارات العالم الاربع. وفي تجارب التصفية، لا تفصل السيارة الفائزة عن السيارة الناجحة الاخيرة سوى ثوان معدودة.

وللفائزين الستة الاول وحدهم، من بين ٢٥ متبارياً، حق الاشتراك في سباق الجائزة الكبرى التي تحمل الملايين الى الفائز... لكنها قد تحمل الدمار كذلك. فقيادة سيارة خاصة بمثل هذا السباق بسرعة ٣٢٢ كيلومتراً في الساعة تعني اجهادها الى أقصى حد. ومن السائقين الاربعة عشر الذين احتلوا مرتبة السباق الاولى منذ ١٩٥٠، قضى أربعة على الحلبة.

سبّاق أصيل — لم يكن ثمة شيء يخمد حماسة اندرياس·نيكولاوس لودا للسيارات السريعة. وهو في الثلاثين، وابن رجل أعمال من فيينا عاصمة النمسا. باشر قيادة السيارات السريعة في الثامنة عشرة عندما أقنع جدته بأن تشتري له سيارة سباق "ميني كوبر" دفعت ثمنها ٣٩٠٠ دولار. وبعد أربع سنوات تمكن خلالها من احتلال مرتبة مرموقة في عالم السباق، اقترض نيكي مئة الف دولار من أحد المصارف للانخراط في فريق بريطاني لسباق السيارات قائداً سيارة «Formula I» وفي ١٩٧٤ اجرى عقداً مع انزوفيراري، رئيس شركة فيراري الايطالية لصناعة السيارات وأحد ابرز الشخصيات في عالم السباق. تلك السنة احتل نيكي المرتبة الرابعة في سباق الجائزة الكبرى. وفي السنة التالية حل في المرتبة الاولى وحصل على البطولة. وفي السنة التالية اشترك في سباق جائزة المانيا الكبرى وفاز في خمسة من السباقات التسعة الاولى.

(★) تعرف بين هواة السباق بـ «Formula I»

وعلى رغم المطر، كان هناك ٣٠٠ ألف مشاهد يملأون مقاعد نوربرغرينغ في الاول من اغسطس (آب) ١٩٧٦ حين بدأ لودا استعداداته الاخيرة قبل مباشرة السباق. فملأ اذنيه بالشمع والقطن، وارتدى سترة غير قابلة للاحتراق، ووضع قناعاً على وجهه، ثم لبس سروالا مقاوماً للحريق وشده الى بقية ثيابه. وقبل دقائق من بدء السباق توقف المطر وظهرت الشمس. لكن لودا قرر ابقاء اطارات المطر في سيارته الفيراري الحمراء حتى تجف أرض الحلبة.

وعلى رغم ان تجارب التصفية وضعت لودا بين المتقدمين، الا أنه تخلف حتى المرتبة التاسعة، وما لبث أن توقف في المكان الخاص على جانب الحلبة لتبديل اطارات سيارته الرطبة باخرى جافة، لانها ملساء وأكثر سرعة. واستغرق ذلك ستين ثانية، انطلق بعدها بسرعة تاركاً آثار عجلاته على جانب الحلبة.

وفي منتصف الدورة الثانية حدث أمر غريب. ويقول بعضهم ان احدى عجلات السيارة انفصلت عنها، بينما يقول آخرون ان السيارة مرت فوق أرض رطبة. أما لودا نفسه فلا يتذكر تلك اللحظة. فهو انعطف يساراً بسرعة ٢٢٥ كيلو متراً في الساعة عبر منعطف مرتفع، فطارت سيارته واصطدمت بسور الحلبة. وانفتحت خزانات الوقود وتقهقرت السيارة واستقرت وسط الحلبة. وتمكنت السيارة التي تلتها مباشرة من الانعطاف حولها من دون أن تمسها سوى مس خفيف. الا أن السيارة اللاحقة اندفعت عبر المنعطف بسرعة جنونية واستقرت في الحطام، وسط صرير الفرامل، مشعلة فيه النار.

وسط الجحيم – كان لودا مسمراً في مقعده بحزام سيارته الشديد الاحكام، فلم يستطع الوصول الى عدة اطفاء الحريق في السيارة. وقد طارت الخوذة عن رأسه واسود القناع الذي يستر وجهه من شدة الحرارة. وتوقف بعض المتبارين مسرعاً الى نجدته. ووثب أحدهم، وهو الايطالي آرتورو مرتساريو، الى وسط الحريق ليفك حزام لودا ذا الازرار الستة. ثم اقتحم مقدم السيارة وسحب لودا من الحطام الملتهب.

واستجمع لودا ما بقي من قوته للمشي خارج ذلك الجحيم. ولمس وجهه الدامي المتقرح وسأل منقذيه: "كيف أبدو؟"، فكذبوا عليه قائلين: "حسناً"... وخرج من وسط الحريق.

كان لودا قد مكث نحو ٤٥ ثانية في الحطام الملتهب، يتنشق الابخرة السامة المتصاعدة من عناصر السيارة الكيميائية. ووجد الاطباء في مستشفى لود فيغسهافن، الذي نقل اليه بطائرة هليكوبتر ويبعد ١٤٥ كيلو متراً عن مكان الحادث، ان في وجهه ويديه حروقاً من الدرجتين الثانية والثالثة. كما وجدوا أن احدى عظام خديه سحقت وأن ثلاثاً من أضلاعه كسرت. لكن الخطر الاكبر على حياته كان آتياً من حال رئتيه. ونقل بعد ظهر اليوم نفسه الى عيادة جامعة مانهيم، وهي أقرب مستشفى مجهز بالعدة اللازمة لمعالجة الاصابات الرئوية الطارئة.

وبقي لودا طوال الايام الثلاثة التالية معلقاً في فراغ مجهول، لا

يقوى على الكلام أو الرؤية، وان يكن أحس بوجود زوجته وآلة التنفس الاصطناعي والاوكسجين والانابيب التي شدته الى الحياة بخيط رفيع. وعجب الاطباء من قوة تشبثه بالحياة لكن هذا لم يغير حقيقة كونه على وشك الموت.

وفي لحظة ما شعر نيكي بأن جسده بدأ يستسلم توقاً الى الراحة من الالم. غير أن عقله رفض الاستسلام. فهو كان مصمماً على البقاء والخروج من ذلك النفق الحالك. وعلى رغم أن رجل دين استدعي يوم الثلثاء لاعطائه الاسرار الدينية الاخيرة، وهو ما يمنح عادة للمشرفين على الموت، الا أنه ركز أسماعه على الاصوات والاحاسيس التي تؤكد مكانه بين الاحياء.

انقشاع الظلمة - راحت الظلمة تنحسر ساعة بعد اخرى. حتى اذا حل مساء الاربعاء كان تنفس لودا تحسن بحيث استغنى عن آلة التنفس الاصطناعي. وفي اليوم التالي أصر على الجلوس على كرسي. ويوم الجمعة استعاد نظره وصوته، فألقى يده المربوطة على ذراع زوجته ومشى حول الغرفة. ومنذ ذلك الوقت كانت مارلين هي التي ساعدته في العودة الى الحياة بمحبتها وعنايتها وايمانها المطلق بأنه سيتعافى.

في ذلك اليوم، الجمعة، رفع الاطباء اسم لودا عن لائحة المرضى الذين في حال الخطر، فيما استمر تحسنه يوماً بعد يوم. وتحمل بعد ذلك عمليات ادخال السوائل في اوردته ووخز الابر وتغيير الدم كله مرتين اضافة الى جراحة رئيسية لترقيع الجلد. وأزيل الجلد المحروق عن وجهه وأبدل بنسيج جلدي أخذ من أعلى فخذه. ولم يكد ينقضي اسبوعان على الحادث حتى أخبر مارلين بأنه عائد الى المنزل ليستعد لمباراة جائزة ايطاليا الكبرى التي ستجري في ١٢ سبتمبر (أيلول) في مونزا.

ووافق الاطباء على مضض. وأخبروه أن وجهه يلزمه المزيد من الجراحة الترقيعية، وأنه يحتاج الى اشهر قبل أن يتعافى كما ينبغي. لكن لودا أصر على الاشتراك في المباراة بحجة أن الجراحة الترقيعية يمكن تأجيلها.

ويتذكر لودا تلك الفترة: "كنت أعرف ما يدور في أذهان الناس، وهو أن شخصاً ذا وجه كوجهي يحسن به أن يخفي نفسه عن الآخرين. لكن موقفي الشخصي يختلف عن هذا. فأنا لدي موهبة ومهنة. واذا صح أنها انتهت، فالافضل أن اكتشف ذلك فوراً".

ولدى عودته الى سالزبورغ، بدأ نيكي نظاماً صارماً لاعادة تكييف جسده فكان يركض قرابة ساعة يومياً، ويجري تمارين الجلوس وثني الركب مرات لا عد لها.

وللمرة الاولى منذ الحادث، أصبح ينام ملء عينيه، من غير أن يقض شبح الموت مضجعه.

وقبل ثلاثة أيام من موعد سباق جائزة ايطاليا الكبرى، أعلن فيراري رفضه أخذ لودا على عاتقه. لكن لودا، وكان وصل الى مونزا، ليدخل تجارب التصفية، لم يكترث لما قاله فيراري. فقد عقد العزم على أمر خطير. ولكن ما ان وصل الى طريق مستقيم كان

يجب أن يقطعه بسرعة قصوى حتى ارتفعت قدمه، على نحو غير ارادي، عن دواسة البنزين. ولما حصل الامر نفسه مرة اخرى، انسحب لودا من السباق ذاك النهار، وأخذ يحلل المسألة في نفسه، فرأى أنه اذا شاء الاستمرار في مهنة السباق فيجب أن يبقى متفوقاً.

وبعد انقضاء ستة آحاد على حادث نوربرغرينغ، كان لودا يتم الدورة على حلبة مونزا كما كان يفعل في أيام عزه. وعلى رغم انه لم يحل في المرتبة الاولى، بل في الرابعة، الا ان الجمهور قابله بتهليل حماسي. ولئن يكن بين الرياضيين الآخرين من تعافى بعد اصابة خطرة، الا أن لودا عاد من الموت الى الحياة.

بطل لا يهزم — ولكن على لودا أن يواجه امتحاناً آخر للشجاعة قبل نهاية الموسم، فبعدما غاب عن سباقين خلال تمريضه ونقاهته، وصل لودا الى المباراة الاخيرة في بطولة ذلك العام، وهي سباق جائزة اليابان الكبرى، وهو يسبق الانكليزي جيمس هنت، اقرب منافسيه، بثلاث نقاط فقط. وسينتزع احدهما بطولة العالم.

وفي يوم السباق غطى المطر الحلبة القائمة على سفح جبل فوجي وعتمها الضباب. وأخر موعد بدء السباق، فيما راح المتبارون يتناقشون حول امكان الغائه. لكنهم رضخوا أخيراً لالحاح المشاهدين الذين بلغ عددهم ٥٥ ألفاً، وبدأوا سباقهم على أرض الحلبة المبللة. وكان لودا في الصف الثاني، فأكمل الدورة الاولى وسط الرذاذ المتطاير من السيارات امامه، ثم انسحب بهدوء الى جانب الحلبة فهو أجرى حساباً دقيقاً للاخطار، فوجد القائمة طويلة طول حلبة السباق. لذلك قرر عدم الاستمرار.

وكما كان منتظراً، كثر اللغط عن ان حادث نوربرغرينغ قضى على اعصاب لودا ورباطة جاشه. غير ان جيمس هنت، الذي استمر في السباق وانتزع لقب البطولة، ادرك ان انسحاب لودا في فوجي كان ضرباً أصيلا من الشجاعة. وقال: "يمكنك التفوق على لودا اذا كان حظك كبيراً. أما أن تحطمه فأمر مستحيل. انه عائد الى الحلبة".

وصح رأي هنت. فقد استهل لودا موسم ١٩٧٧ بانتزاعه جائزة جنوب افريقيا الكبرى في السباق الثالث ذلك العام. وانطلق يحقق انتصاراً بعد آخر. وحين توجه المتبارون الى اليابان لانهاء الموسم، لم يكن لودا بينهم. والسبب هذه المرة أنه لم يكن يحتاج الى الذهاب، اذ كان قد انتزع بطولة العالم في سباق الجائزة الكبرى في الولايات المتحدة الذي جرى في واتكنز غلين (نيويورك)، وهو السباق الثالث قبل نهاية الموسم... ان الرجل الذي رفض الموت بارادة لا تقهر عاد حقاً الى الحياة.

■ لورنس اليوت

قيمة الخبرة

الخبرة لا تساعدنا البتة على تجنب ارتكاب حماقة، لكنها تمنعنا عن الاستمتاع

ف.ك.

ماليزيا

شبه الجزيرة الذهبي

فوق ارض ساحرة تزخر بالخيرات تتنازع فئات الشعب على السياسة

خيم الليل على شبه جزيرة ماليزيا. ولم يكن ذلك ظلاماً هابطاً وانما في شكل ظلال راحت تتلاحم حتى غلفت بالسواد كل شيء. وخرجت الأفاعي من جحورها وأخذت تزحف على الارض المكسوة بنبات السرخس (الخنشار).

وكنا قضينا ساعتين في انتظار ظهور الحيوانات البرية في موقع قريب تقصده لتلعق الملح. وقال عالم الطبيعة الصيني الشاب الذي يشاطرني الترقب أننا سنرى الثيران البرية في بداية المساء. وكنا نأمل أيضاً في رؤية نمر أو فهد أسود أو أي حيوان آخر الا الخنازير البرية التي تنتشر في كل مكان.

وكان لدينا سبب يبرر ما توقعناه من مشاهدات لا تنسى. فنحن في شبه جزيرة ماليزيا الملقب بشبه الجزيرة الذهبي، وهي أرض غنية بالحيوانات المختلفة.

لكننا بقينا حتى منتصف الليل من دون ان نرى سوى وعل من نوع "صمبر"، وان تكن تناهت الى سمعنا أصوات كثيرة، منها ثرثرة السعادين وهدير مكتوم بعيد ربما صدر عن فيل، ذلك لأن الفيلة تعيش هنا سعيدة بغذائها الوافر من ثمار نخيل الزيت وبما تنعم به من فرص الابتراد، اتقاء للحر، في الانهار ذات المياه القاتمة بلون البن.

حدث مراراً خلال اقامتي الطويلة في ماليزيا أن وجدتني مجذوباً نحو مهرجان الأدغال الاستوائية. وكنت أخرج منه دائماً باحساس متجدد

بعنف الغابة التي لا تكترث بمصير المتجولين في ممراتها الرطبة·

ومع ذلك فان هناك اشخاصاً يتخذون من الغابة ملجأ لهم، ومعظمهم ثوار شباب من أصل صيني، يزيد عددهم على الألف· واذا كان التمرد الذي يتخذ قاعدته في الأدغال الاستوائية أمراً غير جديد في ماليزيا، إلا انه انتعش بعنف بعد أكثر من عشرين عاماً من الاستقلال·

أن قوة قوامها ألف ثائر ربما بدت ضئيلة اذا قورنت بعدد السكان الذي يزيد على ١٢ مليوناً· لكن النشاط الارهابي هنا مثل حبة رمل داخل العين: انه مصدر ضيق يصعب التخلص منه، ومثار الم ودموع لأنه يكلف اشخاصاً عديدين حياتهم·

خيط المدنية الرفيع - بدأت المأساة فعلا خلال الحرب العالمية الثانية، عندما غزا اليابانيون ارض ماليزيا واحتلوها· فتجمعت قوات المقاومة، التي ضمت بريطانيين وماليزيين وصينيين، في الأدغال طوال ثلاث سنوات ونصف سنة· وبعد ان انتهت الحرب وعادت البلاد محمية للامبراطورية البريطانية، آثر قائد صيني في قوات المقاومة، هو تشين بينغ، ان يبقى في الأدغال، حيث مضى يدير حركة مقاومة جديدة ضد الحكم البريطاني·

وفي العام ١٩٥٧ نالت البلاد استقلالها، وأصبحت اليوم تضم ١٣ ولاية تتمتع كل منها بدرجة معينة من الادارة الذاتية المستقلة عن العاصمة الفديرالية كوالا لمبور· اما الرئيس الأعلى للبلاد فهو الملك يانغ دي - بيرتوان اغونغ، غير ان مهمات الحكم الرئيسة هي من اختصاص رئيس الوزراء داتوك حسين اون ومجلسين برلمانيين·

ومنذ الاستقلال أخذ تشين بينغ يوجه حركة التمرد التي يتزعمها ضد الدولة الجديدة· ولما كانت الأدغال تغطي أربعة أخماس أراضي ماليزيا - ويشمل ذلك ولايتي ساراواك وصباح اللتين تبعدان عن العاصمة أكثر من ٦٤٠ كيلومتراً عبر مياه بحر الصين الجنوبي - فان مجال الاختباء فسيح أمام الثوار· وما تبقى بعد الأدغال هو حافة من المدنية التي تربض بين الأشجار على أحد الجانبين والبحر على الجانب الآخر، فتغدو مكاناً ساحراً حلت عليه نعمة الرخاء·

وماليزيا هي المصدر الرئيس للمطاط الطبيعي والقصدير وزيت النخيل· وهي تجمع الى ذلك حقول النفط الخام ونباتات الفلفل التي ادخلت الى البلاد ١٣٦ مليون رينغيت (قرابة ٥٤ مليون دولار) في العام ١٩٧٦ وحده·

الرينغيت (العملة الماليزية) اذاً يتمتع بمركز قوي· ولذا، ففي اللحظة التي كانت إحدى قنابل الارهابيين تنسف نصباً تذكارياً وطنياً في كوالا لمبور واصل المستثمرون تعبيرهم العملي عن ثقتهم باستقرار البلاد· غير أن بعضهم يقول إن هذا الاستقرار لن يستمر، وأنه ما لم ينجح الثوار في إسقاط النظام فان الفتنة العنصرية ستتكفل بذلك·

والحقيقة أن ٤٧ في المئة فقط من السكان هم من أهل ماليزيا الأصليين، ويطلق عليهم اسم بوميبوترا أي "أبناء الأرض"· وهؤلاء يؤلفون

غالبية فقراء ماليزيا، إذ أن معظمهم مزارعو رز وقرويون وصيادو سمك. ويأتي بعدهم الصينيون بنسبة ٣٢ في المئة من السكان، وكثير منهم صيارفة ومقاولون وتجار واقطاعيون. وتتألف بقية سكان ماليزيا من الهنود، وهم الأقلية التي لا تضم العمال وأجراء مزارع المطاط فحسب، بل تضم كذلك النخبة المتفوقة من أطباء الأمة ورجال القانون فيها.

وتتجه سياسة الحكومة في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية الى رعاية أهل ماليزيا الأصليين وأفراد القبائل، الى حد ان الخطط الحالية تهدف الى جعلهم عام ١٩٩٠ مسيطرين على ٣٠ في المئة على الأقل من الاقتصاد الوطني. ولهؤلاء الافضلية في الوظائف الحكومية والمنح الدراسية ورخص انشاء مؤسسات الأعمال الحرة ومنح الأراضي التي تهبها الحكومة.

ان اختلال التوازن العنصري هذا هو الذي نمى بذور الاضطرابات التي حدثت عام ١٩٦٩ في اثر انتخابات عامة هزت نتائجها مركز الحزب الحاكم. وخشي الماليزيون الأصليون ان تكون الأقليات على وشك السيطرة على الحكم، فتجمعوا في الطرق وبدأت أعمال العنف العنصري. ولم تلبث النار ان استعرت في كوالالمبور.

وقال صيني ماليزي المولد في العقد الرابع: "الحقيقة ان مسؤولية اضطرابات ١٩٦٩ تقع على كلا الطرفين. فالماليزيون الاصليون الذين كانوا يسيطرون على الحكم لم يكونوا عنصريين، لكنهم رفضوا التنازل عن اي جزء من سلطتهم. وفي الجانب الآخر كان الصينيون الذين غاظتهم السيطرة السياسية للماليزيين.

"إن الماليزيين يستحقون الرعاية بلا شك، فهم الأغلبية ومعظمهم يعانون الفقر الشديد. لكن سياسة الحكومة في محاباتهم كان ينبغي تنفيذها مرحلياً حتى تتاح لجميع الاطراف فرصة التكيف مع الأوضاع الجديدة. ذلك لان اغلاق الباب ببطء وهدوء في وجه الصيني امر، واغلاقه بعنف دفعة واحدة امر آخر".

الارض الكريمة - في هذه الاثناء تجتهد الحكومة في ادماج السكان الاصليين القدماء في بقية الامة. ويسمى هؤلاء أورانغ آسلي (الشعب الاصلي)، وعددهم حوالي ٦٠ ألفاً، غالبيتهم من المزارعين المتجولين.

وخلال حال الطوارئ التي استمرت ١٢ عاماً، بينما كان التمرد منتشراً على نطاق واسع، كان قرابة ٣٠ الفاً من الأورانغ آسلي في الغابات تحت سيطرة المتمردين. وبعد الاستقلال وجهت الحكومة جهودها لاجتذابهم. ويقول الدكتور باهارون أزهر بن رافعي، المدير العام لدائرة شؤون الأورانغ آسلي: "كان الهدف الرئيس لدائرتنا في ذلك الوقت هو ما يمكنك ان تسميه حرباً نفسية. ونحن نرى الآن ان السبيل الى درء الخطر عن هؤلاء الناس هو تخفيف وطأة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تثقل كواهلهم. ويمكن القول اننا لقينا منهم قبولا حسناً".

وتنهض الحكومة أيضاً بدور ناشط وايجابي في الصناعة، خصوصاً في ما يتعلق باستغلال الموارد الطبيعية كالمطاط والقصدير. وشجرة المطاط

هي العمود الفقاري للاقتصاد الوطني، كما أنها مصدر الرزق المباشر أو غير المباشر لأكثر من ثلاثة ملايين نسمة. والمطاط هو من أكثر السلع الاستوائية خضوعاً للدراسات والبحوث، ولذا فان أشجار المطاط الحالية في ماليزيا هي اكثر جودة الى حد بعيد من كل ما زرع منها في أي وقت مضى.

والارض الاسيوية التي تستقبل الجذور العميقة لشجرة المطاط ثرية كذلك بالقصدير الخام. وانتاج ماليزيا من القصدير، مثل انتاجها من المطاط، هو اضخم مما ينتجه أي مكان آخر في العالم. وهو يستخرج من المناجم العميقة او من المناجم المفتوحة بالحفر. والكميات الموجودة هائلة، لكن مشاكلها كثيرة أيضاً.

ويقول دمبستر، الرئيس السابق لغرفة صناعة التعدين في ماليزيا: "ان عبء الضرائب المفروضة علينا ثقيل، كما أن التضخم أصابنا اصابات بالغة. والحق ارتفاع أسعار النفط أضراراً كبيرة بعمليات التعدين التي تستخدم فيها المضخات الصغيرة التي تسحب الحصى، كما أن ضعف الطاقة الكهربائية وما ترتب عليه من ارتفاع أسعار التيار الكهربائي وضعا عوائق خطيرة في طريق الصناعة. وتضاف الى هذا كله صعوبة الحصول على رخص التعدين من الحكومة".

وفي العام ١٩٧٥ هبط انتاج القصدير في البلاد الى أدنى مستوى له منذ عشر سنين. كما تدنى عدد العاملين في هذه الصناعة فلم يتجاوز الاربعين الفاً.

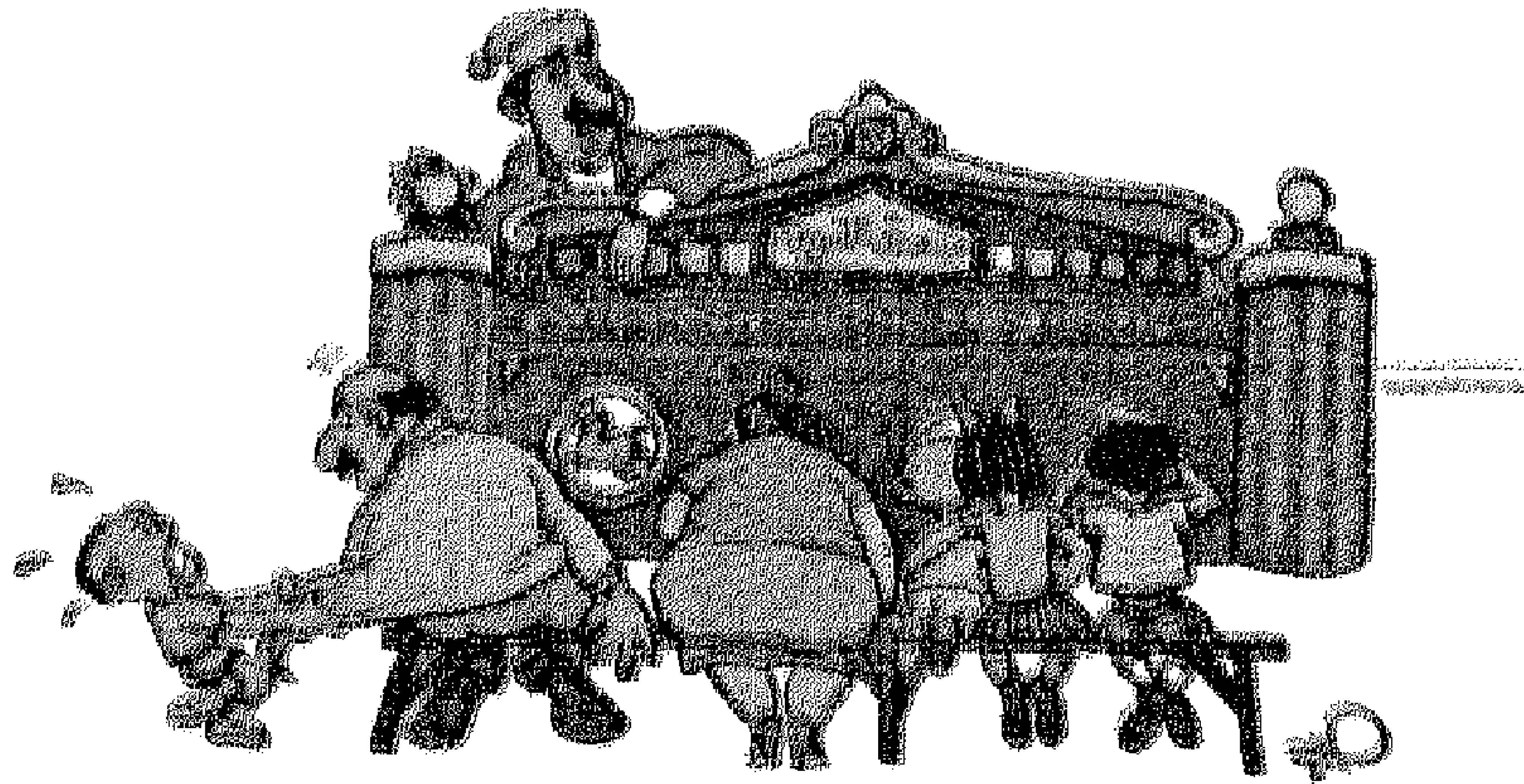
وتنشط الحكومة في تغيير الوضع، وتزداد مساهمتها في المشاريع الصناعية. وفي ١٩٧٥ كان القطاع العام يساهم بدرجات متفاوتة في أكثر من مئتي مشروع عام، يضاف الى ذلك ما تبذله الهيئات الحكومية التي تشرف على تنمية المنتجات الأولية في البلاد، خصوصاً المطاط والقصدير وزيت النخيل والفلفل.

وتمكنت حكومة كوالالمبور حتى الآن من تفادي الغرق في خضم المشاكل الكثيرة التي تواجهها ماليزيا، لكن التنبؤات تشير الى ان بحار المستقبل هائجة وتنذر بملاحة عسيرة.

وقال لي محرر صحيفة تصدر بالانكليزية: "كان على رئيس الوزراء حسين ان يلعب في حلبة المناورات السياسية بأكبر مقدار من الحذر والدهاء. فهناك مشكلة الثوار التي ظلت حتى اليوم مقتصرة على الصينيين الى حد بعيد، لكن خطرها سوف يتفاقم لو أصبحت حكومة الثوار قضية يتبناها الفقراء. وإذا حاول حسين استرضاء الصينيين عن طريق الانحراف المفرط عن سياسة رعاية أهل ماليزيا الأصليين فانه سيغضب هؤلاء بدورهم الى حد يثير ثائرتهم فيتمردون. والحق انه يسير على حبل مشدود، ومصير حكومته مرهون بالتوازن الدقيق".

غير انه مهما حدث في ماليزيا، بما تضمه من خليط الاجناس البشرية، فمن غير المحتمل ان تسفر الاحداث عن تحقيق معجزة الانسجام. ومن غير المحتمل أيضاً ان تسكت أصوات الساخطين والمتمردين التي ترتفع من ملاجئهم في الأدغال المتشابكة.

■ **وليم اليس**



صور من الحياة

سلامة اسنانك!

اصر صديقي المهووس بالرياضة على ان العب معه في اثناء الاجازة الاسبوعية، على رغم الصقيع الشديد.
وعلق على الطقس بعد اللعب قائلا: "الشيء الوحيد الذي لاحظته هو اني لم اجد اي صعوبة في المحافظة على جمود ذراعي اليسرى وكذلك اليمنى، وعلى استقرار ساقي وظهري ورأسي، وحتى عنقي، من دون اي حراك. والواقع ان الاشياء الوحيدة التي تحركت في هي اسناني".

ر.س.

مسامير الطقس

تقدمت بطلب لوظيفة نجار محترف بناء على اعلان مبوب في صحيفة. وقابلني خبير امضى سنوات طويلة في تلك المهنة، واعطاني حفنة من المسامير وطلب مني ان احملها. وبعد ان تبادلنا الكلام عن حال الطقس، قال لي انه قرر توظيفي.
وكان تعليقي الفوري: "كيف تأخذني وانت لا تعرف مؤهلاتي؟"
فاجاب: "كنت ابحث عن شخص لا يهدر الوقت. ووجدت فيك ضالتي المنشودة. فحين كنا نتكلم عن الطقس، قمت انت عن غير قصد بترتيب المسامير التي اعطيتك اياها في اتجاه واحد".

د.ش.

ترميم الوجوه

عمدت دوقة بدفورد البريطانية، وهي في التاسعة والخمسين، الى جراحة تجميل لازالة التجاعيد من وجهها. واعطت تبريراً ذكياً للعملية التي بلغت كلفتها ١٣٠٠ دولار:
"اني لم اقرر اجراء العملية لاي سبب شخصي. فأنا لا أنظر الى وجهي الا عندما اضع احمر الشفاه. أما الآخرون الذين ينظرون الي طوال النهار فمن حقهم ان يشاهدوا وجهاً يرضيهم. وفضلا عن هذا، فانا احب ترميم الآثار. وقد سبق ان ترأست الحملة لترميم دير ووبورن".

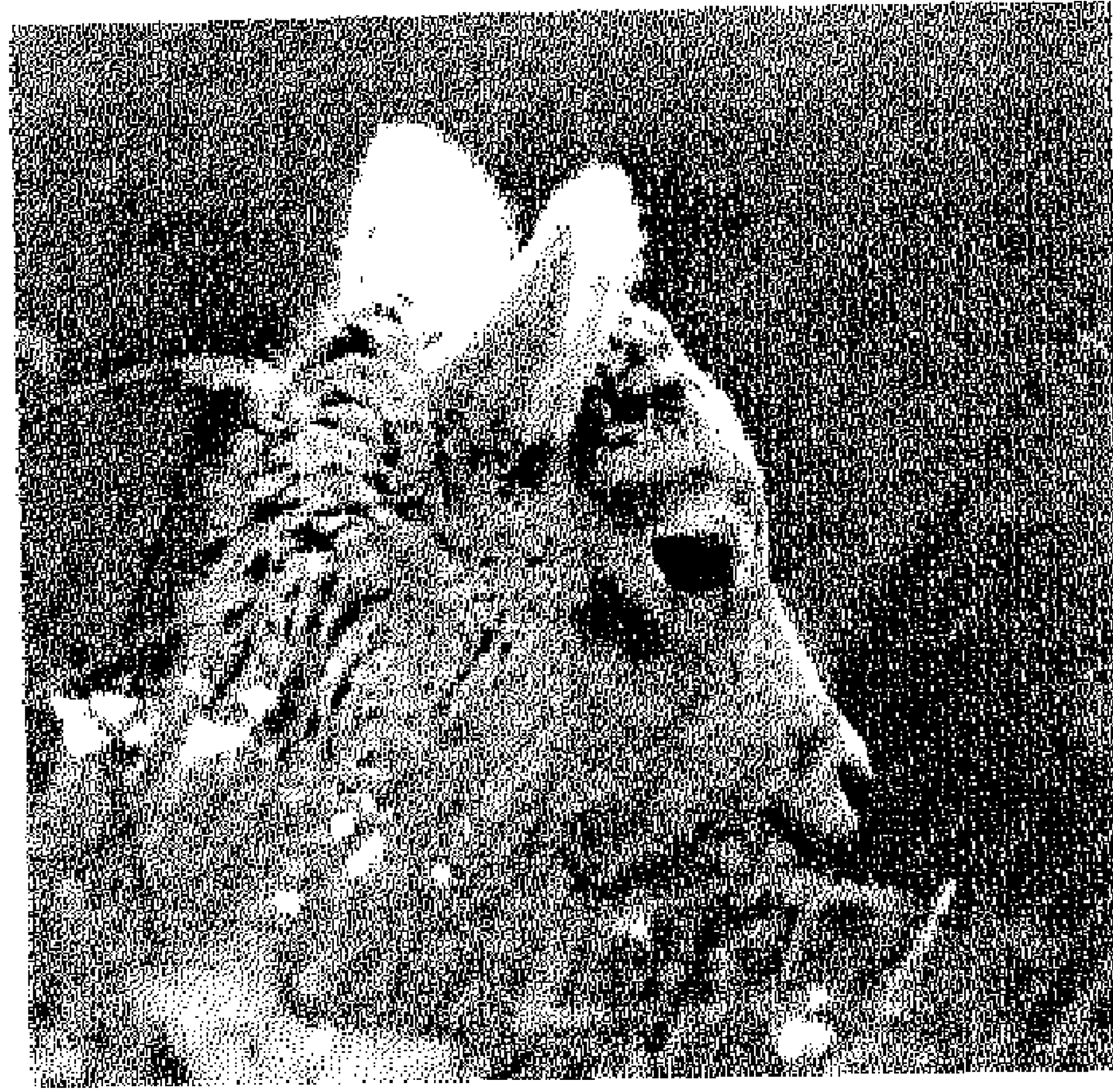
مجلة "الناس"

المملكة السعيدة

نظرة حنان الى عالم الحيوان

في عالم الطبيعة تتعاقب دورات الزمان. فهناك ليل ونهار وفصول ربيع وصيف وخريف وشتاء، تتتابع كلها من دون توقف. ومثل الطبيعة تفعل الكائنات، فتتحرك في دورات حاسمة: الولادة والزواج ثم الموت. والكائنات في هذه الدورات تزداد عدداً او تنقص، وتتناوب لديها فترات النشاط والخمول.

وينظر الانسان الى هذه الدورات كانها احداث مستقلة. لكن الواقع ليس كذلك تماماً، اذ يتعذر الفصل بين هذه الظواهر. فبالنسبة الى الحيوان، ليست هناك بداية سوى الولادة ولا نهاية حقيقية سوى الموت. اما الاحداث الموسمية فهي مترابطة كحلقات سلسلة. ففي الصيف، عندما تبلغ درجة الحرارة ذروتها، تغادر الطيور البحرية القطب الشمالي الى المناطق الدافئة هرباً من الاعاصير. وتتزاوج حيوانات الراكون (ثدييات تعيش في شمال امريكا) في فصل الشتاء لتلد في الربيع، فتؤمن لصغارها الدفء والغذاء الوفير.



James K. Morgan

حمل الجبال الصخرية.

ان تداخل هذه الدورات معقد على نحو يصعب فهمه. ولكن من الواضح ان هذا التعقيد في الطبيعة ليس فوضوياً، بل هو منسق بدقة بحيث تعمل "الاجهزة" الطبيعية المختلفة على نحو يحقق التوازن المنشود. انها المملكة التي يسودها النظام... الى ان يعكر الانسان صفوها.

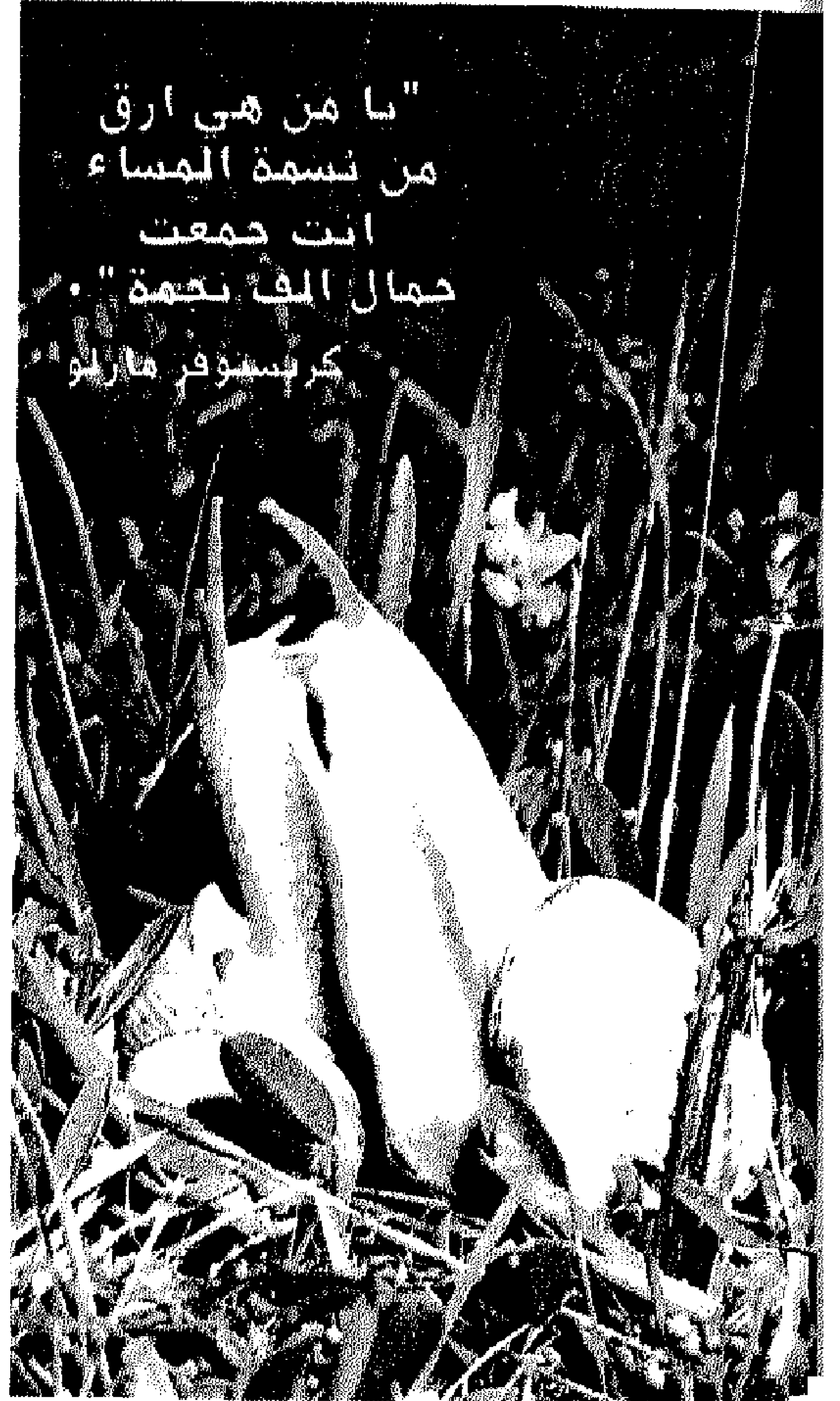
في الصفحات الآتية جولة مصورة في عالم الطبيعة المتناسق هذا. وقد انتُقيت الصور من بين عشرة آلاف صورة لتدخلنا عالم الحيوان الخاص.


التزاوج
"يدوّي الكون بصخب فرح: اني احيا".
سكراباسر
ذكر الفقمة يتحدى منافسه جارحا. والمنافسة الجنسية لدى ذكور الفقمة قلما تعرف الرحمة، غير ان الامر لا يخلو من عراك دموي احيانا. وتحتدم هذه المنافسة في اشهر الولادة، اي من ديسمبر (كانون الاول) الى مارس (آذار). لتسوى بعدها الخلافات الاجتماعية وتعود الصداقات الاخوية الى خير ما يرام.



Francisco Erize

Arthur Christiansen



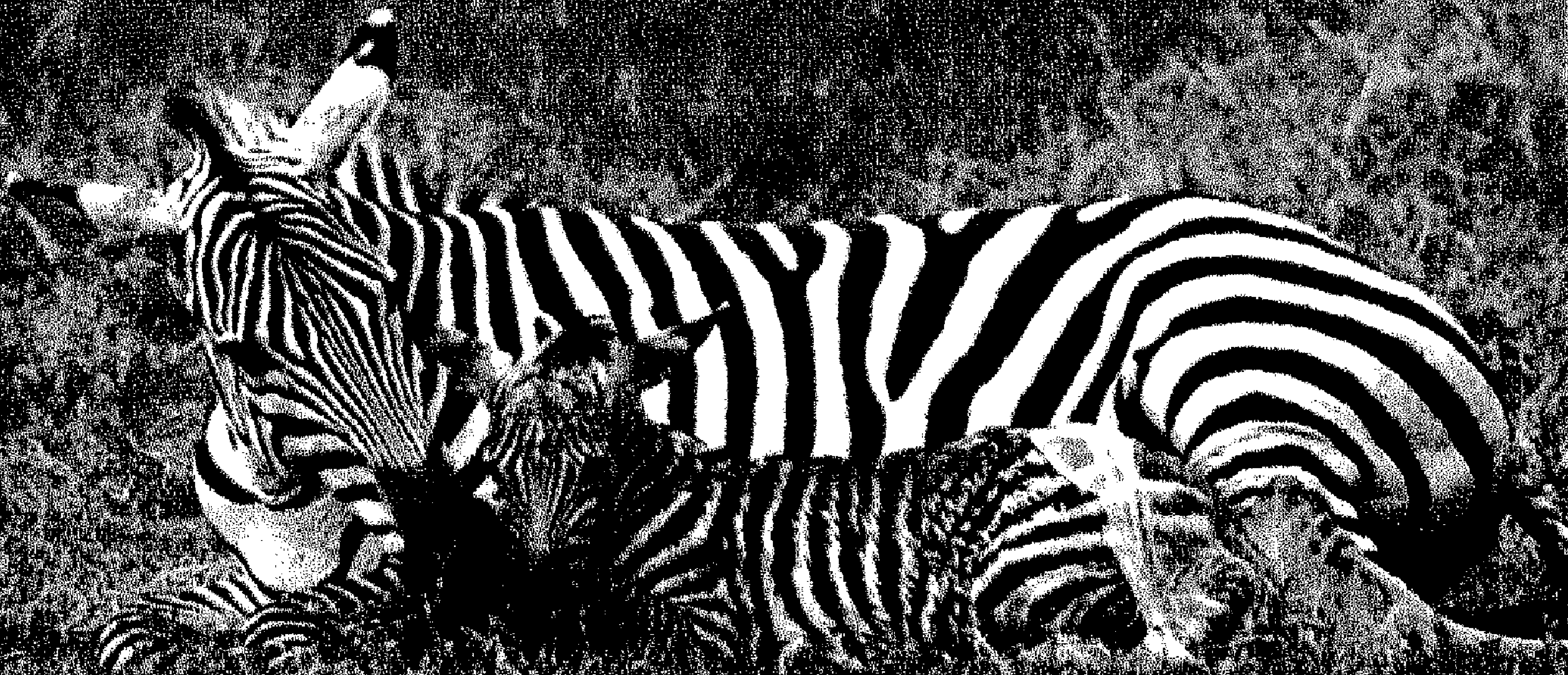
حلزونان يتداعبان قبل الجماع. والحلزون لديه اعضاء تناسلية مزدوجة: ذكرية وانثوية. وفي عملية الجماع يتم تلقيح متبادل للبويضات.



فى اثناء الجماع يطلق ذكر النورس زعقة طويلة حادة. وهو لا يقفز فوق الانثى الا متى عبرت هي عن استعدادها. فتدلي رأسها الى الخلف وتتخذ وضع الجماع المناسب.

الـــولادة

"الى هذا العالم القاسي اتيت
ضعيفاً، عارياً، كثير الصراخ".
ولـيم بلايك



حمار وحشي، تلعقه امه وتداعبه على اثر ولادته، والكيس الذي ولد فيه لا يزال يحضن جزءه الخلفي.

Norman Myers / Bruce Coleman, Inc.

Wendell D. Metze

بعد ان يخرج من البيضة، يسرع التمساح الوليد الى الماء القريب.



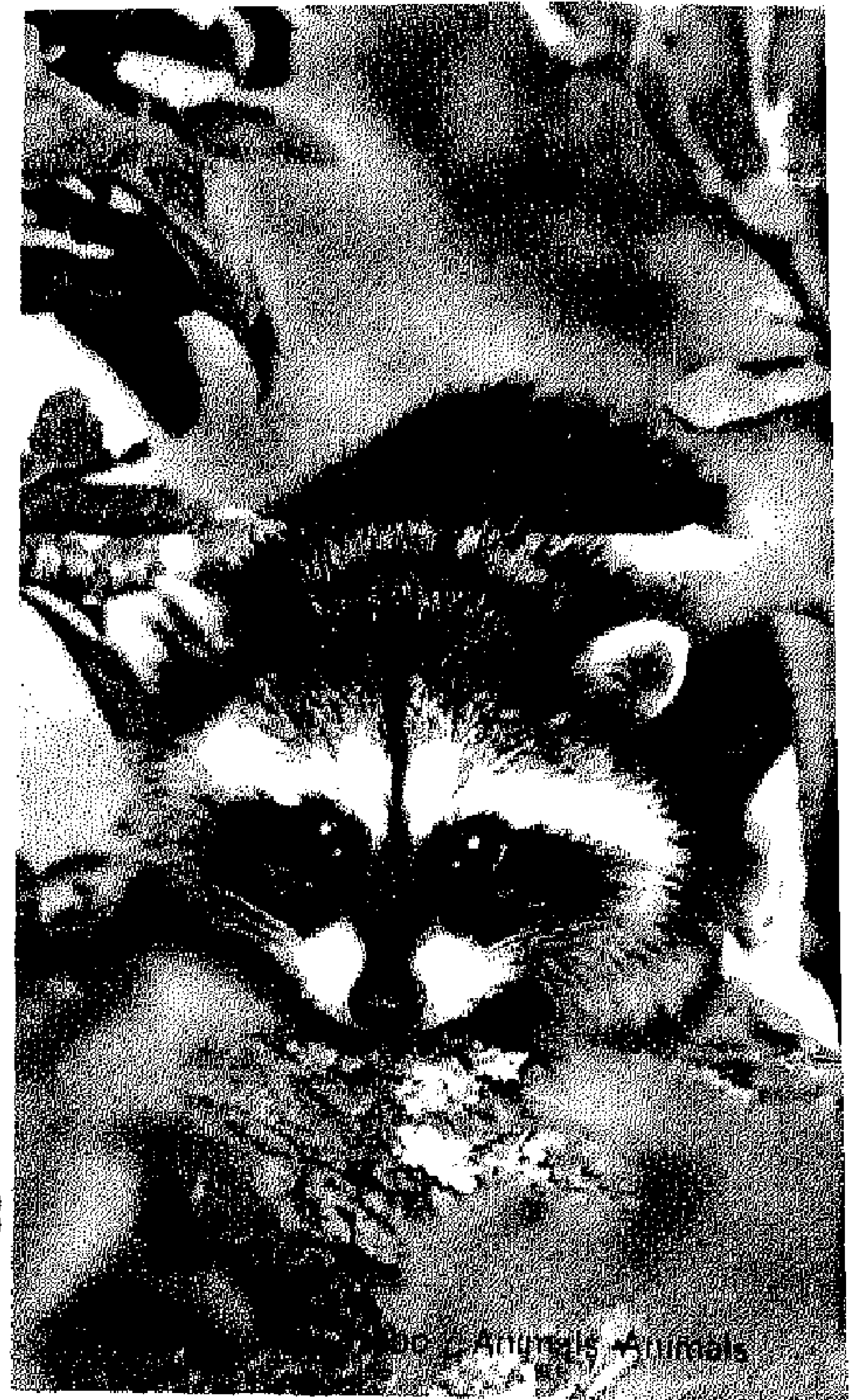
النموّ

"ايها الطفل،
انت كالزهرة
لطيف ونقي
وجميل".
هانريخ هاينه



دبة من الاسكا تدرب صغيرها
على قهر مياه النهر الهائجة.

صغير الراكون هذا يبدو
كأنه اكتشف سر الحركة
الدائمة... الا خلال النوم.



Maggie Cavagnaro

Animals Animals

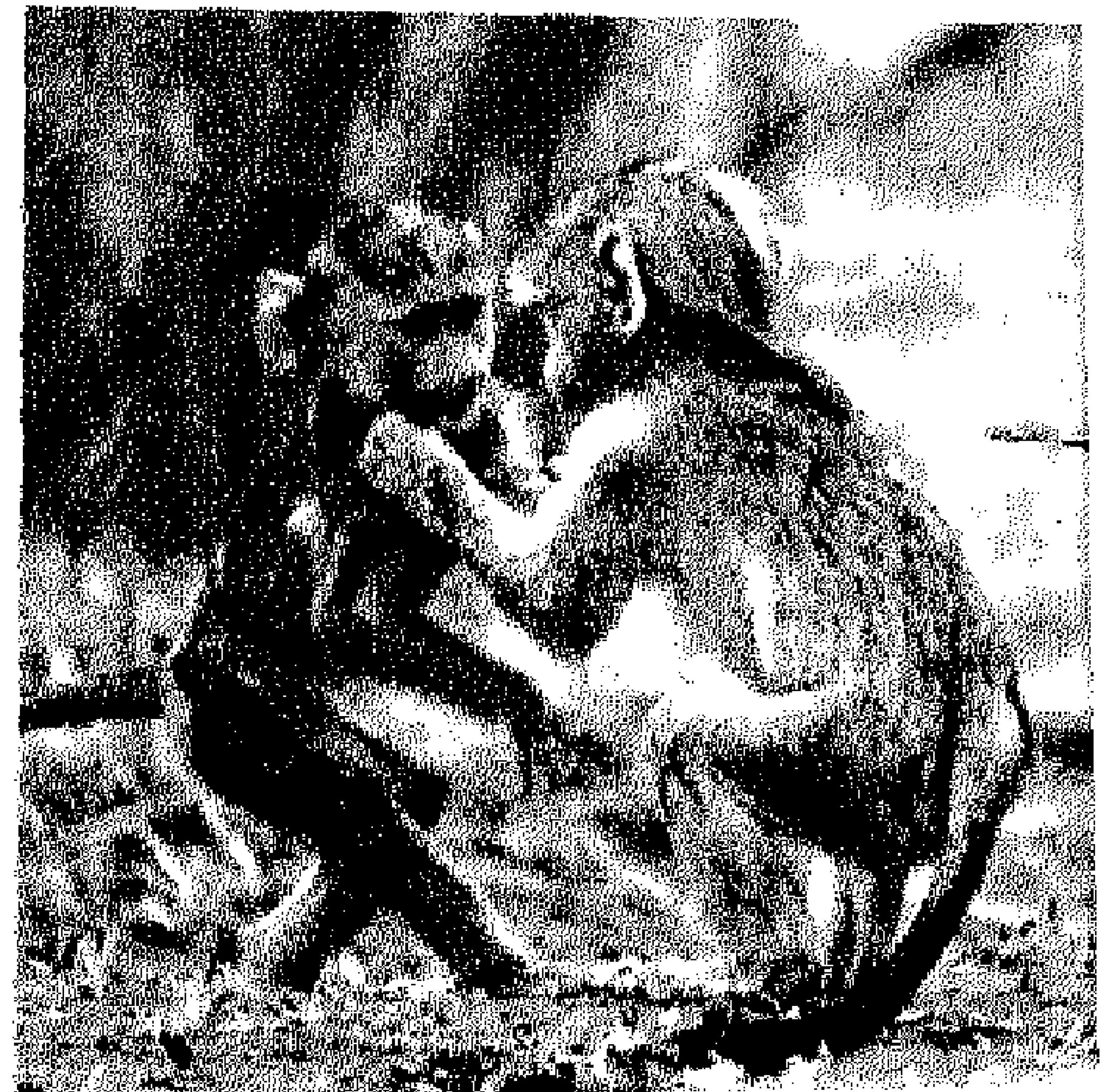
ثعلبان صغيران في شهرهما الاول،
يلهوان امام
وكرهما ساعات
متواصلة من
دون كلل.



en Rhode

فقمة حديثة الولادة. بعد اسبوعين يصبح
وزنها ٣٦
كيلوغراماً،
وفي
اسبوعها
السادس
ستبدأ صيد
السمك.





صغار السعادين تشكل زمرة
تمضي معاً معظم ساعات النهار.

المـوت

"هكذا شاءت الطبيعة:
أن يلتحم يوم بآخر
وأن يشهد احتضار الليل
مولد نهار جديد" .

لورين ايزلي

Joseph Popp / Anthro Photo

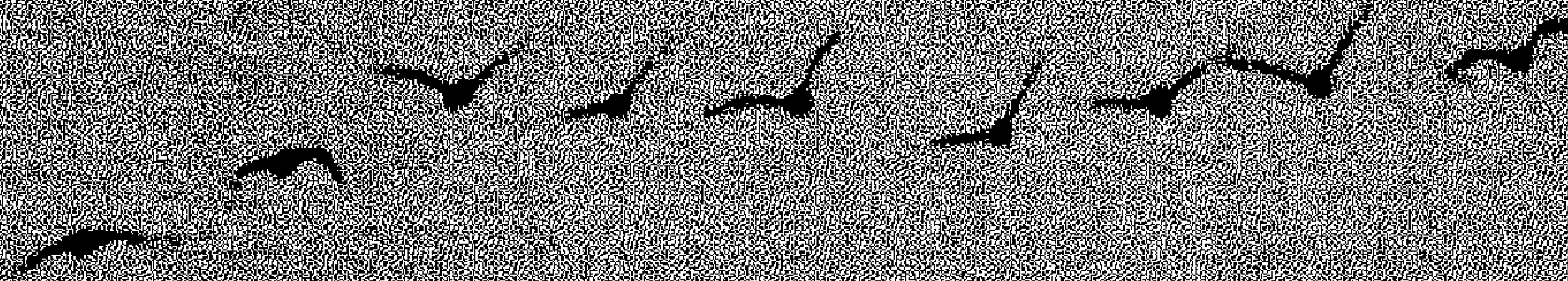
سعدان افريقي معروف في البلاد العربية، ينظر بحزن الى سعدان صغير نافق. ويعرف عن هذا النوع من السعادين ان كبارها تعطف على صغارها، وان لم تكن بينها صلة قربى.



Steven C. Wilson

أيل رزح تحت وطأة الثلج والجوع في منطقة التندرة الجرداء في سلسلة جبال بروكس شمال الاسكا.


"لا يقاس الحيوان بالإنسان ؛
فهو يعيش في عالم أقدم من عالمنا وأكمل ،
كما ينعم بحواس مرهفة ربما ملكها الإنسان يوماً
لكنه – لو فعل – خسرها منذ زمن بعيد ،
وتقود الحيوان غرائز لن ننعم بها أبداً" ،
هنري بستون

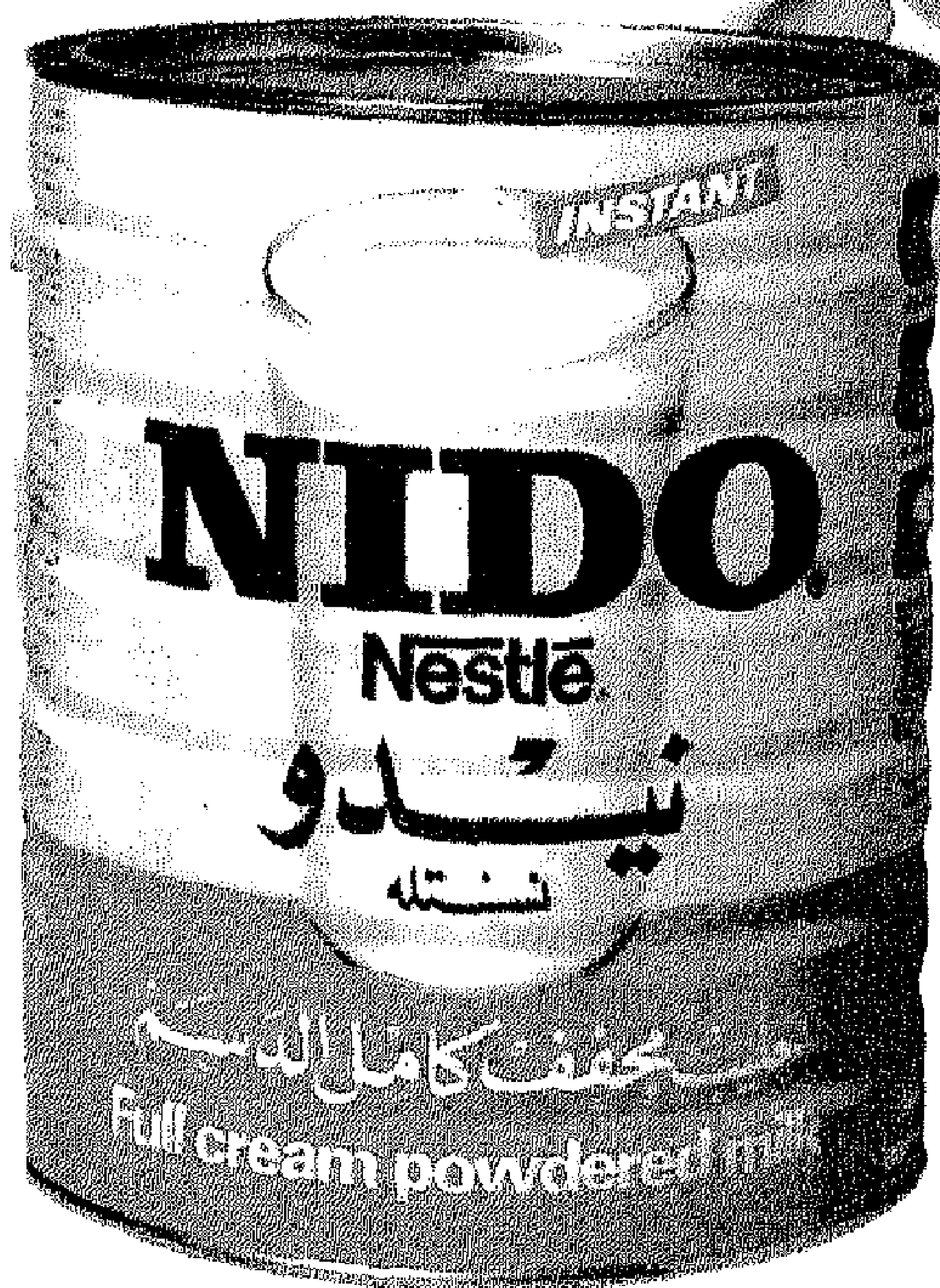


"ماذا تطلب النفس
سوى التمتع بالشمس
واللهو أيام الربيع؟"

ماثيو ارنولد

Tojo Tanaka · Animals Animals

■ آن عبلفويل
وادوارد رينتشوتي



نيدو السريع الذوبان
لينعم أولادكم بالعافية والصحة

لدى تناولهم، كل صباح، كوبًا من حليب نيدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهارًا مليئًا بالحيوية والنشاط.

نيدو السريع الذوبان يؤمن لأولادكم خلال مراحل نموهم، معظم العناصر الغذائية التي تحتاج اليها اجسامهم.

نيدو السريع الذوبان ... لذة طعمه الحليب الطازج يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون بالعافية.

نيدو السريع الذوبان
لصحة كافة أفراد العائلة

NESTLÉ تصنعه نستله

هندي أعمى ينقذ غريقاً في بئر



انتزعته في بادىء الامر مجاعة ١٩٧٢ - ١٩٧٣ من القرية التي ابصر فيها النور في ولاية مهاراشترا الهندية. وعمل فترة في بيع المكانس، ثم حط رحاله في مدينة بومباي على بعد ٤٤٢ كيلومتراً من هناك. ولم يحالفه الحظ في تجواله. الا انه سرعان ما ادرك ان بومباي مدينة كريمة تعطف على المتسولين، خصوصاً اذا كانوا من المكفوفين.

كان كونديبا يدوبا غايكواد شاباً في الخامسة والعشرين، وقد فقد بصره في الثامنة من عمره في اثر اصابته بمرض الجدري. فاضطره الامر الى التسول، على رغم كراهيته لهذه الوسيلة.

وصادف الخامس من سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ يوم غائم في غوليبار، تلك المحلة البائسة المزدحمة بالسكان والتي تمتد من دون اتساق شمال شرق بومباي، حيث يعيش كونديبا مع توكارام جامبور وزوجته يلانباي. وكان ذلك في ختام الرياح الموسمية. وكانت مجموعة الاكواخ الكثيفة غارقة في الوحول.

وكانت هذه البئر حيوية بالنسبة الى اهل الجوار. وهي حفرت قبل عامين لان صنبور المياه الوحيد الذي انشأته بلدية غوليبار لم يكن كافياً لمواجهة حاجات السكان الآخذين في الازدياد. ونظراً الى عدم توافر المال اللازم لبناء جدار واق للبئر، فقد اتسعت فوهتها تدريجاً بسبب انهيار التربة والصخور من جوانبها حتى بلغ قطرها قرابة ثلاثة امتار ونصف متر.

وأصبحت البئر الخالية الفوهة والقمعية الشكل خطراً يهدد بالكوارث. واستمر هذا الوضع ردحاً من الزمن تلاشى معه القلق، واكتفى السكان بوضع جذوع ثلاث اشجار عبر فوهة البئر ليستندوا اليها وهم ينتشلون الماء. وحدث مرة ان وقعت فيها دجاجة فتم انقاذها. وكان هذا كل شيء. لقد نسي الناس خطر البئر.

اصرار وتحد - كان الوقت ظهراً ورجال المحلة في اعمالهم. وعاد كونديبا الى غوليبار لتناول بعض الطعام الذي اعدته يلانباي. وكان يوم تسوله ينتهي، عادة، حين تبلغ الحسنات خمس روبيات او ستاً (قرابة ٦٥ سنتاً) في كيس الخيش الصغير الذي يحمله.

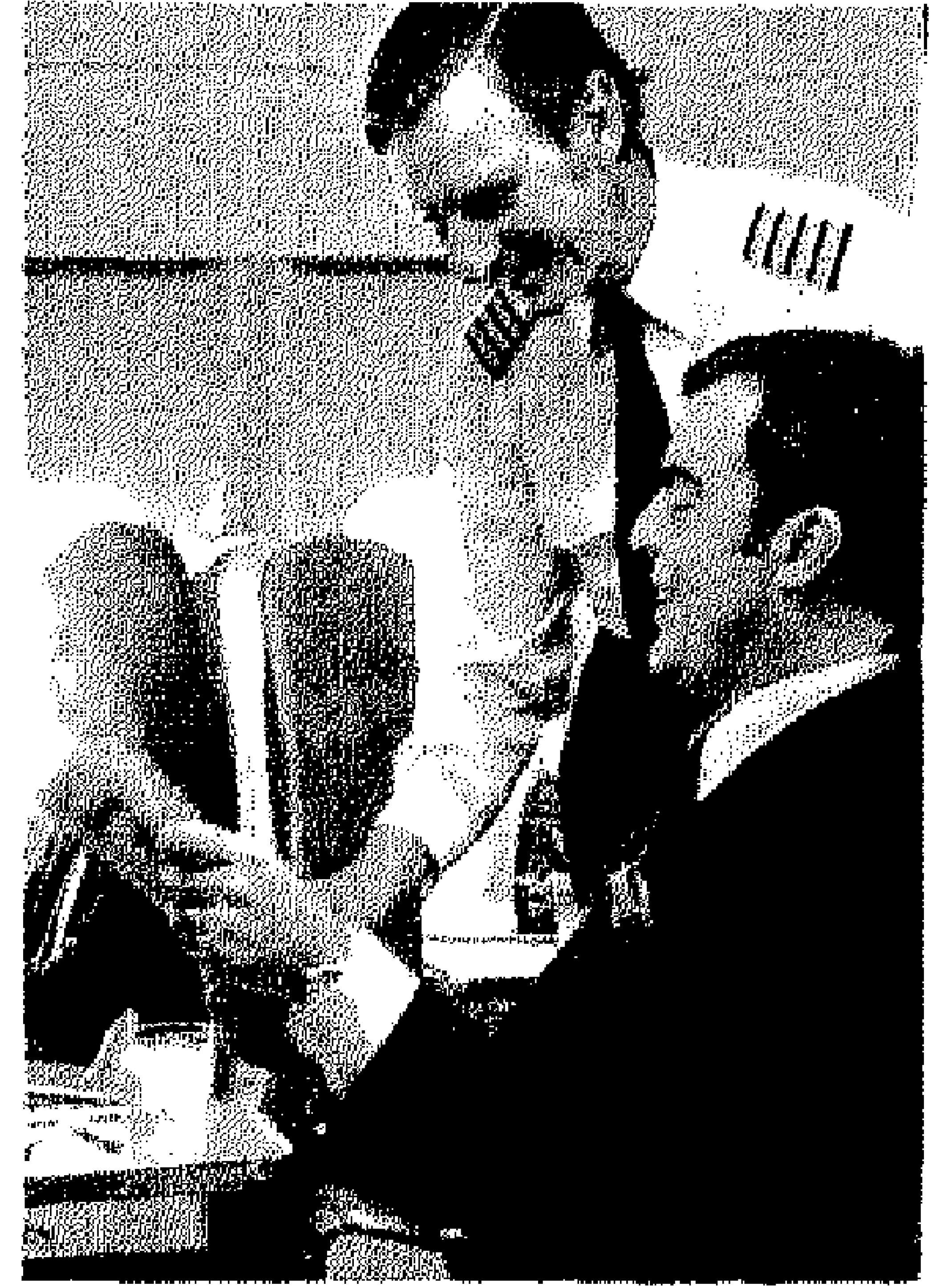
وفجأة علا في الخارج صراخ وأصوات استغاثة اثارت الرعب في كونديبا ويلانباي. واذا بامرأة تصيح: لقد سقط احدهم في البئر.

وأزاح كونديبا طعامه جانباً وخاطب يلانباي في الحاح: "خذيني الى هناك حالا".

فسألته: "وماذا في وسعك ان تفعل؟" الا انها، امام اصرار الشاب الاعمى لم تجد مفراً من اصطحابه الى البئر. وهناك شقا طريقهما وسط مجموعة من المشاهدين الذين استولى عليهم الحزن واليأس. وفي ثوان قليلة خلع كونديبا ملابسه وقفز الى الماء. وكان في البئر مراهقان لا يحسنان الغوص ويحاولان عبثاً تحديد المكان الذي سقط فيه ارفيند ساديو بيمبالكار، البالغ الرابعة عشرة من العمر والذي زلت به القدم وهو يملأ دلواً من فوق الجذوع الثلاثة الزلقة بسبب اكتسائها بالطحالب.

كاثي باسفيك
أكثر كما تريدنا أن نكون.





AIRCRAFT DEPART

flight	to
CX 450	TOKYO
CX 410	SEOUL
CX 901	MANILA
CX 400	KAOHSIUNG
CX 510	FUKUOKA
CX 522	OSAKA
CX 504	NAGOYA
CX 550	TAIPEI
CX 502	OSAKA
CX 500	TOKYO
CX 721	PENANG
CX 731	BAHRAIN
CX 741	DUBAI
CX 711	JAKARTA
CX 903	MANILA



ان مَاتريده من أى شركة طيران ه
العناية. إنك تريدهم أن يصلوا بـ
إلى حيثما تريد وفي الوقت المحـ
من دون إزعاج. انك تريد خدمة دا
جذابة، وحيدة لتجعل رحلتك أكثر
ورفاهية.

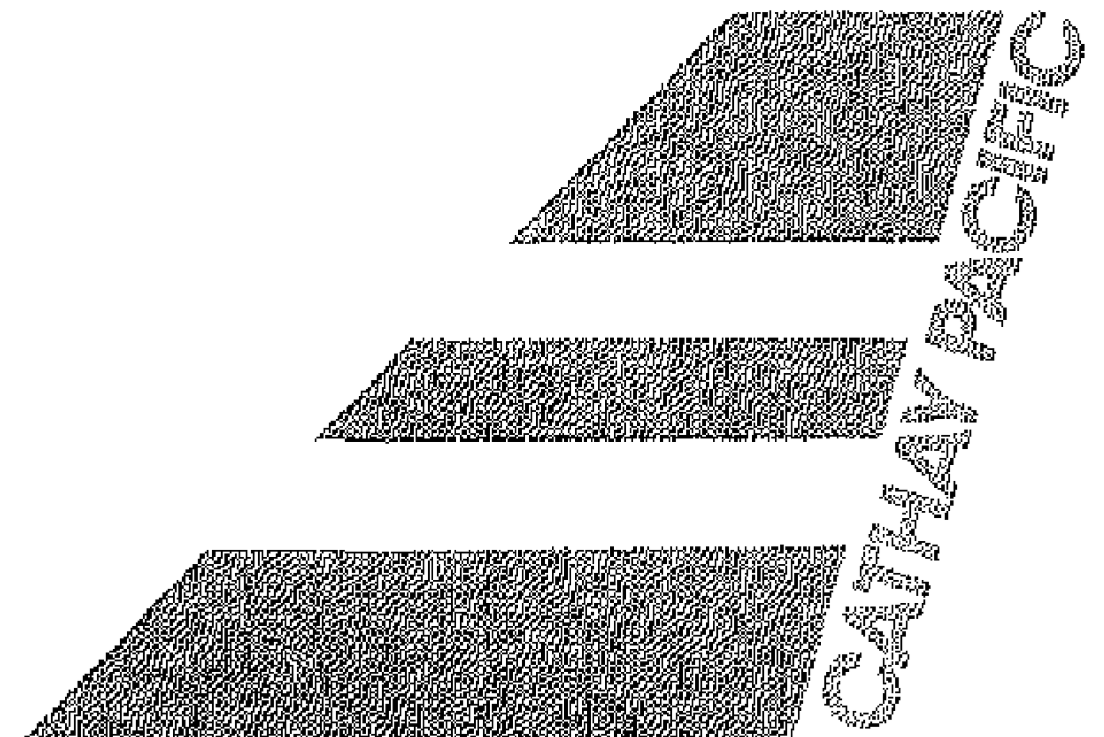
انا في كاثي باسفيك نعدك بكل ذلك
واكثر! فمنذ الآن نأخذك كل يوم
البحرين إلى هونغ كونغ.

أربع رحلات منها عبر بانكوك. و
هونغ كونغ مباشرة إلى سيول، مانيلا
اليابان، وكل مُدن آسيا.

ستجد بأننا كلما كبرنا،
كلما أضفنا ميزات لك لتسافر معـ

CATHAY PACIFIC
The Swire Group

البحرين ٢٥٨٨٥٠، الخبر ٨٦٤٢٧٧٢، جدة ٤٦١٢٢٥، الرياض ٤٤٥٦٦١
الكويت ٤٣٢١٠٦، الدوحة ٣٢٨٤٥٠، ابوظبي ٣٣٣٢١٠، دبي ٢٢٤١٥٦، مسقط ٧٢٩٥٢
بيروت ٣٦١١٢٣٠، دمشق ٢٢٨١٥٥، عمّان ٢٤٣٦٣، القاهرة ٢٢٢٦



ومع ان كونديبا كان سباحاً ماهراً في حداثته، قبل ان يفقد بصره، الا ان سنوات سوء التغذية اوهنت قواه. في الماضي كان يغوص عميقاً في الآبار حول قريته لالتقاط قطع الفخار اللامعة التي كان يلقيها هو وأصدقاؤه على سبيل اللهو. ولكن ما اكثر السنوات التي مرت منذ ان حاول، للمرة الاخيرة، كتم انفاسه فترة تتيح له الوصول الى قاع البئر.

وطفا كونديبا على سطح الماء لحظة، وأخذ نفساً عميقاً ثم غاص. واستطاع، وهو يتحسس الصخور على جانب البئر، ان يبلغ القاع. لكنه لم يلمس هناك سوى الطين الطري والاعشاب اللزجة. ثم ارغمه ضيق نفسه على العودة الى السطح.

ومرت دقيقتان على سقوط الفتى ارفيند في البئر. وكانت عمته التي يسكن عندها قد بلغها صدى اهتياج المشاهدين وأصوات الاستغاثة فهرعت الى المكان. ولما خرج كونديبا الى السطح وحده تناهى عويلها الى سمعه، فأخذ نفساً عميقاً آخر وغاب في الاعماق المظلمة. وكانت غوصته الاولى قد اتاحت له تكوين فكرة عن شكل البئر، فاتجه فوراً الى اسفل وراح يستكشف القاع بيديه شبراً شبراً. لكنه لم يعثر الا على الوحل والعشب من دون ان يقع على اثر للصبي. وحين ارتفع الى السطح ثانية انبعث تأوه اليم من الحشد المتزايد.

ولم يظهر رأس كونديبا فوق الماء سوى برهة خاطفة راح يلهث فيها بعنف ويملأ صدره هواء قبل ان يغوص للمرة الثالثة. ويذكر كونديبا انه سمع في تلك اللحظة صوتاً يقول له: "الا تستطيع ان تجد الصبي؟" فشعر بأنه لم يفتقد بصره طوال سنوات عماه مثلما افتقده يومذاك. لقد اعتاد تفهم عماه بطريقة فلسفية، معزياً نفسه بان تلك النوائب شائعة لدى الهنود الريفيين. اما الان فانه في امس حاجة الى بصره. وراح كونديبا يفكر في قرارة نفسه في أنه لو استطاع فقط ان يبصر لسهل عليه الاهتداء الى الصبي الغريق. ولكن كيف له ان يدرك انه كان يتعذر، حتى على البصر الطبيعي، اختراق تلك المياه العكرة.

في تلك الاثناء وصل ثلاثة رجال من المحلة، لكنهم اعترفوا فوراً بانهم لا يحسنون السباحة. فانحصر امل ارفيند الاخير في الشحاذ الاعمى، على رغم تشكك الجميع في نجاح محاولته الرابعة.

واستولى التعب على كونديبا. لكن الضرورة الملحة بعثت فيه قوة جديدة، وأصبحت البئر في اعتباره خصماً بغيضاً يسخر منه. فأخذ يجاهد على نحو محموم وغاضب، ويتلمس طريقه مفكراً: "لا بد من ان يكون الفتى هنا، فمن المستحيل ان يختفي". وشعر بألم رهيب في ضلوعه وأدرك انه لن يستطيع حبس انفاسه فترة اطول.

الثواني الطويلة ـ في اللحظة التي كاد كونديبا ان يستدير الى اعلى ويندفع الى السطح لمست اصابعه شيئاً طرياً بين الاعشاب: انها ملابس! ومد يده فلمس رجلي ارفيند، وكان جسم الفتى عالقاً في شرك الوحل والعشب.

يتمتع بتقاليد مجموعة أبيلا في الخدمة والضيافة



تمثل فنادق مجموعة ابيلا ومرافقها السياحية قطاعاً متوسعاً هو في اطراد.

وتنتشر مجموعة ابيلا في أنحاء الشرق الاوسط، وهي آخذة في الامتداد الى القارة الاوروبية. وفي رأس الخيمة، في دولة الامارات العربية المتحدة، تملك المجموعة فندقاً يضم ١٠٨ غرف وعشرين "بانغالو" مشجرة، اضافة الى العديد من دور الضيافة في بلدان الشرق الاوسط.

هندي اعمى ينقذ غريقاً في بئر

وبدأ قلب كونديبا يدق باضطراب، واشتدت حاجته الى التنفس. الا انه قال لنفسه باصرار: "اني امسك بالصبي ولا بد لي من انقاذه". واستجمع قواه وراح يبحث بيأس عن شيء يتعلق به لينتزع جسم ارفيند ويحرره من شبكة الاعشاب. وفجأة وقعت يداه على حزام الصبي، فأمسكه بيده اليمنى وهز الصبي بعنف ثم اداره ودفعه الى اعلى. وكان جسم كونديبا الناحل يتمرد على ضغط الماء الهائل.

وجاهد الاعمى الشاب، وهو يحيط بقبضته حزام الصبي، كي يندفع الى اعلى مستخدماً يده اليسرى وقدميه. ولم يتسن له في غوصتيه الاوليين ان يتحقق عمق البئر، اما الآن، وقد اخذت قوته تخور سريعاً وهو ينوء بحمله، فانه احس بأن ثقل الماء الهائل لن يرتفع ابداً عن قلبه ورئتيه.

وبدا للشاب ان الزمن قد توقف قبل ان يجتاز الستة امتار ونصف المتر بين قاع البئر والسطح. وشعر بأنه لم يمر ابداً بيوم بمثل هذا الطول والالم. وعندما خرج من الماء سلم الصبي الى الجمهور وأخذ يلهث ملتقطاً انفاسه. ثم تعلق بجانب البئر وعيناه مغمضتان منهكتان. ومع انه لم يغب عن الوعي، الا ان عياءه صرفه عن الانتباه الى الحشد وهو يحاول اسعاف الصبي الذي راح، اخيراً، يتقيأ الماء المختزن في جوفه.

وبعد ان نقل ارفيند الى المستشفى ساعد احد الرجال كونديبا على الخروج من البئر. وأخذت امرأة تربت كتفه بحنان، ثم اعادته يلانباي الى الكوخ حيث ارتدى ملابسه وأكل ما تبقى من طعامه ثم استغرق في نوم عميق.

وفي عصر اليوم التالي عاد الفتى ارفيند الى المحلة وتوجه فوراً الى كوخ كونديبا حيث لمس قدميه في عرفان بينما راحت عمته تراقبه والدمع في عينيها. وعلم كونديبا، في ما بعد، ان الصبي لو بقي في البئر اكثر من الدقائق الخمس التي استغرقها انقاذه لتضرر دماغه من جراء نقص الاوكسيجين.

عجباً! لقد تمكن كونديبا من انقاذ حياة غيره، اما حياته هو فلا بد من استمرارها على وتيرتها. وما ان اقبل الاصيل حتى اتخذ طريقه من جديد الى شوارع بومباي وهو يحمل كيسه.

الا ان الالسن راحت تتناقل شجاعة الشحاذ الاعمى. ونشرت الصحف المحلية والوطنية صورة المنقذ الجريء وقصة الانقاذ. ولم يلبث كونديبا ان اصبح بطلاً. وتدفقت التهاني عليه من كبار المسؤولين، وقدمت اليه مكافآت بلغ مجموعها ١٢،٩٧٠ روبية (قرابة ١١٠٠ دولار).

ويعيش كونديبا اليوم في مدينة جالنا التجارية القريبة من مسقط رأسه. وهو تزوج فتاة من تلك الناحية وفتح حانوتاً صغيراً. فكان من عزمه وشجاعته ان غيرا حياته تغييراً تاماً، فالشحاذ الذي يكره التسول لم يعد في حاجة الى الاستعطاء.

■ ارون سادو

الأخطاء للحياة كالظلال للنور.

المقطـــورة السحرية



مهندس من شركة شلومبرغر يراقب، على شاشة الدماغ الالكتروني: البيانات الواردة من المسار على "المقطورة الزرقاء".

خيم القلق على طاقم سفينة الحفر الضخمة "غلومار ـ ٥" . فطوال اسابيع ظل لولب مثقابها يلوك الصخور الصلصالية والرملية في قعر بحر الشمال، على بعد ١٥٠ كيلومتراً جنوب شرق جزر شتلند البريطانية، مخرجاً الى السطح شظايا صخرية لوثها النفط، والآن، وقد بلغت البئر الرقم ١٣/٩ ـ ٢ العمق المقرر، وهو ثلاثة كيلومترات داخل القشرة الأرضية لبحر الشمال، بدأ فريق العمل يتساءل بقلق: ترى، كم تبلغ سماكة هذا الحوض الصخري المسامي الذي يحتوي على النفط؟

فالمسألة مسألة ٤٠٠ مليون دولار، وهو المبلغ الذي سيترتب على مجموعة الشركات (الكونسورشيوم) التي تموّل مشروع اقامة تسهيلات بحرية دائمة للحقل المكتشف. وما لم

تؤكد البئر ١٣/٩ ـ ٢ وجود حقل ضخم، فلن يكون الاستثمار ذا جدوى اقتصادية. من ثم، تعلقت قلوب الجميع في ذلك اليوم من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٣ بمقطورة زرقاء يراوح طولها بين خمسة امتار وستة ويبلغ عرضها مترين وارتفاعها مترين كذلك وهي مقطورة صغيرة من دون عجلات، استقرت على سطح "غلومار ـ ٥" تحت برج الحفر الشاهق (الدريك).

داخل المقطورة كان المهندس النروجي جون تالغو منهمكاً في كبس الأزرار ومراقبة اللوحات التي امامه، متابعاً ما يسميه خبراء النفط "اختبارات شلومبرغر". وشلومبرغر هو اسم عائلة شقيقين طورا التقنية المذكورة، هما كونراد ومارسيل شلومبرغر. وفي صلب هذه الاختبارات هناك مسبار، وهو انبوب طوله عشرون متراً ينزل الى البئر ليرسل، عبر وسائل كهربائية أو الكترونية، معلومات دقيقة الى مهندس المقطورة على السطح حول مخزون النفط في باطن الأرض.

بعد قضاء ٢٥ ساعة داخل المقطورة الزرقاء، ظهر تالغو أخيراً بادي الارهاق، ولكن بابتسامة عريضة: "ايها السادة، تبدو الاخبار جيدة". ودفع الى مديري الكونسورشيوم التنفيذيين لفائف بيانية طويلة تماثل مخططات القلب، أظهرت خطوطها المتعرجة جيولوجية البئر. وبعد ست سنوات، في العام ١٩٧٩، اصبحت هذه البئر جزءاً من حقل بيريل في القطاع البريطاني من بحر الشمال، الذي يبلغ معدل ضخه من النفط نحو مئة الف برميل يومياً.

ومع ان تقنية شلومبرغر هي في أساس نجاح بيريل، الا ان معظم الناس لم يسمعوا قط اسم شركة شلومبرغر المحدودة، صاحبة المقطورة الزرقاء في سفينة الحفر "غلومار ـ ٥" وسليلة الشركة الصغيرة للتنقيب عن المعادن التي اسسها الأخوان شلومبرغر عام ١٩١٩، اي قبل ٦١ سنة. إلا أن الخبرة التقنية لدى الشركة في الكشف عن التكوينات النفطية تؤثر على حياة الملايين.

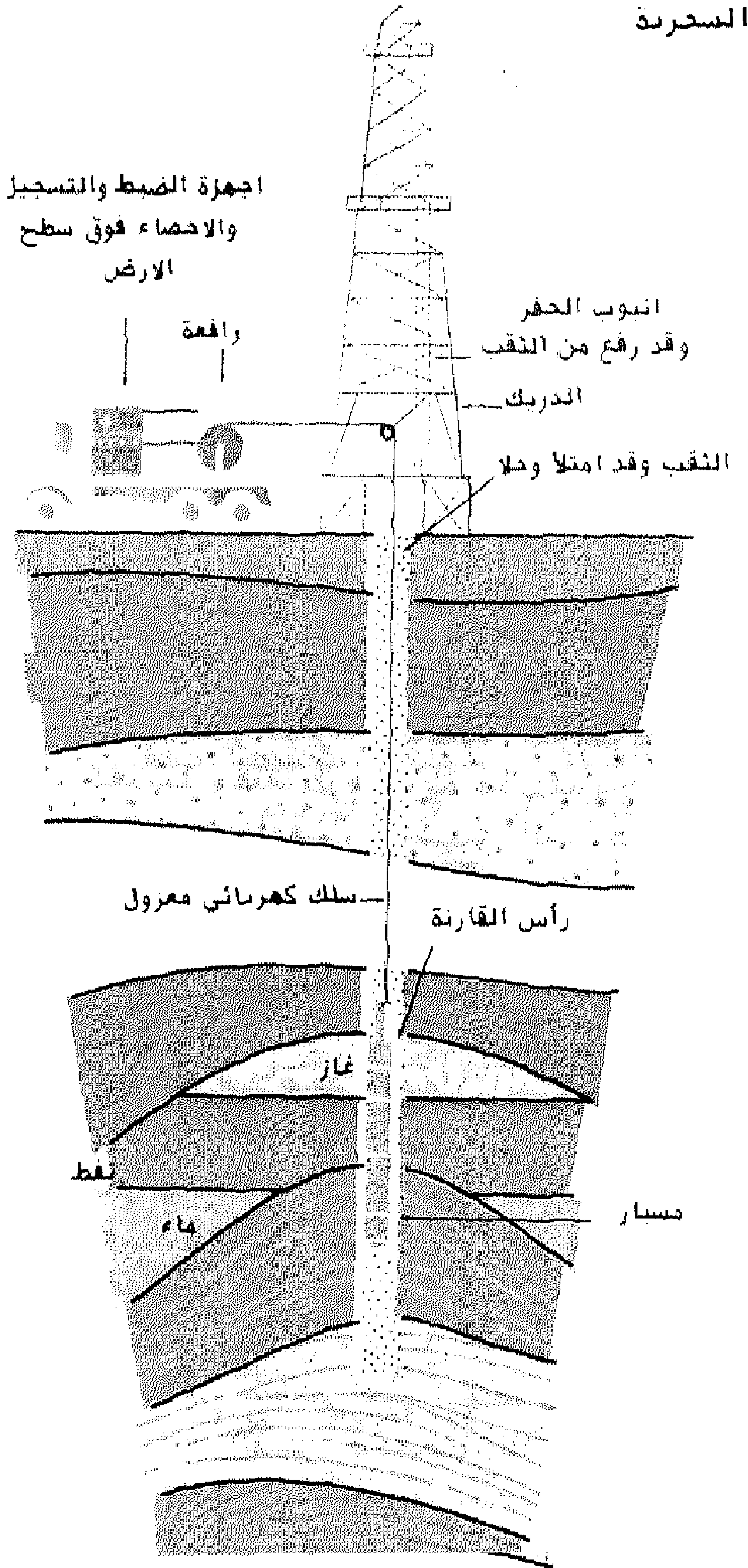
شركة الشباب ـ شركة شلومبرغر من الشركات الفريدة في العالم. فهي دولية بكل معنى الكلمة، تحتل ادارتها طبقتين في بناية شاهقة في نيويورك وبناء من اربع طبقات في باريس، قرب المكان الذي اجرى فيه الاخوان شلومبرغر تجاربهما الأولى قبل اكثر من نصف قرن. وتتناوب اجتماعات المديرين بين باريس ولندن ونيويورك وهيوستون. وللشركة شبكة فروع عالمية، وهي تستخدم ٧٥ الف موظف. وتحقق الشركة ربحاً صافياً هو من اعلى الارباح لدى الشركات الاوروبية الخاصة، وقد بلغ ٥٠٢ مليون دولار عام ١٩٧٨.

وحيثما يجرى التنقيب عن النفط، تكون شلومبرغر. فمقطورات المسح الجيولوجي الزرقاء تلعب دوراً اساسياً في عمليات الحفر تحت مياه الأطلسي قبالة الساحل الشرقي للولايات المتحدة. وفي المملكة العربية السعودية، التي يعتمد العالم على احتياطها الهائل، توفر هذه الاجهزة معلومات نصف سنوية عن التغيرات الطبيعية في الآبار التابعة لشركة النفط العربية الامريكية (ارامكو)

وتأتي تقنية شلومبرغر بين اولى مشتريات بكين من التكنولوجيا الغربية.

ونادراً ما توقف نشاط شركة ضخمة كشركة شلومبرغر على الشباب الى هذا الحد. فمعدل سن مهندسي حقول النفط في الشركة؛ وهم المسؤولون عن المقطورات الزرقاء التي تشكل المصدر الرئيسي لارباح الشركة؛ هو ٢٨ سنة فقط. وهم ليسوا مهندسين عاديين. فالسؤال الاول الذي توجهه الشركة الى طالبي العمل يتناول مدى استعدادهم للعمل في بلاد اجنبية وظروف قاسية، كأن يكون عملهم في منطقة صحراوية او مستنقعات، او في منطقة شديدة البرودة تصل الحرارة فيها الى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر. ويتابع المرشح دورة محاضرات وينهي تمريناً عملياً في حقول النفط يتولى بعده مسؤولية مقطورته الزرقاء الخاصة وطاقماً من رجلين خلال ستة اشهر.

وحيداً في رقعة ذات احتمالات نفطية، على بعد مئات الكيلومترات من أقرب مكتب للشركة، يتحمل المهندس مسؤولية جسيمة. وكما يفعل الطبيب المولد، ينطلق المهندس فور صدور "النداء الاول"، عندما تقارب بئر ما عمقها المنشود. ويبدأ المسح الجيولوجي بعد لحظات من رفع المثقاب من البئر، وذلك لاختصار فترة تعطل جهاز الحفر عن العمل، التي يمكن ان تكلف الزبون من ٥٠ الف دولار الى مئة الف يومياً. اما اذا تعطل جزء ما من مقطورات المسح الجيولوجي التي تصل كلفتها الى مليون دولار، فعلى المهندسين



هكذا يوضح المسبار التركيب الكيميائي لطبقات الصخور.

أنفسهم معالجة العطل. ويتذكر المهندس الدانمركي كلاوس كامبمان، وهو في الحادية والثلاثين: "عندما تعطلت اجهزتي في جنوب ايران، امضيت اربعة ايام بلياليها من دون نوم".

Schlumberger, Inc. Diagram by Cliff Line from information compiled by Fortune Magazine

التوسع ـ ينتمي الاخوان شلومبرغر الى عائلة ثرية في مقاطعة الالزاس الفرنسية على الحدود مع ألمانيا. وفي اواخر القرن التاسع عشر صرّف بول شلومبرغر اعماله التجارية في صناعة النسيج وانتقل الى باريس. وهناك اجتذبت التكنولوجيا اثنين من أبنائه ـ كونراد ومارسيل.

تولع كونراد، الذي كان أستاذاً محاضراً للفيزياء في كلية المعادن الشهيرة في باريس، بدراسة المعادن في مختبره. وفي احدى تجاربه، عندما مرر تياراً كهربائياً عبر خامات معدنية وعينات صخرية مختلفة، لاحظ ان درجة المقاومة لدى الخامات المعدنية مثل النحاس والحديد اختلفت كلياً عنها لدى الصخور الجيولوجية، وأن الصخر المسامي الذي يحوي ماء اعطى نتائج مختلفة عن تلك في صخر الصوان الصلب.

وخلال اجازته في مزرعة الاسرة في فال ـ ريشيه في النورماندي، شمال غرب فرنسا، غرس كونراد قضيبين معدنيين في الأرض تفصلهما مئات الأمتار. وعن طريق ارسال تيار كهربائي مباشر عبر القضيبين، طور الادوات التي صممها للقياسات الميدانية. وسرعان ما انهمك كونراد في استكشاف جيولوجية ترسبات الحديد والنحاس في فرنسا وسواها من البلدان. ومع نهاية الحرب العالمية الأولى بدأ شقيقه، المهندس مارسيل، وهو حرفي هاو وصاحب خبرة تعدينية، تصميم أدوات لدعم بحوث أخيه. أما الوالد بول، الذي لمح بشائر كشف تاريخي في الأفق، فقد قرر تمويل مشروعهما.

وحوّل الاخوان شلومبرغر مقهى وشقة في ٣٠ شارع فابر في باريس، المجاور للمقر الحالي لشركة شلومبرغر، الى مختبر وورشة للمعدات الميدانية. وهناك، على مكتب حيث واجه كونراد ومارسيل كل منهما الآخر على كرسيين من الخيزران، كان مقر الشركة الاول.

وعلمت شركات التعدين بفكرة شلومبرغر، فانهالت الدعوات على المؤسسة الناشئة حاملة هيئتها التي لم تتجاوز الاثني عشر مهندساً وفنياً، الى انحاء العالم. وفي فرنسا استكشف خبراء الشركة ترسبات الفحم والحديد في مقاطعة اللورين. وعبر البحار، في روديسيا وكاتنغا (في زائير) وكندا والولايات المتحدة واليابان، اكتشفت ترسبات جديدة من النحاس. وفي رومانيا، قرب بلدة بلوستي، تم تخطيط قبة ملحية ضخمة بواسطة "المقطورة السحرية" (جهاز قياس درجة المقاومة) المثبتة على حامل ثلاثي القوائم، أظهر الحفر أنها تغطي أحد أكبر ترسبات النفط في العالم. وهكذا ولجت "مؤسسة التنقيب الكهربائي" عالم الاعمال من أوسع أبوابه.

كهرباء الطبيعة ـ مع ورود نتائج العمليات الميدانية، تابع الشقيقان وبعض أعضاء اسرة شلومبرغر، مثل الفيزيائي هنري دول زوج احدى بنات كونراد، تطوير تقنيتهم. وتحقق تقدم آخر عندما طلب كونراد من دول أخذ القياسات من تحت سطح الارض بدلا من السطح واذ دلى مسباره الكهربائي الى بئر نفط في حقل بيشلبرون في مقاطعة الالزاس، راح

يسجل قراءات المقاومة الكهربائية متراً متراً. وفي باريس اكب دول على أول مخطط بياني لجيولوجية بئر.

ولم يستغرق الأمر طويلا لتستوعب هيئة ادارة الشركة دلالته. فعند مقارنة مخطط دول البياني بعينات من الصخر المستخرج عند حفر البئر، تبين ان قمم الخط البياني المتعرج دلت على طبقة حجرية صلبة، ومنخفضاته على تكوينات أقل صلابة وأكثر مسامية. الا ان القمة المتوسطة العلو، والمرتفعة فجأة من منخفض طويل، هي التي استحوذت على اهتمامهم، لأنها قد تمثل عمق الطبقات الصخرية التي تؤوي النفط. وهو افتراض أكده الحفر لاحقاً.

تعثر دول بمفتاح آخر. فذات يوم، بينما هو يسجل ظواهر التكوينات الجيولوجية لبئر، لاحظ تذبذباً غير عادي لابرة العداد عند مستوى الطبقة المسامية، في غياب أي تيار كهربائي! كان الصلصال والطين والماء داخل الصخر المسامي تتفاعل لتصنع بطارية طبيعية. وبناء على طلب دول، مضى مهندسو الشركة يجرون القياسات في الآبار من دون ارسال تيار كهربائي. وانجزوا رسوماً بيانية لقراءاتهم، ليس عن المقاومة الكهربائية هذه المرة، وانما عن القوة الكهربائية الطوعية الدافعة.

وبمقارنة مجموعتي الرسوم البيانية، استنتج هؤلاء انه، حيث بلغت الخطوط البيانية على رسوم المقاومة ذروتها عند الطبقة الصخرية الصلبة، بلغت على رسوم القوة الطوعية الدافعة هذه الذروة عند الصخر المسامي.

ومع مقارنة مجموعتي القراءات، توصل خبراء شلومبرغر الى استنتاج آخر قدّر له ان يحدث ثورة في صناعة التنقيب عن النفط: عندما يبلغ كلا المخططين البيانيين الذروة عند العمق نفسه، فان هناك احتمالا كبيرا لوجود النفط أو الغاز الطبيعي.

ومنذ ذلك الحين، لم تعد الشركة تهتم كثيراً لمشاريع التنقيب الكهربائي عن الخامات المعدنية، بل راحت تكرس جهدها للتنقيب عن النفط. وجربت الشركة التقنية الجديدة المطورة لفترة قصيرة في الولايات المتحدة، لكنها حققت نجاحاً باهراً في فنزويلا والاتحاد السوفييتي حيث استكشفت بعض أكبر أحواض النفط التي لا تزال قيد الانتاج حتى اليوم: ماراكيبو، باكو، الاورال والقوقاز. وفي ١٩٣٢ عادت الشركة الى العمل في الولايات المتحدة.

بعد مضي عامين، اتخذت الشركة مقراً لها في هيوستون (ولاية تكساس). ومنذ البداية التقى مهندسوها عدداً من المنقبين الصعبي المراس الذين اعتادوا اعتماد حدسهم في العثور على النفط. وترفع هؤلاء عن الاعتراف بحاجتهم الى التقنية الفرنسية، وبدت هداية الامريكيين الى الحقيقة امراً مستحيلا. لكن مهندسي الشركة لم يستسلموا لليأس: "طلب نائب رئيس مجلس الادارة مني تحضير السجلات البيانية لبئركم"، هذا ما حاول أحدهم اخبار منقب في أحد مواقع الحفر. فكان جواب الاخير: "حسناً، أنا هو رئيس مجلس الادارة، وأنا أعطيك خمس

دقائق فقط للابتعاد عن أرضي أو اطلق النار!"

اناقة باريسية ـ في بداية الامر سخر الامريكيون من موظفي شلومبرغر الفرنسيين، ولاسيما المهندس اندريه اليغريه، الشاب الانيق الذي بدا منظره غير مألوف وهو يتأرجح في سيارته الفورد السوداء على طرق مستنقعات لويزيانا الممهدة بجذوع الشجر، بينما تتبعه شاحنة المسح الجيولوجي. وكان اليغريه، قبل ترجله من السيارة بهيئة نظيفة وبزة بيضاء، يطرح بساطاً على الأرض الموحلة لحماية حذائه اللماع ذي اللونين الأبيض والاسود، ثم ينتعل حذاء جلدياً ويرتدي ثوباً خاصاً خارجاً لتوه من المصبغة.

هذه الأناقة الباريسية لم تزد الرؤوس المتصلبة الا عناداً، حتى بدأ اليغريه وزملاؤه يكتشفون مواقع طبقات نفطية. ومع حلول العام ١٩٤٠ أصبح لدى شلومبرغر ستون طاقماً أمريكيا عاملا. وأصبحت شاحنات الشركة، وكثير منها مكشوف السطح مع مظلة كبيرة لحماية المهندس والعدادات، منظراً مألوفاً في مناطق النفط الامريكية.

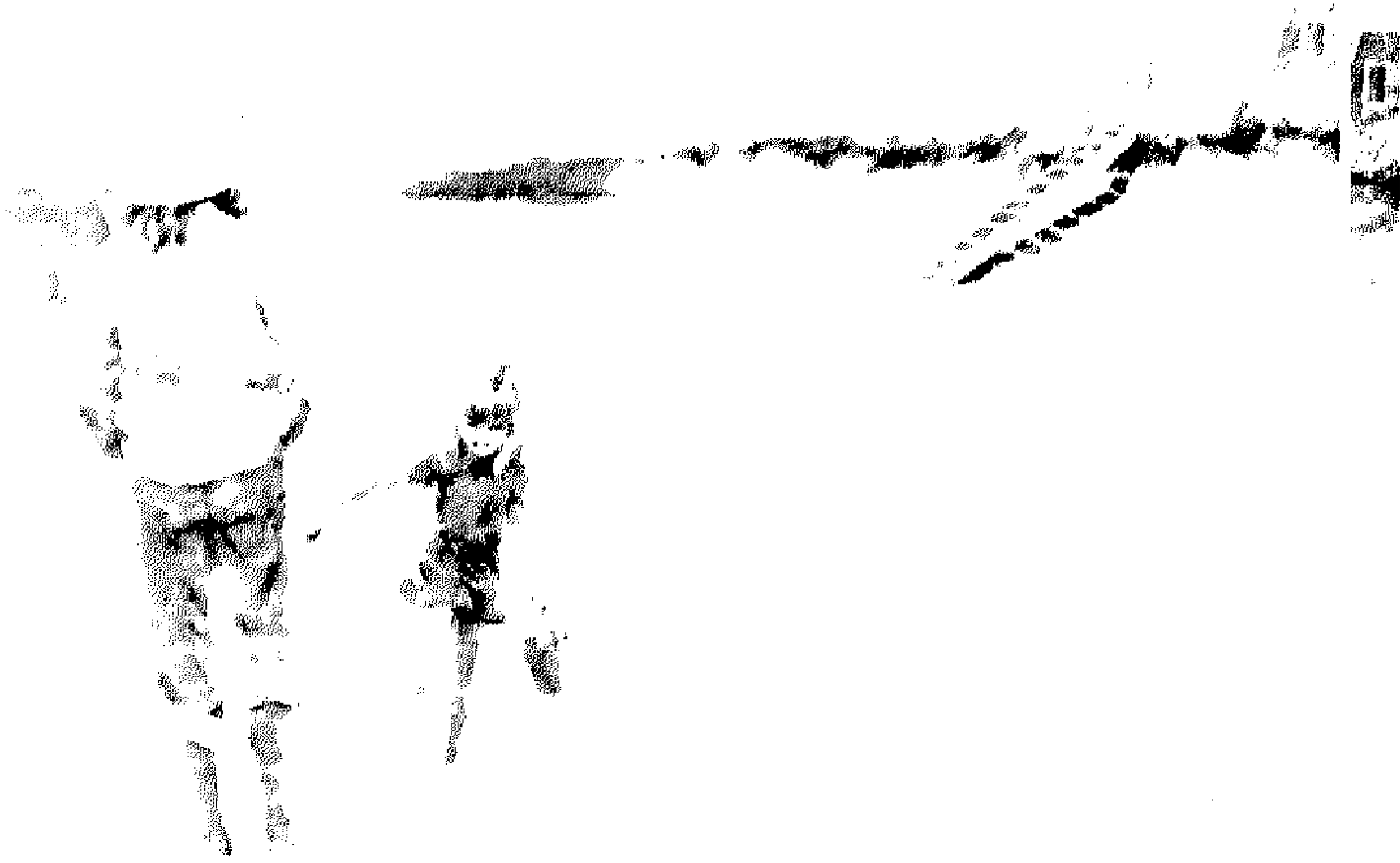
ومع ازدهار التنقيب عن النفط بعد انتهاء الحرب، توسعت شلومبرغر بسرعة. ويفوق دخلها الصافي الآن دخل شركات عملاقة مثل جنرال ميلز الامريكية وميتسوبيشي اليابانية للصناعات الثقيلة. ولم تعد المؤسسة تدار من قبل عائلة شلومبرغر (توفي كونراد في ١٩٣٦ ومارسيل في ١٩٥٣)، إلا ان احدى بنات مارسيل، وتدعى فرانسواز، راحت تراقب الثمانين سهماً التي منحها إياها والدها وهي تتضاعف الى ملايين، لتصبح اكبر مساهمي الشركة واحدى أغنى نساء العالم.

وأقامت فرانسواز مع والدتها متحفاً في النورماندي لعرض مساهمة عائلة شلومبرغر في التنقيب عن النفط. أما آن، الابنة البكر للشقيق كونراد، فقد انهمكت ايضاً في الخدمة العامة. فأسست مكتبة للأطفال في كلامار، احدى ضواحي العاصمة الفرنسية، ومركز بحوث لادب الاطفال. وفي هيوستون لم تدخر ابنة أخرى، هي دومينيك، وزوجها جان جهداً في رعاية الفنون بسخاء، مما حمل صحيفة "هيوستون بوست" في كلمة تكريمية على التصريح انه بفضل جهود الزوجين "غدت هيوستون مكاناً أجمل".

لكن الهبة الكبرى لعائلة شلومبرغر الى الانسانية ستكون تلك الآفاق الجديدة الاكثر اشراقاً للطاقة. اذ يمكن للادمغة الالكترونية "شلومبرغر" الآن دمج مخططات بيانية عدة لمسبار المسح الجيولوجي في "صور مركبة" توفر كل المعلومات اللازمة للتحقق من وجود النفط. ويصر الرئيس الحالي للشركة، جان ريبو، البالغ من العمر ستين عاماً، على أن هناك مزيداً من النفط يبقى علينا ايجاده. ويضيف متنبئاً بأن العلوم الطبيعية ستطيل عصر النفط الى وقت متقدم من القرن الحادي والعشرين: "عندما تبحث عن النفط، فانك تجده".

... خصوصاً حيثما وجدت مقطورة شلومبرغر الزرقاء.

■ **دورولي غو ستروتسل**



ست كلمات،
واحدة
عن كل سنة
من عمرها،
علمتني
نعمة الحب

هَديّــة طفــلة

روت جارتي يوماً تجربة مرت بها ذات شتاء على شاطىء البحر في ولاية واشنطن. ولازمت كلماتها خيالي، ودونت يومئذ ملاحظات عنها. وبعد سنوات، في مؤتمر للكتاب، عاودتني تلك القصة. وشعرت برغبة جامحة في نقلها الى الآخرين. واليكم رواية جارتي التي تهزني الآن كما هزتني للمرة الاولى.



كانت في ربيعها السادس عندما التقيتها على شاطىء البحر قرب المكان الذي أقيم فيه. فأنا الجأ الى ذلك الشاطىء، على مسافة خمسة كيلومترات أو ستة من منزلي، كلما ضاقت بي الدنيا.

كانت تبني قلعة من الرمال عندما طالعتني بعينين لهما زرقة البحر. وبادرتني: "مرحباً". فأجبت بايماءة. ذلك لان مزاجي آنئذ لم يسمح لي بمحادثة طفلة صغيرة.

"اني اشيد بناء".

وقلت غير مبالية: "استطيع ان ارى ذلك. ما هو؟"

"آه، لست أدري. انا احب ملمس الرمال".

وراقتني الفكرة، فخلعت حذائي. وحط قربنا طائر بحري من فصيلة زمار الرمل. فهتفت الفتاة: "هذا مفرح".

ـ ماذا؟

"هذا مفرح. تقول امي ان زمار الرمل يجلب الفرح".

ومضى الطائر البحري نحو الشاطىء. فغمغمت في نفسي: "وداعاً ايها الفرح". واستدرت كي اعود ادراجي. كنت مكتئبة، وبدت حياتي بلا معنى. وسمعت صوتاً صغيراً ورائي: "ما اسمك؟"

آه من تلك الفتاة انها لن تستسلم.
- روث. أنا روث بيترسون.
"وانا ويندي. وعمري ست سنوات".
- مرحباً يا ويندي.
وكرت ضحكاتها المتقطعة: "أنت مسلية". وعلى رغم همومي ضحكت أنا أيضاً. ومضيت، تتبعني ضحكاتها الموسيقية: "تعالي ثانية يا سيدة بيترسون. سنمضي يوماً سعيداً آخر".
لكن الايام والاسابيع اللاحقة شغلها أناس آخرون: مجموعة من الكشافة المشاكسين، مجالس أولياء الطلبة، وأم عليلة.
وذات صباح مشمس، بعدما انتهيت من غسل الصحون، قلت في نفسي: "أنا في حاجة الى طائر زمار". وتناولت معطفي وخرجت.
وهناك كان بلسم الشاطىء في انتظاري. واسترسل النسيم بارداً يبعث القشعريرة، لكني مضيت بخطى سريعة، احاول استعادة صفائي الذي افتقدته. كنت نسيت الطفلة فأجفلت حين طالعتني مرة أخرى.
"مرحباً، سيدة بيترسون. هلا شاركتني اللعب؟"
- وأي لعبة تقترحين؟
لم يخل صوتي من نبرة انزعاج. فقالت: "لست ادري. اختاري انت". فسألتها بتهكم: "ما رأيك في لعبة الاحجية؟"
وكرت ضحكاتها الرنانة من جديد: "لست اعرف تلك اللعبة".
- اذاً دعينا نتمشى.
ورحت اتأمل تقاطيع وجهها الناعمة. وسألتها اين تسكن.
"هناك". وأشارت الى صف من الشاليهات الصيفية. وتملكتني الدهشة:
كيف تعيش هنا في الشتاء؟
- أين مدرستك؟
"لم أعد أذهب اليها. تقول امي اننا في اجازة".
ورحنا نجوب الشاطىء، والفتاة تثرثر بلغة الاطفال. لكن عقلي كان منشغلا بأمور أخرى. وعندما غادرت المكان، لم تنس ويندي أن تقول انه كان يوماً سعيداً. وكنت أحس براحة نفسية لم اعتدها. فابتسمت لها موافقة.
بعد ثلاثة أسابيع عدت الى ملاذي الوحيد في حال يقارب الذعر. ولم اجد ميلا حتى الى تحية ويندي. ولمحت امرأة في شرفة الشاليه ظننتها امها. وانتابتني رغبة قوية في أن أطلب منها منع طفلتها من الخروج.
ولحقتني ويندي. فخاطبتها مؤنبة: "اريد أن أكون وحدي اليوم، اذا كنت لا تمانعين".
بدت الصغيرة شاحبة ولاهثة. وسألتني ببراءة: "لماذا؟".
وانفجرت في نوبة من الانفعال: "لان أمي ماتت!".

وسرعان ما عضضت شفتي ندماً: "رباه! كيف اقول ذلك لطفلة؟".
وردت ويندي بهدوء: "اواه، اذا فهو يوم سيىء".
- اجل، وكذلك امس وقبل امس و... آه، اذهبي بعيداً!
"أكان ذلك مؤلما؟".
وكدت افور غضباً منها ومن نفسي. فقلت: "ماذا تعنين؟".

"عندما ماتت".

- بالطبع كان مؤلماً.

كنت قاسية مع الصغيرة ومنغلقة على نفسي، واسرعت مبتعدة.

بعد شهر أو نحوه عدت الى الشاطىء، لم تكن ويندي الصغيرة هناك، وكنت اشعر بالندم والخجل من معاملتي لها، وأعترف بأني افتقدتها، وقصدت كوخ أسرتها بعد حولتي، وطرقت الباب، ففتحت لي أمرأة شقراء على وجهها مسحة حزن، فبادرتها: "مرحباً، أنا روث بيترسون، لقد افتقدت صغيرتك اليوم وتساءلت أين تراها تكون".

"آه، اجل، السيدة بيترسون، تفضلي بالدخول، حدثتني ويندي كثيراً عنك، أخشى ان اكون سمحت لها بازعاجك، اذا بدر عنها أي سلوك سيىء، فأرجو ان تقبلي اعتذاري".

- أبداً، فهي تجلب لي الفرح.

كنت اعني ما اقول، وتابعت: "اين هي؟".

"ويندي ماتت في الاسبوع الماضي، كانت مصابة بسرطان الدم، الم تخبرك؟".

وجمدت الكلمات على لساني، وتلمست طريقي الى احد المقاعد، وتابعت السيدة: "كانت ويندي تحب هذا الشاطىء، وعندما طلبت المجيء لم نستطع أن نرفض طلبها، بدت أفضل كثيراً هنا، وتمتعت بما سمتد أياماً سعيدة، لكن صحتها تدهورت بسرعة في الاسابيع الاخيرة - وهنا تلعثمت - لقد تركت لك شيئاً ما... ليتني اجده، الا تنتظرين لحظة؟".

وأومأت ببلاهة وأنا ابحث عن كلمة عزاء اقولها لهذه الام الشابة، وناولتني مغلفاً وسخاً كتب عليه اسم السيدة بيترسون بخط طفولي.

وفتحت المغلف، فوجدت داخله رسماً بألوان الشمع الزاهية: - شاطىء أصفر، وبحر أزرق، وطائر بني، وفي أسفل الصورة كتب بعناية:

طائر زمار
لجلب الفرح الى صديقتي

واغرورقت عيناي بالدموع، وفاض الحب في قلب نسي، او كاد ان ينسى، كيف يحب، وأخذت أم ويندي بين ذراعي وأنا أردد: "ليرحمها الله! ليرحمها الله!" وبكينا معاً.

ذلك الرسم الصغير يزين اليوم جدار مكتبتي، ست كلمات، واحدة عن كل سنة من عمرها، تكلمني عن الرضا والشجاعة والحب المعطاء، تلك هديتي من طفلة، عيناها بزرقة البحر وشعرها بلون الرمال، علمتني نعمة الحب.

■ ماري هيلبرت



ميتة اسخيلوس

وافقت شركة لويد اللندنية للتأمين على تغطية ميتة من نوع ميتة الشاعر المسرحي اليوناني اسخيلوس، ايماناً منها بأن حادثاً كهذا لن يحصل ابداً، والمعروف ان اسخيلوس مات عندما سقطت على رأسه سلحفاة كان يحملها نسر في منقاره!

رويتر



المحامي الخيالي الذي عشقته الملايين

لم يكن هذا الرجل شخصية خيالية فحسب،
أن بيري مايسن الذي عرفه رواد السينما
ومشاهدو التلفزيون فى انحاء العالم،
والطالع من صفحات الكتب،
كان له الفضل فى حل غوامض قضايا حقيقية

كانت جريمة القتل التي اتهم فرانك باس بارتكابها عام ١٩٤١ قضية مستكملة العناصر من وجهة نظر المدعي العام داريل باركر في مقاطعة ماريكوبا في ولاية اريزونا الامريكية. فلديه سلاح الجريمة، وهو مطرقة ملطخة بالدم، وشاهدة راغبة في الادلاء بافادتها. لكن الشاهدة كانت زوجة المتهم، وقانون ولاية اريزونا لا يسمح للمرأة بأن تشهد ضد زوجها الا بعد موافقته.

ورغب باركر في قسط من الراحة بعدما نهكه التفكير المتواصل بالقضية. فلجأ الى رواية بوليسية للكاتب ابرل ستانلي غاردنر بعنوان "قضية العروس الفضولية". واذا ببطل الرواية بيري مايسن، وهو محام يجري تحرياته بنفسه، يواجه مشكلة توازي تلك التي حيرت باركر، ولكن من الناحية المعاكسة: كيف يمنع المحكمة من قبول شهادة رجل ضد زوجته.

حاول المدعي العام في قضية مايسن الطعن في عقد الزواج، بحيث يستطيع الزوج ان يشهد ضد زوجته. فما كان من مايسن الا ان اثبت شرعية الزواج، ساداً الطريق امام شهادة الزوج. وشعر باركر بالحماسة: ماذا يحدث لو كان عقد قران باس وزوجته غير شرعي؟

تفحص باركر سجلات زواج المتهم، فاكتشف ان في عروق باس من الدم الهندي الاحمر ما يكفي لتصنيفه بين ابناء قبيلة بايوت. أما زوجته، فعلى رغم كون امها مكسيكية الا انها كانت تنتمي شرعاً الى العرق الابيض. وينص احد قوانين ولاية اريزونا على اعتبار هذا الزواج غير قانوني. ونتيجة لذلك، قبلت شهادة السيدة باس في المحكمة وجرم القاتل. وهكذا حقق بيرى مايسن، الطالع من صفحات كتاب، انتصاراً جديداً في معترك الحياة.

هوليوود لا تفهم ـ غدا بيري مايسن انجح رجال التحري الخياليين في الازمنة الحديثة، منذ ظهر للمرة الاولى في آذار (مارس) ١٩٣٣ في "قضية البراثن المخملية". فهو لم يخسر دعوى واحدة. وحقق مبيع رواياته الاثنتين والثمانين، المليئة بالمغامرات، ارقاماً قياسية قد تستحيل مضاهاتها. وبيع من كتب ابرل ستانلي غاردنر المثيرة نحو ٣١٠ ملايين نسخة، كما ترجمت مآثر مايسن الباهرة الى ٣٧ لغة. ومع انه لم تنشر اي مغامرة جديدة للتحري الرائع منذ ١٩٧٣، الا ان الفي نسخة من كتبه تباع الان كل ٢٤ ساعة.

وحولت روايات مايسن الى افلام تلفزيونية تولى بطولتها الممثل ريموند بر، وعرضت طوال تسع سنوات في الولايات المتحدة وفي اكثر من ٦٢ بلداً آخر، ولا تزال تعرض في امريكا اللاتينية والولايات المتحدة. واصبح مايسن بطل ستة افلام سينمائية الى ان استرد غاردنر الترخيص بانتاج الافلام لشعوره بأن هوليوود لا تفهم بطله.

اما القراء المعجبون بمايسن فيفهمونه جيداً. انهم يعرفون اسلحته، وهي حضور قوي في قاعة المحكمة ومعرفة موسوعية بقوانين كاليفورنيا واخلاص مطلق من تحريه

الخاص بول دريك وسكرتيرته ديلا ستريت. أما خصمه في قاعة المحكمة فغالباً ما يكون هاملتون برغر (هام) المدعي العام الخيالي لمقاطعة لوس انجيليس. ويظن برغر وزملاؤه، المرة تلو المرة، انهم أمام قضية تخلو من نقاط ضعف يمكن ان يفيد منها خصمهم. فاذا بالتحري مايسن، الذي يتقن اللعبة القضائية ويبرع في استجواب الشهود، يجد سبيلا الى كشف النقاب عن المجرم الحقيقي في قاعة المحكمة.

وحتى عندما يظن المدعي العام ان لديه شاهد عيان لا يمكن دحض حجته، يواجهه مايسن بضربة معاكسة صائبة. ففي "قضية الكلب النباح"، اتهمت بيسي فوربس، موكلة مايسن البريئة، بجريمة قتل، بعدما توجهت في سيارة اجرة الى مكان الجريمة، تاركة على المقعد الخلفي منديلا مبللا بالعطر. ولما كان مايسن يدرك ان الادعاء العام سيستخدم سائق التاكسي للتعريف بالسيدة فوربس، فانه استأجر ممثلة تشبه موكلته وتضع العطر نفسه الذي كان يفوح من المنديل.

وارسل مايسن سيارة الاجرة. وفي المحكمة دحض افادة السائق بأن جعله يقر بأنه اذا اخطأ في التعرف الى المرأة التي استرجعت المنديل، فمن الممكن كذلك ان يكون مخطئاً في تحديد هوية الراكبة الاصلية. وحين اكد السائق ان بيسي فوربس هي التي استعادت المنديل، اوشك مايسن على اثبات براءة موكلته. وغني عن البيان انه ليس بين موكلات مايسن اي مذنبة اطلاقاً، وان معظمهن حسناوات.

وترتكز مغامرات مايسن اما على مبدأ قانوني او على فكرة اوحت بها قضية تولاها ايرل ستانلي غاردنر، وهو نفسه محام سابق في كاليفورنيا. ويبقى السؤال: اين ينتهي دور المبدع ليبدأ دور الشخصية الخيالية؟

بطل الحي الصيني - ولد غاردنر في ١٧ يوليو (تموز) ١٨٨٩ في مدينة مالدن في ولاية مساتشوستس الامريكية. ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره انتقل مع اسرته الى كاليفورنيا حيث امضى بقية عمره. وجمع ايرل بين دراسته الثانوية والطبع على الآلة الكاتبة في احد مكاتب المحاماة في مدينة بالو التو. ثم درس المحاماة على نفسه. وفي ١٩١١ صار ايرل محامياً، وكان في الحادية والعشرين. وعندئذ بدأت مغامرات بيري مايسن الحقيقية في حياة ايرل ستانلي غاردنر.

في العالم ١٩١٣ بدأ غاردنر يمارس المحاماة في اوكسنارد، وهي مدينة صغيرة في كاليفورنيا تقطنها جالية صينية كبيرة. ولما كان ايرل، القصير القامة ذو النظارتين، نصيراً للمستضعفين وضليعاً في دقائق القانون الجنائي في الولاية، فانه سرعان ما اضحى بطلا بين ابناء الحي الصيني.

وتولى غاردنر، مرة، مهمة الدفاع عن ٢٠ صينياً اتهموا ببيع اوراق اليانصيب. فعمد الى نقل كل متهم بمفرده من موقعه المألوف الى مكان آخر، ادراكاً منه ان التحري الغريب

الذي انيطت به مهمة القبض على الصينيين لا يميز بين شرقي وآخر. وهكذا حل وونغ دك الجزار محل عامل المصبغة آه لي، ونقل الثمانية عشر الآخرون على نحو مماثل. وفي مركز الشرطة اخفق التحري في تحديد هوياتهم. واشار غاردنر خلال المحاكمة الى انه اذا كان الضابط المسؤول عن اعتقال موكليه لم يستطع التمييز بين صيني وآخر، فكيف امكنه تحديد هوية باعة اليانصيب؟ وهكذا ختمت القضية، واضحى غاردنر بطل الحي الصيني.

وكانت للقضية ابعاد اخرى، اذ ما لبث غاردنر ان تعلم اللهجة الصينية الكانتونية ليتحدث بطلاقة مع زبائنه الجدد. كما ظفر بلقب دا تسوانغ شي (اي المحامي العظيم) وجمع مواد قصصه. وبعد بضع سنوات زار غاردنر الصين حيث عامله مضيفوه كما يعامل الملوك.

وفي العام ١٩٢١ فكر غاردنر في زيادة دخله عن طريق كتابة القصص. فراح يعمل باجتهاد في حقل المحاماة نهاراً، ويمضي لياليه في كتابة القصص للمجلات الشعبية ومع مرور الوقت اكتسب سهولة في التأليف جعلته ينتج اكثر من مليوني كلمة سنوياً. فادرج اسمه في "كتاب غينيس للارقام القياسية العالمية" كأسرع الروائيين قاطبة. وعلى رغم رفض الصحف قسماً كبيراً من انتاجه، الا ان غاردنر تمكن في اقل من سنتين من ان يبيع عدداً غير ضئيل من الرواياتالتي نشرت تحت اسمه المستعار "تشارلز غرين".

مفتاح الثروة ـ حقق غاردنر نجاحاً متزايداً في حقلي المحاماة والتأليف عاماً بعد عام. وفي ١٩٢٦ تمكن غاردنر الكاتب من بيع ٣٥ قصة ورواية قصيرة، فيما واصل غاردنر المحامي كسب قضايا يائسة تكاد تكون خاسرة.

وتولى غاردنر يوماً الدفاع عن متهم طالبته امرأة شابة بتعويضها لانه، بزعمها، حطم اعصابها بتصرفاته وتركها في حال يرثى لها من الانهيار والاضطرابات الحادة بعد ان حرمها فرص الزواج. وبدت القضية خاسرة، لا محالة، الى ان وقع زلزال مصادفة في المنطقة هز قاعة المحكمة والقى الرعب في قلوب الحاضرين الذين تسارعوا الى الاختباء تحت الطاولات والمقاعد، باستثناء غاردنر والمدعية اللذين حافظا على رباطة جأشهما.

وعندما عادت هيئة المحكمة الى الالتئام، وقف غاردنر مشيراً الى المدعية بحركة مسرحية تليق ببطله بيري مايسن، وخاطب هيئة المحلفين: "لقد استحوذ الرعب على الجميع ما عدا هذه المرأة، فانها حافظت على برودة اعصابها. فهل هذا تصرف من تصيبه العوارض التي تكلمت عنها؟" وبعد خمس عشرة دقيقة فضت الجلسة واعلنت براءة موكل غاردنر.

وما أن حل العام ١٩٣٢ حتى صار غاردنر في طليعة كتاب المجلات البوليسية. وعلى رغم البدلات المتواضعةالتي كانت المجلات الشعبية تدفعها خلالالازمة الاقتصادية الكبرى التي لفت الولايات المتحدة والعالم، كان دخل غاردنر من

الكتابة يزيد على ٤٠ الف دولار سنوياً.

ولولا اختراع الديكتافون (اداة فونوغرافية يستعملها رجال الاعمال، تسجل ما يملى عليها من كلام فيكون في الامكان سماعه لاحقاً وتدوينه) لما ظهر بيري مايسن الى الوجود. فآلة التسجيل هذه اتاحت لغاردنر زيادة انتاجه بغزارة بعد ان بات في امكانه ان يسجل ما يشغل ثلاث سكرتيرات. وفي العام ١٩٣٣ صدرت الروايتان الاوليان للمحامي بيري مايسن، اضافة الى ٦٩ رواية قصيرة واقصوصة ومقالة في المجلات.

واول كتب بيري مايسن كان "قضية البراثن المخملية". وقد املاه غاردنر على الديكتافون في ثلاثة ايام ونصف يوم، علماً بأنه كان يخصص شطراً من نهاره لشؤون المحاماة. وبعد ان رفض الكتاب ناشرون عديدون قبله وليم مورو وشركاؤه. واثبتت الايام ان الكتاب كان مفتاح الثروة الطائلة لكل من المؤلف والناشرين. فخلال السنوات السبع والاربعين الماضية صدر الكتاب في ١٩ طبعة في الولايات المتحدة وحدها، واعيد طبعه في ٣٤ لغة، وبيع منه اربعة ملايين نسخة. وتوالت كتب بيري مايسن في الصدور بمعدل كتابين او ثلاثة في السنة.

وفي العام ١٩٣٨ بدأ غاردنر يتخوف من تدني شعبية بيري مايسن: فهل يستطيع ان يكرر نجاحه في رواية لها ابطال جدد؟ وهكذا كان كتابه "كلما كبر حجمهم" اول كتاب في سلسلته الجديدة. وصدر بالاسم المستعار "أ. أ. فير". وقد ظهرت فيه برتا كول للمرة الاولى، وهي صاحبة وكالة تحريات خاصة، بدينة وشغوفة بخواتم الماس، ومعها زميلها القصير القامة، دونالد لام، وهو كتلة متفتقة عن ادهى المعلومات والالاعيب القانونية. وحقق الكتاب نجاحاً باهراً. فألف غاردنر ٢٩ كتاباً من هذه السلسلة.

امل اليائسين — في العام ١٩٤٧ كان غاردنر يتمتع بحياة رغد هانئة وبأكبر دخل بين معاصريه من الكتاب. وفي ذلك الحين زاره محام شاب يدعى آل ماثيوز يطلب نصيحته. وكان للاخير موكل معدم لا اصدقاء له يدعى وليم مارفين ليندلي، وجد مذنباً في جريمة قتل. وكان ليندلي في طريقه الى غرفة الغاز، اذ رفض حاكم الولاية تأجيل تنفيذ الاعدام به. ولاقتناع ماثيوز ببراءة موكله، طلب من غاردنر المساعدة.

وشرع غاردنر في العمل لانقاذ ليندلي. واستنتج بعد دراسة تفاصيل الجريمة ان المحامي الشاب كان محقاً. ووجه غاردنر الى حاكم الولاية وقضاة المحكمة العليا رسائل اورد فيها ما توصل اليه من استنتاجات. وكان الحاكم خارج الولاية آنذاك، الا ان رسائل غاردنر كانت قوية الحجة بحيث اجمعت المحكمة على الطلب من نائب حاكم الولاية ان يأمر بتأجيل تنفيذ الحكم. وفي النهاية قرر الحاكم، بناء على توصية المحكمة، انزال عقوبة ليندلي من الاعدام الى السجن المؤبد بعدما اعلن الطبيب الشرعي انه مختل العقل.

ومع ان ساحة ليندلي لم تبرأ الا انه نجا من الموت. واقنعت قضيته

غاردنر بأن كثيرين مثله يحتاجون الى المساعدة، وليس لهم معين او سند.
وفي العام ١٩٤٨ اسس غاردنر، بمساعدة هاري ستيغر ناشر مجلة "آرغوزي" "محكمة الملاذ الاخير". وهي هيئة من الخبراء المجلين في حقول مختلفة. وكانت مهمتها دراسة الادلة والبينات المتعلقة بقضايا تحوم حولها الشبهات. وخلال السنين العشر التالية درست الهيئة مئات الطلبات، وافلحت في انقاذ حياة ٣٣ رجلا وامرأة من الابرياء.
وتوفي غاردنر عام ١٩٧٠ عن ثمانين سنة، بعدما حقق شهرة كخبير عالمي في القانون الجنائي، وتلقى الثناء والتكريم من زملائه المحامين. وهو عاش حياة زاخرة بالنجاح والانجازات الباهرة، وخلف للعالم ارثاً نفيساً هو بيري مايسن الخالد.

■ **جيمس ستيوارت ـ غوردون**



مختبر الرجال

الاجتماعات المألوفة تعطي بعض الاعضاء فرصة لسماع اصواتهم وهم يتكلمون بلا انقطاع، بينما تعطي آخرين فرصة لرسم تمساح او ساق امرأة. كما تمنع الرجال الذين يمكنهم التفكير واتخاذ قرارات حاسمة من ان يفعلوا هذا.

لين يوتانغ

السياسي الصغير

كان حاكم كاليفورنيا يستقبل مجموعة من الاطفال الذين سافروا بالطائرة من جنوب الولاية الى مدينة ساكرامنتو لزيارته، ووجه سؤالا الى أحدهم عن سرعة الطائرة، فأجاب: "كانت سرعتها كافية لايصالنا الى هنا". فعلق الحاكم: "هذه طريقتي في الاجابة عن الاسئلة".

ك.ن.

الخطأ النافع

دخل رجل محلا لبيع الاغذية وقال: "جئت ثانية لتصحيح حسابي. فقد كنت هنا هذا الصباح واعطيتكم ٨٠ دولاراً، لكنكم اخطأتم الحساب في المبلغ الذي ارجعتموه الي، ولم اكتشف الخطأ سوى الآن".
فقال له صاحب المحل: آسف اذ لا يمكنني فعل شيء الآن. لقد كان عليك كشف الخطأ الذي أشرت اليه فور وقوعه.
فأجاب الرجل: "حسناً، اذاً سأحتفظ بالدولارات الثمانية الزائدة التي ارجعتموها الي".

صحيفة "ايبوكا" ايطاليا

تمتّعوا

بحركات راقصي بالي المدهشين، هذه هي اندونيسيا
هذا هو عالم آخر فاتن - مدهش




سافروا

على متن طائرات شركة غارودا التي تخدم اكثر من
ثلاثين مدينة في آسيا ،اوروبا واستراليا ، رحلة ممتعة
منعشة ، طائرات موثوق بها ،
الخطوط الجوية الوطنية الاندونيسية ،

لاجل مزيد من المعلومات عن اندونيسيا : أطلب نسخة
مجانية ملونة عن اندونيسيا من

ARUDA
Indonesian Airways
Wisma Indonesia
5 Orchard Road, Singapore.

garuda
indonesian airways


سيدتي
الطبيبة الجراحة

قصة إمرأة اقتحمت عالم الرجا

الجراحة مهنة قاسية تتحدى حتى أكثر ممارسيها مهارة وترهقهم جسدياً. وهي تتم غالباً في حالات الطوارىء وفي مواقف فاصلة بين الحياة والموت.

ومهنة الجراحة، حتى العقد الاخير، كانت وقفاً على الرجال، ولم تجذب سوى القليل من النساء، فمعظمهن فضلن الطب عليها.

لكن هذا الواقع بدأ يتغير في أواخر الستينات. وكانت اليزابيت مورغان من طليعة فتيات جيلها اللواتي تخصصن في الجراحة بعد دراسة الطب.

وبعد ١١ سنة من الدراسة والاختصاص، افتتحت الدكتورة مورغان عيادة خاصة في العاصمة الامريكية واشنطن.

ووضعت كتاباً شائقاً، تصف فيه اعدادها الطبي وما رافقه من عمل كادح وارهاق وخيبات أمل، مع تركيز خاص على العملية البطيئة التي يكتسب الجرّاح خلالها المهارات الضرورية لانقاذ حياة الناس.

سيدتي الطبيبة الجراحة

المبضع الى غرفة العمليات

إن أكثر ما يخيف طالب الطب باديء الأمر هو فكرة التشريح. وقد بدأ طلاب صفي في جامعة ييل في نيوهيفن (ولاية كونتيكت الامريكية) يروون النوادر بعصبية حول ذلك الموضوع منذ يوم التسجيل الاول عام ١٩٦٧. وظننت انه سيُغمى عليّ أو تجتاحني الكوابيس المرعبة لدى مواجهتي تلك التجربة. وهذه الظنون راودت سواي كذلك.

كانت غرف التشريح الثلاث ذات بلاط أخضر ومليئة بالطاولات. وعلى كل طاولة وُضعت قبة من الالمنيوم تشبه غطاء ضخماً لوعاء خضر. وتحت تلك القبب كانت الجثث ملفوفة بالنايلون، وقد اوكل أمر كل منها الى طالبين أو ثلاثة. واتفق رأيي ورأي كاتي فلين (★)، إحدى الفتيات القلائل في صفنا، على أن جامعة ييل، اذا كانت تكترث لحالنا، يجب ان تدع الفتيات يعملن معاً على تشريح جثث انثوية.

إلا ان ييل لم تفعل شيئاً من هذا؛ وكان زميلي في التشريح هنري باكس. وقرأنا على غطاء الالمنيوم أن حصتنا كانت جثة ذكر. وجلس الى الطاولة المجاورة روي ماك غريغور وليني تورنر وآرت ليبشيتز يعملون على جثة انثى.

والتفت روي اليّ وقال: "هذا لا يطاق. انه محرج. ان امي تتبعني أينما ذهبت".

لكن أحداً من الصف لم يُصَب بالاغماء أو يصرخ. فما ان بدأنا حتى بدا كل شيء علمياً وواقعياً. وكان جلد الجثة جافاً وبنياً وكثيفاً. وكانت تتصاعد منها رائحة زيت الغلطيرة القوية الذي تطلى به الجثث لحفظها من الفساد. وتسربت الرائحة الى شعرنا وثيابنا، وفي نهاية ثلاث ساعات من التشريح تشبعت أيدينا برائحة الزيت.

وبعد تلك الحصة الاولى اشترينا جميعاً ثياباً خاصة بالتشريح. وكنا نشرّح قبل الظهر، ثلاثة أيام في الاسبوع. وعلى رغم اننا كنا نغتسل ونبدل ثيابنا قبل التوجه الى قاعة الطعام، الا ان طلاب الطب المتقدمين هناك كانوا يتذمرون علناً من رائحتنا. وحين أتممنا تلك المادة أقمنا حفلة أحرقنا فيها ثياب التشريح.

والحق أن تشريح الجثث ليس بالأمر السهل، لان الانسجة تضعف بفعل المواد الحافظة وتسقط اذا لم تعالج بحذر. يضاف الى هذا أن علم التشريح معقد على نحو غير عادي.

وأكثر من أخافنا من أساتذة التشريح كان الدكتور كارتر. فهو يقف الى جانبك وأنت تشرّح،

(★) جميع الاسماء، ما عدا اسم المؤلفة، مستعارة.

Condensed from «The Making of a Woman Surgeon», copyright 1980 by Elizabeth Morgan, M.D., published by G.P. Putnam's Sons, New York, N.Y. Photos, Bob Adelman and Steve Kaplan.

ويراقبك بصمت مدة خمس دقائق. وفجأة يقول: "ما هذا؟"، مشيراً الى عصب سهوت عنه ولم تتمكن من معرفته. ثم يضيف: "انه المجموع العصبي السمبتاوي (الودي)، وهو مهم جداً. ويجدر بك ان تدرس. فالتشريح، يا بني، شاق".

الى التشريح، كان بين موضوعات السنة الاولى الكيمياء الاحيائية وعلم الاجنة وعلم وظائف الاعضاء. وكان طلاب السنة الفائتة اشتكوا من كون الموضوعات نظرية جداً، وطالبوا بزيادة التدريس العيادي التطبيقي. وهكذا نظمت الادارة جولات اختيارية نرافق فيها القسم العيادي الى المستشفيات.

وكنت في مجموعة تتلاقى في الخامسة والنصف عصر كل ثلثاء في اشراف الدكتور فينسنزو. وفي اللقاء الثالث أخذنا الى وحدة "العناية الفائقة" المؤسسة حديثاً. ويقتضي دخول الوحدة ان نضع فوق ثيابنا رداء معقماً طويلاً حتى الأرض. وقال الدكتور فينسنزو وهو يرتدي ثوبه: "هذا لن يرد الاصابات... لكنه تفكير الجراحين التبسيطي". وانطلقنا لعيادة فتى في التاسعة عشرة من عمره. وقال فينسنزو:

"هذا الفتى، طوني، بدأ تعاطي الهيروبين والكوكايين وكل مخدر آخر أمكنه شراؤه، وهو في الرابعة عشرة. وكان ان اشترى مخدراً بخس الثمن من نيويورك، فتكت جراثيمه بصمام الوتين (الشريان الاورطي) في قلبه. وأنقذ أحد جراحي القلب حياته بابدال الصمام الطبيعي بآخر من البلاستيك. لكن أي اصابة جديدة تشكل خطراً على حياته لانها، اذا استقرت حول الصمام الجديد، نزعته من مكانه وأدت الى وفاة الفتى. ولو وقع هذا الحادث قبل سنوات لما أمكن انقاذه لأن هذا النوع من جراحة القلب لم يكن ابتكر بعد. فأنتم ترون الآن حدثاً مثيراً".

كان طوني فتى طويلا ناحلا، قصر عنه سرير المستشفى الى حد ان قدميه تجاوزتا حدود السرير. ورأيت دوائر تحت عينيه الكبيرتين السوداوين، وكان من النحول بحيث نتأت ضلوعه من جانبيه. ونظر الينا على جانب سريره وقال بصوت أجش: "هل يمكنكم ان تصدقوا، يا دكاترة، اني كنت عضواً في فريق كرة القدم في مدرستي الثانوية العام الماضي".

وكنا نسمع ضرباً ضعيفاً متواصلا، عرفت بعد برهة أن مصدره قلب الفتى. فقد كان الصمام الاصطناعي يرجّع دقات قلبه من داخل الغلاف الفولاذي الذي يحفظ الصمام في مكانه.

وبقينا نقوم بجولات الثلثاء على المستشفيات مع الدكتور فينسنزو خلال الاشهر الستة اللاحقة. وفي اليوم الاخير سألته اذا كان طوني لا يزال في المستشفى، فقال: "هذه نهاية قاسية للاشهر الستة التي قضيناها معاً. لقد عاد طوني الى وحدة العناية الفائقة. وكان، بعد الجراحة الاولى التي اجريت له ومكث على أثرها شهراً في المستشفى، قد رجع الى منزله وعاش مع والده واكتسب قوة مكنته من جز العشب في الحديقة.

"لكنه حمل الى المستشفى الاثنين

لماضي في سيارة اسعاف. وكان قلبه خرير تمكنت من سماعه باذني لمجردة، كما كان دمه مختلطاً بالجراثيم. لقد عاودته الاصابة وكانت تفتك بعضلة القلب حول الصمام الاصطناعي. وأبدل الجرّاح الصمام، لكن الاصابة لم تترك مكاناً يمكنه تثبيت ذلك الجهاز اليه. ان طوني الآن ينازع. والاصابة انتشرت حتى دماغه ورئتيه وأحاطت بالصمام الجديد. وليس في إمكاننا ان نفعل له شيئاً".

ودخلنا لرؤية طوني. كان هناك انبوب في قصبته الهوائية وجهاز للتنفس الاصطناعي. وأشار جهاز مراقبة القلب فوق سريره الى ان سرعة نبضه كانت مضاعفة. ووصلت مثانته بانبوب يحمل البول الى وعاء. لكن قلبه لم يضخ المقدار الكافي من الدم لدر البول. لذلك كان الوعاء شبه فارغ.

ولدى مغادرتنا قال الدكتور فينسنزو: "هذا هو الطب. ولكن، لحسن الحظ، ليس كله هكذا".

وفيما كنا عائدين الى مخادعنا بصمت، قال ليني تورنر انه صمم نهائياً على التخصص في الطب النفسي. الا ان ذلك حيرني. فأنا لم أكن أرى جاذباً الا في الجراحة. لقد فتنتني الجراحة، ولا أدري بالضبط مصدر ذلك الرأي. ولكن بعدما رأيت وحدة العناية الفائقة، راقتني فكرة الجراحة أكثر من أي وقت مضى.

ولم يكن بين طلاب الاختصاص أو المدرّسين في قسم الجراحة في جامعة ييل أي فتاة، كما لم تكن هناك أي جراحة بين جراحي مدينة نيوهيفن. وباستثناء انثيين تمارسان الجراحة التجميلية وتكبرانني بسنوات كثيرة، لم أسمع عن فتيات درسْنَ الجراحة إلاّ وقتَ درستُها. ومن الفتيات الستّ في صَفي، هناك ثلاث، بينهنّ أنا، أصبحْن جرّاحات. وبدا واضحاً أنّ جنسنا لم يعد يكتفي بالاعجاب بالجراحة من بعيد، بل أصبح واثقاً من أنّ في امكانه ممارستها. وتلك كانت مرحلة جديدة.

غرفة العمليات

في نهاية سنتي الثانية لم آخذ عطلة صيفية، بل بدأتُ دورتي العيادية الاولى في الجراحة، ودامت عشرة أسابيع. كنتُ لا أزال عازمة على ان أُصبح جرّاحة على رغم التحذيرات التي سمعتُها من أنّ الجراحين الرجال لا يرحبون بالنساء في ذلك الحقل، وانّ النساء تنقصهنّ القدرة على الاحتمال التي تقتضيها الجراحة. وحذَّرَنا طلاب السنة الثالثة من ان التمرين في حقل الجراحة هو أكثر التمارين خشونة، خصوصاً عندما يكون في قسم الطوارىء في وحدة نيوهيفن حيث تم تسجيلي لذلك الموضوع.

وقال لي طالب في السنة النهائية: "الحق أنهم سيضايقونك لأنك فتاة". ولكن ما همّ؟ اذا كانَ مستحيلا عليّ تحقيق هدفي، فيجب أن أكتشف ذلك الآن.

وصلت الى جناح المستشفى المعروف بجناح "لاركينز – ٥" في الثامنة صباحاً. وهناك ضعت وسط عدد صاخب من المرضى والممرضين والمساعدين الاجتماعيين والخدَم

وأطباق الطعام. ولكن لم يكن هناك أطباء.

ونظرت اليّ رئيسة الممرضات وسألت بتعجّب: "إذاً أنت القادم الجديد؟ لم أكن أدري أنه فتاة. إنّ لباسك هذا الأنيق لا يسمح لك بالعمل في جناح "لاركينز ـ ٥". إنها حديقة حيوانات هنا. والأطباء كلهم في غرفة العمليات، ما عدا الدكتور كالاهان الذي يمكنك العثور عليه في الكافيتيريا".

وناداني ديك كالاهان باسمي فيما كنتُ أتنقل على غير هدى في أرجاء الكافيتيريا: "تعالي الى هنا. لقد قيل لي ان ابحث عن طالبة طبّ ضائعة. تفضلي واجلسي".

وجلستُ طائعة وقد أخافني، من ناحية، أنه رجل ظننته غاضباً عليّ، ومن ناحية ثانية أنه طبيب متمرن مقيم في المستشفى. وهذه وظيفة بالغة الأهمية في نظر طلاب الطبّ. فالمقيم طبيب، وإن يكن الطبيب الذي يتابع اختصاصه أعلى منه رتبة. والأطباء المقيمون يصدرون الأوامر الى الممرضين ويجرون العمليات الجراحية ويعرفون كيف يعالجون الحالات الطارئة. وعندما أصبحت طبيبة مقيمة بعد سنتين أدركت أنيّ لا أزال أجهل اموراً كثيرة. وهذه حال كلّ متمرن مقيم. لكني لم أكن أعرف هذا حين قابلتُ ديك.

وقال لي بانفعال: "لماذا تأخرتِ؟ انّ زيارة المرضى تبدأ في السادسة والنصف صباحاً وسَحْب الدم في الخامسة والنصف". وقد أراد ديك ان يذكرني بأنّ سحب الدم في المستشفى يجب ان يجريه طبيب.

ولم أشأ التفكير في ذلك الواقع آنذاك. ولكن سرعان ما تراءى لي أنّ جميع المقيمين والمتخصصين وطلاب الطبّ كانوا وما زالوا يسخرون (في المستشفيات) لتأدية مثل هذه المهمات الصغيرة. وهذا من أخطاء تدريس الجراحة. فنحن، في رأي الكبار، لم نوجد لنعلّم، ولكن لنؤدي أعمالا آلية براتب ضئيل جداً أو من غير راتب.

وأخبرني ديك أنه عليّ ان اتوقع العمل الشاقّ الملازم لدراسة الجراحة وممارستها: "ولن يسهل الأمر عليك أنك فتاة". وأضاف ببعض اليأس أنه يحتاج الى مساعدتي. فقد انقضت عليه عشرة أيام كمقيم، قضى ليلتين منها بلا نوم.

وبعد الفطور جاءت مرشدة صارمة الملامح ودلتني على الغرفة التي ابدل فيها ملابسي بثياب غرفة العمليات، وهي قميص فضفاض من القطن الرمادي اللون وقبعة بيضاء. ثم اخذتني عبر ممر يفضي الى غرفة صغيرة ملاصقة لغرفة العمليات الرقم ٥. وكان في الغرفة الصغيرة أربع مغاسل من الفولاذ. وهناك تعلمت كيف اغسل يدي استعداداً للجراحة.

أما الغاية من التنظيف الجراحي فكانت تعقيم اليدين عن طريق فركهما بفُرشة وصابون معقمَيْن. لكن هذا، في الواقع، غير ممكن، لأن الماء الذي تُغسَل به اليدان ليس معقماً، ولأنّ الجراثيم التي تعيش في التجاويف الشعرية الصغيرة يثيرها حك اليدين فتظهر الى سطح الجلد. غير ان طقوس التنظيف الجراحي مستمرة على حالها.

وقد أرتني احدى الممرضات كيف انظف أظافري أولا، ثم اصابعي، وبعد ذلك ظاهر يديّ صعوداً حتى المعصمين، على أن ابقي يديّ مرفوعتين لئلا ينحدر ماء المعصمين "المتسخ" على اليدين "النظيفتين".

وبعد عشر دقائق من الفرك شعرت بالألم في يديّ. وأسرعت الى غرفة العمليات ويداي فوق رأسي. وكان ذلك مضحكاً، لكنه كان الطريقة المتّبعَة. ورأيت ثلاثة رجال مقنّعين ومرتدين ثياباً فضفاضة من القطن الأخضر ينحنون فوق طاولة عليها كتلة مغطاة بملاءة قطنية خضراء.

حين دخلت التفت اليّ أحد الرجال الثلاثة، وغمزني من فوق قناعه قائلا: "أنا الدكتور تشيس. تعالي شاركينا اللهو. لقد وصلنا الى البطن. وأنا احاول تعليم مات كيف يجري جراحة ويتخلى عن العادات السيئة التي اكتسبها من الجراحين الآخَرين. مات مانينغ هو رئيس المتخصصين، والممرضة المسؤولة عن التنظيف الجراحي هي نانسي. وكبير المتخصصين هو جين فيردي، وسيصبح في العام المقبل رئيسهم. ولن اقدّمك الى المسؤول عن التخدير لأنه سيغريك بالتخصص بحقله. أما أنا فاريدك أن تكوني جراحة، لأننا نحتاج الى نساء أكثر في هذا الحقل. فالرجال بالغو الخشونة... ناولي الدكتورة مورغان ثوب الجراحة يا نانسي. وأنتَ يا مات، اخرج الطحال. لقد دلّلْتَهُ ما يكفي".

وأعطتني نانسي قفازين وثوباً معقّماً فضفاضاً من القطن الأخضر لأرتديه فوق القميص البني الطويل. وهكذا غدوت عضواً في الفريق.

وقال لي الدكتور تشيس: "اليزابيت، اريد ان تقفي بجانبي: أن تدني وتضعي يديك هنا، قريباً مني. هنا، تحت الملاءة، رجْل السيد هومر، فلا تتكئي عليها لئلا يصحو ورجله تؤلمه. انه مضطجع على طاولة العمليات. وكل ما تحت الطاولة غير معقّم، فلا تلمسيه".

واستدار الطبيب لمساعدة مات. وبدأتُ أشعر بالحرارة تحت أنوار غرفة العمليات، وأحسست بميل الى حكّ أنْفي. ورفعت يدي لاثبت قناعي في مكانه. إلا أنّ نانسي زعقت وانتزعت يدي قائلة بقسوة: "وجهك ليس معقّماً! ويجب ألاّ تنسي القاعدة: لا يلمس المعقّم سوى المعقّم".

وصرخ بها مات: "اسكتي! كم مرة يجب ان اكرر ذلك؟ ساعديني! اني اجري جراحة. وفي امكانك أن تعلميها لاحقاً". وغمزتني نانسي بعينها ثم وضعت آلة صلبة في يد مات بعنف جعلها تنزلق الى الأرض.

ولم أذق طعم النوم في الأيام الثلاثة اللاحقة. وعلى رغم انها صادفت عطلة عيد الاستقلال، إلاّ أننا قضينا معظم الأيام الثلاثة في غرفة العمليات.

لقد احببت ذلك كله!

جرذان وفئران

فرغْتُ من دورة الجراحة في نهاية اغسطس (آب). وأمضيت اسبوعاً في البيت محاولة تعويض ما فاتني من نوم. وأخبرت أهلي

سبتمبر (ايلول) ١٩٨٠ ـ ذو القعدة ١٤٠٠

المختار

من ريدرز دايجست



اسرار الحب الحقيقي

(ص ٣٩)

امبراطور ال...

...: هكذا اصبحت طبيبة جرّاحة

متى يتوقف تصدير الموت الى العالم الثالث

(ص ٣٤)

لبنان ٥٠٠ق ـ سورية ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف
تونس ٦٠٠م ـ المغرب ٣د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا واميركا الشمالية ٣د

AL MUKHTAR min Reader's Digest SEPTEMBER 1980

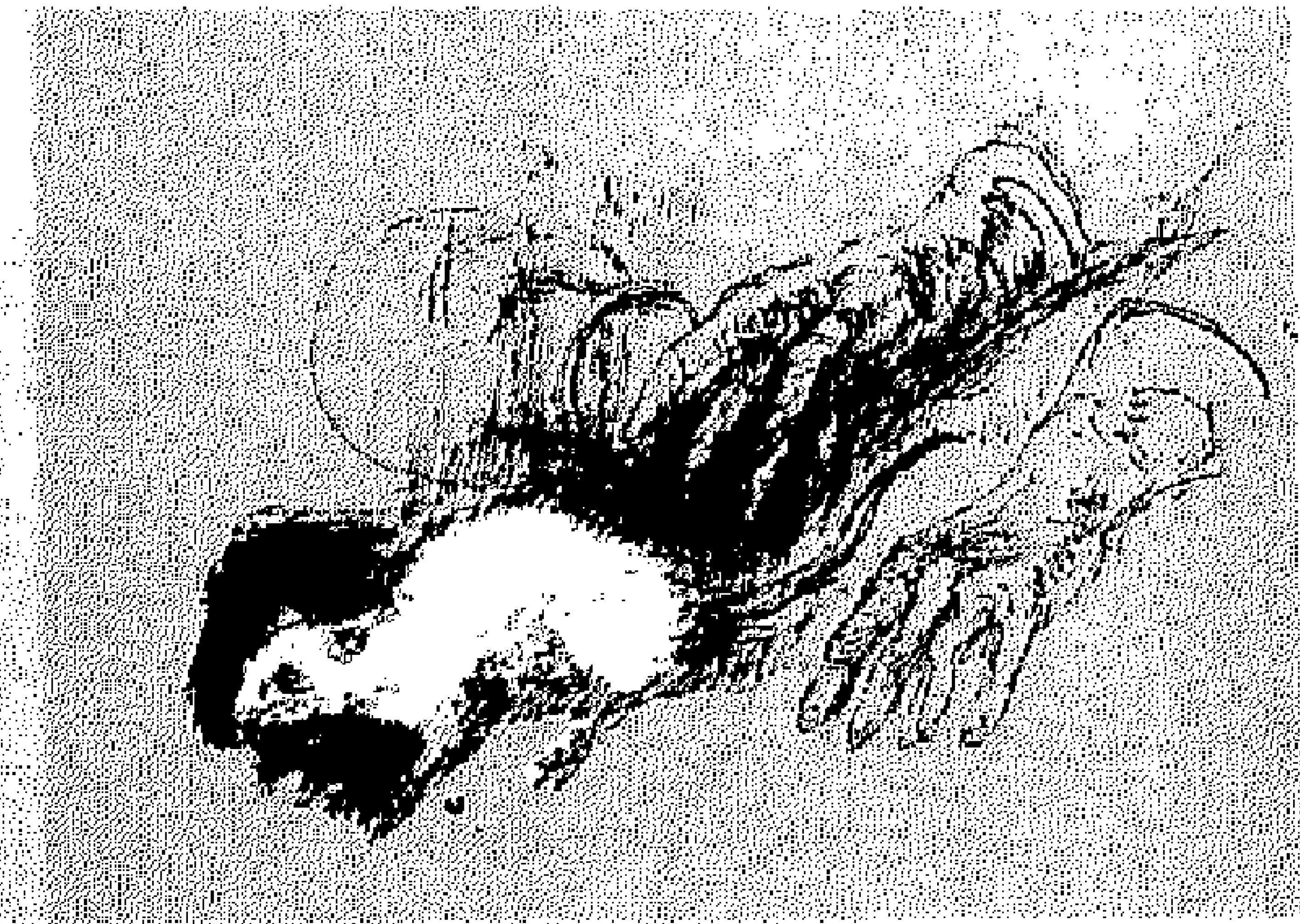
بتجربتي ذلك الصيف. وكانت الادارة وافقت على برنامج دراستي للسنة المقبلة، وهو دورة من ١٢ اسبوعاً في الطبّ الداخلي ودورة من ثلاثة أسابيع في طب الاطفال ودورة من ثلاثة أسابيع في الطب النفسي. هذا في الفصل الأول. وبين منتصف يناير (كانون الثاني) وسبتمبر (أيلول)، سأعمل على بحث مع الاستاذ ارشيبالد هنتر، وهو رئيس أطباء سابق في جامعة ييل. وقد سمح لي هنتر العمل في مختبره، شرط ان أتفرّغ تسعة اشهر على الأقل لبحث كان يجريه على الايوسينوفيل، وهو نوع من خلايا الدم البيضاء التي تقاوم عدوى الطفيليات. وطلب هنتر مني التحرّي عما اذا كان التلوّن المزدوج الناتج من الطفيليات والجراثيم يزيد أو يُنقص عدد هذه الخلايا في الجرذان والفئران. وكنت ادوّن الملاحظات وهو يرسم خطة عملي. وبدا كلّ شيء غاية في البساطة.

كان عليّ تلويث الفئران والجرذان بدودة "الترخينة" التي تسبب داء الشّعْرية (من اعراضه الحمى والغثيان والاسهال وآلام العضلات) وترفع نسبة خلايا الدم البيضاء المقاومة للطفيليات. وعليّ بعد ذلك تلويث بعض الفئران والجرذان بالجراثيم لتصاب بذات الرئة والشّعْرية معاً. ثم أقتل تلك الحيوانات وأفحص دمها ونخاعها العظمي لأرى ما إذا كان مرض ذات الرئة يمنع تسلل خلايا الدم المذكورة من النخاع العظمي.

وعيّن الاستاذ هنتر الطالب المتخرج جون ميلر ليساعدني. وبجدية بالغة دلني جون على وعاء مادة الاتير لتخدير الجرذان. وبعد تخديرها ادخلنا انبوباً الى معدة كل منها لتلويثها بدود الترخينة الصغير. ثم حقنا الجراثيم تحت الجلد عبر وريد طويل في الذيل. وكان بعض الجرذان ربّي حاملا دودة الترخينة. وكلما احتجنا الى تلك الدودة كان علينا ان نقتل جرذاً منها بقطع رأسه وسلخ جلْده ثم وضعه في آلة فَرم كانت هناك لتلك الغاية.

وقال جون: "انه عمل قذر. ولكن ستتعودين عليه. والأفضل ان تضعي ثوب المختبر فوق لباسك".

وكانت هناك ثمانية أقفاص من البلاستيك وُضعت في تصرفي. وكان في بعضها جرذان أو ثلاثة وفي البعض الآخر عشرة فئران او عشرون



فأراً. وذكرتني الفئران بالفأر المدلل "سنافي" الذي رباه اخي، ولم ترقني فكرة سلْخ حيوان يشبه "سنافي" ثم وضعه في آلة لفرم اللحم. لكنني أدركت أنّ الطالب لا يمكنه ان يصير طبيباً جامعياً ناجحاً ما لم يجر بعض البحوث. واذا أوقفت بحثي بدافع من هذا الشّبَه فانني لن أصل الى مكان.

وجمعت عشرة جرذان في سلة. كانت قوارض قبيحة الهيئة، ولم يبدُ لي أنّ قتلها سيزعجني إطلاقاً. وحملت جرذ الترخينة وقتلته بالاتير، ثم سلخته وقطعته فتصاعدت منه رائحة كريهة، ووضعته في آلة الفَرم. وأخيراً حصلت على كوب من لحم الجرذ المفروم. ووضعت اللحم في محلول استنباتي لاستخراج دود الترخينة منه.

ووضعت الجرذان العشرة السليمة، واحداً بعد الآخر، في وعاء الاتير. تخبط الأول وارتمى مخدّراً، فانتزعته من الوعاء ووضعت آخر محله. وأقحمت انبوباً في معدة الجرذ الاول وحقنته بمحلول الترخينة. وتذكرت اني لم احضر قفصاً للجرذان المحقونة. وكان الاول لا يزال مخدّراً، فوضعته على الطاولة، وسحبت الجرذ الثاني من الاتير وهو على وشك ان يموت.

ووضعت الجرذ الثالث في الاتير، وحقنت الثاني بالترخينة. وسحبت الثالث لأضع الرابع محله وأحقنه. في تلك الأثناء مات الجرذ الثاني، في حين تحرّك الاول الى حافة الطاولة وسقط أرضاً. فأخذته بيدي، ولكن لم يكن هناك قفص أضعه فيه.

وأسرعت خارج الغرفة مغلقة الباب ورائي، وذهبت أبحث عن قفص آخر. ولدى عودتي وجدت ان الجرذ الرابع مات لأني نسيته في وعاء الاتير، وان الثالث تحرك عن الطاولة وهو الآن تحت المغسلة، يحاول ان يجد طريقه الى قارورة فارغة. وتبعته بانفعال حول الوعاء وقبضت عليه من مؤخَّر عنقه ووضعته في القفص.

وعند غياب الشمس كنت لا أزال أضع الجرذان البيض في وعاء الاتير، ثم أحقنها بالطفيليات قبل حجزها في القفص. وكانت الساعة نحو السابعة. وأعدت الجرذان الى غرفتها الخاصة المضبوطة الحرارة والنور، وغسلت يدي مرات عدة، من غير ان يفارقني الاحساس بأني أعبق برائحة الجرذان.

وقضيت الاشهُر اللاحقة أعمل مع الجرذان والفئران. وكان الاستاذ هنتر مهتماً بنتائج اختباراتي، ولكن اظنّ انه اكتشف باكراً انه لا موهبة لديّ للبحوث المخبرية. وقد حيره ذلك، لكنه، عندما عرف اني سأختص في الجراحة، زال عجبه وأشرق محياه، فهو لم يتوقع ان يكون الجراحون قادرين على التفكير أو ان يكون لديهم نزوع الى البحث. الا انه اصر على نشر النتائج. وقد راودتني مشاعر الشهرة حين ظهر المقال القصير في مجلة طبية بقلم مورغان وهنتر.

الغلطة الاولى

خلال الدورة الاولى في الفصل التالي، بدأ يراودني القلق بالنسبة الى التمرين بعد التخرج، وكنت وزملائي نتكلم باستمرار عما يجب ان نطمح اليه: راتب مرتفع؟ تعليم جيد؟ مستشفى مرموق؟ عمليات كثيرة؟ وأراد زملاء كثيرون الالتحاق بمستشفيات في الساحل الغربي. أما أنا فاضطربت جداً وتساءلت عما اذا كانت الجراحة حقلي الصحيح. وأخيراً أرسلت طلبي الى الدائرة التي تفرز طلبات جميع متخرجي الطب الجدد

في الولايات المتحدة وتعين لكل منهم المستشفى الذي يقضي فيه فترة اقامته التمرينية. وذكرتُ في الطلب اني اريد البقاء في منطقة نيو انغلاند (القطاع الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة).

وكانت الطلبات ترسَل الى عمداء كليات الطب التي يختارها الطلاب. وقبلتني المؤسسة التي وقع عليها اختياري الاول، وهي مستشفى جامعي - تعليمي مرموق. وقُبل زملائي جميعهم في مؤسسات اختاروها، وان لم تكن دائماً الاختيار الأول لكل منهم. ورحنا نهنيء بعضنا بعضاً ونقول ان السنوات الأربع مرت بسرعة.

بدأت فترة اقامتي التمرينية في السابعة من صباح ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٧١. وكانت الحرارة بلغت ٣٠ درجة مئوية فيما تجمع ١٨ جراحاً من المقيمين الجدد في قاعة اجتماعات المستشفى. وأعطي الرجال الستة عشر سراويل وسترات بيضاء، بينما أُعطيت الفتاتان - وأنا احداهما - تنورتين بيضاوين بدلا من السراويل. وكانت التنورة واسعة جداً عند الخصر وضيقة عند الردفين، وهي تتدلى حتى ثمانية سنتيمترات فوق الكاحلين. وفي نهاية الاسبوع كان كرهي لتلك التنورة بلغ حداً جعلني ارسلها الى التنظيف من غير ان استردها على الاطلاق. وكنتُ افضل العمل في الثياب اليومية.

أثار هذا الامر احتجاج عدد من الجراحين. وقال احدهم: "عليك ان تلبسي الثوب الأبيض أو لن يعرف أحد انك طبيبة". ومرّ بجانبي الدكتور غوردون، وهو يعمل في الجراحة العامة، وقال: "هذا رائع. انك تبدين كانثى من جديد يا اليزابيت. لا تدعي هؤلاء الاغبياء يفرضون عليك اللباس".

- ولكني لا أظهر كجراحة هكذا.

"هذا خطأ يا عزيزتي. أنت، طبعاً، لا تظهرين كجراح ذكَر. ولكن ليست هناك اناث في هذه المهنة كي تقتدي بهن. وفي امكانك ارتداء أي شيء يروقك".

أيامي الاولى في الاقامة الطبية قضيتها أقرأ جداول المرضى وأدخل المرضى الجدد. وكان عليّ تدوين



التاريخ الصحي لكل منهم ونتيجة الكشف الطبي، وارسال عينات الدم الى المختبر لتحليلها، وطلب تخطيط للقلب وفحص شعاعي للصدر. وقضيت اكثر من ساعة على كل مريض. وغاية هذه الفحوص التحري عن الامراض "الصامتة" التي تقتل المريض خلال الجراحة، ومنها النوبات القلبية الحديثة وذات الرئة والسكري وفقر الدم.

وكان أحد المرضى الجدد ينتظر استئصال البروستات في اليوم التالي. وعلى رغم كونه مصاباً بمرض خطير في القلب وذبحة صدرية متكررة، إلا أن تخطيط قلبه ذلك اليوم لم يكشف عن أيّ اصابة قلبية جديدة. واستُدعيت في الثالثة فجراً لأنه كان يعاني نوبة صدرية حادة. وأرادت الممرضة ان اكتب وصفة لاحضار النيتروغليسيرين (مادة زيتية كثيفة تستخدم في الطب) له. ولدى استدعائي كنت لا أزال غارقة في عمل النهار: أتولى حقْن الدم وأسأل المرضى ان يوقعوا اوراقهم قبل أربع ساعات فقط من بدء الجراحة الصباحية.

وطلبت النيتروغليسيرين وفحصت المريض الذي قال ان حاله حسنة، ثم عدت الى العمل. وكان علي ان أسحب الدم وأفحص المرضى الذين يعانون ارتفاعاً في الحرارة وانهي تدوين الاوراق. ولم اكن تغديت او تعشيت في اليوم السابق، بل اقتصرت على التهام بعض الشوكولاتة من علبة على طاولة الممرضات تركها أحد المرضى تعبيراً عن امتنانه. وكان افضل لي، كما تبين في ما بعد، لو طرحت جانباً عملي الروتيني وانصرفت الى تخطيط قلب المريض الذي يعاني ألماً في صدره.

وفي اليوم التالي تناهى الى سمعي حديث جراحين في غرفة الطوارىء:

"لقد توقف قلبه وهو على طاولة العمليات. فقد أعطاه طبيب التخدير جرعة "بنتوثال" وراح يصل الانبوب بقصبته الهوائية. وفجأة نظرت الى المرقاب لاجد خطاً مستقيماً يعني أن قلبه توقف عن الخفقان. وتولينا انعاشه حالاً، لكنه لن يخرج من هنا الا في نعش. لقد اصيب بنوبة قلبية حادة الليلة الماضية وكذلك بألم في الصدر. الا أن تلك المقيمة البلهاء تجاهلت ذلك".

وأجلت النظر حولي فأيقنت أني أنا المقصودة. وفي تلك اللحظة أردت الانسحاب من المهنة، لكني دعيت الى المساعدة في جراحة. بعد ذلك أخذني كبير المقيمين جانباً وقال:

"ذلك الرجل، يا اليزابيت، كان يصارع الموت من جراء مرض القلب قبل دخوله المستشفى. كما كان مصاباً بذبحة صدرية شبه دائمة. ولم تكن أيامه الباقية كثيرة. وأنت، كمقيمة، لا بد من أن ترتكبي أخطاء كثيرة لانك ستكونين دائماً مرهقة من العمل. ولكن تذكري هذا الامر: ان نسبة الوفاة لدى الذين يعطون البنج من غير اجراء تخطيط للقلب في أعقاب نوبة حديثة تراوح بين ٥٠ و٨٠ في المئة. وكل شخص يشكو ألماً صدرياً يجب أن تعتبريه مصاباً بنوبة قلبية حتى اثبات العكس".

بعد أيام قليلة مات ذلك الرجل، ولم أنسه قط. الا أني لم أنسحب من

المهنة. ولو فعلت لقال الزملاء الرجال: "هكذا يكون التصرف الانثوي الهستيري". وأنا لم أشأ أن ابهجهم بذلك التعليق.

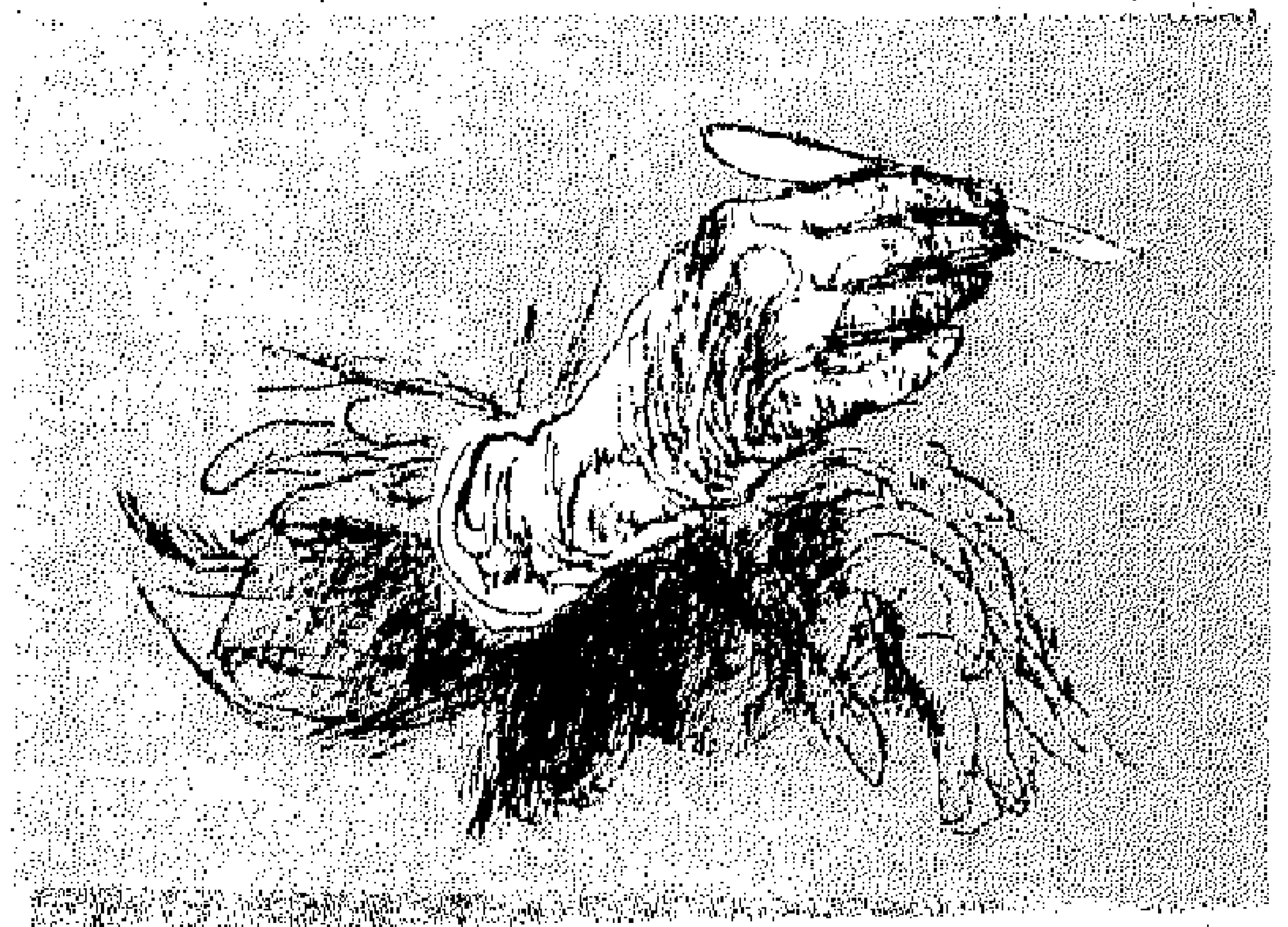
"سنة حلوة..."

خلال الاسبوعين التاليين عملت ١٢ يوماً ونصف يوم، بما فيها سبعة أيام من دون أي نوم تقريباً. كانت الجراحة تجربة آسرة، وان تكن شاقة. وتعلمت كثيراً عن العناية بالمرضى وتشخيص المرض.

وفي صباح أحد الايام كنت اعقم يدي لمساعدة الدكتور غوردون في استئصال مرارة. فسأل: "هل مارست القص؟"

- نادراً.

"ألم تقطعي حتى الزائدة الدودية؟ ألم تصلي الى مكان الفتق؟ اسمعي. لا يسعني ان اسمح لك باستئصال



مرارة هذا المريض، فذلك في منهاج السنة المقبلة. ولكن اريد أن تفتحي الجرح في بطنه. اني اراهن على انك لم تحملي مبضعاً قبل اليوم".

صحيح أني لم أكن حملت المبضع، الا أني فعلت ذلك يومئذ. ووقفت الى الجانب الايمن، وهو ناحية العملية، وكنت على وشك أن اصبح جراحة حقيقية.

وقلت: "المبضع!"

فقال الدكتور غوردون: "حسناً. ناولوا الآنسة سكيناً".

وحين اخذته قال: "احمليه كما لو كان قلماً".

وبلغ انفعالي حداً نسيت معه كيف يحمل القلم. فأخذ غوردون يدي وثبت أصابعي حول المبضع كما ينبغي. وبدأت امرره فوق المساحة التي خططها بحبر الجراحة الازرق على بطن المريض. وقصصت جزءاً من مليمتر عبر الجلد.

وعلق الدكتور غوردون: "على هذا المنوال سنبقى هنا الى الغد. يجب أن تتكئي على هذا المشرط وتحفري عميقاً. ولا تدعي الافكار الجميلة تمر في رأسك. بل فكري في الامور القبيحة والقاسية". ووضعت ثقلي فوق المبضع وتابعت القص. وقال الدكتور غوردون: "ثبتي النصل ليشكل زاوية قائمة (٩٠ درجة) مع الجلد. ولا تميلي طرف النصل لئلا يكون رتق الجرح صعباً". ووضع اسفنجة جراحية، تشبه المنشفة، على جانبي الجرح لامتصاص الدم. وقال: "انسي النزف، واتركي هذا الامر لي"، فيما كان ممسكاً بملزمة في كل يد. ووصلت عميقاً الى العضلات، وأجفلت حين اصطدمت بأحد الشرايين. فقال آمراً: "اقطعي! اقطعي! ان قليلا من النزف لا يؤذي أحداً قط". وتابعت القطع.

- مهلا! توقفي. انك على وشك الوصول الى البطن. وقد قلت لك ان عليك الانتظار حتى العام المقبل...

أعطيناها سنتيمتراً فذهبت كيلو متراً! انها جراحة حقيقية.

وكان ذلك الكلام أفضل اطراء.

وحل التاسع من يوليو (تموز)، وهو عيد ميلادي، بعد اسبوعين ونصف اسبوع من بدء اقامتي. وأصبح عمري ٢٤ سنة. اني احب كعكة العيد والحلويات وبعض اهتمام يثار حولي. لكني كنت أدري أن ذلك غير ممكن اذا كان المرء مقيماً في مستشفى.



وتمنت لي الممرضات عيداً سعيداً لدى دخولي الجناح في السادسة صباحاً. وقضيت بقية اليوم، من السابعة صباحاً حتى الرابعة عصراً، في غرفة العمليات. لم أتناول الغداء وكانت رجلاي تؤلمانني وأنا مكبة على عملية استئصال الدوالي (الاوردة المنتفخة) من رجلي امرأة سمينة في الاربعين. ولم تكن الدوالي تسبب لها ألماً، لكنها أرادت استئصالها لاسباب جمالية.

بدأنا العملية في التاسعة صباحاً. وما ان حل الظهر حتى شعرت بكره لتينك الرجلين. وشعرت بارهاق لم أتمكن معه من ترك عيني شاخصتين. ولكن كان أمامنا ثلاث ساعات على الاقل. وانحنينا، الجراح وأنا، كل واحد على رجل، نشق ونثقب ونحاول استئصال كل عرق صغير منتفخ. وكنت امسك العرق وأهز رأسي لاصحو ثم اسحبه وأطرف بعيني لابصر جيداً ثم امسك عرقاً آخر وأسحبه، وهكذا دواليك. واذا بالوريد الذي كنت امسكه ينشق لان أفكاري كانت شاردة.

عند ذاك صرخ الجراح: "لن تصبحي جراحة على الاطلاق اذا كان هذا خير ما تستطيعين. استمري في العمل ولا تتوقفي".

واعتذرت وهززت رأسي لاصحو. فقال: "لا تفعلي هذا لانه يهز الطاولة".

وانحنت كتفاي من فرط الارهاق. وعندئذ قال: "اجلسي مستقيمة، فأن رأسك يحجب النور".

وصررت أسناني وتراجعت علني أقوى على تركيز نظري. ثم تنهدت وتابعت العمل. ولم أنفك عن القول في نفسي بغيظ: "سمينة... سمينة".

لقد شعرت بالتعاسة. وعلى رغم أن الجراحين المقيمين لا يحزنون اطلاقاً لحالهم، الا أني حزنت، مدركة أن ذلك ضعف مني. وبدا أنه من القسوة أن أعمل طوال الوقت وبلا اطراء يوم عيد ميلادي. ولم يكن الجراح عالماً بتلك المناسبة. غير أني كنت متأكدة من أن تصرفه لن يتبدل اذا هو علم.

وانتزعنا العرق الاخير في الثالثة والربع بعد الظهر. وفي الرابعة كتبت بسرعة متطلبات العناية اللاحقة للجراحة، وبدلت ملابسي ورحت أجر الخطى نحو جناح المستشفى لارى أي عمل كان في انتظاري وما الكوارث التي حلت منذ السابعة صباحاً.

ونادتني رئيسة الممرضات الآنسة ليبي: "دكتورة مورغان، هل يمكن أن أراك لحظة واحدة؟ يجب أن نجتمع في غرفة الممرضات لان الامر خاص".

وتساءلت بانزعاج ويأس: "والآن ماذا فعلت؟ لماذا تريد الآنسة ليبي أن تزعجني في هذا اليوم بالذات من دون بقية الايام؟"

وكانت أنوار الردهة مطفأة، وفي وسطها طاولة تتصدّرها كعكة عيد كبيرة أضاءتها ٢٤ شمعة. وراحت الممرضات يغنين: "سنة حلوة..." ووقفت عاجزة عن وصف امتناني لهنّ على تلك البادرة الرائعة.

أبطال كرة القدم

بعد عشرة أشهر كمقيمة أصبحت متعبة وسريعة الانفعال، كما أصبحتُ أكثر ثقة بنفسي. وتبخرت المخاوف التي كانت لديّ في كلية الطبّ من أني لن أتمكن من المتابعة. فها أني صمدت، وكنت أتعلم اجراء الجراحات.

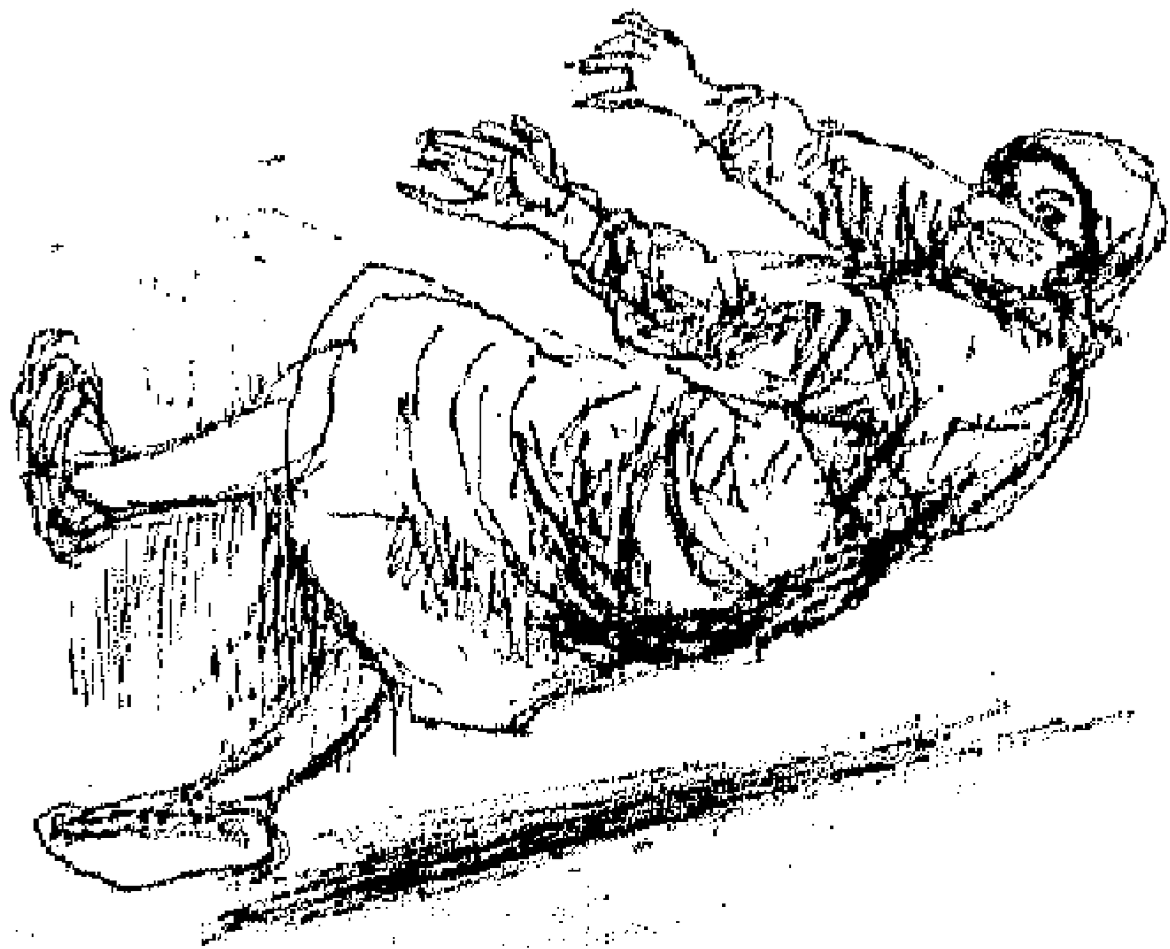
وكانت دورتي التمرينية التالية في جراحة الأطفال، انتقلتُ بعدها الى مستشفى للمحاربين القدامى حيث أجريتُ أول عملية بتر، ثم انتقلت الى جراحة تقويم الاعضاء، أي التجبير المتعلق بالعظام والمفاصل.

وفي أحد الايام قال رئيس المتخصصين المسؤول عني: "نريدك في غرفة العمليات هذا الصباح. افطري جيداً إذ ينبغي أن تكوني قوية".

كانت المريضة أمرأة سمينة في الخمسين، تعاني نوبة حادة من التهاب المفاصل. وكان وركها سيُبدل بمفصل معدني لتستطيع المشي من جديد. وانتظرت بفارغ الصبر لأُشاهد العملية، وهي نوع جديد من الجراحة آنذاك.

نظر السيّ رئيس المتخصصين صعوداً ونزولا، معبراً عن شكه وعدم ثقته، لدى بدء العملية. وقال: "أرجو أن تكوني أقوى مما تظهرين". أما هو فكان وزنه ١١٣ كيلوغراماً، وكان افضل ظهير في فرق كرة القدم الجامعية في الولايات المتحدة.

وقال المتخصص المساعد، وهو سابقاً افضل ظهير معاون في كرة القدم الجامعية ووزنه ١٠٠ كيلو غرام: "ان اليزابيت ستفعل حسناً. المسألة كلها قائمة على الموقع الذي نأخذه، ولا تقتضي قوة جسدية. المطلوب تناول الركبة ورفع الرجل. وعندما نقول: "اسحبي"، عليكَ أن تسحبي



حتى يخرج الورك من تجويفه".

ورفعتُ الرجل، فوجدتُها ثقيلة. وأحسست بألم في كتفيّ، لكني أبقيت الرجل مرفوعة.

وبعد ثلاثين دقيقة قال رئيس المتخصصين الذي كان مكباً على العملية: "الآن اسحبي الرجل الى أعلى. أسحبي أكثر!" ونظر اليّ فرآني على الأرض. لقد سحبت بقوة فقدتُ معها توازني ووقعتُ أرضاً.

عندئذ قال رئيس المتخصصين: "أظنّ أننا نطلب الكثير". وأمسك بورك المريضة بينما تناول الطبيب المقيم فخذها.

وقال رئيس المتخصصين: "واحد، اثنان، ثلاثة: اسحب!" وصرخ اختصاصي التخدير: "على مهل! انكما تكادان تسحبانها خارج الطاولة". وأعاداها الى الوضع الصحيح.

وقال المتخصص المساعد: "ساعديني يا اليزابيت". وكنت أبدلت ثوبي وقفازيّ بعد سقوطي على الارض.

وخاطبني رئيس المتخصصين: "اسحبي. ها هو الورك يخرج من تجويفه. كلا، ليس تماماً. اسحبي بعد... استرخي... علينا أن نعيد الكرّة".

وأسرع جراح التجبير ليساعدني. وقال لي: "ألست أنت المقيمة الجديدة؟ كلّ ما أطلبه منك أن تقفي جانباً". وتناول الرجل مع المتخصص المساعد، وأخذ يقول: "واحد، اثنان، ثلاثة: اسحب. بهدوء وثبات. هيا يا شباب! تابعوا السحب. ها هو الورك يخرج. اسحب. اسحب أكثر. قف. انه الورك خرج من المفصل. حسناً فعلتم أيها الرجال!".

وخاطبني وهو يتنفس بثقل وجبينه يرشح عَرَقاً: "الآن يمكنكِ أن تعودي. ارفعي الرجل هكذا من الركبة. سنسمح لك بالقاء نظرة عندما يحين الجزء الشائق من العمل".

ورحت افكر في محدودياتي الجسدية. ان لكلّ امرأة القوة الكافية لإجراء أيّ جراحة سوى تلك المتعلقة بالكتفين والورك ومفصل الركبة لدى شخص بالغ. وهي، في هذه الحالات، تحتاج الى مساعدة رجُلين أو ثلاثة. والرجل نفسه يحتاج الى مساعدة رجال آخرين، لكنّ حاجة المرأة الى هذه المساعدة أكبر. أعرف جرّاحتين ناجحتين في حقل التجبير، وهما أقوى مني جسدياً. لكنهما تعرفان تماماً متى تحتاجان الى طلب العون ممن يفوقهما قوة.

أرجُل مكسورة وعضات كلاب

في الرابع والعشرين من يونيو (حزيران)، انتهت سنة الاقامة التي اكتشفت خلالها ان في امكاني تحمّل الارهاق والضغط أكثر مما كنت أظن قبل سنة. كنتُ أكتسب الخشونة.

وعندما عدتُ الى المستشفى كطبيبة متخصصة، بدأتُ عملي في غرفة الطوارىء. وكان على أطباء السنة الاولى في التخصّص أن يقضوا أربعة أشهر على الاقلّ في غرفة الطوارىء، عاملين يومين كلّ خمسة أيام، على مدى ٢٤ ساعة في اليوم. وكان معي مارك ليمان الذي أمضى سنة اقامته في الوقت الذي فعلت انا. وفي صباح اليوم الاول دخلنا غرفة الطوارىء وأجلنا النظر في البرنامج المطلوب.

وقال مارك: "جاءني خبر سيء يا ليزي: ستكون هنا في الرابع من يوليو (تموز)، عيد الاستقلال. هل تعلمين ما يعني هذا؟ انه يعني جروحاً وحوادث سير بالعشرات".

يومنا الاول في غرفة الطوارىء كان الثاني من يوليو (تموز)، وعملنا، مارك وأنا، من السابعة صباحاً حتى السابعة من صباح اليوم التالي، باستمرار وبلا جلوس. وقد أحضرت لنا الممرضات البيتزا للغداء والهمبرغر للعشاء. فأكلنا ونحن واقفان نكتب الوصفات والتعليمات.

وبدأ الرابع من يوليو (تموز) كالثاني منه. استهللنا العمل في الثامنة صباحاً. وفي العاشرة كان هناك عشرون مريضاً ينتظرون، بأرجل مكسورة وأيد وأقدام مجروحة وعضات كلاب. حتى اذا حلت الساعة الثانية كان هناك أربعون مريضاً. ورحنا نقطب جروحهم وهم لا يزالون على النقالات في اروقة المستشفى.

في الخامسة بعد الظهر زار كبير المقيمين الجراحيين غرفة الطوارىء، وسأل بدهشة: "هل تفقدتما غرفة الانتظار؟ ماذا فعلتما؟ هل نشرتما إعلاناً في صحيفة؟".

وقالت ساندي، احدى الممرضات: "انهما عالجا ١٨٠ مريضاً في الساعات التسع الماضية". وأضافت بعد أن رمت كومة أوراق أمامنا: "عندما تنتهيان، انظرا الى هذه الاوراق التي ينتظر أصحابها منذ الظهر".

وبعدما ألفنا غرفة الطوارىء، وضعنا نحن الاثنين صيغة للعمل المشترك: طعام الغداء لا نتناوله أبداً. مساء يخرج كلّ منا ١٥ دقيقة للعشاء. في منتصف الليل، اذا فرغنا من معاينة جميع المرضى، توزعنا الساعات السبع الباقية بحيث ينام كل منا ثلاث ساعات ونصف ساعة.

في سبتمبر (أيلول) أنهينا الدورة الاولى في غرفة الطوارىء، وعدتُ الى جراحة التجبير. الا ّ أنّ هناك مشكلة كانت تنتظر جميع متخصصي السنة الاولى في ديسمبر (كانون الاول) اللاحق. فقد أراد ثلاثة عشر شخصا منا التخصص بالجراحة العامة، في حين أنّ دائرة الجراحة لا يمكنها أن تستوعب سوى خمسة. وفي اكتوبر (تشرين الاول) بلغنا قرار الدائرة. وكنا، مارك وأنا، غير مقبولين.

ولحسن الحظ، قُبِلْنا في أحد مستشفيات بوسطن، وهو مكان ممتاز للتمرين. وهناك واجهت صعوبة في جعل الناس يصدّقون أني جرّاحة متخصصة، لأني، من ناحية، ما زلت أرفض ارتداء السترة البيضاء المقيتة. فقد أردت أن أشعر بأني انثى واني أختلف عن الجرّاحين الرّجال. أضف الى هذا أنّ تلك السترات البيضاء الطويلة كانت دائماً واسعة جداً.

وذات يوم، بينما كنت أقرأ في سجل مريض، انقضت عليّ ممرضة وصاحت: "من أنت ؟ لا يجوز أن تكوني هنا".

فأجبتها بغضب: "بل هذا هو مكاني. انني من الاطباء الجدد".

- طبيبة؟ لم أعرف أنهم يقبلون طبيبات هنا، إذ لم يكن لدينا طبيبة إطلاقاً.

وفي أسابيع قليلة تعودت الممرضات رؤيتي، ولكن ذات صباح ألفيت الجراحة المقرَّرَة، فجلست مع شون ستيوارت، أحد الأطباء المقيمين، على طاولة السكرتيرة، ندوّن الملاحظات على أوراق المرضى ونطلب من بعضهم فحوصاً مخبرية. وكانت السكرتيرة خرجت لتناول قهوتها الصباحية. وتقدم نحوي طبيب متخصص بالطب الداخلي وانتزع بغيظ الورقة التي كنت أقرأها، ورماها على الطاولة ثم انتزع ورقة اخرى. وبعدما انتزع الاوراق الخمس التي كانت أمامي ورماها، قال بازدراء: "انه جناح بال حقاً. لماذا لا تحفظين الاوراق في الحامل الخاص بها لكي يتمكن الأطباء من استعمالها؟" وأقحم رأسه نحوي وتابع: "لقد دعوتني هذا الصباح وطلبت مني أن آتي فوراً لمعاينة جراحية. وها أنا أتيت، لكني لا أرى تلك الورقة اللعينة. ناوليني ورقة المريض كلاركسون وأحضري فوراً نتائج فحوصه الأخيرة. ليس لديّ وقت اضيعه".

كانت الورقة المطلوبة في يد شون الذي نهض وقال: "اسمح لي بأن اقدم اليك ورقة السيد كركسون. واسمح لي، كذلك، بأن اقدم الدكتور مورغان، انها رئيسة اختصاصيي الجراحة المعاونة في المستشفى (★)".

وراح الطبيب يفتش عن "الدكتور مورغان" فقال شون: "الدكتور اليزابيت مورغان. انها رئيسة المتخصصين المعاونة الجديدة".

وللحال أدرك الطبيب المعاين أني أنا المقصودة. فتراجع مرتعباً وقال: "دكتورة مورغان، أني متأسف كثيراً. لقد ظننت أنك السكرتيرة. هل لديك وقت لتخبريني عن المريض كلاركسون؟".

وبعدما انصرف، نظر شون اليّ قائلا: "انا ايضاً يؤلمني ان تُذلي". وشعرنا نحن الاثنين بأسى لحال السكرتيرة. تلك كانت الطريقة التي اعتمدها كثيرون من الأطباء الرجال لمخاطبة أي موظفة مجهولة، سواء أكانت ممرضة أو سكرتيرة، بغضّ النظر عن حسن طويتها.

المنافسات

في الليل كان أطباء الأمراض الداخلية المقيمون مخولين استدعاء المتخصصين الجرّاحيين من دون استشارة المتخصص بالطب الداخلي. وقد نال أحد اولئك المقيمين سمعة سيئة من جراء استشاراته المتكررة حول مسائل تافهة. ومرةً استدعاني في الاولى بعد منتصف الليل لاستشارة طارئة حول مريضة عانت امساكاً معتدلا طوال السنوات العشرين الماضية. وهو ظنّ أنّ المريضة مصابة بسرطان في المعي المستقيم وأراد أن أجري لها جراحة. وزاد الموقف غرابةً أنّ تلك المريضة كانت اصيبت بنوبة قلبية خلال النهار، ولم يكن ممكناً فحص معيها المستقيم قبل مرور أيام.

وقد أتفقتُ ومارك ليمان على تصنيف ذلك المقيم في خانة المحدودي الذكاء، وانتهت المسألة عند ذاك الحد. أما كارل كبنغسلي، وكنا ندعوه "كينغ" اي

(★) في الانكليزية Doctor تقال للذكر والانثى.

١٢٥ مليونًا
العبها واربح معها

أضخم يانصيب
من نوعه في أوروبا
يفتح أمامك
فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون، لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ:

- عدد البطاقات المبيعة ٤٠٠ ألف فقط.
- من هذه البطاقات، هناك ٢٠٠٤٨٥ بطاقة رابحة حتما.
- كل بطاقة ثانية تشتريها تحمل معها جائزة.
- الربح الاجمالي هو ١٢٥،١٣ مليون مارك الماني.
- هناك خمس جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك.
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك.

اليانصيب الألماني "كلاس لوتيسري" أسس قبل ٣٥٠ سنة.

ولاكثر من ثلاثين سنة، جعل من أمثالك أصحاب ملايين، ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة.

هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث أن ربحه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم. وغني عن القول ان المارك الالماني هو من أقوى العملات العالمية رسوخا.

الرجاء اضافة المبلغ المذكور ادناه لتغطية نفقات البريد، والاجور المصرفية

الضمان

ان دفع هذه المبالغ مضمون في الدورة الواحدة (نصف عام)

١ × ١،٥ مليون	= ١٥٠٠٠٠٠	مارك
٥ × ١ مليون	= ٥٠٠٠٠٠٠	مارك
٨ × ١/٢ مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠	مارك
١٢ × ١/٤ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠	مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠ مارك	= ٦٠٠٠٠٠	مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠م	= ١١٢٠٠٠٠	مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠م	= ٩٠٠٠٠٠	مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠م	= ٨٨٠٠٠٠	مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠م	= ٧٨٠٠٠٠	مارك
٣٠ × ٢٠٠٠٠م	= ٦٠٠٠٠٠	مارك
٣٠٢ × ١٠٠٠٠م	= ٣٠٢٠٠٠٠	مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠م	= ٢٢٠٠٠٠٠	مارك
١١٨٠ × ٢٠٠٠م	= ٢٣٦٠٠٠٠	مارك
١٣١٢٠ × ١٠٠٠	= ١٣١٢٠٠٠٠	مارك
١٨٤٨٠٠ × حتى ٨٠٠م	= ٨٥٠٤٠٠٠٠	مارك
٢٠٠٤٨٥ جائزة مجموعها	١٢٥١٣٠٠٠٠	مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا، وهي معفاة من الضرائب الالمانية، لكن الشركة، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام. وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة أو أكثر.

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخص لها حكوميا، ويجري السحب علنا وقانونيا.

غريغور ✓ فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحوبات عدة على البطاقات نفسها تجرى خلال نصف سنة، بمعدل سحب واحد كل يوم سبت، ويتم ارسال النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة، مرفقة بمعلومات وافية وجلية، تمشيا مع تقاليدنا في المعاملة.

ويمكن أن يأخذ الشاري بطاقة كاملة أو نصف بطاقة أو ربع بطاقة، فيكون نصيبه في الربح جائزة كاملة أو نصف جائزة او ربع جائزة. وتتساوى جميع الارقام في الحظ.

يانصيب في متناول الجميع!
بسيط مثل لعبة أطفال!

- يمكنك طلب بطاقة بملء القسيمة في أسفل الصفحة، أو بكتابة رسالة الينا من غير قسيمة، محددا فيها طلبك.
- عليك أن ترفق الطلب بالمبلغ المحدد، على ان يكون حوالة مصرفية أو بريدية أو شيكا خاصا او حوالة مسافر او حتى نقدا. وفي الحال الاخيرة، يفضَّل ايداع الرسالة البريد المضمون.
- في المقابل ستستلم بطاقتك مع المعلومات المرافقة.
- كذلك ستستلم لائحة دورية بالارقام الرابحة.

في حال الربح!

- سيجري إبلاغك فورا برسالة شخصية.
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك.

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين. فهذا من حق صاحب العلاقة وحده.

خدمة حول العالم

اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة. والرجاء، في هذه الحال، أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا، أو أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة.

لا تنتظر – اطلب بطاقتك الان!

عدد البطاقات الاجمالي محدود، والافضل ان تحجز بطاقتك فورا.

نعم! لقد وافقت على أن ألعب لعبة الـ١٢٥ مليونا، وأريد الاشتراك في الدورة التي تبدأ في ١٧ مايو (أيار) ١٩٨٠ وتنتهي في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠.

	مارك الماني	دولار امريكي	جنيه استرليني
☐ بطاقة كاملة	٦٠٠	٣٥٢	١٦٠
☐ نصف بطاقة	٣٠٠	١٧٧	٨٠
☐ ربع بطاقة	١٥٠	٨٩	٤٠
☐ بطاقة الحظ السعيد	٦٠٠	٣٥٢	١٦٠

(أربعة ارباع ذات ارقام مختلفة)

اذا تم الدفع بغير الدولار الامريكي او المارك الالماني أو الجنيه الاسترليني، فستعتمد قيمة العملة المحوّلة يوم تسلم الرسالة. المبالغ المحددة تشمل ثمن البطاقة خلال سحوبات دورة كاملة، أي نصف سنة، والمبلغ الاضافي يشمل جميع المصاريف الاخرى طوال هذه الفترة.

جميع الحوالات توجّه باسم: W. GREGOR, Postfach 11 90 20, D-6000 Frankfurt/M.

☐ طيّه حوالة بقيمة مارك الماني/ دولار امريكي/ جنيه استرليني.
☐ سأدفع المبلغ فور استلامي البطاقة (أو البطاقات) التي طلبتها.

الرجاء ارسال المعلومات المتعلقة بهذا اليانصيب باحدي هذه اللغات الى العنوان الآتي:

Mr./Mrs./Miss

Street address (or P.O.Box-No.) City (Postal code No.)

Country

الرجاء الكتابة بالاحرف الكبيرة أو الطباعة على الآلة.

"الملك"، فكانت حاله أسوأ. ففي ليلته الثانية في الاختصاص، استدعاه المقيم نفسه عند منتصف الليل، طالباً منه أن يفحص "نزفاً طفيفاً في المعدة"، كما أخبرني "الملك" في اليوم التالي. وتابع "الملك":

"كان صاحبنا مغموراً حتى الكاحلين بملاءات مشبعة دماً. وكانت المرأة المسكينة تتقيّأ الدم عبر انبوب رفيع موصول بالمعدة وخارجه. فتراجعتُ مذهولا وقلت: "ان مريضتك مصابة بنزف قوي. وعليك أن تفرغ معدتها ثم تستدعي مخططي الذبحة الصدرية واختصاصيي المعدة والأمعاء. وعليكم فحص معدتها وتصويرها على الأشعة لمعرفة مصدر النزف، ثم حقنها بالفازوبريسين (هرمون يعمل على تقليص الشرايين لرفع ضغط الدم) قبل أن تقضي نزفاً".

"واكتفى الأبله بجوابه الآتي: "اني آخذ قراراتي بنفسي. شكراً على نصيحتك، لكني اخترت ألا أتقيد بها".

"وتقيأت المريضة ملء وعاء آخر من الدم. ولم أتمكن من الوقوف هناك ومشاهدتها تموت. فأمسكت المقيم المسؤول عنها بقميصهورفعته عن الارض. وحملته هكذا خارج الغرفة وسمرته على جدار في المدخل وقلت: افعل ما آمرك به أيها الصرصور، والا أوسعتك ضرباً حتى يرسلوك الى المختبر في قنينة.

"وأخيراً وافق على ما قلت له أن يفعله. وتحت تأثير العقار توقفت المرأة عن النزف، وان تكن أُعطيت ٢٠ وحدة دم بعد ذلك".

كان كارل كينغسلي فخوراً بأنه أنقذ المرأة من الموت. ولكن عرفنا أن الادارة ستغتاظ مما حصل. وفي اليوم نفسه عُقد اجتماع طويل حضره الدكتور آنجو رئيس قسم الجراحة والدكتور بلس رئيس قسم الطبّ، انضمّ اليهما بعد ذلك محامي الطبيب المقيم الذي أراد أن يغرم كارل لاهانته وضربه.

وفي الاسبوع اللاحق، بينما كان بعض متخصصي الجراحة يتناولون القهوة والحلوى بين عملية وأخرى، راحوا يهمسون بالاشاعة الاخيرة، وهي ان الدكتور آنجو قرر طرد كينغسلي من المستشفى. وقبل بدء جولة العيادات الطويلة صباح السبت، طلب آنجو من الجميع أن يبقوا "لسماع كلمة صغيرة".

كان ذلك حديثاً من طرف واحد، ولم يتكلم خلاله سوى أنجو:

"لقد اخترت الجراحة لأني أردتُ أن أكون جراحاً جيداً. وارجو أن تكونوا اخترتموها للغايةنفسها، كذلك مارست رياضة كرة القدم وأنا في كلية الطبّ، غير أن كرة القدم امر والجراحة امر آخر. وانه ليومٌ كئيب في حياتي عندما يعجز جراح يعمل في أشرافي عن مخاطبة أحد المقيمين حول مريض ويلجأ الى القوة الجسدية لحمله على العناية بمريضه. واذا لجأ أيّ متخصص يعمل في اشرافي الى هذه الطريقة بعد اليوم، فمصيره الطرد. فهذا تصرف غير قانوني وغير خُلُقي، وهو مشين. واذا لم يتمكن أحد المتخصصين العاملين في عهدتي من معالجة أمر متخصص بالامراض الداخلية

(صمت)... أو مقيم (صمت أطول)... - وإن يكن هذا يهمل مصلحة المريض عمداً - فيجب استدعائي فوراً. أنتم، أيها الشباب، تنضحون رجولة واندفاعاً. ولكن من العار استعمال القوّة الجسدية ضدّ طبيب آخر. لقد كان هذا الاسبوع كئيباً بالنسبة اليّ، وأتمنى أن يكون هكذا بالنسبة اليكم جميعاً".

وخرج الدكتور آنجو، فيما شعرنا كلنا بالخجل وغادرنا قاعة الاجتماعات بصمت لعيادة المرضى.

وبينما كنا نصعد السلم، قال لي "الملك": "هل تعرفين؟ ان العجوز على صواب. كان يجب الاّ أفعل ما فعلت. والافضل ان اعطي سواي فرصة لابداء رأيه. اني متأكد من انك لم تضربي مقيماً يا ليزي. هل فعلت؟ الامر سهل بالنسبة اليك: تبتسمين بعذوبة وتسألين مقيماً أن يفعل شيئاً، فينطلق حالا للتنفيذ. وهذا ليس عادلا".

الى حد ما، كان كارل على حق. فأنا، مثله، لم يكن في امكاني النظر الى المقيم وهو يدع مريضته تنزف حتى الموت. ولكن اذا لم اتمكن من حمله على تنفيذ اوامري كما اريد، فاني أستدعي فوراً أحداً لا يمكن إلاّ أن يطيعه، مثل رئيس قسم الجراحة او كبير المتخصصين. وقد كانت هناك حالات رُفضت فيها اوامري كما رفضت اوامر باتسي غلوفر، المتخصصة الجراحية الاخرى، من قبل المتخصصين بالامراض الداخلية. إلاّ أننا لم نأخذ المسألة على صعيد شخصي او كدعوة الى الخصام. ولا نحن اثرنا في الاطباء الآخرين دافعاً الى محاربتنا. واذا عارضني طبيب آخر، ففي امكانه أن يقول ذلك علناً، من غير أن يظن اني اتحداه. ثم اني، كانثى، لم أكن مضطرة الى استعمال القوة الجسدية لتأكيد ذاتي. أنّ الاثر الانثوي اللطيف كان، في رأيي، فضيلة جديدة في عالم الجراحة.

طَرْق النساء

لم تكن الخصومات العارضة مصدر الخلاف الوحيد في قسم الجراحة تلك السنة. المصدر الآخر كان باتسي غلوفر. كانت باتسي تتذمر من كلّ شيء تقريباً، وكان المتخصصون يتندّرون برواياتها. وفي حين انّ معظم المتخصصين، رجالا ونساء، تقسّيهم فترة التخصص، إلاّ أنّ باتسي بدت على العكس، لا يمكنها الصمود بل هي تلجأ الى شهامة الرجال الذين كانت تستنجد بهم كلما أعياها العمل.

وفي أحد الايام، سألني مارك ليمان على الغداء: "ليز، هل سبق ان بكيت؟".

- طبعاً.

"أعني خلال العمل، كجراحة".

- أبداً.

"أذاً لماذا تبكي باتسي؟ كلّ مرة يبقى لديها عمل بعد الخامسة، تخشى أن تتأخر عن زوجها وتسألني ان اتولى العمل عوضاً عنها. واذا كنت منشغلا فهي تأخذ بالبكاء".

- هذا لم يحصل إطلاقاً بين باتسي وبيني، إذ لم تسألني قطّ أن أقوم بعملها. إلاّ أنّ الدكتور ملفيني طلبمني أمس أن اعاين مرضاها عنها، فرفضت.

وفي اليوم التالي وجدتُ ثلاث اوراق موجهة الى باتسي موضوعة على طاولتي. فظننت أنّ في الامر خطأ، وأعدت الاوراق الى طاولتها. ولكن في المساء وجدت الاوراق من جديد على طاولتي. وبما أني كنتُ في الخدمة، افترضت ان الادارة وجهت اليها خطأ. الا انني عندما عدت المرضى الثلاثة، وجدتُ أنّ باتسي عادتهم وعالجتهم جميعاً في اليوم السابق. ولم يكن احد منهم يحتاج الى جراحة، لكنهم كانوا يحتاجون الى جراح يتفقدهم كلّ يوم او يومين خلال وجودهم في المستشفى، وهم كانوا مرضى باتسي.

وفي الصباح التالي أعدتُ الاوراق الثلاث الى باتسي قائلة: "لقد عدت هؤلاء عنك الليلة الماضية. لكنهم مرضاك".

فسألت: "ألا يمكنك أن تتابعي معاينتهم عوضاً عني؟ فأنا منشغلة جداً، وقد تأخرتُ البارحة عن موعد العشاء في البيت".

فقلت بدهشة: "اني لا افعل هذا على الاطلاق يا باتسي. أنا أهتم بمرضاي، ويمكنك الاهتمام بمرضاك".

عندئذ قطبت أساريرها وغادرت الغرفة. وبقيت، طوال الاسبوعين اللاحقين، تضع اوراق مرضاها على طاولتي واعيدها الى طاولتها. وفي نهاية الاسبوعين وجدتُ كومة من تلك الاوراق على طاولتي، مع ملاحظة من الدكتور ملفيني تقول: "تفقدي هؤلاء المرضى!"

وذهبت الى مكتب الدكتور ملفيني وسألته: "ماذا تعني بهذه الملاحظة؟ هؤلاء مرضى باتسي".

- لقد اخبرتني أنك ومارك لم تعاملاها بلطف.

وخفض صوته وتابع: "اليزابيت، لقد دخلت علي باتسي الليلة الماضية والدمع يملأ عينيها. انّ قسمنا غاصّ بالعمل. وهي كانت منصرفة الى بيتها للعشاء في ساعة متقدمة، من غير أن تستطيع شراء حاجاتها وتنظيف المنزل. ووعدتُها بأنك سترين مرضاها".

- أتقصد ان علي العمل باندفاع في دائرتك، بينما تنسحب باتسي عندما تجد أنّ العمل صعب، فآتي أنا لأنفذ عملها؟

وأجاب الدكتور ملفيني بحدة: "لا تخاطبيني هكذا"

عندئذ أغلقت الباب وعدت لمواجهته. وكنت على استعداد حتى لقتله، ولكن سرّاً! ورميت الأوراق الخاصة بمرضى باتسي على طاولته، وقلت:

"لقد اخترتُ الجراحة لأني كنتُ واثقة من أنيّ مؤهلة لها كأي رجل مؤهّل. وأنا جراحة جيدة، فخورة بمهنتي، وفي إمكاني التصدي لمتطلباتها. واني لم احقق نجاحي عن طريق البكاء أمام الامور الشاقة. وأنا أيضاً لا وقت لدي للقيام بالمهمات المنزلية، كما لا وقت لدى اي جراح لهذه الامور. غير أني لا أطلب من باتسي أن تتولى هي أعمالي كي يمكنني الذهاب الى البيت باكراً من أجل تنظيف الارض. اني لا اكترث لارتفاع عدد مرضاي، لكنني لا افعل أعمال الآخرين اذا كان

مزاجهم لا يطيقها. أنّ احداً من الجراحين الرجال لم يطلب مني قطّ أن اعمل عنه. وأنا خجولة من أن تكون امرأة طلبت هذا".

وبعد صمت طويل، قال الدكتور ملفيني: "أظن أني فهمت".

ذلك كان كلّ ما قيل حول تلك المسألة. وبعد ذاك أصبحت باتسي، تعتني هي بمرضاها. ولكن بعد اسبوع أخذني جورج فالد، الزميل الالماني، جانباً وقال: "اليزابيت، أود أن اكلمك في امر مهم. لقد أتت باتسي اليّ اليوم وسألتني مرافقتها الى الدكتور أنجو لنطلب منه طردك من المستشفى".

وحدقت اليه بذهول. الطرد؟ لماذا؟ وانتابني خوف شديد: اذا كان الدكتور ملفيني وراء هذه المسألة، فالطرد ممكن.

وأضاف فالد: "قالت انك تهملين مرضاك وانها تأخذ العمل عنكِ".

- هذا غير صحيح!

"دعيني أنهي كلامي. ان ما أخبرتني اياه لا ينطبق على اليزابيت التي أعرفها، ورفضْتُ أن اصدق كلمة منه. ولكن أظن أنه أفضل لكِ ان تحصني موقعك الدفاعي. صحيح انك مثابرة على عملكِ وانك تعنين بمرضاك وتتفقين مع اكثر الناس. إلاّ انكِ بدأت تصبحين قاسية ونافدة الصبر وانتقادية، وتلك امور من شأنها أن تؤذيك".

لم أنفك عن التفكير خلال الايام التالية، في ما قاله جورج. وفي نهاية الاسبوع اتصلتُ هاتفياً بأمي، وسألتها: "أصحيح اني اخذتُ اصبح قاسية ونافدة الصبر وانتقادية؟"

وترددت امي في الجواب، فتابعت: "اريد ان أعرف الحقيقة يا امي".

- اذاً، الجواب هو: نعم.

وللمرة الاولى منذ وقت طويل، طويل، اجهشتُ بالبكاء. وحين امكنني الكلام من جديد، اخبرتها عن باتسي والدكتور ملفيني وجورج وامكان طردي.

- اني واثقة من انك لن تطردي. ولكن يجدر ان تقفي وتفكري في نفسك. أن تكوني فتاة جراحة أصعب كثيراً مما تريدين الاعتراف به. لقد كيفت باتسي نفسها بطريقة سلمية عبر استدرار شفقة الرجال. أما انت فكيفت نفسكِ بتعقيد الامور الى ابعد حدّ ممكن حتى بات الآخرون ينظرون اليك كفتاة قاسية لا تريد مدّ يد العون حتى الى أصدقائها.

"لكن كارل أيضاً لا يعمل عن باتسي، وهو لا يواجه عقبات".

- انه ليس انثى. ألا تدركين أن باتسي ألبت الناس ضدكِ؟ أنها تتصرف كما يتوقعون أن تفعل الانثى. لذلك عندما تأخذين عليها عدم تصرفها كأي جراح آخر، كما تفعلين أنت، فهم يقفون الى جانبها.

كانت امي محقة. ففي اصراري على ان أكون قاسية كأي جراح آخر، نسيت كيف انسجم مع الناس، وفقدتُ جانباً كبيراً من حسّ المرح لدي. وكان من العسير جداً عليّ أن الين، ولكني حاولت. وعندما قدمتُ اعتذاري الى الدكتور ملفيني، قبله بابتسام. وكانت باتسي سعيدة حين اخذت عنها بعض عملها. أما "الملك" فسألني لماذا غيرتُ رأيي، فأجبت:

"لمَ لا؟ نحن إناث نمارس الجراحة، وينبغي أن تساعد احدانا الاخرى".

الجراحة التقويمية

في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ قُبلتُ للتخصص في الجراحة التقويمية (او التجميلية) للعام ١٩٧٦. وقد وقع اختياري على هذا الاختصاص لاني أردت أن أتعلم طرق الجراحة الخاصة باليد وسرطان الوجه واعادة تركيب الاعضاء. وبما اني لم اتمكن من تعلم ذلك كله خلال خمس سنوات من التخصص بالجراحة العامة، فقد قررت تمديد تخصصي سنتين اخريين.

في نهاية السنة أقام الدكتور آنجو حفلة وداعية للمتخصصين الاربعة الذين عملوا في إشرافه. ولم اصدّق أنّ أطول صراع مررت به انتهى. وعرفت أني سأتحسر على تلك الرفقة والصداقة الحميمة التي تميز التخصص الجراحي العام. (وقد قيل لي ان هذا النوع من الرفقة والصداقة يختبره كذلك الجنود وهم يتعرضون لقصف العدو).

ها أنا الآن متخصصة مبتدئة من جديد، ولكن هذه المرة بالجراحة التقويمية.

في اليوم الاول تفقدتُ الجناح في رفقة هلن بل، المتخصصة المسؤولة عنه التي كانت ستنصرف قريباً. وقالت لي هلن: "اذا صمدت هنا، فإنك ستذهلينني. اني اترك في عهدتك ستين مريضاً، بينهم ستة مصابون بحروق خطرة وموضوعون في وحدة العناية الفائقة. ولديك ثلاث عيادات اسبوعياً، تعودين في كل منها بين ثلاثين وخمسين مريضاً. وعليك أن تعملي طوال النهار على الحالات المقررة سابقاً وطوال الليل على الحالات الطارئة. ولن تجدي احداً من المتخصصين بالجراحة العامة يهتم بالوجه واليد والعنق او بأي نوع من الجروح. لذلك عليك معالجة كل جرح وخدش في الوجه واليد يُعرْض عليك في غرفة الطوارىء. واعلمي أنّ الاطباء الملازمين لا يهتمون بالتعليم ولا يحبون النساء... حظاً سعيداً".

- من يعمل في فريقي؟

"أنت وحدك الفريق، وهناك طبيب مقيم".

خلال الاسبوع الاول راقتني الجراحة. لكني لم انم معظم الليل طوال الاشهر الثلاثة اللاحقة بكلّ لياليها. وكان هناك اربعة او خمسة أطباء ملازمين لم يرضهم عملي، واخبروني بأني سريعة الغضب وكسول لكنّ الحقيقة اني لم اثابر على العمل من قبل كما فعلت آنذاك.

وقالت لي هلن: "المسألة مسألة ترفيه بالنسبة الى الاطباء الملازمين. وهم يريدون ان يعرفوا اذا كان في امكانهم أن يهزموك. لقد حاولوا اللعبة نفسها معي. وكل ما يمكنك فعله هو الصمود".

كل ليلة كنتُ ادعى فيها الى المعاينة، كنتُ اتمنى ان تدهسني سيارة لادخل المستشفى مريضة ويتسنى لي النوم. وكانت الدورة الاخيرة خلال السنة تغييرا نحو الافضل. فقد انتقلت الى قسم العيادات الخاصة حيث كان اربعة اطباء تقويم آخرين. وهم كانوا

غيورين على تعليمي، واروني كيف اصحح عاهات الاطفال واعيد تركيب الاجزاء التي اتى عليها السرطان واعالج جروح الرأس والعنق. اولئك الرجال لم يعلموني فحسب، بل اعترفوا بي كجراحة.

أما سنتي الثانية في جراحة التقويم فكانت كالعودة الى المنزل. وراقتني لأن نتائجها كانت ملموسة، بمعنى أنّ المرء، اذا انجز عملا جيداً أو رديئاً، ففي إمكانه أن يراه ويتعلم كيف يحقق افضل منه في المرة التالية.

وكنتُ أنتظر بفارغ صبر ان اجري جراحات على عاهات الاطفال الخلقية. وكانت اولاها مع الدكتور غودفري، وهو جراح تقويم للاطفال. ولم يتجاوز عمر الطفل المريض السنة ونصف السنة، وهو ولد بشق حلقي (ثقب في سقف الحلق يصله بالانف، ويجب أن يُسدّ). وعلى رغم اني كنتُ أعرف طريقة اجراء العملية، الا ان الامر بدا غير معقول حين وقفت أمام الطفل. فقد ظهر فمه صغيراً جداً، بينما بدا المبضع كبيراً وغير ملائم في آن.

"باشري العمل"، قال الدكتور غودفري. ورحت أقطع عبر الحلق حتى وصلت الى العظم، وبات في الامكان قطب النسيج الحلقي. وقبل الجراحة، كان المرء يستطيع ان ينظر الى الشق في حلق الطفل فيرى داخل انفه مباشرة. أما الآن فقد سُدّ الشق واعيد تكوين الحلق. كان ذلك معجزة!

وكان علي أن اتمرن في فرع من الجراحة التقويمية هو جراحة التجميل، فأتعلم اموراً مثل ازالة تجعدات الوجه وجراحات الانف وتكبير الصدر وتصغيره، وتقرير ما اذا كانت الجراحة ضرورية في حال هذا المريض او ذاك.

تظن النساء، بناء على ما يقرأنه في الصحف، أنّ رفع الوجه يظهرهن أصغر سناً وجراحةالصدر تضفي عليهن مسحة اغراء وجراحة الانف تجعلهن اجمل. وما ينساه الناس ان هذا النوع من الجراحة - وان هو نجح في تغيير الشكل - ليس ذلك السحر الذي يحول الشخصية. هناك صعوبات ملازمة لجراحة التجميل، وهي جراحة مكلفة.

ووجدت أن نساء كثيرات من اللواتي استشرنني في شأن جراحة التجميل تخلين عن تلك الفكرة بعدما صرفت وقتاً اشجعهن على الكلام عن امور أخرى في حياتهن. ومن اولئك النساء واحدة لم تأخذ اجازة خلال عشرين عاماً من العمل. وهي لم تكن في حاجة الى ازالة تجعدات وجهها لتبدو مرتاحة وفتية، بل كانت في حاجة الى اجازة وقد نجحت في اقناعها.

الا ان النساء لم يكنّ جميعاً على استعداد للاصغاء الى النصائح. واحداهن، السيدة كينيث، سألتني أن ازيل تجعدات وجهها. وبدت شديدة الاضطراب، وكانت تحدق عبر النافذة من غير أن تنظر الي ابداً.

وسألتها: "لماذا تريدين هذه الجراحة؟"

- اود ان ابدو افضل. فبعدما صممتُ على التقاعد، عجز زوجي فجأة عن العمل. لذلك علي ان ابقى في عملي.

"ما سبب توقف زوجك عن العمل؟"

- زوجي ليس سبب المشكلة. اني

اريد شد وجهي. وهذا من اختصاص جراحة التجميل. اليس كذلك؟

وقلت لها اني اوافق على دراسة امكان تلك الجراحة اذا وافقت هي على ان تأتي مرة اخرى لنتكلم في الامر. وكنت واثقة جداً من أن تلك المرأة تعاني مشكلة نفسية اخطر كثيراً من مشكلة وجهها. وظننت أن زوجها توفي وانها ارادت شد وجهها لطمس حزنها والتغلب عليه. ويعلم ذوو المهنة انه ليس من الحكمة اجراء جراحة تجميلية لشخص يعاني اضطراباً نفسياً لانها قد تزيد حاله سوءاً.

وعادت المرأة الي، لكنها لم تتجاوب مع ما قلته لها، فرفضت اجراء الجراحة. واعطيتها اسماء بضعة أطباء ذوي سمعة ممتازة في الجراحة التقويمية قد لا تكون لديهم المحاذير نفسها التي كانت لدي.

وبعد اسبوعين كنت ازور مستشفى، فوجدت جراحاً آخر يشرب القهوة مع الممرضات. وعندما رآني قال: "لقد مررتُ بتجربة مخيفة الاسبوع الماضي... مسكينة السيدة كينيث".

- وماذا حدث؟

"كنتُ في وسط عملية لشد وجهها حين أخذت تتقيأ. وقالت ان العملية تجعلها مضطربة. وكدت اعجز عن انهاء الجراحة. لكنها، لحسن الحظ، شفيت من العارض. وحين عادت لفك القطب، اخبرت الممرضة انها ارسلت زوجها الى مؤسسة لرعاية العاجزين. ويبدو انه مصاب بادمان الكحول الى حدٍّ لا شفاء معه".

اذاً هذا هو السرّ الذي اخفته عني.

وربما اعطاها شد الوجه القوة على التخلص من زوجها. لكنها لو ذهبت الى طبيب نفسي، وليس الى جراح تقويمي، لكان ذلك أقل كلفة واكثر عوناً لها.

طبيبة حقيقية

في يوم اربعاء من اواخر شهر مايو (ايار) ١٩٧٨، تسلمت الرسالة الآتية:

"عزيزتي الدكتورة مورغان،

"لقد تسلمنا طلبك الخاص بالامتحان ووافقنا عليه. واضفنا اسمك الى اسماء سائر المرشحين للقسم الاول من امتحان عضوية هيئة الجراحة التقويمية للعام الحالي".

آه كم هو عظيم ان اكون مؤهلة لعضوية هيئة الجراحة التقويمية! ان فترة تخصصي ستنتهي في الاول من يوليو (تموز). وكنتُ أشكّ في أن تكون سنتا التخصص كافيتين. لذلك كنت اجريت المعاملات اللازمة للعمل سنة أخرى في اشراف الدكتور بيرينسون، احد أساتذتي في الجراحة التقويمية. إن سنة من العمل معه لعظيمة حقاً. غير اني كنت قلقة على وضعي: اذا عملت معه كطالبة اختصاص، فهذا يجعلني غير مؤهلة لامتحان الهيئة وعضويتها.

وتفهم الدكتور بيرينسون وضعي فوراً. وقال: "لقد تخصصت طوال سبع سنوات، وهذا يكفي. وها هو الوقت حان كي تطيري من هذا العشّ يا البزابيت. أنت جراحة تقويمية ذات جدارة. وأود أن اراك خارج هذه المدينة عندما يحين يوليو (تموز)".

وتراجعتُ وقد تملكني شعور طاغ: انه لامر مفاجئ أن أبدأ عملي الخاص،

"لا يمكن ان تبقي طالبة اختصاص كل عمرك، ولن أدعك تؤجلين الانطلاق الى عملك الخاص ابداً".

وقال معاونه، الدكتور سيتون: "انه مصيب كلياً. فأنت تبقين طالبة اختصاص مدة طويلة حتى ليبدو انه لا يمكنك فعل اي امر آخر. اذهبي الى البيت. ادرسي لامتحان الهيئة. افتحي عيادة. الا يغريك هذا؟".

وأضاف الدكتور بيرينسون: "الا ترين أننا جميعاً متحمسون لارسالك خارج المدينة؟ ان البرهان الاكيد على كونك جراحة تقويمية جيدة هو أن يحاول جميع الزملاء التخلص منك".

أما الآن، وقد حصلت على ما أريد، فكنت خائفة. لقد اربكتني فكرة فتح عيادة والعيش منها.

وقال الدكتور فيتزهيو، رئيس برنامج التخصص المسؤول عني: "الامر سهل. وهذا ما تفعلينه: تختارين المكان الذي تريدين العمل فيه، ثم تعلمين مستشفيات المنطقة بوجودك لتحصلي على امتيازات العمل فيها. ان الاوراق والتوصيات التي تحملينها ممتازة. ويجب الا تواجهي مصاعب".

وقررت أن أمارس مهنتي في العاصمة واشنطن، بلدة والديّ. وقبل أن اغادر بوسطن، اتصل الدكتور بيرينسون بالجراحين التقويميين الذين يعرفهم في واشنطن، طالباً منهم مساعدتي. وفعل الدكتور فيتزهيو مثله، كما وجه رسائل توصية الى المستشفيات.

وتركتُ بوسطن في الاول من يوليو (تموز)، ودرست شهرين لامتحان الهيئة الكتابي الذي اجتزته. أما الامتحان الشفوي بالنسبة الى الجراح الذي يملك عيادة خاصة فيتبع بعد سنة او اثنتين.

وذات عصر كنت لا ازال اهيىء عيادتي حين رن الهاتف في مكتبي الموقت ليقول المتكلم على الخط الآخر: "دكتورة مورغان، هنا المستشفى القومي. لدينا مريض مهشم الوجه. كم يلزمك من الوقت للوصول الى هنا؟"

"لا أفهم ماذا تقصد!"

- ان اسمك كجراحة تقويمية موضوع على لائحة الطوارىء لدينا.

"انهم لم يخبروني. ولذلك تكلمتُ بتعجب".

- هل يمكنك أن تأتي؟

"طبعاً سآتي. لكنها ساعة ازدحام السير. هلا امكنك ان تخبر المريض اني آتية، وان تأخرت قليلا؟"

- بلا شك. اني انتظر وصولك. مع السلامة.

وقمتُ بسرعة، آخذة الاوراق الخاصة بالوصفات وحقيبتي الطبية وبعض الآلات. وانطلقت الى المستشفى

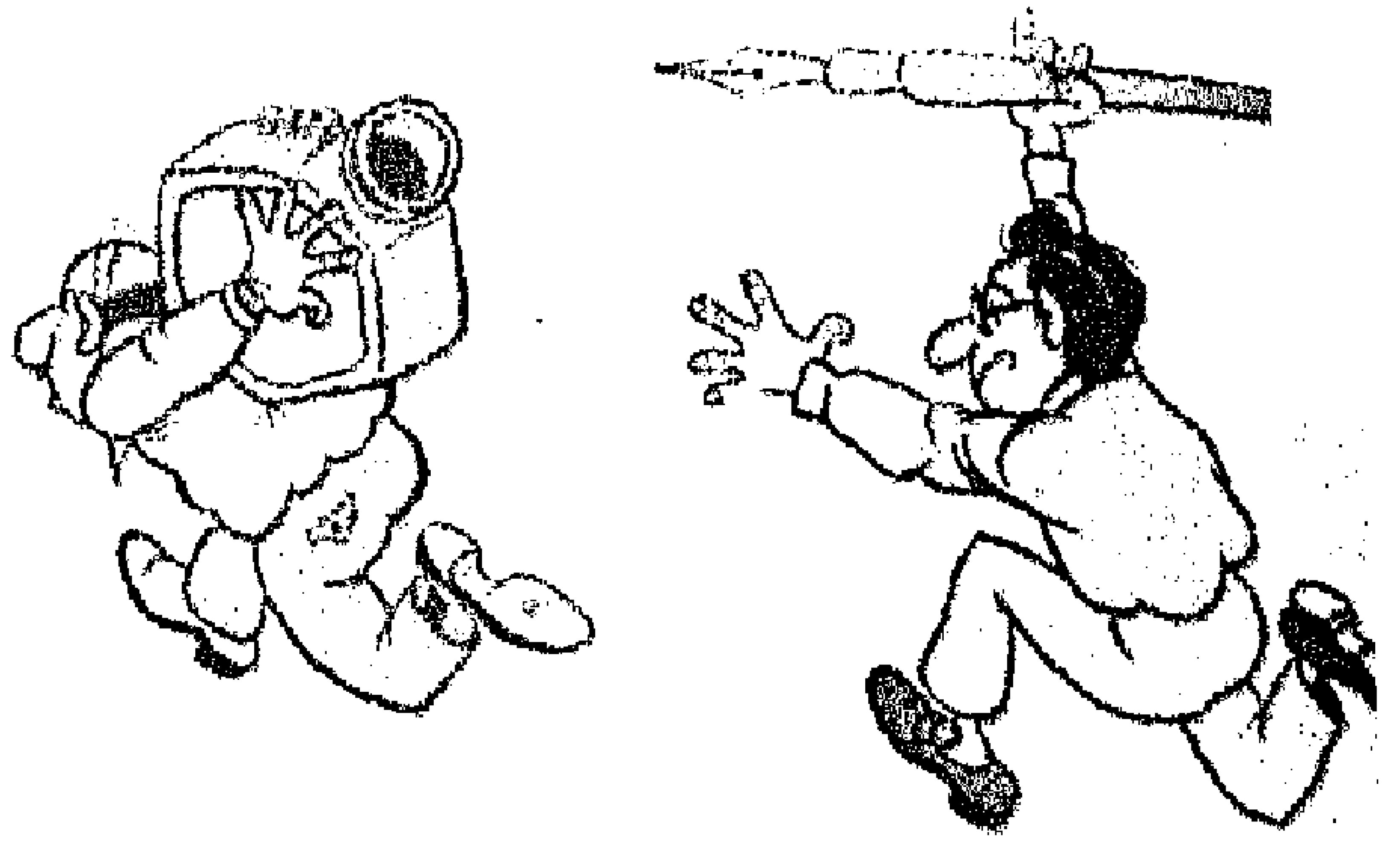
لقد اصبحت طبيبة حقيقية!

■ **اليزابيت مورغان**

مقياس العلم والجهل

اذا مرّ يوم لم نشعر فيه بأننا اكثر جهلا من الامس، فهذا دليل على اننا كففنا عن طلب العلم.

و.د.ت.



دائرة المعارف

اشتهر العرب بكثرة امثالهم وحكمهم وبلاغتها، باقوالهم المأثورة، وهنا بضعة منها تتطلب الاجابة عن الاسئلة المطروحة حولها. وقد وضعت امام كل سؤال ثلاثة اجوبة، واحد منها صحيح. وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يراه صحيحاً قبل ان يقلب الصفحة ليقابله مع الجواب الصحيح. وبذلك يستطيع ان يسبر مستواه.

١. أتتهم فاليةُ الافاعي.

أ. ما معنى "فالية"؟

● جماعة شر - طائر يصطاد الافعى - حشرات تألف الحيات والعقارب.

ب. ما اسم ذكر الافعى؟

● رخ - افعوان - يعسوب.

ج. في اي مناسبة يضرب هذا المثل؟

● لاول الشر ينتظر بعده شر اعظم - المصيبة جاء من يردها - لغزاة أكلوا الاخضر واليابس.

٢. يا اشباه الرجال ولا رجال... وعقول ربات الحجال.

أ. ما معنى "الحجال"؟

● ستور تضرب للعروس في جوف البيت - طيور تألف الجبال العالية - الخلخال.

ب. ما معنى "ربات الحجال"؟

● انثى احد الطيور - المستغلمات - النساء.

ج. لمن هذا القول؟

● الحجاج بن يوسف - محمد احمد بن عبد الله المهدي - علي بن ابي طالب.

د. كيف مات صاحب هذا القول؟

● حتف انفه - غاب وتنتظر عودته - قُتل.

٣. انما اصل الفتى ما قد حصل.

أ. هذا عجز بيت من الشعر. ما هو صدره؟

● لا تفاخر بالاولى شادوا العلى - لا تقل اصلي وفصلي ابداً - لا تقل قد ذهبت اياهم.

ب. لمن هذا الشعر؟

● ابن الرومي - ابن الوردي - ابن ابي ربيعة.

ج. اين ولد قائل هذا الشعر؟

● معرة النعمان - بغداد - اصفهان.

د. اعرب كلمة "انما".

● من اخوات إن - للاستدراك - كاف ومكفوف.

ه. أعرب كلمة "أصل".

● مبتدأ - اسم انّ - خبر انّ.

و. اعرب كلمة "ما".

● اداة نفي - خبر مبتدأ - خبر إنّ.

٤. شرٌ "أهرّ" ذا ناب.

أ. ما معنى أهرّ؟

● أضحكة في الباطل - اغضبه - جعله ينبح.

ب. "ذا ناب". من المقصود به؟

● الاسد - اللئيم - الكلب.

ج. في اي مناسبة يضرب هذا المثل؟

● في ظهور امارات الشر - في وجوب تلافي وقوع الشر - في الشر يدفع بالمرء الى التهلكة.

د. أعرب كلمة "ذا".

● مفعول به - مفعول لاجله - مفعول فيه.

٥. من هو مؤلف "كتاب النخل"؟

● السجستاني - ابن العذاري المراكشي - الخازن البغدادي.

٦. من هم آل عمران؟

● آل موسى - آل فرعون - آل كسرى.

٧. ما اسم اول معجم في اللغة العربية ومن الّفه؟

○ "العين" لاحمد بن خليل النحوي - "المحيط" للفيروز بادي - "تاج العروس" للامام محب الدين المرتضي الزبيدي.



الأجوبة الصحيحة

١. اتتهم فالية الافاعي.

أ. فالية: حشرات تألف الحيات والعقارب.

ب. ذكر الافعى: الافعوان.

ج. في اي مناسبة يضرب هذا المثل؟
في اول الشر ينتظر بعده شر اعظم.

٢. يا اشباه الرجال ولا رجال.. وعقول ربات الحجال.

أ. الحجال: ستور تضرب للعروس في جوف البيت.

ب. ربات الحجال: النساء.

ج. لمن هذا القول؟
لعلي بن ابي طالب.

د. كيف مات صاحب هذا القول؟
قتل.

٣. انما اصل الفتى ما قد حصل.

أ. صدر هذا البيت: لا تقل اصلي وفصلي ابداً.

ب. لمن هذا الشعر؟
لابن الوردي.

ج. اين ولد قائل هذا الشعر؟
في معرة النعمان.

د. اعرب كلمة "انما".
كافّ ومكفوف.

هـ. اعرب كلمة "اصل".
مبتدأ.

و. اعرب كلمة "ما".
خبر مبتدأ.

٤. شر اهر ذا ناب.

أ. ما معنى "اهر"؟
جعله ينبح.

ب. "ذا ناب" من المقصود به؟
الكلب.

ج. في اي مناسبة يضرب هذا المثل؟
في ظهور امارات الشر.

د. اعرب كلمة "ذا".
مفعول به.


٥. من هو مؤلف "كتاب النخل"؟
السجستاني.

٦. من هم آل عمران؟
آل موسى.

٧. ما اسم اول معجم في اللغة العربية ومن الفه؟
"العين". الفه احمد بن خليل النحوي.

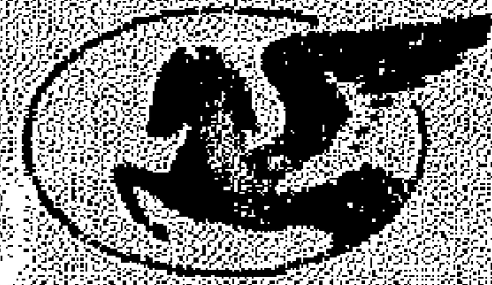
المستوى	
	١٧ ـ ٢٠: ممتاز
	١٤ ـ ١٦: جيد
	١٠ ـ ١٣: مقبول.


OMEGA
OMEGA



أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ ـ ذو الحجة ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

ارملة ماو تروي قصة حياتها

(ص ٣٤)

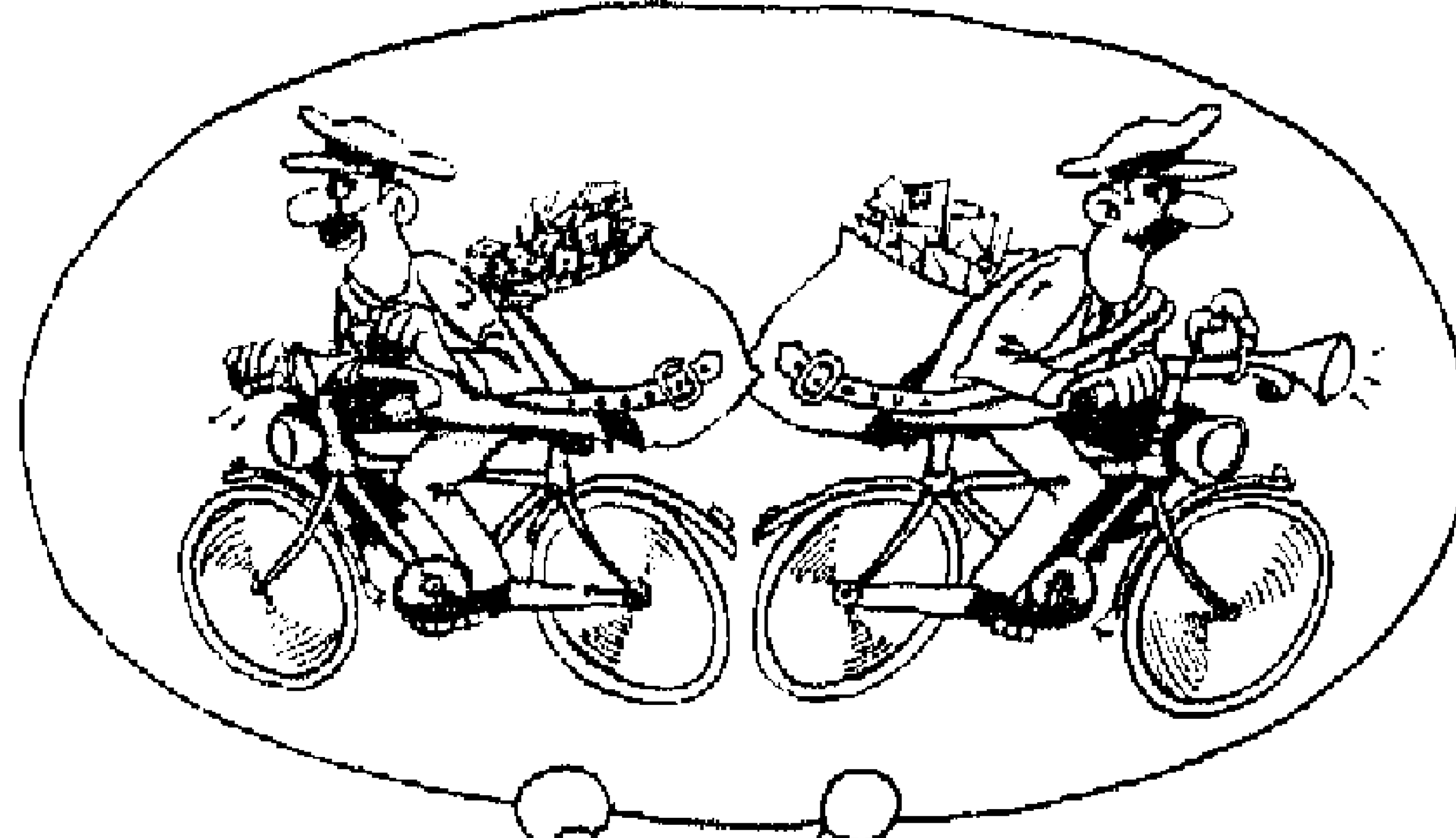
(ص ١١٤)

٤ وسائل للتغلب على الاجهاد

(ص ١٧)

لبنان ٤٥٠ق ـ سوريا ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف ـ تونس ٧٠٠م ـ المغرب ٤د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ٤٠٠د ـ كندا واميركا الشمالية ١د

AL MUKHTAR min Reader's Digest October 1980 Nº 23.



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة أفكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
37, Avenue George V
75008 Paris, France

صَبَاحَ الخَيْر!



كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أي وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيوية ونشاطاً.
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون: رمزي بخعازي.
امانة التحرير: راغدة حداد.
الاخراج: امل الزين عيد.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: آلان دولبرو.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية - بيروت

الخدمات الصحافية:
شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت.

التحرير:
شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية ص.ب ٢٤٢ - ١١ التلكس (الموقت) ٢٢٢٢٤ بيروت. التلفون ٢٤٠٠٥٢ - ٣٤٠٠٤٤.

الادارة والاعلانات والاشتراكات:
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، التلكس LE ٢٢٢٨٨ ص.ب ٨٧٠٧ - ١١، التلفون ٣٤١٥٩٧ - ٣٤٥٧٢١

توجه المراسلات والاشتراكات الى العنوان الآتي:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.

الصف والتنفيذ:
المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات. بيروت.

الغلاف: قرية تنحدر من جبل (ايفاريستو غيرا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest



NOVEMBER 1980 No 24 (New Series). Vol 2.

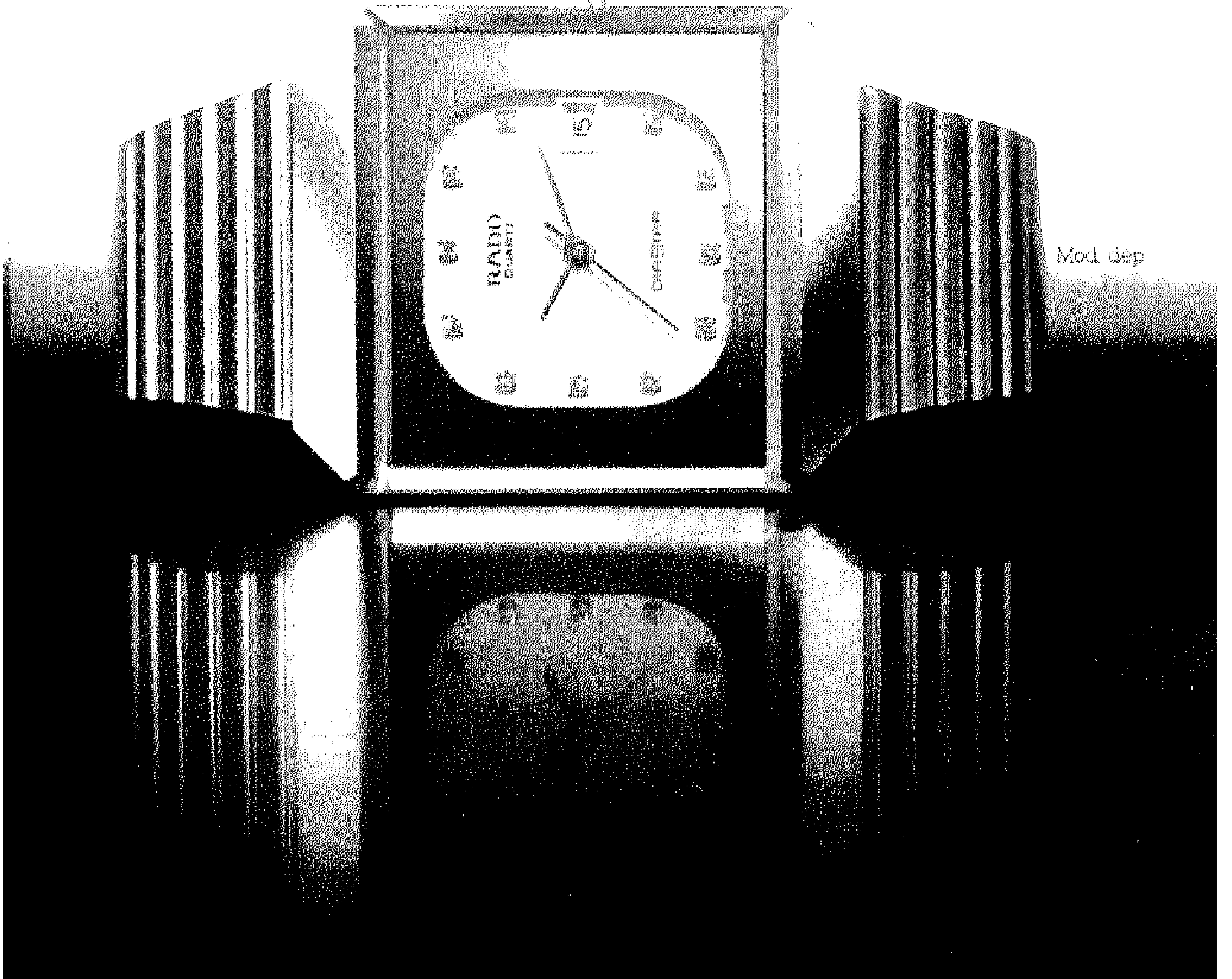
اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٥ لغة

مقياس المتانـة

الأناقة والجمَال مرادفان ، وَمفهوم الجمَال
مطلق تماماً ، فهو أكثر من تناسق في تركيب الالوان والشكل.
الجمَال في أسمَى معَانيه هو الكمَال ، الكمَال في البسَاطة
والوضوح وفي التصميم والانطباع .لكن ما معنى الجمال إن لم يكن أبدي؟
لذلك تعمَل رادو بكل تركيز وديناميكية لبلوغ الكمال في خصائص
« داياستار» المقاومة للخدوش . إن اطارهـا المقاوم
للخدوش وَياقوتها الكريستال الأزرق
سَيحافظان على جمالها اليوم وغداً وأبداً.

RADO رادو

مقياس الأناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن



كتاب الابطال

هل تعزف الكمان تحت الماء او تقود مركباً في الرمل؟

اذا كان جوابك "لا"،

فانك لن تعجز عن ايجاد الفئة التي تناسبك

في نادي الابطال

يقول "كتاب غينيس لأرقام العالم القياسية" ان" كريتون كارفيلو من بلدة كليفلاند الانكليزية يتذكر حاصل الرمز الحسابي ΠΠ في ١٥١٨٥ موضعاً بعد الفاصلة. لكن" هذا ليس أهم" من انجاز مصنف الكتاب نوريس ماك وورتر الذي حفظ معظم موضوعاته، وهي ١٥ الفاً، في الذاكرة. وهو يقول ان ذلك شبيه بأن يحفظ صبي" قوانين لعبة رياضية يحبها.

ويبلغ ماك وورتر الرابعة والخمسين. وهو رجل ناحل يحب المرح، ويغني حديثه اليومي بشذرات نفيسةمن كتابه حول الارقام القياسية في العالم. فإذا سألته عن الاتصالات، أجاب أن الرقم القياسي بالنسبة الى رسائل "مورس" البرقية بلغ ٧٥،٢ كلمة في الدقيقة عام ١٩٣٩. ولم يتمكن أحد حتى الآن من مجاراة تيد ماك ايلروي الذي سجل ذلك الرقم.



ومن الغريب حقاً أن تصغي الى ماك وورتر وهو يكلمك بلغة الارقام القياسية. والاغرب أن يكون هناك اثنان يكلمانك بهذه اللغة. والآخر هو روس ماك وورتر، شقيق نوريس التوأم، الذي كان، قبل مصرعه الفاجع عام ١٩٧٥ (على يد الجيش الايرلندي الجمهوري)، يساعد شقيقه في جمع مواد الكتاب الذي اصبح من أكثر الكتب مبيعاً في العالم.

وعلى رغم ان الكتاب اكتسب شهرته من رواياته الغريبة، إلاّ أنه لا يقتصر عليها. فهناك أخبار عن أسعار اللوحات الفنيةالتي بيعت بالمزاد العلني، وعن اكثف المعادن وأسوأ حوادث السير. وقد حدا نوريس ماك وورتر على ذلك العمل إيمانه بأنّ الاطلاع على الارقام العالمية القياسية هو عنصر تسلية وتثقيف في آن. وهو يقول: "الناس تدهشهم الحالات القصوى. ولئن يكن جميلا أن نعرف أنّ معدل طول الافاعي هو ١٤٠ سنتيمتراً، فأجمل من هذا معرفتنا أنّ أقصر أفعى معروفة كان طولها ١١٩ مليمتراً، وأطولها بلغت عشرة أمتار. إنّ لدى الناس رغبة قوية في معرفة الخطوط الفاصلة والارقام القياسية".

أروج كتاب – هناك حقيقتان تشهدان على تعلق الناس بالارقام القياسية، وبالكتاب، ذكرتهما مقدمة طبعة ١٩٧٩: فهو أكثر كتب العالم رواجاً، اذ بيع منه ٤٠ مليون نسخة، كما انه الكتاب الذي سرق منه أكبر عدد من النسخ من المكتبات البريطانية العامة.

الى ذلك، فقد صدرت الطبعة السادسة والعشرون من الكتاب في بريطانيا، وترجم الى ٢٣ لغة. وفي الولايات المتحدة يتنافس المتبارون في عرض رياضي ينقله التلفزيون اسبوعياً الى ستة ملايين مشاهد، من أجل كسر الارقام القياسية المسجلة وتسجيل ارقام جديدة، مما يتيح للفائز ذكر اسمه في الكتاب.

وأكبر برهان على نجاح الكتاب الحماسة التي يعبر عنها اولئك الذين يحاولون تسجيل اسمائهم في صفحاته. فالفتيان الذين ينتمون الى جمعيات والرياضيون المخفقون والمتحمسون بشدة لامر معين وحتى بعض الاشخاص العاديين، يشتركون في هذا "النادي" الذي ازدهر لانه يحوي اصنافاً مختلفة من النشاطات، مثل عزف الكمان تحت الماء وابقاء الغليون مشتعلا، وذلك الانجاز الغريب الذي حققه آرون مارشال، وهو صياد سمك من بلدة روكنغهام غرب اوستراليا، حين وقف عام ١٩٧٨ تحت "دوش" في مركز تجاري أمطر عليه وابلا من الماء طوال ٣٣٦ ساعة!

وهناك كثيرون مثل لانغ مارتن، وهو فتى مراهق من مدينة شارلوت في ولاية كارولينا الشمالية الامريكية، اراد أن يدخل الكتاب عن طريق موازنة ست كرات غولف عمودياً. وكان مارتن يغلق نوافذ غرفته لئلا يزعجه أحد، ويبقى حتى وقت متقدم من الليل يتمرن على موازنة الكرات. وبقي على هذا المنوال طوال اسابيع حتى نجح اخيراً بفضل اصراره على تسجيل اسمه في ذلك الكتاب. وكان جيرانه شهوداً عليه.

إنّ ربع الكتاب مخصص للرياضة، بما فيها ممارسات غريبة مثل تسيير المراكب في الرمل وسباق الحمام.



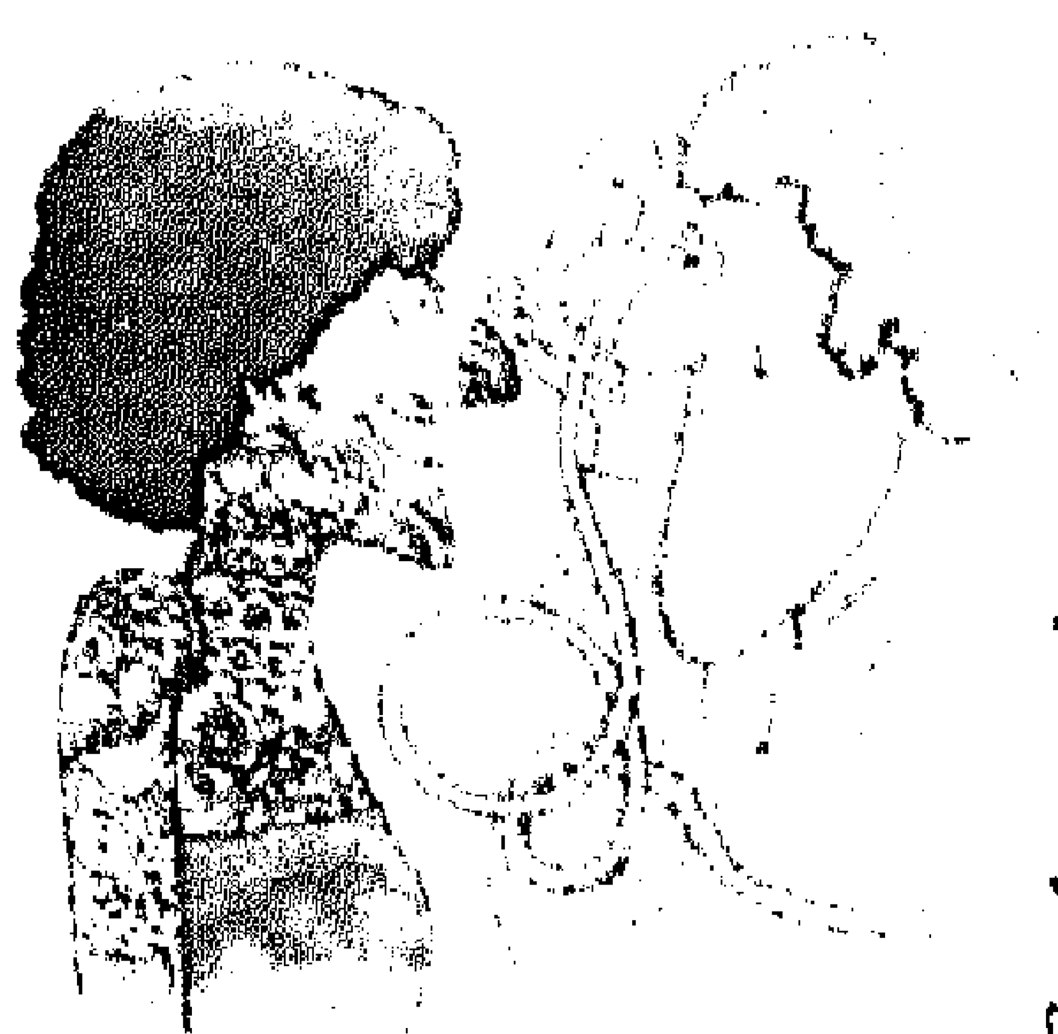
وفي الكتاب ارقام قياسية مسجلة للمره الاولى. فمن منا كان يعرف أنّ أخف "جوكي" (فارس سباق) في

العالم هو كيتشنر الذي عاش في القرن التاسع عشر وبلغ وزنه ١٨ كيلوغراماً؟ أو من كان يعرف أن مواطناً من نيوزيلندا اسمه بول ويلسون ركض مئة ياردة (نحو ٩١ متراً) الى الوراء في ١٣،٣ ثانية.

اوليست الارقام القياسية ممكنة في جميع الحقول؟

وفي الكتاب أقسام عن التجارة والعلوم والتصاميم والطبيعة. ويبلغ عدد فصوله اثني عشر. ومن طرائف الكتاب أن الشلالات لا تندفع او تتساقط فحسب، لكنها تتسابق ايضاً. واسم الفائز سالتو آنجل، وهو شلال في فنزويلا يتدفق من علو ٩٧٩ متراً. والكلام نفسه يقال عن الفراش. فقد حجزت مجموعة منه في مكان للسباق، وكانت الفائزة ملكة امريكية قطعت ٢٧،٣٥ كيلومتراً في الساعة. ولا عجب ان ينظر مصنفو الكتاب الى الكون كحلبة سباق ضخمة يتبارى عليها المتسابقون لتسجيل الارقام القياسية.

الخطّ الفاصل – انّ الكتاب يدور على الحالات القصوى والاحداث التي لم يسبق لها مثيل، فلا بد من ان يكون ذا طابع استعراضي. الا انّ المحررين تركوا خارجاً احداث القتل والاخبار الجنسية الخارقة واعمال البطولة المنطوية على حماقات، وكثيراً سواها. ويقول محرر القسم الرياضي ستان غرينبرغ: "قد تردنا رسالة يزعم كاتبها انه نهض عن الارض كذا مرات حاملا شخصاً فوق ظهره. ولكن اذا نشرنا هذا الخبر، فماذا يمنع ان يكتب الينا شخص آخر قائلا انه نهض كذا مرات وهو حامل



حصاناً على ظهره؟ يجب أن نرسم خطاً فاصلا في مكان ما".

وعلى رغم انّ ماك وورتر يصرّ على رسم هذا الخط الفاصل وتجنب المسائل الشخصية، الا ان كل صفحة من الكتاب تقدم شواهد على نزواته. فهو يرفض ذكر مجموعات ورق الالمنيوم ومطارق الابواب لدى الهواة (على غرار مجموعات الطوابع والعملات). لكنه يذكر اكبر كرة رقاصة في العالم: قطرها ٣،٣٥ امتار ووزنها ٥٤٤٣ كيلوغراماً. وقد يحمله هواه احياناً على بث تهريجه المرح في الكتاب. فيخبرنا أن رستي سيكوز من بلدة آلدرشوت الانكليزية تحمل رسوماً في جسدها اكثر من اي امرأة اخرى في العالم. فقد وشمها زوجها في مساحة تبلغ ١٥ في المئة من جسدها، قائلا ان رسم التصاميم على جسد زوجته امر يروقه.

ولد نوريس ماك وورتر واخوه روس في ١٢ اغسطس (آب) ١٩٢٥. وشُغف التوأمان بالحقائق والارقام واهتما بالرياضة. وعمل كلّ منهما برتبة معاون ضابط في البحرية الملكية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية. فكان نوريس على كاسحة الغام في سنغافورة وروس على سفينة حربية اخرى في البحر الابيض المتوسط. ومرة اتجهت السفينتان الى فاليتا (عاصمة جزيرة مالطا) من

كيفما تسافر...



أوميغا: تصميم رائع

أوميغا من سامسونايت هي الجمع الكامل بين التكنولوجيا الحديثة وروعة التصميم.

صنع إطارها من مادة المغنيزيوم الصلبة القوية والخفيفة مما جعلها تواكب عصر الفضاء.

أوميغا تؤمّن الحماية الكاملة لمحتوياتها.

كل جزء من أجزاء أوميغا مصنوع من أفضل المواد نوعية، هيكلها من مادة الـ"ABSOLITE" يجعل منها الحقيبة التي لا تزاحم من حيث القوة والمتانة.

أضف الى ذلك جهاز الزر الضاغط والقفل المرقّم الذي يجعل من أوميغا صفقة كاملة ورابحة.

أوميغا حقيبة اليد لكل رجل عصري.

إنها أصليّة ~ إنها سامسونايت



سامسونايت® Samsonite®

حقائب سامسونايت الأصليّة - مصنوعة في الولايات المتحدة

مكانين مختلفين، وهناك اصطدمتا.

ودرس الاخوان في جامعة اكسفورد في انكلترا حيث كانا عداءين في فريق السباق. وبعد تخرجهما اسسا مكتباً لتزويد الصحف والكتب السنوية والموسوعات بالمواد الاخبارية الواقعية، كما اصدرا مجلة شهرية بعنوان "عالم الرياضة".



الحرارة والنور – أما قصة كتاب الارقام القياسية فهي من قبيل القصص الخيالية في عالم النشر. ففي العام ١٩٥١ كان السير هيو بيفر، مدير معمل "غينيس"، وهو أكبر مصنع اوروبي للجعة، في رحلة صيد حين تساءل عن اسرع طريدة في العالم. وعندما لم يعثر على جواب في اي مرجع عام، قر رأيه على أن تتولى شركة "غينيس" نشر كتاب يحوي الارقام القياسية في حقول مختلفة من اجل فض النزاعات التي تنشأ في الحانات. وكان أحد المسؤولين في الشركة يعرف الاخوين من اكسفورد، فاقترح أن ينجزا العمل. وكلفهما السير هيو رسمياً تولي المهمة عام ١٩٥٤. وبعد ١١ شهراً من العمل الدؤوب، اتم الاخوان ماك وورتر كتاباً ممتازاً "لتحويل الحرارة (الناجمة عن اختلاف الرأي) نوراً" على حدّ تعبير اللورد ايفيا، رئيس مجلس ادارة الشركة.

ويتسلم محررو الكتاب اليوم ٢٠ الف رسالة سنوياً، معظمها يدور على تحقيق ارقام قياسية جديدة وتحطيم الارقام السائدة. ويراسل نوريس ماك وورتر خبراء في حقول مختلفة وينقب اكواماً من المجلات والكتب الواقعية كي يجاري الاحداث. وهو يقول: "هذا العمل يكسبك فناً في القراءة، تبرز فيه كلمات من نوع "أطول" و"أقصر" و"أكبر" و"أصغر" وما شابهها أمام عينيك".

لكن ماك وورتر لا يقبل اي ادعاء قبل التثبت من صحته عبر الشهود المختلفين وقصاصات الجرائد والصور الفوتوغرافية. وهو يتذكر برعشة الوقت الذي ادعى فيه شاب انكليزي انه اوقف مجموعة نقود من فئة الثلاثة بنسات ذات الاثني عشر جانباً، بعضها فوق بعض، "قائلا انه كسر الرقم السابق، وهو (١)، بوضعه ١٣ قطعة على ذلك النحو. ولم يتورع عن ارسال صورة ضمن رسالته. غير اني لم اعجب بها كثيراً فاتصلت به هاتفياً واخذت اطرح عليه الاسئلة الى ان قال: حسناً. سأخبرك كيف حصل ذلك.

قال الشاب انه استخدم مادة لاصقة قوية لتثبيت كرسي وطاولة وسجادة في سقف الغرفة، ثم جعل القطع النقدية تتدلى من الطاولة بواسطة لاصق شفاف. وبعدما التقط الصورة قلبها رأساً على عقب". ويبتسم ماك وورتر ويكمل: "انه يستحق الرقم القياسي العالمي للعبقرية".

وعلى رغم حرص ماك وورتر وتدقيقه، الا ان الكتاب لا يخلو من عثرات. ففي العام ١٩٧٨، قيل ان رجلا يدعى واين طومسون كسر الرقم القياسي في السباحة اذ قطع مسافة ٢٩٩٩،٨ كيلومتراً في نهري ميسوري

والميسيسيبي. ولكن وجد في ما بعد ان طومسون استعان بزعانف اصطناعية، وهذا خرق لمبادىء "غينيس". الا ان اسم طومسون حذف من الطبعات اللاحقة. كما حُذفت او صُححت أخطاء اخرى.

وخُصص للرياضة نطاق واسع في الكتاب الذي يعج بالارقام القياسية في حقول لا يتوقعها القارىء، مثل رقص التوبيست والبقاء طويلا بلا نوم - وهنا يبرز اسم رودجر اينغلش من بلدة لاهويا في ولاية كاليفورنيا الامريكية. أما المدرب الرياضي الامريكي ريك مورفي من سولت ليك (ولاية يوتاه) فيفتخر بأن اسمه دخل الكتاب عام ١٩٧٦ لانه، قبل عامين، كسر الرقم القياسي في السير على يد واحدة، قاطعاً مسافة ٥٠ ياردة (نحو ٤٦ متراً) على هذا النحو. وهو يقول: "كنت فخوراً بدخول هذا الكتاب. وهو أفضل ما حققته في حياتي".

■ جيري كيرشنبوم



تحليل علاقة

في معرض تقاليد الزواج في نيويورك، ابرزت دعوة طريفة كتب عليها: "يسرنا ان تحضروا حفلة الزفاف التي ستحلل العلاقة الطويلة بين شاب وفتاة. ان والدتي العروسين تشكرانكم، ووالديهما يشكرانكم، وهما يشكرانكم كذلك".

ل.م.

لله في خَلقه شؤون

لدي ابن وابنة في سن المراهقة، وهما يحبان فطيرة البيتزا التي أصنعها في المنزل ويفضلانها على اي طبق آخر. وقد جعلني حبهما للبيتزا اكتشف الفروق الرئيسية بين الجنسين. ففي احد الايام احضرت طبقاً كبيراً وقسمته بينهما نصفين متساويين. فقالت ابنتي حين رأت صحنها: "اماه! هذا كله لي أنا؟" اما ابني فقال: "اماه! هذا كل ما احصل عليه؟"

ا.ر.

فلسفة الاجتماعات

بعد عملي في جمعيات عدة، خرجت بالملاحظات الآتية:

- اياك الوصول في الوقت لئلا يقال عنك: "متهالك".
- لا تتفوه بكلمة قبل انقضاء نصف الوقت، لأنك بهذا تسمى حكيماً.
- حاول ان تكون غامضاً ما استطعت، لان هذا لا يغيظ المستمعين.
- عندما تجد نفسك غير متأكد من أمر، اقترح تكوين لجنة فرعية.
- كن أول الداعين الى فض الاجتماع لتكسب شعبية. فمبارحة المكان هي ما يتوق اليه الجميع.

هـ.ش.

الجدارة بالحياة

هناك اعتقاد يقول: الربح خسارة، والنقصان زيادة، واذا احببت كنت جديراً بالحياة

لقد راودتني الرغبة في الكتابة عن الثواب منذ كنت صبياً، اذ بدا لي أن الناس يعرفون عن هذا الموضوع اكثر مما تجيئهم به تعاليم المبشرين.

وتأكدت لدي هذه الرغبة اخيراً بعد سماعي موعظة عن "يوم الحساب". اذ زعم الواعظ أن الحساب لا يتحقق في هذه الدنيا، وأن الابرار بؤساء والاشرار ناجحون. ثم استنتج، استناداً الى المنطق والكتب المقدسة، ان كلا الفريقين سينالان جزاءهما في الحياة الاخرى.

لكن المغالطة هنا ترتكز على التنازل الكبير الذي يحصل بالتسليم بان الاشرار ناجحون وان العدل لا يتحقق في الزمن الحاضر. ففي الحياة اليومية نفسها ابلغ دليل على خطأ هذا الاعتقاد.

ان التعاكس، او الفعل وردة الفعل، نصادفه في الطبيعة: نور وظلمة، حرارة وبرودة، ذكورة وانوثة. الازدواجية تسود الطبيعة، وكل ما فيها هو نصف يوحي بوجود ما يكمله. هكذا الرجل والمرأة، وهكذا الحركة والسكون.

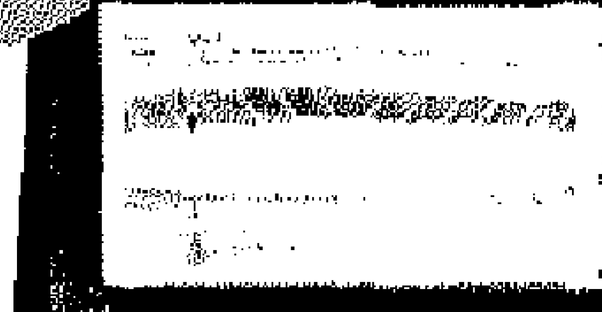
وحياة الانسان خاضعة للازدواجية نفسها. فلكل حلو مره ولكل شر خيره. وفي مقابل كل خسارة هناك ربح ما. ولكي تمتلك شيئاً فلا بد من ان تفقد سواه.

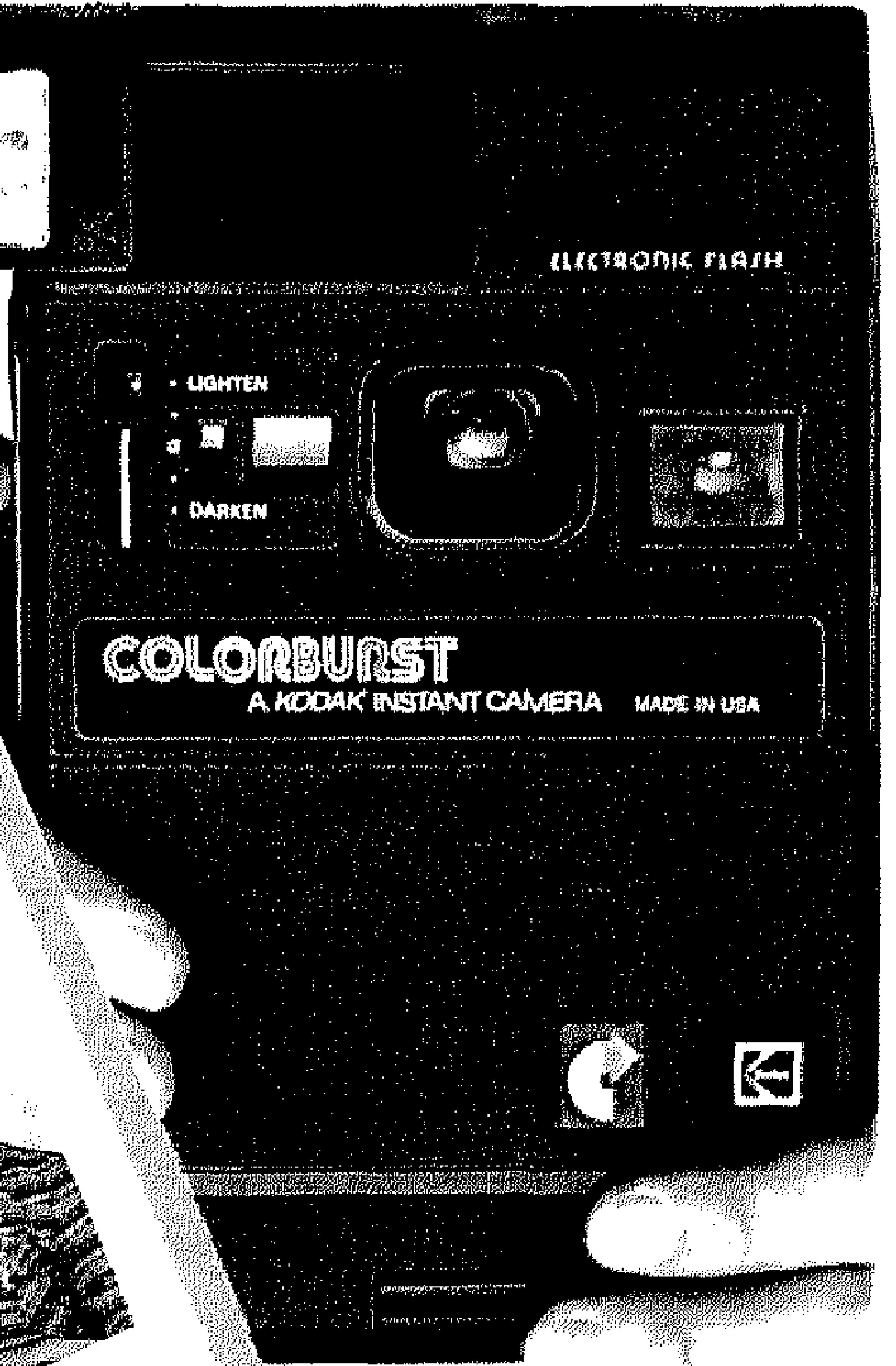
ان الطبيعة تأبى الاحتكار والشذوذ. وهناك دائماً ظروف تنزل المتغطرس والثري والمحظوظ الى مستوى يتساوى فيه مع الآخرين. فالفلاح يرى في السلطة والمنصب امرين بالغي الرفعة. لكن الوصول الى الرئاسة يكلف غالياً، وغالياً جداً.

كل ما في الكون خاضع لسيادة الاخلاق. والعدالة لا تؤجل، فالعالم يشبه معادلة رياضية تبدو متوازنة كيفما نظرت اليها وان انت اخفيت ما شئت من الارقام فلسوف تنكشف

كولوربارست للتصوير الفوري

بجهاز مبيت للضوء الخاطف !





COLORBURST



كولوربارست

للتصوير الفوري

الوان ساطعة من كوداك

قيمتها الحقيقية دائماً. كل سر يذاع وكل جريمة يعاقب مرتكبها وكل فضيلة يثاب صاحبها.

والناس يطلبون العظمة، ويتوقون الى الثروة والنفوذ والشهرة. وهم يظنون ان الوصول الى العظمة يعني الفوز بجانب واحد من الطبيعة - الحلاوة من دون المرارة. لكننا لا يمكن ان نقسم الاشياء ونحصل على الطيب بمفرده، تماماً كاستحالة الجوهر من دون المظهر والنور من دون الظل. فجميع الاشياء مزدوجة: العين بالعين والسن بالسن. واللعنات لا بد من ارتدادها على اللاعن. واذا غللت عبداً بسلسلة فسوف يحيط عنقك بالطرف الآخر.

وما ان ترتكب جرماً حتى تبدو الارض لك متشحة بالثلج، فلا يعود في امكانك اخفاء آثار اقدامك.

قانون الخير - على ان القانون الخلقي يسري بلا ريب على كل عمل خيِّر كذلك. فاذا أحببت أحبك الآخرون. ان احداً لم ينجُ من بعض الأذى بسبب محاسنه، وكذلك فليس هناك انسان لم تعد عليه عيوبه ببعض النفع. والأيّل في الرواية الخرافية المأثورة راقه قرناه وعاب قدميه، فلما جاءه الصياد لم ينقذه سوى قدميه. وحين وقع اخيراً في الأجمة واشتبك باغصانها، لم يلق حتفه الا بسبب قرنيه.

قوتنا اذاً تنبع من ضعفنا. والانسان اذا نام على حرير مزاياه غلبه النعاس، حتى اذا واجه الصدمات والآلام والهزيمة تنبهت حواسه كلها وتعلم الاعتدال والحذق.

ومن المحال أن يخدع الانسان أحد سوى نفسه. والانسان هو الكل، ولكل امر جانبان - خير وشر. ولكل امتياز ثمن. من هنا تعلمت القناعة ولم تعد لي رغبة في المغانم الخارجية، سواء أكانت أملاكاً أو تكريماً أو سلطة أو علاقات. فالربح لا يتجاوز المظهر، والثمن لا بد مدفوع.

وقد تضمنت النفس ما يعوض عدم التساوي في الأوضاع. فأنا أخي، وأخي هو ذاتي. واني لأرى العظماء من جيراني وقد تفوقوا علي. لكني ما زلت قادراً على الحب، وبالحب يحصل الانسان على العظمة.

حتى الكوارث يتبعها تعويض يظهر اثره بعد فترات. وربما بدت الاصابة بالحمى أو بعاهة أو بصدمة جسيمة، أو فقدان الثروة أو الاصدقاء، خسارة لا تعوض. لكن السنين تكشف حتماً تلك الطاقة الشافية والكامنة في كل الاحداث.

■ رالف والدو امرسون



تبرير ماورائي

في ندوة فلسفية جامعية، وجدت احدى المشتركات ان قصر قامتها يمنع الناس من رؤيتها. فقالت لهم: "لا اظن ان احداً منكم هناك يمكن ان يراني. ولكن بما ان موضوعي متعلق بالفلسفة الميتافيزيقية، فلا ضير اذا سمعتم الصوت ولم تعرفوا مصدره".

ر.م.

٤ وسائل و ٥ نصائح للتغلب على الاجهاد

كيف نتغلب،
بوسائل بسيطة وفعالة،
على الاجهاد وضغوط
الحياة اليومية؟

وقفت ليلى جميل في باب غرفة ابنها ذي الاثني عشر عاماً، تحدق الى الثياب المتشابكة والكتب المضحكة. وشعرت بشيء ينبض داخل رأسها، ثم صاحت به: "رتب هذه الغرفة يا عمر". لكنه أجاب متحدياً: "كلا، لن أفعل". فعادت الى الصراخ: "هذه هي الفرصة الاخيرة، وإلاّ لن اسمح لك بالذهاب الى تمرين كرة القدم". وضربت الباب بقوة وأسرعت الى الطابق السفلي. وتحوّل النبض في رأسها ألماً يحز عينيها كالسكين.

أما زوجها سليم جميل فكان في مكتبه يلوي مشبك اوراق في عقد غير متناسبة فيما المدير يضرب بيده على التقرير الذي اعده سليم حول المبيعات ويقول: "لقد بدأت تنزلق يا سليم. وربما كان تقدمك في السن يسلبك كفايتك في هذا الحقل". وشعر سليم باضطراب في معدته وهو يغادر المكتب. لقد عمل بكلّ جدّ لرفع مستوى البيع، لكنّ ارتفاع الاسعار عاكس جهوده. وقال في نفسه: "غداً يكون السبت، وهو يوم عطلة. وفي إمكاني أن استريح". غير

أنّ التشنج في معدته ازداد وهو يتذكر ما حدث السبت الماضي. فما أن نهض عن الطاولة بعد الفطور حتى خاطبته ليلى بلهجة آمرة: "أين تظن أنك ذاهب؟".

– اريد أن اسبح بعض الوقت. اني أحتاج الى الراحة.

"وماذا أفعل أنا؟ ألا أحتاج الى مساعدة؟ يجب تنظيف النوافذ ومدخل البيت".

لكن سليماً أسرع خارج المنزل، كما سبق أن فعل معظم أيام السبت، وانطلق بسيارته نحو المسبح. إلاّ أن معدته زادت تشنجاً. ولدى عودته الى المنزل وجد ليلى جالسة الى طاولة المطبخ، مخبئة رأسها الخافق بين يديها وهي تبكي.

كان واضحاً أن سليماً وزوجته يعانيان الاجهاد. وهذا ردّ فعل جسدي على ضغوط الحياة اليومية. ولكن لا مفر من الاجهاد اذا شاء المرء أن يعيش حياة فعالة.

وتر الكمان – يقول عالم النفس التربوي دونالد تيوبسينغ إنّ الاجهاد يشبه الضغط على وتر كمان. فهو يحدث صوتاً حاداً اذا كان محكم الشدّ، أما اذا كان مرتخياً فلا يولد موسيقى. وقد ابتكر تيوبسينغ طريقة بسيطة لمعالجة الاجهاد لدى مئات الناس الذين هم في مثل وضع آل جميل.

الخطوة الاولى هي أن تقرر نوع الاجهاد الذي تعانيه: هل هو بناء أم هدام؟ اطرح على نفسك الاسئلة الآتية: هل تزعجني الامور الصغيرة؟ هل أنام بصعوبة وافيق متعباً وضيق الخلق؟ هل أقلق كثيراً؟ هل أشعر كمن وقع في شرك او مكيدة؟ هل أتذمر؟ هل أصرخ غالباً في وجوه اولئك الذين احبهم؟ هل اعاني أعراضاً جسدية؟

اذا أجبت بـ"نعم" عن سؤال واحد من هذه الاسئلة، فالراجح أنك مصاب باجهاد هدام.

هناك مصادر عدة للاجهاد، منها الضغط المبذول للنجاح، النجاح نفسه، الصدام مع الاطفال والاصدقاء، التوقعات غير العملية، الحاجة الى ارضاء عدد كبير من الناس، النوم القليل، هموم المال، عدم الثقة بالذات، صراع القيم، غياب الاهداف. والعوامل التي تسبب الاجهاد لشخص ما ليست بالضرورة سبب اجهاد لسواه. كما ان العوامل التي تحمل الاجهاد الى احدهم في وقت معين قد لا تحمله الى الشخص نفسه في وقت آخر. ان وظيفة ذات مواعيد صارمة، مثلا، قد تكون مصدر إجهاد مزعج بالنسبة الى أحدهم، لكنها قد تكون حافزاً على النمو والازدهار بالنسبة الى آخر. واذا لقي مراهق صداً حقيقياً او خيالياً من صديق، فهذا قد يحطمه نفسياً، في حين ينظر شخص بالغ الى الكلام نفسه كأفكار سطحية مضحكة.

ويقول تيوبسينغ إنّ ما نسميه عامل اجهاد هو امر حيادي في ذاته، وان ردّ فعلنا عليه، القائم على معتقداتنا وقيمنا الذاتية، هو الذي يكسبه اثراً ايجابياً او سلبياً على حياتنا.

هب انك افقت من النوم صباحاً ونظرت الى ساعتك لتجد عقربيها يشيران الى الثامنة والدقيقة الخامسة والخمسين. هذا في ذاته

يبقى بلا معنى الى ان تضفي عليه انت المعنى الذي تشاء • فاذا كان اليوم يوم عمل، وكان العمل يبدأ في التاسعة صباحاً وانت تأبى الوصول متأخراً، فان الوقت ٨،٥٥ يصبح عامل اجهاد سلبياً• أما اذا كان اليوم يوم عطلة، فقد يمنحك هذا الوقت (٨،٥٥) شعوراً بالكسل والراحة والرفاهية• وهكذا نرى ان العامل الخارجي كان واحداً في الحالين، وان طريقة النظر اليه قررت قيمته الايجابية او السلبية•

املأ الفراغ – في الاختبار الذي ابتكره تيوبسينغ لقياس الاجهاد يسأل المشاركون ان يملأوا الفراغ في الجمل الآتية:

- ☐ ربما لم أعد احتاج الى ....
- ☐ ربما احتجت الى قليل من..............
- ☐ ربما احتجت الى ...في مستقبل قريب•
- ☐ ربما احتجت الى ....مرة اخرى•
- ☐ ربما احتجت الى ....احياناً•

الجملة الاولى تشير الى ما تود تبديله• الجملة الثانية تشير الى ما تود الابقاء عليه• الجملة الثالثة متعلقة بأهداف المستقبل، والرابعة بالماضي• أما الخامسة فتشير الى نطاق تحتاج فيه الى مرونة اكثر•

عندما ملأت ليلى جميل الفراغ في تلك الجمل، جاءت اجوبتها كالآتي: ربما احتجت الى نشاطات اكثر خارج المنزل• ربما احتجت الى وظيفة جزئية قريباً• ربما احتجت الى رحلة استجمام مع سليم وعمر• ربما احتجت الى ضمهما من دون انذار احياناً•

أما اجوبة سليم جميل فجاءت كالآتي: ربما كان عليّ الا اقلق على عملي كثيراً بما اني ابذل غايةجهدي• ربما كان علي أن اقضي وقتاً اطول مع ليلى وعمر• ربما كان عليّ تأسيس عمل مستقل قريباً• ربما كان علي ان امشي مسافة طويلة مرة اخرى• ربما كان علي ان احمل الى زوجتي ورودا جميلة احياناً•

لقد اظهر هذا الاختبار جوانب عدة من حياة سليم وليلى الى النور• وبين ان الاثنين يضعان مقاييس صارمة لاعمالهما: ليلى في المنزل وسليم في المكتب، ولا يلبثان ان يشعرا بوطأة تلك المقاييس الهادفة الى الكمال • والاثنان يشعران بحاجة الىتغييرات كبيرة في وضعهما الراهن• وهما يعطيان اهمية كبرى لتقوية الروابط العائلية• كما وجدا ان الصراع بين القيم لدى كل منهما يزيد حدة الاجهاد• فالزوجة تحس بألم في رأسها حين ترى غرفة ابنها غير مرتبة او حين يرفض عمر ان يطيعها، والزوج يحس بألم في معدتهحين لا تكون نتيجة عمله كما يريد او حين تتذمر زوجته منه باستمرار• ولكن ما العمل؟

الطرق الاربع – يقول تيوبسينغ: "هناك اشخاص كثيرون يشعرون بأنهم مقيدون، من غير ان يروا أمامهم منافذ للخلاص• والمطلوب منهمأن يعرفوا ان لديهم امكانات عمل، وانهم يخلقون عالمهم الخاص بما يختارونه"•

ويشير تيوبسينغ الى أن الشعور بالاجهاد ينتج غالباً من سلوكنا المعتاد في ظروف معينة الا ان في امكاننا التغلب على هذه العادات خلال فترة من الوقت اذا نحن بذلنا

جهداً واعياً من أجل ذلك. ويقترح تيوبسينغ اربع طرق للتغلب على العادات التي تجعلنا نستسلم للاجهاد:

١. أعد تنظيم نفسك

عليك ان تسيطر على الطريقة التي تصرف بها الوقت، وتتجنب بذل طاقة كبيرة على مسألة تافهة. ويقترح تيوبسينغ ان تستعمل نتائج اختباره لتتعرف الى اهدافك، ومن ثم لترسم خطة - للسنوات الخمس المقبلة، وللسنة والشهر واليوم - تحدد بموجبها الاعمال الكفيلة بتحقيق اهدافك.

لقد كان هدف ليلى ان تقوم بنشاطات خارج المنزل. وقضت خطتها بأن تكون قادرة، بعد خمس سنوات، على العمل الكامل خارج المنزل، ربما كمديرة في مكتب زوجها الخاص. وهذا، بدوره، يقتضي دراسة المحاسبة وادارة الاعمال في معهد قريب. وهي تريد، في العام المقبل، الحصول على وظيفة جزئية، مما يحتم تحسين معرفتها بالطباعة على الآلة الكاتبة والاختزال. وعليها في الشهر الآتي تخفيف اعباء الواجبات المنزلية. وهذا يتم باقتسام الاعمال اليومية مع زوجها وابنها. وهي تريد ان تكون غداً خارج المنزل. اذاً، عليها الاتفاق مع احدى صديقاتها على لعب كرة المضرب.

٢. غيّر الظروف المحيطة بك

لقد اراد سليم ان يتغلب على الاجهاد باعتماد طريقة تيوبسينغ الثانية، اي السيطرة على الظروف الخارجية. وهذا يتم بوسائل منها الاصغاء والمحاربة والهروب. ويرى تيوبسينغ ان الهروب فعل ايجابي وليس سلبياً: انه فن التراجع او الانسحاب من أجل تأمين جو آخر من شأنه تحقيق السلام الداخلي. وهذا ما اختار سليم ان يفعله في حياته المهنية. فترك الوظيفة واسس عمله الخاص، مفيداً من خبرته السابقة، ليكون مسؤولا تجاه نفسه فقط. أما في المنزل فقد اختار الاصغاء، وهو "الفن الذي يفتح طريقاً بينك وبين مشاعر الآخرين". وفي صباح سبت سأل زوجته ماذا تريد ان تفعل، فأجابت: "اريد أن أذهب الى مكان معرض السيارات. لكن سلة الثياب المتسخة ملأى وحديقة المنزل تحتاج الى تنظيف".

عندئذ قال لها سليم: "أنت تغسلين الثياب هذا الصباح وأنا اذهب الى المسبح. وبعد الظهر انظف الحديقة وتذهبين الى معرض السيارات. وربما خرجنا معاً في المساء لنشاهد عمر يلعب كرة القدم".

٣. غيّر افكارك

يمكنك التغلب على الاجهاد ايضاً بواسطة السيطرة على آرائك وميولك. وهذا يتم خصوصاً عن طريق ما يسميه تيوبسينغ "اعادة التصنيف" و"الهمس" و"الخيال". الامر الاول يعني اكتشاف ناحية ايجابية لكل مسألة. وهذا ساعد ليلى على الاسترخاء كلما تحدى ابنها سلطتها. فبدلا من النظر الى عصيانه كدلالة على عدم احترامه اياها، باتت تنظر الى هذه الظاهرة كعلامة على نموه واستقلاله.

ثم يأتي "الهمس"، وهو يقضي بأن تسرب الى نفسك مواقف ايجابية حين تجري الامور على غير ما

تشتهي". وقد وجد سليم وزوجته هذا الامر شاقاً في البداية، الا ان تيوبسينغ يقول: "نحن جميعاً نتكلم مع انفسنا حول انفسنا، فلماذا لا ننطق بالامور الحسنة؟" وهو علم ليلى ان تهمس لنفسها: "أنا زوجة صالحة وام صالحة" كلما شعرت بغيظ حيال منزلها او زوجها او ابنها.

أما "الخيال" او "فن الضحك" فهو القدرة على قبول امور الحياة المتنافرة. وفي رأي تيوبسينغ انه "اذا امكنك الضحك على نفسك، فهذا يبعدك عن المشكلة. وحين تبعد عن المشكلة التي تعانيها يمكنك التصدي لها من زاوية جديدة".

٤. عزز امكاناتك

ان تعزيز قدرتك هو طريقة اخرى للتغلب على الاجهاد. وقد حاول تيوبسينغ حث سليم وليلى على تناول الطعام المغذي وتنظيم فترة يومية للراحة وتعود الرياضة.

ان لدينا جميعاً وسائل نستعملها لمواجهة الاجهاد. ولكن اذا كنا نعاني اعراض الاجهاد الجسدي، فلا يمكن التغلب على هذه الاعراض بالوسائل العادية، بل علينا ابتكار وسائل جديدة. ويقترح تيوبسينغ الوسائل الآتية:

- ☐ **جسدياً: المشي، تشذيب اشجار الحديقة.**
- ☐ **نفسياً: عناق الاطفال، اطراء الزوجة (او الزوج).**
- ☐ **اجتماعياً: الاتصال الهاتفي بصديق، الدعوة الى حفلة منزلية.**
- ☐ **ذهنياً: القراءة، الموسيقى.**
- ☐ **روحياً: الاستمتاع بجمال العالم المحيط، صرف عشر دقائق يومياً في التأمل.**

وينبغي على المرء ان يختار الوسيلة التي تضفي اتجاهاً جديداً على حياته. فاذا كنت تلجأ عادة الى الرياضة الجسدية في حالات الاجهاد، فحاول ان تحل شبكة كلمات متقاطعة. واذا كنت عادة تشاهد التلفزيون، فحاول الركض قليلاً.

ان التمرين يمكنك من كسر العادات القديمة وتبني طريق جديدة لمواجهة الاجهاد وضغوط الحياة اليومية. ولكن عليك التعرف الى العوامل التي تسبب لك الاجهاد والطرق التي تضغط بها عليك، كما عليك تكوين احتياط من الوسائل التي تعيد تنظيم نفسك بها وتغير ظروفك وافكارك وتعزز امكاناتك. وستجد، مع الوقت، ان لديك وسائل افضل لمواجهة الاجهاد مكان الوسائل القديمة التي تعمق جذور محنتك.

■ **جنيفر بولك**



الخبر المفرح

انتاب زوجتي شعور بالكآبة بعد عطلة نهاية الاسبوع التي اتسمت بالطقس الرديء ونشرات الاحوال الجوية المثبطة. وعلقت قائلة: "لقد اضناني سماع الاخبار السيئة عن نقص الطاقة وارتفاع كلفة المعيشة وخطف الطائرات، واريد، وان لمرة واحدة، ان اسمع خبراً مفرحاً".

فما كان من ابننا ذي السنين العشر إلا ان قال: "يوم الثلاثاء يصادف عيد مولدي".

ج.ل.

عنق الزجاجة

سد الماء المتدفق
منفذ المغارة، واحتجز الرواد
في الداخل.
لكن اليأس
لم يعرف اليهم سبيلا



"لن يطول الوقت هنا"، قال باري بيك، "وسنكون خارجاً بعد عشرين دقيقة". وباري بيك استاذ جيولوجيا (علم طبقات الارض) في الرابعة والثلاثين، وهو رائد كهوف متمرس كان على رأس فريق من جامعة جنوب غرب جورجيا عزم على استكشاف كهف "اندرسون سبرينغز" في جبال الابالاش شمال ولاية جورجيا الامريكية. وكانت الرحلة ممتعة. ولكن في الرابعة والنصف عصر ذلك



السبت البارد من مارس (آذار) ١٩٧٩، شعر أعضاء الفريق التسعة الذين صمدوا حتى النهاية بالتعب والبرد، ولاسيما الأشخاص الخمسة الذين كانوا يرتادون الكهوف للمرة الاولى. وكان قد مر على وجودهم داخل الكهف خمس ساعات.

وخاض التسعة طريق عودتهم في الوحل، عبر الساقية نفسها التي دخلوا منها منحدرين قرابة ١٥٠٠ متر تحت جبل بيدجن. وفجأة سمعوا زئيراً غريباً أمامهم، ونظروا ليروا شقوقاً في جدران الكهف يتدفق منها الماء بقوة، وهي الشقوق نفسها التي كان يرشح منها الماء نقطة نقطة لدى دخولهم. ولم يتوقع احد منهم ان يتحول ذلك الرذاذ الناعم الى فيضان قوي لم يعرفه جبل بيدجن منذ خمسين سنة. وكان الفيضان يصب آلاف الأطنان من المياه عبر الجبل، ويحوّل النهر الجوفي الذي كان هادئاً ولا يتجاوز ماؤه حدود الرّكب بركاناً هادراً أوشك على قطع منافذ العودة عن المستكشفين الشباب.

وصرخ بيك: "أسرعوا". فهرع الطلاب نحو ثغر الكهف، وقطعوا مسافة ٦٠ متراً وصلوا بعدها الى نفق عميق طوله ٤٠ متراً يدعى "عنق الزجاجة". وكان ارتفاع النفق في بعض المواضع لا يتجاوز المتر الواحد، مع ساقية من الماء المتجلد ترتفع نصف متر، الأمر الذي يعسر معه عبور ذلك النفق حتى في الطقس الصحو. أما الآن فكان الماء على وشك أن يسد باب "عنق الزجاجة" المنخفض.

لكن رأي بيك قرّ على أنه في

إمكان الرائد المتمرس ان يخترق منفذ النفق ومعه واحد من زملائه الأقل حنكة. كما قرر ان يصمد مع الباقين في الكهف حتى ينحسر الماء وتأتي النجدة.

وكان مارك ماكوي (١٨ سنة) وطوني ايبل (١٩ سنة) أول المحاولين. وهما رائدان اشتهرا بهدوء الأعصاب في الملمات. ووضع كل منهما مصباحاً على رأسه ينير الطريق أمامه. وما كادا ان يقتربا من آخر النفق حتى ضاقت المسافة بين السقف والساقية الى خمسة سنتيمترات قبل ان تنسد كلياً. لكنهما ثابرا. وكانا يحشران أنفيهما في شقوق السقف ليتمكنا من التنفس. وأخيراً قُيّض لهما الخروج من الكهف.

الباب المقفل - كان الليل يرخي سدوله حين ركض ايبل الى منزل حارس الغابة المسؤول عن المنطقة البرية المحيطة. لكن الحارس لم يكن في بيته، وكان الباب مقفلاً. وبعد برهة وجد ايبل شاحنة مقفلة متوقفة قرب المنزل وفيها اثنان من الفريق لم يكملا الرحلة، وهما اريك (١٣ سنة)، ابن بيك، وطوني جونسون (١٨ سنة).

وأخذ طوني ايبل واريك الشاحنة وطافا بها عبر الطرق المغمورة بالماء طلباً للنجدة. وعلى بعد كيلومترات من الجبل، شاهدا منزلاً. فقصداه وطلبا الى ساكنه أن يستدعي عمدة البلدة.

أما على الطرف الآخر من "عنق الزجاجة" فتوقع الرواد السبعة الذين انتظروا بقلق أن يكون ماكوي وايبل خرجا سالمَيْن. وحاولت شيريل غيليس (١٩ سنة)، وهي طالبة تمريض، ووارن مور (٢٢ سنة) الخروج من النفق. وكتبت شيريل في ما بعد تصف المحاولة:

"دق قلبي بعنف بينما كنا نتسلل عبر النفق. وغطى الماء المثلج كل شيء ما عدا رأسي. وأخذت المسافة بين السقف والساقية تقل حتى لم يعد هناك مجال للقبعة الصلبة التي تستر رأسي وتحمل المصباح الكهربائي. فنزعتها وحملتها أمامي كمصباح. ومن أجل متابعة التنفس، اضطررت الى أن ادير وجهي جانباً، فأصبحت إحدى اذنيّ في الماء والاخرى تلامس السقف. وما لبثت أنا ووارن ان وجدنا الماء يملأ المكان كله حتى السقف. ورحت ألهث وأنا خائفة من ان يطبق المكان عليّ ويجرفني النهر. وغمرتني راحة عميمة حين أوقفنا ذلك المسعى وقررنا الزحف في الاتجاه المعاكس الى الآخرين".

وكان النهر الجامح على وشك ان يسد المنفذ كله. وقطع أفراد الفريق بجهد مسافة ٢٧٠ متراً عبر الساقية حتى بلغوا مغارة كبيرة. وهناك صعدوا الى صخرة ترتفع نحو ١٢ متراً فوق الماء. وما أن تسلقوها حتى أحسوا بحجم المأزق الذي يحيطهم. وكانوا مبللين بمياه الجبل الجليدية، وكانت أسنانهم تصطك من البرد القارس الذي يتهدد حياتهم، وأوصالهم ترتعد. وعلى رغم أنهم أمنوا الفيضان الى حين، الا أنهم كانوا على وشك الاصابة بهبوط في حرارة أجسادهم. وكان بيك وشيريل وماري فاي سميث (١٩ سنة)، وهي طالبة تمريض أيضاً، يعرفون أن هبوط

حرارة الجسم قد يؤدي الى رجفة واغماء تليهما الوفاة. وتحلق أفراد المجموعة بعضهم حول بعض تلقائياً على تلك الصخرة حيث كان البرد يزداد حدة.

وبعيد الظلام، وصل رالف جونز، عمدة مقاطعة ووكر، الى مدخل الكهف مع اثنين من مساعديه. الا أن المعاونين لم يستطيعا شق طريقهما عبر مدخل الكهف. وطلبا نجدة اضافية بجهاز الارسال المثبت في سيارة الشرطة التي نقلتهما مع العمدة.

النهار والليل – في المغارة اكتشف بيك مكاناً يشبه الوكر تحت سقف الكهف. وعلى رغم ضيقه، الا أن أفراد الفريق حشروا أنفسهم فيه كالحطب المكدس طلباً للدفء.

وكانوا يتبادلون المواقع داخل المكان الجديد. وأخذوا من وقت الى آخر ينهضون ويتحركون في أماكنهم أو يفعلون بعض التمارين للتغلب على الألم في عضلاتهم وتسهيل الدورة الدموية. وكانوا يقتسمون فضلات الطعام الضئيلة التي بقيت من الرحلة.

وحلّ صباح الأحد من غير أن يعرف المحتجزون ليلهم من نهارهم وسط ذلك الظلام الحالك. ترى أين النجدة التي طلبوها؟ أين أصبح ماكوي وايبل واريك وطوني جونسون؟

وفي بلدة اميريكوس التي تبعد ٤٠٠ كيلومتر عنهم، كانت جامعة جنوب غرب جورجيا في غليان منذ منتصف الليل، حين تلقى رئيسها بالوكالة هارولد جونسون مخابرة هاتفية من ولده طوني تعلمه بالحادث. وظهر الأحد كانت الصلوات تقام في كنائس البلدة من أجل سلامة الرواد المحتجزين. وتوجه أقرباء الرواد الى جبل بيدجن، وبلغوه باهتياج شديد وسط سحب المطر الكثيفة والطرق المنجرفة.

وأسفرت استغاثة العمدة جونز عن إرسال سيارتي اسعاف وفرقة انقاذ وبعض أفراد الشرطة والاطفاء والحراسة والدفاع المدني والصليب الاحمر والتمريض. كما توجهت الى المكان مجموعة من عشرة أفراد أو أكثر من رجال ونساء ينتمون الى الفرقة الاهلية لانقاذ رواد الكهوف، وقوامها متطوعون متمرسون هدفهم انقاذ زملائهم في الاحوال الطارئة. ولم يستطع حتى اولئك الرواد الاقوياء بلوغ مكان زملائهم المحتجَزين. وما كادوا ان يتقدموا ٣٠ متراً حتى صدتهم المياه المندفعة من "عنق الزجاجة".

وانقضى العصر ببطء من دون احراز تقدم. ودخل ويلمر ولويز سميث، والدا ماري فاي، مع ابنتيهما بريت وديبورا، وتقدما بجهد بالغ حتى شاهدا قبعة عائمة على الماء تخرج من النفق. عندئذ صرخ ويلمر: "ان ابنتي هناك!"، ودخل مع ابنته بريت عبر النفق الهائج. لكنهما لم يتمكنا من التقدم نقطة واحدة أبعد مما بلغه أعضاء فرقة الانقاذ المتمرسون.

وعند السابعة مساء كان المطر قد انقطع. وأخذت الساقية داخل الكهف تفقد بعضاً من مائها، ولكن ببطء. وفي السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين حطت طائرة هليكوبتر في

المكان وعلى متنها الغواص الماهر لاري بين، الخبير في ريادة الكهوف أيضاً. وتشاور بين مع الغواص ايان هاملتون الذي وصل في سيارته.

بعد ذلك ارتدى الرجلان بذلتي غوص وزعانف، ووضع كل منهما على ظهره حوض هواء ثقيلا. وعندما بلغا ماء النبع الحار الذي اوقف جميع المنقذين عند مدخل النفق، اخترقا الماء وسبحا وسط النفق، شاقين الطريق بأرجلهما وايديهما واظافرهما ولم يتمكنا من رؤية شيء أمامهما، حتى بمساعدة مصابيح الغوص التي تبلغ قوتها ٨٠ ألف شمعة. ثم دخلا ممراً أكبر كثيراً من النفق، حيث أمكنهما الوقوف. وأخذا يصارعان التيار الى أن بلغا مكان الفريق.

"هل رأيتم أحداً؟" – تسلق ايان هاملتون بجهد الى الصخرة التي كان المحتجزون عليها، وقال: "اننا نبحث عن سبعة رواد كهوف من جامعة جنوب غرب جورجيا. فهل رأيتم أحداً؟" ومرت هنيهة من غير أن يهمس أحد منهم. ثم ابتسم كل منهم ابتسامة ظهرت معها أسنانه. وقال بين: "تقدموا، لنعد كلنا الآن".

لقد وصل بين وهاملتون في الوقت المناسب. وتبعهم الطلاب المرهقون بخطى متعثرة، شاقين طريقهم ببطء عبر النهر. وكان الماء لا يزال يرشح من السقف في الجزء الاخير من "عنق الزجاجة". وراح الغواصان يرافقان الطلاب واحداً واحداً، مستخدمين خراطيم هواء خاصة، لعبور المرحلة الأخيرة الحاسمة من النفق.

وفي التاسعة والدقيقة التاسعة والعشرين ليلا، كان جميع الرواد أصبحوا خارج الكهف. وقدمت الاسعافات الاولية الى شيريل وماري فاي واثنين من الفتيان على ايدي فريق من خمسة رجال مختصين بمعالجة ارتفاع الحرارة، كانت طائرة هليكوبتر نقلتهم الى مكان الحادث من شارلوتسفيل في ولاية فرجينيا. ولُفّ الرواد جميعاً ببطانيات أو أكياس دافئة وأعطوا قهوة ساخنة. ثم نقلوا على جناح السرعة الى مستشفى يبعد ٦٥ كيلو متراً عن ذلك المكان لاجراء فحوص طبية.

وقد عانى بعض أعضاء الفريق المبتدئين عقدة خوف من الأماكن المقفلة والضيقة طوال الشهرين التاليين، جعلتهم يفكرون في عدم النزول تحت الأرض مرة اخرى. ولكن بعد رحلتين خفيفتين الى الكهوف، تغلبوا على تلك الهواجس. وهم اليوم يتوقون، كزملائهم المتمرسين، الى رحلات استكشاف الكهوف والمغاور من جديد، ولكن عندما يكون الطقس صحواً ومشمساً.

■ آلن رانكن

علم التفلسك

مذيع نشرة الاحوال الجوية: "يتوقع ان يكون الطقس في نهاية الاسبوع صافياً ودافئاً. وهناك احتمال ٧٠ في المئة في ان نكون على خطأ".

ل.و.

في امكان الانسان ان يحقق ذاته ويصنع المعجزات
اذا اجتمع لديه الطموح والاقدام

الجاذبية الأرضية عدوي



مارك يعمل مستخدماً الاداة التي صممها والده.

ذات يوم قبل ثماني سنوات جلست ادرس ملفات الطلاب الذين تقدموا بطلبات لتعلم الرسم في محترفي في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس. واذا بمساعدتي تدنو مني وهي تحمل، التماساً خاصاً من طالب مشلول الاطراف، تمنى فيه صاحبه ان اسمح له بالالتحاق بصفي لتعلم الرسم. ثم فاجأتني مساعدتي اذ قالت: "انه يرسم ممسكاً القلم بين اسنانه".

فأجبتها وقد تملكتني الدهشة: "هذا هراء. اذا كان من الصعب على المرء ان يتعلم الرسم ويداه سليمتان، فمن المستحيل ان يرسم وهو يمسك القلم بفمه. اني لا اسمح لهذا الطالب بالانضمام الى صفي. وعدت الى دراسة ملفات الطلاب المنتظرين. فوافقت على تسجيل بعضهم ورفضت تسجيل الآخرين. ثم استرعى انتباهي ملف طالب آخر اضافته مساعدتي. ولما تأملته اذهلتني رسومه الممتازة. فقلت لمساعدتي اني سأقبل صاحب تلك الرسوم في صفي. وقبل ان اكمل حديثي معها اندفع الطالب المشلول نحوي وهو على كرسيه المتحرك، ثم استدار وتوقف وهو يتطلع الى الطلاب الذين اخذتهم الدهشة فصمتوا فجأة، والى الاستاذ الذي علت وجهه الحمرة.

وحاولت الا انظر الى الطالب المقعد بينما كنت اوضح للطلاب، وله خصوصاً، ان عملهم سيكون شاقاً. فاذا اراد احدهم الانسحاب، فليعلم ان الآن هو الوقت المناسب. فانسحب طالبان. أما الشاب المشلول فلم يرف له جفن، بل التمعت عيناه عزماً اكيداً. عندئذ صرفت الطلاب واستبقيت ذلك الشاب.

لقد اقتصرت حركات جسده على تحريك رأسه ضمن زاوية من ثلاثين درجة. أما حركة عقله وفكره وخياله الخلاقة والهائلة، فلا يمكن تجاهلها.

وتكلم مارك هيكس، البالغ الثالثة والعشرين من العمر، بصوت رزين وخفيض. اخبرني انه عندما كان في الثانية عشرة وقع من عرزال نصبه فوق شجرة في الساحة الخلفية لبيته القائم في منهاتن بيتش في كاليفورنيا. فكسر عموده الفقري، وشل من اسفل عنقه الى اخمص قدميه. ثم عقب بهدوء ورصانة: "لقد وقعت، ولم يكن لاحد ذنب في ذلك".

وبينما كان مارك يتكلم، تفرست فيه فألفيته شاباً واثقاً بنفسه. وكان شعره منسدلا حتى كتفيه. اما وجهه، فكان وسيماً، ناحلا وبارز العظام، يتوسطه انف معقوف وفم عريض رقيق الشفتين. وبدت ملامحه الرقيقة كأنها قالب صمم لتوضع فيه عينا مارك النابضتان بالحياة. رأيت في عينيه مجمل كيانه، فهناك كان يحيا ويقيم.

وكان جسد مارك اشبه بتمثال لعرض الازياء: هيكل عظمي غطته عضلات ضامرة. أما رأسه، فهو الجزء الوحيد المتحرك والطبيعي في جسمه، اذ كان يستطيع ان يحركه ثلاثين درجة في كل اتجاه.

التلميذ المعلم — حدثني مارك عن الاشهر العشرة التي قضاها في فترة النقاهة. واخبرني كيف امضى شهرين مشدوداً الى السرير الكهربائي الدوار حيث كان يقلب فوق هذه الآلة العجيبة كل ساعتين كأنه قطعة لحم فوق المشواة (★).

وتناوب والد مارك ووالدته وشقيقاته الثلاث على زيارته مرتين كل يوم. وكان ذلك يعني اجتياز مسافة ٥٠ كيلومتراً ذهاباً واياباً بين البيت والمستشفى.

ثم تعلموا طرق الاعتناء به. واعتمد مارك على افراد اسرته في قضاء حاجاته اليومية.

فكانوا يطعمونه ويفركون اسنانه وينظفون انفه. وفي اغسطس (آب) ١٩٦٢ احضره اهله الى المنزل.

وكان مارك قبل الحادث يرسم. وبعد عودته الى البيت تابع الرسم وهو يمسك القلم بين اسنانه باحكام. ثم تعلم الرسم الزيتي. وقويت عضلات فكيه، فكان يعلق على ذلك مازحاً: "لو كانت كل عضلاتي بقوة عضلات فكي، لامكنني حمل بيتنا".

لكن شظايا الاقلام الخشبية كانت تغرز في لثة مارك وشفتيه اول الامر. فصنع له والده، وهو استاذ الفنون الصناعية، عصا مجوفة من الالمنيوم يبلغ طولها ٣٠ سنتيمتراً. وجعل

(★) يتألف السرير الكهربائي الدوار من طبقتين، يستلقي المريض فوق السفلى ثم تشد العليا الى اسفل حتى تغطي جسده. فيصبح بينهما كأنه قطعة لحم في شطيرة. ثم يوصل السرير بالتيار الكهربائي فينقلب رأساً على عقب ليصبح المريض مستلقياً على بطنه. ثم تفصل الطبقتان.



"راس افريقي":
رسم مارك هذه اللوحة بالحبر عام ١٩٧٣.

جزءها الذي يوضع في الفم من البلاستيك. وهكذا ابعد خطر الشظايا عن لثة مارك وشفتيه، وامكن ادخال قلم او فرشاة في الطرف الآخر من العصا. ونتيجة لهذا الابتكار، ابتعد القلم عن وجه مارك، فلم يعد مضطراً الى تحريك عينيه ليرى اي نقطة.

وشعر مارك بأن بلوغ درجة من الكمال في رسمه شبيه بلذة تعلم الطيران. فبالرسم كان يمكنه الهرب من واقعه المرير الى عالم الايمان البهيج الذي يصوره له عقله وخياله. واكمل مارك دراسته الثانوية بمساعدة استاذ خاص. والتحق بمعهد عال كي يتخصص بالفنون الجميلة ويطور كفايته كرسام.

وكان معظم طلابي، بادىء الامر، متضايقين من وجود مارك بينهم، اذ كان كرسيه المتحرك يحشر بين مقاعدهم وقد نتأ من بين ذراعيه مسند قماشة الرسم. كما كان منظره غريباً وهو يمسك الفرشاة باسنانه. وذات مرة، جعلت الطلاب الآخرين يرسمون وقد وضعوا ايديهم خلف ظهورهم وامسكوا الاقلام بأسنانهم. فتولد عندهم حينذاك شعور جديد بالاحترام ازاء زميلهم الذي سرعان ما غدت رسومه افضل رسوم في الصف.

ولم يكن مارك لينزعج، اذ انه لم يعتبر نفسه قط موضعاً لشفقة الآخرين. لقد قبل واقعه المر وحقيقة عجزه الاليمة، فكان يبذل كل طاقته. وكان قدوة صالحة لزملائه في الجد والاجتهاد. أما من جهتي أنا، فصحيح اني كنت استاذه، لكني احسب انه كان احد معلميّ.

توحيد الجهود - اثر مارك في الطلاب وفي انا تأثيراً بالغاً. فصممت على ان انتج فيلماً يكون هو بطله، لاني اردت ان اظهر للعالم ان الانسان يستطيع ان يحقق ذاته ويصنع المعجزات اذا اجتمع لديه الاقدام والطموح. ولم اكن انتجت فيلماً واحداً في حياتي. لكني قلت في نفسي: "اذا كان مارك يستطيع ان يرسم وهو ممسك بالفرشاة والقلم بين اسنانه، ففي امكاني انا ان اخرج فيلماً".

وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٧٣ كتبت الى عميد الكلية التي ادرس فيها رسالة مؤثرة اخبرته فيها بعزمي على انتاج شريط وثائقي يسمح للناس بأن يروا في مارك ما رأيناه نحن. وتأثر العميد بهذه الفكرة اشد التأثر، فارسل شيكاً بقيمة ستة آلاف دولار

اقتطعه من موازنة كانت مرصودة لمشاريع خاصة. فكانت هذه اولى معجزات مارك.

وكان مارك يعرف جون جوزف، وهو طالب في دائرة السينما في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس. وكان هذا ينوي تنفيذ شريط سينمائي في مشروع دراسي يتممه في سنته الجامعية الاخيرة. فاجتمعنا ووحدنا جهودنا: استاذ فنون جميلة، وطالب في دائرة السينما، وشاب مقعد. لكننا كنا كمن يسعى وراء السراب.

وسرعان ما انضم الينا اربعة طلاب موهوبين. فاستأجرنا آلات تصوير واجهزة اضاءة ومعدات تسجيل. ثم بدأنا نصور مارك وهو يمارس حياته اليومية، من دون ان نضع قصة او سيناريو للفيلم. فالتقطنا صوراً لوالد مارك وهو يحمله ليخرجه من سريره ثم يجلسه في كرسيه ويفرك اسنانه. وانتقلنا مع والدته الى المطبخ حيث راحت تطهو وتناوله الطعام. بعد ذلك صورنا خادمه وهو يضعه في عربته وينقله الى المدرسة. ثم صورناه وهو يعمل في صف الرسم، وفي طريقه الى المعارض والحفلات، وعند عودته الى المستشفى.

ويظهر والدا مارك في مشهد مؤثر، حيث يصفان ايمانهما المطلق بالله ويعلنان خضوعهما التام لمشيئته التي جمعتهما. وقال بوب هيكس: "نحن نؤمن بالله، كما نؤمن بأن كل الاشياء تعمل معاً للخير".

ولما رأى مدير معرضي رسوم مارك، اشار علي بأن اسمح لذلك الرسام باقامة عرض خاص للوحاته، من غير ان يدري ان مارك رسمها بفمه. وكان هذا الحدث قمة النجاح في الفيلم. ورافقنا مارك الى سان فرنسيسكو حيث صورنا تفاصيل ليلة الافتتاح وحفلة الاستقبال والعرض الناجح. وجلس مارك بين رسومه في اجمل لحظات عمره. وكان يردد: "لقد بلغت هدفي وانا جالس في كرسي المتحرك".

وهنا نفدت اموالنا، بعدما انهينا التصوير. وفي غمرة حماستنا انفقنا الستة آلاف دولار كلها، واستهلكنا ٦٤ شريطاً من الافلام السينمائية الملونة الباهظة الثمن. ولم يبق لدينا مال لتحميضها وطبعها. فشعرنا بالالم البالغ لانه كان في حوزتنا عدد كبير من الافلام من دون ان نقدر على رؤية ما فيها. فكنا بذلك، كما يقول مارك: "اشبه بامرأة تحمل جنينها في بطنها طوال حياتها".

عندئذ اتصلت بالمدير التنفيذي لمختبر التصوير الملون، بول فلايرتي، وأنا ارتجف اضطراباً. ولما اخبرت بول عن مارك والفيلم، عرض ان يحمض ١٥ شريطاً ويطبعها من دون مقابل. فارسلت اليه ٣٠ شريطاً، اذ قلت في نفسي: "اذا كان تحميض خمسة عشر شريطاً اتى كمعجزة، فالمعجزة تتحمل تحميض ضعفي هذا".

هذا كله لك — بعد شهر اتصل بول فلايرتي ليقول: "هذا فيلم رائع. هل يمكنني ان اقابل مارك؟"

وفي اليوم التالي ذهبنا انا ومارك. وبعد حديث استغرق ٣٥ دقيقة، تبرع فلايرتي بتحميض الافلام الباقية. فتتابعت معجزات مارك.

لكننا كنا لا نزال في عجز. فكان علينا ان نحرر الحوارات ونسجلها، ونضع موسيقى الفيلم، ونرتب العناوين وننجز الطبع النهائي للفيلم. فاحتجنا الى مزيد من المال. فكتبت رسالة اعلن فيها تقديم لوحة من لوحات مارك المرسومة على الحجر في مقابل ٢٠٠ دولار، او مجموعة من رسومه او رسومي في مقابل ٥٠٠ دولار. وأرسلت نسخة عن هذا الخطاب الى كل من معارفي. فتدفقت علينا الاموال، وانطلقنا نعمل من جديد.

واستقينا عنوان الفيلم، "الجاذبية الارضية عدوي"، منملاحظة ساخرة ادلى بها مارك في سياق الفيلم (ولربما كانت الجاذبية الارضية فعلا عدوه الوحيد).

وعادت ازمة المال تواجهنا. فكان علينا ان ننتج الطبعة النهائية المكلفة الى جانب الصورة السلبية (النيغاتيف) بعد ان انجزنا النسخة القبل - النهائية. وكنا اخذنا المال او استلفناه من كل من نعرف. فبدت المعجزات كأنها توقفت.

وفي هذا الوقت العصيب توفي مارك اختناقاً اذ غص بالطعام. وربما وقع هذا الحادث عشرين مرة من قبل، لكنه لم يود بحياته الا بعدما رأى النسخة القبل - الاخيرة من فيلمه.

لقد رحل مارك. لكننا لم نستطع ان نوقف انتاج فيلمه، فبفضله بلغنا هذا الشوط. كان الواجب يدعونا الى اظهار حقيقته للملأ. وبعد ثلاثة اسابيع من دفن مارك، حملت النسخة القبل - النهائية الى راي فاغنر نائب رئيس شركة متروغولدوين ماير آنذاك. وفي منتصف الفيلم اشعل الرجل الانوار ليخبرني، وهو يذرف دموعاً سخية، انه سيمول طبعة نهائية مجانية للفيلم. كانت اعاجيب مارك لا تزال تتوالى.

وارسلنا الفيلم الى مهرجان سان فرنسيسكو السينمائي. وكم كانت دهشتنا عظيمة عندما حل فيلمنا في المرتبة الاولى بين الاشرطة الوثائقية، ونال جائزة المهرجان الاولى، "غولدن غايت". واضحى بذلك صالحاً لان يرشح لنيل جائزة اكاديمية. وقد حدث ذلك فعلا ليزيد من تعجبنا.

شعرنا، أنا وجون جوزف بأن ارتداءنا ملابس السهرة وحضورنا احتفال توزيع جوائز الاوسكار الرائع هو جائزة عظيمة في ذاته. وكنا واثقين من ان لا حظ لنا في نيل جائزة الاوسكار. وفي اثناء الاحتفال تذكرت مارك وتمنيت لو انه كان حاضراً معنا عملية الاختيار. وعلى رغم يقيني باستحالة حصولنا على جائزة اوسكار، الا اني تمنيت لو يحدث ذلك من اجل مارك، ومن اجل الجامعة، ومن اجل جميع الذين ساعدوا على تنفيذ الفيلم.

ثم اني اردت اولئك الذين يريدون انتاج افلام ان يعلموا ان من يسعى بامانة واخلاص سينجح لا محالة.

وكلما كانت لحظة اعلان الفائز في مجموعتنا تقترب، كنت احس بحلقي يزداد جفافاً. وشعرت بالوقت يمر بطيئاً بينما كان الممثل كيرك دوغلاس والممثلة راكيل ولش يمزحان قبيل فتحهما غلافات الجوائز ليعلنا الفائز. وفجأة سمعت راكيل تقول:

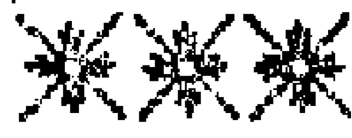
"أما الفيلم الفائز فهو الجاذبية..."·

ولم اعد اذكر كيف اجتزت ذلك الممشى بين مقعدي والمنصة وسط تصفيق النجوم الحاد· ومع اني وددت ان اشكر الجميع، فقد انعقد لساني·

وسمعتني اقول، وكأني في حلم: "اذا كان انجاز فيلمنا معجزة، فحصولنا على هذه الجائزة معجزة اكبر· ولكن، يبقى مارك هو المعجزة الكبرى· لقد علمنا مارك كيف نحيا حياة الابطال· هذا فيلم مارك، وهذه جائزته· ولكن يا للاسف، مارك ليس بيننا هذه الليلة فهو ترك كرسيه المتحرك وانطلق يركض حراً طليقاً في جنان ربه"·

تعاقبت اعاجيب مارك· وربح فيلمه الجوائز الاولى في اربعة مهرجانات كما عرض على شاشة التلفزيون وفي المدارس والمستشفيات والنوادي·

■ جان ستاسي



سبب الثرثرة

ان فتح الفم، بالنسبة الى قانون الجاذبية، اسهل من غلقه·

س·ش·

مرض نصف الليل

استدعى مريض طبيبه في منتصف الليل وقال له: "ارجوك ان تفحص قلبي"· وبعد قليل قال الطبيب: استدعِ اقاربك فوراً ·

ـ هل الامر خطر الى هذا الحد؟

ـ كلا، ليس هناك ما يبعث على القلق· ولكن لا أريد أن اكون الشخص الوحيد الذي اقتلعتَه من فراشه بسبب عارض عسر هضم بسيط·

م·ك·

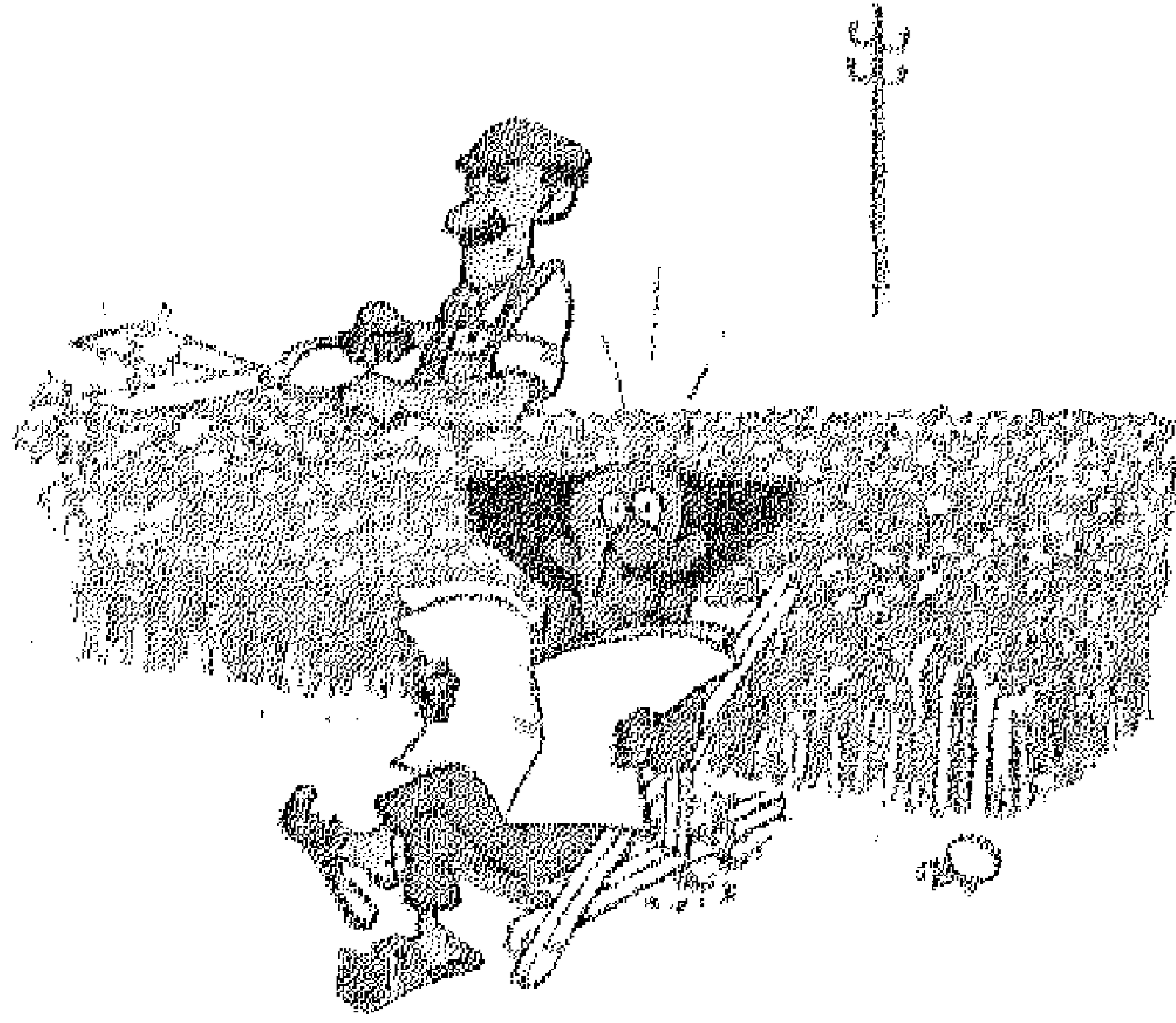
المراعي الخضر

حين كان عالما النفس لايتشارد ديفيدسون وغاري شفارتز يعلّمان في جامعة هارفارد، أجريا دراسات حول الطريقة التقليدية المعروفة للتغلب على الأرق، وهي عَدّ الخراف·

فقد ساد الظن ان المنظر الزراعي الهادىء الذي تسرح فيه تلك الكائنات المغطاة بالصوف هو العامل الذي يبعث على النوم· إلا ان ديفيدسون وشفارتز وجدا ان ذلك المنظر الطبيعي ليس الدافع على النوم· اما الدافع الحقيقي فهو ان نصف الدماغ الايمن، عندما يستحضر صورة الخراف، يكف عن استحضار الاخيلة المقلقة، في حين ان عملية عد الخراف تمنع نصف الدماغ الأيسر عن الولوج في مسائل سمعية ولغوية معقدة·

وهكذا اثبت العالمان ان عملية عد الخراف ترتكز على اساس علمي قوي· فهي تصل جزئي الدماغ لمنعهما من تكوين اخيلة وافكار مسببة للارق·

مجلة "المختار العلمي"



الضحك خير دواء

زبون النصف الآخر

دخل رجل ضخم الجثة يزيد وزنه على المئة كيلوغرام محلا كبيرا للاغذية، وطلب من احد الموظفين نصف ملفوفة. فقال له الموظف: "نحن لا نبيع الملفوف بالنصف، بل نبيع الملفوفة كاملة".

فقال الزبون جازماً: "اني لا اريد ملفوفة كاملة، بل اريد نصفها. فهل انت مستعد لتلبية طلبي؟" فاجاب الموظف: "انتظر لحظة. سأسأل المدير اذا كان يسمح بذلك".

وذهب الموظف الى ركن من المحل حيث كان المدير يلصق الاسعار على علب الطعام، وقال له: "هناك جاموس ضخم سخيف يطلب ان ابيعه نصف ملفوفة. فهل اذهب الى ذلك الابله واقول له..." وقبل ان يكمل الموظف جملته لاحظ مديره ينظر الى الخلف ويفاجأ بالزبون الضخم الذي كان يصغي الى الحديث. وهنا استدرك الموظف قائلا: "وهناك هذا الزبون المهذب الذي يريد شراء النصف الآخر".

ج.د.

لم تعلمه السنون

بعدما قبض رجال الشرطة على بائع عقاقير متجول بتهمة بيع "اكسير الشباب الدائم"، اكتشفوا، لدهشتهم، انه من اولئك الذين لا يرتدعون عن تكرار جرمهم. فقد سبق ان قبض عليه بالتهمة نفسها عام ١٧٧٤، ثم عام ١٨٢٩، ثم عام ١٩٠٤!!

ك.م.د.

العجوز المتصابية

توفيت عجوز في عقدها التاسع. ولما فتحت وصيتها وجد فيها ما يأتي: "لا اريد ان يكتب عمري على شاهدة قبري. فاذا لم يكن من ذلك بد، فليكتب عليها: "هنا ترقد سيدة بين الستين والثمانين..."

عصام مهداوي،

عن كتاب "حكم وآداب من ماثر العرب"

أيهــــا الأزواج:

تحسين زواجكم وقف عليكم

هل تريد ان ترفع شأن حياتك الزوجية؟ اليك، اذاً، هذا الاختبار البسيط

أخذ كل منا، أنا وزوجتي، ورقة وقلماً، ورحنا نجيب عن اسئلة امتحان قصير قيل لنا انه يساعد على تحسين أحوالنا الزوجية. وكان الاختبار من البساطة بحيث بدا عاجزاً عن صنع المعجزات، إذ لم يقتض الا ان يقوم كل منا على حدة سير الامور الزوجية في عشرة من حقول العلاقة الرئيسية.

ولم نكد ننهي مقارنة النتائج وبحثها حتى تبين لنا أننا توصلنا الى بعض الاكتشافات المهمة. فقد أظهرت النقاط التي حصل عليها كل منا ان هناك نواحيَ كثيرة مرضية في زواجنا، وأن هناك، في المقابل، نواحيَ قليلة شعر أحدنا بأنها ليست كما يرام. وها نحن، عوضاً عن الارتباك حيال وضعنا الزوجي والتساؤل عن أسباب عدم كونه أفضل، حصلنا على دليل يخطط لنا الطريق الضرورية لجعله أفضل.

الاختبار الذي خضعنا له يعرَف باسم "قياس الامكانات الزوجية". وقد ابتكره خبيران في الأحوال الزوجية وعلاجها هما الزوجان ديفيد وفيرا مايس، بناء على خبرة ٤٥ عاماً قضياها في مساعدة الازواج على قياس مستوى زواجهم وامكان النهوض به.

وعلى رغم أنه قدّر أن تسعة أزواج من كل عشرة لا يحققون ملء طاقتهم من السعادة الا نادراً، غير أن مايس وزوجته يعتقدان أنه في الامكان تعزيز كل زواج بلا استثناء. ويقول ديفيد مايس: "هناك فرق بين

السعادة التي حققها معظم الأزواج وتلك التي يمكنهم تحقيقها". وهذا الفرق تحدده قدرتهم على النمو. انه الغنى النفسي الكامن في كل علاقة، والذي لا يستغله معظم الأزواج الا نادراً.

عشرة ميادين - الاختبار المشار اليه صُمم لقياس تلك الطاقة الكامنة. وهو يتألف من أسئلة تتناول العلاقات الزوجية في الميادين العشرة الآتية:

١. الأهداف والقيم المشتركة.
٢. التعهد بتنمية الكيان الزوجي.
٣. طرق التعبير ونقل الآراء.
٤. العاطفة والتفهم.
٥. الاستخدام الايجابي لتعارض الآراء.
٦. الاتفاق على أدوار الرجل وأدوار المرأة.
٧. التعاون والشراكة في العمل.
٨. الاشباع الجنسي.
٩. الادارة المالية.
١٠. العناية بالاولاد واتخاذ القرارات (في حال عدم وجود أولاد).

عندما يخضع الزوجان لاختبار "قياس الامكانات الزوجية"، فان كلا منهما يجيب على حدة، واضعاً لكل سؤال علامة تراوح بين الصفر والعشرة، تبعاً لكون الزواج حقق، أو لم يحقق، في نظره، أقصى طاقاته في الحقل الذي يشمله السؤال. فاذا رأى أحد الزوجين ان التعاون الزوجي، مثلا، يسير على نحو ممتاز، فهو قد يضع هنا ثماني نقاط او تسعاً. واذا رأت إحدى الزوجات أن زوجها غير عازم اطلاقاً على مساعدتها في تدبير شؤون المنزل، فهي عندئذ تضع علامة متدنية للسؤال المتعلق بهذه الناحية. واذا رأى أحدهما أن الناحية الجنسية في زواجه غير مشبَعَة إلا جزئياً، فهو يضع أمام السؤال المتعلق بها ٤ أو ٥. وبعد الاجابة عن الأسئلة العشرة وطرح مجموع العلامات من مئة، يحصل الزوج (أو الزوجة) على رقم يمثل مقدار بعده عن تحقيق الهدف.

إلا ان أهم وجه لهذا الاختبار يبرز حين يقارن الزوجان النقاط التي حصلا عليها ويتكلمان عن الأسباب التي حدت كلا منهما على الاجابة كما فعل. وتقول العالمة النفسية سارة كاترون من مدينة ونستون - سالم في ولاية كارولينا الشمالية: "على كل زوجين تكريس ساعة أو ساعتين لبحث النتائج التي حصلا عليها، لئلا يتحول هذا الاختبار تسلية. ولا يمكن وضع أولويات لتحسين الحياة الزوجية ما لم يتكلم الشريكان عن ايجابيات زواجهما وسلبياته".

النمو الزوجي - يقترح مايس وزوجته على الأزواج ان ينطلقوا من نتائج الاختبار الى وضع خطة عاجلة للنمو الزوجي. لكنهما يضيفان: "لا تحاولوا تحقيق امور خطيرة في وقت سريع. ولكن استخدموا نتائج الاختبار من أجل تقرير نطاق العمل أولا. ثم تقدموا بخطى معتدلة ومعقولة".

وتبع الزوجان ديفيد وكاتي سونيدر هذه النصيحة. وتقول كاتي: "أقلقني تقويمنا المتدني للناحية المتعلقة بتنمية الكيان الزوجي. فبعد ١٥ سنة من الزواج وانجاب ثلاثة أطفال، يتوقع المرء ان يكون حقق الكثير في هذا المجال".

ولكن حين بحث الزوجان هذه المسألة، تبين لهما أنهما، عن غير قصد، أتاحا للتغيرات الخارجية التي

طرأت على حياتهما أن تضعف علاقة أحدهما بالآخر. وتضيف الزوجة: "عدت حديثاً الى العمل، وكان زوجي قد انتقل الى وظيفة مختلفة. كما كان الأطفال يطلبون منا اموراً كثيرة، لذلك لم يبق لدينا الوقت أو الطاقة لتعزيز زواجنا".

الا ان الزوجين قررا الانطلاق في عمل بناء بالنسبة الى وضعهما الزوجي. ويقول ديفيد: "لم يكن ممكناً تغيير قواعد حياتنا الأساسية. ولكن اذا بخل علينا الوقت بساعات نكون فيها معاً، فقد كان علينا ان نخلق هذه الساعات". والآن يحاول ديفيد وزوجته أن يخصصا أمسيات يقضيانها معاً، فيتكلمان ويخططان للمستقبل أو يستمتع أحدهما برفقة الآخر.

وتبين من الأجوبة التي كتبها آلاف الأزواج حول هذا الاختبار أن هناك مجالات عدة تنشأ فيها المشكلات التي يمكن التصدي لها لتنمية الزواج.

١. التعبير ونقل الآراء

في دراسة أجرتها "الجمعية الامريكية لخدمة العائلة" في أنحاء الولايات المتحدة، تبين ان ٨٧ في المئة من الأزواج الذين التمسوا مساعدة المؤسسات المختصة في الامور الزوجية كانوا يعانون مشكلات في التعبير عن الأفكار ونقل الآراء في ما بينهم.

ويقول رجل من لوس انجلس انه كان يتضايق كثيراً عندما تتذمر زوجته من بقائه طويلا في المكتب ورجوعه الى البيت متأخراً: "ظننت أول الأمر ان تذمرها عائد الى عملها الاضافي في اعداد الطعام أو الى اننا لم نتناول العشاء معاً بعض الأحيان". ولكن عندما تحدثا في هذا الموضوع بعد أخذ اختبار "قياس الامكانات الزوجية"، صرحت الزوجة ان مسألة العشاء لا تهمها: "ما يقلقني هو أنك تعمل كثيراً".

وأدرك الزوجان ان كثيراً من خلافاتهما سببه اضطراب الحديث في ما بينهما. ومن أجل اصلاح ذلك، قررا حضور دورة تعلمهما التعبير عن مشاعرهما على نحو أكثر دقة.

٢. العاطفة والتفهم

هناك زوجان وضعا علامات عالية لجميع الأسئلة باستثناء السؤال المتعلق بالعاطفة والتفهم. ومن خلال بحثهما الأمر، وجدا ان ذلك عائد الى وقت اشتد المرض على والد الزوج المسن.

ويقول الرجل: "كنت ولده الوحيد، فوقع العبء كله علي". وغرقت في تلك اللجة ووجدت نفسي في حاجة ماسة الى عون زوجتي. لكنها كانت تزداد غيظاً من غير ان أدري سبب ذلك".

وتجيب الزوجة: "كان ذلك لأني شعرت بأني متروكة وحدي. لقد أردت ان أساعدك، لكنك لم تشاركني عبئي على الاطلاق".

وأخيراً أدرك الزوجان أنهما يعانيان الاجهاد المشترك، وان الأمر ليس عدم اهتمام أحدهما بالآخر. وقال الاثنان: "لقد قررنا أنه، في حال شعور أحدنا، مستقبلا، بغياب عطف الآخر، علينا ان نحاول البحث عن السبب. وتعلمنا ان العبوس والغيظ لا يحلان أي مشكلة".

٣ـ الاستخدام الايجابي للخلافات

ان معظم الأزواج يحاولون تجاهل التناقضات أو طمسها بالنسبة الى هذا الموضوع. لكن العديد من خبراء الحياة الزوجية يرتأون ان الخلافات، اذا عولجت على نحو ايجابي، من شأنها تقوية الزواج. ويقول العالم الاجتماعي موراي ستراوس: "لولا التجديد الناجم عن الخلافات، لواجهت العائلة خطر الانهيار أو الركود". ويرى مايس وزوجته أن الخلافات الزوجية نتيجة حتمية لسعي الزوجين الى اقامة الود بينهما: "كلما قوي التقارب بين الزوجين قويت حدة الخلافات بينهما، وباتا يشعران بالغيظ عوضاً عن الحب. ولكن اذا تحلى الزوجان ببعد النظر الذي يتيح لهما رؤية الخلافات كفرصة للابداع، فهي لا تعود مصدر خطر".

وقد اعترف زوجان بأنهما كلما تناقشا حول مسألة، كانت الزوجة تلوذ بالصمت وتخفي غيظها، فيما كان الزوج يصرخ ويتوعد. وبعد أخذ الاختبار قالت المرأة لزوجها: "لم أتمكن من البوح بهذا الأمر قبل الآن: انت عنيف في النقاش الى حد يخيفني ويجعلني ألوذ بالصمت. ولئن اكن أتحت لك الفوز مراراً، الا اني كنت اغتاظ من ذلك في ما بعد".

وسأل الزوج بدهشة: "كنت تخافين حقاً؟ ولكن أنا أيضاً كنت اخاف. وأظن اني كنت أكثر الصياح لاستر خوفي".

من أبرز حسنات اختبار الامكانات الزوجية أنه ليس معقداً. ويمكن ان يأخذه الشخص وحده ويقومه بنفسه ويبقي نتائجه سرية. لكن مايس وزوجته يوجهان الملاحظة الآتية الى الأزواج: "احذروا وضع العلامات في ضوء مقاييس عشوائية ومثل مستحيلة وبالمقارنة مع أصدقائكم المتزوجين. بل انطلقوا من مشاعركم وكونوا صادقين ولا تستخفوا بأنفسكم".

واذا وضع الزوجان علامات مماثلة، ولكن متدنية، أمام بعض الأسئلة، فيجب الا يكون ذلك مثبطاً للعزيمة. فهو يعني ان لديهما أهدافاً جيدة يسعيان نحوها. ويجب الا ننسى ان العلامات المتدنية قد تشير الى التوقعات الكبيرة، في حين ان العلامات المرتفعة قد تشير الى توقعات ضئيلة. ويجدر النظر الى اختبار الامكانات الزوجية من ناحية ايجابية وليس من ناحية سلبية. ولا يحسن أخذه حين يكون المرء مضطرباً أو مغتاظاً لئلا ينظر الى النتائج كعقاب.

ومن النافع أخذ الاختبار مرة ثانية أو ثالثة خلال العام. فغالباً ما تؤثر الظروف المستجدة ـ مثل ولادة طفل وتغيير وظيفة أو مسكن ـ في الوضع الزوجي من غير ان يعي الزوجان ذلك. وحين يقارن الزوجان العلامات التي وضعاها أمام الأسئلة في الاختبارات المختلفة خلال العام، يمكنهما رصد نموهما وادراك الامور المستجدة في علاقتهما.

ويقول ديفيد مايس: "ان معرفة الزوجين لوضعهما الزوجي تشكل حافزاً لهما على العمل. والاختبار كله قائم على العبرة الآتية: أنت تعرف الآن أنه يمكن تحسين زواجك... والخطوة التالية وقف عليك".

■ نورمان لوبسينز



بندقيّة الغـــزلان

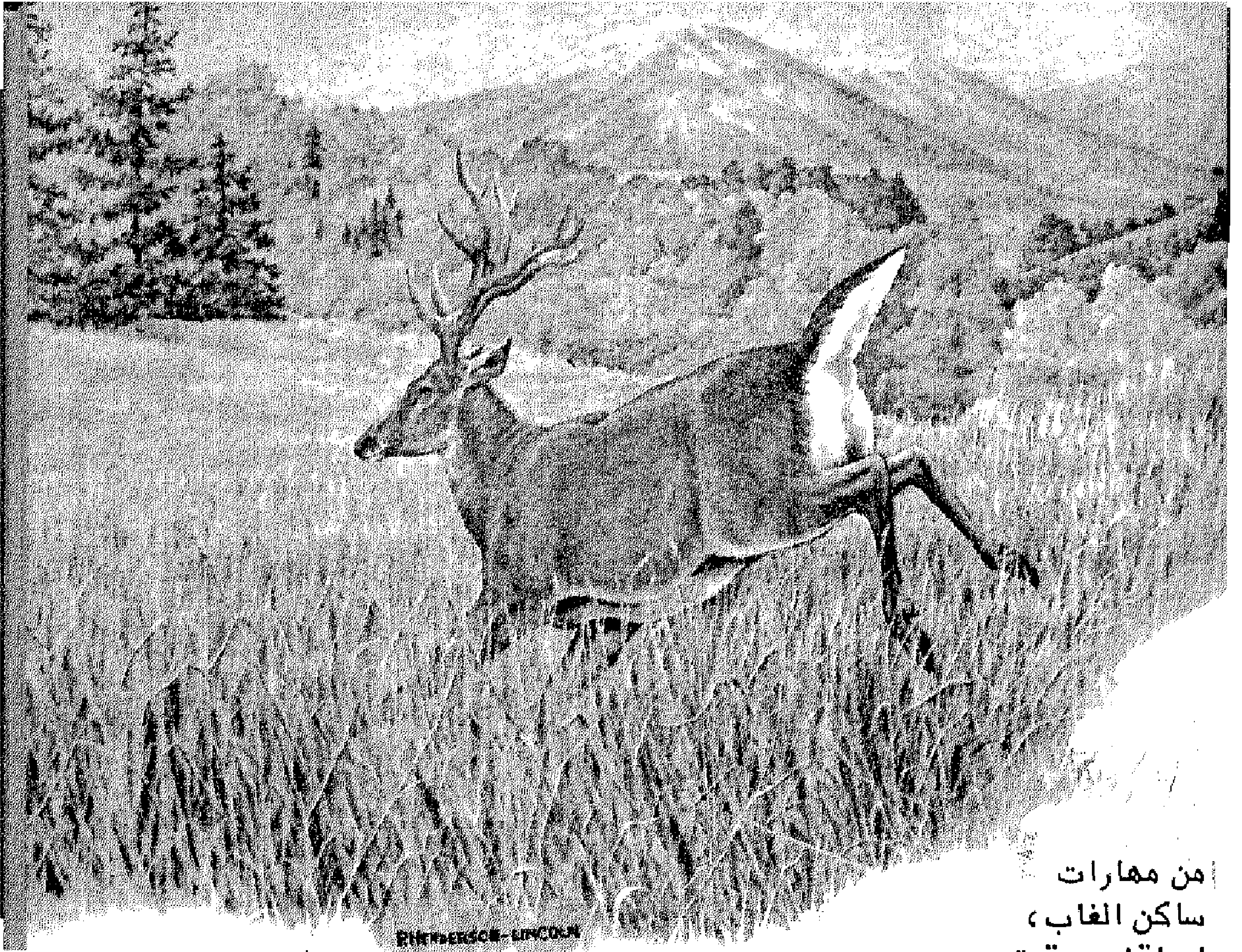
كانـت البندقيـة الجـديـدة مفتاحاً للحرية بالنسبة الى ابن الثالثة عشرة، الا ان العالم الذي انفتح امامه فجأة بدا مظلماً ومعقداً

هاج بي الشوق الى امتلاك بندقية، وحلمت بالحرية التي ستمنحني اياها، وعزوت اليها وحدها القدرة على حل جميع مشكلاتي او ما ظننته مشكلات وانا في الثالثة عشرة من عمري.

لقد كنت ابحث، قبل كل شيء، عن وسيلة اتحرر بها من المسؤوليات التي تراكمت علي. اردت الاستقلال عن والدي ومعلمي والمدرسة وعن كل شغل، وان يكن لبعض الوقت، كما يفعل اقراني كسباً لمصروف الجيب بعد انتهاء السنة المدرسية.

ولئن انبثقت نزعتي هذه جزئياً من التململ الطبيعي السليم الذي يستبد بصبي يجاهد لبلوغ سن الرشد، الا انها - ويا للمفارقة - مستمدة، في الوقت نفسه، من رغبة اكيدة في البقاء صغيراً في منأى عن النمو والكبر، كأنما انا أصبو، في حقيقة الامر، الى ان أصبح مخلوقاً يبذل وسعه من اجل تجنب عالم الراشدين وما فيه من فوضى وتشويش.

ورأيت ان الحل للمشكلتين كلتيهما - بلوغ الرشد والبقاء صغيراً - يتخذ في مخيلتي صورة بندقية غزلان جيدة الصنع يمكنني بواسطتها، مع قسط



من مهارات
ساكن الغاب،
ان اقضي بقية عمري
ضارباً خيمتي حيثما شئت
وهائما على وجهي في بلاد الله الواسعة حـراً، وحيـداً، غيـر مكبـل بالتزامات المجتمع. ولم تكن لدي، للأسف، الا فكرة مبهمة عما تخبئه حياة البراري او عما تعنيه مهارات الصيد، ناهيك بعدم امتلاكي بندقية.

وكان والـدي يعـرف الكثيـر عـن الحياة خارج المناطق المأهولة، فضلا عن المامه بالبنادق التي امتلكها في الماضي. إلا انه يقضي كل ايامه في العمل الدائب في الزراعة، إذ كلف نفسه الاعتناء بثلاثين هكتاراً من الارض. غير ان علمي بانهماكه في اعماله لم يخفف من رغبتي الملحة في الحصول على مساعدته. وهكذا عرضت عليه، بدافع تحاشي التقيد بمثل اعماله، ان يؤدي عملا اضافياً، إلا وهو اصطحابي في رحلة لصيد الغزلان من اجل اتاحة الفرصة امامي كي اغرف من معين معرفته ودرايته بأمور الغابات.

ان تحين الفرص لمفاجأة والدي وهو في راحة من اعماله لم يكن بالامر اليسير. ومع ذلك، اغتنمت ذات يـوم الدقائـق القليلـة الـتـي استغرقها في تبديل ملابسه قبل التوجه الى المزرعة، وعرضت عليه طلبي.

ـ لا ! لا يمكننا الذهاب الى الصيد.

واردف والدي وهو يشد اطراف حذائه الطويل فوق قدمه: "اضف الى ذلك اننا لا نملك بندقية".

فسألته: "ألا تمكننا استعارتها؟"

- كلا. هذا غير ممكن في موسم الغزلان. فالناس يستعملون بنادقهم في هذا الموسم بالذات، وهم يمتلكونها لهذه الغاية.

غير ان والدي وعد اخيراً بأن يفكر في اصطحابي معه اذا ما استطعنا ادخار المال اللازم لشراء بندقيتين بحلول موسم الغزلان التالي. ومضى يقول انه يتوقع ان اشتري بندقية خاصة بي، اي ان اعمل الى جانبه في المزرعة، وهو عين ما اردت تفاديه في الاصل!

ربح والدي، ولا ريب، المعركة الآنية. إلا انني تجاوزته بمراحل على صعيد التخطيط في المدى البعيد. فقد فاته - وانا على يقين من امري - ان صيد الغزلان ليس الا جزءاً طفيفاً من خطة بعيدة المرامي. فما الصيد في حسابي سوى تمرين لنيل التدريب الذي احتاج اليه لتحقيق حياة لا يعكر صفوها عقد صفقات من هذا القبيل الذي اجبرت على عقده مع والدي.

الآلة السحرية - عملت، طوال ذلك الشتاء والصيف التالي، بجد ونشاط في الزراعة. على ان العمل لم يعدم ثماره. ففي مساء من شهر اغسطس (آب) توقعت تسلم حوالة من والدي بمبلغ غير محدد. ولكن، حين دخلت غرفة نومي، فوجئت بصندوق كرتوني طويل على سريري وفي داخله بندقية من طراز "وينشستر - ٩٤"، وهي بندقية قصيرة وخفيفة من النوع الذي يوضع في سرج الفرس. وقد اعتمدها الصيادون ورعاة البقر والرواد الاوائل منذ العام ١٨٩٤. وشعرت، وانا انتشلها بين يدي وألمس خفة وزنها وصلابتها، بأني لم أر من قبل آلة بمثل هذا السحر.

- انها سلاح لا يستهان به يا بني.

ومضى والدي، الذي وقف بالباب يراقبني، قائلا: "وهي مسؤولية جسيمة كذلك".

ها هي المسؤولية تنطحني من جديد! لقد عزمت على الاعتناء بالبندقية والتزام الحذر في استعمالها. فاذا كانت العناية والحذر هما غاية "المسؤولية" في نظر والدي، فاني سارحب بها وامتثل لها. ولكن راودني ظن بأنه يعني بالكلمة شيئاً أبعد - شيئاً يتعلق بالآخرين. ومهما يكن الامر، فان فرحي العظيم قطع علي الاستمرار في التفكير على ذلك المنوال. وقلت: "انها رائعة يا ابي. اشكرك. ولا تقلق، فسأكون حذراً".

وامضيت ساعات وانا اتحسس البندقية واسترسل في الاحلام. وحين رفعتها في الهواء طارت بي افكاري بعيداً عن غرفة النوم، الى الغابات التي جبت أصقاعها سيداً حراً، أهيم فيها كيفما راقني.

أخيراً ازف وقت الصيد المرتقب. لكني خفت حين رأيت الاعدادات التي هيأها والدي. فقد رجعت من المدرسة ووجدته الى جانب سيارة الشحن الصغيرة التي ملأ نصفها بمختلف الادوات الزراعية: المجارف والحبال والدلاء المعدنية وبكرات الرفع وغيرها من مألوفات العمل اليومي. اين من هذه الاشياء صفاء الحياة الذي يتمتع به رجل الغاب حسب تصوراتي؟ وعليه، فما ان طلب الي مساعدته في نقل فرشة قطنية قديمة

حزم في طياتها ١٤ بطانية حتى اعترضت عليه بشدة، فأجابني: "الغرض من رحلة الصيد هو الصيد!" وأردف: "اذا لم تتمكن من النوم ليلا، فلن تقوى الصيد نهاراً! اعلم ان رجل الغاب يدأب على جعل حياته مريحة ما أمكن. والاحمق وحده هو الذي يخرج الى البراري ليتعذب!".

نصف اصابة ـ امضينا الليلة الاولى في مخزن للحبوب احتماء من شدة المطر. وبحلول عصر اليوم التالي رحنا نشق طريقنا في اعالي الجبال الواقعة شمال ولاية مكسيكو (الامريكية) على ارتفاع لا ينخفض كثيراً عن الحاجز القاري (سلسلة من الجبال الاكثر ارتفاعاً في امريكا الشمالية تفصل بين الانهار التي تصب في الغرب وتلك التي تصب في الشمال او الشرق).

إن في الهواء حدة لم احس بها من قبل في المرتفعات! وحذرني والدي قائلا: "نحن على علو شاهق. وحين تغرب الشمس يهجم البرد اللاسع بسرعة. وعلينا ايضاً ان نراقب احوال الطقس لأنه يجب الهرب بأقصى سرعة اذا لاح لنا احتمال سقوط الثلج".

التقهقر امام عناصر الطبيعة؟ هذا ليس من شيم رجل الغاب! ولذلك اقترحت ان نبني ملجأ وقتياً وان نوقد النار وننتظر ريثما يصحو الجو.

ـ ماذا؟ أتريد الانتظار هنا حتى يأتي الربيع؟

وبدا لي ان والدي وجد في ملاحظتي ما يضحك.

ان في ضرب الخيام وتفريغ الحمولة واعداد لوازم العيش مشقة قاتلة. وبدأت اتساءل: ترى متى يبدأ الصيد، وهو لب الحياة في الغاب؟

غادرنا المخيم في اليوم التالي. وسار والدي امامي وتبعته، محاولا نقل خطواتي بخفة وصمت كما يفعل الهنود.

وقال والدي إن علينا الاعتصام في موقع مرتفع نراقب منه مسار الغزلان. فوافقته واتجهنا نحو المكان الذي خلت اني سأموت قبل الوصول اليه. ومرت بضع ساعات وانا اراقب امتداد البرية الشاسعة... اشجار الحور الرجراج تومض كالذهب تحت اشعة الشمس الساطعة، وأغصان السنديان تحول لونها الى بني قاتم كالصدأ، وفوقها جميعاً تطل زرقة السماء الغربية الصافية موحية بغموض سرمدي. إلا اني لم اشاهد غزالا واحداً!

ثم حل العصر وبدأت الشمس تتوارى واختلجت في الهواء رعشة باردة، فنهضنا من موقعنا وقفلنا راجعين الى المخيم. غير اني توقعت مصادفة ظبي في الطريق، فقررت انه من الضروري ان اكون مستعداً للطوارىء. لذلك سحبت زناد البندقية قليلا الى الوراء. وكنت قطعت عهداً بعدم حمل البندقية وزناد الامان مردود الى الوراء استعداداً للرمي، غير اني لم أتعهد عدم حملها والزناد نصف مصلي.

وبدأت أختبر النقطة التي يقع عليها الزناد. وبغتة انزلق ابهامي فوق القادح، فاذا بالهواء نفسه ينفجر مع الطلقة. فالتفت والدي ليرى الهدف الذي اخترته، لكن فوهة بندقيتي الجديدة الرائعة كانت

مصوبة فوق رأسه تماماً. وسألني: "هل رأيت شيئاً؟" فسارعت الى النفي: "كلا. بل اطلقت الرصاصة في الهواء... علني اجفل بها حيواناً في مخبأه".

وشعرت بالغثيان. ولا ادري ان كان والدي قد اكتشف دنو الطلقة منه. ولم اجرؤ على التفكير بما كان سيحدث. وبقيت مستلقياً بلا نوم طوال الليل، وأدركت ان البندقية الآن اكتسبت بعداً آخر. وانحسرت الحرية التي توقعت نيلها بالبندقية امام تفكيري في الثمن الذي كادت ان تكبدني اياه.

الطريدة ـ اقترح والدي صباح اليوم التالي ان نتسلق الجبل الى مرتفع اعلى من السابق قائلا: "سنقضي ليلتنا هناك ونعود غداً".

وأخيراً جاءتني بشارة بطيب الحياة التي أنشدها. اننا سنتجرد الا من الضروريات، وسنخلف كل ما ثقل حمله ونتوغل في عمق غابات نائية حتى ينقلب الزمان على عقبيه، فنختبر نحن حياة سكان الغاب كما كانت قبل قرن.

وتوقفنا ساعة الظهيرة لنستريح في مرج مرتفع. وحرصت طوال الصباح على ان تكون بندقيتي في وضع الامان، على رغم محاولتي البقاء متأهباً علني أرى الغزلان. غير اني، بحلول الظهر، اكتشفت ان اهتمامي بمعرفة اسهل الطرق لحمل البندقية كان أقوى من استعدادي لاستعمالها. وهكذا أضحى ما حسبته مفتاحاً للحرية عبئاً ثقيلا ومصدر تهديد مستمر.

ضربنا خيمتنا على قارعة الطريق ومكثنا هناك حتى غياب الشمس، وقد بلغ بي الانهاك أشده. وفي اليوم التالي بدأنا حملة الصيد على مقربة من الخيمة. لكنني شعرت بأن عضلاتي بدأت تتصلب وتؤلمني من كثرة المشي، حتى ان كل خطوة اصبحت إمعاناً في الألم. وأخذ وزن البندقية يتضاعف ساعة بعد ساعة. وما ان اتخذت لي موقعاً قبيل الظهر قرب شجرة اشرف منها على منفرج معشب بين الأشجار واتخذ والدي لنفسه مركزاً مماثلا على بعد خمسين متراً، حتى اسندت ظهري الى جذع الشجرة وغفوت لتوي. على ان ما حدث بعدئذ بدا لي كالحلم.

سمعت صوتاً، ففتحت عيني. واذا بي أبصر وعلا هائلا يتحرك بين الاشجار حتى غدا على بعد ثلاثين متراً مني. لم يرني الوعل. رفعت بندقيتي وصوبتها الى صدره ثم قدحت الزناد، فأخذ الوعل يلتف حول نفسه ثم عدا في الاتجاه المقابل. ارتجفت ولم احسن تصويب البندقية بثبات. ومع ارتعاش النظر اطلقت النار ثانية، فاذا بالوعل يجثو في مكانه. وصرخت بأعلى صوتي: "لقد أصبته! لقد رميته!"

وأطلقت ساقي للريح على طول منحدر التلة حتى اني بعدت عن الوعل، في غمرة انفعالي، نحو أربعين متراً. ورحت اضرب بيدي سنابل العشب الطويلة بحثاً عنه بلا طائل. وشككت في صحة ما رأيت الى ان جاء والدي في اثري ووجد الغزال الذي كان لا يزال حياً. لقد اصبته بجرح مميت، ولكن لم اقتله. وبدا العالم الذي حلمت به يزداد قتاماً

وتعقيداً فيما كنت اراقب الوعل وهو يحتضر. اني لم اكن مسؤولا عن الحيوان حياً. اما الآن وهو ينفق، فقد آلت مسؤوليته الي، فلم اشعر بالرضا في نفسي.

وأوكلت مهمة ذبح الوعل واعداده للنقل والحفظ الى والدي باعتباره يدري ما يفعل، في حين ان مهمتي انا هي المراقبة والتعلم، ولكن ليس عن كثب. وبعد ذلك قضينا بقية يومنا وسحابة اليوم التالي في نقله بمشقة الى موقع المخيم. وأخيراً علقناه، بواسطة البكرة والحبال التي احضرها والدي من المزرعة، على شجرة قرب الخيمة. وما ان فرغنا من ذلك حتى خررت انا منهكاً على الفرشة المطوية وتمنيت لو كنا في عقر دارنا بعدما أيقنت ان في الغاب مشكلات كما في العالم الذي اردت تجنبه. ولئن تكن الطبيعة تعطي هباتها بسخاء، الا ان استغلال هباتها مشقة تقصم الظهر.

القتل لا يحيي — اقترحت ان نبقى يوم الاربعاء في المخيم لنستريح قليلا. وقبل والدي على مضض بعدما أوضح لي رأيه بصراحة: "اذا كان الهدف من رحلتنا الجلوس حول موقد النار وأكل المعلبات، لكان حرياً بنا ألاّ نتجشم عناء السفر في الجبال مسافة ٣٠٠ كيلومتر!" وحاولت ان اقول بنبرة عفوية لا تنم عما بي: "الصيد ليس سهلا جداً".

— كلا، ليس سهلا! ما الذي جعل الهنود، في رأيك، يستغلون كل تربة خصبة وقعوا عليها لزراعة الحبوب؟ ان تنمية الاشياء، في المدى الطويل، أيسر من قتل الاشياء. ومن العسير الاعتماد في معيشتك على القتل، لأن مثل هذا الاعتماد لن يترك لك متسعاً لأي عمل آخر.

في اليوم التالي، اي صباح الخميس، جلست قرب والدي فوق جرف عال يطل من ارتفاع ١٧٥ متراً على بطن الوادي، وراقبته وهو يختار ظبياً من مجموعة ست نقاط رمادية اللون، كما بدت عن بعد، هدفاً له. وما ان قدح زناد بندقيته حتى انطلقت رصاصة واحدة خر لها الظبي حالا بلا ارتجاف. وعندما هبطنا الى الوادي، تبينت ان الطلقة اصابته في عنقه وصرعته فوراً. وهكذا أمضينا اليومين التاليين في جر الظبي الى المخيم.

لكم حاولت ان اوهم نفسي، وانا اراقب أبي يطلق رصاصته عن عمد وباتقان وهدوء وارتخاء على رغم بعد المسافة وصعوبة رؤية الهدف، بأن القدرة على مثل هذا العمل كامنة في البندقية نفسها. غير اني ايقنت في اعماق قلبي ان القدرة ليست في البندقية بمقدار ما هي في الرجل.

أوبة الصياد — حزمنا امتعتنا بعد ظهر ذلك اليوم، وشعرت بأن اشهراً بأكملها مرت منذ تركنا منزلنا الاسبوع الماضي. والتفت والدي نحوي وسألني: "هل تمتعت بالرحلة؟" فأجبته: "نعم وتعلمت الكثير منها".

غير اني احجمت عن الاضافة اني تعلمت الكثير مما لم اتوقع تعلمه، وفجأة، اذ عاودتني ذكريات الساعات التي امضيتها في المشي وفي حمل تلك البندقية، ادركت ان ما آثرته في رحلتنا على سواه لا يمت بصلة الى بندقيتي الجديدة، بل ان ما يتعلق

بالبندقية هو أمقت ما خبرته. ولكن كيف يجوز لبندقية ان تفسد رحلة صيد؟

قد يبدو هذا سخيفاً، الا انه الحقيقة. وادركت بعدئذ ان البندقية ليست سوى اداة اخرى من الادوات. واذا شئت صيد غزال، فما من بديل خير منها. على انها تعجز عن ان تصنع منك ما ليس فيك.

وساد الصمت بيني وبين ابي معظم الطريق. وبقينا نراقب سيلا لا ينقطع من الاشجار على جانبي الشاحنة. وبدأت اشعر ببعض الحزن حتى قطع والدي حبل افكاري: "اعتقد ان من الافضل متابعة السير. ففرح امك بعودتنا الى البيت سالمين لن يوازيه ابداً كل لحم الغزلان المجفف الذي ستأكله طوال فصل الشتاء!"

وشعرت بتدفق العواطف في كياني حين لفظ ابي كلمة "البيت". ان كل شيء على ما يرام. إن كل شيء رائع. وفي غمرة انفراج كربي انتابني احساس عميق بالحرية، كان مختلفاً عما خبرت في السابق.

■ جيرالد مور



تربية معاصرة!

تلقى رجل من هيوستن (ولاية تكساس الامريكية) رسالة من مدرسة ابنه الثانوية، تدعو الاهل الى الاجتماع برئيس المدرسة من اجل البحث في برنامج تربوي جديد. وكانت الرسالة تقول:

"ان برنامجنا التربوي الجديد يتصف بالتعددية العرقية والتعليم الفردي. وهو قائم على فكرة التعلم المستمر، مع التشديد على استمرارية المحتوى التعددي الغني اكاديمياً، وعلى كون التلميذ الموهوب هو العامل الموجه لدراسته. أما الغاية الاخيرة فهي ان يتعلم التلميذ، عن طريق البرنامج المتعدد عرقياً، احترام فرادة الشخص الانساني".

وتبع هذا المقطع آخران باللغة نفسها.

وكتب الوالد الرد الآتي: "اني احمل درجة جامعية واتكلم لغتين اجنبيتين واربعاً من لغات الهنود الحمر المحلية. ولقد اشتركت في عدد من النشاطات المحلية، اضافة الى عملي في حقل اللغة. ولكن لم افهم شيئاً قط مما جاء في رسالتكم. فهل انتم تفهمون؟"

ا.س.

الانسان والطاقة

في العام ١٨٥٠، كانت نسبة ٩٤ في المئة من الطاقة تاتي من عضلات الانسان والحيوان. أما اليوم فهناك أقل من واحد في المئة يأتي من هذا المصدر، ومع ذلك، فنحن نجد صعوبة في تحريك اصبع واحدة من جسدنا.

د.هـ.

حوار مع دماغ الكتروني

ان ما حسبناه خرافة يتجسد اليوم ويفرض نفسه على العالم ،
ويبدو ان القرن الآتي سيكون عصر الادمغة الالكترونية

ترى كم يمضي من الزمن قبل ان نسمع الحاسبة الالكترونية، التي باتت تعرف بالدماغ الالكتروني، عبر الهاتف، او نراها تساعد الاطباء على تحليل الاعراض وتشخيص الامراض او تربح في الشطرنج لانها حللت اسلوب منافسيها .

ان ادمغة الكترونية كهذه موجودة، فعلا، وهي بدأت تغير وجه العالم . وتشكل هذه الاجهزة جزءاً من التفكير الاصطناعي او الآلي الذي وصفه مارفن منسكي، احد مؤسسي معهد التكنولوجيا في بلدة كمبريدج في ولاية مساتشوستس الامريكية، بأنه "من مبتكرات العلم" التي تجعل الآلة تؤدي وظائف تتطلب تفكيراً وذكاء ان اداها البشر" .

وخلال السنوات القليلة الماضية ، كانت انجح التجارب العملية لبحوث التفكير الآلي ابتكار دماغ الكتروني يحسن لعب الشطرنج الى حد وجد معه ابطال اللعبة صعوبة جمة في التغلب عليه . وقطع نيكولاس فندلر، من جامعة ولاية نيويورك في بوفالو، شوطاً بعيداً في تطوير دماغ الكتروني يمكنه قهر لاعبي البوكر بغض النظر عن اساليبهم في اللعب . ولعبة البوكر ممتعة جداً لان الربح فيها يحتاج الى ما يفوق المنطق . ان مفتاح هذه اللعبة يكمن في ولوج اعماق النفس البشرية . والمهم في الامر ان المشاركين في الاختبارات يفصلون ويلعبون البوكر بواسطة لوحة مفاتيح وشاشة تلفزيونية، فلا يمكنهم ان

يعرفوا مَن من اللاعبين هو الدماغ الالكتروني. وفي حين يرى عامة الناس ان هذه العاب سخيفة، يظن العلماء انها توفر نماذج اساسية لحلول مشاكل الانسان، وهذا من اهم اهداف بحوث التفكير الآلي.

ومع ان الادمغة الالكترونية قادرة على التفكير التحليلي، الا انها تواجه صعوبة كبرى في التحكم باللغة. ولكن بعدما ابتكر الباحثون طريقة لتحويل الاصوات الى صيغ رقمية وخزنها في شبكة دوائر كهربائية متصلة ومتكاملة، بات في امكان الدماغ الالكتروني استيعاب مجموعة واسعة من الكلمات. وتطرح الآن في الاسواق ساعات وحاسبات والعاب ثقافية الكترونية ناطقة، الى جانب آلات الكترونية للترجمة، يمكنها لفظ ٥٠٠ كلمة بطلاقة وسهولة، بينها العربية. كما صممت آلة قارئة تتفحص الصفحة فتتعرف الى الاحرف والكلمات والعبارات وتقرأها بصوت مرتفع وواضح. والآلة القارئة، التي تعد مساعداً كبيراً للمكفوفين، هي اليوم اكثر منتجات بحوث التفكير الآلي نجاحاً.

قفزة عملاقة — استطاع الانسان، باختراعه الدماغ الالكتروني، ان يقترب من عملية خلق آلات مفكرة وذكية يمكنها ان تسمع وتتكلم من خلال المقارنة بين الاوامر الصادرة اليها وما خزن في ذاكرتها من كلمات. ومن مهمات الادمغة الالكترونية اليوم فرز الرسائل وملء الاستمارات ومتابعة نشاطات البورصة وعقد الصفقات التجارية ومساعدة الطيارين على توجيه الطائرات. ولعل استخدامها لمساعدة المعاقين هو المكافأة الكبرى لبحوث التفكير الآلي، اذ ان "ايدي" الادمغة الالكترونية تقضي حاجاتهم.

أما الخطوة التالية فستكون قفزة عملاقة، اذ يعكف الباحثون على تطوير دماغ الكتروني يستوعب الكلام المحكي السريع والمتلاحق. ومن اوجه استخدام هذا الابتكار انتاج آلة كاتبة تدار بواسطة الصوت. وتدرس الفكرة حالياً في شركات عدة.

في الوقت نفسه يحاول العلماء في مختبر بل في موراي هيل (ولاية نيوجرسي الامريكية) انتاج دماغ الكتروني يستطيع حجز مقاعد المسافرين في الطائرات بواسطة الهاتف. وعندما تتصل بالشركة هاتفياً، تطرح عليك آلة يشبه صوتها اصوات البشر مجموعة اسئلة حول وجهة سفرك وتوقيته. وسيكون الامر سهلا على الدماغ الالكتروني. ذلك لأن اجوبتك ستتركز حول اسماء الاماكن والتواريخ، فلا يضيع الجهاز في متاهة الكلمات القاموسية. ويستطيع الدماغ الالكتروني، بمساعدة هذه الادلة وبمعرفته مبادىء الصرف والنحو ومنطق اللغة، ان يستنتج معنى ما قلته. ويشبه هذا التحليل اللغوي البسيط اساليب التحليل التي يتبعها العقل البشري للفهم وسط الضجيج.

ومهما يكن حديثنا بليغاً ومعبراً، فعلينا اعادة صياغته في عبارات مبسطة تخلو من كل فصاحة وبيان كي يفهمها الدماغ الالكتروني. لذلك تبقى قدرتنا على مخاطبة هذه الآلة محدودة ما دمنا نحن نحدثها

بالطريقة التي تفهمها. فلم لا نحاول ان نعلمها اللغة المحكية؟ المشكلة هنا تكمن في ان الخبراء لم يتمكنوا حتى الآن من استنباط طريقة متكاملة للدماغ الالكتروني على نحو يمكنه من استيعاب ما يلتبس من المعاني في لغات البشر الحية.

النديم المتفهم - في اواسط الستينات خطر للباحث جوزف وايزنبوم من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ان يحفز الدماغ الالكتروني على تغطية عدم فهمه للحديث بأن يطلب ايضاحات وتفسيرات متكررة لما يسمعه. وفي الحوار الآتي نجد الدماغ الالكتروني يتكلم كأنه عالم نفسي يعالج مريضاً:

الرجل: اني كئيب.

الدماغ الالكتروني: يؤسفني ان اسمع هذا.

"تلك هي الحقيقة، وأراني في حاجة الى المساعدة".

- وما الفائدة من طلب المساعدة؟

"علها تعلمني كيف اتصرف بطريقة افضل مع والدتي".

- حدثني اذاً، عن اسرتك.

يبدو من هذا الحوار ان الدماغ الالكتروني اتقن اصطلاحات التحليل النفساني على نحو يكفي لان يلتقط الكلمات الاساسية في الحديث. فعلى سبيل المثال، ادرك ان الكآبة هي حالة نفسية مزعجة، كما عرف ان كلمة "والدة" تشير الى الاسرة. وعندما يستعصي عليه فهم امر ما فأنه يعمد الى تغيير الضمائر واعادة صياغة العبارة في شكل سؤال.

أما تيري فينوغراد من جامعة ستانفورد في ولاية كاليفورنيا، فانه اتبع اسلوباً مختلفاً تماماً لمعالجة مشكلة اللغة. ففي العام ١٩٧٢ اوجد عالماً صغيراً من الكتل الخشبية والاهرام والعلب الملونة على شاشة الدماغ الالكتروني، ثم اطلع الجهاز على كل ما يحتاج الى معرفته عن هذا العالم مثل الاشكال والاحجام النسبية والالوان. عندئذ بدأ فينوغراد يأمر الجهاز بتحريك الاجسام التي فوق الشاشة بواسطة آلة تشبه اليد. كما علم الجهاز قواعد الصرف والنحو مما يخوله الاجابة عن الاسئلة بلغة سليمة ومعبرة. وهاك نموذجاً من حديثه:

الرجل: امسك كتلة حمراء كبيرة.

الدماغ الالكتروني: حسناً.

"الآن، التقط قطعة اطول من تلك التي تحملها وضعها في الصندوق".

- عندما تقول "ضعها" افترض انك تشير الى القطعة الاطول.

"اجل".

(يضع الجهاز القطعة التي يحملها على الشاشة ويلتقط قطعة اطول يضعها في الصندوق).

"والآن، ماذا في الصندوق؟"

- الهرم الازرق، والكتلة الزرقاء.

هذا الحوار، على رغم تفاهته، يثبت ان الدماغ الالكتروني برع في اداء الوظيفة التي خص بها. كما اثبت فينوغراد بعمله هذا ان الادمغة الالكترونية تستطيع ان تتحدث عن موضوع ما وان بمفردات محدودة.

وعلى رغم ان التطبيقات العملية لبحوث التفكير الآلي لم تذهل العالم حتى الآن، الا انها اثبتت ان الادمغة الالكترونية قادرة على ما هو اهم من لعب البوكر والشطرنج واعطاء المعلومات والارقام. فعلى سبيل

المثال، يساعد نظام "بروسبكتر" القائم في مركز البحوث العالمي في ستانفورد على كشف المعادن. كما يستخدم في جامعة ستانفورد نظام آخر يدعى "دندرال" يساعدعلى تحليل التركيبات الجزئية عن طريق اختراق الضوء لها وانفصال موجاته. ويطور جون مايرز نظاماً يعمل في ميدان التشخيص الطبي ويدعى نظام "انترنست"، وذلك في كلية الطب في جامعة بتسبورغ (ولاية بنسلفانيا). ويعمل هذا الجهاز بالطريقة ذاتها التي تتبع في التشخيص، اي مقارنة اعراض المرض العامة مع تلك التي تصيب المريض. وتجرى بحوث في جامعة ييل في نيوهافن (ولاية كونيتيكت) لتصميم نظام يدعى "فرومب" للقراءة والفهم والحفظ السريع، اذ يلقي الدماغ الالكتروني "نظرة" سريعة على مقال صحافي، مثلا، ثم يلخص النقاط الرئيسة فيه.

ان القاسم المشترك بين هذه الاجهزة هو انها تعمل ضمن نطاق محدود وضيق من الحقائق. فهي لا تقارن بالعقل البشري وطرق عمله المتكاملة، بل تستفيد من ذاكرتها الواسعة وسرعتها البالغة كي تنتقي خلاصة المعلومات المكثفة التي يغرق العقل البشري في خضمها. ان العقل البشري يعمد الى الاحاطة بالمعلومات المكثفة على نحو شمولي، معتمداً مبدأ التركيز على المهم منها.

ان الادمغة الالكترونية سوف تقلد اعمال الانسان اليومية عاجلا ام آجلا. ومع ان البحوث التي تجرى حول التفكير الآلي لم توفق الى انتاج جهاز يملك مزايا التفكير البشري المتكاملة الا ان امكانات التفكير الآلي لا حصر لها وان تكن هذه الادمغة الالكترونية تعمل بطرقها الخاصة.

■ توماس هوفر



التوفير في الطاقة!

اجرت محطة الإذاعة المحلية في مدينتي مسابقة لمعرفة الجهود التي يبذلها الناس لتوفير الطاقة. وقدمت جوائز الى الفائزين كانت كلها اجهزة كهربائية!

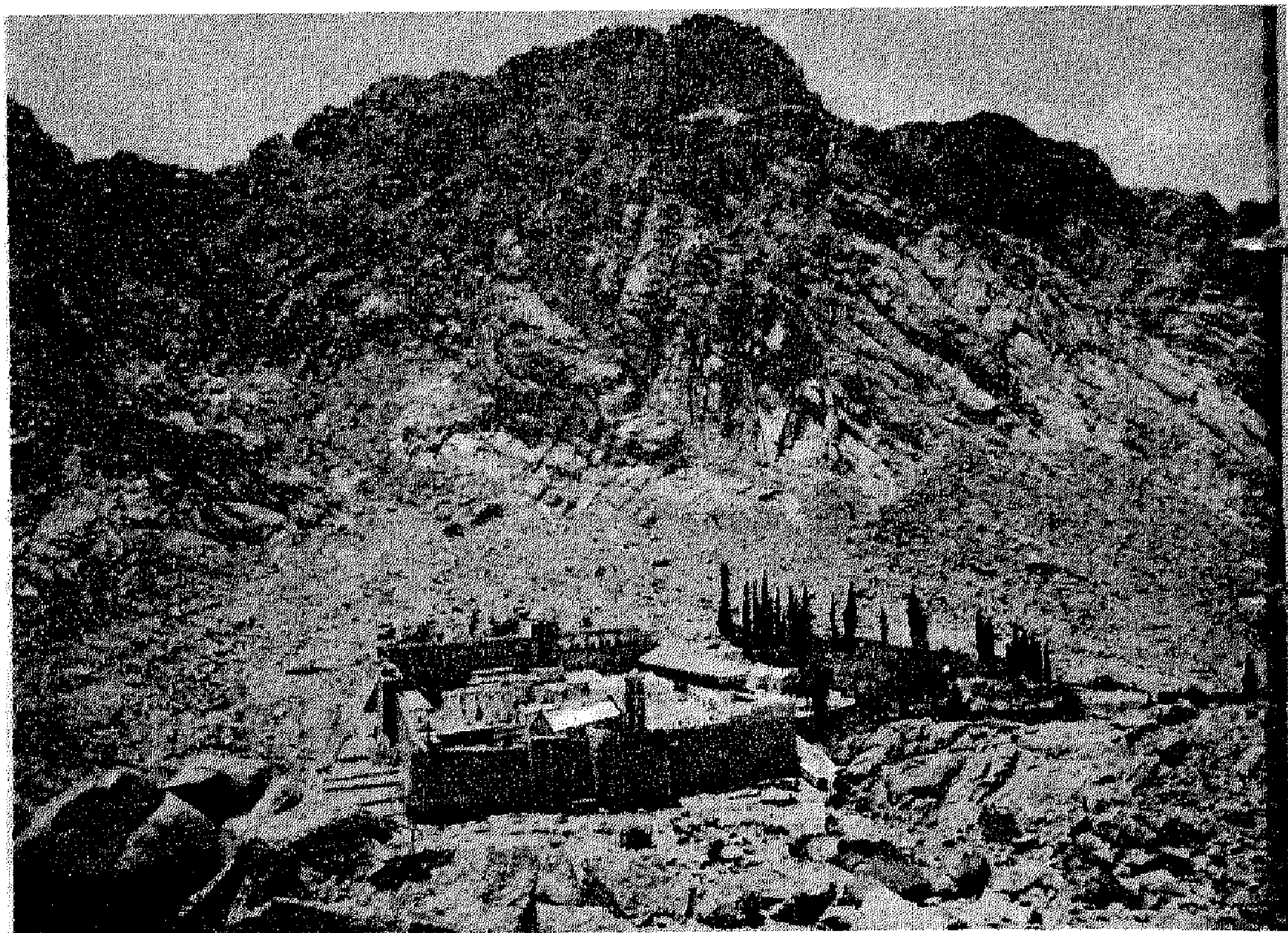
د.س.

لغة القلب

في اثينا، عاصمة اليونان، كانت سائحة امريكية جذابة تحاول إفهام سائق محلي وسيم عن المكان الذي تبغي الذهاب اليه.

وبدافع المساعدة، تطوعت ان أتولى الترجمة. فما كان من سائق التاكسي الا ان قال لي باليونانية: "ابتعد من هنا... انا لا احتاج الى مساعدتك. فالتفاهم ليس كله بالكلام".

ا.ب.



كنوز سيناء

من داخل جدران دير القديسة كاترينا الذي يرجع الى ١٤٠٠ عام، يبرز لنا ما يشبه قارة مفقودة بأكملها من الثقافة والتراث الروحي. وكان الدير، منذ حرب ١٩٦٧، واقعاً داخل الجزء المحتل من سيناء. وقد جلا الاسرائيليون عنه وعاد الى السيادة المصرية في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩.

إن قلب شبه جزيرة سيناء صحراء تجتاحها الرياح التي تهب عبر الرمال والجبال الجرداء. ولا يبدو في هذه المنطقة من جوف شبه الجزيرة إلا القليل من معالم الحياة. فالبدو ينصبون خيامهم السود حيثما وجد مرعى لقطعانهم، والحيوانات البرية نادرة، والواحات قليلة متناثرة في أنحاء القفر العريض.

هذه المنطقة، كما يقول التقليد، هي أرض النبي موسى عليه السلام، حيث كلمه الله سبحانه وتعالى للمرة الاولى من العليقة المشتعلة. وهنا، على قمة جبل، تلقى موسى وحي

Photo: E. Streichan / Shostal Associates

الشريعة. هذه السمة الروحية، وليس أشكال الحياة العابرة، هي التي تضفي على سيناء مكانتها كأرض للتأمل والحج والعبادة.

لذلك يبدو من الملائم على نحو فريد أن يكون أهم أثر قائم وباق في سيناء هو دير القديسة كاترينا الذي انشيء منذ ١٤٠٠ سنة، وظل مزاراً مسيحياً عريقاً في قلب العالم العربي، يتدفق عليه الحجاج والزوار بمعدل ٣٠٠ شخص يومياً، لا تثنيهم عنه اي اضطرابات او صراعات سياسية.

إن موقع الدير في ذاته يثير الرهبة. فهو يقوم في عزلة هائلة رائعة على مسافة ٢٩٥ كيلومتراً جنوب شرق مدينة القاهرة، على هضبة تمتد عند سفح جبل سامق من الصوان الاحمر الذي يسود الاعتقاد انه هو جبل سيناء المذكور في الكتاب المقدس. ويحيط بالدير جدار يرتفع ١٥ متراً تنتشر فيه فتحات الاستكشاف، مما يجعل الدير يبدو بناء حربياً اكثر منه بناء دينياً. والواقع ان الامبراطور يوستينيانوس البيزنطي أقام هذا الجدار الضخم الرباعي الاضلاع، وداخله الكنيسة ومباني الدير، في القرن السادس للميلاد كي تكون مركزاً للدفاع عن الرهبان وعن قسم من الحدود الامبراطورية ضد هجمات القبائل المعادية.

الكنيسة والجامع ـ كان الزوار، حتى العام ١٨٨٢، يرفعون فوق جدار الدير برافعة تدار باليد. أما اليوم فهم يدخلون اليه عبر ممر ضيق متعرج تعترضه ثلاثة أبواب من الحديد المضفور، يواجهون في نهايته مباني الدير التي تتناثر على غير انتظام في وحدات يرتفع كل منها دورين او ثلاثاً، في حين لا تضم كلها اكثر من بضعة عشر راهباً ملتحياً يؤلفون كياناً رهبانياً مستقلا في الكنيسة الارثوذكسية الرومية (اليونانية). ومن الامور التي تثير دهشة غالبية الزائرين وجودمسجد قائم الى جوار كنيسة يوستينيانوس العتيقة الجميلة. وكان النبي محمد نفسه، عليه الصلاة والسلام، قد منح الدير الامان، وكان ذلك عهداً رصيناً ظل الحكام المسلمون المتعاقبون يجددونه بلا انقطاع. ويزيد من الصفة الدرامية لدير القديسة كاترينا العجيب هذا أنه كان، على مدار السنين، موقعاً لعدد من الاكتشافات المثيرة والمحاولات العلمية.

ونظراً الى ان الدير بقي قروناً عدة لا يمكن بلوغه الا على ظهور الابل او على الاقدام، فأن تراثه الثمين من الوثائق ومخلفات الثقافة المسيحية ظل مجهولا تماماً تقريباً. غير أن الباحثين من الجامعات المصرية والامريكية نظموا بعثات عدة اليه بين ١٩٥٦ و١٩٦٥، في اطار مشروع مهم يستهدف دراسة كنيسة القديس يوستينيانوس التي صممت لتضم الموقع الذي يقرر التقليد ان العليقة المشتعلة كانت تقوم فيه. وتبدو الكنيسة، بأعمدتها الصوان الجبارة وجدرانها المبطنة بالرخام البديع وعروق سقفها الخشبية المنقوشة، قطعة فنية تمثل نموذجاً رائعاً للصنعة والذوق البيزنطيين. وأهم ما تشتهر به الكنيسة نقش جميل بالفسيفساء

يمثل تجلي السيد المسيح، ويضم آلافاً من مكعبات الزجاج والحجر الصغيرة الملونة المنظومة على لوح من الذهب المصقول. ويقوم في جوار مذبح الكنيسة قبر يضم رفات القديسة كاترينا التي يحمل الدير اسمها. ومن الباحثين اليوم من يشكك في حقيقة وجود هذه القديسة أصلا، كما أن يوم عيدها السنوي رفع من تقويم الكنيسة الكاثوليكية اللاتينية منذ ١٩٦٩. ولكن على رغم ذلك، فانها لا تزال تحظى من المتدينين بأكبر مقدار من الاجلال. ويروى انها كانت عذراء جميلة متبحرة في العلم من اهل الاسكندرية في القرن الرابع، اعترضت على الديانة الوثنية التي كانت قائمة آنذاك فحكم عليها بالموت تعذيباً على عجلة مسننة، أصبحت تسمى "عجلة كاترينا"، ثم قطع رأسها في النهاية.

حامي الايقونات ـ في دير القديسة كاترينا ٢٠٠٠ أيقونة اهداها اليه الحجاج والملوك والامراء الذين شملوا الدير برعايتهم. وهناك ١٥٠ من أجمل هذه الايقونات معروضة ليشاهدها الزوار. ولهذه الصور الدينية المرسومة على الواح خشبية ـ عدا قيمتها الروحية بالنسبة الى المؤمنين ـ قيمة تاريخية فريدة، إذ أن عدداً كبيراً منها يرجع الى ما قبل القرنين الثامن والتاسع الميلاديين عندما صدر الأمر بتدمير جميع الايقونات في أنحاء الامبراطورية البيزنطية باعتبارها اصناماً. غير ان رهبان دير القديسة كاترينا، الذين اشتهروا دائماً باستقلالهم، لم يحفلوا بالأمر، ولم يكتفوا بانقاذ ما لديهم من الايقونات فحسب، بل زادوا على ذلك ان رسموا ايقونات جديدة يتحدون بها القانون. وكانت نتيجة ذلك ان اصبح الدير يضم عدداً من اندر الرسوم واللوحات في تاريخ الفن المسيحي. ومنذ ١٤٠ عاماً وقع حادث هز الدير بعنف. ذلك ان كونستانتين فون تيشندورف، الذي كان من ابرز الباحثين المتخصصين في دراسات الكتاب المقدس آنذاك، كان يتجول في الشرق الاوسط باحثاً عن المخطوطات القديمة، فزار الدير ثلاث مرات. وفي أثناء زيارته الاولى عام ١٨٤٤، رأى كومة من الاوراق على وشك أن تلقى في النار ـ حسبما ذكر هو بعد ذلك ـ وميز من بينها ١٢٩ صحيفة من جلد الرق تغطيها كتابة مخطوطة بديعة بالحروف الكبيرة. وانبأته عينه المدربة بأنه عثر على كنز مهم ثمين، وهو ما ثبت فعلا حين تبين ان الصحائف (وهي من جلود الحيوانات التي عولجت للكتابة عليها) جزء مما أصبح يعرف



ايقونة من دير القديسة كاترينا

اليوم باسم "مخطوط سيناء"، وهو واحد من أقدم نسختين موجودتين للكتاب المقدس في العالم. وتوجد النسخة الثانية، المعروفة باسم "مخطوط الفاتيكان"، في مقر الفاتيكان في روما. وقد كتب المخطوطان باللغة اليونانية، مما يعزز الافتراض القائل بأن ذلك تم في مصر في حدود العام ٣٥٠ للميلاد. وهما يعتبران أثمن المخطوطات المسيحية.

ولم يكن الرهبان يدركون اهمية تلك الصحائف، فقدموا الى تيشندورف ٤٣ صحيفة منها هدية. ولم يكن هناك شك في ان جزءاً كبيراً من نسخة الكتاب المقدس التي كانت تشمل ٨٠٠ صحيفة قد اختفى الى الابد. غير ان تيشندورف كان، مع ذلك، موقناً من وجود صحائف اخرى غير التي رآها. وفي زيارته الثالثة للدير عام ١٨٥٩، عثر على ٣٤٧ صحيفة أخرى. وكان الرهبان قد تنبهوا الى أهمية ما لديهم، فوافقوا، على مضض، على اعارته تلك الصحائف لإجراء بحوثه، على أن يعيدها اليهم في ما بعد. إلا أن تيشندورف خان الامانة وأهدى الصحائف الى قيصر روسيا اسكندر الثاني الذي مول رحلته. (وقد باعت الحكومة السوفييتية الصحائف بعد ذلك للمتحف البريطاني بمبلغ ٥٠٠ الف دولار). لكن تيشندورف حرص على ان ينشر نص الصحائف، فكان لهذا النص المنشور اثره الحاسم على الطبعة المنقحةالتي صدرت للكتاب المقدس باللغة الانكليزية في أواخر القرن التاسع عشر.

كنوز جديدة ــ وقد ألقت ذكرى هذا "القرض" المنهوب ظلها القاتم المديد. وعندما اكتشف الرهبان عام ١٩٧٥ عدداً من المخطوطات وبقايا الصحائف يبلغ ١١٠٠ قطعة في غرفة كان يظن أنها مستودع للاشياء المستغنى عنها، قرروا ان يحتفظوا بالسر لأنفسهم. وعبىء هذا الكنز الجديد في ٤٦ صندوقاً فارغاً. غير ان رئيس الدير، المتروبوليت داميانوس، رأى ضرورة ابلاغ الامر الى وزارة الثقافة في اليونان، التي تعين الدير مالياً. فأوفدت الوزارة على الفور اثنين من الباحثين في بعثة سرية الى دير القديسة كاترينا.

وتبين للباحثين ان الرهبان عثروا على أثمن مجموعة في العالم من المخطوطات الرقية اليونانية، واوصيا بأن يسمح للجنة دولية من الباحثين بدراسة هذه المخطوطات.

وتحتوي المخطوطات التي كشف عنها حتى الآن على ١٣ صحيفة من الصحائف الناقصة، اضافة الى ١٥ قطعة من صحائف أخرى، من "مخطوط سيناء" للكتاب المقدس، تحتوي على أسفار التكوين والعدد وتثنية الاشتراع، وتزيد قيمتها كثيراً على المليون دولار. وربما بدت بقية المخطوطات المكتشفة ضئيلة القيمة اذا قورنت بهذا الكنز الثمين، لكنها على رغم ذلك، تشمل اجزاء من نسخ من الكتاب المقدس خطت في القرون الخامس والسادس والثامن، ونسخة من رسائل القديس بولس الرسول ترجع الى القرن الحادي عشر ومعها ترجمة عربية لها، وقطعاً متناثرة من نسخة لأعمال أرسطو يرجع تاريخها

الى العصور الوسطى، وصحائف من الياذة هوميروس عمرها الف عام عليها شروح نثرية بخط تلميذ صغير كتبت بين السطور . وهناك ايضاً نص ديني مكتوب على ورق يرجع عهده إلى العام ٨٠٠ للميلاد، ومن ثم فهو يمثل أول استخدام معروف للورق بالنسبة الى العالم الغربي .

وليس مستبعداً أن تحتوي هذه المخطوطات على مفاجآت أخرى، لأن عدداً كبيراً من صحائف الرق استخدم للكتابة غير مرة بعد امحاء الكتابة القديمة . وربما أمكنت قراءة الكتابة القديمة في ضوء الاشعة فوق البنفسجية . ومهما يكن الامر، فان ما يجعل هذه المجموعة من أهم الاكتشافات الثقافية في عصرنا هو أن الكثير من وثائقها العادية يرجع إلى الفترة بين العامين ٦٥٠ و٨٥٠ للميلاد، وهو العصر الذي تم خلاله الفتح العربي للمنطقة . فهذه المخطوطات، في الحقيقة، تكشف عن قارة بأكملها من الثقافة والتراث الروحي .

وفي فبراير (شباط) ١٩٧٨، وعد رهبان دير القديسة كاترينا بأن يتولوا "في الوقت المناسب"، نشر قائمة بجميع الوثائق النادرة التي لديهم والتي يزيد عددها على الستة آلاف وثيقة، وأقاموا مشغلا حديثاً لتصنيفها وترميمها وتصويرها بالميكروفيلم . وهناك فريق من الخبراء يذهب الى الدير من وقت الى آخر كي يساعدهم ويتولى تدريب اختصاصيين جدد على هذا العمل الشاق .

وفي صباح آخر يوم قضيته في دير القديسة كاترينا، كنت اتجول في الحديقة حيث تزدهر أشجار الزيتون والمشمش واللوز والكرزوتصدح الطيور بين أغصان أشجار السرو العتيقة . ووجدتني أخطو داخل مبنى صغير ابيض، فاذا بي أمام أكوام منتظمة من العظام والجماجم البشرية .

وجاء راهب كان جالساً يتأمل داخل البناء المعتم، واوضح لي وهو يبتسم ان هذه العظام هي بقايا أجيال من رهبان الدير السابقين، ينتظرون في هذا المكان يوم البعث والنشور، وأن الرهبان الذين يعيشون اليوم في الدير لن يلبثوا ان ينضموا اليهم بعد حين .

وعندما اتخذت طريقي عائداً الى القرن العشرين، كنت أعلم أني عثرت على دير القديسة كاترينا الحقيقي، وهو روح الخلود التي تتحرك على صفحة البرية وتسكن قلوب البشر .

■ ارنست هاوزر



افكار من المريخ

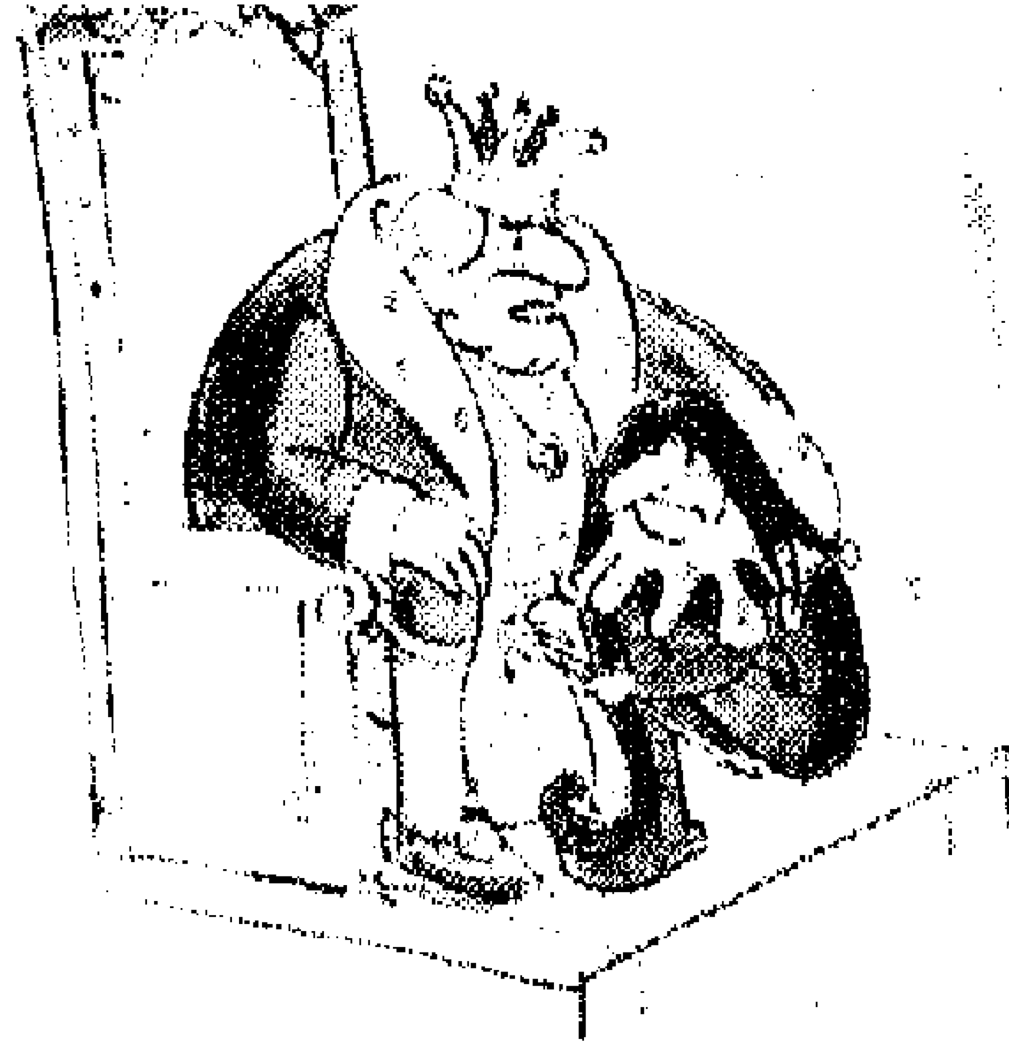
دخل احد سكان المريخ نادياً للعب القمار، ووقف امام احدى آلات المقامرة مندهشاً . ورأى الدواليب تدور ثم تستقر ليسقط من احد ثقوب الآلة عدد كبير من النقود الفضية . فنظر الى الآلة وخاطبها: "مع هذا الرشح الذي تعانينه، يجب ان تكوني في الفراش" .

ج.ب.



"شكراً اعفيني مـن هـذه الكأس، فانـا الملـك"،

HOEST IN LADIES' HOME JOURNAL



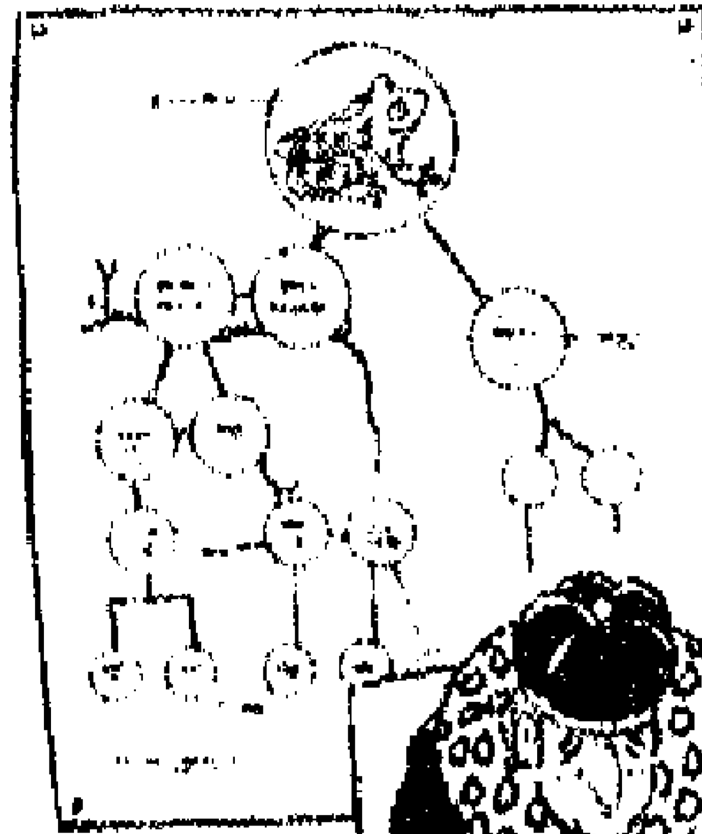
"لكن هذا هو المطلوب منك بالذات ـ أن تتحامق"،

BEHNARD SCHOENBAUM IN SATURDAY REVIEW



"يبدو ان زوجتي تنوي تنظيف المنزل".

HERB BRAMMEIER, JR IN THE ROTARIAN





"طالما انذرتك بان استنباط الجذور قد لا تحمد عقباه"

BILL MAUL IN NATIONAL ENQUIRER

"هذا منزل ابن عمي، هلم ندثره".

DRAWING BY W. MILLER, © 1980 THE NEW YORKER MAGAZINE INC.



"كم كان انتقال الحكم سهلاً".

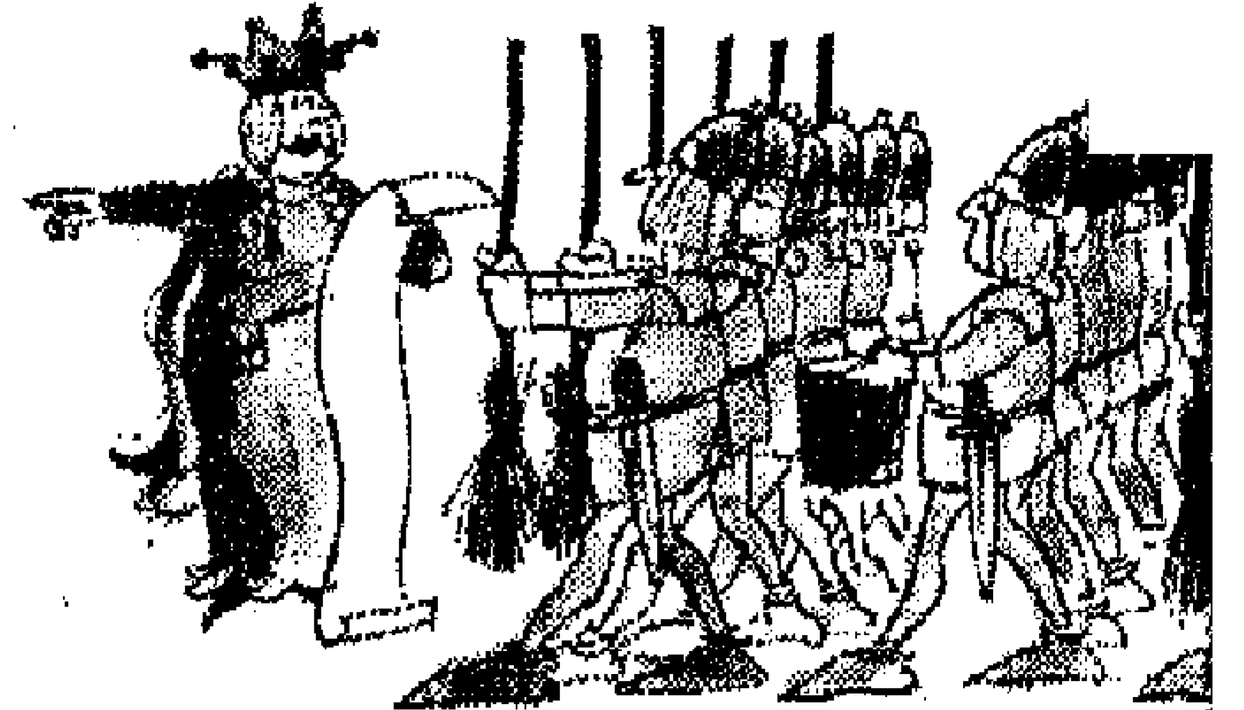
ED FISHER, CHICAGO TRIBUNE—NEW YORK NEWS SYNDICATE





"لا تتباه علي بحقك الالهي
يا هذا".

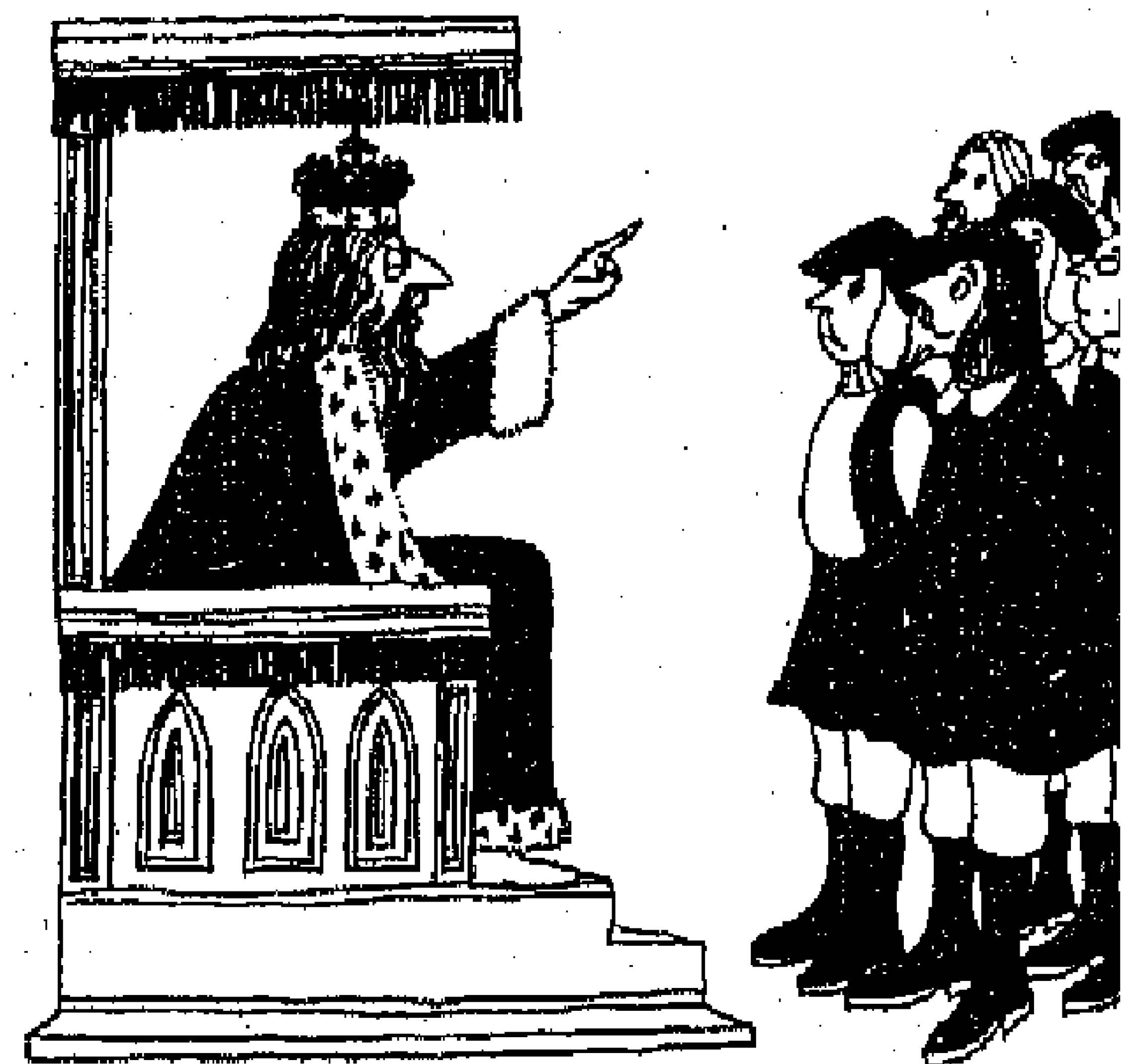
IRACHI IN NATIONAL ENQUIRER





"اليس هذا
ما تناولناه
ظهراً؟"

HUFFINE IN THE WALL STREET JOURNAL



"كفاكم تذمراً، انني اعلن
انتهاء التضخم والركود
الاقتصاديين ابتداء من اليوم".

JOSEPH FARRIS IN SATURDAY REVIEW

٦ فضائل

إزرعوها اليوم

في نفوس أولادكم

ست مزايا يحتاج اليها الاطفال

كي يشبوا قادرين على

مجابهة التحديات

قبل بضعة ايام تركت ابنتي طفلتيها عندي في البيت طوال فترة قبل الظهر. وبينما كنت اراقب حفيدتي" تركضان جذلتين في البهو القديم، ثم تجلسان وتطالعان كتاب اساطير كان في ما مضى كتاب امهما المفضل، وجدتني اقارن بين العالم الهادىء المستقر الذي عشناه في شبابنا والعالم القلق والمضطرب الذي ينتظر اطفال هذا الجيل.

ثم قلت في نفسي: "لنفترض اني عدت اماً فتية، وجابهتني مشكلة اعداد اطفالي لمواجهة هذا العالم الذي يتزايد فيه التوتر وتتفاقم فيه الازمات، فما هي الصفات التي اركز على غرسها في قلوبهم وافكارهم؟"

وتبلورت بعض الاجوبة في رأسي. من الواضح ان المرء يحتاج الى كثير من المزايا والفضائل كي يصمد في عالم تسوده المحن. الا ان هناك ست صفات يبدو لي ان لا غنى لاي شخص عنها. ولو كنت جنية لوهبت اطفال العالم الصفات الآتية:

١. الثقة بالنفس

في ظني ان هذه المزية تحتل المرتبة الاولى، اذ لا يصمد امام الصعوبات الا الذين يثقون بانفسهم وبقدرتهم على مجابهة التحدي.

ماذا يستطيع الوالدان فعله من اجل

تعزيز اعتماد اولادهم على انفسهم؟ انهم قادرون على فعل الكثير اذا هم اتبعوا الطريقة الآتية:

راقب مواهب ولدك وقدراته الحقيقية، ثم ساعده على صقلها من دون ان تتوقع منه كثيراً في وقت قصير. وقد يصعب على أب رياضي ان يفهم نزوع ابنه الى لعب الشطرنج بدلاً من كرة القدم. فلو اراد ذلك الأب ان ينمي في ولده الثقة بالنفس، فعليه ان يعرف ان الشطرنج هو سبيله الى ذلك. فاذا اتقن الولد ما يهواه فانه يقتنع بقدرته على اتقان كل الامور؛ فلا يخاف من تجريب حظه في اي منها. ومتى ترسخت هذه النزعة فيه، يصبح قادراً على حل المشاكل وهذا جل ما يحتاج اليه.

٢. الاندفاع

قال الشاعر الامريكي ايمرسون انه لولا الاندفاع لما استطاع الانسان انجاز اي عمل كبير. وكلي قناعة بانه حتى الامور البسيطة لم تكن لتتحقق لولا مقدار صغير من الاندفاع. والامر لا يقتضي غرس هذه المزية في اولادنا، فكثير منهم يسري الاندفاع في عروقهم منذ ولادتهم. على الاهل رعاية هذه المزية، وذلك ليس بالامر اليسير، اذ يسهل اطفاء جذوتها بالتوبيخ والسخرية والاخفاق المتكرر.

وتثير حماسة الاطفال ضحك الكبار وتندرهم احياناً. لكن ذلك قد يثبط العزم ويخفف حدة الاندفاع. وأذكر انه خلال الحرب العالمية الثانية تلقى ابننا، وكان صبياً صغيراً، البوماً لحفظ طوابع عن الحرب. وذات يوم وجدناه يلحس الطوابع بحماسة ثم يلصقها في مكانها وينهال عليها ضرباً ليثبتها. فسأله والده: "ماذا تفعل؟" فاجاب وهو يثبت طابعاً آخر: "اني اكسب الحرب". فحرصنا على الا نضحك، اذ كان مهماً جداً تعزيز ثقته هذه.

٣. الشعور مع الآخرين

كل اب او ام حاول ان يطيب خاطر ولده الحزين على وفاة كلبه او هرته، يدرك ان الاطفال شديدو التحسس لما تكابده المخلوقات الاخرى من عذاب والم. وهذا الشعور النبيل تمكن تنميته كما يمكن اضعافه. فاذا ساد البيت جو من العطف على الآخرين، واذا رأى الطفل والديه يضحيان في سبيل الفقراء، فان شعوره هذا ينمو ويرسخ.

نعرف زوجين شابين اصطحبا اطفالهما يوم العيد الى مركز تجاري كبير. وهناك اعطيا كلا منهم بعض النقود كي يشتري هدية لطفل معوز في سنه لن يلتقيه وجهاً لوجه. فاهتم الاطفال باختيار الهدايا واشرفوا على لفها وتوضيبها، مدركين مقدار السعادة المفاجئة التي ستغمر الاطفال المجهولين عندما تصل هداياهم. ان شعلة المحبة لن تخبو في عائلة كهذه.

٤. الاحترام

تكاد هذه اللفظة تضيع من قاموس السلوك العام. لقد آن لنا احياؤها في نفوسنا ومجتمعاتنا. فالاحترام هو ذلك التفكير العميق الذي يملأ قلب الانسان ايماناً راسخاً بان هناك قيماً جديرة بالتقدير يجب ان تراعى وتحفظ.

ولو فكرت قليلا لوجدت ان معظم مشاكلنا ناتجة من انعدام هذا الايمان الثابت المطلق. فما الجريمة سوى استخفاف بالقانون. وما تلويث البيئة سوى احتقار لحقوق الآخرين. وما نقل الاخبار المشوهة سوى استهتار بالحقيقة. فهل نستطيع، والحال هذه، ان نغرس في نفوس اولادنا هذا الاحساس بالتقدير؟ اجل، اننا قادرون على ذلك شرط ان نفرض عليهم التزام هذا المبدأ لا ان نكتفي بالتمني عليهم.

ولكن، ماذا نفرض على اولادنا وكيف؟

نفرض عليهم تعلم الانصاف كمبدأ للتعامل بين البشر، وذلك في مرحلة باكرة جداً من طفولتهم. فنعودهم مشاركة اقرانهم في لعبهم. ثم نستكمل ذلك في مرحلة رواية القصص، فنشدد على الفضائل كالشجاعة والوفاء والنبل كي ترغبها العقول الفتية اذ تثير حماستها وغيرتها. ويمكنك ان تعلم اولادك احترام وطنهم فتخبرهم عن المواقع التي صنع فيها التاريخ او تصحبهم الى زيارتها.

وتستمر عملية غرس القيم هذه، التي يكون فيها الوالدان دائماً القدوة الحسنة لأولادهما، الى ان يصبح مبدأ السلوك العام هذا قانونا ذاتياً يفرض نفسه. وعندما يبلغ الولد هذه المرحلة من النضج، يصبح الاحترام احتراماً للذات.

٥. المرونة

ان القدرة على مجاراة التغيرات هي الضرورة الاولى للحياة المستقرة الهادئة في المستقبل. والذين يتمسكون بعناد بواقع حياتهم هم اكثر الناس تعرضاً للصدمات.

كيف تكسب طفلك القدرة على التكيف؟

ان افضل طريقة اعرفها هي تشجيع الصفات التي تخلص الفكر من ضعفه - المحبة مثلا. ففي امكان الاهل تشجيع اولادهم على الحب من خلال تصرفاتهم وتوددهم الى اولادهم والى الآخرين. والاولاد الذين ينالون قسطاً كبيراً من المحبة يشبون وهم قادرون على حب ما حولهم. والمحبة اقوى مقاوم للصدمات.

ولنشجع الفضول في اولادنا الى جانب المحبة. ان اصحاب الطباع الصلبة اشخاص منطوون على ذواتهم، فقدوا اللذة في البحث والسؤال. وما احلى ان ننمي في نفوسهم روح الدعابة التي تزيل الهموم، خصوصاً التهكم البريء على اخطاء الذات. وقد روى لي عالم نفس شهير ان الاشخاص الذين يقصدون علماء النفس قلما يملكون القدرة على الدعابة وانتقاد الذات بمرح. واضاف ان هذه الملكة تنتقل من جيل الى جيل.

٦. الامل

هذه الصفة هي حقاً اكثر ما يحتاج اليه العالم. فهي تجعل الانسان جسوراً في ساعات الضيق، فينتظر بزوغ الشمس من خلف الغيوم المتلبدة، ويقتنع بان لكل مشكلة حلا، ويؤمن بقدرته على مجابهة التحديات وحل المشاكل المستعصية.

وعلى الوالد ان يكون متفائلا كي

يربي اولاداً متفائلين. فالخوف والتشاؤم والكآبة مشاعر سريعة التفشي، اذا اشبع بها جو البيت ماتت روح التفاؤل لدى الاولاد. اما اذا تعلم الولد ان لكل جواد كبوة، وان الحظ اذا خانه مرة فقد يحالفه في المرة المقبلة، فسوف يتكون لديه شعور يبدو معه المجهول اقل رهبة والازمات اقل تعقيداً.

وفي رأيي ان الايمان بالله هو اعظم بان للرجاء وأقوى دعامة له. فالانسان الذي يؤمن ايماناً راسخاً بوجود اله محب يرعى البشر ويمد اليهم يد العون، يصبح لديه مصدر قوة لا تحد. فتحفزه قناعته الداخلية على الاستمرار في النضال الى ان يتغلب على مشاكله، اياً تكن.

"آمن بالله وعش يومك الذي انت فيه". لقد اتفقنا، انا وزوجي، من زمن بعيد على ان نعيش بموجب تلك الكلمات وان نعلمها أولادنا.

■ روث ستافورد بيل

ترتيب منزلي

كنت اتحدث مع جارة من عشاق الترتيب المنزلي حين هرع اليّ ابني الصغير وهتف: "اماه! هل تسمحين لي باستعمال الخرق والاوراق المرمية تحت سريرك من اجل بناء عش للعصافير؟"

م.س.

الابنة سر أبيها

اشتكى رجل الى ابنته من ان الجيل الجديد يفتقر الى الوداعة. وقال: "عندما كنت في سنك كانت الفتيات يعرفن كيف تحمر وجوههن خجلا".

فأجابت الفتاة: "بحق السماء يا ابي، اخبرني ماذا كنتم تقولون لهن كي يخجلن؟"

صحيفة "فايننشال تايمس"، لندن

حتى المحفظة!

حين انتهيت من تطريز محفظتي، وضعت قماشاً لاصقاً بدلا من السحاب لفتحها واغلاقها. وكانت هذه المحفظة معي يوم نزلت الى السوق في بلدة اسكوتلندية صغيرة لشراء بعض الملابس الصوفية. ولشدة انهماكي في الحديث مع صاحب احد المتاجر عن نشأتي وعن اجدادي الذين انحدروا من اصل اسكوتلندي عريق، فاتنيَ ان الاحظ نفاد صبره لكثرة ما طلبت اليه ان يريني سلعة بعد اخرى.

واخيراً حان وقت الدفع. وعندما فتحت محفظتي كي اخرج النقود، احدث القماش اللاصق صوته المعهود الشبيه بصوت التمزيق. واذا بالتاجر يحدق الى المحفظة ويقول باعجاب كبير: "حقا انها محفظة اسكوتلندية عريقة. انها تئن وتصرخ كلما فتحت".

ب.ف.ك.

راح رجال التحري يأكلون فخذ الحمل
بشراهة في بيت زميلهم القتيل،
من غير ان يدروا ماذا يفعلون

الذبيحة

كانت الغرفة دافئة ونظيفة والستائر مغلقة. وكان المصباحان مضاءين: مصباحها والمصباح الآخر بجانب المقعد الخالي قبالتها. وجلست ماري مالوني تنتظر عودة زوجها من العمل.

وراودها شعور بالكسل والخفة رافق جميع حركاتها. وشعرت بهدوء غريب وهي تحني رأسها فوق آلة الخياطة. وكان جلدها - وهي في شهر حملها السادس - اكتسب شفافية ساحرة، رقّ معها فمها وبدت عيناها اوسع واشد سواداً من ذي قبل.

وحين بلغت الساعة الخامسة إلاّ عشر دقائق، سمعت ماري باب السيارة ينغلق والمفتاح يدور في قفل البيت. فوضعت ما تخيطه جانباً ووقفت وتقدمت نحو زوجها لتقبله وهو يدخل.

ذلك الوقت من اليوم كان يحمل اليها منتهى السعادة. فهي كانت تطمئن الى الجلوس بهدوء في حضوره بعد مكوثها الساعات الطوال وحدها في المنزل. لقد احبته لطريقة استرخائه في مقعده ووقوفه عند الباب وتقدمه ببطء، ولكن بخطى طويلة، عبر الغرفة. كما أحبت تلك النظرة البعيدة المركزة في عينيه كلما استقرتا عليها، وشكل فمه الغريب، وصمته حيال تعبه.

وقالت له: "أظن أنه من العار أن يُطلب من رجل شرطة في مركز متقدم كمركزك أن يمشي على رجليه طوال النهار".

ولم يجبها. فحنت رأسها ثانية وتابعت الخياطة.

ثم قالت له: "أتريد، يا عزيزي، أن آتيك ببعض الجبن؟ لم أحضر العشاء لاني ظننت أننا سنأكل خارجاً".

- كلا.

"اذا كنت متعباً ولا تستطيع الذهاب، فالليل لم يحن بعد، وفي الثلاجة طعام كثير. ويمكن أن تأكل وأنت في مكانك، من غير أن تقوم عن المقعد".

وتوسلت اليه بعينيها عله يجود بجواب أو بابتسامة او بهزة رأس.

ولكن لم تصدر عنه اي حركة. فتابعت: "مهما يكن الأمر، سأحضر لك قليلا من الجبن والكعك أولا".

- لا اريد هذا.

"**دقيقة واحدة**" - تحركت ماري بصعوبة في مقعدها، وعيناها الكبيرتان لا تزالان تحدقان الى وجهه. وقالت: "ولكن يجب أن تتناول العشاء. يمكن أن نأكل اللحم او أي شيء تريده. الثلاجة ملأى".

- انسي هذا الامر.

"ولكن، يا عزيزي، يجب أن تأكل! أنا سأحضر الطعام في أي حال، ثمّ تقرر ما تريد فعله".

ونهضت ووضعت ما تخيطه على الطاولة بجانب المصباح. فقال لها: "اجلسي... دقيقة واحدة".

فعادت ببطء الى المقعد وهي تحدق اليه بعينين واسعتين منذهلتين.

- لدي ما أقوله لك.

"ما هو، يا عزيزي؟ ما الأمر؟"

وخمدت فيه كلّ حركة، بينما أبقى رأسه محنياً ليقع ضوء المصباح على الجزء الاعلى من وجهه، تاركاً ذقنه وفمه في الظل. ولاحظت زوجته عضلة صغيرة تنبض قرب محجر عينه اليسرى.

وقال: "أخشى ان يفاجئك هذا الامر قليلا. غير اني قررت ان أبوح به فوراً".

ولم تستغرق المسألة طويلا - أربع دقائق او خمس دقائق فقط - فيما كانت هي تصغي بهدوء تام وتراقبه بقليل من الهلع وهو ينأى عنها بكل كلمة من كلماته.

وأضاف: "هذه هي المسألة. وأنا أعرف أن الظرف غير ملائم لإطلاعك عليها، ولكن لم يكن لديّ خيار آخر. ولا شكّ في أني سأمدك بالمال وادبر أمر العناية بك. ولكن أرجو ألاّ تثار ضجة حول الموضوع، لأنّ هذا يسيء الى وضعي المهني".

وقالت بجهد: "سأحضر العشاء". ولم يحاول أن يصدها هذه المرة.

لو لم تسمع... - كان شعورها الاول الا تصدق كلمة مما سمعته. ولو انصرفت الى احضار العشاء وتصرفت كأنها لم تسمع شيئاً، لعلها طردت من ذهنها كلّ ذلك.

إلاّ أنها غادرت الغرفة من دون ان تحس بوطء رجليها على الارض. ونزلت على السلم الى القبو، وأدارت مفتاح الضوء، وفتحت الثلاجة، وتناولت اول شيء وقعت يدها عليه.

وكان ذلك فخذ خروف.

حسناً، اذاً. هذا سيكون طعام العشاء. وحملت الفخذ وصعدت به. وحين دخلت غرفة الجلوس رأت زوجها يطل من النافذة الى الخارج. فوقفت.

وحين سمع وقع خطواتها، قال لها من غير أن يستدير: "بربك لا تحضري الطعام لي. اني خارج من المنزل".

فما كان من ماري مالوني إلاّ أن وقفت وراءه، ورفعت يدها الى أقصى ما تستطيع وهوت بالفخذ المجلد على مؤخر رأسه. ولم تكن تلك الضربة تقل اثراً عن ضربة هراوة من فولاذ.

وأفاقت من صدمتها على قوة الضربةوالصوت الذي احدثته، فيما كانت الطاولة الصغيرة التي وقع الزوج عليها قبل ان يستقر على السجادة تنقلب رأساً على عقب.

وانتابتها قشعريرة ودهشةوهي واقفة بذعر الى الجثة، بينما شدت بيديها الاثنتين على قطعة اللحم.

وقالت في نفسها: "لقد قتلته".

ومن الغريب حقاً كيف انجلت افكارها فجأة. لقد كانت تعلم - كونها زوجة رجل يعمل في حقل التحريات الجنائية - اي نوع من العقاب يلازم الجرم الذي اقترفته. لكنها لم تكترث لذلك، بل اعتبرته سبيل راحة. ولكن ماذا عن الجنين؟ ماذا يقول القانون بالنسبة الى المجرمات الحوامل؟ كانت ماري مالوني تجهل هذا الأمر، ولم تشأ الاستفهام عنه.

وحملت قطعة اللحم الى المطبخ، ووضعتها في وعاء اقحمته في الفرن بعدما اشعلته. ثم غسلت يديها ونظرت في المرآة. وحاولت ان تبتسم، فحملت ابتسامتها شيئاً من الغرابة. وراحت تقول بصوت مسموع: "مرحباً، سام! ارجوك أن تزن لي بعض البطاطا (البطاطس)". فجاء صوتها غريباً هو الآخر.

وكررت ذلك مراراً، ثم حملت معطفها وخرجت.

كعك بالجبن - لم تكن الساعة بلغت السادسة، وكان النور لا يزال مضاء في مخزن البقال، ورمقت الرجل الجالس وراء طاولته ببسمة وقالت بمرح: "مرحباً، سام".

- مساء الخير، سيدة مالوني. كيف حالك؟ ماذا تريدين؟

"أرجوك أن تزن لي بعض البطاطا يا سام، كما اريد علبة فاصوليا".

وأدار الرجل ظهره وتناول علبة فاصوليا عن الرف وراءه.

"باتريك قال انه متعب ولا يريد أن يأكل خارج البيت هذه الليلة. لقد اعتدنا العشاء خارجاً كل خميس. لذلك لم يكن عندي خضر في المنزل".

- هل تريدين قليلا من اللحم يا سيدة مالوني؟

"شكراً. عندنا لحم في المنزل، وقد أخرجت فخذ خروف من الثلاجة".

- حسناً.

"غير أني لا احب أن اضعه في الفرن وهو مجلد. ما رأيك يا سام؟"

يمكنك أن تضعيه في الفرن وان يكن مجلداً... هل تريدين شيئاً غير البطاطا والفاصوليا؟ (ورفع البقال رأسه ونظر اليها مبتسماً). ماذا تريدين ان تطعميه بعد اللحم؟

"ماذا تقترح يا سام؟"

والقى الرجل نظرة في أرجاء حانوته وقال: "ما رأيك في قطعة كبيرة من الحلوى بالجبن؟ أعرف انه يحب هذا".

"رائع. انه يحب هذه الحلوى حقاً".

وبعدما لف البقال الاغراض واعطته ثمنها، رسمت أجمل ابتسامة على محياها وقالت: "شكراً يا سام. طابت ليلتك".

واسرعت خارجاً وهي تقول في نفسها انها عائدة الىالبيت حيث ينتظرها زوجها لتناول العشاء، وان عليها أن تحضر وجبة لذيذة تخفف بها تعبه. وراحت تكمل انها اذا صادفت حدثاً غريباً او مأسوياً لدى دخولها، فلا شك في أن ذلك سيصدمها بعنف ويصيبها بالحزن والخوف. لكنها لمتكن تتوقع ان تجد شيئاً من هذا.

وجل" ما كانت تعيه أنها السيدة باتريك مالوني، وانها كانت تحمل الخضر الى منزلها مساء الخميس لتحضير الطعام لزوجها ٠

لذلك كانت ماري تدندن لحناً وتبتسم عندما دخلت المطبخ من الباب الخلفي٠ وحين رأت زوجها مضطجعاً هناك على الارض، انتابتها صدمة قوية٠ واستيقظ فيها حبها القديم له وشوقها اليه٠ وركعت على الارض بجانبه وأخذت تنتحب٠ ولم يكن ذلك امراً شاقاً، بل كان عفوياً٠

نداء استغاثة ـ ما هي إلاّ دقائق حتى نهضت الى الهاتف٠ حين أجاب الشخص على الطرف الآخر، استغاثت به قائلة: "بسرعة! احضر بسرعة٠ لقد مات باتريك!"٠

ـ من المتكلم؟

"السيدة مالوني٠ السيدة باتريك مالوني"٠

ـ اتقصدين أن باتريك مالوني توفي؟

"هكذا أظن"٠

ـ سأحضر حالا٠

وحضرت السيارة بسرعة فائقة٠ ولما فتحت ماري الباب الامامي دخل اثنان من رجال الشرطة عرفتهما على الفور٠ فهي كانت تعرف معظم عناصر الشرطة في المنطقة٠ وارتمت بين ذراعي احدهما، جاك نونان، وهي تعول من غير روية٠

ثم اخبرتهما بايجاز كيف خرجت الى محلّ البقال وعادت لترى زوجها على الارض٠ وحين كانت تتكلم من خلال النشيج وجد نونان مسحة من الدم المتخثر على رأس الرجل الميت٠ ونبه زميله اومالي الى ذلك، فنهض هذا حالا واسرع الى الهاتف٠

وبعد قليل جاء طبيب الى المنزل، وتبعه اثنان من رجال التحريات، عرفت ماري احدهما٠ وروت القصة من جديد، ولكن هذه المرة منذ البداية: كيف وصل باتريك الىالمنزل وهي تخيط، وكيف كان متعباً الى حدّ انه لم يشأ الذهاب خارجاً للعشاء٠ وأضافت كيف وضعت اللحم داخل الفرن ـ "انه هناك الآن، يكاد ينضج" ـ وكيف خرجت الى محلّ البقال لشراء بعض الخضر، وعادت لتجده مضطجعاً ارضاً٠

وسألها أحد رجال الشرطة: "اي بقال؟"٠

وحين اخبرته همس في اذن رفيقه الذي اسرع خارجاً الى الشارع٠

وبعد ١٥ دقيقة عاد الشرطي وفي يده صفحة كاملة من الملاحظات٠ ومن خلال تنهّدها، سمعت السيدة بعض ما قالوه: "تصرفت على نحو طبيعي جداً٠٠٠ كانت مرحة للغاية٠٠٠ أرادت ان تحضر له عشاء جيداً٠٠٠ فاصوليا٠٠٠ قالب حلوى بالجبن٠٠٠ مستحيل ان تكون هي٠٠٠"٠

وبعد قليل انصرف الطبيب٠ ودخل رجلان آخران وضعا الجثة على حمالة وذهبا بها٠ وبقي رجلا التحريات مع الشرطيين٠

وراح جاك نونان يحدثها بلطف٠ واخبرها ان زوجها قُتل بضربة على مؤخر رأسه وُجهت اليه من آلة ثقيلة يجب ان تكون جسماً معدنياً كبيراً٠ ومن الجائز ان يكون القاتل حمل سلاحه معه، ولكن ربما رماه او خبأه في مكان ما من المنزل٠

وتابع: "انها القصة القديمة لا تتغير: أعطني السلاح فأعطيك

الرجل"· وسألها اذا كان في المنزل شيء يمكن أن يكون استعمل لتلك الغاية: مفتاح لي" ضخم، مثلا، او إناء زهر معدني ثقيل·

ونفت ان يكون هناك إناء زهر معدني ثقيل· فسألها: "أو مفتاح لي" ضخم؟" فقالت انها تشك في وجود شيء كهذا· ولكن قد يكون هناك ما يشبهه في مرأب السيارة·

"رحمه الله!" — تركها الرجال الاربعة جالسة في مقعدها وانطلقوا يفتشون المنزل· وسمعت وقع أقدامهم على الحصى في الخارج· وكانت ترى، من حين الى آخر، وميض نور يتسرب من مشاعلهم الكهربائية عبر شق" في الستار· وأخذ الليل يزحف، وكانت عقاربالساعة التي على رف" الموقد تدنو من التاسعة· وظهرت على الرجال بوادر التعب والضجر·

واستمر البحث· ثم تقدم الرقيب نونان من المطبخ وقال: "سيدة مالوني، الا· تعلمين أن الفرن لا يزال مشتعلا واللحم في داخله؟"

"آه، صحيح! ماذا حل" بي؟".

— أتسمحين بأن اطفئه عنك؟

"أجل يا جاك· اشكرك كثيراً"·

وعندما عاد الرقيب، نظرت اليه بعينيها الكبيرتين السوداوين الدامعتين وقالت: "جاك نونان"·

— ماذا؟

"أتريد أن تؤدي لي خدمة بسيطة، أنت والآخرون؟"·

سنحاول يا سيدة مالوني·

"حسناً·أنتم الأربعة هنا الآن، وجميعكم أصدقاء باتريك العزيز وتحاولون القبضعلى الرجل الذي قتله· لا شك" أن الجوع نال منكمكثيراً· ولو كان باتريك هنا — رحمه الله — لما سمح بأن تمكثوا هذا الوقت كله في منزله من غير أن يكرمكم· فلماذا لا تأكلون ذلك اللحم الذي أظنه نضج الآن؟"

فأجاب الرقيب نونان: " هذا أمر لا يراودنا حتى في الحلم"·

وألحت قائلة: "أرجو أن تفعلوا· أنا شخصياً لا يمكنني ان المس شيئاً· فهل تؤدون خدمة لي وتأكلون؟ بعد ذلك يمكنكم استئناف العمل"·

"تحت انوفنا" — تردد رجال الشرطة الاربعة طويلا قبل أن يدفعهم الجوع آخر الامر الى دخول المطبخ ومباشرة الاكل· وبقيت المرأة في مكانها، تصغي اليهم من خلال الباب المفتوح وتسمعهم يتحادثون بصوت اجش" بفعل الطعام الذي يملأ افواهم·

"أضف بعض اللحم يا شارلي"·

— كلا· الافضل ان نبقي شيئاً·

"انها تريد أن نأكله كله· هي قالت هذا"·

— حسناً اذاً، اعطني قليلا بعد·

"يجب ان يكون ذلك الرجل استعمل هراوة كبيرة جداً لضرب باتريك المسكين"·

— لذلك ينبغي ان نعثر عليها بسهولة·

"هذا رأيي انا ايضاً"·

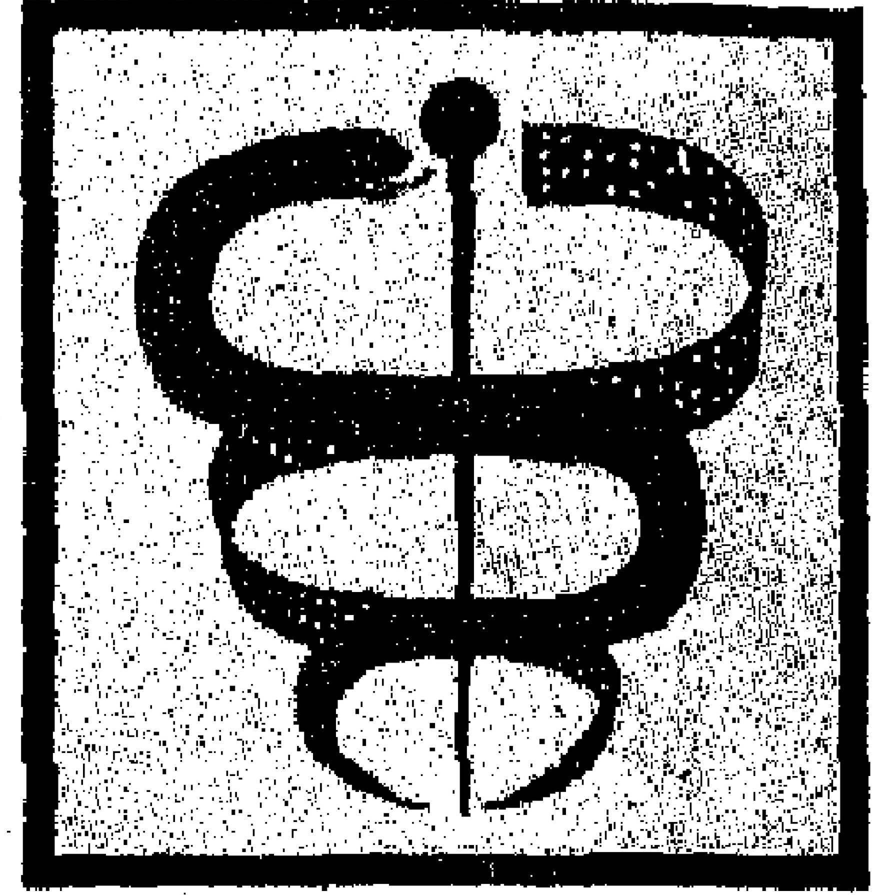
— كائناً من يكون الفاعل، فليس في استطاعته ان يبقي معه شيئاً ضخماً كهذا بعد استعماله·

وتجشأ احدهم·

"شخصياً، أظن أن هذا الشيء هنا في المنزل· وربما كان تحت انوفنا"·

··· في الغرفة الاخرى، راحت ماري مالوني تقهقه·

■ **رولد دال**



اصداء من عالم الطب

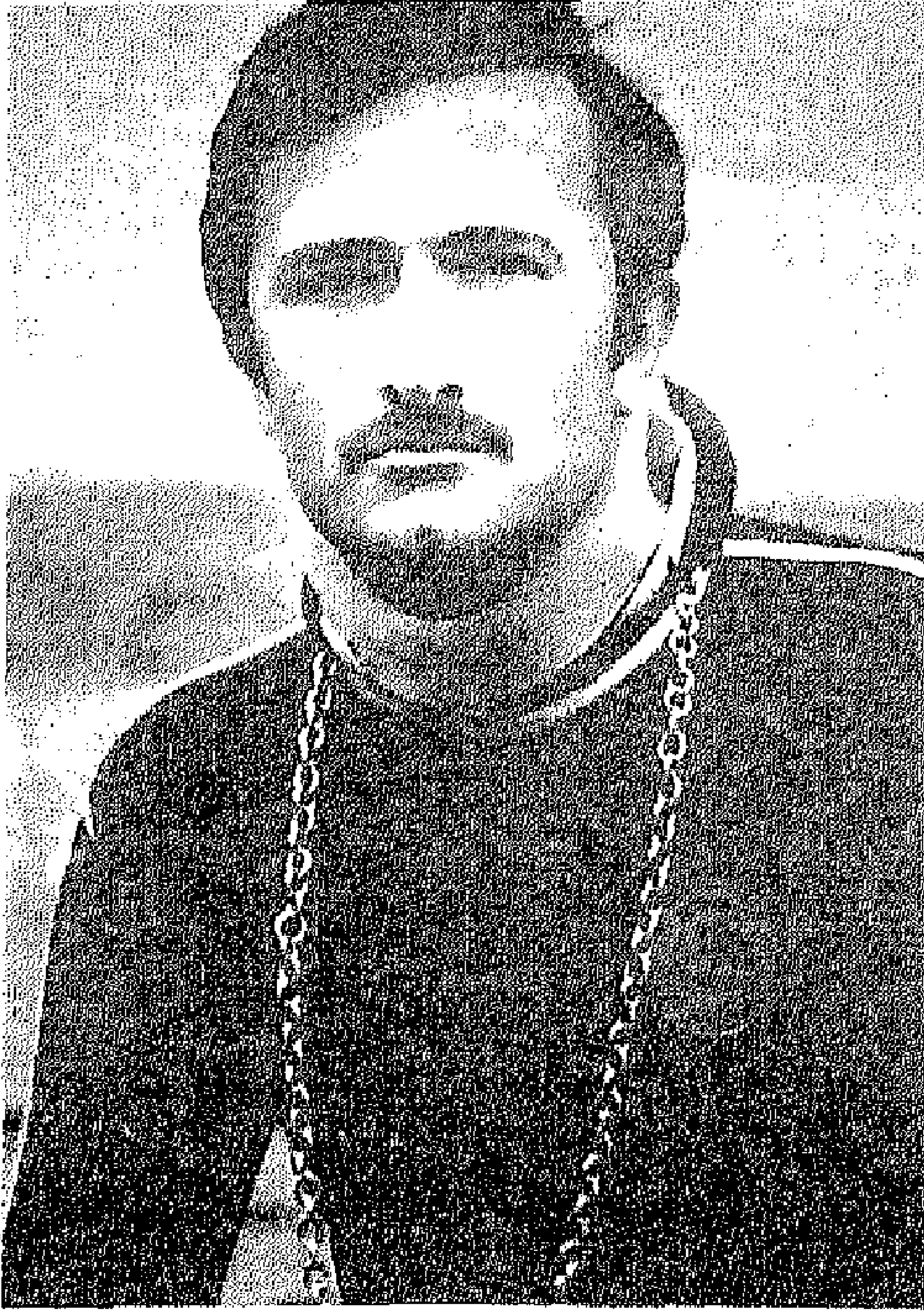
السعال الديكي

يقول تقرير نشر في "مجلة نيو انغلاند الطبية" انه حتى ابتكار لقاح اقل تسمماً ضد السعال الديكي (الشهقة) لدى الاطفال، سيستمر اعتماد انواع اللقاح المعروفة حالياً، على رغم بعض التأثيرات الجانبية التي تتركها احياناً.
والسعال الديكي مرض ينتقل بالعدوى عن طريق نوع من البكتيريا. وهو كان، حتى ثلاثين سنة خلت، سبباً رئيسياً لوفيات الاطفال. اما اليوم، فالاطفال يلقحون ضد السعال الديكي والكزاز (تشنج عضلات العنق والفك) والخانوق (الدفتيريا). وأثار بعض الاطباء حديثاً شكوكاً حول اللقاح ضد السعال الديكي لانه يؤدي الى التهاب في الدماغ. وهناك عدد كبير من البريطانيين الذين لم يسمحوا بتلقيح اطفالهم ضد السعال الديكي، فازدادت نسبة هذا المرض في بريطانيا عشرة اضعاف.
ويمضي التقرير الى القول انه اذا أوقف اعتماد اللقاح في الولايات المتحدة، فسيؤدي ذلك الى زيادة الاصابات بالسعال الديكي اكثر من ٧٠ ضعفاً، والى ارتفاع نسبة الوفاة اربعة اضعاف.
ويستنتج المسؤول عن الدراسة، الدكتور جيفري كوبلان، ان "حسنات التلقيح تفوق اخطاره".

تراجع استعمال حبوب منع الحمل

بعد عقد من التحذيرات التي اطلقها الاختصاصيون حول النتائج السلبية لتعاطي موانع الحمل عن طريق الفم، سجلت نسبة استعمال حبوب منع الحمل في الولايات المتحدة هبوطاً ملحوظاً. ففي العام ١٩٧٥، تسلمت الصيدليات اكثر من ٦٤ مليون وصفة لهذه الحبوب. اما في العام ١٩٧٨ فلم يتجاوز عدد هذه الوصفات الـ ٤٩ مليوناً. فتكون نسبة استعمال هذه الحبوب هبطت ٢٤ في المئة خلال ثلاث سنوات.
وتقول الدكتورة ماري كابون، مديرة مركز الطلاب الطبي في جامعة جورج واشنطن: "هناك ميل متزايد الى استعمال وسائل آلية لمنع الحمل".
وجدير بالذكر ان نسبة استعمال الحاجز، الذي يوضع داخل المهبل لمنع وصول المني الى الرحم، ارتفعت ١٤٠ في المئة بين ١٩٧٥و١٩٧٨. ففي ١٩٧٥ تسلمت الصيدليات ٥٠٣ آلاف وصفة، وارتفع هذا الرقم الى مليون و٢٠٥ آلاف عام ١٩٧٨. وليست هناك ارقام بالنسبة الى الوسائل الاخرى، لان الصيدليات تبيعها من غير وصفات طبية.

ب.ك. "واشنطن بوست"



صيّاد الكنوز البحريّة

شاب مغامر يعشق الاعماق، نذر حياته لكشف اسرار الماضي المغمورة بالمياه

في الثاني من يونيو (حزيران) ١٩٧٦، وقف ثلاثة رجال ضفادع على عوامة مطاطية ترسو في المحيط الاطلسي شمال غرب جزيرة القديسة هيلينا في الطريق الى جيمستاون. وعلى عمق ثلاثة وثلاثين متراً مضى قائدهم روبير ستينوي يعمل في اعماق الاطلسي المظلمة. وروبير في الاربعينات من عمره، رياضي وملتح. وهو يستخدم في عمله انبوباً طويلاً واسعاً، يعمل كالمكنسة الكهربائية، لفحص مئات الامتار المكعبة من الغرّين (الطمي) الذي يغطي ارض البحر.

وبعدما حفر ستينوي ثلاثة امتار في تربة رسوبية مجدبة، اصطدم بتربة محببة مختلفة التركيب. وحين امتصت مكنسته قسماً كبيراً من هذه المادة، بدأ جسم مستدير يبرز امام ناظريه. فمد الغواص يديه ورفع قارورة خزفية بانتباه بالغ. وفي اقل من ساعة جمع كومة من الصحون والاطباق اضافة الى ابريق فضي.

وبعد اشهر عرض ستينوي حصيلة اكتشافه. فوجد انه رفع من تحت الحطام ١٠٠ طبق بورسلين صينية بيضاء وزرقاء صنعت في عهد سلالة مينغ الحاكمة ولا تقدر قيمتها بثمن. كما رفع ٤٠٠ كيلوغرام من اطباق البورسلين المكسورة قدرت بألف طبق مع عدد كبير من الاواني الخزفية المصنوعة في آسيا والتي لم يتعرف اليها بعد. وكانت تلك النفائس كلها مطمورة تحت طبقة من حب الفلفل تبلغ سماكتها مترين.

ولم يكن كشف ستينوي هذا وليد

الحظ، وانما اتى نتيجة بحث طويل وشاق. انه سعى طوال عشر سنين في اثر هذا الكنز. والرجل عالم آثار يعمل تحت سطح البحر على تحديد مواقع السفن الغارقة تمهيداً لسحب التحف المطمورة تحت حطامها. وتؤلف مجموعة اطباق البورسلين هذه جزءاً من شحنة توابل ونفائس شرقية كانت محملة على متن "الوايت لايون" (الاسد الابيض)، وهي سفينة شراعية هولندية كانت تعمل على خط الهند التجاري وقد اغرقتها سفينتان برتغاليتان في طريق عودتها من جزيرة جاوه (في اندونيسيا) قبل اربعة قرون.

وقد كشف ستينوي النقاب عن حطام عشر سفن توازي بأهمية حمولتها حمولة "الوايت لايون". كما عثر على اثنتي عشرة سفينة اقل اهمية. وتبقى القيمة التاريخية لمئات الكيلوغرامات من الذهب والفضة التي انقذها ستينوي اعظم من القيمة الشرائية لهذين المعدنين الثمينين. وتعتبر اكتشافات ستينوي من اهم الانجازات الاثرية البحرية في العقد الاخير. وهو خص بنشاطه المراكب التجارية التي كانت تذرع البحر ذهاباً واياباً بين اوروبا الحديثة والمشرق. وهو من رواد الغوص في المياه الجليدية المظلمة والخطرة في شمال الاطلسي وفي بحر الشمال.

ويقول العقيد جاك فيشو، المدير الفخري للمتحف البحري في باريس: "ان ستينوي يتمتع بالميزات الذهنية والجسدية اللازمة لهذا العمل. فعنايته التامة بتخطيط حملاته الاستكشافية ومعرفته الواسعة وقدرته على الاحتمال مزايا قلما اجتمعت في شخص واحد".

كنوز مغمورة ـ عندما كان ستينوي في السابعة عشرة من عمره، كان يدرس العلوم السياسية في جامعة بروكسل، مسقط رأسه، في بلجيكا. في ذلك الوقت قرأ الشاب المولع بالمطالعة كتاباً بعنوان "٦٠٠ مليار مطمورة تحت سطح البحر". وفي هذا الكتاب اورد المؤلف لائحة بـ٤٦٣ سفينة محطمة تحوي كل منها كنزاً. وكان ستينوي في هذه الاثناء اتقن فن الغوص في المياه العميقة لاكتشاف الانهر الجوفية والكهوف المغمورة بالمياه. فبدأت الاحلام تراوده.

ان نحو مليون مركب غرقت في المياه الاوروبية خلال القرون الخمسة الماضية. وكان كثير منها يحمل ذهباً وفضة. فهذان المعدنان كانا العملة الوحيدة المتداولة في الماضي.

وبعد اشهر طويلة من البحث في المكتبة الملكية في بروكسل، وجد ستينوي ان الكنز الذي يبشر بالخير اكثر من سواه، والذي يسهل الوصول اليه قبل غيره، هو حمولة سفن الغليون الاربع عشرة، وهي سفن تجارية شراعية تابعة لاسطول الفضة الاسباني. وقد غرقت هذه السفن عام ١٧٠٢ في خليج فيغو في مقاطعة غاليسيا الاسبانية، وذلك في طريق عودتها من جزر الهند الغربية. عندئذ صمم الشاب، الذي استهوته فكرة كشف الكنوز المطمورة تحت سطح البحر، على ترك الدراسة. ثم سافر الى اسبانيا.

ولم يعثر ستينوي في فيغو الا على

انقاض المراكب. ولم يستطع شق نفق في مئات الامتار المكعبة من الغرين التي كانت تغطي البضائع النفيسة، فهو لم يكن يملك الاجهزة اللازمة. وفي العام ١٩٦٢، عندما نفدت نقوده، تسلم وظيفة لدراسة بقايا سفن القادس الاغريقية (سفن شراعية كبيرة ذات مجاذيف) التي غرقت في البحر الابيض المتوسط. عندئذ ادرك ستينوي القيمة التاريخية لعمله. فاغراه ذلك، وتحول صياد الكنوز عالم آثار هاوياً.

انقطع الشاب الى دراسة تاريخ الملاحة الاوروبية. فكان يمضي ساعات فراغه منقباً في المكتبات الكبرى المنتشرة عبر القارة. وجمع ملفاً كبيراً ضمنه لائحة بالسفن التي غرقت، محاولا تحديد ظروف غرقها. كما وسم ابواب ملفه بنجمة او نجمتين او ثلاث، تشير الى امكان الوصول الى السفن المطمورة والى قيمة حمولتها.

وفي احد المؤتمرات العالمية المتعلقة بالنشاطات البحرية، التقى ستينوي الباحث هنري ديلوز الذي يملك مختبراً صغيراً للعمل تحت سطح البحر وشركة لانقاذ السفن تدعى "لا كوميكس". وتعهد ديلوز بتأمين الرجال والمواد الضرورية لبحوث ستينوي، وهو لا يزال يمول حملات الاخير الاستكشافية.

ثلاث نجوم — من عوامل نجاح حملات ستينوي اعتماده اسلوب التحري ومنطقه. وخير مثال على ذلك ما فعله في عملية الكشف عن سفينة "لا جيرونا" التي غرقت وسط عاصفة هوجاء عام ١٥٨٨. فقد وضع ستينوي ثلاث نجوم امام اسم هذه السفينة التابعة لاسطول "الارمادا" الاسباني، لانها كانت تحمل عند غرقها بحارة خمس سفن اخرى تحطمت قبلها. وكان بين المسافرين ستون نبيلا اسبانياً حملوا اثمن جواهرهم كي يتقلدوها في احتفالات النصر على بريطانيا.

وأفادت التقارير الرسمية المحفوظة منذ ذلك العهد ان "لا جيرونا" غرقت عند مصب نهر بوش في ايرلندا. لكن الغواصين الذين نقبوا في تلك المنطقة لم يعثروا على اثر لتلك السفينة، مع ان ربان سفينة اسبانية كتب في العام التالي لغرق "لاجيرونا" انه رأى صيادي الاسماك المحليين في ايرلندا يعبثون بالممتلكات النفيسة لمواطنيه التعساء. فخامر ستينوي شك في ان يكون سكان الشاطىء الايرلندي ارشدوا السلطات الحكومية الى اثر مزيف.

وتأكدت ظنون ستينوي عندما درس خريطة نشرت عام ١٩٠٤. فلاحظ انه على بعد بضعة كيلومترات من مصب نهر بوش يقوم خليج يدعى "بورتنا اسبانيا" (ميناء الاسبان). وقد عاش هذا الاسم الشعبي للخليج عبر العصور، وتبناه واضعو الخرائط.

وفي ٢٧ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ القى ستينوي مرساته في بورتنا اسبانيا. وبعد غوص لم يتجاوز الساعة، عثر على لوح رصاص يعود حتماً الى الارمادا الاسبانية. وكانت سفينة "لاجيرونا" الوحيدة بين سفن الاسطول الاسباني التي غرقت في تلك المنطقة.

انتشل ستينوي ١٢٠٠٠ جسم مختلف من حطام "لاجيرونا" بعد اعمال حفر استغرقت ثلاثة فصول صيف متتالية. ولانجازه هذا قيمة تاريخية فريدة لانه لم يتم من قبل استخراج مدفع، او حتى مسمار واحد، من الارمادا. وتضم المستخرجات ٤٠٥ قطع نقدية ذهبية و٧٥٦ قطعة نقدية فضية و١١٥ قطعة نقدية نحاسية سكّت في ستة بلدان وفي ثمانية عهود. وبعض هذه القطع النقدية لم يكن معروفاً من قبل.

الى ذلك هناك مجموعة من الخواتم والميداليات، وثماني سلاسل ذهبية، ومجموعة نادرة من الاسلحة والذخائر. وتلقي هذه المكتشفات نوراً على الجواهر المصنوعة في عهد النهضة وعلى اسلحة الارمادا كذلك.

نور جديد ـ اشخاص قليلون يمكنهم ان يتحملوا عناء دراسة الالغاز التي تكتنف سفينة "لاستدراغر"، وهي سفينة مؤن هولندية فقدت عام ١٦٥٣ على الخط التجاري لشركة الهند الشرقية. واستهل ستينوي دراسته بمراجعة ٣٧٤٨ رحلة بحرية مدونة في سجلات الشركة، كي يتأكد من ان السفينة غرقت فعلا وهي في طريقها الى الهند عند جزيرة ييل التابعة لارخبيل شتلاند (شمال اسكوتلندا).

كانت السفينة تحمل ٤٠٠ طن من البضائع الاوروبية الى جانب كمية من السبائك الذهبية وما يزيد على ٣٧٥٠٠ فلورين هولندي. وقرأ ستينوي كل ما كتب عن تاريخ الشركة قديماً وحديثاً، الى حد انه قرأ اكوام الخرائط القديمة والبيانات الموضوعة حول السفن وحمولتها وملفات ورسائل جمعت في ٢٧ كيلومتراً من الكرتون الذي اسود" بفعل الغبار المتراكم. وقد حفظت هذه الوثائق في المكتب الملكي للسجلات في لاهاي (هولندا).

وبعد اشهر من العمل المرهق، قرأ ستينوي وصفاً لحادث الغرق كتبه احد الناجين، وهو مساعد كاتب يدعى يان كمفويجز، قال فيه: "القى بي الموج على احدى الصخور،فتسلقتها حتى بلغت قمتها حيث لمست يداي عشباً. ورحت امشي. وما لبثت ان وقعت في بئر ماء عذب بالغة العمق، فكدت ان اغرق. ثم رأيت شرراً يتطاير في السماء. فسرت في اتجاه مصدره، واذا بي امام بيت من حجر يقوم فيه دكان حداد".

وعلى الاثر انطلق ستينوي يدرس معالم جزيرة ييل. فوجد فوق قمة جبل كروسانس اطلال بيت منعزل. كما عثر على بئر ماء عذب على الشاطئ الغربي. واخبرته سيدة عجوز كانت آخر من سكن هذا البيت الخرب ان دكان حداد كان يشغل قسماً من البيت لقرون خلت.

وفي صبيحة اليوم التالي باشر فريق ستينوي سبر غور البحر في جوار ذلك الموقع. وفي غضون ثلاث ساعات عثر الغواص لويس غورس على مدفع وقطعة نقدية من فئة الباتاكون الهولندي، سكت في العام ١٦٣٢، على بعد بضعة امتار من المدفع. وهكذا حُدد المكان الذي غرقت فيه "لاستدراغر" وامكن بدء استخراج حمولتها من تحت سطح البحر.

ويقول ستينوي: "الحقيقة ان حطام السفينة ليس كما يبدو في الافلام،

اذ لم يبق البحر الهائج من "لاستدراغر" التي طمرت منذ ثلاثة قرون او اربعة سوى انقاض مبعثرة. فكل ما وجدناه من هيكلها هو بضعة براغيّ هديد كبيرة وقطعة حبل طولها ثلاثة سنتيمترات".

كما السحر - يعمل فريق من اربعة غواصين او خمسة فترة تراوح بين ستة اشهر وبضع سنوات في التنقيب عن حطام احدى السفن. وخلال اشهر السنة الدافئة - بين مايو (ايار) وسبتمبر (ايلول) - يعمل الغواصون يومياً قرابة خمس ساعات في مياه قلما تتجاوز حرارتها الدرجات العشر وهناك ينخر البرد عظامهم ويجمد اعناقهم ويشل عضلاتهم.

ويضيف ستينوي: "في اغلب الاحيان عليك ان تشق طريقك في ارض البحر التي تغطيها الطحالب العملاقة وتتناثر فوقها الصخور، وعلى عمق عشرة امتار تشعر بموج البحر يهزك كما تهز الرياح غصناً صغيراً ويقذف في وجهك الرمال. فتتسمر في مكانك ولا تعود ترى شيئاً، فتجن من الخوف والارتباك".

ويوماً بعد يوم يتابع الغواصون اعمال البحث والتنقيب وحفر الانفاق في اطنان الغرين المتراكمة. ويشرح ستينوي هذه العملية: "اننا نحتاج الى معدات خاصة في عملنا، ذلك لان بقايا السفن تستقر عميقاً تحت سطح البحر. ونستخدم خراطيم النفخ الضخمة التي تتطاير الحجار والحصى بفعل ضغطها، ويمكنك ان تزيل جبالا بهذه الطريقة. كما نستخدم آلة سحب تشبه المكنسة الكهربائية". وعندما يصل الغواصون الى الصخور العارية، يشرعون في فحص الشقوق والثقوب فيها، كما يتفحصون الرمال والحصى والاصداف بدقة.

وتكون الآثار السليمة مطمورة عادة في تجمعات ضخمة من البارود والصدأ والرواسب الكلسية والاصداف البحرية والرمال. ويقول ستينوي: "اننا نضع هذه الكتل المتحجرة الضخمة على متن السفن. وبعدئذ نشرع في كسر القشرة بحذر. وكما السحر، تخرج من تحت الرواسب السوداء مجموعات من العملات الذهبية والاباريق البيوترية (القصديرية) والاحزمة الجلدية والملاعق الفضية والشمعدانات".

باعث التاريخ - يستحق ستينوي الشكر والثناء لانه اعاد كتابة صفحات كاملة من التاريخ. انه استخرج من حطام "الاستدراغر"، اقدم سفينة هولندية تابعة لشركة الهند الشرقية في المياه الاوروبية، ٨٥ آلة ملاحة نادرة بينها ذراع اسطرلاب (آلة فلكية قديمة لقياس بعد النجوم). وقد حفظت هذه القطعة الفريدة، التي لا يأتي على ذكرها اي كتاب في تاريخ الملاحة المعاصر، في متحف امستردام البحري، وتشكل قنابل المدافع المحرقة، التي استخرجها ستينوي من "افستافي"، البارجة الروسية التي غرقت قرب ارخبيل شتلاند في ١٧٨٠، سلاحاً سرياً لم يقع على مثله الخبراء المعاصرون. والدليل الوحيد الى هذا السلاح كان ذكره في تقرير ديبلوماسي فرنسي كان يعمل في مدينة بطرسبورغ (لينينغراد حالياً) في القرن الثامن عشر.

واستخرج عالم الآثار البحرية من



روبرت ستينوي ينبش حطام لاستدراغر.

لاستدراغر" ايضاً جسماً غريباً يشبه لمقبض، هو قطعة من آلة جراحية دعى "منشار الجمجمة". ويثبت هذا لاكتشاف ان الجراحين المسافرين على متن السفن في القرن السابع عشر كانوا يجرون جراحات في الرأس.

ان القوانين المتعلقة بالسفن الغريقة منذ امد بعيد غامضة وتختلف من بلد الى آخر. وقبل مباشرة العمل في نبش الآثار المطمورة تحت حطام سفينة ما، يتعين على ستينوي الحصول على امتياز التنقيب من مالك السفينة، اذا كان هنالك مالك، او من حكومة البلد الذي غرقت السفينة في مياهه الاقليمية. وفي بريطانيا، مثلا، يتولى سمسار الآثار المستخرجة من حطام السفن، وهو موظف حكومي، بيع هذه المستخرجات في مزاد علني للمتاحف وهواة جمع الآثار. ويتلقى هنري ديلوز، وهو ممول عمليات الانقاذ التي ينفذها ستينوي، حصة من الارباح تراوح بين ٣٠ و ٩٥ في المئة.

ولدى زيارتي شقة ستينوي في حي آكل في مدينة بروكسل، فوجئت بان معروضات متحفه الخاص قليلة جداً، فهو يضم بعض القطع الخزفية والقوارير الزجاجية وشمعداناً من قصدير. وهو قال لي: "انا لا املك شيئاً لم اشتره في المزاد العلني".

والى العمل الانقاذي الذي التزم به ستينوي، الف هذا الرجل الذي لا يعرف الكلل ثلاثة عشر كتاباً حول المغامرات التي تجرى تحت سطح البحر، اضافة الى مئات المقالات التي نشرها في مجلات علمية متخصصة ومجلات ثقافية عامة. كما توجه اليه دعوات لالقاء محاضرات في امكنة عدة. وقد انتج التلفزيون البريطاني ثلاثة اشرطة عن حملات ستينوي الاكتشافية. ولما سألت ستينوي كيف يجد الوقت الكافي لكل هذه الاعمال، اجابني: "عندما تحيا الحياة التي طالما حلمت بها، يصبح كل امر سهلا".

■ كاترين غاليتسيز

زيارتي تشرّفكم

في احد الايام ذهبت واستاذي روجيه غيبار لزيارة ساشا غيتري في منزله. فما كان من المعلم الا أن مدّ يداً طوباوية كما يفعل الحبر الاعظم، وقال بصوت مسرحي: "انه لشرف كبير لكما ان تأتيا لرؤيتي".

جيد رومان



راديو مونت كارلو

RADIO MONTE CARLO

الاذاعة الأكثر شعبيّة والأكثر فعالية في العَالم العَربي

الاسلوب الأحسن في الأعلام

أهم النشرات (بتوقيت غرينتش)

الساعة: ٠٠،٠٤ - ٠٠،٠٥ - ٠٠،١٢ - ٠٠،١٧ - ٣٠،١٩

---

٢٤٤ مترًا - ١٢٣٢ كيلوهرتز

أمل جديد لملايين النساء في العالم

فريق طبي كرس جهوده لتطوير اختبارات التلقيح داخل الانابيب٠ فهل يشهد المستقبل القريب تعميم هذه التجارب؟

في ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٧٨ رن جرس الهاتف في منزل الدكتور هوارد جونز وزوجته الدكتورة جورجيانا، ستاذي طب التوليد في كلية الطب التابعة لجامعة فرجينيا الشرقية في نورفوك٠ولما رفع الدكتور جونز السماعة فوجيء بأحد المراسلين الصحافيين يسأله بلهفة:

"هل سمعت عن اول طفل انبوب تم نجابه في مقاطعة لانكاشير الانكليزية؟ وهلا تكرمت وشرحت لنا الاساليب الطبية التي اتبعت في هذه العملية"٠ ربما كان الدكتوران جونز ملمين بهذا الامر اكثر من اي شخص آخر في بلدهما فهما عالجا كثيراً من حالات العقم البشري طوال اربعين سنة٠ والدكتور هوارد جونز جراح مختص بالامراض النسائية، وزوجته جورجيانا اختصاصية بالامراض النسائية وامراض الغدد الصماء (التي تفرز الهرمونات)٠ ومنذ ١٥ سنة، عندما كان الدكتور جونز يعمل في كلية الطب التابعة لجامعة جونز هوبكنز في بلتيمور (ولاية ماريلاند الامريكية)، امد الدكتور روبرت ادواردز ببيضات بشرية استخرجها من مريضاته خلال جراحات ضرورية٠ وكان ادواردزمختصاً بوظائف الاعضاء

التناسلية وباحثاً في جامعة كمبريدج في انكلترا. وهو حضر الى بلتيمور لاجراء بعض البحوث. واتقن ادواردز اسلوب تلقيح بييضات الفئران خارج جسم الفأرة، وذلك في صحفة بتري (صحن زجاجي صغير ذو غطاء يستعمل لزرع البكتيريا).

ومع مرور الزمن، استطاع ادواردز ان يلقح البييضات البشرية بهذه الطريقة وتمت التجربة الاولى في هذا المجال عام ١٩٧٨. وطور ادواردز، بمساعدة طبيب الامراض النسائية الدكتور باتريك ستبتو، اسلوب الاختراق الذي مكن السيد جون براون وزوجته العاقرين من انجاب طفلهما الاول الذي تكلم عنه المراسل الصحافي في اتصاله الهاتفي.

وسأل المراسل الصحافي: "هل يمكن تطبيق التجربة الانكليزية هنا في نورفوك"؟

فأجاب الدكتور هاورد: "اني لا ارى ما يحول دون ذلك. لكننا نحتاج الى المال لتجهيز مختبر صغير".

تمهيد الطريق – أخبرني الدكتور جونز كيف بدأ البرنامج: "الحقيقة ان فكرة خوض هذه التجربة لم تخطر في بالنا. ولكن بعد نشر المقابلة الهاتفية ببضعة ايام اتصلت بي سيدة كانت جورجيانا نجحت في معالجتها بالطرق التقليدية. وابدت رغبتها في اتاحة الفرصة لسائر النساء كي يتمكن من الحمل بواسطة الاسلوب الجديد. وتبرعت بخمسة آلاف دولار لتمويل هذا المشروع".

واقر المشروع بعدما تبناه الدكتور مايسن اندروز، رئيس قسم التوليد والامراض النسائية، وبعدما درسه مجلس ادارة كلية الطب واللجنة التنفيذية للهيئة الطبية في مستشفى نورفوك العمومي (مقر المختبر المقترح) ومجلس ادارة المستشفى. وسنت انظمة البرنامج الاساسية على النحو الآتي:

- يفيد من خدمات البرنامج كل ذكر وانثى متزوجين زواجاً قانونياً ويعيشان حياة مشتركة مستقرة.
- لا يجوز ان تلقح بييضة امرأة الا بواسطة المني المستخرج من زوجها، على ان يوضع الجنين في رحمها.
- تعاد البييضات التي ينجح تلقيحها الى رحم المرأة فلا تطرح جانباً او تهمل.
- تفيد من خدمات البرنامج كل سيدة تعاني عطلا في قناتي فالوب (قناتان تنتقل البييضات عبرهما من المبيض الى الرحم). ويجب ان تكون السيدة دون الخامسة والثلاثين من العمر، وان تملك مبيضاً سليماً واحداً على الاقل ورحماً طبيعياً ودورة شهرية منتظمة.

وادخل لاحقاً بند آخر افادت منه السيدات اللواتي يعاني ازواجهن نقصاً في حيواناتهم المنوية. فلكي يتم تلقيح البييضة خلال عملية الجماع، يجب ان يحوي كل سنتيمتر مكعب من السائل المنوي عشرة ملايين حيوان منوي حي. أما عملية التلقيح الاصطناعي فيمكن نجاحها اذا توافر ٥٠ الف حيوان منوي حي فقط.

وتسربت اخبار المشروع الى الصحافة على اثر زيارة الدكتور ستبتو لمستشفى نورفوك. وانهمرت الطلبات التي تجاوزت الثلاثة آلاف للافادة من خدمات البرنامج. فوزعت

اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ ــ ذو الحجة ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

وفروا ٥٠٪

ايها الازواج سعادتكم بين ايديكم

(ص ٣٤)

قصة حياتها

وسائل للتغلب على الاجهاد

(ص ١٧)

لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٣٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف تونس ٧٠٠م ـ المغرب ٤ د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا واميركا الشمالية ٢د.

AL MUKHTAR min Reader's Digest October 1980 № 23.

اشتركوا اليوم في المختار

ادفعوا ١٢ دولارًا بدلاً من ٢٥ دولارًا
واربحوا جوائز تصل قيمتها الى ٥ آلاف دولار
(عرض خاص يستمر حتى آخر السنة)

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

تملأ القسيمة وترسل مرفقة بشيك مصرفي باسم

AL MUKHTAR min Reader's Digest

يعطى كل مشترك رقما ويجري السحب على هذه الارقام في تاريخ يعلن في ما بعد وتنشر النتائج في الصحف.

ترسل القسائم الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V
75008 Paris, France

نسخ من استمارة (مجموعة اسئلة لاستطلاع الآراء) على كل اللواتي توافر لديهن الحد الادنى من المؤهلات. واختيرت منهن خمس وعشرون سيدة لاجراء مقابلات معهن. وفي نهاية المطاف تقرر اخضاع ١١ سيدة للتجارب الاولى التي عينت مواعيدها في شهري مارس (آذار) وابريل (نيسان) ١٩٨٠.

توقيت مناسب ـ في فترة الخصب تنتج معظم النساء بييضة واحدة كاملة النمو خلال كل دورة حيض. وتنمو البييضة داخل جراب صغير يشبه البثرة فوق سطح احد المبيضين، حتى اليوم الرابع عشر من دورة الحيض (اليوم الاول هو اليوم الاول من النزف). وينمو الجراب الى ان يبلغ قطره ٢٣ مليمتراً. فينفتح لتخرج منه البييضة وتغادر المبيض. وتنتقل البييضة الى إحدى قناتي فالوب حيث تلقح، اذا توافرت الحيوانات المنوية، وتصبح جنيناً في غضون ٣٦ ساعة. وفي هذه الاثناء تكون الهرمونات (افرازات الغدد الصماء) قد اعدت الرحم لاستقبال الجنين. وبعد ٧٢ ساعة من خروج البييضة، ينتقل الجنين من قناة فالوب ليستقر في الرحم.

كان لا بد لاطباء مستشفى نورفوك العمومي اذا هم ارادوا تقليد العملية الطبيعية ـ من انتزاع البييضة من المبيض قبل خروجها من الجراب، وتلقيحها اصطناعياً خارج قناة فالوب غير القادرة على اتمام هذه العملية. لكن المشكلة الرئيسة هنا تكمن في التحديد الدقيق لوقت توافر بييضة كاملة النمو في احد مبيضي المريضة وانتزاعها قبل خروجها من الجراب.

وتلك عملية مملة ومضنية، خصوصاً في حال كحال سيدة في الحادية والثلاثين كان عليها ان تأتي الى نورفوك من ولاية بعيدة. فحضرت اول الامر في صحبة زوجها لاجراء المقابلة الحاسمة والفحوص، وعادت الى بيتها لتنتظر. وهي خالت الزمن توقف قبل ان تتلقى رسالة تنبئها بأنها رشحت للتجربة. فكان عليها ان تقوم بثلاث رحلات اخرى كان هدف الاولى منها معاينتها ابتداء من اليوم الثامن من دورتها الشهرية الى ان تتجاوز خروج البييضة ببضعة ايام.

يومياً كانت تلك السيدة تزور مستشفى نورفوك، وهو بناية حديثة شاهقة. وهناك كان الدكتور جايرو غارسيا، طبيب النساء الكولومبي الشاب الذي تدرب على الدكتورة جورجيانا جونز، يراقب درجة حرارتها ويفحص حوضها باحثاً عن اي تغيير يطرأ على المخاط العنقي اوعن اي مؤشر نمو في خلايا المهبل او عنق الرحم. كما اخضعت يومياً لفحوص فوق ـ سمعية اجراها الدكتور جاك راري (٣٤ سنة) الذي كان يضع جهاز احساس على بطن السيدة ويراقب نمو البييضة على شاشة فلوريسية صغيرة. ولما اشارت المقاييس الى مستويات معينة، طلب الدكتور غارسيا الى السيدة ان تحضر الى المستشفى مرة كل اربع ساعات لاجراء فحوص دم، وذلك ابتداء من الساعة الثامنة صباح اليوم التالي. واستغرقت هذه الفحوص يومين كاملين، كابدت خلالهما السيدة آلاماً نظراً الى ضيق اوعيتها الدموية.

وخلال الزيارة الثالثة بدا القلق والاضطراب واضحين على السيدة، ذلك لان الاطباء كانوا سيختبرون عملية التلقيح. فهدأ الدكتور غارسيا روعها قائلا: "ان الاضطراب الشديد قد يوقف عملية خروج البييضة يا سيدتي".

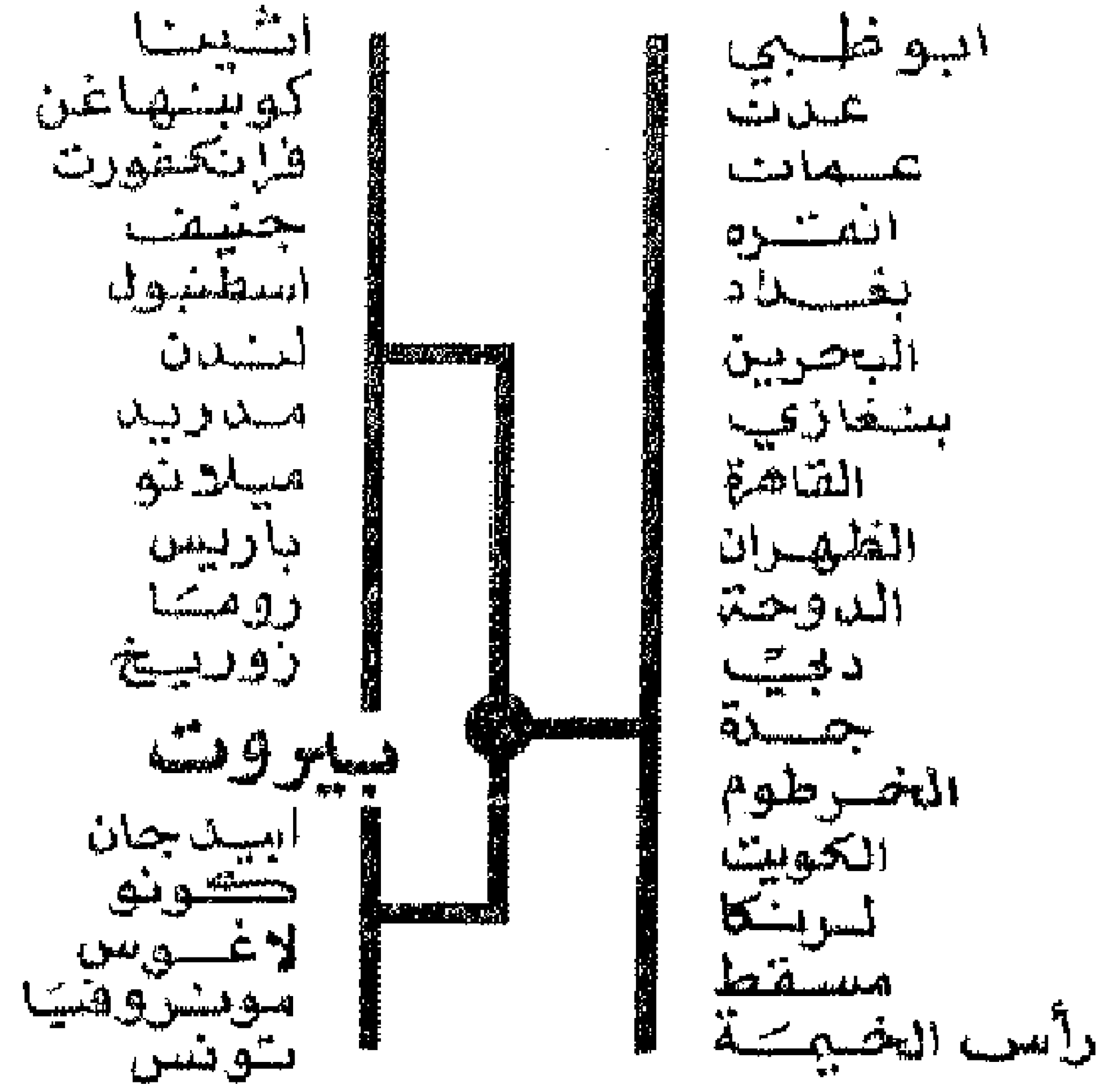
واستدعي زوج السيدة. وبعدما اشارت فحوص الدم والاختبار فوق - السمعي الى اقتراب موعد خروج البييضة، ادخلت السيدة المستشفى استعداداً لجراحة بسيطة. وفي الوقت نفسه استخرج الاطباء كميةمن السائل المنوي لدى الزوج.

اني اراه! - في الثامنة من مساء ذلك اليوم نقلت السيدة الى غرفة العمليات في قسم التوليد والامراض النسائية في الطبقة الرابعةمن المستشفى. فخدرها اختصاصي التخدير بينما راحت ممرضات مقنعات يفركن بطنها بسائل مطهر. وفي الغرفة المجاورة كان الدكتور هوارد جونز والدكتور انيبال اكوستا (٥٠ سنة) يغسلان ايديهما وينظفان سواعدهما حتى المرفق. ثم رفع الدكتور اكوستا الملاءة الخضراء التي تغطي السيدة واحدث جرحاً صغيراً عند سرتها . وضخت ممرضة قليلا من غاز ثاني اوكسيد الكربون داخل بطن السيدة كي يتمدد. ثم ادخل الدكتور اكوستا في الجرح مجهراً صغيراً خاصاً، وهو آلة انبوبية ذات عدسة محدبة. وبعدما حدق قليلا قال باعتزاز: "اني ارى المبيض، وارى الجراب سليماً".

وادخل الدكتور اكوستا ملقطاً عبر جرح ثان صغير احدثه تحت الجرح الاول، وامسك بالرباط المتصل بالمبيض. ثم طلب ابرة مجوفة خاصة تتسع لـ٤٥٠ مليليتراً وادخلها عبر انبوب المجهر الى قلب الجراب. وبواسطة حقنةمركبة في رأس الابرة سحب خمسة مليليترات من السائل الجرابي. فلو حالف الفريق الطبي الحظ لكشفت الفحوص المجهرية عن وجود بييضة صغيرة جداً يبلغ قطرها ثلاثة اعشار المليمتر.

ونقلت الابرة بسرعة الى غرفة المختبر المعقمة والملاصقة لغرفة العمليات. هناك افرغ السائل في صحفة بتري مسخنة تحوي مادة تشبه تلك التي توجد داخل قناة فالوب. ففحصها الدكتور راري ليعلن باختصار: "لقد استخرجنا بييضة كاملة النمو". عندئذ اضيفت الى محتويات صحفة بتري حيوانات الزوج المنوية بعدما افرغت من انبوب زجاجي مسخن. ولم يبق سوى الانتظار.

بعد احتضان البييضة والحيوان المنوي مدة ١٨ ساعة فيمستوى حرارة الجسم، (٣٧ درجة مئوية) نقل الدكتور راري البييضة الى مادة زرع اخرى لمدة ١٨ ساعة اخرى كي تجري عملية الانشطار الخلوي وتتثبت حقيقة التلقيح. ولما تم ذلك اعيدت المرأة الى غرفةالعمليات حيث ادخل الجنين رحمها عن طريق عنق الرحم. ثم سمح لها بمغادرة المستشفى في اليوم ذاته، على ان تبقى اسبوعاً آخر في نورفوك تخضع خلاله لفحص دم يومياً. وعادت المرأةالى منزلها تترقب اتمام دورتها الشهرية. ولما تمت هذه الدورة حدث النزف، وعنى ذلك اخفاق التلقيح. فخابت آمالها



في جدول رحلاتنا الحالي يمكنكم أن تجدوا الرحلة المناسبة وموعد السفر الملائم

تؤمن شركة طيران الشرق الأوسط اوسع خيار من الرحلات انطلاقاً من بيروت الى ٣٣ مدينة في اوروبا - الشرق الاوسط وافريقيا. أن شركة طيران الشرق الاوسط التي تتمتع بـ ٣٤ سنة من الخبرة تؤمن لكم جدول رحلات دقيق يضمن راحتكم ويلائم أعمالكم.





الشركة التي تستحق ثقتكم

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية

لكنها عادت بعد ستة اسابيع الى تجربة اخرى.

لقد اجرى فنيو مختبر التلقيح حتى الان سبع تجارب ناجحة لاستخراج البييضة وعمليتي زرع بييضة ملقحة لم تنجح اي منهما. واذا حملت سيدة تخضع للمعالجة في برنامج التلقيح الاصطناعي هذا، فسوف تعامل معاملة الحوامل الاخريات. فلا تعود الى زيارة مستشفى نورفوك،ويمكنها ان تضع مولودها في اشراف طبيبها الخاص او بمساعدة قابلة قانونية.

وعلى اي حال، فان اطباء مستشفى نورفوك العمومي يأملون في متابعة نمو الولد حتى السنة السابعة من خلال تقارير الطبيب الذي اشرف على الوضع والطبيب الذي يعنى بامر الولد.

ويعلق الدكتور هوارد جونز على ذلك: "لا يزال المشروع برمته في طور التجربة. ونحن لا نعرف الاجوبة عن كل الاسئلة، لكننا نعرف الصعوبات، وجميعها قابل للحل".

■ ولتر روس



الطيور وأشكالها

ألصقت امي على حائط المطبخ العبارة الآتية: "لا تبادر قط الى لوم زوجتك على اخطائها. وتذكر ان هذه الاخطاء الصغيرة هي التي حرمتها زوجاً افضل منك".

ت.ك.

قدر النساء

في بلدي ماليزيا، لا يشارك الرجال عادة في الاعمال المنزلية. ولكن بعدما أمضيت سنة في نيوزيلندا، تعلمت أن أقوم بجميع الواجبات المنزلية.

وفي رحلتي الاولى الى ماليزيا بعد ذاك، قلت لأخواتي مرة اني ساساعدهن في تنظيف البيت.

فصرخت احداهن: "ما الذي دهاك؟ أليس في نيوزيلندا امرأة واحدة؟"

ك.ف.

بعد الشقاء... لا بقاء!

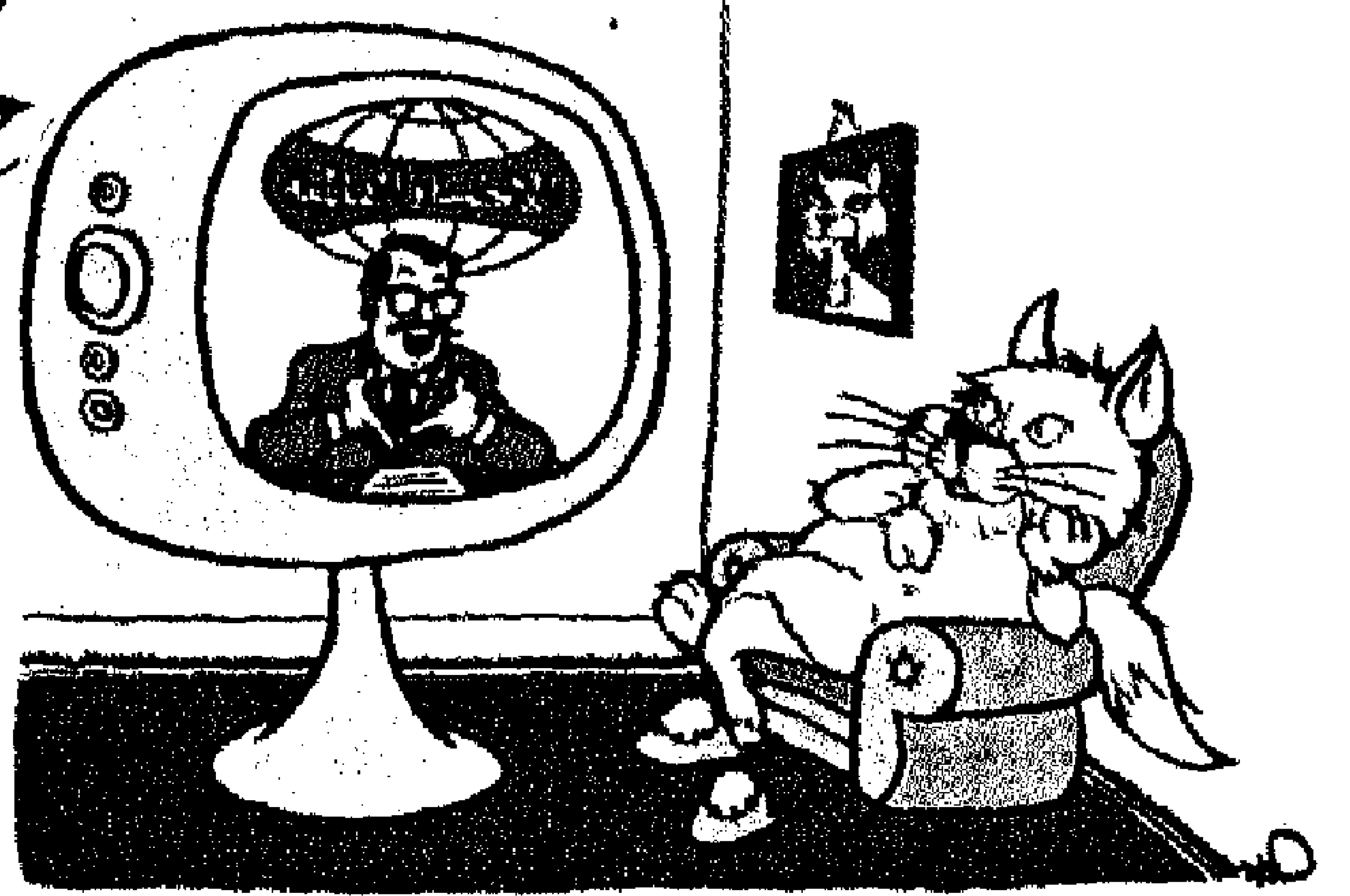
بعد اربعين درساً في سوق السيارات وتسع سنوات من الخيبة، نجحت السيدة ميريام هارغريف في امتحان سوق السيارات في لندن.

وكانت تلك الجدّة البالغة من العمر ٦٢ سنة قد اخفقت في عدد كبير من الامتحانات حتى غدت اشهر طالبة قيادة سيارات في بريطانيا. لكنها اصرّت على المضي قدماً، تحفزها رغبة في اخذ زوجها البالغ من العمر ٧٩ سنة الى نزهات في الريف.

غير انه لا تزال هناك مشكلة واحدة امام السيدة هارغريف التي دفعت ٣٠٠ جنيه استرليني في مقابل دروس السّوق، وهي انها لا تملك ثمن سيارة.

رويتر

حكايات من العالم



زائر الملوك ... ملك

اذا شئت، خلال زيارتك المقبلة الى لندن، أن تدخل قصر باكنغهام الملكي عوضاً عن ان تمد عنقك من خلال السور من أجل رؤية افضل، فذلك ممكن ولا يكلفك شيئاً. كل ما عليك فعله هو أن تقول للشرطي على بوابة السور انك تود توقيع اسمك على دفتر الزيارات الملكية. عندئذ تدخل وتوقع اسمك ويرافقك حارس الى خارج القصر بحفاوة.

ن.م.

اشارات من زمرد

اذا كنت مزمعاً على تمضية عطلتك في زامبيا، فاحذر "باعة الزمرد" على قارعة الطرق. واذا كنت تقود سيارة هناك، فكن على استعداد لمواجهة الفوضى الناجمة عن سرقة اشارات المرور. والعلاقة بين هذين التحذيرين هي أن سارقي الاشارات يبيعون رقاقات الزجاج الاخضر الى السياح غير الحذرين على أنها قطع زمرد رفيع بأثمان زهيدة.

صحيفة "الفاينشال تايمس"، لندن

الكوكب الحزين

بعد ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩، لم يعد بلوتو ابعد الكواكب عن الشمس. فقد أعلن مارك تشارترانت من مرصد هايدن في نيويورك أن "الفلك الاهليلجي (البيضوي) الذي يتحرك فيه بلوتو بسرعة حمله الى داخل الفلك شبه الدائري لكوكب نبتون الذي سيبقى أبعد الكواكب السيارة عن الشمس حتى ربيع ١٩٩٩.

س.ر.

ما قدر يجب ان يكون

عرف عن روبرت وود جونسون، رئيس شركة "جونسون آند جونسون" السابق، انه يبث الرعب في نفوس الموظفين عندما يتفقد منشآت الشركة. وقد اعلم مدير احدى المنشآت ذات مرة بزيارة جونسون قبل نصف ساعة من موعدها. فأمر معاونيه بترتيب المكان بسرعة، وحمل الاوراق والاغراض المبعثرة الى سطح البناء.

وما كاد جونسون يدخل الغرفة حتى سأل بانفعال: "ما سقط المتاع هذا كله على السطح؟"

ولكن كيف كان للمدير ان يعرف ان رئيسه سيصل في طائرة الهليكوبتر الخاصة به؟

تصادف هذا العام الذكرى المئوية الثالثة لتأسيس مسرح "الكوميدي فرانسيز" في باريس،
ويحتفل الفرنسيون بولادته من جديد

انبعاث مسرح عريق



القاعة الكبرى كما تبدو من المقصورة الرئاسية.

عندما ارتفع الستار، استولت الدهشة على الجمهور: نصف كرة نحاسي مجوف يملأ مؤخر المسرح ويتألق تحت الاضواء الساطعة ويحدق الينا مثل مصباح السيارة.

كنت اتوقع ديكوراً كهذا في احد المسارح الاختبارية، لكنني الآن في "الكوميدي فرانسيز"، المسرح الوطني الرئيسي في فرنسا وبيت موليير الشهير، الذي عرف بتمسكه الشديد بالتقاليد. اضف الى ذلك ان المسرحية المقدمة هي "السيد"، احدى اكثر المسرحيات ثباتاً في التراث الكلاسيكي الفرنسي.

راح الممثلون يؤدون ادوارهم ببساطة وواقعية، محطمين ايقاع ابيات الشعر الاسكندري الجليل ذي التفاعيل السداسية، كي تبدو الكلمات طبيعية ومعاصرة. وفيما هزتنا مآثر رودريغ وأحزنتنا شيمين الباكية، شعرنا بأننا ابعد ما نكون عن الاساليب الخطابية الطنانة التي اتسمت بها عروض الماضي.

في العام ١٩٧٠ كان مسرح الكوميدي فرانسيز الذي اسسه الملك لويس الرابع عشر عام ١٦٨٠، في حال يرثى لها. فكل ما فيه عتيق وبال: ديكورات وتجهيزات قديمة، ملابس رثة، اسلوب منمق رتيب في تلاوة الادوار. وكان الممثلون والمخرجون في مأزق حرج. فابناء الجيل الجديد اهملوا الكوميدي فرانسيز. وفي لحظات يأس انسحب من الفرقة بعض ممثليها الاكثر دينامية.

عند ذاك قرر الممثل بيار دوكس، مديرالفرقة الجديد، ان يراهن

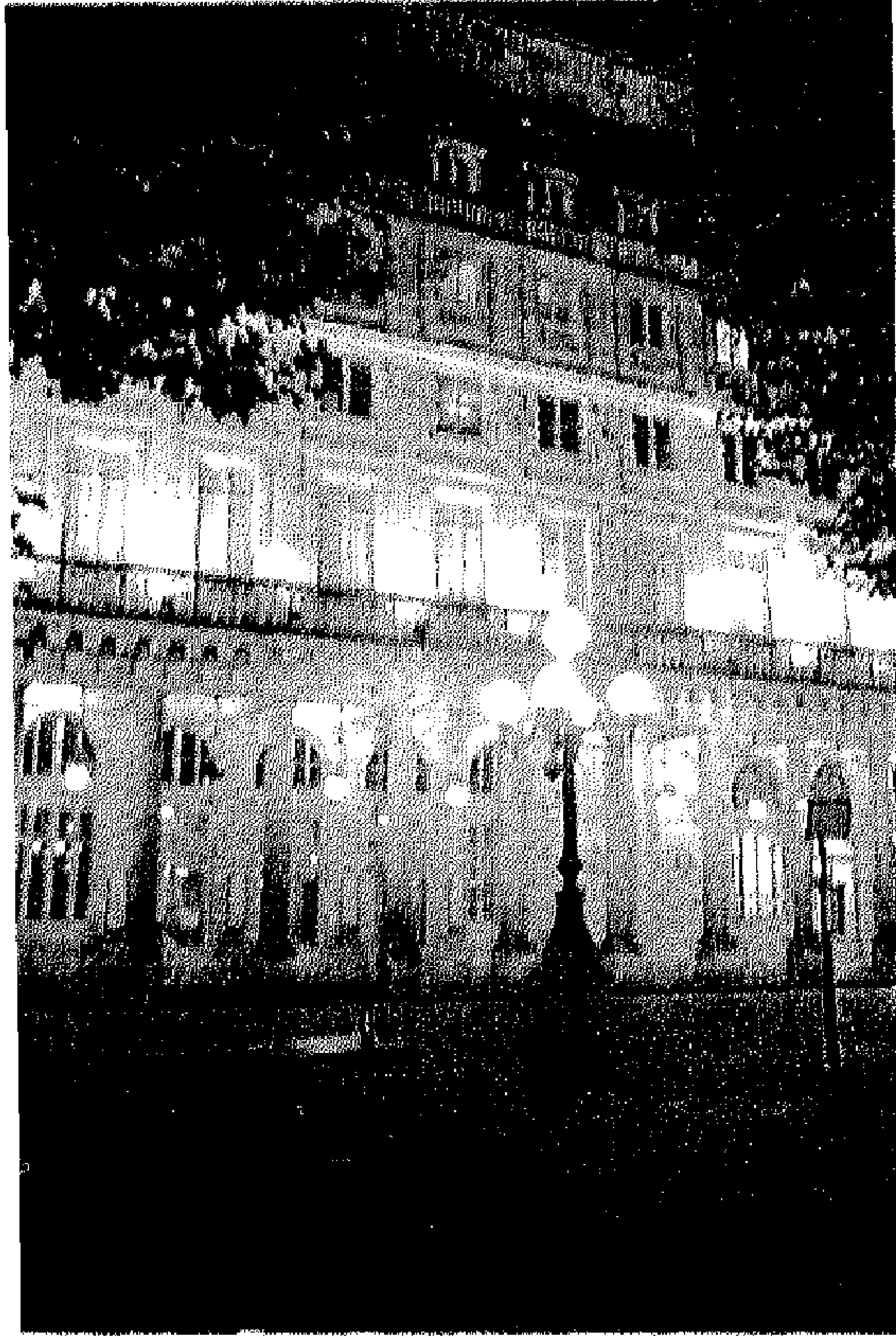


Photo SRD J.P. GERMAIN

مبنى المسرح ليلاً.

بسمعته على النجاح في قلب الاوضاع. وهو يتذكر: "خضت صراعاً طويلا اوصلني الى رئيس الجمهورية، جورج بومبيدو، لتأمين الاموال اللازمة لتجديد المكان برمته".

واستغرق تنفيذ الاصلاحات الضرورية وترميم المبنى اربعة اعوام (اغلق المسرح خلالها ٢٧ شهراً) وكلف اكثر من ٤٨ مليون فرنك فرنسي.

وأعيد فتح المسرح في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٦. واجمعت الصحافة الفرنسية على استحسان التجديد. وحثت مجلة "لو بوان" قراءها: "اسرعوا الى الكوميدي فرانسيز، فالمسرح استرد لسانه. نحن في مهرجان". وصدق الجمهور

النقاد وتدفق على المسرح. ويقول الامين العام جورج غيت: "في بدايةموسم ١٩٧٨ اضطررنا الى رفض نحو ١٣٠ الف طلب للاشتراك في المسرحيات". وتلبية للاقبال الفائض، كان على دوكس ان يعرض مسرحيات على خشبة باريسية ثانية.

الحاضر يحيي الماضي - من الخارج، لا يزال مسرح الكوميدي فرانسيز يبدو، الى حد كبير، كما بدا في ١٧٩٩ حينما انهى المهندس المعماري فيكتور لوي تشييده في احدى زوايا "الباليه رويال" (القصر الملكي) وسط باريس. فالقاعة تبدو كما كانت تماماً، وهذا افضل اطراء يمكن توجيهه الى المهندس المعماري لوي بلانشيه. ذلك لان التجديد المتحفظ والحذر اكتفى بابراز بساطة هذا الاثر الوطني وتناسقه.

لقد حيكت اغطية الجدران الدمقسية والمخملية خصيصاً في مدينة ليون لتطابق الشكل الاصلي. واستخدمت في حياكتها خيوط غير قابلة للاحتراق. والمقاعد الجديدة مريحة وانيقة. وجهز المكان بنظام حديث جداً للوقاية من الحريق. وهناك سبعة مكيفات هواء عملاقة مخفية في السقف. وحل نظام اضاءة الكتروني، مجهز بذاكرة متكاملة وحاسبات دقيقة، مكان المعدات القديمة المتداعية. واليوم يشرف فني واحد على جميع الدوائر الكهربائية.

الا ان التاريخ يتراءى لنا مع كل خطوة تخطوها. فالتماثيل النصفية لكورناي وفولتير وفيكتور هوغو تنافس صور كبار الممثلين والممثلات في الماضي والحاضر: تالما وساره برنار وماري بيل وسواهن. ان قساة القلوب وحدهم لا يتأثرون عندما يرون كرسي "مريض الوهم"، الذي انهار عليه موليير المحتضر فوق خشبة المسرح لاكثر من ثلاثة قرون خلت.

وعلى رغم هذه الذكريات المحركة للعواطف، فمن الواضح ان الكوميدي فرانسيز الجديد طرح عنه صورة المتحف. فالاعمال المسرحية الحديثة تنعش خزانته وتنشطها. واحتمال حضورك مسرحيات مونترلان فيه ليس اضعف من احتمال مشاهدتك روائع كورناي. وتكاد مسرحيات كلوديل توازي اثار موليير المعروضة عدداً. كما ان راسين يفسح الطريق لبريشت.

وفتح دوكس ابواب الكوميدي فرانسيز امام مخرجين اجانب: فاسناد مسرحية "السيد" الى المخرج تيري هاندز، المتخصص بالمسرح الشكسبيري، قدم الى الجماهير الفرنسية رؤية جديدة تماماً لمأساة كورناي. وكانت الروح نفسها هي التي حثت على دعوة المخرج السينمائي الايطالي فرانكو زفيريللي الى اخراج مسرحية الفرد دو موسيه "لورينزاتشيو"، التي اختيرت لافتتاح المسرح بعد تجديده. ويقول زفيريللي: "الروائع الفنية دائماً وثيقة الصلة بالاهتمامات المعاصرة. وفي عرض "لورينزاتشيو" على الخشبة حاولت ان انقل الى الجمهور ان فلورنسا عام ١٥٣٧ كانت مثل فرصوفيا في ١٨٣٠ او براغ في ١٩٦٨".

البيت القديم - تغيرت اساليب التمثيل بمقدار ما تغير الاخراج. فعندما لعب مونيه - سولي دور اوديب

في اوائل هذا القرن، كان يتغرغر بنبيذ برغندي الفرنسي ليقوي اوتاره الصوتية قبل ارتفاع الستار، وتحضيراً للمشهد الكبير، الذي يفقأ فيه اوديب عينيه بيديه، كان مونيه ـ سولي يبدأ تلاوة كلمات دوره بصوت قوي في الردهة، على بعد ٤٠ متراً من خشبة المسرح. وما ان يصل الى الخشبة حتى يكون صوته المأسوي الجهوري بلغ اوج قوته، فيتلاعب به كأنه يعزف على ارغن.

أما اليوم فان الاصوات الذهبية تكبح عادة. وتشرح الممثلة فرنسواز سينييه الامر: "نحن نتبع اسلوباً طبيعياً بسيطاً يجعل كلمات الادوار التي كتبت قبل قرنين او ثلاثة قرون تبدو كأنها وضعت امس".

ويعود اعضاء فرقة الكوميدي فرانسيز بأعداد كبيرة الآن الى بيتهم القديم. وهذه الحماسة يمكن تفسيرها الى حد كبير بشروط العمل الجديدة. فاعضاء الفرقة السبعون يقسمون "سوسييتير" و"بانسيونير". والسوسييتير مساهمون يشاركون في ادارة شؤون المسرح المالية والفنية، وينالون حصة من الارباح السنوية اضافة الى رواتبهم. أما البانسيونير، الذين يعملون بعقود سنوية، فيتقاضون رواتب تضاف اليها علاوة لكل عرض. ولا يستطيع احد ان يصبح سوسييتيراً قبل ان يكون بانسيونيراً.

كان على السوسييتير سابقاً ان يوافق خطياً على عدم التمثيل في اي مكان آخر مدة ٢٠ سنة. وكان عدد هذه المجموعة محدداً بثلاثين عضواً

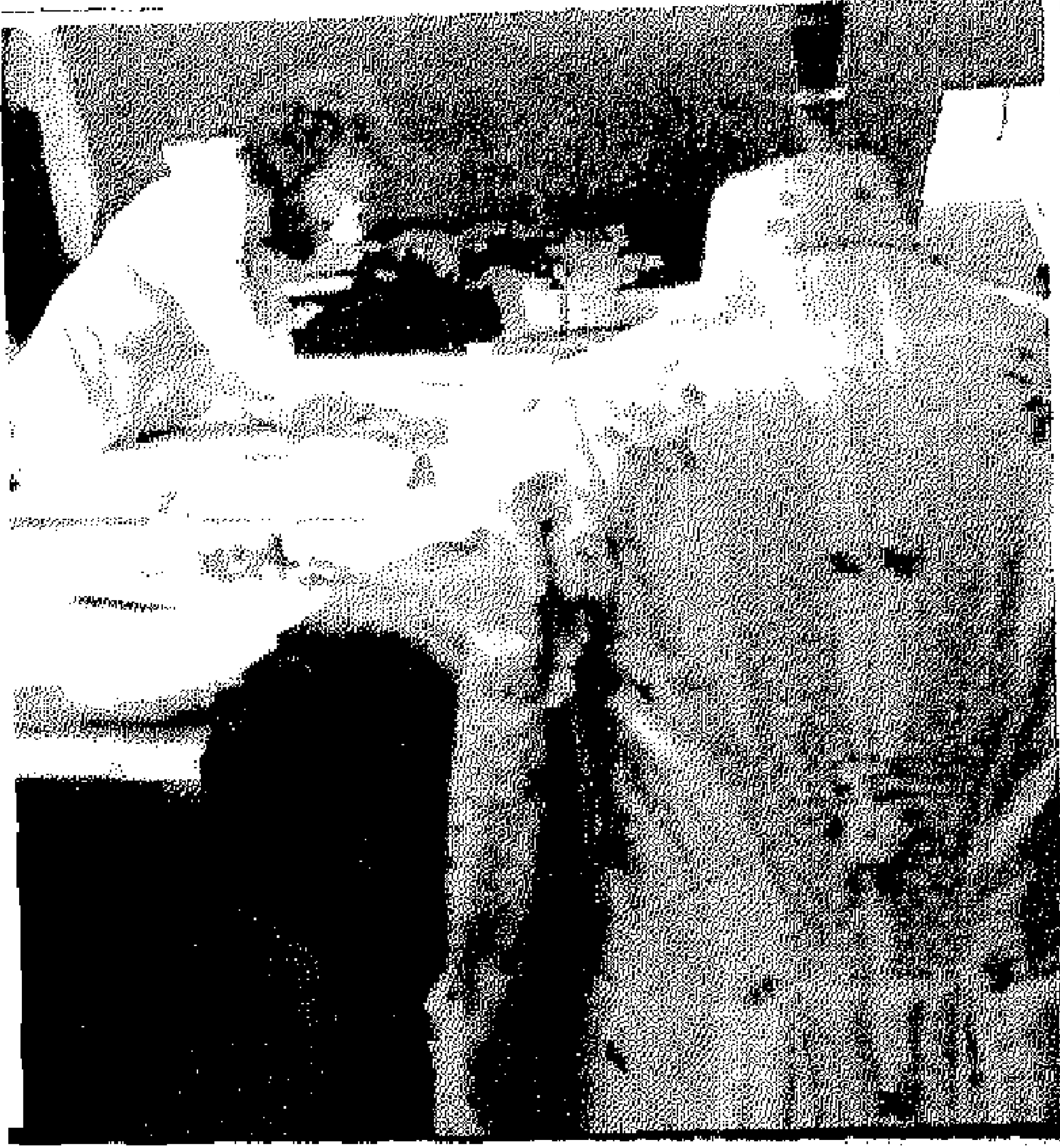


مسرحية "السيد" للكاتب الفرنسي كورناي.

وهذا يعني ان البانسيونير، مهما بلغت مواهبه، لم يكن لديه امل كبير في بلوغ صفوف اصحاب الامتيازات هؤلاء. كل ذلك تغير الان. فقد خفضت مدة عقد السوسييتير من عشرين سنة الى عشر سنين وزيد عددهم من ٣٠ الى ٤٠. والاهم من هذا انه يحق لاعضاء الكوميدي فرانسيز الآن العمل في الاذاعة والظهور في الافلام السينمائية وعلى شاشات التلفزيون.

تقدم الكوميدي فرانسيز مسرحية مختلفة كل مساء تقريباً. ويتطلب هذا جهوداً كبيرة، ليس من الممثلين فحسب بل ايضاً من العمال المسرحيين والكهربائيين والمسؤولين عن الملابس وغيرهم من الفنيين. والعناية البالغة التي تحظى بها الآن متطلبات الاخراج، من اثاث وملابس وغيرها، ساهمت كثيراً في اعادة الحياة الى هذا المسرح. فالجماهير التي تعودت الواقعية في الافلام وعلى التلفزيون لم تعد ترضى بالاشياء المزيفة كالسيوف الخشبية والدجاجات الكرتونية. وعندما زرت المشغل، كانت احدى العاملات تخيط بيدها رقعاً على احد الاكياس الاثني عشر المستخدمة في مسرحية "الباخوسيات" للكاتب الاغريقي اوريبيدس. وكان عملها في درجة من الاتقان يفتخر ببلوغها اختصاصيو الجلد.

نصر في... اليابان ــ في آخر انتاج لمسرحية "السيد"، يضع المحاربون على ظهورهم نصالا طولها ٩٠ سنتيمتراً، عليهم ان يستلوها في حركة سريعة واحدة. وقال لي الشاب



مشغل الخياطة تحت السقف.

جاكي لابيير، المسؤول عن لوازم التمثيل والمسرح: "كان علينا ان نصمم سبعة اشكال مختلفة من تلك الاغماد قبل ان نعتمد شكلا نهائياً".

ان تأثير بيت موليير الجديد، الاكثر حيوية وديناميه من ماضيه، لا يقتصر على باريس. فبين ٦٥١ عرضاً قدمتها الفرقة في موسم ١٩٧٧، عرض ثمانون في الاقاليم او في الخارج. وانتج اعضاء الفرقة خمس مسرحيات تلفزيونية و٤٦ تسجيلا للاذاعة. ويقول المدير الاداري فرنسوا براشان: "ان جولاتنا تتيح لممثلينا فرصة الاحتكاك بمشاهدين مختلفين والوصول الى جمهور اوسع".

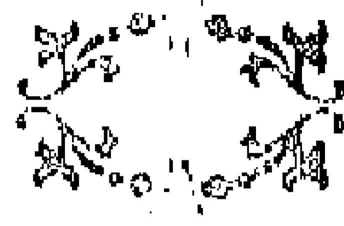
كانت خطط جولة الفرقة في اليابان خلال ربيع ١٩٧٦ مضى على وضعها بضعة اشهر عندما توفي فجأة جاك شارون، الممثل الذي يلعب الدور الرئيسي في مسرحية "مريض الوهم". فهل تلغي الفرقة رحلتها؟ ذلك مستحيل. كانت جميع التذاكر في اوزاكا وناغويا وطوكيو بيعت قبل

موعد العرض بثمانية اشهر. فأعلمت الكوميدي فرانسيز مضيفيها اليابانيين انها ستقدم رواية "البخيل" بدلا من "مريض الوهم". ويقول براشان: "سمعنا لدى وصولنا ان طلاب جميع المدارس الثانوية في المدن التي سنعرض فيها مسرحيتنا كانوا يدرسون "البخيل".

لقد استعاد الكوميدي فرانسيز دوره الفريد في حفظ الثقافة الفرنسية وتعزيزها وذلك بتوفيقه بين التقاليد والتقدم. وعند سدل الستار، لا يحيّي هواة المسرح بومارشيه او كلوديل او كورناي فحسب، بل يكرمون ايضاً مؤسسة يحدوهم على حبها الف سبب وسبب.

ويلخص الناقد الكبير جان جاك غوتييه آراء الفرنسيين ومشاعرهم عندما يقول: "انه امر لافت ان مؤسسة صممت ايام عربات الخيل بقيت ثابتة في العصر الفضائي".

■ **فيرجيني هنري**



الفن والتجارة

سئل منتج مسرحي كبير اذا كان المسرح في رأيه فناً او تجارة، فاجاب: "اذا اصاب نجاحاً مادياً فهو تجارة، واذا لم يصب فهو فن".

صحيفة "ايبوكا"، ايطاليا

الدافع الحقيقي

سقطت العدستان اللاصقتان من عيني امرأة ووقعتا في سلة مهملات مملوءة حتى العنق. فبحثت عنهما بدقة، ولكن لم تعثر على شيء، حتى عثر زوجها اخيراً عليهما.

فسألته: "بربك، قل لي كيف وجدتهما؟"

فأجاب: "حسناً انت كنت تبحثين عن قطعتين صغيرتين من البلاستيك. اما انا فكنت ابحث عن ألفي دولار"!

ش.ف.

التاجر الصادق

لم يكن فن الاعلان في الماضي كما هو اليوم. وهذا مثل عن اعلان ظهر في صحيفة امريكية قبل خمسين سنة: "اني أدعو الزبائن الكرام الى شراء "المنظف العالمي" للأسنان. وعلى رغم انه ليس افضل او أسوأ من معظم مساحيق تنظيف الاسنان في هذا المحل، الا انه، في تقديري، يساويها جودة. وانا احثكم على شرائه لأنه من انتاج ابن شقيقي، وهو شاب كفي يأمل في ان يمكنه الربح الذي سيحققه له هذا الانتاج من عقد قرانه قريباً".

غ.ب.

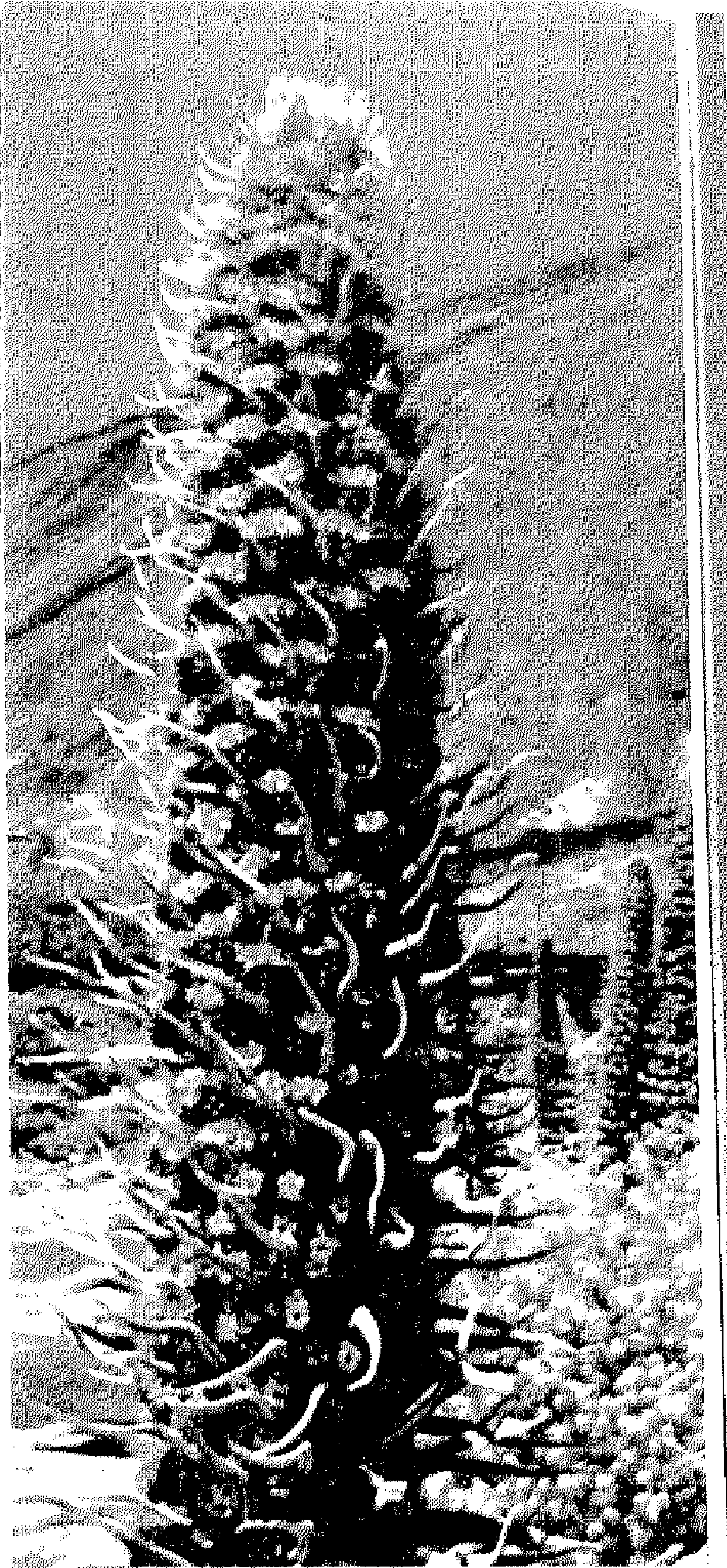


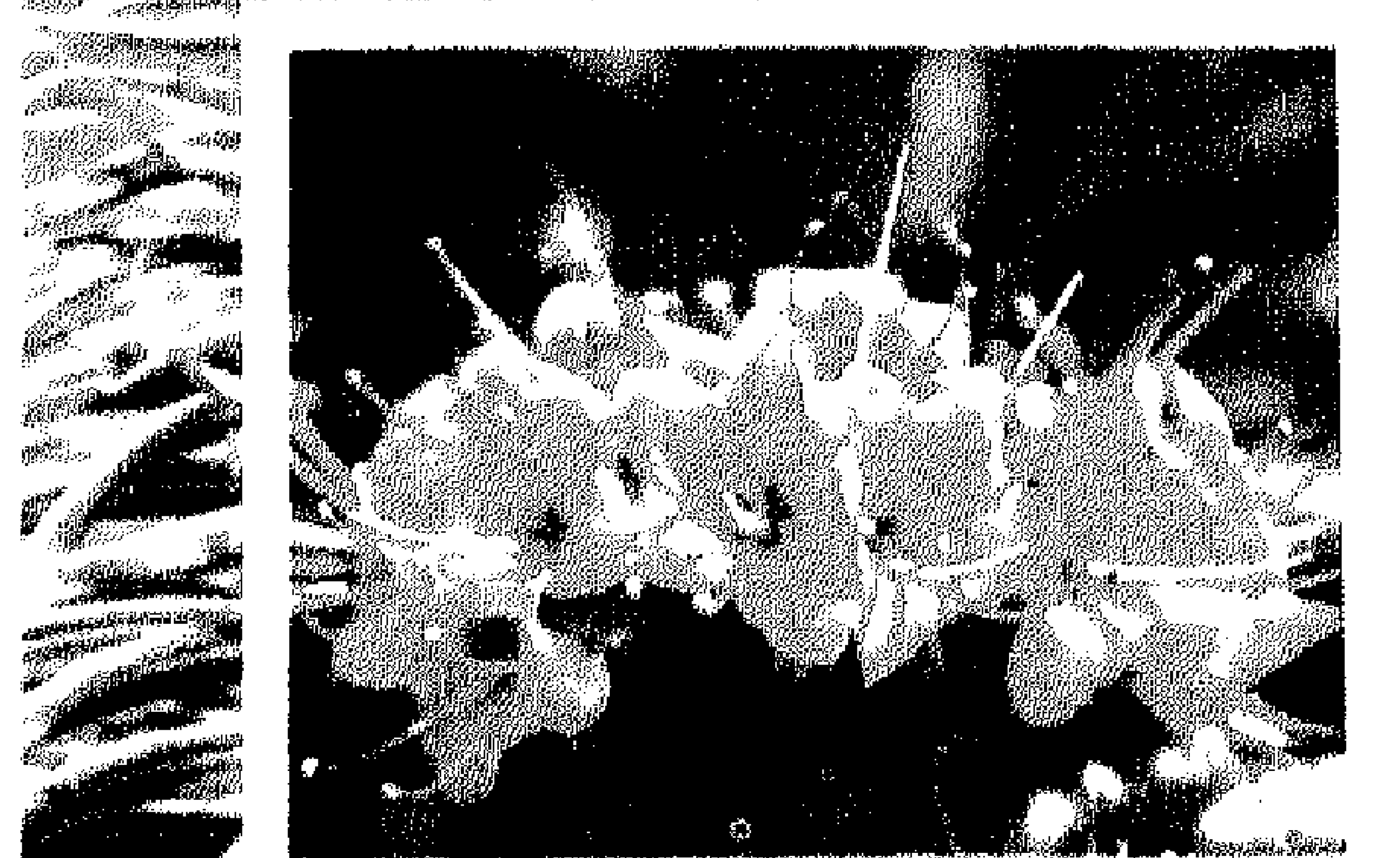




النادر والبري والجميل

ثمة ازهار برية نادرة في جزر الكناري تهددها يدالانسان بالانقراض لكن هناك محاولات جديه للحفاظ عليها







على تلة تذرو الريح ركام حجارها البركانية وتشرف على الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة الكناري الكبرى، وقفت باعجاب امام الازهار البيضاء التي تكلل هامة اجمة شوكية. وتحول اعجابي الى اجلال حين علق عالم نبات محلي:"يظن ان هذا النوع من الشوك لا وجود له في العالم الا على هذه القمة الصغيرة المشرفة علىالبحر".

نبات بري نادر!

هناك قلة من الاماكن على الارض تحوي من هذا النبات ما تحويه جزر

هذه الاجمة الحمراء الضخمة التي ترتفع مترين هي نبتة لسان الثور، وهنا صورة فوتوغرافية لزهرة مأخوذة عن قرب.

الكناري الاسبانية · ففي ارض لا تتجاوز مساحتها ٧٥٤٢ كيلومتراً مربعاً، هناك نحو ٦٠٠ فصيلة اصلية من النبات المزهر· وهي متنوعة الى حد مذهل· واذا كان بعضها مجهول الهوية، فالبعض الآخر يعرفه حتى علماء النبات الهواة· وهناك اعداد لا تحصى من الاقحوان (زهر الذهب) وعشبة المخلّدة التي تزرع للتزيين والمريمية (القصعين) وزهر الربيع·

ما الذي يفسر وجود هذه الانواع الكثيرة من النبات المزهر في بقعة صغيرة نسبياً من الارض؟

لا شك في ان هذا النبات مستمر منذ الماضي السحيق· وقد كانت انواعه شائعة على امتداد حوض البحر الابيض المتوسط ووراءه يوم كانت اجزاء من نصف الكرة الارضية الشمالي تتمتع بمناخ استوائي وذات نبات وفير· ومع حلول العصر الجليدي قبل نحو مليوني سنة، امتدت انهار الجليد التي تبلغ كثافتها الكيلومتر من القطب الشمالي الى اوروبا، مرغمة النبات على السعي الى اقاليم جديدة ذات مناخ ملائم في الجنوب· وحملت الريح والماء والطيور بذور هذا النبات عبر البحر الى جزر الكناري، فنمت هناك الى جانب النبات الذي كان سابقاً· وفي الوقت نفسه تقريباً، حملت بذور نباتية أخرى من افريقيا حيث كانت الصحراء الكبرى في طور التكوّن والقضاء على الحياة النباتية.

نبتة أخرى من نوع لسان الثور تعرف باسم "مفخرة تينيريف"· وهي ترفع اجنحتها الفضية بجلال·



زهرة من احدى فصائل زهر الربيع الموجود بكثرة في جزر الكناري، وهي تحمل اوراقا صقيلة تعكس اشعة الشمس.

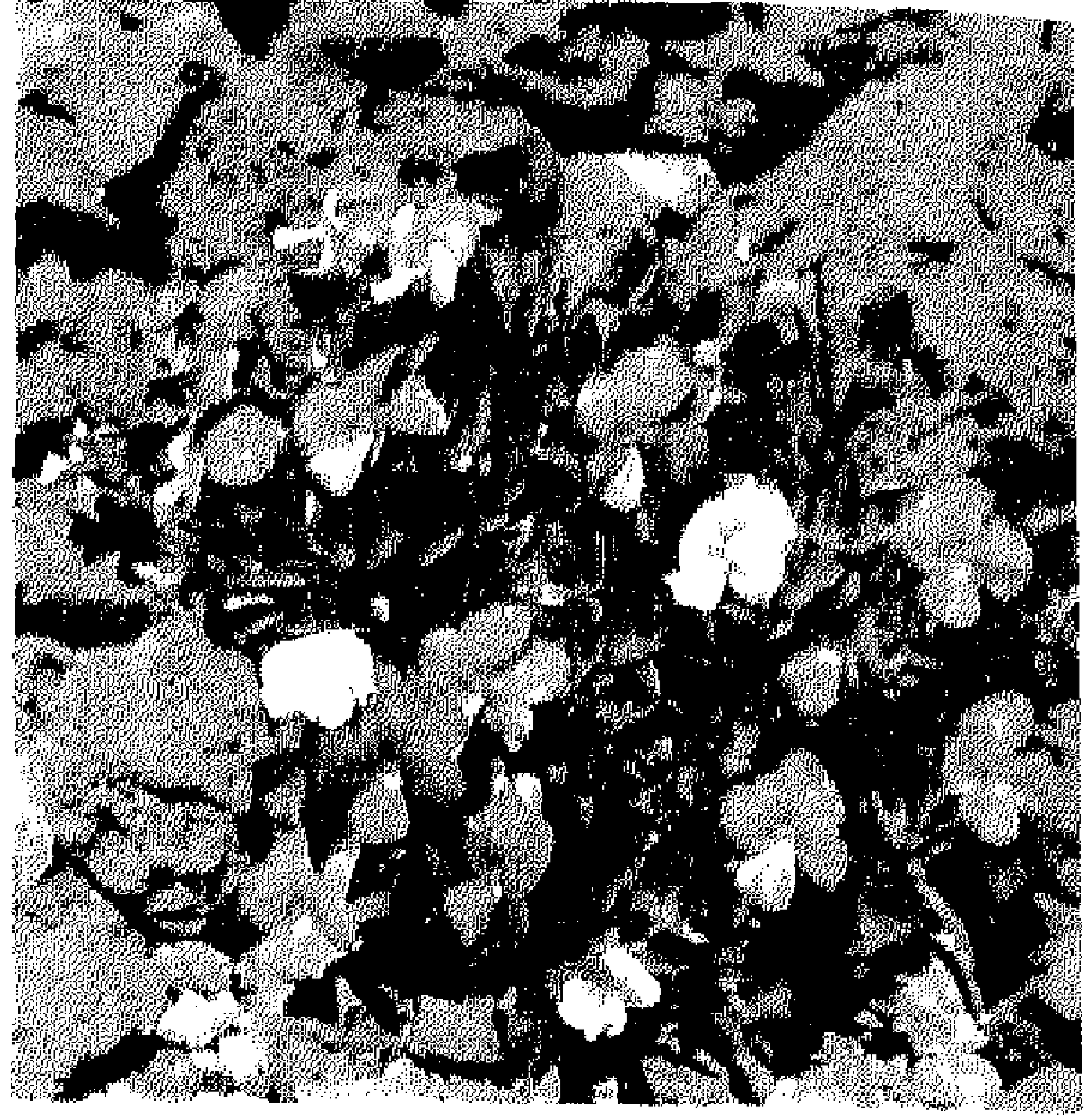
وبرهن الارخبيل الذي يضم جزر الكناري، والذي تداعبه الريح التجارية الرطبة المتجهة باطراد نحو خط الاستواء، على انه المكان المثالي للنبات الوافد من جميع الاماكن الاخرى. فقد وجدت تلك النباتات في اقليمها الجديد قارة مصغرة. هنا تتنوع طبيعة الارض على نحو مفاجيء، من صحراء جافة الى جبال مشبعة بالمطر. وفي تينيريف، وهي الجزيرة الاكبر والاكثر خضرة في مجموعة الكناري، يبلغ التنوع ذروته في الثلج الذي يتوج قمة جبل تيد المشرئبة الى ارتفاع ٣٧٠٠ متر عن سطح البحر.

هذا التباين الحاد في طبيعة الارض والمناخ لم يقتصر اثره على تشجيع جميع انواع النباتات على الهجرة، بل حمل تلك الانواع ايضاً على تغيير اشكالها للتكيف مع البيئة الجديدة. ففي البقاع الجافة على مدار السنة، ظهر نبات بلا ورق لتعويض الرطوبة. وفي البقاع الماطرة موسميا ظهر نبات ذو ورق اسفنجي كثيف يمتص مطر الربيع ثم يستعمله على مراحل خلال الصيف الجاف. وهناك نباتات قصيرة تتشبث بالحجار البركانية على امتداد الشاطيء لئلا تقلعها الريح. كما ان هناك نباتاً يرتفع ثلاثة امتار فوق اشجار الغار الكثيفة لكي يطال الشمس.

لقد كانت نباتات جزر الكناري مصدر اثارة للخبراء طوال قرنين. وفي مرحلة انعقاد البراعم - وهي تمتد من نوفمبر (تشرين الثاني) الى مايو (ايار) سنوياً - يتوافد علماء



قبل قرنين افاض عالم النبات الاسوجي الشهير كارل فون لينيه (المعروف ايضا باسم كارولوس ليناريوس) في وصف زهرة الجُرَيْس هذه، التي اصبحت تسمى في ما بعد "كاناريانا كاناريينسيس".


على رغم ان شكلها يوحي بالضعف، الا ان زهره البنفسج هذه تتكيف مع حرارة تراوح بين صفر و٢٥ درجة مئوية · وهي تستوطن السفوح العليا في جبل تيد في تينيريف، الذي يرتفع ٣٧٠٠ متر ·

الانسان · وقد تسبب وصول المستعمرين الاوروبيين منذ نحو ٥٠٠ سنة في قطع عدد كبير من اشجار الغابات لتشييد المنازل وتشغيل الافران في مصانع تكرير السكر · ومع زوال الاشجار زال نبات كثير كان ينمو في ظلها ويستمد منها الرطوبة · وادخل الانسان معه الماعز الشره الى جزر الكناري · وهو حتى اليوم لا يزال يغتذي على النبات في كل جزيرة ·

وهناك خطر آخر يأتي من جامعي النبات، سواء اكانوا من هواة زرع الحدائق او من عشاق الطبيعة المحترفين · كما ان السياح البارعين يملأون سلالهم من تلك النباتات بقصد زراعتها لانها سهلة النمو · وبسبب من هؤلاء الجامعين يتكتم دعاة المحافظة على الطبيعة ايما تكتم حول امكنة وجود اصناف النبات النادرة ·

ومن الاسرار التي يحيطها الكتمان الطبيعة الى ذلك المكان من بلدان كثيرة · وهناك طلاب في صفوف علم النبات في جامعات اوروبا الشمالية يذهبون الى مختبر الطبيعة الحي في الكناري كيما تتسنى لهم المعاينة الاولية لتلك النباتات في صراعها من اجل البقاء ·

انه لصراع حقاً! ويقدر وولفريدو ويلدبريت دو لاتوري، استاذ علم النبات في جامعة تينيريف في لا لاغونا، ان خمسين صنفاً من تلك النباتات يواجه خطر الزوال، وان ٣٠٠ صنف آخر يواجه خطراً، ولكن الى حد اقل ·

الخطر الاكبر — اما الخطر الاكبر الذي يهدد هذه النباتات فهو


هذه الزهرة البرتقالية المكنّاة "عرف الديك" تباع في أسواق تينيريف كدواء ضد السكري ·

الشديد في المعهد القومي للمحافظة على الطبيعة في لالاغونا مكان وجود النبتة الشوكية ذات الاوراق المسننة، وهي نبتة نادرة جداً ذات زهر ابيض، تنمو في اعالي حديقة لاس كاناداس العامة في جزيرة تينيريف. وعلى رغم ندرتها، فقد بدأ جامعو النبات يهددون وجودها بقطعها من الجذور. وما لبث اصحاب مكاتب تعليم سوق السيارات ان اكتشفوا ان السهل الذي يقوم عليه ذلك النبات هو مكان مثالي لتمارينهم. واخيراً ارسل الجيش بعض فرق المدفعية الى هناك لاجراء مناورات بالذخيرة الحية. ويقول العالم البيولوجي انطونيو ماكادو: "في وقت ما من يوليو (تموز) ١٩٧٧، اختفت آخر نبتة شوكية مسننة من الوجود". ولكن بعدما ظن انها انقرضت، عاد فريق يعمل في اشراف المعهد القومي للمحافظة على الطبيعة واكتشف، صيف ١٩٧٨،



نبتة جميلة من نوع الفرْبيون ذي العصارة البيضاء المرة، وهي واحدة من مئة نبتة فقط من نوعها في تينيريف.

ثماني نبتات من هذه الفصيلة في مكان لم يفصح عنه. وبذلك انقذت النبتة الشوكية المسننة الى حين.

اما الخطر الاكبر الذي يهدد هذه الحياة النباتية في المدى البعيد فهو حفريات البناء. ويقول ولفريدو ويلدبريت انه، "في السنوات الخمسين اللاحقة، ستحول السياحة والتوسع السكاني اريافا كثيرة الى مدن. ولن يكون بد، إذاك، من تدهور الحياة النباتية".

حماية القانون ـ ان القانون الاسباني الذي يصنف قتل بعض الحيوانات النادرة في عداد الجرائم لا يفعل الشيء نفسه ـ للأسف ـ بالنسبة الى النبات. ولكن مهما يكن



في عشبة المخلّدة هذه، يتنافس الورق والزهر على لفت الانظار.

الامر، فان دعاة المحافظة على الطبيعة في جزر الكناري توصلوا الى بعض الطرق التي من شأنها الحفاظ على هذه النباتات.

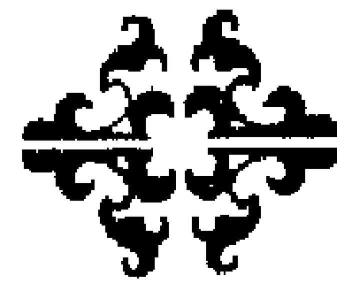
وفي المشتل التابع للمعهد القومي للمحافظة على الطبيعة في لالاغونا، تتم تنمية نحو مئة صنف نبات من بينها ٢٥ صنفاً ستعرض للبيع. ويقول ماكادو: "هذا المشروع ليس تجارة، انما هو مجرد طريقة لمنع الناس من اقتلاع هذه النباتات من ارضها". ويحاول المعهد القومي للمحافظة على الطبيعة الحصول على سلطة تخوله اعلان ٣٠ من مناطق وجود النباتات النادرة في ارخبيل الكناري بقاعاً مغلقة محظورة على الجمهور. ومن اجل تثقيف سواد الناس، طوقت تينيريف بلوحات تحمل اسماء بعض النبات النادر وتدعو الناس الى عدم اقتلاعه. ومن هذا القبيل ايضاً عرض سمعي - بصري يتناول الحاجة الى حماية الطبيعة، وعلى الاخص ما هو نادر فيها، ويقدم في مركز الزوار في اعالي جبل تيد.

وفي بلدة تافيرا في جزيرة الكناري الكبرى، تتولى الحديقة النباتية تنظيم محاضرات حول الحياة النباتية في جزر الكناري لالقائها على معلمي المدارس، كما تدعو التلاميذ الى حضور صفوف تدوم يوماً كاملا. وتقوم الحديقة على موقع مثالي لهذه الغاية. فهي تحتل ٢٨ هكتاراً من وادي غوينيغواد الذي يبعد سبعة كيلومترات جنوب غرب لاس بالماس. وتمثل عالماً مصغراً لارخبيل الكناري بجميع تناقضاته. فهي تحوي ٩٠ في المئة من اصناف النبات المهددة بالزوال، والاصناف التي انقطعت من البراري.

وعلى رغم ان هذه الحديقة هي اساساً مركز بحوث يتولى علماء الطبيعة فيه دراسة الطرق التي من شأنها مساعدة الانواع المهددة على التكاثر، غير انها مفتوحة للجمهور. وفيما كنت اعبر مسالكها الضيقة الملتفة داخل غابات الغار الظليلة وعلى جوانب المنحدرات الصخرية، طرأت فكرة على ذهني: ترى هل تصبح غابة النبات هذه في احد الايام الملجأ الاخير لاصناف النبات النادرة في جزر الكناري؟

ان الجواب متوقف على ما اذا كان هناك مكان لجمالات الطبيعة البرية في النظرة التطورية التي يعتنقها الانسان المعاصر.

■ راوول فاسكيز دو بارغا



من أمراض العصر

وضع صاحب مطعم عبارة موجزة على زجاج محله تقول: "ادخل هذا المطعم واسترخ وكل بهدوء. ان جهاز التلفزيون وآلة الاسطوانات في التصليح". وخلال اسبوع تضاعف عدد زبائنه.

مجلة "لوهيريسون"، فرنسا

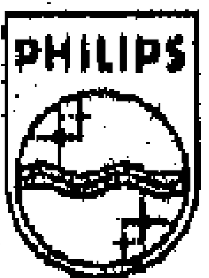
حان الوقت لاستيقاظك
براديوات فيليبس ذات الساعة!



استيقظ على [illegible] التي تحبها .. وذلك بفضل راديو فيليبس ذي الساعة الرقمية الإلكترونية المتقدمة. استيقظ على برنامجك المفضل. أو على رنين جرس إن كنت تفضل اشارة منبهة عادية. أما اذا كنت من الذين يصعب إيقاظهم. فان ساعة الراديو يمكن ضبطها لتنبهك مرة بعد أخرى حتى وإن دأبت أنت على إسكاتها!

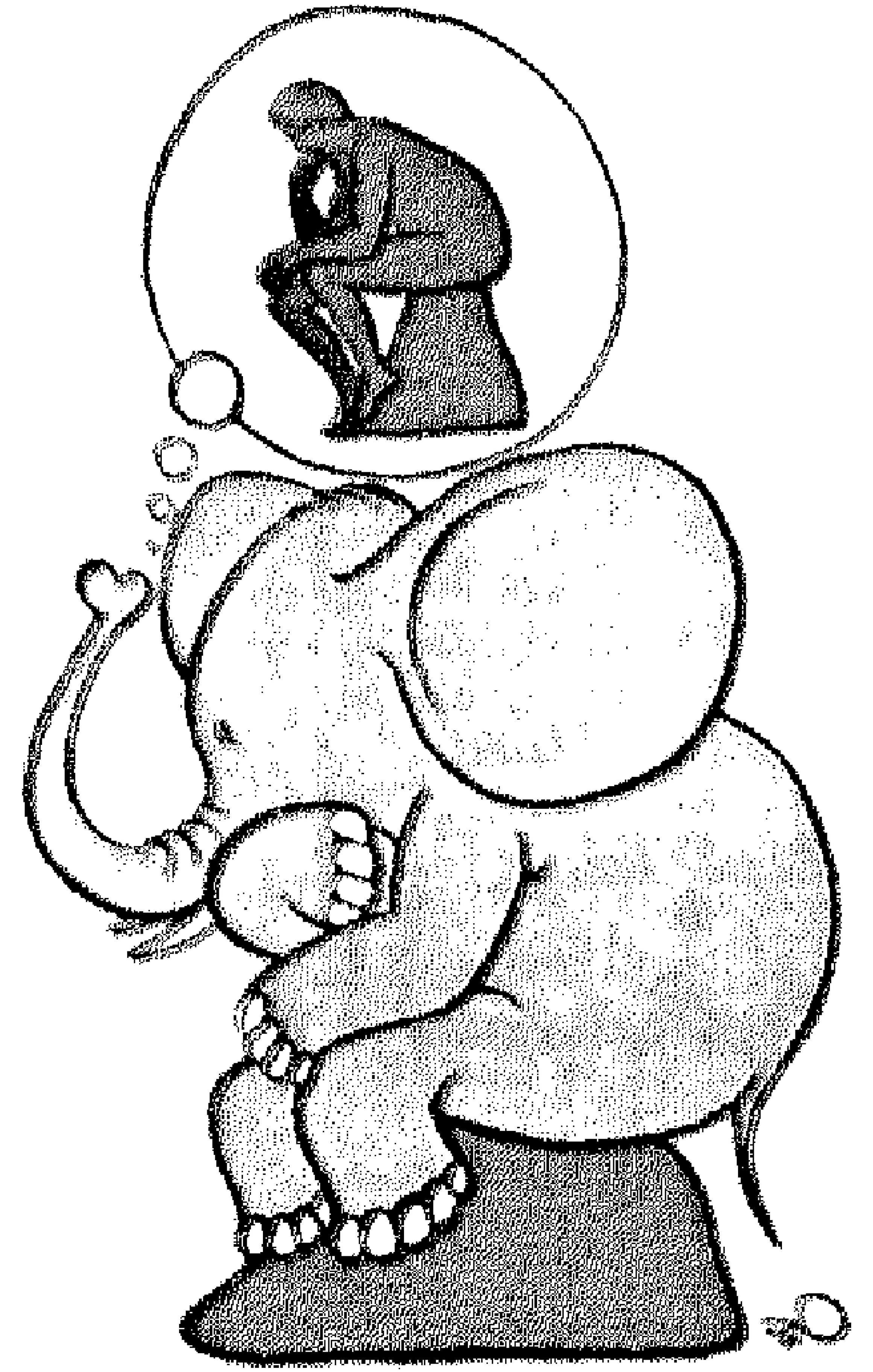
أتريد أن تتحقق إن كنت متأخراً؟ طراز المائدة يعرض الوقت بأرقام ضوئية سهلة القراءة طيلة الأربع والعشرين ساعة. كما يعرض الوقت بإنذار متقطع في حالة انقطاع التيار من المنبع. أما طراز الراديو النقّالي ذو الساعة فيعرض الوقت بوضوح طيلة ١٢ ساعة. زد على ذلك أنّ الراديو ذا الساعة يبقى مشتغلا حتى تستسلم للنوم ويقطع التيار تلقائيا في موعد مسبق الضبط بين صفر دقيقة و ٥٩ دقيقة.

سواء أوقع اختيارك على طراز مائدة أم راديو نقّالي ذي ساعة رقمية. فإنك ستحصل حتما على استقبال ممتاز وكفاءة يعتمد عليها .. بطريقة فيليبس. لقد ابتدعت فيليبس تشكيلة ستسعدك يوماً بعد يوم. ساعة رائعة .. وراديو رائعا .. جهازاً مثاليا يجمع بين الاثنين. فاستعن بفيليبس. الشركة التي تحرص على راحتك بابتكاراتها التكنولوجية المتقدمة!



فيليبس الأفضل لكم دوما

تأملات معاصرة



الولادة الثانية

قال المسرحي الاغريقي يوريبيديس: "ما ادراك الا تكون الحياة ما يدعوه الناس موتاً والموت ما يدعونه حياة؟"

وهذا القول يروقني. فأحياناً اتصور اني على وشك الموت، واني لا اريد مبارحة هذا العالم. لكن الامر ليس في يدي. فاقوم لاودع اولئك الذين احببتهم واستطبت عشرتهم.

وللمرة الاخيرة املأ عيني بالألوان والمفاتن الرائعة المحيطة بي. وحين ابدأ الرحيل احس بالظلمة تحيق بي. واجد نفسي في نفق طويل مظلم يفضي بي الى نور ساطع يعمي عيني. وتطوقني الايدي، فأصرخ احتجاجاً، ثم اسمع صوتاً يقول: "انها فتاة يا سيدتي. ها انت تلدين فتاة مفعمة بالصحة".. وهكذا ادخل ما نسميه الحياة.

د. غ.

من حكم البادية

كان ابي يحب ان يطرح على الاحداث احجية عربية معروفة تتعلق بالحساب:

رأى رجل ان الوقت حان ليوزع قطيعه المؤلف من ١٨ جملا على ابنائه الثلاثة. فأبقى لنفسه جملا كان يحبه كثيراً ووزع الجمال الباقية على اولاده حسب العادة المتبعة: فأعطى الابن الاكبر نصف العدد، والاوسط الثلث، والاصغر التسع. فكيف فعل ذلك؟

لقد اضاف جمله الى الجمال السبعة عشر، فاصبحت ١٨ جملا من جديد. عندئذ اعطى ولده الاكبر تسعة جمال، والاوسط ستة، والاصغر اثنين. وبقي الجمل الذي احبه له.

وكان ابي ينهي الاحجية بقول عربي مأثور: "اذا وهبت ما تحب، فهو سيعاد اليك".

الوجه والقناع

لكل امرىء مجموعة من الادوار التي يؤديها في الظروف العادية. ولكن ضعه في ظرف يختلف، وان قليلا، عما ألفه، وسترى ارتباكه. وهذا يعني انه، خلال فترة قصيرة، هو نفسه.

جورج غوردييف



اللّابي الصّغير

مساء الرابع من ايار ١٩٧٩، استقل بير هايكا سيارته الخاصة والى جانبه صغيره اولوف البالغ من العمر ست سنوات. واتجها شمالا بعد ان غادرا كتاينن، وهي قرية صغيرة شمال شرق اسوج. ووقفت زوجة بير، اينغا، تراقب بقلق السيارة التي كانت تجر خلفها عربة مؤن وهي تغيب عن ناظريها.

لم تكن اينغا تحب رحلات الربيع الباكرة هذه. وفي ظنها ان السفر في الماضي كان امراً مختلفاً، اذ كانت عائلات عدة تسافر معاً، ومن يصاب بأذى يسعف فوراً. أما اليوم فقد اضحى المرء قادراً على معالجة اموره في القفر الواسع منفرداً بواسطة الآلات الحديثة، شرط الا تتعطل اي منها. ولكن اذا حدث مكروه اصبح الخطر داهماً، لان المسافات شاسعة والطقس غير مستقر والارض وعرة المسالك لا توفر حداً ادنى من الامان. كانت هذه الامور تشغل اينغا في الماضي، أما الان فقد تضاعف قلقها لان الصبي يرافق والده.

أما بير فهو في الثامنة والاربعين، ناحل الوجه، اسود الشعر، ينتمي الى الشعب اللابي، وهو مجموعة من نحو ٢٥٠٠ فرد يقطنون شمال اسوج ويعتاشون من رعاية ايائل الرنة (★). واينغا لابية هي الاخرى، مع ان ملامحها الشقراء لا توحي بذلك. وورث عنها ابنها اولوف شعرها الاشقر وعينيها اللوزيتين بزرقتهما

(★) الرنة غزال ذو قرنين متشعبين لدى الذكور والاناث. وهو يقطن الاقاليم الشمالية من الكرة الارضية.

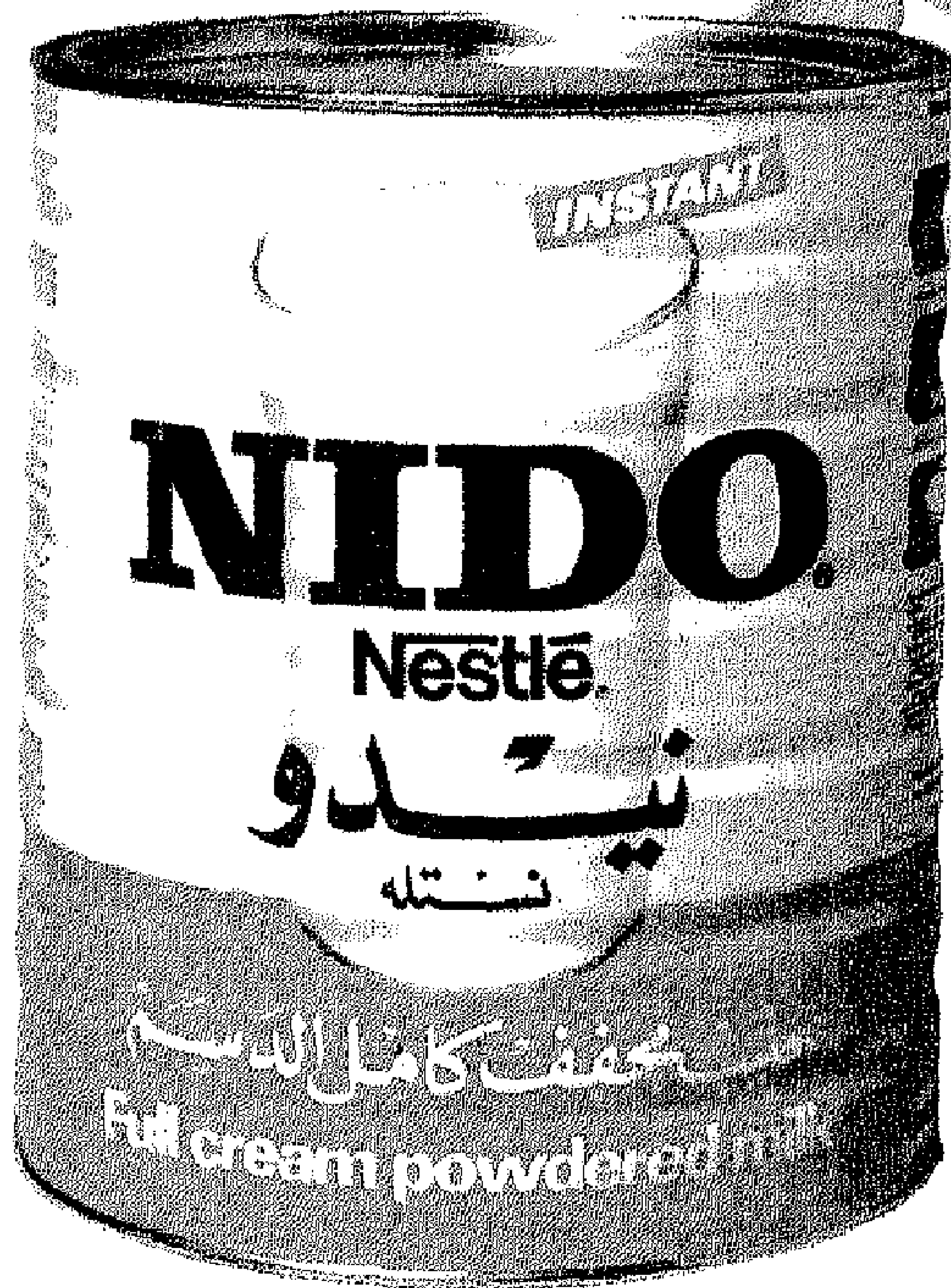


بعيداً في القفار
القطبية اصيب راعي
الايائل بالعمى الثلجي٠
فكتبت له النجاة
على يد ابنه الصغير

الضاربة الى الخضرة٠ وينتقل اللابيون بحرية تامة في شمال النروج واسوج وفنلندا، بقطعان الرنة التي لا تعرف حدوداً دولية٠

يمم بير وابنه شطر مراعي اجدادهما الواقعة في النروج، كي يرمما الاكواخ التي سيقيم فيها الرعاة في فصل الصيف الذي لاحت طلائعه٠ فحيوانات الرنة تمضي الشتاء في الاراضي المنخفضة شرق اسوج وفنلندا، وتتسلق سلسلة الجبال على امتداد الحدود النروجية – الاسوجية في الصيف٠

وتوقع بير ان تستغرق رحلته ثلاثة ايام٠ وبعد وصوله وابنه الى قرية كاريسواندو الواقعة في اقصى شمال اسوج، عبرا النهر في مركب الى فنلندا حيث يمتد طريق عام وسط



نيدو السريع الذوبان
لينعم أولادكم بالعافية والصحة

لدى تناولهم ، كل صباح ، كوبا من حليب
نيدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهارا
مليئا بالحيوية والنشاط .

نيدو السريع الذوبان يؤمن لأولادكم خلال
ـل نموهم ، معظم العناصر الغذائية
تحتاج اليها اجسامهم .

لسريع الذوبان ... لذة طعم الحليب
يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون
ـية .

نيدو السريع الذوبان
لصحة كافة أفراد العائلة

NESTLÉ تضمنه نستله

غابات من اشجار الصنوبر القصيرة والبيتولا (شجر القضبان)٠ وبعدما اجتازا مسافة ٨٠ كيلومتراً، اوقفا السيارة في مرأب على جانب الطريق٠ ثم افرغا حمولة عربة المؤن: مركبة جليدية بخارية وزلاجة وخيمة ومؤن وقطع اثاث قديمة٠ وكانا غاية في الشوق الى اكمال رحلتهما فوق ثلج الربيع الناعم الذي يحلو السفر ليلا فوق صفحته٠

وتحتاج قيادة مركبة الجليد البخارية الى عضلات قوية٠ فهي، كالدراجة النارية توجه بواسطة مقابض متصلة بزلاجتين قصيرتين تنزلق عليهما المركبة٠ ويدفع المركبة محرك يسير عجلة تركب تحت المقعد٠ وصعد اولوف الى المركبة وجلس على المقعد خلف والده مطوقاً وسطه بيديه الصغيرتين، وانطلقا فوق الثلج٠ ولما حل بهما التعب، لجآ الى "كاتا" خالية حيث أخلدا الى الراحة والنوم بعض الوقت٠ والكاتا كوخ صغير يبنيه اللابيون ليلجأوا اليه في اسفارهم وسط تلك القفار حيث تنتشر مئات من هذه الاكواخ٠

والجو في الشمال، عادة، ملبد بالغيوم عند مستهل الربيع٠ ولكن في صبيحة اليوم التالي اشرقت الشمس وسطعت على نحو غير مألوف، وانعكست اشعتها فوق صفحة الجليد على مدى النظر٠ فاضطربت عيُنا بير نتيجة اللمعان والريح، بينما كان هو وابنه يجتازان الطرف الضيق لاسوج منطلقين نحو الغرب٠ وتنبه بير الى انه نسي نظارتيه الشمسيتين على طاولة المطبخ٠ وكانت عاقبة خطأه هذا جسيمة جداً٠

ويوم الاحد في السادس من ذلك الشهر، شيد بير كاتا جديدة من الالواح الخشبية٠ وقد ظن انه ادخل بذلك تحسيناً على الطريقة التقليدية في بناء الاكواخ بواسطة الاخشاب المغطاة بالتراب٠ وساعد اولوف والده بعض الوقت، ثم اخذ يلهو على مزلجته البلاستيكية الصغيرة صعوداً ونزولا فوق منحدر صغير٠ وجلس والده يراقبه بفرح، مطمئناً الى انه واضع نظارتيه السوداويين الصغيرتين٠ وكانت الشمس ذلك اليوم ايضاً ساطعة على غير عادة، وكان الم عيني بير يزداد عند غياب الشمس الذي لا يدوم سوى ساعة او ساعتين في هذا الوقت من السنة٠

وبات بير واولوف تلك الليلة في احدى الكاتات القديمة، ثم قفلا عائدين يوم الاثنين٠ وفي الطريق شرع بير يدل اولوف على الجبال والبحيرات ويعلمه اسماءها، اذ كان هو يتوق الى ان يصير ابنه مثله ملماً بخريطة تلك الديار٠

ولكن مع حلول الظهر ظهرت بوادر الازمة٠ احس بير بألم عينيه يتزايد بحدة٠ وكانت الدموع تنهمر منهما كلما حاول تحريك جفونه. ومع ان السماء كانت صافية ذلك اليوم، الا ان كل ما حوله بدا يزداد شحوباً، وبدت القمم البيضاء تغيب وراء غلالة من الضباب الاحمر٠

ولاحظ اولوف خللا في قيادة والده، فصاح بأعلى صوته: "ما بك يا ابي؟"

فأجابه بير: "اني اكاد لا ارى واظنني مصاباً بالعمى الثلجي"٠

الطفل الكبير — ان اصابات العمى الثلجي تندر في بلاد اللابيين خلال

فصل الشتاء، عندما يتراكم الثلج وتلف تلك الديار ظلمة دائمة. لكنها تتزايد في الربيع، اذ يتعاظم لمعان الشمس وانعكاسها فوق آخر طبقة ثلج كدسها الشتاء. واي نور يتسرب الى العينين، وان عبر جفون مغمضة، يحدث الماً مبرحاً. وكان بير اختبر في الماضي حروق العمى الثلجي، بيد انها لم تبلغ هذه الدرجة من الحدة. وعندما عبرا النهر عائدين الى اسوج، قرر بير ان يجد في السير كي يصل هو وابنه سريعاً.

وقبل ان يجتازا بضعة كيلومترات، انقطعت السلسلة المعدنية في المركبة. وكان بير عادة، يصلحها في دقائق معدودة. لكن ضعف بصره لم يسمح له بقيادة المركبة قيادة جيدة، فكيف له اذاً ان يجري التصليحات؟ ولم يبق لهما سوى الانتظار الى ان يأتي احد فينقذهما، او الى ان تتحسن عينا بير، لان المسافة التي تفصلهما عن السيارة كانت عظيمة.

وكان بير يعرف ان هناك في الجوار كاتا مهجورة. فارشد ابنه، الذي امسكه بيده وقاده اليها. ولم تطرد جدران الكوخ الرقيقة البرد، كما لم تتسع الا لسريرين خشبيين عاريين. وسر بير لان باب الكاتا لم يسمح للضوء بالتسرب. وكانت عيناه تتوهجان كالجمر. فانطرح على السرير من شدة الالم، وغطى وجهه بيديه.

وراح اولوف يطمئن والده قائلا: "لا تخف يا ابي، كل شيء سينتهي خيراً". ولم يكن بير متفائلا كصغيره فهو يعرف انهما في منطقة جرداء، بعيدان عن اي مصدر للعون. وحدث نفسه: "لا اخشى ان تكون هذه نهايتي. لكن الصبي لن ينجو وحده، يجب ان استعيد بصري".

ويبدو ان غريزة البقاء متأصلة في نفوس اللابيين. فقد امتطى الصبي مزلجته الصغيرة صامتاً، وعاد الى المركبة. ثم جمع خيمة وكيس نوم وجراباً صغيراً مليئاً بالمؤن وموقد غاز صغيراً. وربط رجليه بزلاجتي والده المصنوعتين من خشب الجوز، وجر المزلجة عائداً الى الكاتا.

ويظهر ان اولوف ادرك بالسليقة ما كان ينبغي ان يفعل. فغطى والده بالخيمة ليدفئه، ثم القى كتلة من الجليد في ابريق القهوة ووضعه على النار. وبعد قليل سقى والده بعض الماء، كما بلل وشاحاً ومسح به عيني الرجل المتألم. وعند حلول الظلام تدنت الحرارة، وجلس الصغير يحدث والده المنطرح على السرير الخشبي. ولما انهكه التعب، انسل الى داخل كيس النوم واغمض جفونه.

صراع البقاء – لم ينم بير من شدة الالم، كما لم يتمكن من اشعال نار تطرد البرد القارس لعدم توافر الحطب. فبات ليلته يتقلب ويتلوى من الوجع. ومر عليه ليلان ونهاران احس ان لا نهاية لها. واستمرت درجة الحرارة بالهبوط، ولم تتحسن عيناه. فكان يصاب بدوار شديد كلما اراد فتحهما. وحاول اولوف ان يسري عنه. فكان يسمعه اغاني الاطفال ويحكي له قصصاً شعبية لابية يطيل روايتها كي يقتل الوقت. وادرك بير قصد الصبي، فابتسم له معبراً عن امتنانه. وضحك اولوف اذ رأى ابتسامة الرضا على ثغر والده.

مع بزوغ فجر الخميس، ادرك بير ان الانتظار سيطول. وهذا يعني نفاد مؤونتهما وتضاؤل قواهما وانهيار قدرتهما على مقاومة البرد والصقيع. وزاد الحال سوءاً ان الغاز الذي كانا يستعملانه لاذابة الجليد نفد. كما ان فقدان المياه العذبة في المناطق القطبية امر بالغ الخطورة. فتناول الثلج لسد الظمأ يصلح كاجراء موقت فقط، لان انعدام الملح في الجليد يؤدي الى انقاص البوتاسيوم في الجسم والى ضعف عام على المدى البعيد. لذا كان عليهما الرحيل اذا هما ارادا البقاء في قيد الحياة.

وكان بير يعرف ملجأ آخر عند المعبر بين مدينة المناجم، كيرونا، وبحيرة راستوجور الشهيرة بكونها منطقة صيد جليدي. وايقن انهما اذا بلغا تلك البقعة مع عطلة الاسبوع، امكنهما ارسال اشارة الى احدى الطائرات الصغيرة التي تنقل الصيادين. لكن ذلك كان يعني سيراً على الاقدام مسافة ١٩ كيلومتراً. اما الامر الذي خفي عن بير فهو ان اولوف اضاع نظارتيه ولم يجرؤ على اخباره بالامر. لكن الصغير طمأن والده قائلا: "لا تخف يا ابي، فاني سأرتب كل شيء لخروجنا من هنا".

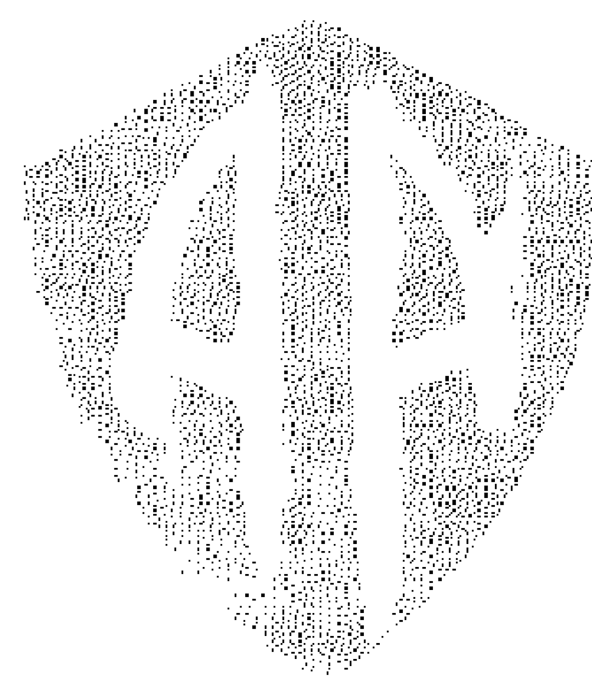
صباح الجمعة الباكر غادر الصغير وابوه المكان بعد ان وضع اولوف الخيمة وبقايا لحم الرنة فوق مزلجته. ولف وشاحاً حول وجه والده ليقي عينيه من الضوء، وقاده الى خارج الكاتا. ثم ثبت قدميه على الزلاجتين الخشبيتين الثقيلتين، وشد حبلا حول وسطه. فأمسك بير الحبل باحدى يديه وجر المزلجة باليد الاخرى. وكان منظر القافلة غريباً: صبي صغير اشقر يركب زلاجتين ضخمتين ويقود رجلا معصوب العينين يجر مزلجة صغيرة.

في كيرونا، التي تبعد مئة كيلومتر جنوباً، تلقى مركز الشرطة ظهر اليوم نفسه مكالمة هاتفية من اينغا. فعندما تأخر بير واولوف ثلاثة ايام عن موعدهما المضروب، تأكدت من انهما في خطر. وقرر المفتشان انيغفار لارسون، وهو في الخامسة والاربعين، ولاجي فوتيلاينن وهو في الثانية والثلاثين، ان يبدآ فوراً جولة تفتيش عن التائهين بالهليكوبتر. وكلا الرجلين خبيران مجربان يلمان بآلاف الكيلومترات المربعة من اراضي اللابيين غير الآهلة، تماماً كما يعرفها اللابيون.

وارتفعت طائرة الهليكوبتر، ذات المقاعد الاربعة، يقودها الطيار كورت اوغرن. وحلق الثلاثة مدة ثلاث ساعات يفتشون المنطقة التي ظنوا التائهين فيها. وبدت السهول المغطاة بالثلج كأنها تمتد الى اللانهاية. ورأوا في بعض الانحاء آثاراً كثيرة لمركبات الجليد. فقد كان الجيش النروجي يجري مناورات في المنطقة، وخلف وراءه شبكة من الخطوط المتقاطعة فوق صفحة الجليد. ثم اقتفوا مجموعة من الآثار راجين ان تكون هي الآثار المطلوبة، لكنها اختفت وسط اكوام الثلج التي ساقتها الريح وكدستها. وكلما رأوا بعض اللابيين المنكبين على اعمالهم، كانوا يهبطون ويسألونهم عن بير واولوف هايكا.

خطر جديد – اما الاب وابنه فقفلا راجعين يقتفيان آثار مزلجتهما. لكن سيرهما كان بطيئاً جداً. ونال التعب

فندق راس الخيمة



يتمتع بتقاليد مجموعة أبيلا في الخدمة والضيافة



تمثل فنادق مجموعة ابيـ
ومرافقها السياحية قطاعاً متوس
هو في اطراد.

وتنتشر مجموعة ابيلا في أنحا
الشرق الاوسط، وهي آخذة فـ
الامتداد الى القارة الاوروبية. و
رأس الخيمة في دولة الامارا
العربية المتحدة، تملك المجمو
فندقاً يضم ١٠٨ غرف وعشري
"بانغالو" مشجرة اضافة الى العد
من دور الضيافة في بلدان الشر
الاوسط.



ن بير كل منال، فسأل ابنه عن ضعه فأجابه معترفاً "عيناي ؤلمانني لاني فقدت نظارتي". اقشعر بدن بير هلعاً، اذ ادرك ان بنه كان في المراحل الاولى من لعمى الثلجي.

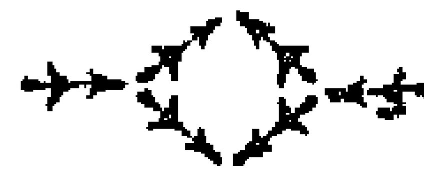
وعند العصر غرق التائهان في كومة ن الثلج. ولم يكونا اجتازا اكثر من ضعة كيلومترات خلال ثماني ساعات. وكان عليهما ان يبيتا في لعراء لان اولوف لم يستطع ان ينصب خيمةوحده. ونتيجة الاجهاد كانا يتصببان عرقاً، وتبللهما هذا سيتحول ع هبوط الحرارة الى خطر مميت. وقاوم بير دموع اليأس عندما حدث نفسه قائلا: "أنا لا ابالي ان اموت هنا، لكني ارجو الا يصاب ابني بمكروه".

وبدأ اليأس يغالب رجال الانقاذ. فكان عليهم ان يعودوا الى قاعدتهم سريعاً للتزود بالوقود، في الوقت الذي كانت تقترب ليلة باردة اخرى. وقال لارسون: "فلنقم بجولة اخرى". وأجاب اوغرن بعد ان تفرس في عداده: "حسناً، شرط ان نعود الى قاعدتنا فور انتهائها".

وفيما اولوف ووالده غارقان في الثلج، سمعا هدير طائرة الهليكوبتر. وجمدا في مكانهما برهة وقد خدرهما التعب والصقيع واليأس. وفجأة برزت الطائرة امامهما. فانتصب الصبي واقفاً وهو يلوح بيديه ويصيح: "انها طائرة هليكوبتر. سوف ننجو!" فشعر بير بأن حملا ثقيلا انزل عن ظهره لان ولده سيكون على ما يرام. وهبطت الطائرة، وترجل منها فوتيلاينن ولارسون. عندئذ وقف بير يكلمهما بنبرة اللابيين الهادئة: "لقد عثرتم علينا اخيراً، لحسن الحظ".

وعالج الاطباء اولوف الصغير في مستشفى كيرونا. وعاد نظره الى طبيعته عند عودته الى المنزل تلك الليلة، حيث ضمته والدته الى صدرها. أما معالجة بير فاستغرقت وقتاً اطول، لكنه شفي تماماً. ويقول المفتش فوتيلاينن: "لا شك في ان بير هايكا يدين بحياته لصغيره الذي لم يتجاوز السادسة. فلولاه لما حصل على مأوى او طعام او ماء. وقد ادرك الطفل مسؤوليته فأدى واجبه حسب التقاليد اللابية الاصيلة".

■ **اميلي وبير دولير**



بيتنا على الشاطىء

عندما كنت أملك بيتاً في بلدة ساحلية، اعتدت ان امشي الى الشاطىء الذي يبعد عن منزلي نحو ٨٠٠ متر واحمل بعض القش الذي لفظه البحر وأستعمله سماداً لحديقتي المزروعة خضراً وزهراً.

وحين عرضت المنزل للبيع، دهشت لدى اكتشافي ان احداً من الذين شاهدوا البيت لم يعبر عن رغبة في شرائه. وما لبثت ان عرفت السبب حين سأل زوجان بعد معاينة البيت يوماً: "كم مرة في الاسبوع تصل حركة المد الى الحديقة؟"

ف.و.

معدن لا يموت

منذ القدم سعى الانسان الى امتلاك الفضة. الا ان هذا المعدن الكريم يأتي اليوم آلاف المعجزات

يحفر عمال المناجم الى عمق ١٢٠٠ متر تحت سطح الارض من اجل استخراج طن واحد من خامات الفضة تستخلص منه اونصتان (★) من الفضة الخالصة.

واستخراج كميات الفضة القليلة هذه يتطلب عناء كبيراً، الا انه يستحق التضحية. فالفضة، صديقة البشر التي يصعب الاستغناء عنها، تستخدم في تحويل نور الشمس طاقة كهربائية، والكشف عن سرطان الثدي، وادارة محركات الطائرات، وتشغيل الحاسبات الالكترونية، وتحريك السيارات، ولحم الجماجم المثقوبة.

لقرون خلت اقتصر استخدام الفضة، او كاد، على سك النقود. وسكت النقود الفضية الاولى في مملكة ليديا في آسيا الصغرى قرابة العام ٦٤٠ قبل الميلاد. وضربت الفضة المستخرجة من مناجم لوريوم في اليونان نقوداً مولت فتوحات الاسكندر الكبير. كما اغرت مناجم الفضة في مملكتي الأزتك والاينكة الاوروبيين باستعمار الامريكتين.

تطرق الفضة الخالصة في الواح رقيقة جداً لا تزيد سماكة مئة الف لوح منها على ٢٥ مليمتراً. ثم تُدَقّ وتمد في شكل شعيرات دقيقة تصنع منها تحف فنية وتنقش بها آيات على الاواني المنزلية، فيرتفع ثمنها كلما عتقت. ان ملعقة فضية واحدة بيعت في العام ١٩٥٦ بثلاثة دولارات ونصف دولار تباع اليوم بستين دولاراً.

وخلال الاعوام الستمئة الماضية كانت الملاعق الفضية اكثر الادوات الفضية شيوعاً، علماً بأن الفضة الخالصة لا تستخدم صرفاً في صناعة الملاعق، لانها لينة كثيراً. لذلك

(★) الاونصة وحدة وزن للمعادن الكريمة، وهي تعادل ٢٨،٣٥ غراماً

condensed From Empire. Aug 1976.

يضاف ٧٥ جزءاً من النحاس الى كل ٩٢٥ جزءاً من الفضة.

واليوم جاوز استعمال الفضة سك النقود وصناعة الحلي والميداليات وادوات المائدة. وهذه بعض الامثلة على الاستعمالات الجديدة:

التصوير الشمسي – الفضة هي عصب هذا الفن الابداعي. فحين يصطدم مقدار صغير من النور بالقشرة الرقيقة المصنوعة من مركبات الفضة التي تغطي فيلم التصوير الشمسي، يحدث فوراً مليارات الذبذبات الضوئية. وفي اقل من طرفة عين تكبر ذرة الفضة كل وحدة من الضوء مليارات المرات.

وتفوق الفضة في سرعتها وقدرتها على التقاط الصور اي معدن آخر جرّب في هذه الصناعة. وتحتاج الصورة الواحدة الى كمية ضئيلة جداً من الفضة. اذ تكفي اونصة واحدة لالتقاط الفي صورة.

ويعتمد التصوير بأشعة اكس الفضة ايضاً. ويحفظ غلاف رقيق من مركبات الفضة، موضوع فوق افلام التصوير، الصورة التي تلتقطها تلك الاشعاعات غير المنظورة.

الصحة – ان قوة تأثير الفضة في الجراثيم والكائنات الحية تعادل قوة التقاطها للصور. فيكفي جزء واحد منها، اذا وضع في مصفاة، لقتل الجراثيم الموجودة في عشرة ملايين جزء من الماء من دون ان يسبب خطراً على حياة الانسان والحيوان. كما ان ملعقة صغيرة من الفضة تطهر اكثر من ٢٦ مليار ليتر ماء. وبذلك تفوق فعالية الفضة في تعقيم المياه فعالية الكلور (مادة مطهرة) عشرة اضعاف.

واليوم تستخدم المصافي الفضية لتصفية المياه في آلاف الاماكن.

ويقطر الاطباء نقاطاً من محلول نيترات الفضة في عيون المولودين حديثاً لمنع الالتهابات التي قد تؤدي الى العمى. وتقترح بعض النظريات الطبية معالجة الحروق الخطيرة بمركبات الفضة التي تقضي على الالتهاب من دون ان تعرقل عملية الشفاء. ويخيط الجراحون الجروح بخيوط من فضة، ويربطون العظام بأسلاك فضية، ويستبدلون الاجزاء المفقودة من الجمجمة بصفائح من الفضة.

الصناعة – الفضة هي افضل موصل للكهرباء. فاضافة الى انها رقيقة ولينة، فهي تقاوم عملية التأكسد (الصدأ). وهذه الميزات تجعل من الفضة معدن التماسّ الاساسي في اي نظام كهربائي في العالم، ابتداء بالساعة التي يستخدمها الصمّ وانتهاء بمصنع توليد الطاقة الكهربائية. وابتكر العلماء زراً كهربائياً، مصنوعاً من ٩٠ في المئة من الفضة و١٠ في المئة من الكادميوم، لادارة محرك السيارة بدلا من استعمال ذراع التدوير (الكرنك). فعندما تضغط الزر يتصل سلكان معدنيان ويسري تيار كهربائي من السلك الاول الى السلك الثاني في سرعة وهدوء من دون توليد حرارة مرتفعة. وحين توقف المحرك يتباعد السلكان وينقطع التيار من دون ان يترك مواد ملوثة.

وفي حال اشعال الفرن الكهربائي في المطبخ، تتصل اسطوانات فضية صغيرة بعضها ببعض ثم تنفصل حين يطفأ. وتتصل مشابك التماسّ

الكهربائي (الكونتاك) في الحاسبات الالكترونية ومحطات الاتصال مرات لا تحصى، وتتحرك في حرية ناقلة التيار الكهربائي من دون ان تؤثر فيها اي طبقة رقيقة عازلة. فبفضل الفضة يمكننا اجراء مخابرة هاتفية واشعال مصباح كهربائي ومشاهدة برنامج تلفزيوني واستعمال ثلاجة.

علم الطيران - تعد الفضة حبيبة الفنيين الفضائيين. فهم لا يستعملونها في صناعة مشابك التماس فحسب، بل يستغلون قدرتها على ربط الاجسام وقابلية الدمج (★★) التي تتمتع بها للحم اجزاء الالمنيوم والفولاذ بعضها ببعض.

وتولد البطاريات المصنوعة من الفضة والزنك طاقة كهربائية تزيد عشرين مرة على ما تولده البطاريات التقليدية. ان بطاريات كهذه، تكبر الواحدة منها حجم اليد بقليل وتزن ٣٫٩ كيلوغرامات، امدّت بالطاقة الكهربائية الاجهزة التي عملت على ابقاء رواد الفضاء على قيد الحياة وهم يتجولون فوق سطح القمر او يتنقلون بعربتهم القمرية. لقد عملت تلك الاجهزة على دفع الاوكسجين الى رئاتهم وضخ محلول مبرد داخل بزاتهم الفضائية وتنظيم اجهزة القياس التي تحكمت في ضربات قلوبهم. كما شغلت بطاريات الفضة العربة القمرية وجهاز الارسال والاستقبال الذي ارسل اصوات رواد الفضاء وصورهم الى الارض.

الطاقة - يستخدم العلماء في مختبر اوديبو للطاقة الشمسية في جبال البيرينه الفرنسية، صفوفاً من المرايا الفضية المغطاة بطبقة رقيقة من الزجاج لعكس نور الشمس مركّزاً داخل فرن ضخم. وتذيب حرارة الفرن العالية (٣٨٠٠ درجة مئوية) طبقاً فولاذياً سماكته ١٫٢٥ مليمتراً خلال خمسين ثانية. والاهم من ذلك ان الحرارة التي تولدها الطاقة الشمسية تكرر المواد افضل من اي طريقة تكرير اخرى، ويمكن استخدامها في افران الصهر والمفاعلات النووية والطائرات والصواريخ.

وترعى وزارة الطاقة في الولايات المتحدة الامريكية انشاء مصانع مماثلة تستخدم فيها المرايا الفضية. وهي تأمل بان تولد هذه المصانع طاقة كهربائية خالية من التلوث لمجموعة سكانية تراوح بين خمسة آلاف نسمة وعشرة آلاف.

لا تموت - يمكن تصنيع الفضة ثم تذويبها واعادة صبها في قوالب جديدة. وفي ١٩٧٥ بلغ مجموع ما استخرج من مناجم الفضة خارج كتلة الدول الاشتراكية (٢٦١ مليون اونصة)، في حين بلغ الاستهلاك ٤٣٣ مليون اونصة. وهذا يؤكد ان الفضة صناعة في ذاتها. ومن يدري، فقد يكون مجذاف فضي من زورق كليوباترا، اذيب واعيدت صياغته مئات المرات، هو اليوم جزءاً من اواني مائدتك او من سوارك!

ويعد ما حدث في الولايات المتحدة الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية خير مثال على استمرارية الفضة. فقد احتاج بناة مركز بحوث ذرية الى ١٣ الف طن من الموصلات الكهربائية

(★★) قابلية الدمج هي القدرة على لحم المعادن من دون الاخلال بتركيباتها الجزيئية.

الثقيلة. وكانت كل اونصة من النحاس المتوافر آنذاك مخصصة للوازم الدفاعية. فلاحظ احد المسؤولين ان وزارة الخزانة تملك كمية هائلة من الفضة، والفضة موصل للكهرباء أفضل من النحاس. فعمل على سحب ٤٠٣ ملايين اونصة صهرت واعيد سبكها في تركيبات ملائمة لبحوث ذرية بالغة السرية. وبعدما انتهت الحرب، انتزعت الموصلات الفضية ووضعت في المصهر وأعيد تحويلها سبائك وزن الواحدة منها الف اونصة. وعندما عادت الفضة بكاملها الى وزارة الخزانة، تبين انها خسرت من وزنها جزءاً في المئة فقط بعد عمليات التصنيع كلها وبعد سبع سنوات في الخدمة.

وعلى رغم تزايد الطلب على الفضة، فان الجيولوجيين يظنون ان معظم مخزون العالم منها تم اكتشافه. وتعتبر منطقة كور دالين (ولاية ايداهو الامريكية) عاصمة الفضة. فهناك، ضمن مساحة طولها ٣٢ كيلومترا وعرضها ٣،٢ كيلومترات، سبعة مناجم بلغ انتاجها ١٥ مليون اونصة عام ١٩٧٩، اي ٤٢ في المئة من انتاج الولايات المتحدة. ويستخرج من منجم "صن شاين" وحده نحو خمسة ملايين اونصة سنويا.

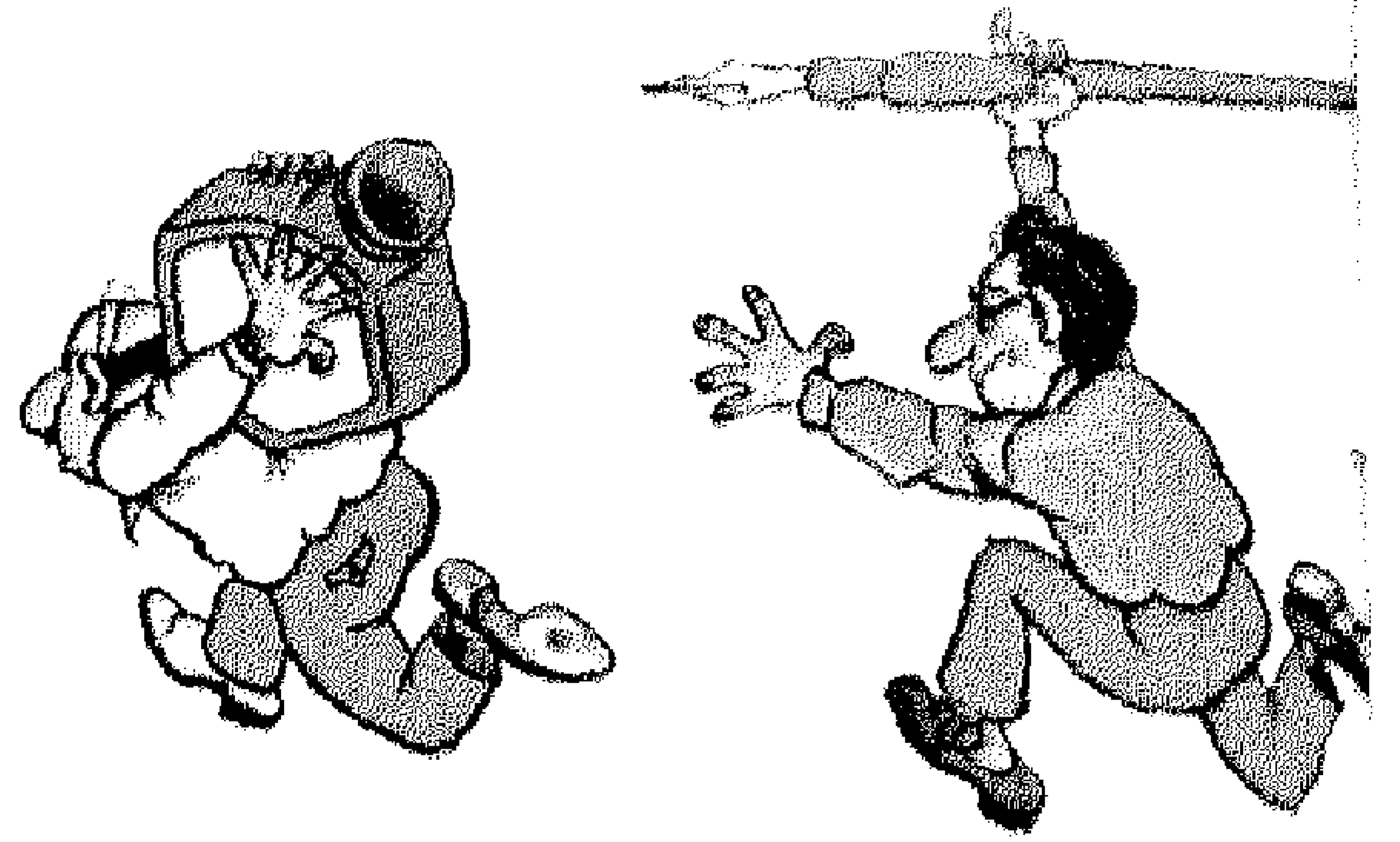
لقد انقضت في كور دالين الايام التي كان المنقبون يعملون فرادى ويحلم كل منهم بان ينال الغنى والثروة في ايام. واليوم يتحلق الفيزيائيون والجيولوجيون عند المواقع التي يظنون ان فيها مخزونا من الفضة. ويحملون اجهزة قياس المجالات المغناطيسية. وقد يأخذون عينة من التربة ويحفرون الانفاق ويفحصون الخامات. وهم يعلمون ان بين كل الف موقع يُدرس واحدا فقط يمكن ان ينتج الفضة بكميات تجارية.

اما ما بقي من الفضة فيقبع في اعماق الارض. وفي منجم صن شاين يعمل آلاف العمال على عمق ١٨٠٠ متر تحت سطح الارض. وقد جهزوا بمعدات متطورة باهظة التكاليف، اذ يبلغ ثمن الرافعة الواحدة نحو مليوني دولار وثمن الحفارة العملاقة نحو مئة الف دولار. وبما ان حرارة الارض تزداد كلما ازداد العمق، فمن الضروري تركيب آلات تبريد وتهوئة قوية في مناجم الفضة.

وتحفر الارض بحفارات مثبته على دعامات معدنية متينة، تعمل بقوة ٤٥ كيلوغراماً من الهواء المضغوط. ثم ترفع الخامات الارجوانية اللون الى سطح الارض لتطحن وتصبح ناعمة كالدقيق. وتفصل عملية كيميائية، اضافة الى عملية الصهر، معدن الفضة الذي ينسكب من فرن تزيد حرارته على ٩٠٠ درجة مئوية. ثم تسبك الفضة في الواح وزن كل منها الف اونصة، اي نحو ٣٠ كيلوغراما، وطوله ٣٠ سنتيمترا وعرضه ١٣ سنتيمترا وارتفاعه ١٠ سنتيمترات.

ان الفضة في ازدهار مستمر، فهي تدر المليارات على مستخرجيها. ومع اننا اعتدنا تعاطيها نقودا، الا انها اليوم معنا اكثر منها في اي وقت مضى، وهي تأتي الآف المغارات الصغيرة كل يوم.

■ سلاك كلارك



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد ثلاثية مدغمة، وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها فقط صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١ ـ طلّ: جبل صغير ـ ندى ـ مطر غزير ـ ثعبان.

٢ ـ مسّ: يد ـ مرض معدٍ ـ جنون ـ حاجة.

٣ ـ خفّ: حذاء ـ سروال ـ ما يلبس في اليد ـ قبعة.

٤ ـ غضّ: جميل ـ طفولي ـ خجول ـ ناضر.

٥ ـ صلّ: صوت السيف ـ افعى ـ مرض عضالٍ ـ فحيح.

٦ ـ محّ: بياض البيض ـ دماغ ـ صفرة البيض ـ وقح.

٧ ـ قرّ: برد ـ ابنٌ وحيد ـ مزاح ـ مقدّم الرأس.

٨ ـ فلّ: صديق مخلص ـ اخ ـ عصير العنب ـ رافعة.

٩ ـ فصّ: نزع العظم ـ حجر كريم ـ خاتم ـ سلسلة ذهبية.

١٠ ـ رخّ: وحش مائي ـ ضعف ـ حبل المرساة ـ طائر.

١١ ـ غلّ: محصول ـ قفل الباب ـ قيد ـ حيوان خرافي.

١٢ ـ برّ: يابسة ـ قمح ـ ابن صالح ـ احسان.

١٣ ـ جبّ: من الاعشاب ـ عائلة ـ شجرة صغيرة ـ بئر.

١٤ ـ شحّ: بخل ـ تسرب الماء ـ فقر ـ جمع صغير.

١٥ ـ هشّ: خشن ـ سريع الكسر ـ طازج ـ غاضب.

١٦ ـ غرّ: دجال ـ شاب غير مجرّب ـ لئيم ـ من القوارض.

١٧ ـ لدّ: صداقة ـ تنافس ـ جبن ـ شدة الخصومة.

١٨ ـ سكّ: صرير الاسنان ـ ارتعاد ـ ضرب النقود ـ وثيقة.

١٩ ـ عسّ: صعب الفهم ـ قاسٍ ـ الطوف ليلا ـ جندي.

٢٠ ـ ندّ: نظير ـ مطر خفيف ـ صديق ـ عود يتبخر به.

٢١ ـ ذرّ: رماد ـ قطع صغيرة ـ نثر ـ حفر الارض.

٢٢ ـ طيّ: ضمير ـ كتاب ـ نار قوية ـ كتمان.

٢٣ ـ جمّ: كثير ـ حبّ عظيم ـ راحة ـ شعر اللحية.

٢٤ ـ صبّ: حكيم ـ شاب طائش ـ عاشق ـ فتى وسيم.

٢٥ ـ عقّ: شرب ـ عاصٍ ـ ذهب خالص ـ جهل.

٢٦ ـ قنّ: جوارٍ ـ طفل ـ رمح ـ عبد.

٢٧ ـ عيّ: اعمى ـ شديد الصعوبة ـ عاجز ـ طلاقة اللسان.

٢٨ ـ نزّ: دم متخثر ـ مياه آسنة ـ جرح ـ تسرب الماء.

٢٩ ـ شصّ: سنارة ـ حظ ـ طعم الصيد ـ شبكة.

٣٠ ـ درّ: من الطيور ـ لآلىء ـ بيت كبير ـ كرم.



الأجوبة الصحيحة

١ ـ طلّ: الندى او المطر الخفيف، ايضاً: الحسن من ليل وماء وسواهما.
٢ ـ مسّ: الجنون، لانه عند العرب يأتي من مس الجن او الشياطين.
٣ ـ خفّ: واحد الخفاف التي تلبس في الرجل، سمي به لخفته.
٤ ـ غضّ: طري او ناعم. شباب غض اي ناضر.
٥ ـ صلّ: حية صفراء تكون في الرمل، اذا رآها الانسان فانه يرتعد حتى يموت.
٦ ـ محّ: صفرة البيض. المحّ: الثوب البالي.
٧ ـ قرّ: برد. القرّتان: الغداة والعشاء.
٨ ـ خلّ: صديق مخلص. خلّ: ما حمض من عصير العنب.
٩ ـ فصّ (بتثليث الفاء): ما يركب في الخاتم من الحجار الكريمة.
١٠ ـ رخّ: طائر خرافي هائل. ايضاً: القلعة في الشطرنج.
١١ ـ غلّ: قيد. ايضاً: العطش.
١٢ ـ برّ: الاحسان والصدق. البُرّ: القمح. البرّ: اليابسة.
١٣ ـ جبّ: بئر. الجبّاب: القحط الشديد.
١٤ ـ شحّ (بتثليث الشين): البخل. الشحيح: البخيل.
١٥ ـ هشّ: سريع الكسر. هشّ بشّ اي فرح مسرور.
١٦ ـ غرّ: شاب غير مجرّب. جمعها اغرار.
١٧ ـ لدّ: شدة الخصومة.
١٨ ـ سكّ: ضرب النقود. اين تسكّ اي اين تذهب.
١٩ ـ عسّ: الطوف ليلا. العسس: الحراس الليليون.
٢٠ ـ ندّ: مثيل، نظير. الندّ: عود يتبخر به او العنبر.
٢١ ـ ذرّ: نثر، تفريق. الذرّية: النسل.
٢٢ ـ طيّ: كتمان. الطيّة او الطويّة: النيّة. طوى البلاد اي قطعها.
٢٣ ـ جمّ: كثير. الجمّ: الشيطان. الجمّة: شعر الرأس.
٢٤ ـ صبّ: عاشق، ذو الولع الشديد. الصبابة: الشوق ورقة الهوى.
٢٥ ـ عقّ: عاص. ايضاً: عاقّ. عقيق: خرز احمر.
٢٦ ـ قنّ: عبد ملك هو وابواه. جمعها اقنان واقنّة.
٢٧ ـ عيّ: عاجز. داء عيّاء اي لا يبرأ منه.
٢٨ ـ نزّ: ما يتحلب من الارض من الماء. ارض نزّة اي ذات نز.
٢٩ ـ شصّ: حديدة معقوفة يصاد بها السمك وتسمى سنارة.
٣٠ ـ درّ: لآلىء عظيمة، الواحدة درّة. الدرّ: النفس.

المستوى
٢٥ ـ ٣٠: ممتاز
١٩ ـ ٢٤: جيد
١٣ ـ ١٨: مقبول



تشيانغ تشينغ، الممثلة الرشيقة القد، الحلوة القسمات، التي جاءت من شنغهاي لتصبح زوجة ماوتسي ـ تونغ، حاولت ان تجعل من زواجها باحد اباطرة العصر الحديث منبعاً لسلطة عليا في يديها . وقد اصبحت على قاب قوسين أو أدنى من النجاح، وظلت طوال عشر سنين احدى اقوى نساء العالم، وأضحت صاحبة السلطة الفعلية على ثقافة ٨٥٠ مليوناً من البشر.

واليوم، وقد تخطت السيدة السادسة والستين (ولدت في مارس /آذار ١٩١٤)، فهي لم تعد بطلة ثورية، بل اصبحت موضعاً للهجوم

خاص

من ممثلة إلى امبراطورة

أرملة ماوتسي - تونغ - تروي
قصة حياتها وتكشف بعض أحداث الصين،
تلك القارة المغلقة بالأسرار

المستمر باعتبارها من أقطاب "الثورة المضادة". وقد حدث هذا الانقلاب المفاجىء في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٦، عندما اعتقلتها على مشارف بكين قوات الحكومة الجديدة التي يرئسها الزعيم الجديد للحزب الشيوعي الصيني، هوا كو - فينغ. وهي متهمة بانها واحدة من "عصابة الأربعة" التي اتهم أفرادها بالسعي الى الاستيلاء على السلطة العليا في البلاد خدمة لمصالحهم الشخصية.

لكن الفرصة اتيحت لتشيانغ تشينغ كي تروي قصتها للعالم قبل ان تسقط من قمة السلطة. كان ذلك في سلسلة طويلة من المقابلات التي وافقت عام ١٩٧٢ على اجرائها مع روكسان

ويتكي، الاختصاصية الامريكية في الدراسات الصينية·

أما ويتكي، فهي الآن في الثانية والاربعين (ولدت في ١٦ مارس/ آذار ١٩٣٨) وتعمل أستاذة للتاريخ· وقد دعيت الى زيارة الصين عام ١٩٧٢ لاجراء بحوث عن أوضاع المرأة الصينية· وذات مساء في بكين نقلت ويتكي الى قاعة الشعب الكبرى لتناول العشاء مع تشيانغ تشينغ التي كانت في قمة سلطانها آنذاك· والراجح أن تشيانغ قررت في ذلك اللقاء أن ويتكي هي الشخص المناسب لنقل قصتها الى العالم الخارجي·

فبعد نحو أسبوعين نقلت ويتكي بطائرة نفاثة الى مدينة كانتون جنوب شرق الصين، حيث أخذت الى فيلا منعزلة تحيطها الحدائق والبساتين، واستمعت هناك، طوال ستة أيام متتالية، كان اليوم فيها ينتهي في ساعات الصباح المتقدمة، الى تشيانغ تشينغ في حديث طويل مشتت تضمن كثيراً من اللمحات الشخصية والكاشفة، روت فيه قصتها·

طموح مكشوف

كان واضحاً أن الامر كله اقترحه وأيده رئيس الوزراء آنذاك شو ان ـ لاي· غير ان القيادة الصينية لم تلبث ـ لأسباب مجهولة ـ أن قررت ان هذه المقابلات كانت خطأ من الأساس· وقضت ويتكي، بعد عودتها الى الولايات المتحدة، اشهراً عدة من دون أن تتلقى المخطوطات التي تضم ما سجلته، وتلقت بدلا منها عرضاً مالياً سخياً لثنيها عن نشر كتابها·

غير ان ويتكي قررت انجاز كتابها، مستعينة بالمذكرات المسهبة التي دونتها خلال المقابلات الطويلة مع تشيانغ تشينغ· وكانت النتيجة كتاب "الرفيقة تشيانغ تشينغ" الذي انطوى على قصة كاملة مليئة بالتفاصيل الحميمة، لم يصدر لها مثيل عن أي شخص من أفراد القيادة الصينية المحاطين بالأسرار· ولعل الاستثناء الوحيد من ذلك هو الزعيم ماو تسي ـ تونغ·

وفي القصة ثغرات ومواضع حذف كثيرة· وما ترويه تشيانغ كثيراً ما يبدو مستهدفاً خدمة شخصها الى حد كبير· ذلك لأنها حرصت طوال مقابلاتها على ابراز صورتها كتابعة مخلصة ("حارسة متجولة") لزوجها الرئيس ماو· والحقيقة ان تشيانغ تعكس أكثر اتجاهات ماو تطرفاً، خصوصاً استعداده لأن يعمد على نحو دوري الى هزّ الجهاز البيروقراطي في "حملات تصحيح"، بل ولأن يغرق الصين في فوضى شبه شاملة من أجل النقاء الايديولوجي·

فمن الأمور شبه المؤكدة، اذاً، أن اقصاء تشيانغ تشينغ كان صفعة غير مباشرة لزوجها. ولما كان هذا الاقصاء قد صاحبه انتصار الجناح الذرائعي (او البراغماتي نسبة الى فلسفة امريكية تتخذ من النتائج العملية مقياساً لتقويم الافكار) بقيادة الرئيس هوا كو ـ فينغ، فان سقوط تشيانغ يمثل، على نحو معين، بداية لتصفية الماوية في الصين·

أما تشيانغ تشينغ نفسها فان أقوالها تكشف احياناً عن عزلتها وما تعانيه من خيبة وتعاسة في خضم


تشيانغ تشينغ يوم زفافها، وعلى قفا الصورة الملونة اهداء الى روكسان ويتكي جاء فيه ان رومان كارمن، مصور ستالين الشخصي في ينان، التقطها في ١٩٣٩.

مباراة قاسية من مباريات التنازع على السلطة، لم تستطع أبداً أن تتقنها حتى في أكثر لحظاتها مجداً.

وتشيانغ لا تعرف الا النزر اليسير عن العالم الخارجي (...)

وتتضح صورة تشيانغ تشينغ من الكتاب كامرأة ذات شخصية على درجة كبيرة من التعقيد. فمن الجلي أنها ذكية ولديها القدرة على أن تكون ذات جاذبية كبيرة. لكنها أيضاً متغطرسة ومتقلبة وأنانية. وهي لا تكل، كما أنها عصبية وسهلة الاستثارة. وفي احدى جلساتها مع الكاتبة بلغ بها التوتر حداً اضطرت معه الى تناول حبوب منومة قبل ان تأوي الى فراشها. غير انها افرطت في الجرعة فانهارت. وفي مرة اخرى نهضت من مكانها فجأة وبدأت تلعب البلياردو مع اثنين من مساعديها وهي تصيح جذلا كلما أجادت في اللعب. وقد أوضحت آنئذ ان مثل هذا التمرين ضروري لوقاية ساقيها من التورم.

والمرض المزمن موضوع متكرر في قصة تشيانغ تشينغ. فهي عانت طوال حياتها ضروباً مختلفة من الامراض: السرطان والسل واضطرابات الكبد والهزال وانواعاً من الحمى لا تفسير لها ونوبات الاغماء والنزف وصنوفاً اخرى من الاسقام. والسيدة هي من المؤمنين بالعلاجات الطبيعية - وقد حاولت ان تحث ويتكي على تعاطيها - بما في ذلك جرعة مصنوعة من سيقان زهر اللوتس (لتيسير التبويل)، ومحلول من مياه البحر ونبات الخيزران (مفيد للثة)، وزهر ابيض مجفف (لم تحدد خصائصه العلاجية).

جلد غير عادي

لكن قصة تشيانغ تشينغ تكشف أيضاً عما تتمتع به من جلد غير عادي. فخلال السنوات الطويلة الشاقة التي كان شيوعيو الصين محصورين

في ملجئهم القصي في مقاطعة يينان، وهم مهددون معظم الوقت، تعين على النساء القيام بأعمال شاقة في الحقول وفي ورش استصلاح الأراضي، مع اعفائهن من هذه الاعمال خلال فترات الطمث. لكن تشيانغ تشينغ كانت ترفض بازدراء الافادة من هذا الحق.

وفي ما عدا اهتمامها بالمسرح الذي صاحبها طوال حياتها، فان هوايتي تشيانغ تشينغ - التي أسعدها أن تشاركها ويتكي فيهما - هما العناية بالحدائق والتصوير الفوتوغرافي. وكانت تلتقط الصور باستمرار، لا للمصانع والمزارع المصممة على الطريقة الاشتراكية وانما للمواضيع التي يفضلها الرسامون الصينيون التقليديون - مثل الزهر المتلالىء بندى الصباح والجبال التي تشمخ معالمها وخطوطها أمام خلفية من سماء الغروب. وكانت تكتب على ظهر صورها بالحبر الأحمر، وكأنها تحن الى الحبر القرمزي الذي كان استعماله في الماضي وقفاً على أباطرة الصين.

وفي ما يأتي بعض المقتطفات من قصة تشيانغ تشينغ كما تعيد روايتها الكاتبة روكسان ويتكي. وتبدأ المقتطفات بوصف لأول اجتماع لها مع تشيانغ تشينغ بصفتها الكاتبة التي وقع عليها الاختيار السامي لتسجيل قصة حياة "الامبراطورة".

(تايم)

"إن الرفيقة تشيانغ تشينغ على استعداد!" كانت هذه الكلمات دعوة الى مغادرة دار الضيافة، حيث كنا ننتظر، وبدء الرحلة بالسيارة الى فيلا تشيانغ تشينغ. وكان الطريق المؤدي الى الفيلا ضيقاً متعرجاً تحفه من الجانبين أدغال الخيزران الكثيفة التي كمن فيها جنود شباب من جيش التحرير الشعبي، وقد بدت حراب بنادقهم لامعة في ضوء الشمس.

كان داخل الفيلا فسيحاً، لكن الديكور كان خالياً من اللون والشخصية. وكانت تشيانغ ترتدي قميصاً رائعاً من الحرير الصيني الممتاز وتنورة ذات ثنيات متقاربة تصل الى منتصف المسافة التي تحت الركبة.

وباستثناء استراحة قصيرة لتناول العشاء والانتقال الى حجرة أخرى طلباً لهواء أكثر انعاشاً، ظلت تشيانغ تتكلم بلا انقطاع حتى الثالثة والنصف صباحاً. وكان نشاطها يزداد مع مضي الساعات. وبدا أنها لا تهتم بما انتاب سامعيها من ارهاق - بل نعاس - بسبب الحرارة الشديدة.

(روكسان ويتكي)

وتعد تشيانغ تشينغ طويلة القامة بالمقاييس الصينية (١٦٥ سنتيمتراً). وهي رشيقة صغيرة العظام، ذات يدين رقيقتين تشير بهما، وهي تتحدث، اشارات مرنة. وتمرر السيدة من وقت الى آخر مشطاً أخضر من البلاستيك في شعرها الأسود القصير. وكانت تشيانغ تشينغ - في ما وصفته ويتكي بأنه "فخامة امبراطورية بروليتارية" - محاطة بالاتباع والحرس الشخصيين وبأطبائها. وكانت حاشيتها هذه تحوم حولها في صمت ويقظة، بينما تولى كاتب تدوين كل ما تنطق به. وليس لأحد آخر ان يتكلم خلال تسجيل

تشيانغ تشينغ حديثها الطويل، بل انها أوضحت لمحدثتها ويتكي أنها لا تحب ان تقاطع بالأسئلة.

(تايم)

طفولة بائسة

بدأت تشيانغ تشينغ حديثها بالآتي: "ما دمت متلهفة على معرفة ماضي حياتي، فسأرويه لك باختصار. لقد نشأت في المجتمع القديم، وكانت طفولتي تعسة".

كان "لي تشين" احد الاسماء الكثيرة التي استخدمتها السيدة ماو قبل ان تتخذ لنفسها اسم "تشيانغ تشينغ" (ومعناه النهر اللازوردي، اي الازرق السماوي، بسبب غرامها بالأنهار ولأن اللازوردي "يفضل الأزرق"، وهو لون تحبه) الذي حملته في مجتمع الشيوعية. وكان لها اخوة وأخوات كثيرون - رفضت ان تكشف عن عددهم - أصغرهم يكبرها باثنتي عشرة سنة على الأقل.

وكان والد تشيانغ، وهو صانع عجلات، "عجوزاً" في الستين عندما ولدت. ومع ان عمر أمها كان يتجاوز الأربعين، الا أن تشيانغ تشينغ تذكر أنها كانت أصغر كثيراً من أبيها وتحمل في قلبها مقداراً اعظم من الرقة والحنان. "ولأننا كنا فقراء وليس لدينا الا القليل من الطعام، فقد كان أبي دائما يضرب أمي ويشتمها". وكان يضرب الأطفال أيضاً كلما عنّ له ذلك. غير أنه كلما هاجم الأم بشراسة كان الأطفال جميعهم يهبون للاحاطة بها وحمايتها منه.

وذات يوم كانت تشيانغ عائدة من المدرسة، فلفتها عجوز يحمل على كتفيه لوحاً خشبياً يتدلى منه رأسا رجلين - واحد من كل طرف - والدم لا يزال يسيل منهما. (واضح أنهما لرجلين قطع رأساهما، وتلك عقوبة شاعت في الصين أيام كانت ممزقة يحكمها القادة المحاربون). وصدمت الفتاة واندفعت الى بيتها حيث ألقت كتبها ارضاً وانهارت على فراشها وقد أصابتها حمى شديدة. واستطردت تشيانغ تشينغ بعد أن روت هذا الحادث: "أظن أن هذا يكفي لاعطائك فكرة عن طفولتي".

(روكسان ويتكي)

كانت تشيانغ حديثة السن عندما توفي أبوها وبدأت أمها تعمل خادمة. وعندما انتقلتا الى مدينة تشينان الشهيرة بمسارحها، وجدت الصبية ضالتها.

"في العام ١٩٢٩، انتسبت الى مسرح شانتونغ الاقليمي للفن التجريبي في تشينان، وهو معهد فني درست فيه المسرح الحديث على نحو رئيسي، الى جانب الموسيقى الكلاسيكية والمسرح الكلاسيكي. وكان عمري آنئذ لا يزيد على خمسة عشر عاماً. وكانت المدرسة تقدم للطلاب تعليماً مجاناً ووجبات طعام ومصروفاً شهرياً مقداره يوّان. واستمرت دراستي سنة واحدة فقط، كنت أستيقظ خلالها قبل طلوع الفجر وأحاول ان اتعلم أقصى ما استطعت.

"وأغلقت المدرسة بعد ان جاء الى مدينة تشينان قائد جيش الشمال الغربي. فانضممت الى عدد من المدرسين في فرقة مسرحية متجولة ذهبت الى بكين. وقد مضيت من دون

ان أخبر أمي، مكتفية بأن أرسل لها خطاباً ألقيته في صندوق البريد قبل ان يتحرك القطار مغادراً المحطة.

"في ذلك العام (١٩٣٠) لم أكن أتجاوز السادسة عشرة. وكانت الحياة في بكين بالغة المشقة. كنت فقيرة الى حد اني لم املك اي ملابس داخلية. ومع اني حملت معي أفضل سترة مبطنة لدى اسرتي، الا أني كنت أرتجف من البرد، لأن قطن بطانتها كان قد تضاءل عبر السنين. وكان ذلك الموسم في بكين حافلا بالعواصف الرملية، ومرت الليالي بالغة الكآبة. ولم أكن قد عرفت السياسة بعد أو تكونت لدي أدنى فكرة عن معنى "الكومنتانغ" (حزب الشعب الذي اسسه صن يات - سن عام ١٩١١) و"الحزب الشيوعي". كل ما كنت أعرفه هو أني أريد ان أطعم نفسي وأعبد المسرح".

(روكسان ويتكي)

التفاحة الزرقاء

غدت تشيانغ تشينغ ممثلة غير ناجحة، ومؤلفة مسرحيات مبتدئة، وفتاة يتملكها قلق فكري. ثم شدت رحالها قاصدة ميناء تشينغداو، شمال شرق الصين، واتصلت بأعضاء الحزب الشيوعي في تلك المدينة.

في أواخر ١٩٣٢ قدمت تشيانغ الى ي - تا - تشانغ، امين سر منظمة الحزب الشيوعي في تشينغداو آنئذ. وحدد يوم كي تلتقي ثلاثة من أعضاء الحزب الشيوعي لقاء يبدو عابراً وبمحض المصادفة في أحد شوارع تشينغداو. وكانت التعليمات لديها أن تمشي في طريق محدد في صحبة أحد الطلاب، وكل منهما يحتضن الآخر كأنهما حبيبان، على أن يلتزما جانب الحذر واليقظة التامة خشية الجواسيس والعملاء، ويفتحا أعينهما للاشارة المتفق عليها. ونجحت الخطة، ووجدت تشيانغ نفسها امام رجال يمثلون الحزب الشيوعي تمثيلا مباشرا. ودرس وضعها وأصبحت عضواً في الحزب الشيوعي في شهر فبراير (شباط) ١٩٣٣.

وتذكر تشيانغ في ذلك الربيع ان بعض أصدقائها الذين لم يعلموا شيئاً عما يحدث لها من الناحية السياسية بدأوا يطلقون عليها اسم التحبب "اركان - تسو" ومعناه الحرفي "العودان"، لأن ساقيها كانتا ناحلتين تختال فوقهما بهمة وشجاعة. وكانت قد فقدت كثيراً من وزنها لأنها كادت الا تأكل شيئاً - مجرد قطعتين من فطائر "شاو - بينغ" في اليوم (فطائر مقلية من دقيق القمح شائعة في شمال الصين). كما اجتهدت كي تقتصد بوسائل أخرى.

ولكن ما الذي اضطر تشيانغ الى هذا التقتير الشديد؟ اجابت عن ذلك بصوت عال: "كي أسدد ديني الى لي تا - تشانغ"، ورفضت ان توضح أكثر، وان تكن لمحت الى أن عضوية الحزب الشيوعي - بالنسبة اليها على الأقل - لها ثمن معين.

(روكسان ويتكي)

في العام ١٩٣٣ انضمت تشيانغ تشينغ الى الآلاف من جيل اليسار الجديد من كتاب الصين ومؤلفيها المسرحيين الذين اجتذبتهم مدينة شنغهاي الضخمة التي تؤمها جماعات

من مختلف الجنسيات. وكان اليساريون في الثلاثينات يعيشون خوفاً دائماً من حملة الابادة التي شنها ضد الشيوعيين ما سمي "الارهاب الأبيض" الذي فرضته الشرطة السرية للوطنيين.

وعلى رغم ذلك انضمت تشيانغ فوراً الى الحزب الشيوعي المحلي الذي كان صغيراً وضعيفاً. وكانت دوائر الفن اليسارية، ودوائر اخرى، في يد تشو يانغ، مفوض الثقافة في ما بعد، وهو موظف تقليدي في الحزب (عزل في ما بعد خلال الثورة الثقافية). وتذكر تشيانغ بمرارة كبيرة أن تشو وأعوانه أبقوها على هامش المنظمة الشيوعية طوال السنوات الأربع التي قضتها في شنغهاي، من دون ان تصبح أبداً عضواً في دائرة الحزب الداخلية السرية. وأرغمها الحزب مدة على العمل معلمة في برنامج لمحو الأمية نظمته جمعية الشابات المسيحية.

(تايم)

واذا استثنينا الأوبرا الصينية، فان الصين بأكملها لم تحو سوى القليل من المسارح التجارية. لكن الممثلين الشباب، امثال تشيانغ تشينغ، كانوا يتنافسون على الظهور بأجور زهيدة لا تزيد على أجور الحمالين في عشرات المسارح الصغيرة. وكانت المسرحيات في معظمها بيانات ايديولوجية تبعث على السأم، أو ميلودرامات سخيفة، أو ترجمات لمسرحيات غربية، مثل مسرحيات هنريك ابسن او برنارد شو، رأت احدى الجماعات اليسارية التي تعد بالعشرات أنها تحمل رسالة جتماعية. وكان من أدوار تشيانغ تشينغ المفضلة في شنغهاي دورها في مسرحية "بيت الدمية" للكاتب النروجي هنريك ابسن، حيث لعبت دور البطلة نورا، المرأة العصرية المتمردة. وهي تذكر ذلك بفخر.

ونظراً الى فقرها المدقع كانت تشيانغ تقصد المطاعم الغالية حيث لا تأكل سوى الخبز الساخن. ثم دخلت حلبة صناعة السينما، الرائجة آنذاك في شنغهاي، وانتجت كثيراً من الأفلام حول مواضيع اجتماعية. ومن نماذج ذلك رواية "التوأمتين" عن زوجة قائد حربي ثري وزوجة نجار فقير. ولعبت كلا الدورين وو هو - تييه (الفراشة وو) التي كانت من أشهر ممثلات شنغهاي.

ولم تنجح تشيانغ تشينغ أبداً في مجال السينما. لكنها حاولت. وجاءت فرصتها الكبرى عام ١٩٣٦ عندما جاءها عرض من احد الاستديوهات الثلاثة الكبرى في شنغهاي. واذ تملكها الفرح اختارت لنفسها اسماً فنياً جديداً هو لان بينغ (السلام الأزرق). لكن أحد زعماء اليسار، وكان له تأثير عليها كما يبدو، لم يعجبه من هذا الاسم سوى نصفه، ومن ثم تغير "السلام الأزرق" الى اسم أكثر اغراء واثارة للشهية هو "التفاحة الزرقاء". وتختتم تشيانغ تشينغ هذا الفصل من قصتها معترفة: "لم أكن ممثلة باهرة".

ومن أشهر الافلام التي اشتركت فيها تشيانغ "دماء على جبل الذئب". وهو فيلم رمزي مناهض لليابانيين، يهاجم فيه قطيع من الذئاب (اليابانيون) قرية جبلية (الشعب الصيني). غير ان فيلم

"دماء على جبل الذئب" كان أكثر من مجرد حكاية رمزية: كان نبوءة. فبعد شهر من انجازه غزا اليابانيون ارض الصين في يوليو (تموز) ١٩٣٧، ولم يلبثوا أن استولوا على شنغهاي. وبذلك انتهت الحياة القصيرة للتفاحة الزرقاء كممثلة سينمائية، وبدأت حياة تشيانغ تشينغ الثائرة الوطنية.

(روكسان ويتكي)

يينان: اللقاء مع ماو

ذهبت تشيانغ تشينغ الى مقاطعة يينان في اواخر ١٩٣٩. وكانت رحلتها شاقة اذ انها ركبت مؤخر الشاحنات. وحيث استعصت الطرق على الشاحنات كانت تشيانغ تكمل طريقها على ظهور الخيل، مع انها لم تركب حصاناً من قبل، فقد كان جيش الشيوعيين الأحمر أتم مسيرته الطويلة من الجنوب الشرقي واتخذ مقره في يينان، حيث كان الحدث الحاسم في حياة تشيانغ تشينغ طوال السنين العشر من اقامتها هناك، وهو طبعا زواجها من ماو.

(تايم)

كانت تشيانغ، وهي لا تزال في شنغهاي، قد سمعت اشاعات عن ذلك الزعيم المتمرد الذي يقود الجيش الأحمر. ولم تكن لديها سوى فكرة ضئيلة عن مظهره، من دون ان تعرف عن شخصيته امراً. وكانت تشيانغ، مثل سائر القادمين الجدد الى يينان، مأخوذة بالاختلافات بين الرفقاء البارزين. ولفتتها هالة العزلة والتفرد التي احاطت بماو، أو هيئته الاولمبية (نسبة الى آلهة جبل اولمبس في اليونان) كما سماها البعض.



تشيانغ تشينغ وماو على تلال يينان المشمسة في اوائل ١٩٤٧، قبل ان ترغمهما معابر

وعلم ماو تسي ـ تونغ بأمر الممثلة قبل ان ينقضي على وصولها وقت طويل. وسعى اليها بنفسه وقدم اليها بطاقة دعوة الى محاضرة كان يعتزم القاءها في المعهد الماركسي ـ اللينيني. واخذتها الرهبة في البداية فاعتذرت، ثم تغلبت على خجلها وقبلت الدعوة، وذهبت تراقبه وهو يؤدي دوره.

انتقلت من ذلك الى تعلم "الهراء البورجوازي" في اثناء انغماسها في المسرح. ولم تبدأ تشيانغ الا في مرحلة لاحقة تعمقها في الماركسية ـ اللينينية التي تمثل مرحلة التعلم الثالثة لديها.

(روكسان وتيكي)

زوجة ماو الأخرى

في احدى لحظات المقابلة حدث امر غير عادي.

فقد نهضت تشيانغ تشينغ وأشارت اليّ كي أتبعها. ثم قادتني بعيداً عن مجال الميكروفونات وأجهزة التنصت المنتشرة داخل المبنى. وكان علينا ان نختار مواقع أقدامنا بحرص كي لا تخترق أجسادنا الحراب اللامعة الرهيبة في البنادق التي يمسك بها شباب جيش التحرير الشعبي المتوارون في أدغال الخيزران التي تحف بالممر الضيق.

"هناك أشياء معينة أريد ان انبئك بها أنت، لكني لا أريد ان أنبىء بها العالم". وبهذه الكلمات تدفق من فم تشيانغ تشينغ سيل من الحديث. فهي تعرف اللغط الذي يتردد على الصعيد الدولي حول ظروف زواجها من ماو، لكن هذا اللغط لا يزعجها كثيراً، فالناس يرددون ان ماو غرق حتى أذنيه في غرام الممثلة الشابة الى حد أنه طرد زوجته الثالثة هو تسو ـ تشين.

ولعل مطلق هذه الاشاعات الخبيثة هو أحد خصوم ماو. فالحقيقة ان ماو انفصل عن زوجته الثالثة هذه قبل ان تصل تشيانغ تشينغ الى يينان. وكانت "هو" ـ الزوجة الثالثة ـ قد



...ات من زواجهما، اخذت هاتان الصورتان
...يك على احلاء البلدة في مارس (آذار).

ومنذ ايام زواجهما الاولى (وكان ماو يكبر تشيانغ بنحو ٢٠ سنة) كانا يتبادلان النكات حول اختلاف نشأتيهما، كما تذكر تشيانغ تشينغ بسخرية. فكان من عادة الرئيس ان يقول لها انها تعلمت في طفولتها "ان تؤمن بالآلهة وتقرأ تعاليم كونفوشيوس (فيلسوف صيني من القرن السادس قبل الميلاد)" ثم

غادرت الشمال الغربي لتقضي فترة نقاهة من أمراضها في الاتحاد السوفييتي. ولكن من الذي بادر الى طلب الطلاق؟ أجابت تشيانغ عن هذا السؤال بحدة وتأكيد قائلة انها هو تسو ـ تشين وليس الرئيس ماو.

وفي مرحلة معينة من باكورة زواج تشيانغ أخذت على عاتقها رعاية صبي صغير (ربما كان واحداً من أبناء أخ ماو). أحبت تشيانغ هذا الصبي وربته كأنه ابنها حتى أوائل الخمسينات، عندما خضعت لعلاج بالأشعة من السرطان. عندئذ رأى "آخرون" (لم تحددهم) أنها لم تعد قادرة على رعايته كأم، فانتزعوه منها غير عابئين بتوسلاتها ورفضوا ان ينبئوها بالمكان الذي اعتزموا وضعه فيه. وأصابتها تلك الخسارة بجرح عميق، ولم تستطع ابداً ـ لا هي ولا ماو ـ ان يهتديا الى مكان الصبي. اما هوية اولئك الخاطفين والسبب الذي عجز من أجله ماو شخصياً ـ وهو صاحب السطوة العليا ـ عن العثور على الصبي، فسران لم تمط تشيانغ تشينغ اللثام عنهما في المقابلات.

وذكرت للسيدة ماو ان بعض المصادر الأجنبية يزعم ان لها ابنتين أنجبتهما هي، وربما ابناً ذكراً أيضاً. فأجابت بحزم انها لم تلد الا طفلة واحدة انجبتها من الرئيس. (وتدعى هذه الابنة لي ـ نا، وهي متخصصة في التاريخ وتعيش بعيدة عن الأضواء. ولعلها الآن مغضوب عليها).

(روكسان ويتكي)

يتضمن الكتاب بعض اللمحات المدهشة عن ماو وعلاقة تشيانغ تشينغ به. فعندما كان ماو يعاني الارهاق او التوتر كان ينفث غضبه فيها أحياناً. وذات مرة، عندما بدأت قوات الوطنيين تقصف مواقع الشيوعيين الحصينة في يينان، ابلغت تشيانغ زوجها ان الخوف يتملك مساعديه. فصاح بها مكشراً عن انيابه: "أنت جبانة!"

وكان التوتر ينشأ أحياناً من الاختلاف الكبير في نشأتيهما. فهي فتاة ولدت ونشأت في المدينة، في حين ان ماو انحدر من أسرة ريفية موسرة وتمرد على أبيه الرجعي. وتذكر تشيانغ تشينغ ان ماو، حتى بعد تجاوزه السبعين، كان لا يفتأ يشتم ذلك الأب ويلعنه.

وبقي الشيوعيون ـ ومعهم تشيانغ تشينغ ـ في مقرهم الرئيسي في يينان حتى ١٩٤٧، عندما أخرجهم هجوم كبير شنته قوات الوطنيين. واعقبت ذلك سنتان من الحرب الأهلية المريرة التي انتهت بتشتيت القوات الوطنية وتراجعها فارة الى تايوان. وفي أول أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٩ وقف ماوتسي ـ تونغ فوق "بوابة السلام السماوي" على مدخل بكين وأعلن قيام جمهورية الصين الشعبية.

(تايم)

عندما نزل الرئيس ماو وزوجته وبعض الرفقاء مع جنودهم واستولوا على قلب بكين، المسمى "المدينة الامبراطورية"، كما استولوا (لاستعمالهم الخاص) على القطاع الغربي من هذه المدينة الامبراطورية، الذي تحده البحيرتان الوسطى والجنوبية المسميتان

"تشونغ ـ نان ـ هاي" (ومعناها الحرفي هو البحر الاوسط والجنوبي). أعطي كل قائد وزوجته وأولاده ـ ممن لم تفتك بهم الحرب ـ مسكناً داخل هذه المنشأة الامبراطورية السابقة.

وعلى رغم ان قطاعات كبيرة من أسوار المدينة الامبراطورية أزيلت لتسهيل حركة المرور على الطرق الرئيسية، الا ان أماكن إقامة الزعماء ظلت بعيدة عن أعين الجمهور، مثلها في ذلك مثل الحياة الخاصة لأولئك الزعماء. وكان البيتان اللذان يسكنهما ماو وتشيانغ تفصلهما عن بقية البيوت شبكة من الاعمدة ذات النقوش المعقدة والألوان من طراز مينغ (نسبة الى سلالة صينية ملكية بين ١٣٦٨و١٦٤٤). وكان كل من البيتين قائماً في ذاته، لكنه متصل بالآخر.

وتقول تشيانغ انها عاشت وزوجها عيشة بسيطة. وكانا يقضيان معظم وقتهما في القراءة ودراسة الأحداث الجارية والكتابة والانغماس من آن الى آخر في شؤون العالم خارج نطاق مسكنيهما. ونادراً ما كانا يخرجان سوياً. وربما لم يحدث أبداً أن تناولا عشاءهما في الخارج ترويحاً عن انفسهما. ومنذ ان جعلا اقامتهما في بكين لم يذهبا الى المطاعم (وهي متعة لشباب تشيانغ) سوى مرات قليلة.

(روكسان ويتكي)

مقاومة انقلاب

خلال الخمسينات اختفت تشيانغ تشينغ من المسرح السياسي اختفاء شبه تام بسبب اصابتها بسرطان في العنق وعلل أخرى. وعندما استردت صحتها في الستينات برزت من الخمول النسبي الى التألق الباهر. وقد عملت في البداية خلف الكواليس، حيث نهضت بدور متعاظم في مجال الفنون، خصوصاً لكونها ناقدة رئيسية للمسرحيات والأفلام البورجوازية. اما المعارضة التي لقيتها تشيانغ في البداية فازالتها "الثورة الثقافية" التي احدثها ماو كوسيلة لاعادة تثوير الحزب الشيوعي. غير ان الهجوم المكثف على البيروقراطية لم يلبث ان تجاوز كل حد وخرج على كل سيطرة، فتدهور الى عنف دائم بين الفئات المتصارعة أدى الى مقتل عشرات الآلاف. غير ان الثورة الثقافية كانت فرصة تشيانغ تشينغ للوثوب الى السلطان باعتبارها الديكتاتورة الثقافية للصين، فبلغت رفعتها نوعاً من التأليه السياسي. غير انه مع تزايد العنف تعرضت مكاتب تشيانغ للهجوم مرارا، وحدث كثيراً ـ كما روت ـ ان هددها الطلاب "بقليها في الزيت وخنقها".

في سبتمبر (أيلول) ١٩٧١ تعرضت القيادة في بكين لتهديد خطير، حيث قيل ان لين بياو، وزير الدفاع الذي عين رسمياً خليفة لماو، حاول اغتيال ماو، والاستيلاء على السلطة. وبعد اخفاق مؤامرته ـ حسب الرواية الرسمية التي لم تؤكد حتى الآن ـ قضى لين بياو في حادث سقوط طائرة فوق منغوليا بينما كان يحاول الهرب الى الاتحاد السوفييتي. وقد روت تشيانغ تشينغ هذه القصة بتفاصيلها في المقابلات، كاشفة عن كثير من

الخفايا حول تطورات الصراع بين لين بياو وماو تسي ـ تونغ.

(تايم)

"وضع اعوان لين بياو خريطة لمنزلينا واعتزموا مهاجمتهما بالقنابل للقضاء علينا جميعاً بضربة واحدة".

واستطردت تشيانغ انه خلال الفترة التي سيطر رجال لين بياو على منزلها ومنزل زوجها دبر لين بياو أمر دس السم على مراحل في طعام الرئيس ماو وتشيانغ تشينغ. فمرضا، وظلت هي مريضة ـ خصوصاً في اعصابها ـ طوال الجانب الأكبر من العام ١٩٦٩. وأضافت أنها لم تسترد صحتها الا حديثاً.

ومضت تشيانغ تقول: "كان الرفاق من أمثال رئيس الوزراء (شو اين ـ لاي الراحل) وأمثالي الى جانب الرئيس ماو. أما هم (اليساريون المتطرفون من جماعة لين بياو) فكانوا يشعلون النار في كل مكان. وكنا نحن نعمل كأننا فريق اطفاء".

وكان الرئيس ماو (خلال ١٩٧١) يقدم مشورته باستمرار الى رئيس الوزراء في صدد طريقة معالجة تلك الاصطدامات. لكن أفكار ماو لم تكن سهلة التنفيذ. وخلال فترة اشتداد لأزمة هرعت تشيانغ مراراً الى ساعدة رئيس الوزراء على "تهدئة لأمور". وكادت التهديدات الدائمة انقسام الشعب والمؤامرات ان تجعل العمل مستحيلا، حتى في البيت في منطقة تشونغ ـ نان ـ هاي التي تسرب اليها الاعداء هي ايضا، فلم يعودا ـ تشيانغ وماو ـ قادرين حتى على النوم او الاكل في امان.

ولمجرد المحافظة على حياتهم اخلى الرئيس ماو ورجاله تشونغ ـ نان ـ هاي بهدوء وأقاموا في أحد الفنادق. لكن ذلك لم يكن حلا مناسباً، فانتقلوا الى قاعة الشعب الكبرى. وأضافت تشيانغ أن بحث الزعماء عن ملجأ يتقون فيه شر مؤامرة لين بياو لخلع الرئيس أمر لم يسبق الكشف عنه للغرباء.

(تايم)

تحيات الى غاربو

ظلت تشيانغ تشينغ توجه شطراً من اهتمامها الى فرق المسرح والباليه التي كانت تحبها وترعاها. كما حاولت تطبيق مبادئها على السينما، منددة "بالنظام البورجوازي الذي يركز الاهتمام على المخرج". وقررت ان الافلام يجب ان تصنع طبقاً "للمركزية الديموقراطية". والنتيجة: ان صناعة السينما الصينية كانت ولا تزال ممزقة.

اما من الناحية الشخصية فلم تخف تشيانغ ولعها بالروايات البورجوازية.

"اني معجبة اعجاباً كبيراً باداء غريتا غاربو. هل هي لا تزال على قيد الحياة؟ اذا التقيتها أبلغيها تحياتي".

وذات مساء، بعد عشاء في كانتون ونزهة "كريمة" حول قاعة داخل الفيلا، أعلنت تشيانغ تشينغ انها تملك كنزاً بديعاً هو فيلم "الملكة كريستينا" للممثلة غريتا غاربو. وكان وجه تشيانغ متورداً، اذ ان هذا الفيلم الذي انتجته شركة مترو ـ غولدوين ـ ماير عام ١٩٣٣ هو من أحب الأفلام اليها. وقد أمرت باحضاره من بكين بالطائرة ليكون وسيلة الترفيه ذلك المساء.

وبدت عينا السيدة ترقصان حين بدأ اطفاء الأنوار • وعرض الفيلم على شاشة متنقلة • وكان الأزيز والصرير يتصاعدان منه لقدمه، كما بدت حركات الممثلين أسرع أو أبطأ مما يجب لاختلال سرعة دوران الفيلم • أما الصوت، وهو التسجيل الاصلي، فكان غير مفهوم اطلاقاً • وفضلا عن ذلك خلا الفيلم من ترجمة صينية مطبوعة، وهو نقص لم يوهن حماسة تشيانغ التي حفظت السيناريو تماماً من بدايته الى نهايته • والحقيقة ان الشرح الذي حرصت السيدة على ان تهمس به في اذني باللغة الصينية طوال العرض كان أوضح بمراحل من الحوار الجاري في الفيلم بالانكليزية •

(روكسان ويتكي)

ولكن لماذا يباح لها الاستمتاع بمشاهدة نجمات بورجوازيات مثل غاربو بينما يكون ممنوعاً تماماً على الجماهير الصينية • اجابت تشيانغ:

"ان هذه الافلام البورجوازية الديموقراطية يجب الاحتفاظ بها للعروض الخاصة" لأن الناس اذا شاهدوها فسوف ينتقدونها بشدة على أسس ايديولوجية، وسيكون هذا الهجوم الجماهيري غير منصف ابداً بحق غريتا غاربو لأنها ليست صينية • فلا بأس، اذاً، من عرض هذه الأفلام "في ما بيننا" (نحن القادة)، لأننا نستطيع التمييز بين نواحي قوتها ونواحي ضعفها •

(روكسان ويتكي)

التنانير وزهر السحلبية

ليست الأفلام الغربية وسيلة الترف الوحيدة غير البروليتاريةالتي تتمتع بها تشيانغ تشينغ • اذ بدا مظهرها ذات ليلة بورجوازياً حقاً وبعيداً تماماً عن الثورية • ولا شك في أنها ـ بمقاييس الصين الشيوعية ـ امرأة بالغة التأنق • وفي احدى الجلسات وزعت اثواباً سوداً يصل طولها الى ما تحت الركبتين، على معاوناتها العديدات وأمرتهن بارتدائها خلال العشاء تلك الليلة • وهذا كله يتناقض واضحاً مع الثقافة الاشتراكية ومع الملابس الموحدة القاتمة والمتماثلة لدى الرجال والنساء، والتي شاركت هي في فرضها على جماهير الصينيين •

ولم يبدُ على تشيانغ أي وعي لهذا التناقض، بل كانت ثقتها واضحة في أن صفتها (زوجة للرئيس) تعطيها الحق، بكل بساطة، في أن تتمتع بامتيازات معينة • وتقول ويتكي: "ان ما يجعلها متفردة ومتميزة هو احساسها بالتمتع بذاتيتها، وبأنها تستطيع الكلام والتصرف كما تشاء" •

(تايم)

وضحكت تشيانغ تشينغ كفتاة صغيرة وقالت: "اني أحب التنانير" • ثم أعطت واحدة لكل من تابعاتها (في ما عداي) واستطردت: "كما أنها مريحة في الصيف" •

وسألتها عن مصدر التنانير فأجابت: "من متجر الصداقة!"

ولم يهمها اطلاقاً أن القاعدة الرسمية المتبعة هي ان متاجر الصداقة هذه مخصصة للأجانب وحدهم •

وحجزت تشيانغ لعزلتها في مدينة كانتون متنزهاً مليئاً بزهر السحلبية يمتد بين الفيلا ونهر اللؤلؤ • وفي

اليوم الرابع من المقابلات ذهبت ويتكي ومرشدوها لمقابلة تشيانغ تشينغ في المتنزه.

مررنا ونحن نخطو الهوينا عبر بوابات في شكل القمر، واجتزنا حدائق على درجة عالية من التنسيق "الذي يحاكي الطبيعة" وخمائل لتناول الشاي وجسوراً وقناطر تمتد عبر مجار مائية وبرك اصطناعية وكان يرتفع أمامنا عن بعد مبنى لمشاهدة القمر، حيث جلست تشيانغ تشينغ، وهي ترتدي ثوباً من الحرير الساطع، في شرفة تطل على بركة مليئة بزهر اللوتس.

وعندما اقتربنا منها حيتنا بمرح من كرسيها الواسع المجدول وواصلت "عملها" - كما أوضحت - وهو ان ترفع من احدى السلال عينات نادرة من نبتات السحلبية وتضعها على ورق نشاف مبسوط فوق هياكل خشبية خفيفة صنعها حراسها الشخصيون. وقالت تأذن لي: "يمكنك ان تلتقطي لي صورة وأنا اعمل". وواصلت حركتها السريعة وهي تضحك وتثرثر. وقد التقطت لها صورة فعلا. وفجأة وجدتها تؤنب نفسها على خفتها، ثم سارت نحو سور الشرفة واصطنعت هيئة رسمية وهي تقف أمام تلك الخلفية البديعة لبركة اللوتس.

(روكسان ويتكي)

الرسالة الأخيرة

ان سقوط تشيانغ تشينغ بعد اربع سنوات من مقابلاتها مع ويتكي أنهى دوراً من أعجب الأدوار السياسية واهمها في القرن العشرين. وكان ماو نفسه حذر زوجته من الأخطار الجسيمة التي ستضطر الى مواجهتها بعد حين. ففي خطاب كتبه لها عام ١٩٦٦ تنبأ بأن اليمينيين لن يلبثوا بعد وفاته ان يحاولوا الاستيلاء على السلطة.

وبعد عشر سنين من كتابة ذلك الخطاب أرسل ماو الى تشيانغ رسالة أخرى قال فيها: "ربما كانت هذه الكلمات القليلة الرسالة الاخيرة مني اليك. ان الحياة البشرية محدودة، لكن الثورة لا تعرف الحدود. وقد حاولت في كفاح السنين العشر الماضية ان أبلغ قمة الثورة لكنني لم أنجح. أما أنت فتستطيعين بلوغ تلك القمة. غير انك اذا اخفقت فسوف تسقطين في هاوية بلا قاع، وستتحطم عظامك ويتفتت جسدك أشلاء".

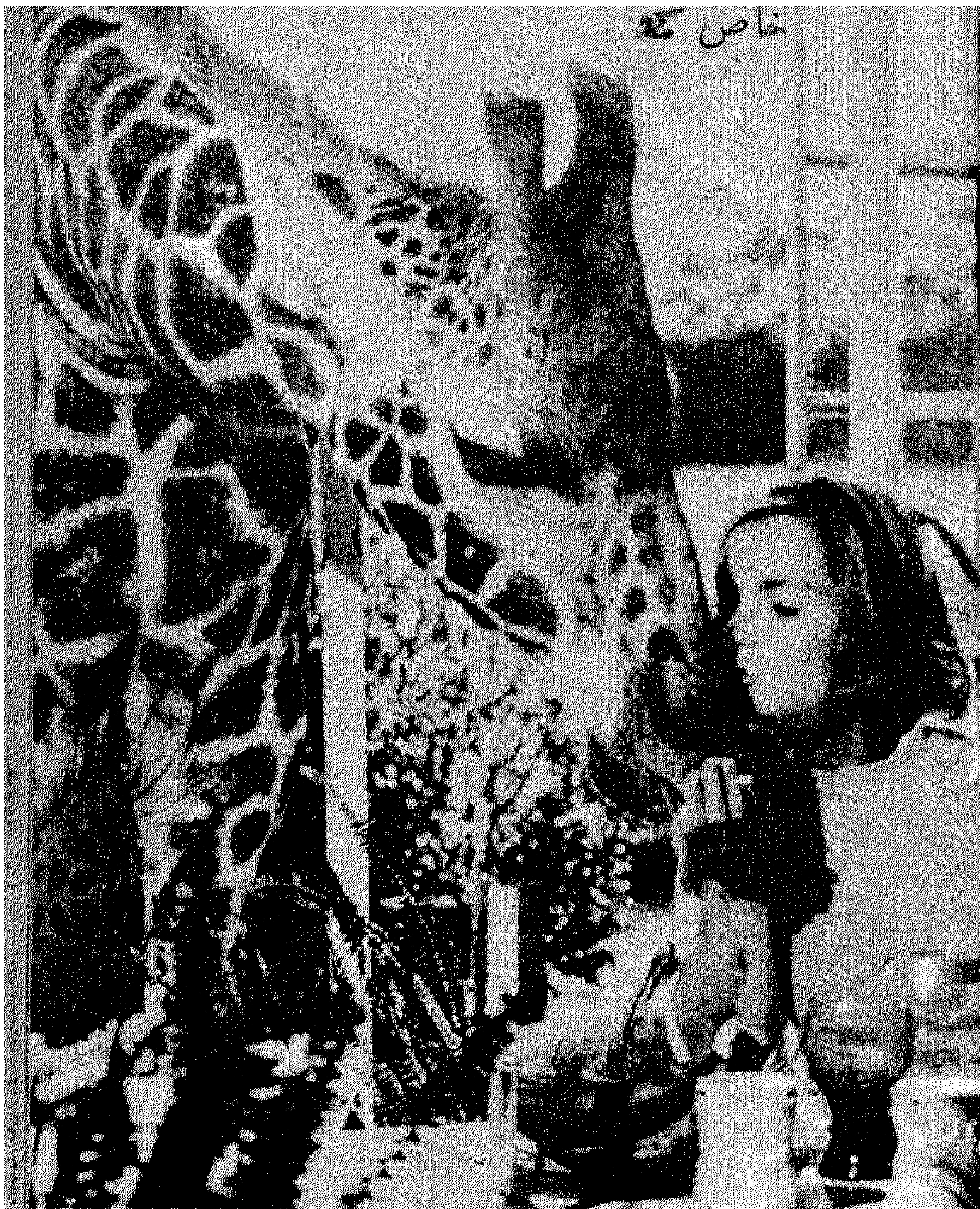
(روكسان ويتكي)



السلطة والصراع

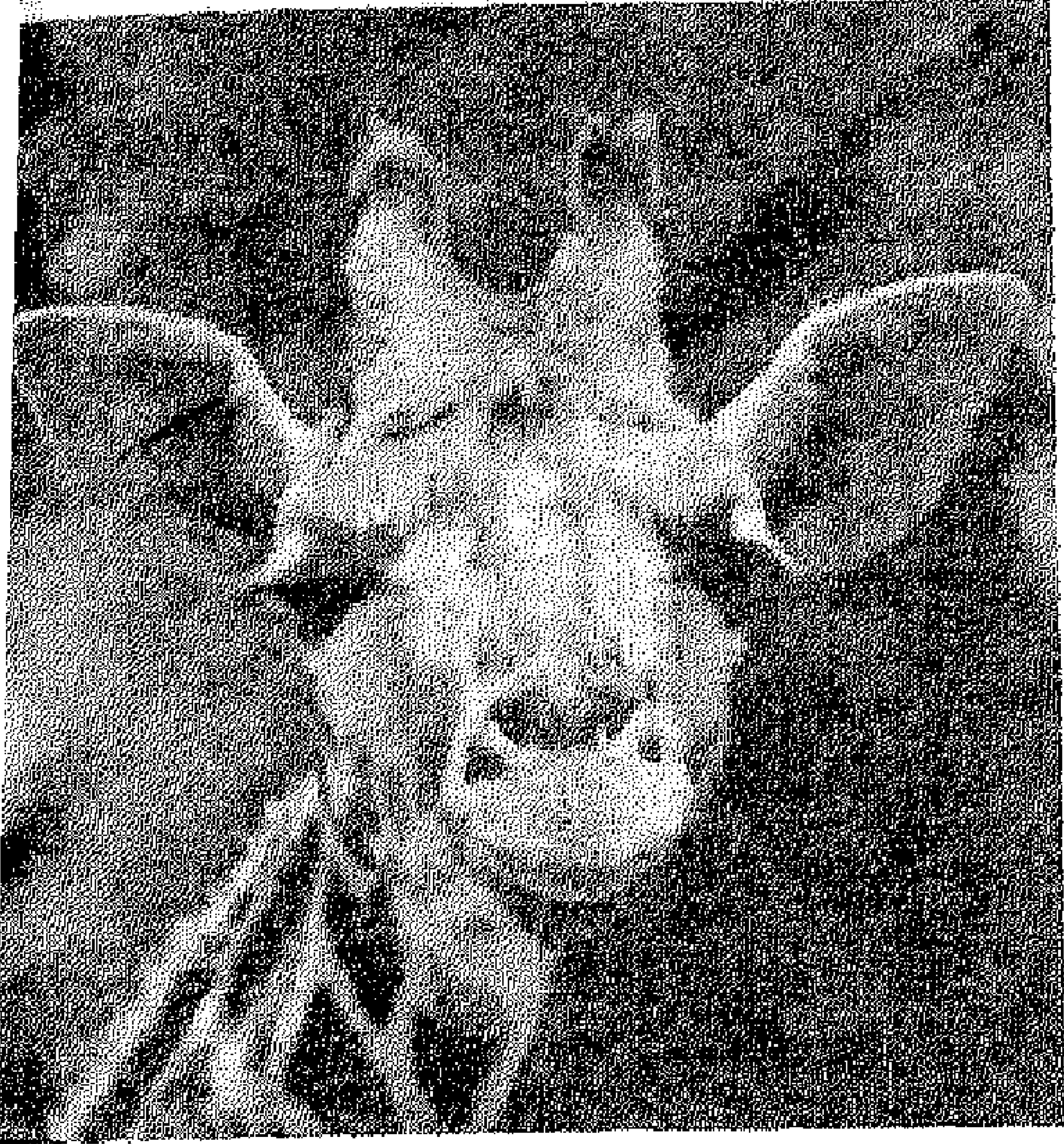
الموظف لزميله: "أجد نفسي في صراع على السلطة: رئيسي يملك السلطة وأنا املك الصراع".

د.م.ف.



الزرافة الحبيبة

بقلم بيتي وجون ملفيل



الزرافة الحبيبة



عندما اخبرت بيتي ملفيل وزوجها جوك اصدقاءهما بأنهما مزمعان على تربية زرافة على أرضهما قرب نيروبي، عاصمة كينيا، نبهوهما الى أخطار تلك المغامرة. فالزرافة قد تكبر حتى يبلغ وزنها ١٣٥٠ كيلوغراماً. وعلى رغم نعومتها والدلال الذي تحيط نفسها به، الا أن لها رفسة قاتلة اذا هي اثيرت. لكن بيتي وزوجها وقعا في حب زرافتهما بلا مقدمات. واقتنعا بأن ذلك الحب من شأنه التغلب على جميع المصاعب

راح قطيع من اربعين زرافة يرعى تحت شمس نوفمبر (تشرين الثاني) في ريف كينيا الساحر. وحين اقترب رذرفورد على صهوة جواده، اشرعت الزرافات سيقانها وانطلقت بسرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة عبر السهل الفسيح. لكنّ حجمها الكبير جعل خطواتها تبدو بطيئة وجليلة، علماً أن طول بعضها بلغ خمسة أمتار ونصف متر. وبدا الحصان المطارد مثل نملة تسرع وراءها.

أما صديقنا رذرفورد، الذي كان سابقاً حارس غابات، فهو يدير الآن مزرعة كريغ في وادي ريفت، وتبلغ مساحتها ٥٦٠٠ هكتار. وهذا الوادي يضم ما تبقى من فصيلة نادرة من الزراف الذي تتهدده التطورات الزراعية الحديثة. وكان رذرفورد يستعد للقبض بأي ثمن، على زرافة حديثة الولادة أردنا أن نأخذها الى مزرعتنا الصغيرة قرب نيروبي.

وخفقت قلوبنا ونحن ننظر الى رذرفورد يشق طريقه بجهد وسط القطيع الشارد كي يصل الى صغاره. واختفى هنيهة خلف الغبار، ثم ظهر في مقدم القطيع واختطف زرافة

صغيرة. وتقدم مساعده كيبور لمنع الزرافة من العودة الى القطيع، فيما ادخل رذرفورد حبلا معقوداً في رأسها. لكن الزرافة اهتزت بعنف متحررة من وثاقها، واختفت وراء تلة صغيرة. واسرع رذرفورد ثانية في اثرها وطوق عنقها بذراعه. فثبت حصانه المدرب حوافره في الارض، وتولى كيبور طرح تلك الصغيرة المحمومة، التي تزن ٢٠٠ كيلوغرام. وهكذا انتهت المطاردة.

ولدى وصولنا الى المكان قال رذرفورد: "انها انثى". وكانت زرافتنا الطفلة، وارتفاعها متران ونصفمتر، مضطجعة على الارض وقد مددها كيبور وحاول بشق النفس، ان يبقي عنقها مرفوعاً. ومعروف ان الزراف، اذا اراد الشرب، يحني عنقه وقتاً قصيراً. ولكن اذا طال الوقت فهو قد يتقيأ ويختنق بعد انسداد القصبة الهوائية.

وكنا - كعادة الازواج الذين ينتظرون مولوداً - اخترنا اسم "ديزي"، فاطلقناه على زرافتنا. وحدقت عيناها البنيتان الواسعتان الينا بخوف وحنق. ولمسناها فاذا وبرها ناعم كالحرير. واشرأب من رأسها قرنان صغيران مثل فرشتي دهان سوداويْن. وكان عرفها بنياً فاتحاً بلون الذهب، وقد ازدان عنقها بثلاث بقع بنية تشبه الفراش. لقد احببنا ديزي من النظرة الاولى، أما هي فكرهتنا.

وربطنا حبلا حول عنقها لئلا تهرب. ثم وقفت على قوائمها وبدأ الصراع. وراحت، كجواد حرون غير مروض او كثور على حلبة المصارعة، تقفز عن الارض. فكانت قائمتاها الخلفيتان ترتفعان الى الوراء ثم تهويان جانبياً كحركة المنجل، وتتقوس قائمتاها الاماميتان بسرعة هائلة. وأمسك كلٌّ منا بالحبل. أما هي فظلت تصارع. وكانت تتقدم بضع خطوات وتقف قليلا قبل معاودة صراعها. وكان حبي لها يزداد كل دقيقة.

والقاها رذرفورد أرضاً مرة أخرى وهي تقاوم وترفس وتصيح. وحملها ستة رجال الى شاحنتنا الصغيرة التي ازحنا مقعدها الاوسط. وبقي ثلاثة منهم ممسكين بها في الشاحنة، بينما قبض كيبور على رأسها. وانطلقنا جميعاً نحو الاسطبلات التابعة لمزرعة كريغ. وادركت ديزي انها وحيدة ومسلوبة القوة ونحن نقتادها الى مربط مليء برزم التبن الضخمة. وتركناها هناك للتأكد من ان حالها ستتحسن.

كانت ديزي اكبر حجماً، وبالتالي اكبر سناً، مما توقع رذرفورد. واذا قُبض على زرافة صغيرة جداً، فهي قد تموت لافتقارها الى حليب امها. أما الزرافة البالغة فقد يقتلها الارهاق الذي يعقب المطاردة. وكان عمر ديزي ١٢ اسبوعاً، وليس مستبعداً ان يكون الركض اعياها. وقال رذرفورد ان حظها في البقاء حتى الصباح يبلغ ٣٠ في المئة. واذا اصبحت وهي حية، فلديها ٦٠ في المئة من الحظ في البقاء خلال الساعات الثماني والاربعين اللاحقة التي تشكل الفترة الحرجة.

ولم أكن ادري ان حظها في البقاء ليس مكفولا. وكنت اصحو من وقت

النهار العربي والدولي

الاشتراك
طريقنا الاسرع اليك



القسيمة

الاسم ______________

الشهرة ______________

البلد ______ المدينة ______

الشارع ______ ص.ب ______

البلد	سنة بالفرنك الفرنسي	٦ أشهر
الدول العربية	○ ٤٠٠	○ ٢٢٥
دول المغرب العربي	○ ٣١٠	○ ١٧٥
فرنسا	○ ٢٦٠	○ ١٥٠
اوروبا	○ ٣٥٠	○ ٢٠٠
اميركا	○ ٥٠٠	○ ٢٦٠
افريقيا	○ ٣٥٠	○ ٢٠٠
اليابان	○ ٥٤٠	○ ٣٠٠
اوستراليا	○ ٥٤٠	○ ٣٠٠

قيمة الاشتراك المرفقة ☐ شيك ☐ شيك بريدي ☐ حوالة بريدية

ترسل القسيمة مع قيمة الاشتراك الى "النهار العربي والدولي":

FRANCE 19, Ave. Franklin D. Roosevelt 75008 PARIS Telex 641 650 F

الى آخر خلال الليل، واصلي كي تكتب الحياة لديزي، محاولة تبرير العذاب الذي سبتناه لها. وكان عزائي الوحيد ان ديزي، لو بقيت مع القطيع، لكان حظها في الحياة أقل من ٣٠ في المئة.

"الأم" جوك

ان عمل زوجي جوك هو تنظيم رحلات "سفاري" سياحية يتاح فيها التقاط صور للحيوانات. ويقع منزلنا في لانغاتا، احدى ضواحي نيروبي، ضمن ١٤٠ هكتاراً من الغابات الافريقية العذراء. وقد امكننا شراء ستة هكتارات من تلك الارض. أما المساحة الباقية فلم يشترها احد ولا دنا منها انسان. وكان يقوم وراءها سهل كيتنغيلا الفسيح الذي تسرح فيه الحيوانات البرية.

وعندما انتقلنا الى ذلك المنزل عام ١٩٧٥، وجدنا ثلاث زرافات تعيش على ارضه، هي: توم وديك وهاري. وادهشتنا رؤية تلك الحيوانات المرقطة تتنزه على طريق بيتنا وتقضم الشجر الذي يعجبها او تراقبنا في الحديقة. لكن تلك الذكور الثلاثة كانت تشيخ. وحين رآها احد ضيوفنا يوماً، قال: "لماذا لا تأتيان بزرافة صغيرة من تلك الفصيلة النادرة في مزرعة كريغ؟"

ان فصيلة ديزي من الاصناف النادرة في افريقيا الشرقية، ولا يتجاوز عدد افرادها المئة والثمانين. وهي جميعاً تعيش في مزرعة ديفيد وديليا كريغ في بلدة ليوا داونز. لكن الارض كانت فرزت للزراعة، وقسمت مزرعة كريغ اقساماً صغيرة تبلغ مساحة الواحد منها اربعة هكتارات.

ولم يكن المزارعون يكترثون للحفاظ على الحيوانات البرية النادرة، بل كانوا يقتلونها حماية لقطعانهم.

واتصلنا هاتفياً بديفيد كريغ وزوجته اللذين رحبا بفكرة تربيتنا زرافة صغيرة. ووعدنا رذرفورد بأن يطارد واحدة منها ويقيدها لنا. وهو كان خبيراً في تقييد الزراف من أجل نقله الى أماكن آمنة. وكان ربى زرافة سماها "سوزانا" اعتادت أن تطال الصابون من غرفة الحمام في الطبقة الثانية من منزله. واضطر الى وضع عصا الى جانب المغطس ليضربها كلما مدت رأسها من النافذة. كما كانت تأكل الثياب عن حبل الغسيل، وتركض الى سيارته ليقبلها عند عودته الى المنزل في المساء.

لذلك هوّن رذرفورد الامر علينا. ولكن لم نكن ندري أننا سنتعلم اموراً كثيرة.

ارسلت مصلحة المحافظة على البيئة البرية في كينيا طبيباً بيطرياً وعالماً في شؤون البيئة للتأكُّد من أن مزرعتنا صالحة للزراف. ولم ينس الخبيران ان يفحصانا نحن أيضاً، اذ أن للزراف حساسية خاصة تجاه الاضطراب النفسي والعاطفي. ورحنا نسأل جميع المعنيين، وبينهم مسؤولو روضة الحيوان في نيروبي، عن الامر، علهم يرشدوننا بنصحهم. واجمعوا على تنبيهنا الى أن تربية الزراف تتطلب براعة وحذراً كبيرين. واخبرنا صديقنا ديفيد هوبكرافت، وهو عالم حيوان، أن العنصر الاهم في تربية الزراف هو - في حال العناية الطبية المثالية والتغذية المدروسة - الحب والعطف.

وما كاد أول فجر يلوح بعد القبض على ديزي حتى هرعنا الى الاسطبل، ورأيناها واقفة في المكان نفسه والخوف لم يفارق نظراتها، وقضينا ذلك اليوم بطوله نتناوب على حمل وعاء الحليب الساخن لتشرب منه ديزي، الا انها اكتفت بالنظر الينا بخوف ورفض.

ولكن حين ذهبنا فجر اليوم التالي وجدنا فروها الصقيل طرياً وهي فاترة الهمة. ودنوت منها فرأيت دمعة في عينها... دمعة حقيقية. وتأكد لي أنها اختارت الموت. ولم تنفع وسائلنا في حثها على الاقتراب من الحليب، وبقيت جالسة وقتاً طويلا.

وتناولت وزوجي الغداء في جو حزين، ثم عدنا الى الاسطبل لالقاء نظرة يائسة اخيرة. وعندما فتحنا الجزء الاعلى من الباب، انهمرت دمعة اكبر من الاولى من عين ديزي. ورمقتنا بنظرة ذهبت بعدها الى الوعاء وشربت منه بعض الحليب، وراحت تشرب وتشرب الى ان أتت على قسم كبير منه. ومدت لسانها الى شفتيها وانفها ونظرت حولها. وبعد ذلك انحنت وقبلت جوك. ومنذ تلك اللحظة اصبح جوك "والدة "ديزي.

وبعد اربع ساعات مدت ديزي رأسها ثانية الى الوعاء، وراحت تتجرع الحليب الساخن بلذة الجائع الذي يقدم اليه الطعام. ثم اعطيناها بعض اغصان من شجر السنط (الاكاسيا)، وهي عنصر رئيسي تغتذي عليه الزرافات. وراحت تقضم الزهر، بعد أن تمدّ لسانها الاحمر القاني بين الورق والشوك لتقطفها بحذر شديد.

وبعد أيام قليلة أخذناها الى بيتنا في نيروبي. وقاد جوك السيارة مسافة ٣٦٠ كيلومتراً بلا توقف. وكانت ديزي مستلقية على القش ومربوطة بحبل، وهي في عهدة كيبور وابننا ريك البالغ من العمر ٢٧ عاماً. وكنا بنينا لها مربطاً خاصاً خارج اسطبل الحظيرة مؤلفاً من ثلاثة جوانب مضلعة. وكان الجانب الرابع باباً. وغطينا السقف حتى نصفه، تاركين النصف الآخر مفتوحاً لتستمتع ديزي بالشمس.

وكانت ديزي مفعمة بالترقب، تقف في مربطها وعنقها متقوس واذناها منتصبتان الى الامام، ثم تنعم النظر الى منزلنا والجياد والسيارات المارة واولاد حيّنا الذين اتوا لرؤيتها. واسعدنا ان نرى انها كانت تميزنا من بين الآخرين وتأتي لتقبلنا من خلال القضبان كلما اقتربنا من مربطها.

والحق ان اسم "ديزي" (زهرة الربيع بالانكليزية) يناسبها كثيراً. فعيناها الكبيرتان محددتان باطار من الرموش يرتفع خمسة سنتيمترات، ورائحة نفسها جميلة الى حد يفوق الوصف، كأن في داخلها "كيساً من الورد والطيوب" على حدّ تعبير العطارين. وربما انزلتُ يوماً الى الاسواق نوعاً من العطر سميته "نفس الزرافة".

وبقينا نقدم الحليب الى ديزي من الخارج حتى قرر جوك ذات صباح ان يدخل المربط والوعاء في يده. واستغرقت ديزي في الشرب ولم تلاحظ وقوفه الى جانبها. واعاد الكرة بنجاح. وفي الصباح التالي دخلت معه

وانزويت فوق كومة من التبن. وجاءت ديزي وشمت سروالي وحذائي ويدي وشعري. وهكذا، في اسبوع، بتنا ندخل مربطها ونخرج منه بانتظام.

ان الزرافة، بقوائمها الطويلة وارتفاعها، تجد مشقة في الانحناء والنهوض. ومعرفتها ذلك تجعلها تتأهب للنهوض لدى احساسها بأي خطر. ولكم كان فرحنا كبيراً عندما كنا ندخل الى ديزي بعد انقضاء ذلك الاسبوع فتبقى جالسة. لقد باتت تشعر بالامان. وهكذا نحن.

وقت الاستعراض

انـي وزوجي نعارض تربية الحيوانات البرية، حتى بقصد اطلاقها الى القفر لاحقاً. ومعظم اطفال الحيوان تُسقط نفسها على شخص بشري تجد فيه صورة الام. وهي تتكيف بالظرف الذي تجد نفسها فيه. واذا اعتقت فجأة، فقد لا تكون مؤهلة للانسجام مع واقعها الجديد، مما يولد لديها حساً بأنها متروكة.

الا ان الحال بدت مختلفة بالنسبة الى ديزي. فقد كان بيتنا متاخماً لمنطقة برية يمكنها العيش فيها لاحقاً. وهي حرة في انشاء روابط جديدة مع الذكور الثلاثة توم وديك وهاري ومع اي زرافة اخرى، كما يمكنها التنقل كما يحلو لها. لكن مربطها سيبقى هناك، وسيؤمن طعامها دائماً. وهي حرة في البقاء او الانطلاق الى الغابة.

واقمنا لها أمام المربط زريبة طولها ٣٠ متراً وعرضها عشرة امتار، وغرسنا مجموعة اشجار في الوسط لترعى عليها. وكان يمكنها أن تطول الاشجار والجنبات على حدود الغابة القريبة. ونظرت ديزي الى الباب المفتوح والينا قبل ان تخرج على رؤوس اصابعها. وعطست لمرأى اشجار الغابة فهي كانت تكرهها. لكنها استطابت اشجار السنط التي غرسناها واطبقت فكيها عليها. وسرعان ما أتت على تلك الاشجار، فاضطررنا الى ارسال البستاني ليسرق بعض الاغصان من الحديقة المجاورة. ونقرّ خجلين بأن هذا الامر لا يزال يحصل.

وكان لنا في كلّ امسية عرض تؤدي ديزي بطولته، اذ تختلس النظر من وراء الستار المشمع الذي يقيها الريح، ثم تتوارى خلفه وتعود لتمد رأسها من جديد. وبعد ذلك تسرع الى الخارج وترفس الارض بحركات انيقة، وتدور بسرعة حول الزريبة قبل أن تعود الى الداخل لتختبىء. وكنا نحييها مصفقين، فتعيد الحركات نفسها قبل ان تشرب الحليب وتخلد الى النوم.

ان ديزي تتصف بمزاج متقلب. فهي تقطب جبينها وتبتسم (تبتسم حقاً!) وتمرح وتنتىء شفتيها استياء. كما تبدو احياناً منتشية وواثقةمن نفسها، واحياناً اخرى مضطربة لا تشعر بالامان. وفي احد الايام لمست ابهام جوك برفق. وحين رفعه اخذتهالى فمها وراحت "تمضغه" نحو ثلاثين ثانية. واعادت الكرة بعد فاصل من الشرب. وما لبث مص الابهام ان اصبح جزءاً مهماً من نشاطها اليومي.

كانت أيام ديزي الاولى في لانغاتا

رائعة. وكنا نقدم اليها حليب البقر الطازج ممزوجاً بفوسفات الكلسيوم، ووقعة من العظام، ونقاطاً من مختلف انواع الفيتامين، واملاحاً معدنية متعددة. وزيت كبد السمك، والغلوكوز. وكنا نضع هذه في وعاء معقم.

الا ان ديزي لم تلبث ان مرضت. وتبين من تحليل روثها انها مصابة بالزحار (الاسهال) وهو من امراض الحيوان الشائعة التي تؤدي غالباً الى وفاة صغاره. وراحت ديزي تتمدد على الارض اكثر من عادتها، وتنظر الي بعينين رفيقتين حزينتين، كأنها تقول: "ساعديني!" ولكن لم تجد وسائلنا، بما فيها الجزر طعامها المفضل.

واشار رذرفورد علينا بأن نتجنب حليب المزارع الذي يعقل ان يحمل الجراثيم، مقترحاً ان نخفف كمية الحليب الذي نعطيها اياه. واضاف ان الزرافة الام لا تنتج كمية الحليب التي اعتدنا تقديمها الى ديزي. وبدأنا نعطيها نوعاً واحداً من الحليب المعقم، منقصين الكمية الى النصف. وهذا جعل ديزي تتحسن. وادركنا انها استعادت صحتها بعد ايام حين اكلت الجزر الذي قدمناه اليها واصرت على كمية اخرى، معبرة عن ذلك بقفزات متكررة، كما يفعل الطفل المدلل عندما تصيبه نوبة غضب.

باب الحرية

كنت وجوك نعد العدة للذهاب الى الولايات المتحدة في جولة محاضرات تستغرق نحو ثلاثة اشهر. وكتب ابننا ريك يخبرنا ان ديزي قطبت جبينها وقتاً طويلا بعد ذهابنا وكانت ترفس الناس. وعدنا الى كينيا بأسرع ما يمكن.وكان ارتفاع ديزي زاد بمقدار ثلاثين سنتيمتراً. وحين رأتنا هرعت الينا وطبعت على خد كل منا قبلة كبيرة سال لها لعابها. لكننا وجدنا ان تصرفها لم يكن طبيعياً، فمنحناها عناية أكبر. وكان فورانها يهدأ يوماً بعد يوم حتى عادت كما عهدناها.

وقر رأينا على اعتاق ديزي بعد اربعة اشهر. وعندما حان ذلك اليوم فتحنا باب الحظيرة وانشدنا لها احد أناشيد الحرية. الا أن ديزي بقيت في مكانها. وحاولنا اغراءها ببعض الجزر. وحين ادركت انها حرة، جمدت حيث هي كعفريت في علبة، ثم قوست جيدها بنشوة. وراحت تستكشف المكان بحذر، وكانت تشم وتذوق كل شجرة وجنبةوزهرة. غير انها ظلت ملتصقة بنا، وتبعتنا الى المنزل وقت الغداء. واخذت تنظر الينا عبر النوافذ وعلى وجهها امارات الضياع والاضطراب. ولم نفارق ديزي طوال ذلك اليوم الذي كانت تتفحص فيه كل الاشياء المحيطة بالمنزل. وعند الخامسة عصراً احست بالارهاق، كما أحسسنا به نحن. وسار جوك في اتجاه الحظيرة وهي تتبعه بصبر نافد للعودة الى بيتها.

ومرت الايام التالية على المنوال نفسه. وكانت الاشجار حول بيتنا تتقلص يوماً بعد يوم. ولم تبد ديزي اي اهتمام باكتشاف الغابة المتاخمة. وكان جوك يقودها ويشير الى احدى اشجار الغابة قائلا: "كلي من تلك الشجرة يا ديزي". وتروح ديزي تعلك الاوراق وجوك واقف الى جانبها.

ولكن ما ان يتحرك على رؤوس اصابعه مبتعداً عنها حتى تعدو وراءه بأقصى سرعتها • وكانت، اذا لم تجده، تقف بلا حراك في نقطة من ذلك المرج خصت نفسها بها، وتنتظر • وهي بذلك كانت تتحبب الينا، لكن ذلك يبعدها عن الاعتماد على نفسها •

وفي صباح باكر اتى البستاني الى جوك واخبره انه شاهد توم وديك وهاري على مقربة من الحظيرة عند الفجر، وان ذكور الزراف الثلاثة لا تزال في ناحية قريبة من الغابة • واقتاد جوك ديزي الى تلك الناحية • وفجأة برز رأس ديك من وراء شجرة، ثم ظهر توم وهاري وسط الحقل • وحان الوقت الذي يعْرف اذا كانت الذكور الثلاثة ستقبل ديزي او ترفضها •

ومرت دقيقتان او ثلاث من غير ان يحصل شيء • وراح ديك يجتر كما لو فقد اعصابه، وراحت ديزي تقطف الورق • وتقدمت ببطء نحو الذكر الهرم الذي وقف يراقبها عن كثب • وكان ارتفاعه ضعفي ارتفاعها، وحنى رأسه ليشمها، ثم راح يمشي الهوينا •

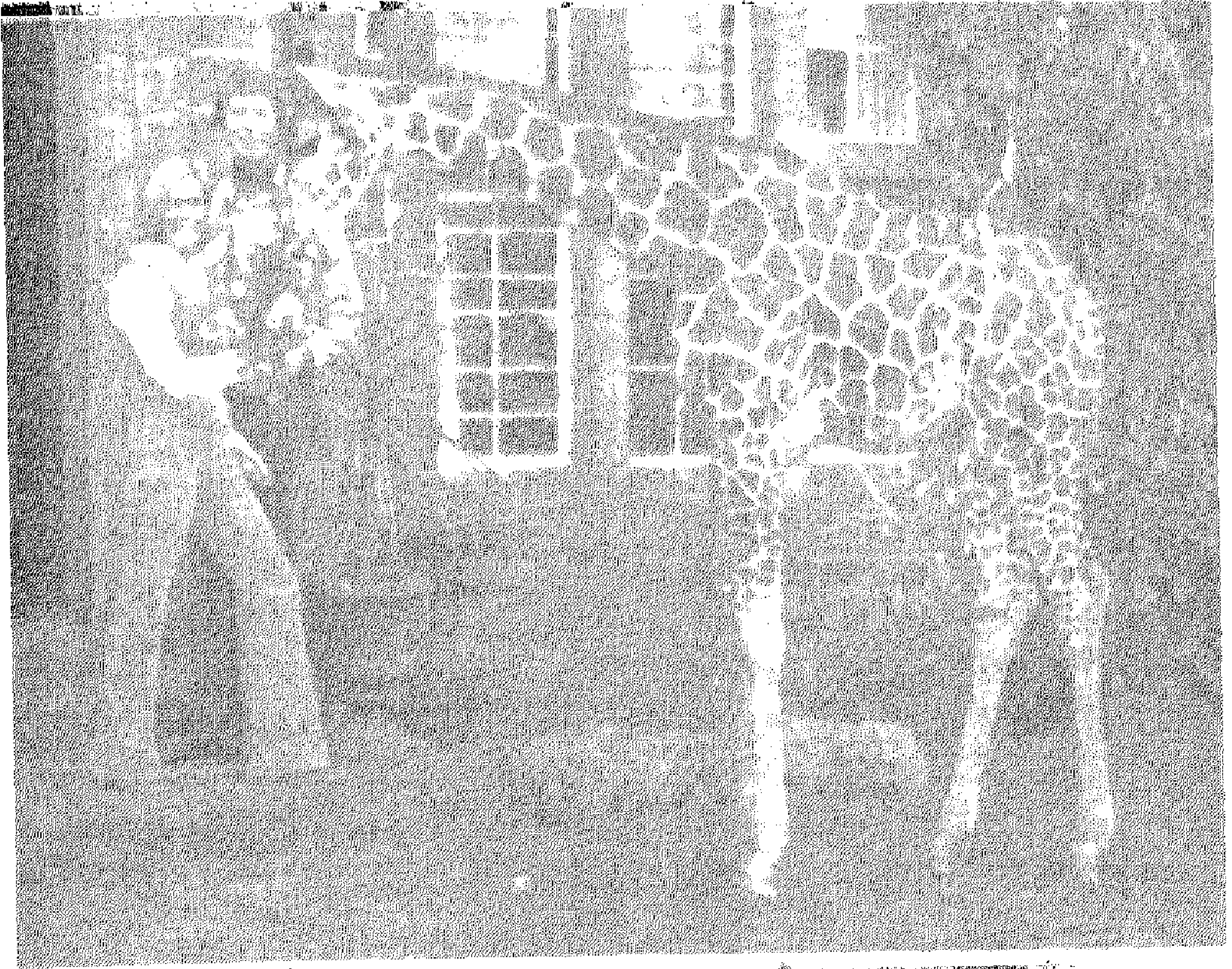
بعد ذلك تقدم هاري • وكانت ديزي اقصر من ان يصل رأسها الى صدره • ترى هل يدفع احد حوافره الضخمة بعنف ويطرحها ارضاً؟ ووقف هاري هناك نحو ١٥ ثانية • وما لبث ان حك انفه عليها برفق • وما هي الا دقيقة حتى استدار عائداً نحو توم •

وكان أمام ديزي الآن خياران: اما أن تذهب الى الغابة لتعيش مع جنسها واما ان تعود الينا • وحدقت الفحول الثلاثة اليها كأنها تقول: "هل تأتين معنا؟" لكن ديزي نظرت اليها بضع ثوان، ثم ركضت واختبأت وراء جوك •

"المحبوبة"، "الظريفة"

كانت عادتنا كل مساء ان نتنزه في الغابة مع كلبتنا السوداء شيرلي براون من فصيلة اللبرادور • ومنذ اطلاقها بدأت ديزي ترافقنا هي الاخرى • وبما أن الالفة تولد الامان، فهي لم يعد يروقها السير وراءنا • واصبحت تنتظر ان نتقدم عنها نحو خمسين خطوة لتعدو وراءنا بحماسة، ولكن بخطى هائلة، وتجبرنا على أن نلوذ وراء شجرة لئلا تسحقنا • ثم تنتظر ان نتقدم خمسين خطوة اخرى قبل ان تعيد الكرة وتضطرنا الى الاحتماء من جديد • لقد كان ذلك، بالنسبة اليها، من قبيل اللهو • أما نحن فلم نكن نجهل ان ضربة موجهة جيداً من تلك الحوافر الضخمة قد تكون مميتة، وان الحيوانات المفترسة، ومنها الاسود، كانت تحترس من الزراف •

وفي احدى الامسيات القمتني ديزي رفسة من حوافرها كانت ـ لحسن الحظ ـ خفيفة، قبل ان أتمكن من الاحتماء وراء شجرة • لذلك حاولنا في اليوم التالي ان نتسلل خارج المنزل من غير أن تدري بنا • ومشينا قرب الحظيرة على رؤوس اصابعنا ونحن ننظر وراءنا بحذر • غير ان ديزي عاينتنا • ومعروف ان للزراف اقوى حاسة نظر بين المخلوقات • وقفزت بمرح قفزة قصيرة، ثم اسرعت في اثرنا وقوائمها تنبش الجحيم من باطن الارض •



بفضولها الذي لا يرتوي تتفحص ديزي باقة الزهر في ايدي بيتي وجوك ملفيل •

وتحدثنا هاتفياً مع رذرفورد ليسدي الينا النصح• فقال انه يصعب على ديزي ان تخفف سرعتها، واقترح ان نقف مكاننا ثم نقفز جانباً قبيل وصولها الينا• وقبل جوك تلك الفكرة واعتبرها "خطة طوارىء"• أما أنا فرفضت التقيد بها واقلعت عن النزهة المسائية•

وفي أحد الايام اتى رذرفورد الينا• ورأته ديزي من بعيد، ولما اقترب استعدت للانقضاض عليه• ووقف في مكانه• وحين وصلت اليه ديزي جمدت هي أيضاً• وربما تذكرت انه هو الذي قبض عليها، وان المزاح لا يمكن معه•

وعلى رغم ان رفستها مميتة، الا أن احد علماء الحيوان يقول ان اهم وسيلة تعتمدها الزرافة للدفاع عن نفسها هي اليقظة والانتباه• (وجدير بالذكر أن رسم الزرافة في الكتابة المصرية الهيروغليفية كان يرمز الى القدرة على التوقع والتنبوء)• وليس مستبعداً أن تنصب ديزي اذنيها الى الامام ونحن نتحدث اليها او نطعمها، بعد أن تسدد انظارها الى اتجاه معين• ذلك أنه من غير الممكن ان يتحرك شيء ضمن نطاق رؤيتها الواسع من غير أن يلفتها• ويبدو أنها تتحسس، قبل أي كائن آخر، دنو أحد منها•

إن اسم "الزرافة" عربي• وهو يعني، من بين أشياء اخرى

"الرشيقة" او "المحبوبة". وخلال بلايين السنين عاشت تلك الكائنات المحبوبة في بطاح افريقيا التي اصبحت، على مرّ الحقب، صحارى. ثم اضمحلت من ذلك المكان مع اختفاء الزراعة. وكان الناس يصيدونها بالقسيّ والفخاخ كما تشهد على ذلك الرسوم الحجرية. ولا تزال تلك الفخاخ تستعمل في انحاء من افريقيا حتى اليوم.

وفي أمكنة كثيرة، لم يقتصر صيد الزراف على الافادة من لحمه وجلده القاسي الذي كانت تصنع منه الدلاء الفاخرة واوعية الماء والاحذية بل كانت بعض القبائل تصنع من الاذيال شارات رسمية لقادتها وملوكها. ولا يزال شعر الذيل الاسود الطويل مادة مفضلة لصنع الاساور. ومنذ وقت غير بعيد شاهدنا زرافة ميتة. ويبدو ان احداً رماها في الوحل من أجل الحصول على شعرها. لكنّ حكومة كينيا اليوم - لحسن الحظ - تراقب صيدالزراف والحيوانات البرية الاخرى.

ان مرحلة البلوغ والتزاوج لدى الزراف تبدأ في السنة الرابعة. ويدوم الحمل ١٥ شهراً، يولد بعدها الطفل بارتفاع ١٨٠ سنتيمتراً ووزن ٥٥ كيلوغراماً على الاقل. وليس هناك زرافة مطابقة للاخرى من حيث تكوينها. والعلامة التي تميز زرافة عن اخرى هي غرز حوافرها. ويمكننا، جوك وأنا، تمييز ديزي عن اي زرافة سواها بالنقاط التي تشبه الفراش على عنقها.

يقال ان الزراف هو الحيوان الاكثر ذكاء بين ذوات الحوافر. ولا شك في أن ديزي سريعة الادراك، إلاّ أن عقلها نسيج وحده. فهي تستجيب لنا وتستطيب حضورنا، لكنها لا تعرف معنى الطاعة ولا تسعى الى نيل رضانا كما تفعل الكلاب والدببة والسعادين.

وقد استغرقت تربية ديزي من وقتي اطول مما استغرقته تربية اي من اطفالي الثلاثة. وكنت ابقى الىجانبها فترات طويلة لئلا تشعر بالوحدة، وأذهب كل نصف ساعة الى النافذة واناديها باسمها. ثم الوح لها بيدي واخاطبها ببضع كلمات ودودة حفاظاً على صداقتنا،

لكنها كانت تبدو مستوحشة هناك، من دون أحد تلهو معه سوى جوك وأنا. ولم يكن أمامنا الا أن نأتي بزرافة اخرى.

ادخل يا مارلون

وافق رذرفورد فوراً حين طلبنا اليه القبض على زرافة اخرى. وذهبنا من جديد الى بلدة ليوا داوتز. وحذّرنا رَذرفورد من أن الزرافات في حال اهتياج لأن المزارعين الجدد لا يقونها شر رصاصهم.

وفي الصباح الذي تلا وصولنا شاهدنا زرافة اماً ترعى مع وليدها أجمات شوكية على بعد مئة متر من القطيع. وانطلق رذرفورد وكيبور على حصانيهما وحاصرا الزرافتين قبل ان تتمكنا من العودة الى القطيع. وبعد قليل اختفت الزرافتان وراء أجمة كثيفة والحصانان في اثرهما. وأخيراً عاد رذرفورد منهكاً وهو يقول: "انه ذكَر". وأخذَنا الى أجمة حيث رأينا طفلا صغيراً في الأسابيع الاولى من عمره. وكان أفتح لوناً من ديزي،

وله وجه شرقي وعينان مائلتان متباعدتان. وكان جلده أملس كالصفصاف. وقبّلته بملء شفتيّ وأحببته من النظرة الاولى.

ولم تكن هناك حاجة الى العنف كما في حال ديزي. وحمل أربعة رجال ذلك الطفل كما لو كان كلباً كبيراً، ووضعوه في السيارة. وحين وضعناه في مربطه وقف يحدّق الى الجدار ويرفض النظر الينا.

وفي الليلة الاولى ضرب الصغير الأرض بحوافره ورقق وعاء للماء وفرّق التبن الذي كدسناه له بجانب جدران المربط. لكننا في الصباح وجدناه واقفاً هناك بمرح ويقظة وترقّب. وعندما حملت وعاء الحليب تحت انفه، وضع رأسه فيه ليرى ما هو. ووقع معظم الحليب على أنفه ووجهه. ولكن بعد بضع محاولات تمكن من شرب مقدار ضئيل منه. ووقف يحدّق الى الجدار مرة اخرى. لقد كان مصاباً بداء الترقّب. وبعد قليل تقدم من الباب وسمح لي بأن ألمسه. وفيما كنت امرر يدي على أنفه الأزغب الناعم، اندفع بقوة عبر النصف الاعلى المفتوح من الباب. وحين دفعناه الى الداخل نظر الينا بمكر وحاول مرة اخرى. ثم تغاضى عن الأمر علنا نغضّ الطرف عنه قليلا فيحاول كسر باب السجن من جديد. انه ممثل بارع حقاً! وأطلقنا عليه اسم مارلون (تيمناً بالممثل مارلون براندو).

وعلى رغم محاولاته المتكررة للهرب وكسره عارضتين من مربطه، الا ان القبض عليه لم يؤلمه كما حصل بالنسبة الى ديزي. ومددت اليه غصن سنط في رأسه بعض رقاقات الجزر، فأخذ يدنو منه ليتفحصه. وبعد قليل راح يتفحص أصابعي. وكانت رغبته في أن ألمسه تزداد. ولم يستغرق تحوله من حيوان بري الى حيوان أليف أكثر من ٤٨ ساعة. وبدا مارلون عازماً على الاستمتاع بالحياة.

ولا انسى، حين وصل مارلون الى لانفاتا وأنزلناه من السيارة، كيف تهادى الى الزريبة كما لو كان ثملا من عناء الطريق. وبدا سعيداً حقاً لرؤية ديزي. الا أن ديزي المسكينة المستوحشة، التي عانينا من أجلها كل تلك المشقة، دنت من مارلون الصغير ورفسته بقوة.

وكنا بنينا له مربطاً صغيراً مضلعاً الى جانب مربط ديزي. وبقي مارلون يحاول النظر اليها من بين القضبان. وعندما فتحنا له الباب صباح اليوم التالي، ركض منتشياً الى ديزي وحاول ان يرضع. لكنها رفسته ومضت في طريقها. غير ان ذلك لم يثبط عزمه، واستمر يرمقها بنظرات غرامية ويحاول لمسها طوال الأيام اللاحقة، خصوصاً وقت الأكل. ولم يبد اهتماماً بالطعام الذي قدمته اليه، واقتصر أكله على جرعات قليلة من الحليب الساخن الذي تناوله ببرود.

وبعد مضي اسبوع على مجيئه، وضع مارلون أنفه على نحو مفاجيء في وعاء الحليب الذي كنت أحمله وراح يشرب منه بتلذذ الى أن أتى عليه. ثم خفض رأسه وقبلني في عيني.

ولم ينفك مارلون عن مراقبة ديزي، ولكن بدافع الفضول وليس بدافع الحاجة. وكنت أنا الأم بالنسبة

ليه، وكنت أعني له الطعام. وبرزت
اطفته بقوة، وكان يلحس اصبعي
قتاً طويلا ويعلك شعري وحزامي.
كنت أقف الى جانبه وننظر معاً الى
ا يجري خارج الحظيرة. فيحك عنقه
ظهري ويقبلني، ويغتاظ لأني لا
عرف أن أحك عنقي بظهره كما يفعل
لزراف.

وذات صباح أخرجنا مارلون الى
لحظيرة حيث كانت ديزي. فنظرت
ليه، وتقدم أحدهما من الآخر لامساً
أنفه. وقوّس كل منهما جيده وبقي
نحو عشر ثوان واضعاً جبينه على
جبين الآخر. وأخيراً رفعت ديزي
رأسها عالياً ورفست مارلون بقائمتيها
الخلفيتين رفسة خفيفة كأنها قبلة
عجلى يمليها الواجب، ثم عادت الى
الشجرة التي كانت تقضم أوراقها.
ولم يعد خافياً أنّ ديزي كانت تغار
من مارلون.

خارج الحظيرة

بعد سبعة أسابيع في الزريبة، حان
الوقت لاطلاق مارلون. وفتحنا الباب،
فمكث حيث هو كما فعلت ديزي من
قبل. وقفز قفزة صغيرة وأخذ يركض
ضمن دائرة محدودة. وألقت ديزي
نظرة عليه، ثم عادت تراقب قطيع
الخنازير البرية. لكنها عادت ونظرت
اليّ والى جوك بقلق، وقد ارتسم على
وجهها سؤال: "من أخرج الطفل من
حظيرته؟" وطمأناها الى أن الأمر كان
على ما يرام.

وبدأ مارلون يتذوق الأوراق
والاغصان والازهار ويكتشف ما حوله.
فاذا بديزي، التي اكتنز جسمها
واستدار ردفاها واكتست فرواً لماعاً،
تراقبه بحنو أمّ وتأخذه الى كل
شجرة وجنبة في الحديقة وتتبعه
حيثما ذهب. وأطلقنا صيحة رضا،
لكن ذلك لم يدم طويلا.

كان ابننا ريك مدّ سياجاً من
الاسلاك الشائكة خلف الحديقة
ليستعمل الأرض المسورة كحقل
لترويض الخيل. واندفع مارلون في
ذلك الاتجاه بأقصى سرعته واصطدم
بالسياج، فسقطت عليه بعض الأسلاك
والدعائم. ونجح، بعد لأي، في
النهوض على قوائمه واندفع نحو
الغابة. وحين وصلنا اليه وجدناه واقفاً
بلا حراك في فسحة مقطوعة الشجر،
وهو يرتجف وقد امتد ذيله بين ساقيه
ولامس معدته. وحاولت أنا وجوك
عبثاً ان نهدىء روعه، لكنه ثبت
حوافره في الأرض كأنما أراد أن
يبقى هناك الى الابد.

وكانت ديزي، في الوقت نفسه،
قد هرعت الى السياج لتبصر ما حدث.
فاصطدمت بالأسلاك ووقعت رأساً على
عقب. الا ان الجروح التي أصابتها
كانت طفيفة.

وعدت الى المنزل لأرى ما حل بها،
ثم اتجهت مرة اخرى نحو الحديقة
لأرى، بعد قليل، أن ديزي تبعتني
بسرعة جنونية لم أعهدها من قبل.
واندفعت الى داخل الأجمة. أما هي
فانتصبت على قائمتيها الخلفيتين
ودفعت القائمتين الأماميتين بسرعة
البرق المتتابع. غير أنها أخطأتني
بمسافة قصيرة جداً. وبعد ذلك مشت
باضطراب نحو الغابة. واوهنني
الخوف، فوجدت بقعة صغيرة ارتميت
فوقها.

وبعد عشرين دقيقة أبصر جوك

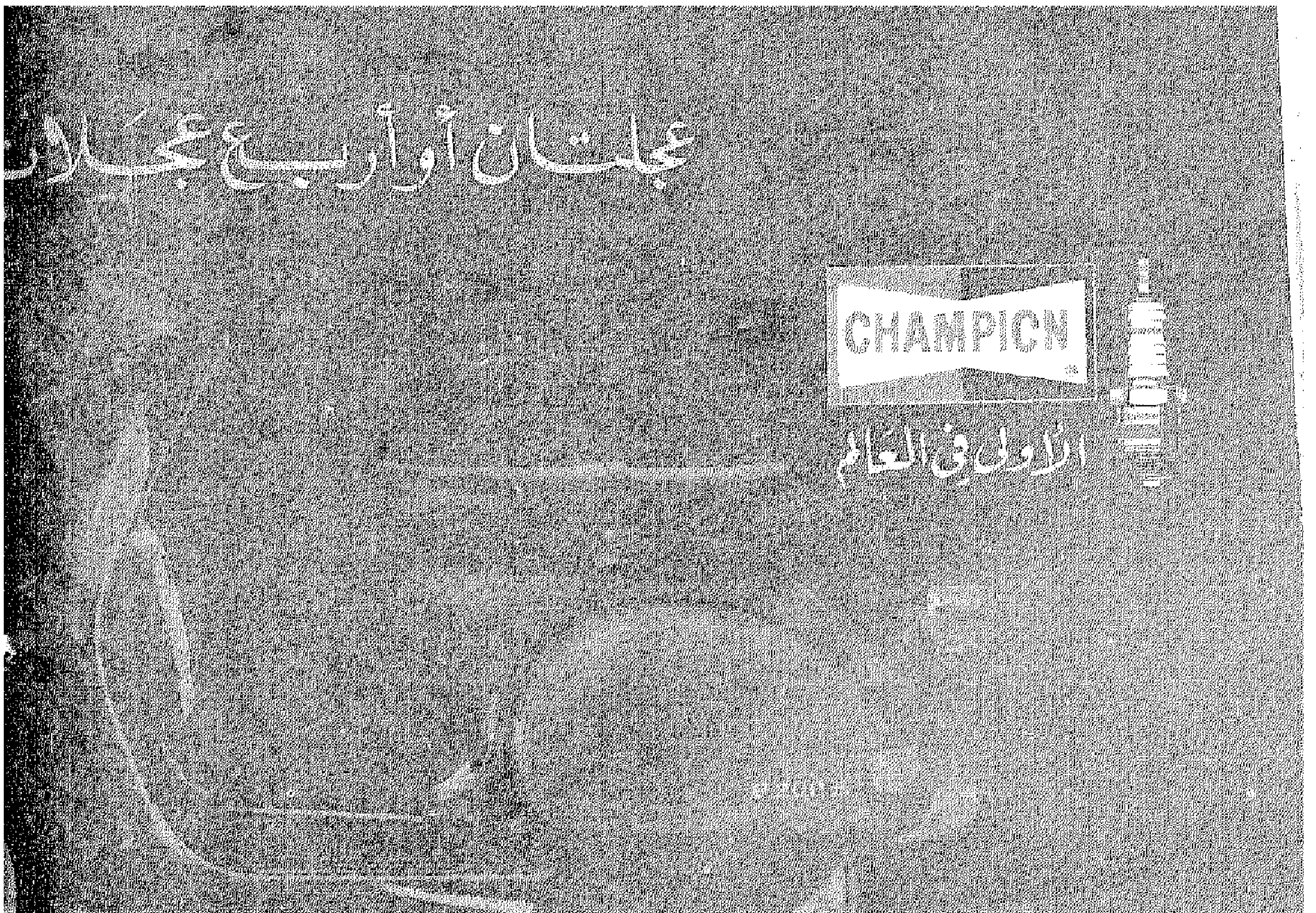
ديزي تأكل الاوراق بهدوء ـ وهذا مثل آخر على مزاجها المتقلب. وتبعته بوداعة الى حيث كان مارلون يتابع مشهده المسرحي. ووقف الاثنان مكانهما بلا حراك. الا ان الكلبة شيرلي براون، التي كانت شاهدة على ما حدث، خرجت من بين الاشجار وهي تتنفس بصوت مسموع، ووقفت تحت قوائمهما. وعندما تأهب جوك للانصراف، تبعته شيرلي. واطمأنت ديزي الى ذلك فسارت في لحاقهما ووراءها مارلون. وانطلقت المسيرة من الغابة الى الزريبة مباشرة.

وكانت الساعة لم تتجاوز الثالثة عصراً. غير أني قدمت اليهما طعام العشاء، قائلة لهما ان وقت النوم حان، وان عليهما البقاء في الزريبة طوال اليوم التالي وربما على الدوام!

وأردت غسل يدي من أثر الزراف، فدخلت المنزل صافعة الباب ورائي.

وبعد نصف ساعة عدت الى ديزي ومارلون لاعطيهما حصة اضافية من الحليب الساخن. وتذكرت ما قاله الطبيب البيطري من أن الزرافة تضطرب اذا رأتنا مضطربين. لذلك بذلت جهداً عامداً لاهدىء من روعي.

ان الخوف الذي سببته مطاردة ديزي لي واندفاعها نحوي بقوة لن أنساه أبداً. ولئن اكن أنا وجوك نصر على ان الزرافة حيوان يمكن توقع سلوكه، الا أني ـ حين افكر في ما حصل ـ يزيّن لي أن ديزي لم تكن تود مهاجمتي بمقدار ما كانت تسعى الى ان اطمئنها بعد خبرة رهيبة. وعندما ركضت بعصبية واضطراب، لحقت بي وحاولت ضربي كما يفعل



طفل مذعور بأمه. لكنني لن أنسى أن الزرافتين في حظيرتنا تستطيعان القتل.

رقصة الزرافة

بعد انقضاء أيام على ذلك الحادث، حاولنا مرة اخرى اطلاق مارلون. وكانت المحاولة ناجحة تماماً. فقد مشى هو وديزي خارج الزريبة. وراحت هي تأكل ما تبقى من شجرة سنط كنا غرسناها السنة الفائتة، أما هو فراح يجري بعض تمارين الركض. وفي المساء عاد الاثنان، باحترام لواجبهما، الى الزريبة قبل ثلاث دقائق من موعد العشاء. وبعد ذلك ظلا يذهبان الى النوم في مربطيهما ليلا حتى ارتأينا أنهما بلغا سناً يمكنهما معها النوم في الخلاء. وها هما اليوم ينامان في الفسحة الخضراء خارج المنزل.

وعلى رغم أن لهما حرية الذهاب الى حيث يريدان، إلا أن ديزي ومارلون لا يتجاوزان عادة مساحة اربعة هكتارات حول المنزل. وأحياناً يلعبان لعبة المطاردة، فيعدو أحدهما وراء الآخر بسرعة جنونية. ويقفان ويلهثان دقيقة، ثم يأخذ الواحد دور الآخر ويركضان من جديد. وهناك لعبة اخرى هي أن يصدم أحدهما بصدره الجزء الخلفي من جسد الآخر، وهما قسمان مليئان بالعضلات التي تخفف من حدة الصدمة. لكن المشكلة أنهما يحاولان، من وقت الى آخر، ممارسة هذه اللعبة مع جوك ومعي، وهذا يغرينا كثيراً، من غير ان ننسى أنهما وحوافرهما يفوقاننا حجماً.

وذات مساء قصدنا المستنقع الذي نصطاد فيه السمك. وكان معنا

صديق أدار آلة تسجيل على شريط يحمل موسيقى اوفنباخ "أقاصيص هوفمان". وما ان سمعت ديزي ومارلون تلك الموسيقى حتى تسمرا في مكانيهما منصتين. وأخذا يرقصان بين الاشجار حيث كنا، ويدوران على قدم واحدة كمن يرقص الباليه، ثم يغزلان بسرعة ويعيدان الكرة. وحين أرسلت الشمس حرابها الذهبية الأخيرة عبر أشجار الغابة ومنها الى ماء البحيرة، غدونا نحن مركز المسرح والزرافتان تؤديان حولنا رقصة باليه رائعة.

وتجدر الاشارة الى أني اكتشفت، قبل وقت ليس بطويل، أن أحد اقدم الوقائع في تاريخ كينيا المدوّن كان إرسال زرافة من بلدة ماليندي الكينية الى بكين، عاصمة الصين، عام ١٤١٥. وعندما استقبلها الامبراطور في قاعة قصره الضخمة، أثارت حركاتها لدى الحاضرين أحاسيس جعلتهم يشبّهونها بحيوان من أساطيرهم يدعى "كيلين". وغدت الزرافة، بالنسبة الى الصينيين، رمز السلام الكامل والانسجام والفضيلة. والحق أني لا استغرب هذا الأمر بعدما عرفت ديزي ومارلون اللذين يجعلان قلوبنا تغني كل يوم.

■ **بيتي وجوك ملفيل**

منذ نشر المؤلفان قصة ديزي ومارلون، أسفرت حملتهما لانقاذ ذلك الصنف المهدد من الزراف عن نقل ٢٣ زرافة اخرى من مزرعة كريغ الى حديقة وادي ريفت الوطنية. وهناك وُلدت خمس زرافات أو ست جديدة. ورصد اعتماد مالي لنقل خمسين زرافة اضافية من مزرعة كريغ الى مكان أكثر أمانا.

اغنية العشاق

عندما فرغنا من بناء منزل احلامنا، جعلنا له سطحا من الواح التنك المموج. وارتأى بعض الاصدقاء اني وزوجي فقدنا رزانتنا، في حين قال آخرون بخفة: "كم هو طريف".

ومنهم من سألنا عن سبب اختيارنا هذا النوع من السطوح. فأوضحنا لهم اننا امضينا السنوات الاولى من حياتنا الزوجية في منطقة تهب عليها الريح ويملأها الغبار، وان المطر كان ذا اهمية خاصة بالنسبة الينا، بحيث بتنا نودّ أن نراه ونحسّ به ونشمه، وخصوصا ان نسمع صوته. وقد بدا سطح بيتنا المصنوع من الواح التنك مشهدا غريبا اول الامر. وكان في استطاعتنا ان نراه من الطريق فوق... ن بعد ثمانية كيلومترات. وقال لنا احد السائقين انه لم يبصر قطّ من قبل سطحا فضيا مرصعا بالماس. لكن السطح، مع الوقت، اكتسى لونا رصاصيا منسجما مع لون السماء.

وعلى اي حال، فان سطح بيتنا لا يزال يغني. وفي أحد فصول الربيع الماطرة أنشد اغنية طويلة بينما كان المطر ينهمر عليه. فخيل الينا اننا نعيش وسط فرقة موسيقية، وان عازفا بارعا يحل ضيفا علينا.

ان المطر الذي يسقط بعد جفاف طويل ينزل مفرقعا كأنه موسيقى الأفلاك. إذ ذاك، أنت تصغي وتحدّق الى سواقي الماء الفضية تسقط على التنك ثم على الارض. وتشم لهاث الارض القوي وقد تشبعت بالماء بعدما كانت يابسة.

وها نحن نقول للذين يعيشون تحت سقوف من خشب او حصى او قرميد: "نرجوكم ان تقبلوا تعازينا الحارة. ان سقوف بيوتكم ملاجىء. اما سقف بيتنا فهو اغنية العشاق".

ب٠١٠

واهر خاصة جداً من « اوميغا »





نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ ـ محرّم ١٤٠١

المختار

من ريدرز دايجست



البحرين تدخل عصر ما بعد النفط

(ص ١٧)

المخدّرات تؤذي الدماغ وتضعف الرجولة

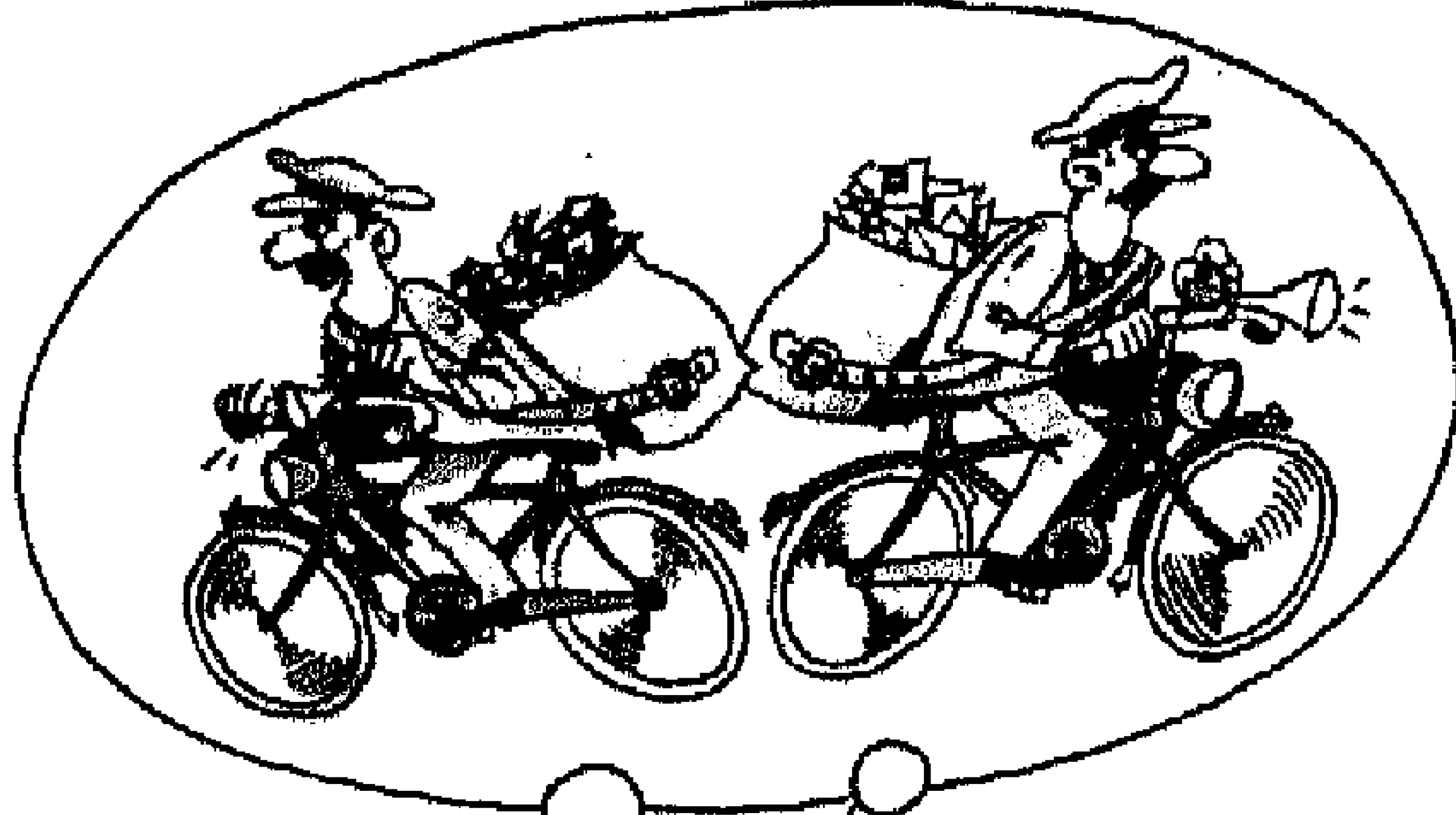
(ص ٧٤)

اكتشاف مهد للحضارة

(ص ٢٧)

لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٣٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف
تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٣د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا واميركا الشمالية ٤٫٢٥د

AL MUKHTAR min Reader's Digest NOVEMBER 1980 No 24



اكتب  واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدادات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

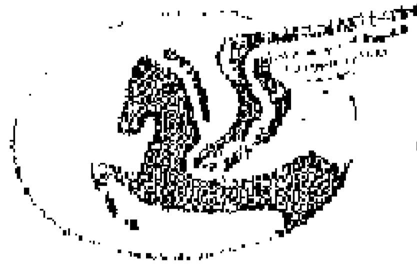
يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة أفكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
37, Avenue George V
75008 Paris, France



المختار
من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون: رمزي بخعازي.
امانة التحرير: راغدة حداد.
الاخراج: امل الزين عيد.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: آلان دوليرو.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية - بيروت

الخدمات الصحافية:
شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت.

التحرير:
شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية ص.ب ٤٤٦ - ١١ التلكس (الموقت) ٢٣٣٢٢ بيروت.
التلفون ٣٤٠٠٥٦ - ٣٤٠٠٤٤

الادارة والاعلانات والاشتراكات:
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، التلكس LE ٢٣٢٨٨ ص.ب ٨٧٠٧ - ١١،
التلفون ٣٤١٥٩٧ - ٣٤٥٧٣١
توجه المراسلات والاشتراكات الى العنوان الآتي:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.

الصف والتنفيذ:
المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

الغلاف: قرية تنحدر من جبل (ايفاريستو غيرا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest



NOVEMBER 1980 No 24 (New Series). Vol 2.

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٥ لغة

كاثي باسفيك
أكثر كما تريدنا أن نكون





AIRCRAFT flight	DEPART to
CX 450	TOKYO
CX 410	SEOUL
CX 901	MANILA
CX 400	KAOHSIUNG
CX 510	FUKUOKA
CX 522	OSAKA
CX 504	NAGOYA
CX 550	TAIPEI
CX 502	OSAKA
CX 500	TOKYO
CX 721	PENANG
CX 731	BAHRAIN
CX 741	DUBAI
CX 711	JAKARTA
CX 903	MANILA

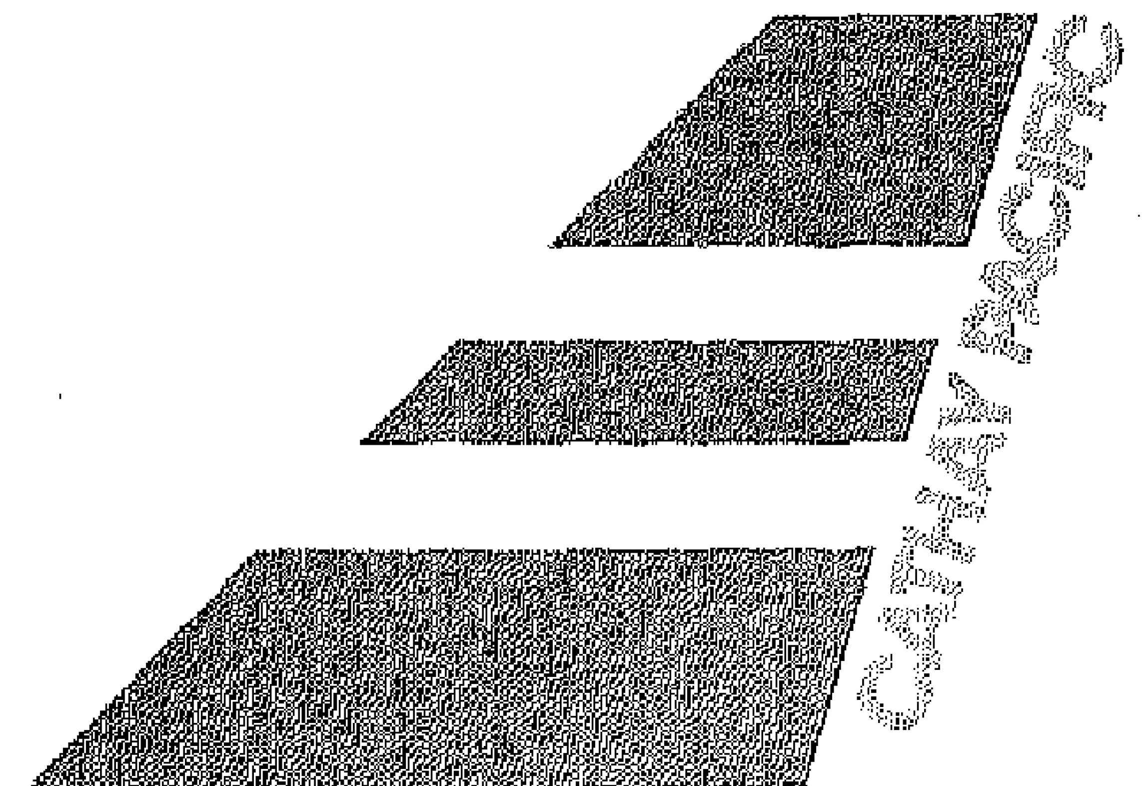


ان ماتريده من أى شركة طيران هـ
العناية. إنك تريدهم أن يصلوا ب
إلى حيثما تريد وفي الوقت المحـ
من دون ازعاج. انك تريد خدمة دا
جذابة، وجيدة لتجعل رحلتك أكثر را
ورفاهية.

اننا في كاثي باسفيك نعدك بكل ذلـ
واكثر! فمنذ الآن نأخذك كل يوم
البحرين إلى هونغ كونغ.

أربع رحلات منها عبر بانكوك. و
هونغ كونغ مباشرة إلى سيول، مانيـ
اليابان، وكل مدن آسيا.

ستجد بأننا كلما كبرنا،
كلما أضفنا ميزات لك للسافر مد



CATHAY PACIFIC
The Swire Group

البحرين ٧٥٨٨٥٠، الخبر ٨٦٤٢٧٧٧، جدة ٦٤١٧٧٥، الرياض ٤٦٤٥٦٦١
الكويت ٤٣٢١٠٦، الدوحة ٣٢٨٤٥٠، ابوظبي ٣٢٣٢١٠، دبي ٢٢٤١٥٦، مسقط ٧٠٢٩٥٢
بيروت ٣٦١١٢٣٠، دمشق ٢٢٨١٥٥، عمان ٢٤٣٦٣، القاهرة ٤٢٣٢٦

رسالة من الصين

هذا العدد من "المختار" (الرابع والعشرون) هو محطة على الدرب الطويل، تختم به المجلة سنة من عمرها وتنطلق بغبطة الى السنة الثالثة معتزة بثقة قرائها بها وهم الذين واكبوها منذ صدور العدد الاول من المجموعة الجديدة (ديسمبر/ كانون الاول ١٩٧٨) بعطفهم وتفهمهم وآزروها بتوجيهاتهم وانتقاداتهم ونصائحهم واسروها بغيرتهم!

واذا كان الانتشار هو المقياس الحقيقي لنجاح اي مطبوعة، خصوصاً الانتشار الجغرافي، فان وصول "المختار" الى الصين هو ابلغ دليل على حيوية هذه المجلة واكبر شاهد على تفردها.

ويسعدنا ان تكون رسالة الاخ الطاهر محمد حسين من شنغهاي (الصين) فاتحة سنتنا الجديدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

شنغهاي في ٢٣ اكتوبر ١٩٧٩

السيد رئيس تحرير مجلة "المختار" الغراء

تحية واحتراماً وبعد

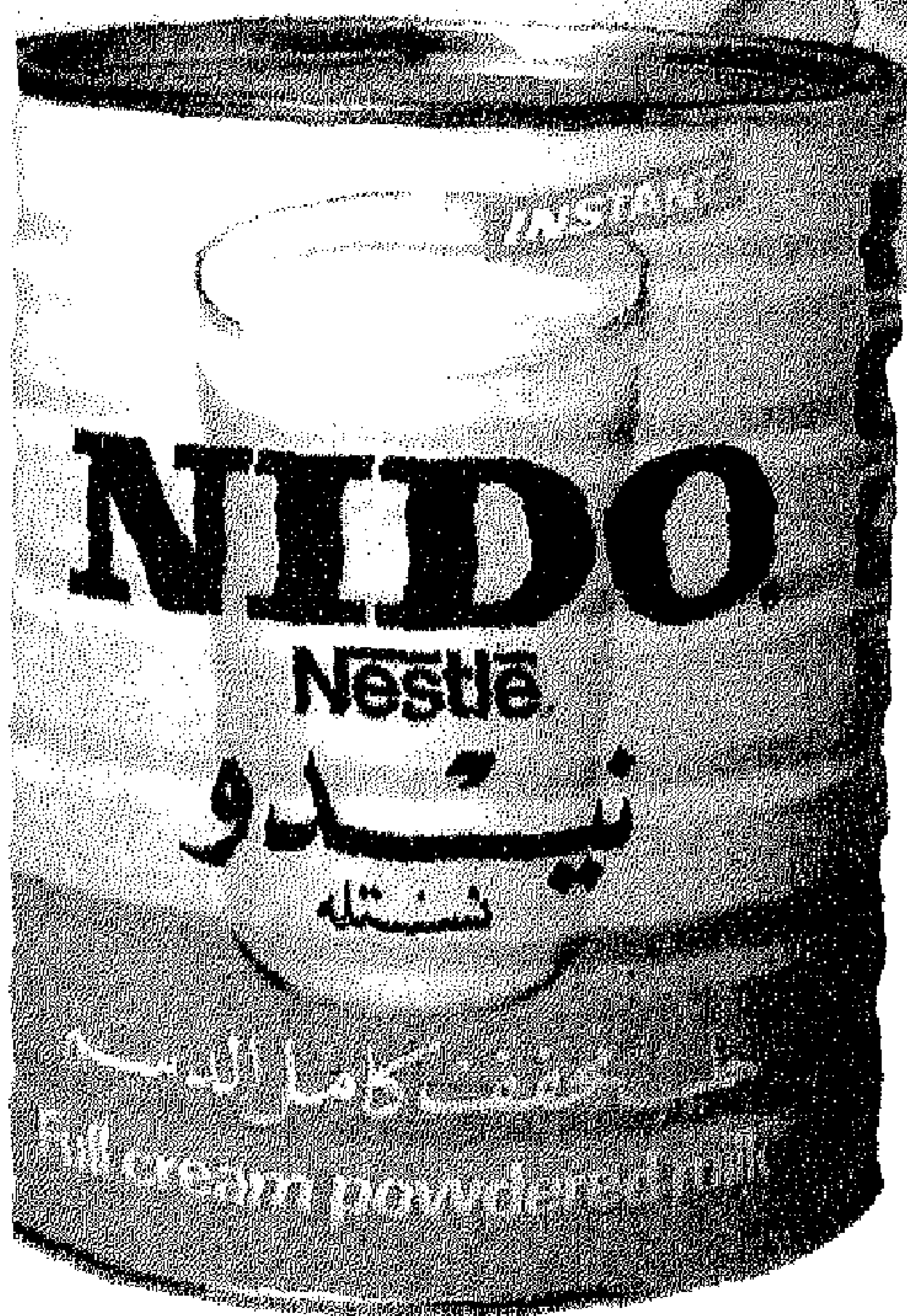
يسعدني جداً في هذا المقام ان اعبر عن خالص اعجابي بمجلتكم الفتية والتي عثرت على عددها الاخير "اكتوبر ٧٩" بمحض الصدفة حيث اننافي هذه البلاد النائية. بحق انها مجلة زاخرة بشتى علوم المعرفة والابداع في كل المجالات وشتى الموضوعات. انها موسوعة علمية حية مفيدة.

و"المختار" في بداية الطريق لا يسعني الا ان اتمنى لها النجاح المطرد في اداء رسالتها الجليلة: في خدمة العروبة والانسانية. وكم يسعدني ان اكون من قراء هذه المجلة العزيزة واتمنى الاشتراك فيها ولكني بصدد الاستفسار عن طريقة الاشتراك السنوي وذلك لاني سأعود الى وطني السودان بعد تسعة اشهر من الآن حيث اكون قد اتممت دراستي الجامعية في جمهورية الصين الشعبية. افيدوني بطريقة الاشتراك افادكم الله.

مرة أخرى اكرر اعجابي الشديد بل حبي لمجلتكم العظيمة مع تقديري لكل من ساهم في ابراز هذا الصرح الى حيز الوجود. وتعبيراً عن هذا الشعور أرجو ان تسمحوا لي بالمشاركة بمقال بعنوان "لا تضعف أمام التوافه" مع بعض الامثال والحكم العربية طي هذه الرسالة وشكراً.

مخلصكم

الطاهر محمد حسين



نيدو السريع الذوبان
ينعم أولادكم بالعافية والصحة

لدى تناولهم، كل صباح، كوباً من حليب نيدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهاراً مليئاً بالحيوية والنشاط.

نيدو السريع الذوبان يؤمن لأولادكم خلال مراحل نموهم، معظم العناصر الغذائية التي تحتاج إليها أجسامهم.

نيدو السريع الذوبان ... لذة طعم الحليب الطازج يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون بالعافية.

نيدو السريع الذوبان
لصحة كافة أفراد العائلة

NESTLÉ تشكيلة نستله

الفحص الطبّي الدّوري متى يُصبح ضَرورَة؟

هل تحتاج
الى فحص طبي سنوي؟
كلا، يقول هذا الطبيب.
لكن بعض الفحوص يصبح
حيوياً مع التقدم في السن،
ولا ضير ابداً
من طلب المشورة او الاطمئنان

ان الفحص الطبي السنوي تقليد منتشر في انحاء عدة من العالم، خصوصاً في امريكا الشمالية. فالامريكيون يدعون دائماً الى محاربة السرطان بالفحص الطبي الشامل. ويقال لهم ان على المرء زيارة طبيبه مرة في العام، وتنصح النساء باجراء فحوص دورية منتظمة على الثديين والحوض. ومن علائم النجاح في عالم الاعمال ان يجتاز الانسان "الفحص السنوي للمديرين".

فما الذي يكمن وراء هذا كله؟

ان الأمر يتضمن عدداً من العوامل المؤثرة، ولكن اكثرها شيوعاً هو ذلك الذي تمثله لين بريجز، وهي مديرة مدرسة في الاربعين من عمرها تأتيني كل ربيع. واذا استثنينا حالات الصداع التي تصيبها مرات نادرة وعملية استئصال الزائدة الدودية التي اجريت لها، فانها تتمتع على الدوام بصحة جيدة. ومع ذلك فهي تطلب اجراء فحص شامل دقيق لكل اجزاء بدنها، بما في ذلك اختبارات الدم وفحوص الاشعة السينية. وقد قلت لها ان معظم هذه الفحوص لا ضرورة له، ولكنها تصر وتصمم على اجرائها. وفي الغالب تشيع نتائج الفحوص والاختبارات السرور في نفسها. وهي قالت بعد آخر فحص شامل: "أظن ان لدي صحيفة صحية ناصعة لعام آخر".

وهناك مريضة أخرى، سأطلق عليها اسم باربارا بيتز، تبلغ الخامسة والثلاثين وهي ربة بيت، جاءتني لاجراء فحص شامل لسبب مختلف. فسألتها في البداية اذا كانت تعاني اي متاعب، فأجابت: "بعض آلام في المعدة خلال الاسابيع القليلة الماضية،

وفي ما عدا ذلك فانني اشعر بأني بخير". وجاءت نتائج فحوصها طبيعية ولكنها على خلاف السيدة بريجز أعربت عن قلقها الشديد حين اخبرتها بهذه النتيجة، وقالت: "فما خطب معدتي اذن؟ ان آلامها تحرمني النوم منذ شهر كامل".

عندئذ غيرت اتجاهي في العمل، واجريت لها فحصاً طويلا لاستقصي أسباب الم معدتها. وقد تبين من ذلك ان السيدة بيتز كانت تعتبر الفحص الشامل اجراء فائقاً: فاذا كانت هناك مشكلة تبدو خطيرة، فهي ترى ان الامر يستوجب اجراء فحص شامل.

وفرانك جونسون شاب في الثانية والعشرين، حديث عهد بالزواج. وقد اثار شكوكي، لان من النادر لشاب في سنه ويتمتع بصحته ان يطلب فحصاً طبياً شاملا. فسألته:

"هل تعاني اي اوجاع او آلام؟"

ـ كلا.

"هل سقط احد من اقاربك صريع مرض خطير؟"

ـ كلا.

"هل لديك مشكلات دراسية؟"

ـ كلا.

"وماذا عن حياتك الجنسية؟"

(صمت) انها اصابة مباشرة في بين الهدف! لقد كان طلب فرانك جراء فحص طبي شامل هو "جواز المرور" او السبب المقبول لزيارة الطبيب. فهناك ناس كثيرون يحول الحرج دونهم والتصريح بمشاكلهم فيأتون طالبين الفحص الشامل آملين بأن يؤدي اجراء دقيق خفي الى كشف مشكلتهم للطبيب.

لقد بدأت ممارسة مهنتي وأنا أؤمن ـ مثل كثير من الاطباء ـ ايماناً قوياً بفائدة الفحص الدوري الشامل. وبعد بضعة اسابيع، هنأني زميل مخضرم على دقتي، وأضاف: "ولكنك لم تعد طبيب امتياز في مستشفى، ومن ثم فان كل عملائك ليسوا بالضرورة مرضى. وأنت تنفق وقتاً اكثر من اللازم في اجراء الفحوص الشاملة، في حين ان معظمها يدخل في باب العلاقات العامة، اذ ان زائريك يريدون ان يحسوا بعدها احساساً طيباً بأنهم على ما يرام. ومن اجل ذلك وجه اليهم بضعة اسئلة ثم قم بفحص سريع واطلب بعض اختبارات الدم، ولا مانع من اجراء فحص بالاشعة ايضاً على الا تستغرق العملية كلها اكثر من عشرين دقيقة".

وقد خالفت الزميل المخضرم رأيه بقوة في ذلك الوقت ثم اتضح لي، بعد اجراء مئات الفحوص الشاملة، أنني لم اكتشف اي اصابات مرضية غير معروفة من قبل تقريباً. وكان اكثر اكتشافاتي تكرراً ـ بنسبة ثلاث حالات في كل مئة ـ هو ارتفاع ضغط الدم. وقد اكتشفت اصابة سيدة او اثنتين بالانيميا (فقر الدم) عادة بسبب غزارة الطمث. أما بقية الفحوص وكل موارد المختبرات وامكاناتها، فانها لم تسفر تقريباً الا عن تراكم الشمع في آذان بعض العملاء. وأنتابتني الحيرة، فذهبت الى مكتبة طبية استطلع الامر فوجدت ان معظم الباحثين يؤيدون الفحوص الشاملة ولكنهم عندما يحاولون اثبات دورها في انقاذ حياة مهددة بالخطر، يعجزون عن ذلك تماماً.

الامراض الخفية ـ ترى ما هي هذه الامراض الخفية التي يتلهف الناس لكشف الستار عنها؟

سرطان الثدي؟ ان النساء يتعرضن لوابل من التحذيرات التي تحثهن على اجراء فحص طبي سنوي. ولكن في ٩٥ في المئة من حالات سرطان الثدي تكتشف النساء اصاباتهن بانفسهن وعلى ذلك فاذا كان الفحص السنوي اجراء مساعداً، فمن الافضل للمرأة، ان تجري فحصاً شهرياً.

سرطان الرئة؟ ان ٩٥ في المئة من حالات سرطان الرئة تكون اصبحت غير قابلة للعلاج في المرحلة التي يظهر المرض على لوحة الاشعة الصدرية. وعلى ذلك فان المدخن الذي يطمئن نفسه لأن صورة الاشعة التي استخرجت لصدره نظيفة هو ضحية خدعة كبرى.

النوبات القلبية؟ جلطات الدماغ؟ الحقيقة انه ليس هناك فحص ولا اختبار للدم ولا فحص بالاشعة السينية ولا رسم للقلب يمكن ان ينبىء شخصاً يشعر بصحة طبيعية بأنه مهدد بنوبة قلبية. وهذا القول يصدق كذلك على جلطات الدماغ والجلطات الدموية الاخرى ومعظم حالات السرطان.

لقد نجح العلم في تطوير اساليب عدة لمكافحة الامراض ولكن هذه الاساليب تحقق افضل نجاح لها ضد الامراض التي ظهرت بالفعل، في حين تقل كفايتها كثيراً عندما يتعلق الامر باكتشاف ما يكمن في اجساد الناس الذين يبدون اصحاء من امراض خفية قابلة للعلاج.

٤ استثناءات - غير ان هناك اربعة استثناءات مهمة هي: سرطان الرحم وارتفاع ضغط الدم وسرطان الامعاء والغلوكوما. فهذه الامراض خطرة، ويمكن بالفعل اكتشافها قبل ظهور اعراضها. والاهم من ذلك ان السيطرة عليها او علاجها يسهل عندما تكتشف مبكراً ولكن اكتشافها لا يحتاج الى فحص طبي شامل دقيق.

وسرطان الرحم يمكن اكتشافه مبكراً باستخدام "بقعة باب". وقد انتهت دراسة كندية اجريت حديثاً الى ان المرأة ينبغي ان تجري اول اختبار لها "ببقعة باب" في السن الثامنة عشرة، ثم تجري الاختبار الثاني بعد ذلك بعام. فاذا كانت النتيجة طبيعية في المرتين، فان من المأمون بالنسبة اليها ان تقتصر على اجراء الاختبار مرة كل ثلاث سنوات حتى السن الخامسة والثلاثين، ثم مرة كل خمس سنوات حتى السن الستين. ولا حاجة بعدها الى اي اختبار. غير ان من الضروري اجراء هذا الاختبار سنوياً للنساء اللائي يعتبرن معرضات للخطر، وهن اولئك اللواتي بدأن ممارسة الجنس قبل السن العشرين، واللواتي يمارسنه مع اكثر من شريك.

أما ضغط الدم فيمكن اكتشافه في مرحلة مبكرة عن طريق القياس السنوي لمعدله. وهذا القياس اجراء وقائي جيد، في ذاته، لجميع الناس.

وسرطان الامعاء هو اكثر الاورام الخبيثة شيوعاً بين غير المدخنين. وعلى خلاف سرطان الرئة، فان معدل نجاة الذين يصابون به يرتفع ارتفاعاً كبيراً كلما اكتشف الورم في مرحلة مبكرة فيبلغ هذا المعدل ٩٠ في المئة من الحالات بعد تشخيص المرض بعام واحد. أما اذا لم يكتشف المرض الا بعد ظهور الاعراض، فان معدل الشفاء منه لا يزيد على ٤٠ في المئة من الحالات. ومعظم اورام الامعاء تتسرب منها كمية صغيرة من الدم



سيارة العصر

هوندا "سيفيك"، هوندا "اكورد"، هوندا "بريليود"، ثلاث سيارات تحتل صالات العرض العصرية،

ان سيارات هوندا الاقتصادية، التي تلبي متطلبات العصر الحديث، تؤمن قيادة مثالية بفضل تصاميمها الانيقة والمريحة والملائمة للمدينة والريف،

ليس في العالم سيارة اكثر مناسبة من هوندا، انتق الطراز الذي يعجبك، واختبر قيادته فتجد ان القيادة الحقيقية تعني هوندا،

قد تختلف التجهيزات من بلد الى اخر

HONDA®

شركة هوندا المحدودة للسيارات، طوكيو، اليابان

ؤدي الى حدوث تغير في لون البراز ندما يضاف سائل خاص. ولما كانت سبع في المئة فقط من حالات برطان الامعاء تحدث لاشخاص تحت لسن الخمسين، فان الكثيرين من لاطباء يبدأون الفحص المنتظم مملائهم بعد السن الاربعين.

والغلوكوما هي من الاسباب لشائعة لفقد البصر. ولا يتطلب لفحص الخاص باكتشاف احتمالات لاصابة بها سوى قياس بسيط لضغط سائل العين. ويندر ان تصيب لغلوكوما صغار السن، ولكن من المهم من تجاوزوا الاربعين ان يواظبوا على جراء هذا الفحص السنوي البسيط.

لزيارة السنوية ضرورية – ولكن ماذا عن السيدة بريجيز التي تجرى فحوصها الطبية الشاملة لمجرد لاطمئنان؟

ليس في هذا ضير، لان طمأنة المرضى تعادل معالجتهم في الاهمية. أما الناس الذين لا يحتاجون الى طمأنة ولا يعانون اي متاعب، فيجدر بهم أن يجروا فحصاً طبياً كاملا مرة واحدة فحسب. وأنا افضل اجراء هذا الفحص على كل مريض جديد يأتيني، بادئاً بتسجيل كل تفاصيل تاريخه الطبي وعرض المشكلات الصحية لدى افراد عائلته، ثم افحصه بدقة من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وآمر باجراء التحليلات لدمه وبوله.

وعندما تأتيني نتائج التحليلات، اضع "قائمة مشكلات" لأناقشها مع المريض، تتضمن على سبيل المثال:

١ – البدانة الخفيفة.
٢ – الحياة التي يطول فيها الجلوس.
٣ – تدخين السجائر.
٤ – الحمى الفصلية.

ولما كانت العادات هي أهم أسباب المرض، فانني انتهز هذه الفرصة لاذكر له ذلك، واقدم اليه النصح واجيب عن اسئلته.

بيد اني اود ان ارى مرضاي مرة في العام على الاقل، لانني اريد ان اقيس ضغط الدم لديهم واجري لهم اختبار "بقعة باب" عند الضرورة. ومع اقتراب المريض من سن الكهولة، ابدأ الفحوص الدورية لاكتشاف بوادر الغلوكوما وسرطان الامعاء. وما لم تظهر لدى المريض مشكلة صحية مستمرة، فانني نادراً ما أفعل اكثر من ذلك.

ولا شك في ان الزيارة السنوية تجدد العلاقة بين المريض وطبيبه. وقد يصعب تبرير ذلك من الناحية العلمية البحتة، ولكن المشورة والطمأنة هما أهم ما يمكن ان يؤديه الطبيب لشخص لا يعاني متاعب صحية. والطبيب لا يستطيع ان يمحو العادات السيئة او ان يعالج اسلوب الحياة غير الصحي، فهذه امور تتوقف عليك انت.

■ **الدكتور مايك اوبنهايم**



المريض المطيع

المريض للطبيب النفسي: "لقد عملتُ بنصيحتك، فأبعدت ضغط العمل عني، واتخذت لنفسي بعض الهوايات، واسترخيت. وكانت النتيجة اني طُردتُ من العمل!"

ل.غ.

بفضل مهارة سكانها وقصاصات الفـرو الفائضـة عـن مصانـع العالم، تحولت بلدة كاستوريا اليونانية الى اكبر مصنع ومتجر للفراء الفاخرة

عـاصمة الفـرو



كانت الطريق التي اجتزتها شمال غرب اليونان وعرة، والتلال المقدونية على الجانبين ملأى بالغابات الكثيفة. وأشرفتُ على منحدَر أبصرتُ تحته بحيرة اورستياس الجميلة، والى جانبها بلدة كاستوريا بأبراجها وقبابها وقرميد منازلها الأحمر مرتفعة فوق التلال الصخرية. ولا شك في أن كاستوريا بلدة بيزنطية تمتع السياح. لكنها، كذلك، أهم مركز في العالم لصناعة ثياب الفرو.

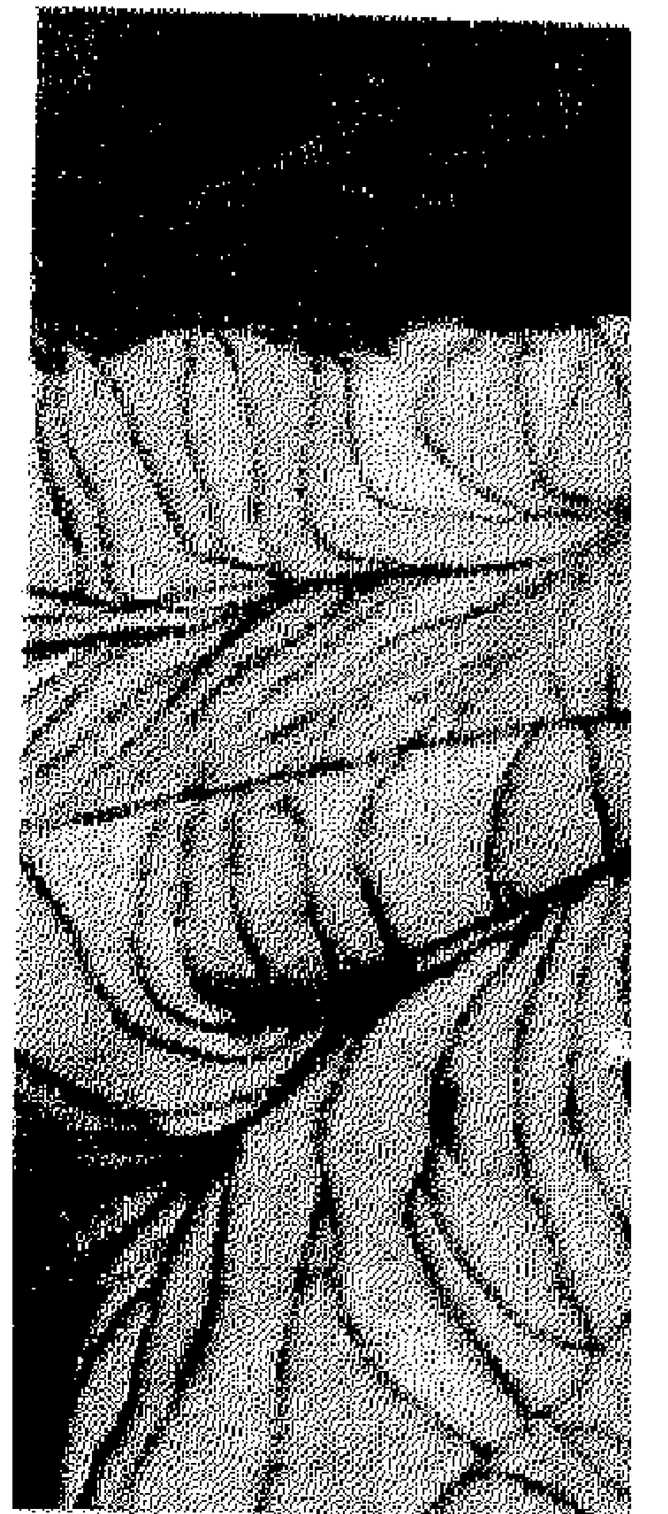


معطف.

Photos by Ernest Coppolino.

وفي السنوات الخمسمئة الأخيرة، استمدت كاستوريا ثروتها من هذه الصناعة. وهي اليوم تنتج معاطف دقيقة الصنع من قطع الفرو الكاملة أو الموصولة. وأهم ما تنتجه قطع كالملاءات تسمى "الأبدان"، تُجمَع فيها الفراء الصغيرة بعضها الى بعض وتُعَدّ لتصنَع منها ملابس. وفي العام ١٩٧٩ صدّرت هذه البلدة الغنية ذات العشرين ألف نسمة، مع القرى المجاورة لها، كميات من الفرو فاق ثمنها المئة مليون دولار. وقد صُدّر ذلك الفرو الى ٣٦ بلداً، مشكلا نسبة ١٢ في المئة من الفرو المبيع بالجملة حول العالم.

وفي عدد كبير من ساحات البيوت عبر شوارع كاستوريا الملتفة، تقوم ألواح وُضعت عليها الجلود كيما تجفّ. وفي البلدة ثلاثة مشاغل عصرية متعددة الطبقات، يعمل فيها نحو ٣٠٠ شخص. الا أنّ معظم مصانع الفرو في كاستوريا - وعددها ١٥٠٠ - هي مصالح عائلية صغيرة لا يتجاوز عدد العاملين في الواحد منها العشرين عاملا. وقد صادفت هناك تاجر فراء باريسياً اسمه روجيه جيركو، قال لي: "انهم كالسَّحرة". وهو يذهب الى كاستوريا بضع مرات سنوياً، شأنه في ذلك شأن تجار آخرين من اوروبا والولايات المتحدة واليابان وهونغ كونغ، لأنها المكان الأفضل لشراء الفرو المتقَن بأسعار رخيصة.


قطع منسقة، و"بدن" جاهز.

وسرّ ذلك أن معظم منتجي الفرو يستعملون القطع الكاملة، في حين ان أهل كاستوريا يشترون القصاصات من معامل التفصيل والخياطة حول العالم بمعدل مليون كيلوغرام في السنة. وهي من جميع الألوان والأحجام، وتراوح بين فرو المِنك وفرو الأبوسوم (حيوان جرابي). وهم يشحنون تلك الفراء الى مشاغلهم حيث يفصلونها قطعاً بقياس ١٥×٢٣٠ سنتيمتراً، ويعيدون تصديرها قطعاً أو بذلات جاهزة. والمعطف المصنوع من قصاصات يباع بنصف الثمن (وما دون) الذي يباع به معطف مصنوع من قطعة كاملة. وهذا يجعل من كاستوريا أكبر مركز عالمي لصفقات الفرو.

وفي منزل قديم في حيّ تمبَخاني، وقفت اراقب ثلاثة رجال يعملون تحت أضواء مصابيح قوية. وكان كل منهم يتناول القصاصات من بالة تزن ٤٠٠ كيلوغرام ويصنفها في مجموعات بلغت المئتين من الفرو الأسود والأبيض والبني.

عمل دؤوب - بعد ذلك تبعت المقاول مكاريوس اراباتسيس عبر منعَطَف شديد الانحدار، بدا أنّ كلّ باب فيه يخبىء مشغلا للفراء. وفي غرفة صغيرة ذات سقف منخفض، راح عدد من الرجال يشذبون القصاصات، التي لا يتجاوز طول بعضها سنتيمترات قليلة، الى قطع منتظمة الأشكال، بينما كان رجال ونساء آخرون في غرفة مجاورة يخيطون هذه القطع

بعضاً الى بعض، وأحياناً يقتضي "البدن" الذي يزن ثلاثة كيلوغرامات أو أربعة ويصنَع منه المعطف أن يفتش العامل في ٥٠٠ كيلوغرام من القصاصات للحصول على القطع المتجانسة، وربما احتاج البدن التام الى ألف قطعة،

ولا يزال أهل كاستوريا يروون قصة ابن بلدتهم الاسطورية الذي صنع، عام ١٩٢٠، لوحتين من الفرو تمثلان رئيس وزراء بلدهم آنذاك الفنيزيلوس والملك جورج الثاني، وقد استخدم الحرفيون حنجرة السمور لصنع الأزرار المذهبة وبطنه لابراز لون الجسم الطبيعي، واستخدموا جلد المناجذ (واحدها الخلد) للون الأزرق،

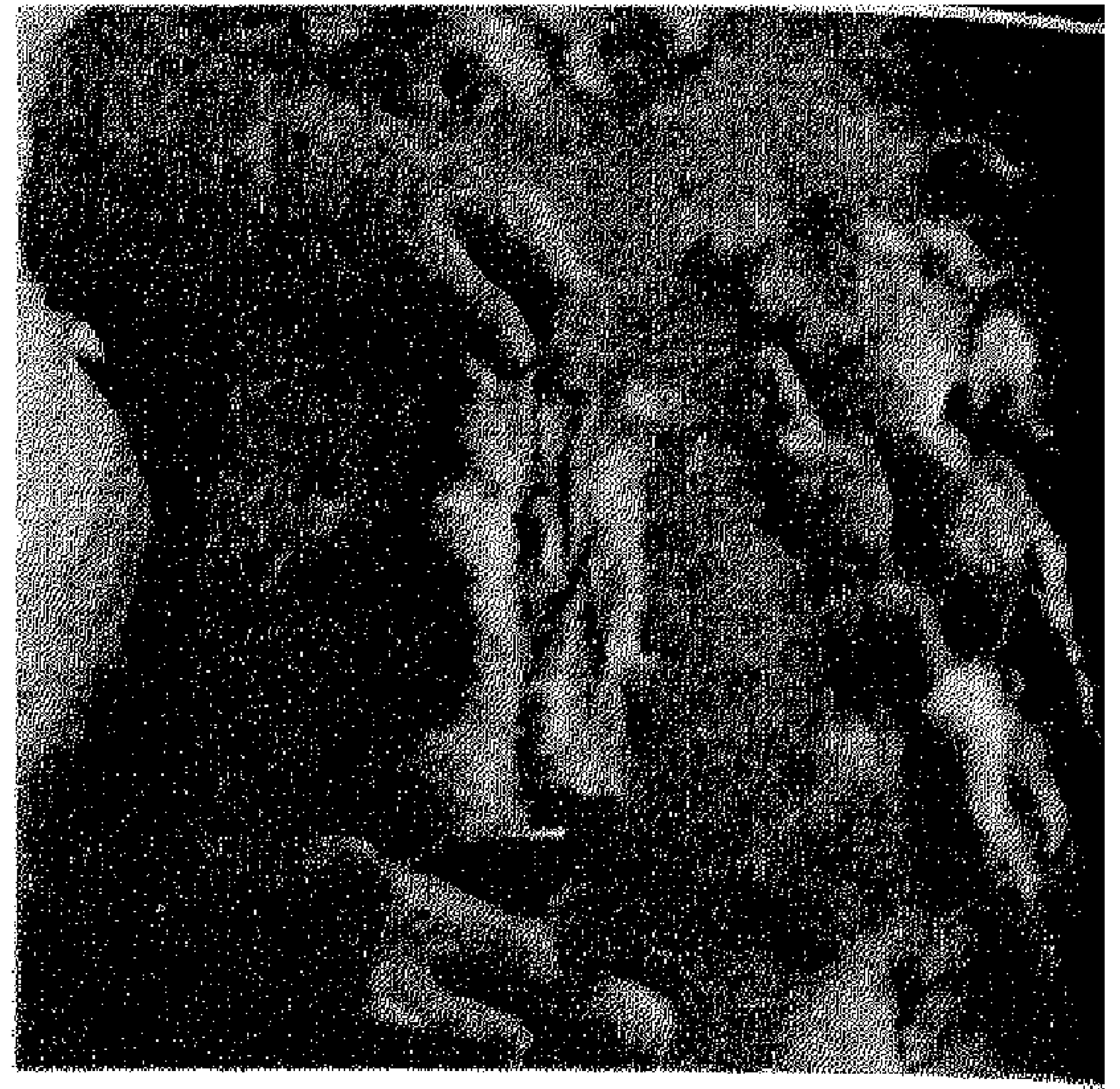
ان صناعة الفرو من أقدم المهن في العالم، أما كاستوريا - وهي، منذ القدم، ملتقى طرق بين روما والقسطنطينية - فقد دخلت ذلك الميدان منذ القرن الخامس عشر، وكان تجارها يرسلون الألبسة المصنوعة من الفرو مرة أو اثنتين سنوياً الى القسطنطينية بواسطة قوافل، وفي مستهل القرن السابع عشر أصبحت لديهم قافلة تجارية من ٤٠٠ حيوان يسيّرونها الى البلدان الاوروبية التي يحكمها العثمانيون،

براعة في البيع والشراء - إنّ براعة تجار كاستوريا في البيع تضاهيها براعتهم في أخذ كميات هائلة من قصاصات الفرو الفائضة عن مصانع البلدان التي يتجرون معها، وكانوا في البداية يحملونها من غير مقابل، ولكن حين ظهرت مهارتهم في تنسيقها وتفصيلها وتسويقها، فرضت المصانع ثمناً عليها، لكن تجار كاستوريا لا يزالون يجنون أرباحاً من صناعتهم التي ازدهرت حتى لم يبق في امكانهم تلبية جميع الطلبات،

ويحصل أهالي كاستوريا على مساعدات كثيرة من أقربائهم المهاجرين الى اوروبا وأمريكا الشمالية، ويعمل المهاجرون كوسطاء، فيشترون فراء كاستوريا ويبيعونها لتجار الجملة في الخارج، وقد قال جان مانتوبولوس، تاجر الفراء الذي هاجر الى باريس عام ١٩١٩: "ان الفرو يجري مع الدم في عروق أهل كاستوريا، وهم كالعثّ، تجدهم حيث تكون الفراء!"

وجدير بالذكر ان مغتربي كاستوريا لم يفقدوا حسهم بالانتماء الى بلدتهم التي يزورونها ويرسلون الى أقربائهم فيها الهدايا من وقت الى آخر، وفي مدينة نيويورك جمعية من مغتربي كاستوريا اسمها "اومونيا" (ومعناها السلام والأُخوّة) تبرّع أفرادها لمسقط رأسهم بامدادات مياه الشرب العصرية والكهرباء ومستشفى وملعب رياضة ومختبر كيمياء لاحدى المدارس، وتبرعت جمعية "اورستياس" من مغتربي كاستوريا في باريس، التي أُسست قبل ٦١ سنة، بملابس لفريق كرة القدم في كاستوريا، كما موّلت الجمعيات الكاستورية في الخارج الحملات الرامية الى المحافظة على الأيقونات الجدارية في كنائس البلدة، مما يجعل كاستوريا مركزاً رئيسياً للفن البيزنطي،

وفي كاستوريا ما لا يقل عن ٥٥ كنيسة قديمة يعلوها القرميد الأحمر، وقد شُيد عدد كبير منها بفضل



حرفي يشذب قصاصات الفرو ويفصلها قطعاً منتظمة الشكل.

عائدات الفرو. ومن هذه كنيسة "أيوس ميناس" المكرّسة على اسم النبي ايليا الذي تحدّى برد القفر بلبس رداء من جلد الغنم، والذي تصوره الأيقونات صاعداً الى السماء في فرائه. ومنذ العام ١٩١٥ أصبح النبي ايليا شفيع اتحاد منتجي الفرو في كاستوريا. ويوم عيده، في ٢٠ يوليو (تموز) من كل سنة، يقيم أهالي كاستوريا احتفالا في ساحة البلدة الرئيسية تؤدى فيه صلاة شكر. ويقول رئيس الاتحاد السابق بيتروس ثاليدس: "هناك احتفالات كثيرة يقيمها أهالي البلدة الذين ازداد عددهم ثلاثة أضعاف في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، كما ارتفعت نسبة تصدير الفراء خلال هذه المدة بمقدار مئة في المئة". وهذا الارتفاع زاد معدّل الدخل الفردي الذي أصبح ٥٠٠٠ دولار سنوياً، مما جعل كاستوريا من أغنى المدن اليونانية.

مدرسة مهنية — من أجل تأمين موظفين لصناعة الفرو المزدهرة، أسس اتحاد الفرو مدرسة تدريب تمولها حكومة اليونان وتشرف عليها لجنة من اصحاب المهنة المحليين. ويقضي المتمرنون سنتين يتعلمون خلالها مختلف جوانب المهنة. ويضيف ثاليدس: "غايتنا أن يبقى شباب كاستوريا في بلدتهم ويثابروا على تطوير هذه الصناعة".

وقد بدأ أهالي كاستوريا ينشئون مزارع اختبارية للفراء قبل عشرين سنة، بهدف زيادة الأرباح والاستقلال الاقتصادي. ولديهم الآن ثلاث مزارع تحوي ٣٠ ألف حيوان من المنك والذئاب الفضية والزرقاء المتوالدة التي جُلبت من شمال الولايات المتحدة وبلدان اسكندينافيا. ومن نتائج تلك المزارع زيادة استعمال قطع الفرو الكاملة.

لقد شهدت كاستوريا تقدماً ملحوظاً على العهد الذي كان تجارها يسيّرون القوافل الى القسطنطينية. وفي البلدة اليوم معرض لبيع الفراء يقام في شهر مارس (آذار) من كل سنة، وتعتمَد فيه اللغة الانكليزية للتفاهم بين متكلمي اليونانية والفرنسية والايطالية والالمانية وسواهم.

ويتوّج عقد الصفقة بضيافة يونانية تقليدية مؤلفة من الفاكهة المجففّة والقهوة الحلوة والماء المثلج. واذا تمّ ذلك بعد الظهر، فقد يُستعاض عن الماء بشراب "ميتاكسا" اليوناني المعتّق. وقد سألت تاجراً المانياً فور انتهائه من صفقة شراء عن السبب الذي يجعل فرو كاستوريا رائجاً، فرفع كأسه وأجاب وهو يبتسم: "كاستوريا تزوّدك بأيّ فرو تريده. إنها تمنح العالم الدفء".

■ فيليب تمبل

كيفما تسافر..



أوميغا: تصميم رائع

أوميغا من سامسونايت هي الجمع الكامل بين التكنولوجيا الحديثة وروعة التصميم.
صنع إطارها من مادة المغنيزيوم الصلبة القوية والخفيفة مما جعلها تواكب عصر الفضاء.
أوميغا تؤمّن الحماية الكاملة لمحتوياتها.
كل جزء من أجزاء أوميغا مصنوع من أفضل المواد نوعية، هيكلها من مادة الـ"ABSOLITE" يجعل منها الحقيبة التي لا تزاحم من حيث القوة والمتانة.
أضف الى ذلك جهاز الزر الضاغط والقفل المرقّم الذي يجعل من أوميغا صفقة كاملة ورابحة.
أوميغا حقيبة اليد لكل رجل عصري.



إنها أصليّة - إنها سامسونايت

سامسونايت Samsonite®

حقائب سامسونايت الأصليّة - مصنوعة في الولايات المتحدة

البحرين تدخل عصر ما بعد النفط

البحرين البلد الذي حفرت فيه البئر الاولى في الخليج العربي يستعد لعصر ما بعد الذهب الاسود، لانه سيكون البلد الاول في المنطقة الذي ينضب النفط فيه

تقع جزيرة البحرين في منتصف الخليج العربي، هذا الموقع الاستراتيجي المهم، وتبعد ٢٢ كيلومترا عن شاطىء السعودية الغني بالنفط.

صعُب عليّ تبين شاطىء البحرين من على ظهر مركب شراعي يمخر المياه، اذ بدا لي كأنه مسطح كئيب مكبوت. ولكن النظر يخدع احياناً.

البحرين واحة طولها ٣٠ كيلومتراً محاطة بالبحر وقائمة على فتات الكلس. نَعِمَت بالخيرات منذ ابتسم لها القدر، ومنذ دخلت صفحات التاريخ. منذ الف سنة قامت ثروة البحرين على صيد الاسماك والزراعة وصيد اللؤلؤ، وبعدها على التجارة وصناعة السفن الشراعية. وفي ايامنا ازدهرت بسبب النفط الذي اكتشفه الرواد الامريكيون، فحفرت فيها بئر النفط الاولى في البلاد العربية عام ١٩٣٢.

سرت على رصيف الميناء المزدحم. فمن خراف تثغو الى اكداس من البضائع الى دراجات نارية يابانية وصناديق الشاي الهندي فالى تفاح الولايات المتحدة واحذية كرة المضرب الصينية الصنع. وبعد فترة وجيزة

تبين لي ان هذه الحضارة الخليط كصحن السلطة هي امر عادي.

نالت البحرين استقلالها عام ١٩٧١ بعدما بقيت ١٥٠ عاماً محمية بريطانية. وهي اليوم تنعم بمستوى من الحياة يحسدها عليه الكثير في العالم. فمعدل دخل الفرد فيها ٣٨٠٠ دولار امريكي في السنة، اي ما يوازي دخل الفرد في ايطاليا او جزر الباهاما. عدد سكانها ٣٤١٠٠٠ نسمة يستعملون ٥٠٠٠٠ سيارة، وفيها ٣٥٠٠٠ جهاز تلفزيون تعمل بست قنوات ملونة تلتقط برامج محطة البحرين ومحطات الدول المجاورة.

في العام ١٩٤٠ اعتمدت البحرين التعليم المجاني في انظمته الحديثة، مما جعلها اكثر بلدان الخليج ثقافة وعلماً نسبة الى عدد سكانها. ويعمل فيها الآن قرابة ٨٠٠ طبيب وممرضة. والعلاج الطبي مؤمن مجاناً لجميع المواطنين اما نسبة البطالة فضئيلة وهذا يثبته استقدام البحرين من الهند وباكستان وايران وبريطانيا والولايات المتحدة، واخيراً من كوريا الجنوبية، ما مجموعه ٧٥٠٠٠ عامل لا يطالب اي منهم بضريبة دخل.

لخمسين سنة خلت، كان النفط هو العامل الرئيسي في ازدهار البحرين. قمت بزيارة لشركة نفط البحرين "بابكو" التابعة لشركة "كالتكس"، فمررت بالخزانات الكبيرة وبالمصفاة التابعة للشركة وهي من اكبر المصافي في الشرق الاوسط اذ تكرر ٢٥٥٠٠٠ برميل يومياً. ويمتد رصيف المصفاة ثلاثة كيلومترات داخل البحر لملء ناقلات النفط الضخمة بمعدل ثلاث حاملات يومياً.

"لم تكن البحرين في يوم ما عملاقاً لانتاج النفط بالنسبة الى جيرانها"، هذا ما قاله لي رئيس شركة بابكو السيد رسل ن. تراكويل. واضاف: "كانت ذروة انتاجنا ٧٦٠٠٠ برميل يومياً عام ١٩٧٠، اما معدل انتاجنا فثلثا ذلك الرقم. وان اي بئر في ايران او السعودية تنتج منفردة ما يوازي انتاج الـ٢٥٥ بئراً في البحرين. واليوم، فان ٨٠ في المئة من النفط الخام الذي يكرر في مصفاتنا يستورد من السعودية".

وقال لي السيد يوسف شيراوي، وزير التطوير والصناعة في البحرين "هنا، في الشق العربي من الخليج، كنا أول من انتج النفط، وسنكون اول بلد تتوقف فيه هذه الصناعة. ومنذ ١٢ عاماً بدأنا بالاعداد لذاك اليوم".

واكد الوزير ان التنويع هو الجواب. "فقد اكملنا معمل الالمنيوم عام ١٩٧١، وقبل ثلاث سنوات اتممنا بناء الحوض الجاف لناقلات النفط الضخمة. تلك المشاريع وتوابعها توفر خمسة آلاف وظيفة، اي لقرابة ٨ في المئة من عمال البحرين".

واضاف ان البحرين كانت دائماً الرائدة في الخدمات الصناعية الحيوية كالاعمال الهندسية والنقل والمواصلات والخدمات المصرفية التي تمتد الى السعودية ودول الخليج. "لقد اخذنا دور بيروت اكثر فأكثر في تلك الخدمات".

احد المشاريع التي يتابعها السيد شيراوي هو بناء طريق بري يصل البحرين بالسعودية. وفي هذا المجال عرضت السعودية مليار دولار تمويلا للمشروع الامر الذي يعتبر رمزاً

للروابط القديمة بين البلدين وحكامهما فضلا عن علاقات الاجداد الوثيقة وحضارتهم.

منطقة حرة — إن اقامة المنطقة المصرفية الحرة كانت اكثر المشاريع نجاحا في خطة التنمية، اذ اخذت الرساميل تنهال على البحرين من مصارف لندن وبيروت. وصرح السيد نور الدين نور الدين، نائب رئيس بنك البحرين الوطني، ان اكثر من خمسين من مؤسسات التمويل العالمية افتتحت مكاتب لها في امارة البحرين منذ ١٩٧٥، وان مجموع موجوداتها يزيد على ٤٧ مليار دولار، مما يجعل البحرين تماثل سنغافورة في هذا المجال.

ولاجل تفهم المنطقة المصرفية الحرة قمت بزيارة السيد الين مور، العقل المدبر للأمور المالية في البحرين والمستشار لمؤسسة النقد البحراني حتى كانون الاول ١٩٧٩.

قال لي السيد مور: "ان المنطقة المصرفية الحرة تعني في الواقع ميناء حرة للتمويل بمبالغ كبيرة".

واضاف: "عندما ارتفعت اسعار النفط بعد حظر عام ١٩٧٣ تجمع

الكثير من الاموال الفائضة في بلدان الشرق الاوسط واصبحت المنطقة مركزاً للاعمال المصرفية حيث يستطيع العملاء التعامل بحرية تامة، سواء بالريال او الدينار او بالدولار والاسترليني. ان مركز البحرين الطبيعي يقربها من رجال المال والاعمال العرب، فهي في منتصف الطريق بين المراكز المالية الاوروبية والشرق الاقصى، وعندما نعمل من السابعة صباحاً الى السابعة مساء، نتمكن من التعامل مع المركزين. وبما ان الجزيرة كانت مدة طويلة مركزاً للادارة البريطانية في الخليج، فقد توافر في البحرين قطاع من الموظفين المثقفين وشبكة حديثة للاتصالات".

في تلك اللحظة رن جرس الهاتف.

"من؟ تماما". ثم اضاف السيد مور بلطف: "ان عرضه يبدو جيداً وسنأخذ ٣٠٠٠ بنسبة الفائدة تلك". وعندها اقفل الخط،طبعاً، كان يتحدث عن ٣٠ مليوناً تم تبادلها خلال ثلاثين ثانية.

ثم التفت السيد مور الي وقال: "اين كنا؟ نعم. المواصلات. تقع البحرين على المركز الرئيسي للمواصلات الجوية. فالسفر من البحرين الى لندن او الشرق الاقصى يستغرق ٤ ساعات في طائرة الكونكورد اما الهاتف فلا مثيل له".

واضاف: "ان سياسة البحرين المصرفية الحرة هي عامل جذاب. فالرقابة بسيطة والضرائب معدومة".

المساهمات الدولية - احد العوامل المهمة في بناء الصناعات الثقيلة هو المساهمة الدولية في تلك المشاريع. فمعمل الالمنيوم تملك الدولة اربعة اخماس اسهمه، وشركة كايزر الامريكية ١٧ في المئة. وشركة المانية غربية ٥ في المئة. وقبل فترة وجيزة عرضت البحرين على السعودية تملك ٢٠ في المئة من مشروع توسيع معمل الالمنيوم، وتبلغ كلفة هذا التوسيع ٢٣٠ مليون دولار. اما المشروع الدولي الحديث الذي تبلغ كلفته ٣٤٠ مليون دولار فهو انشاء الاحواض البحرية العربية لبناء السفن واصلاحها، وهو اول مشروع من نوعه في البلاد العربية وقد ساهمت فيه العراق والكويت وليبيا وقطر والعربية السعودية والامارات العربية المتحدة.

في عام ١٩٧٤ باشرت شركة هولندية لتعميق المرافق البحرية وبنائها اقامة جزيرة مساحتها ٤٠ هكتاراً ثم وصلتها بميناء المحرق، الذي يبعد ٦ كيلومترات شمالا. وعندها باشر الفا عامل كوري جنوبي بناء الارصفة البحرية والاحواض الجافة وورش التصليح. وقد استغرق العمل في هذا المشروع ١٦ شهراً بدأت بعدها الشركة بتصليح أولى الناقلات البحرية الضخمة. فعجت الاحواض بالعمل. وخلال عام ونصف عام دخلت الاحواض ١٦٠ سفينة.

زرت المدير العام السيد انطونيو ماكادو لوبز في مكتبه الذي يطل على الحوض الجاف حيث كانت ناقلة نروجية ضخمة حمولتها ٣٠٠٠٠٠ طن تتمدد بين ايدي العمال لتحمية جوانبها ثم دهنها. وكانت سفن اخرى من اليونان وكوريا الجنوبية والعراق طافية بجانب الارصفة الاخرى. قال لي السيد لوبز: "ان البحرين هي المكان الطبيعي والمعقول لاعمالنا. ذلك ان خط سير

الناقلات العالمية يقع هنا في قلب الخليج. فاضافة الى الصيانة الروتينية يتولى تقنيو الحوض معالجة الصفائح الفولاذية والمواسير، كما يصلحون المحركات والاجهزة الالكترونية المختلفة ولدينا ١٣٠٠ عامل من ٤٠ جنسية متخصصون بكل اعمال الهندسة البحرية".

بعدها راقبت القاطرات البحرية وهي تجر ناقلة بحرية المانية ضخمة الى خارج الحوض بعدما تم دهنها. وشاهدت بحارة القاطرات وهم فيليبيون يعطون التعليمات بصوت عال بينما وقف عمال المطافىء يتكلمون العربية. ووقف مدير الاحواض السيد سانتوس كارمالو امام اللاسلكي يصدر تعليماته بالانكليزية او البرتغالية. وبعد برهة، انحرفت الناقلة "ليفيتيان" قليلا وصدمت حائط الحوض، فتناثر الاسمنت المسلح على جوانبها ولحق ضرر قليل دهانها الحديث. عندها سمعت بعض الكلمات "المختارة" باللغة الالمانية.

ليس مركز البحرين جديداً، بل يعود الى الفتوحات الاسلامية في القرن الميلادي السابع عندما كانت تحكمها دمشق وبغداد. بعدهما حكمها شيوخ عرب من مناطق مجاورة. اما البرتغال فحكمت البحرين من عام ١٥٢١ الى عام ١٦٠١. ومن عام ١٨٢٠ الى عام ١٩٧١ كانت البحرين محمية بريطانية. اما عائلة آل خليفة التي تحكم البحرين اليوم، فقد هاجرت من السعودية منذ مئتي سنة وحكمت الجزيرة ولم تزل.

الامير الحالي الشيخ عيسى بن خليفة استقبلني في مكتبه في القصر فترة وجيزة صرح بعدها "اننا نفخر بعلاقات الصداقة مع اوروبا والولايات المتحدة. ان الحوار بين الغرب والعالم العربي صار اليوم مهماً اكثر من ذي قبل. اننا امة صغيرة لكننا نتفاهم مع الفريقين".

ان اهمية البحرين تتعاظم وان هذا البلد سيستمر، بفضل الخبرات التي اكتسبها خلال مئات السنين، في القيام بدور مهم في الشرقين الادنى والاوسط.

■ توماس ج. ابركرومبي

طاقة جديدة

اذا استطاع العلم استخدام طاقة المحتجين على الطاقة النووية، فلن تعود هناك حاجة الى الطاقة النووية.

هـ.ب.

سمك في الهواء

وسط جسر "رويال غورج" في ولاية كولورادو الامريكية، وهو اطول جسر معلق في العالم، وضعت الملاحظة الآتية: "يمنع صيد السمك على هذا الجسر". بقي ان نعرف ان الجسر يرتفع ٣٢١ متراً!

ج.ل.

أرجوك... لا تؤذ طفلي

حرمان الام طفلها لم يأت
بالسعادة الى العائلة
المحرومة من مثله

يا له من هول لم يكن في وسع فرانسز لوفر ان تتصوره. فما كادت الام، ذات الاثنين والعشرين ربيعاً تضع طفلها الوحيد ذا الاحد عشر شهراً في مقعده في السيارة، وتجلس بدورها امام عجلة القيادة، حتى فتح باب السيارة فجأة وبعنف ولمس رجل جنبها بسكين، وقال آمراً "انتقلي الى المقعد المجاور" فأجابت في ذهول "لا" فدفع بسكينه قليلا الى أمام فلما احست بقطرات الدم قالت لاهثة "لا بأس"، لابأس". ودخل الرجل وقال: "اعطيني المفاتيح وابقي هادئة حتى لا يحدث شيء". فقفز قلبها من الرعب: من هو؟ وماذا يريد؟ وبينما كان يقود السيارة خارج مكان وقوف السيارات الخاص بالمتجر الكبير في موديستو (كاليفورنيا) كان عقلها يسجل اوصافه: رجل ممشوق القامة، في اوائل الثلاثين، ذو انف كبير وشعر بني على احمرار ووجه شاحب وعينين صغيرتين ولحية عمرها ايام عدة ويرتدي بنطلوناً ازرق ضيقاً (جينز) وكنزة داكنة ذات قبة ضيقة عالية.

وسألها "كم تحملين من النقود؟" فتفحصت حقيبتها وأجابت "٤٥ سنتاً". "احتفظي بها، فأنا في حاجة الى اكثر... اعطيني عنوانك".

وكتبت عنوانها بأصبع احمر الشفاه على ظهر قائمة مشترياتها. وبالقرب من مقهى على قارعة الطريق اوقف الرجل السيارة وامر فرانسز بالخروج منها. فلما مدت يديها لتأخذ طفلها تومي قال "لا". وانفجرت باكية: "ارجوك. انني اريد ان آخذ طفلي معي". "لا! سأترك كلمة في صندوق خطاباتك ترشك الى المكان الذي ستجدين فيه الطفل والسيارة. لا تبلغي الشرطة". فهتفت: "اتوسل اليك الا تؤذي طفلي". فأجاب: "لن أؤذيه". وداعب قدم "تومي" بتحبب وتودد. وخرجت فرانسز شبه مخدرة من السيارة، بينما اسرع المختطف بالسيارة مبتعداً، واندفعت الام الرشيقة السوداء الشعر داخل المقهى

اخبرت الساقي وهي تبكي ان احد الاشخاص خطف طفلها. وبينما كان الساقي يطلب مكتب كبير رجال الامن، رجت فرانسز عاملة المقهى ان تصلها بزوجها تلفونياً.

معلومات عقيمة ـ كان ذلك بعد ظهر يوم السبت في ٢٠ يناير ١٩٧٣. وبعد دقائق قليلة، كان رجال الامن يستجوبون فرانسز داخل المقهى. اما زوجها توم ذو الست والعشرين سنة وهو عامل في محطة خدمة للسيارات تابعة لشركة موبيل، فجلس بالقرب منها مصدوماً ومذهولا. انه لا يستطيع فهم ما حدث.

لماذا يريد اي شخص ان يسرق ابنه؟ انه لا يملك مالا ليدفع الفدية. وبعد ساعة عثر رجال الامن على سيارة لوفر فارغة بالقرب من مقهى آخر. ولم يكتشفوا فيها اي بصمات اصابع او اي علامات اخرى تدل على المختطف. وبدأ رجال الشرطة بتفحص رواية فرانسز نفسها، فأجمعوا على انها قالت الحقيقة، فعمموا على شرطة البلاد صورة للطفل تومي واوصاف المختطف وتحذيراً الى الجمهور. وطوال الاسبوع الاول تلقت دوائر الامن اكثر من ٥٠٠ اشارة بالبريد والتلفون والبرق ومع ذلك لم تصل اي كلمة من المختطف نفسه.

وانقضت ثلاثة اسابيع. وعندما تم فحص العدد الهائل من البلاغات والمعلومات ووجد انها عديمة القيمة انتدب رجل الشرطة السري وسلي ويليامز من ادارة مكتب الامن لدرس القضية والوصول الى حل لها مهما استغرق ذلك من وقت. ويتميز ويليامز بأنه رجل ضخم، متين البنية، ذكي، صبور، ذو ارادة. وكان يزور فرانسز مرات عدة في الاسبوع ويعرض عليها اكداساً من الصور المحفوظة في ملفات الشرطة كما عرض رجال مكتب التحقيقات الفديرالي صوراً اخرى، ولكن من دون جدوى.

وتابع ويليامز بعناده كل اخبارية. فقد ابلغ احد الاشخاص انه واثق تماماً من انه رأى الطفل في سيارة بليموث رمادية. وعلى الفور، فحص ويليامز كل السيارات البليموث الرمادية في ثلاث مقاطعات، ولكن عبثاً. وسئلت وكالات التبني كلها، وارسلت الشرطة تقارير وصوراً عن الاطفال الذين تخلى عنهم ذووهم من لويزيانا وجورجيا وايلينوي واوهايووالبرتا وكندا.

وفي صباح باكر، تلقى رجل الشرطة السري مكالمة تلفونية عن ارض محفورة حديثاً في شكل يشبه قبراً صغيراً. وفي الحال ارتدى ملابسه واخذ معه جاروفاً وذهب الى المكان، واخرج من الارض صندوق احذية يحوي سنجاباً ميتاً وزهرة من البلاستيك. وفي خلال بحثه، وجد ويليامز طفلا كان تم شراؤه بمبلغ ٢٥٠ دولاراً امريكيا في المكسيك، وآخر، يبدو انه لقيط في رعاية احد عمال المهرجانات. كل هؤلاء وجدهم ما عدا تومي. وعند حلول الصيف اخذ عدد البلاغات الاسبوعية يتضاءل وكان ويليامز يدرك، والالم يحز نفسه، انه لم يحقق شيئاً.

وقال لزوجته: "لا بد ان هناك زوجاً وزوجة في مكان ما يرعيان طفلا لا يمت اليهما بصلة. وهناك من يعرف ذلك. ولكن كيف لي ان اجدهما؟"

غرفة الانتظار – وفي الوقت نفسه تقريباً وعلى بعد ستة كيلومترات ونصف كيلومتر من منزل اسرة لوفر، كتبت مارجوري كوفي (٣٠ سنة) خطاباً الى مارجريت رينز (كانت جارتها يوماً) التي تعيش في تكساس واخبرتها بانها هي وزوجها بوب الميكانيكي قد تبنيا صبياً صغيراً. وكانت السيدة رينز تعرف ان لصديقتها بنتينمن زواج سابق ثم اجريت لها عملية استئصال للرحم. فلما كتبت اليها تسأل عن تفاصيل التبني اجابت السيدة كوفي باقتضاب انه صبي واسمه شون .

وفي سبتمبر (ايلول) انتقلت عائلة رينز الى موديستو من جديد وسكنت بيتاً قريباً من منزل آل كوفي. ولما استفسرت السيدة رينز عن التبني رفض الآخرون قول شيء. فاستنتجت ان الطفل لا بد ان يكون قد ولد لاحد اصدقاء السيدة كوفي ولم يكن راغباً في ولادته.ولم تر الطفل اطلاقاً في صحبة احد يتنزه في الطريق ماشياً ولا في غرفة اطفال. وعندما كانت تزور عائلة كوفي كان الطفل دائماً وحيداً في حجرة مغلقة،وان يكن قد سمح لها برؤيته. ومع هذا، كان التبني ومعاملة الزوجين للطفل يحيران رينز.

والآن صار المخبر ويليامز اكثر ارتباكاً وحيرة، وبدأ يشك في قدراته الشخصية كمخبر ومحقق. فهو ناقش كل وجوه القضية مع زملائه المخبرين، وسأل فرانسز مراراً وتكراراً عن كل جزيئة. وتعاون بحمية ونشاط خلال العام الماضي، مع مخبري الصحافة والاذاعة والتلفزيون في شأن قصص الاختطاف. وكان كلما ذكر الجريمة يحصل على معلومات وبلاغات جديدة، ومع ذلك توقف الاعلان بالفعل، فليس هناك ما يبلغونه اياه.

اما فرانسز فلم تفقد الامل."ان الموضوع في سبيله لأن يأخذ مساراً واحداً. قد يحدث ذلك غداً وقد يحدث بعد شهر".هكذا قالت فرانسز لويليامز في احدى زياراته لها. وعند خروجه القى نظرة على غرفة الطفل فوجد السرير معداً واللعب مصفوفة كما لو كانت عودة تومي منتظرة خلال ساعة.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤تحدث ويليامز الى مخبر صحافي في "مجلة موديستو" يدعى ستيف رينجهوف واقترح عليه ان يكتب مقالا في الذكرى الاولى لحادث الاختطاف، اذ كان يعرف من خبرته ان اجهزة الاعلام ستلتقط القصة فتكسب القضية بذلك اهمية على المستوى الوطني، فضلا عن اهميتها على المستوى المحلي. وهناك احتمال طبيعي بأن تثير القصة اهتمام احد القراء في مكان ما، وما يتبع ذلك من امكان وصول بلاغ او معلومة تؤدي الى معرفة مكان تومي لوفر.

"**الطفلمسروق**": في مساء ١٩ يناير (كان الثاني) كانت كوفي تزور السيدة رينز. وبعد حديث عابر، سألت السيدة كوفي مضيفتها "هل تعرفين كيف احصل على شهادة ميلاد لشون؟" ودهشت السيدة رينز وقالت: "الم يعطوك واحدة عندما تبنيته؟" فاعترى التردد السيدة كوفي ونظرت الى جارتها ثم قالت: "لا تخبري احداً حتى زوجك. ان الطفل مسروق".

ولم تصدق السيدة رينز هذا

التصريح المباشر، لان صديقتها غالباً ما كانت تنسج الاوهام حول ماضيها مثل عملها في مرقص او كباريه او كوكيلة سرية في تجارة المخدرات، او غنائها في فرقةموسيقية وطنية معروفة في انحاء البلاد. ولكن بعد ايام قرأت السيدة رينز مقال رينجهوف عن الاختطاف في "مجلة موديستو"، وكانت سمعت بالجريمة من قبل. ولكن صورة تومي لوفر استوقفتها. لقد كان يشبه شون كوفي.

وانزعجت السيدة رينز. هل كان شون كوفي في الحقيقة تومي لوفر؟ هل هي مضطرة الى ابلاغ رجل الشرطة السري ويليامز المذكور في المقال؟

ولكن فلنفرض ان شون كوفي ليس تومي لوفر وان يكن آل كوفي تبنوه بطريقة غير قانونية؟ وماذا عن آل لوفر ومعاناتهم؟ واصابها الارق وباتت شاردة الفكر في عملها. وعندما انتقد مديرها عملها باحت له بالسر. وكان ردّ فعله مباشراً اذ قال "اطلبي المسؤول عن الامن. فأنت أم. بماذا كنت تحسين لو اختطف طفلك انت؟"

وهكذا كان فاتصلت السيدةرينز بويليامز. وفي اول الامر لم تثر المعلومات اهتمام رجل الشرطة فقد كان صوت المرأة ينم عن ترددها وعدم ثقتها بنفسها. ولكن موقفه تحوّل بعنف، عندما اتت على ذكر سؤال السيدة كوفي في شأن شهادة الميلاد المزيفة. وفي الحال اتصل هاتفياً وهو منفعل، بالمندوب المحلي لمكتب التحقيقات الفديرالي وذهب الاثنان لزيارة منزل كوفي.

الانكار الفاضح – انكرت السيدة كوفي أن يكون لها طفل، وقالت انها كانت ترعى ابن اخت زوجها. ولكن الام اخذت طفلها منذ ثلاثة اشهر. وخرج الضابطان ليقارنا انطباعاتهما، فاتفقا على ان المرأة كانت تكذب، واتصلا هاتفياً بالسيدة رينز، وكانت المكالمة تأكيداً على كذب السيدةكوفي، اذ اصرت الاولى على انها رأت الطفل منذ اسبوعين.

لم يكن هناك وقت للحصول على اذن بالتفتيش، فقد انذر آل كوفي. فلو كان الطفل هو تومي فسيحاولون الهرب واخفاء "دليل" الاختطاف او التخلص منه، وهذا هو الاشنع.

وبينما ذهب وكيل مكتب التحقيقات الفديرالي ليجد كوفي، عاد ويليامز واحد زملائه ويدعى الجاويش تشارلز كيرتس الى منزل كوفي. وهناك سألتهم السيدة كوفي اذا كانوا يحملون اذناً بالتفتيش، فرد عليها ويليامز: " اذا لم يكن لديك طفل فلماذا تعارضين التفتيش؟"

وبعد لحظات طويلة منالصمت قالت السيدة كوفي ان لديها طفلا في المنزل. ووافقت على احضاره. وفي غيابها القصير فتح الجاويش كيرتس باب خزانة صغيرة فوجد داخلها السيد كوفي الذي خرج من دون ان ينبس بكلمة.

احضرت السيدة كوفي طفلا فأحاط الضباط به وبكوفي وقادوهما الى مقر القيادة. وهناك اخذ خبير البصمات الجاويش روجر لوشري بصمات قدمي الطفل وخرج من الغرفة ليقابلها ببصمات تومي لوفر التي اخذت له في المستشفى.

وانتظر ويليامز والعرق يتصبب منه وعاد خبير البصمات وقال: "لقد خططت خمس عشرة نقطة لمقابلتها (في انظمة مكتب التحقيقات الفديرالي تمثل ١٢ نقطة مقابلة نتيجة ايجابية).

"انه الطفل. لا شك في ذلك".

واخذت ويليامز رجفة.

هدية ثانية — استدعي كل من فرانسز وتوم الى مكتب المسؤول عن الامن من دون اعطائهما اي تفسير. وافترض توم اسوأ الافتراضات: ان يطلب اليه التعرف الى بقايا ابنه. وكان يفكر في ما يمكنه ان يفعل لمساعدة زوجته على تحمل الصدمة. وما ان وصلا حتى حياهما ويليامز بابتسامة عريضة وقال: "اعتقد اننا وجدنا تومي" فأجاب: "لن اصبح متأكداً حتى تكونا انتما متأكدين".

وحمل تومي الى الغرفة فحملقت فرانسز واتسعت عيناها وابيض وجهها، فقال ويليامز "حسناً خذيه يا فرانسز".

ومدت يديها نحو تومي فبدأ الطفل بالبكاء فقالت وهي تنشج" هذا صوت بكائه وصراخه. هذا هو طفلي". وفجأة تعانقت الام وابنها، واختلطت دموعهما عندما قبلت فرانسز جبهته وخديه. وبكى جميع من في الحجرة.

واحس ويليامز بـ"الادرينالين" ينساب من جسمه... وفي اليوم التالي، اخرجت فرانسز المتهم كوفي من بين عرض للمشتبه بهم، فاعترف بالاختطاف، وقال ان حالة زوجته المعنوية كانت في الحضيض لانها لا تستطيع ان تنجب ثانية وانه سرق تومي انقاذاً لزواجه. وقد اكد ان زوجته لا تعلم شيئاً عن حادث الاختطاف كما ان السيدة كوفي نفت معرفتها، ولكن شهادة السيدة رينز بعد اداء اليمين امام هيئة المحلفين الكبرى كذبت هذا التصريح. وقد حكم على السيدة كوفي بالسجن مدة خمسةوعشرين عاماً وعلى زوجته من سنة الى خمس سنوات. وكان تومي في حال لا بأس بها. كانت هناك كدمات على صدره وذراعيه. ودلت الكدمات حول رسغي القدمين وسوء الدورة الدموية فيهما على انهتعرض للقيود. واتضح ان نموه الجسدي والعقلي قد عوق في الفترة التي قضاها مع آل كوفي وهي سنة وستة عشر يوماً.

قالت لي فرانسز: "ولكنه الان في خير". واضافت: "انني اعرف ان اي طفل هو هدية من عند الله. ولقد اعطاني الله الهدية نفسها مرتين".

■ جوزف ب. بلانك

تلك مشكلتهم

حين كنت موظفاً في معرض موسمي محلي قبل بضع سنوات، شاهدت امرأة معها اطفالها الثمانية. فسألتها: "الا تخشين اضاعة اطفالك وسط الزحام؟" فاجابت بخفة ان ذلك لا يسبب لها اي مشكلة: "لا اعطي احدهم من المال الا ما يحتاج اليه لدى سؤاله. فاذا اراد شيئاً آخر، طلب المال مرة اخرى. وهذا يعني ان عليه هو الا يضيعني".

ج.د.ب.

اكتشاف مهد آخر للحضارة

بينت المكتشفات التي استخرجت من جوف الأرض في تايلاند أن جنوب شرق آسيا من مواطن الحضارة الانسانية الاولى

كان رجلا طويلا مضطجعاً على جنبه في وضع ملتو، وركبتاه مشدودتان الى ذقنه. ولكن لا أحد يعلم من كان ذلك الرجل ولا كيف مات قبل خمسة آلاف سنة أو أكثر. الا ان اكتشافه قد يؤدي الى تعديل مفاهيمنا الخاصة بالمكان والزمان اللذين نشأت فيهما الحضارة. فقد دُفن الى جانبه رمح برونزي مجوّف صُنع باتقان، وهو أقدم برونز من نوعه تم استخراجه من باطن الأرض، إذ يسبق تاريخ صناعة البرونز المتعارف عليه بـ ٥٠٠ سنة. وهو وُجد في مكان مستبعد بالنسبة الى كتب التاريخ، وذلك في قرية تقع شمال شرق تايلاند في الشرق الأقصى.

بدأت القصة عام ١٩٦٦ فيما كان الطالب الجامعي الامريكي ستيفن يونغ يسير على طريق جرفتها السيول خارج قرية بان شيانغ الزراعية. ونتأت من الوحل آنية خزفية مكسّرة تكسوها تصاميم نافرة ملتفة، كما لم يشاهد من قبل. وظناً منه ان الآنية تعود الى زمن قديم، فقد أرسلها يونغ الى المتحف القومي في بانكوك



آنية من عصر الحديد في بان شيانغ.

وبعد سنتين أُرسلت ثلاث من تلك الكِسَر الأثرية الى متحف جامعة بنسلفانيا الامريكية لتعيين زمنها بطريقة الاشعاع الحراري التي تقوم على قياس العناصر الاشعاعية المترسبة في الأجزاء المحماة من الطين. وبيَّن الفحص أن ذلك الوعاء صُنع قرابة العام ٤٠٠٠ قبل الميلاد.

ويتذكر فرويليك ريني، مدير المتحف آنذاك، أن ذلك بدا قديماً الى حد لا يصدّق. وزاد ذهوله وجود الخزف والبرونز جنباً الى جنب.

الفرضية الصاعقة – لقد اعتقد علماء الآثار، منذ ثلاثينات هذا القرن، أن حوض دجلة والفرات في بلاد ما بين النهرين القديمة (العراق حالياً) كان "مهد الحضارة". فهو شهد أول تجمّع سكاني ريفي في حدود الألف الثامن قبل الميلاد، حيث انصرف الناس الى زراعة الحبوب البرية وتدجين الحيوانات. وفي الألف السادس قبل الميلاد توصلوا الى صنع أشياء بدائية من النحاس المطرّق. ومع حلول الألف الثالث قبل الميلاد توصلوا الى صَهْر النحاس والتنك للحصول على سلَع معدنية قوية وأسلحة. وبذلك بدأ "العصر البرونزي". وليس معروفاً من أين حصلوا على التنك الذي يكاد يكون منعدماً في المنطقة.

وتقول كتب التاريخ ان الحضارة انتشرت من قلب الشرق الاوسط الى مصر جنوباً وكريت وطروادة غرباً وآسيا شرقاً. كما تقول ان الزراعة وتدجين الحيوانات ظهرا في الصين عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد وفي الهند عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد. وبعد ذلك بألف سنة أُدخل البرونز الى الهند والصين. أما منطقة جنوب شرق آسيا فكانت في حال ركود.

لذلك وقعت أنباء اكتشاف الخزف والبرونز في تايلاند على المعنيين بالآثار وقع الصاعقة. وزاد حدة الاضطراب مقالات أخذت تظهر في المجلات العلمية، وهي تصف عمليات التنقيب التي جرت عامي ١٩٦٥ - ١٩٦٦ وعام ١٩٦٨ واشتركت فيها وزارة الفنون الجميلة في تايلاند وجامعة هاواي.

وفي مدافن نون – نوك – ث بالقرب من بان شيانغ، وجد فيلهلم سولهيم من جامعة هاواي وزميلاه دون بايارد وهاملتون باركر من جامعة اوتاغو في نيوزيلندا فأساً مسبوكة من البرونز، بيّن الاختبار الاشعاعي أنها سبقت مثيلاتها من منطقة الشرق الاوسط. وفي "كهف الروح" الواقع شمال غرب تايلاند وجد طالب الدراسات العليا تشستر نورمان، في طبقة من الأرض تعود الى الألف العاشر قبل الميلاد، بقايا نباتية متفحمة، مما يشير الى أن سكان تلك المنطقة ربما سبقوا في الزراعة أهل ما بين النهرين بألفي سنة. كما عثر نورمان على كسر خزفية تعود الى العام ٦٨٠٠ قبل الميلاد، مما يعني ان سكان تايلاند القديمة سبقوا سكان ما بين النهرين في هذا الفن أيضاً. وبناء على هذه المكتشفات، وضع سولهيم فرضية قوامها أن جنوب شرق آسيا، وليس الشرق الاوسط، قد يكون شهد مولد الحضارة.

موقع الأحلام – من أجل الحصول على أدلة أفضل، سُمح لعلماء الآثار التايلانديين بالتنقيب في بان شيانغ



نصلا رمح، واحد من برونز وحديد (فوق) وواحد من نحاس.

عام ١٩٧٢. وبعد سنة وَجّهت وزارة الفنون الجميلة التايلاندية دعوة الى فروليك ريني لزيارة الموقع وفحص الآثار المكتَشَفة؛ وهناك ذُهل ريني بما رآه. فقد كانت القرية المرتفعة على ركائز تقوم على رابية صنعتها الأيدي بارتفاع خمسة أمتار ومساحة كيلومتر ونصف كيلومتر مربع. وقد شيدها خلال آلاف السنين القوم الذين عاشوا عليها ودفنوا موتاهم فيها. وفي جزء صغير من تلك الهضبة، عثر علماء الآثار على عدد هائل من السلع المصنوعة من البرونز الفاخر والحديد والخزف، اضافة الى بقايا نباتية وعظام حيوانية مكدّسة بعناية تدل على تقدمة الحيوانات كجزء من مراسم الدفن. كما عثروا على هياكل عظمية بشرية بالغة الحجم. الا ان عدداً كبيراً من آثار المنطقة كان يتعرض للنهب. وكان على المعنيين العمل بسرعة قبل ان تقضي معاول الناهبين على آثار بان شيانغ وتخلطها بعضها ببعض. وجُندت لذلك العمل جهود علمية متعددة الجنسية.

وفي العام ١٩٧٤ بدأت في بان شيانغ حملة تنقيب واسعة النطاق، بمشاركة غورمان الذي انضم الى متحف جامعة بنسلفانيا وبيسيت تشارووينوونغسا، أمين المتحف القومي في بانكوك. ويقول غورمان: "كان ذلك الموقع بمثابة الأرض التي يحلم بها علماء الآثار ولا يجدونها الا نادراً". وخلال فصلي عمل، كشف المنقبون عن سبع طبقات تنتمي الى مراحل حضارية مختلفة تمتد عبر ٥٠٠٠ سنة، ولكل منها مصنوعاته المميزة. واستخرجوا ١٨ طناً من السِّلَع و١٢٦ جثة بشرية كاملة وجدوها في طبقات عدة من الأرض. ووجدوا في احد المدافن هيكلا عظمياً عمره ٤٠٠٠ سنة لرجل طويل على نحو غير عادي حول عنقه عقد من مخالب نمر، وقد دُفنت الى جانبه قرون وعول وأسلحة صيد. وكانت أهم المكتشفات تلك المقبرة التي ذُكرت في بداية المقال ووجد فيها النصل البرونزي.

كما أسفر التنقيب عن استخراج ٤٠٠ وعاء خزفي متعددة الأشكال. وبينها الأوعية السود القديمة التي نُقشت عليها أشكال هندسية، والآنية الصفراء البرتقالية التي تعود الى المرحلة المتوسطة، والجرار القوية الصقيلة التي وُجدت في الطبقات العليا؛ ووُجدت كذلك مجموعة خرز مصنوعة من الحجر والعاج والزجاج وتلال من الخردق التي يُظَنّ أن السكان كانوا يستعملونه في قسيّهم لصيد الطيور كما لا يزال التايلانديون المعاصرون يفعلون.

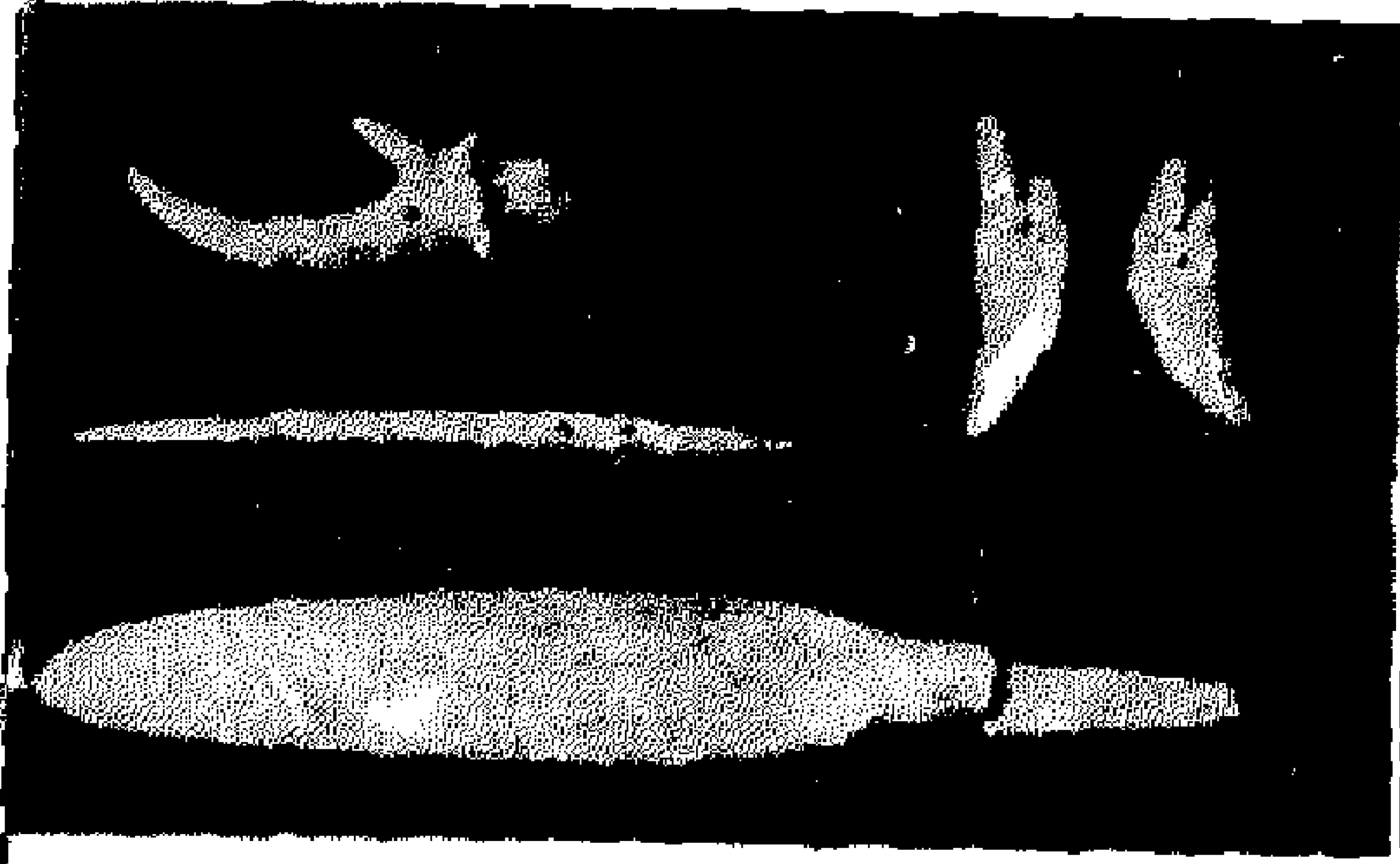
واستُخرج البرونز من جميع الطبقات باستثناء الطبقة الدنيا، وقد صُنعت منه الفؤوس وأسلحة الصيد والأجراس وأدوات الزينة. ووُجدت

مع أحد الهياكل العظمية خمسة خواتم في اصبع واحدة. وكانت الأساور تطوّق يد هيكل عظمي آخر من المعصم حتى الذراع. وفي الطبقة التي تعود الى ما يراوح بين ١٦٠٠و١٠٠٠ سنة قبل الميلاد، عثر المنقبون على مواد مصنوعة من الحديد معاصرة للمواد الحديد الحثية التي اكتشفت في منطقة الشرق الأوسط والتي كان يُظَنّ أنها الأقدم من نوعها.

ما قبل التاريخ - وبعد تركيبهم القطع التي استخرجت من بان شيانغ والمواقع الاخرى، وضع علماء الآثار مسودة نظرية لمرحلة ما قبل التاريخ الجلي في تايلاند. وجاء في نظريتهم ان من أقدم سكان المنطقة اولئك الذين وصلوا الى "كهف الروح" في حدود العام ١٥٠٠٠ قبل الميلاد من مكان غير محدد. وهم امتازوا بعضلاتهم وبطولهم الذي بلغ معدّله ١٧٣ سنتيمتراً للرجال و١٦٣ سنتيمتراً للنساء، وكذلك بعظمهم الثقيل ووجوههم العريضة وقمة جباههم النافرة. ولم يكن هناك من شبه جسدي كبير بينهم وبين سكان جنوب شرق آسيا الحاليين.

وكان سكان الكهف الأوائل صيادي حيوانات وأسماك، يعيشون في مرحلة متقدمة من حضارة العصر الحجري. غير أنهم حققوا تقدماً ملحوظاً. وفي الألف السابع قبل الميلاد كانوا يستعملون أدوات حجرية صقيلة مزودة بشفرات مستطيلة لحفر الخشب، وكذلك مناجل صخرية تشبه تلك التي لا تزال تستعمل لحصاد المحاصيل في بعض أجزاء اندونيسيا.

لكن "كهف الروح" هُجر في حدو العام ٥٥٠٠ قبل الميلاد. ومرت ألف سنة لم يُعْرَف شيء عن تاريخها وظهرت معالم بان شيانغ مرة اخرى: وأُعيدت الى حدود ٣٦٠٠ قبل الميلاد. وكان السكان قد حققوا تقدماً جباراً، فاستقروا في القرى حيث اعتنوا بالحيوانات وزرعوا الرز وغزلوا الخيوط ونسجوا الأقمشة، وكانوا يلبسون المجوهرات البرونزية وثياب الحرير "المطبوع" بالرسوم. والحق انهم تعلموا استعمال المعادن قبل تلك الفترة بوقت طويل، لان البرونز الذي وُجد في الطبقات العليا كان مصهوراً بنسب تضمن بقاءه أطول مدة ممكنة. فقد استُعملت تسعة مقادير



بعض المكتشف في بان شيانغ، من اليسار: قرن وعلء انياب نمر، نصل رمح، ابرة خياطة.

من النحاس لمقدار واحد من التنك، علماً أن صُنّاع منطقة الشرق الأوسط صرفوا ٣٠٠٠ سنة من الخبرة قبل التوصّل الى ذلك. ويدل وجود الصدف البحري على أن سكان بان شيانغ كانوا يتاجرون مع السكان الآخرين على امتداد الساحل.

وعلى رغم تلك الكماليات المادية، فان أسباب حياتهم كانت شاقة. فقد أظهر تحليل الهياكل العظمية ان

أصحابها كانوا يعانون فقر الدم والملاريا والسل". وكان معدل وفيات الرضع والاطفال مرتفعاً، كما كانت لسن الثلاثون معدل الوفاة العامة. وكان دفن الموتى يتم في احتفال كبير، وتوضع الى جانبهم وفرة من الأشياء لتكون زاداً لرحلتهم عبر العالم الآخر، وبينها المجوهرات والثياب والجرار والطعام.

وفي فترة من الألف الثاني قبل الميلاد، شهد الوضع الاقتصادي في بان شيانغ تقدماً ملحوظاً حين بدأ المواطنون يزرعون الرز في حقول ترويها الفيضانات. وقد مكنهم هذا الوضع من جني المحاصيل طوال السنة عوضاً عن مرة او اثنتين في العام. وهناك أدلة على ارتفاع مفاجىء في عدد الجواميس المائية التي يبدو أنهم استخدموها لجر المحاريث الفلاحية.

وخلال أربعة آلاف سنة، وهي مدة بقائهم، عاش سكان بان شيانغ حياة ازدهار وأمان واستقرار. ولم يظهر اي أثر يدل على ان حضارتهم، في أي من مراحلها، نغصها حريق هائل أو ثورة عنيفة. وتبين من تحليل الهياكل العظمية الـ١٢٦ التي وجدت ان أحداً من أصحابها لم يمت ميتة عنف. كذلك لم تستخرج أسلحة حربية. الا ان بان شيانغ خلت من سكانها الأقدمين في حدود العام ٢٥٠ قبل الميلاد.

ويجمل غورمان المسألة بالآتي: "لقد كانت حياتهم متطورة ونابضة بالنشاط. ويبدو ان أي حضارة اخرى معاصرة لم تكن تضاهيها في مجال التعدين".

بحثاً عن الماضي — ان هذه النظريات المتعلقة بحضارة ما قبل التاريخ في تايلاند لم تلق البرهان القاطع بعد. فالمؤرخون وعلماء الآثار التقليديون يطرحون السؤال الآتي: اذا صح ان الشعب التايلاندي القديم كان على تلك الدرجة من التقدم، فلماذا لم يخلف مدناً ولغة مكتوبة؟ ألا يجوز ان تكون صناعة التعدين نُقلت اليه على أيدي تجار من الشرق الأوسط؟

ربما كانت المناقشة القائمة على أي الشعوب كان الأسبق الى ابتكار الحضارة غير ملائمة. وثمة بين المعنيين بحضارات ما قبل التاريخ من تخلى عن الاعتقاد الذي ساد طويلا والقائل بان الحضارة وُلدت في منطقة معيّنة وانتشرت منها الى بقية المناطق، ليتبنى نظرية تقول بأصول مختلفة ومستقلة للحضارة. فليس من المعقول، في نظرهم، ان تكون زراعة القمح والشعير في وادي ما بين النهرين والرز في تايلاند (والذرة في وادي المكسيك بعد ألفي سنة) انتشرت من أحد تلك الأمكنة الى الآخر، لأن الحبوب مختلفة. وهناك علماء آثار، بينهم غورمان، يقولون ان تعدين البرونز نشأ مستقلا في كل من الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا والبيرو.

والواقع ان الاكتشافات الجديدة ووسائل تحديد الزمن المتطورة لا تزال تقلب التواريخ الأثرية التقليدية في أماكن كثيرة اخرى في العالم. فقد عُرف اليوم أن المدافن الحجرية الضخمة في اوروبا الغربية التي كان يُظَنّ انها تقليد غير ناجح للأهرام المصرية، هي أقدم من الأهرام بألفي

سنة. كما ان سكان رومانيا الأقدمين ربما ابتكروا لغة مكتوبة قبل سكان ما بين النهرين. ومن المحتمل ان أول ناس دخلوا امريكا فعلوا ذلك قبل ٤٠ الف سنة وما يزيد، وليس قبل ١٢ ألف سنة فقط كما كان شائعاً لمدة طويلة.

وجدير بالذكر ان جنوب شرق آسيا هو من مناطق قليلة في العالم تقدم الى علم الآثار أرضاً خصبة بالوعود والمفاجآت. ولا تزال هناك طبقات كثيرة في باطن الأرض قد يتبين أنها كانت مدناً في عصور ما قبل التاريخ. وفي شمال شرق تايلاند تقوم أكثر من ٣٠٠ هضبة كتلك التي في بان شيانغ - فضلا عن هضبات كثيرة اخرى قد يتم اكتشافها - يرجّح انها تنطوي على غنى حضاري هائل سيحدث ثورة في معرفتنا المتعلقة بماضي الجنس البشري.

■ رونالد شيلر



قالت طالبة جامعية ستتخرج قريباً انها اوقفت البحث عن هويتها لتبدأ البحث عن وظيفة.

و.ت.

تعريفات ساخرة

الاقتصادي: شخص يحاول أن يعرف غداً لماذا لم تحصل اليوم الامور التي توقعها امس.

ك.ك.

عالم البيئة: صوت صارخ في البرية.

و.م.

التقاعد: عندما يكون العيش سهلا وقبض الرواتب صعباً.

ا.ك.ك.

لا تكرهوا شيئاً

عاجلا او آجلا، يصبح كل شيء مضحكاً او منسياً.

في أحد الايام رافقت امرأة زوجها الى لقاء لخريجي الجامعة التي درس فيها. وفيما كان يقود سيارته المكشوفة في ذلك الجو الحار، سقطت حشرة تحت عنق زوجته ولسعتها لسعة اليمة جداً مخلفة تورماً ظاهراً.

واستغرق اللقاء طوال عطلة نهاية الاسبوع. وكان المجتمعون، كلما دخلت عليهم، يسمعونها تعليقات لاذعة حول "صدرها الثالث".

غير ان الزمن هو الطبيب الاكبر حقاً. فقد اقنع الرجل زوجته بمرافقته، بعد خمس سنوات، الى لقاء آخر لخريجي جامعته. وهناك وجدت ان الجميع كانوا يتذكرونها، أما زوجها فلم يتذكره احد.

ا.ج.ب.



الضحك خير دواء

حلاق ليلي

عندما كنت أدخل غرفة النوم في ساعة متقدمة من الليل، رأيت اخي الاصغر، الذي كان في أول عهده بحلاقة ذقنه، يحلق أمام المغسلة. وسألته عن الدافع الى الحلاقة في تلك الساعة من الليل، فأجاب: "يجب ان يجف الدم على وجهي قبل حلول الصباح".

ج.ب.

حمية على الذكاء

كانت امرأة تشتري قالب حلوى من مخبز، فسألتها البائعة: "هل أجعله ست قطع أم ثماني؟"

فأجابت الزبونة: "اجعليه ست قطع، اذ اني اتبع نظام حمية".

صحيفة "اكسبرس ديلي نيوز"، هونغ كونغ

اصنع جميلا...

في احد ايام الشتاء الباردة، وقع رجل على الرصيف وتبعثرت الاكياس الكثيرة التي كان يحملها وسقطت نظارتاه. وركضت لاساعده فيما وقف هو على رجليه بعد جهد من غير ان يصاب بأذى. غير أني تعثرت ووقعتُ على نظارتيه فكسرتا.

وقدمت اليه اعتذاري، متعهدة ان اعطيه ثمن النظارتين، واستأنفتُ جمع الاكياس الباقية على رغم اصراره على عدم حاجته الى مساعدة. وكدت ان اسقط مرة اخرى، لكني حافظت على توازني فيما استقرت رجلي على مجموعة اسطوانات موسيقية. وبذل المسكين أقصى جهده للحفاظ على هدوء اعصابه، ثم خاطبني بنبرة مكبوتة: "هلا فكرت يا آنسة في أن تصبحي فاترة الشعور تجاه الآخرين؟"

ك.ا.ل.

بذلة مثل العالم!

راح رجل يحتج الى خائطه على تأخره في انجاز بذلة جديدة: "ستة اسابيع؟ لماذا؟ العالم كله خلق في ستة أيام".

فأجاب الخائط مدافعاً: "أعرف هذا. ولكن انظر الى العالم كيف هو!".

صحيفة "الفايننشال تايمس"، لندن

تعانقوا وتلامسوا من غير حرج

في اجسادنا طاقة غامضة تنتقل لدى التلامس كالكهرباء

ان في اعماقنا جوعاً شديداً لا يسده اي طعام. انه نهم في اللمس والاحتكاك بين اجساد البشر. انه "جوع جلدي".

وتفيد التجارب العلمية ان كل الحيوانات ذوات الدم الحار مفطورة على الحاجة الى اللمس، وان بين الآثار التي يخلفها حرمان الجلد متعة اللمس فقدان الشهية والنمو البطيء وتدني نسبة الذكاء والسلوك الشاذ.

وعلى سبيل المثال، ابعد الباحثون في جامعة ويسكونسن الامريكية بعض صغار القردة عن امهاتها فور الولادة، وربوها في اقفاص منفصلة داخل غرفة خاصة. وكان في وسع الصغار ان ترى وتسمع بعضها بعضاً، الا انه لم تتح لها فرصة ملامسة اجساد سجانيها او بقية القردة. فكانت النتيجة مجموعة من القردة الانتحارية والشديدة الانفعال والمنكفئة على ذاتها.

وفي حين ان اجراء تجارب عيادية على الاطفال البشريين ليس امراً مرغوباً فيه، يثبت عدد من الشواهد ان تصرفات غريبة وشاذة تبدر من الاطفال الذين يلازمون المستشفيات او المدارس مدة طويلة من دون ان يحصلوا على مقدار وافر من الملامسة الجسدية المباشرة. فيكتئب بعضهم وينعزل عن العالم، ويهز الآخرون اجسادهم الى الامام والى الوراء او يلطمون رؤوسهم بالجدران او قطع الاثاث.

والحقيقة البسيطة هي اننا جميعاً يسكننا جوع جلدي. وقد لاحظ عالم النفس سيدني جورارد "ان اللمس

حيي اجسادنا ويرد نفوسنا اليها".
واشدد في مادة "تربية النفس" التي اعلمها في جامعة امهرست في ولاية مساتشوستس الامريكية على المبادىء الآتية:
١. تولد الحاجة الى اللمس مع الانسان، وتلازمه حتى يموت.
٢. قد يكون اللمس الناعم الحنون علاجاً شافياً.
٣. هناك اشخاص كثيرون يخلطون بين اللمسة الحنون المواسية التي تريح الاعصاب، واللمسة التي تهيج المشاعر الجنسية.
٤. في بعض العائلات يحصل الاولاد على مقدار كاف من اللمس لاشباع جوعهم الجلدي، وهم في ذلك محظوظون. وفي عائلات اخرى لا يحصل الولد على اللمس الا عندما يؤدبه والداه. (ويظن بعض العلماء ان هناك اولاداً يسيئون التصرف عمداً للحصول على التلامس، وان يكن من قبيل الصفع).

ويسهل التمييز بين هاتين الفئتين من الاسر. فالاولاد الذين اشبع جوعهم الجلدي ينزعون الى الانفتاح على المجتمع والتصرف بارتياح. اما الذين حرموا ذلك فكثيراً ما يبدون منكفئين في عالم خيالي، ولا يبعد ان يتصرفوا بعدوانية. وانا مقتنع بانهم يعانون نقصاً في شعورهم بقيمتهم الذاتية. ويمكنك ان ترى هذا النوع من الاطفال في كل مكان، تميزهم النزعة الى العنف، وتكمن وراء كل واحدة من حركاتهم صرخة غير مسموعة تعبر عن جوعهم الجلدي.

ولذلك فعلى كل انسان ان يلمس الآخرين بكل ما يستطيع من الرفق واكبر عدد ممكن من المرات، لكن ذلك لا يحدث فعلا.

الابسط هو الانجح – في معظم المنازل يداعب الاطفال فيحضنون ويعانقون. ولا تتضمن عملية اللمس هذه الا قليلا من الدلالات الجنسية الاضافية. ولكن عندما يغدو الاطفال اولاداً، تعمل مجموعة من العادات والتقاليد على كبت غريزة اللمس الفطرية فيهم. وغالباً ما تمتنع الامهات، حتى في اكثر العائلات تحرراً في التعبير عن المشاعر، عن تقبيل اولادهن ومداعبتهم. ويظن الاولاد، لا سيما الصبيان، اللثم والعناق عملا غبياً. وفيما يتحملونهما من امهاتهم، فانهم يرفضونهما من آبائهم. ثم ان الآباء يتوقفون عن تقبيل اولادهم على اي حال.

وعندما يبلغ الاولاد سن المراهقة، يكون الامر زاد خطورة. فلا يعودون يحصلون على لمسة حانية واحدة، اللهم الا في حالات المرض. فكيف نستطيع ان نوجد طريقة للمس لا توحي بمعان جنسية من جهة، ولا تكون لمساً مزيفاً، من جهة اخرى؟

يمكن تعليم هذه الطريقة لمجموعات طالبية، تماماً كما افعل انا، او للاصدقاء والاقرباء. لكن الاسرة المتحابة تؤمن الجو الافضل لتعليم هذه الطريقة. كما ينبغي ان نمارسها على اساس اقتناعنا بحاجتنا الطبيعية الى ان نَلمس ونُلمس ووعينا هذه الغريزة. وأبسط العلاجات تكون انفعها احياناً.

المعانقة – هناك عدد كبير من اساليب العناق التي لا تعد معانقة حقيقية. ومن الامثلة على ذلك العناق

الذي يشبه الرقم "٨" اذ يتلامس رأسا المتعانقين فقط، وتكون النتيجة انحناءة حادة يشبه معها المتعانقان خيمة الهنود الحمر، وهناك عناق مزيف آخر اسميه "عناق التربيت"، هنا يكاد صدرا المتعانقين لا يتلامسان، ويربت كل منهما ظهر الآخر كأنه طفل صغير، وذلك لاخفاء ارتباكه، انها طريقة نتوسلها لنقزم معانقنا فنشعر كأنه طفل يؤمن جانبه،

ان العناق الحقيقي هو الذي يشمل الجسم كله، ويمضي وقت طويل قبل ان ينظر المتعانقون بعضهم الى بعض، جرب عناقاً كهذا مع زوجتك واولادك، واذا الم افراد الاسرة بطريقة عناق صحيحة، فانهم لا يرضون منها بديلا،

تدليك الظهر – يحك الظهر او يدلك بالاصابع، او يفرك بعقب القدم او بحذاء من غير كعب او حتى بعقد الاصابع، والغاية من ذلك تخفيف الاجهاد والتعب واشباع جوعنا الجلدي، ويتعلم طلابي هذا النوع من اللمس بسرعة، ويمكنك انت ايضاً ان تتعلمه مع افراد اسرتك،

تدليك العنق – والهدف منه هو القضاء على الاجهاد، عليك انت ان تخمن الحركات التي تستخدم في سبيل ذلك، وقد تكون في بادىء الامر مدلكاً غير بارع، فمعظمنا يجهل هذا الفن، لكننا نتعلم هذه الاساليب بسرعة،

تدليك الذراع – وهي عملية تتألف من ضغط خفيف للذراع من المعصم حتى الكتف، وتدلك الذراع بعنف احياناً، وقد تغدو عملية اللمس هذه دغدغة لطيفة، لاحظ كم تشعر بجوع في الذراع التي لا تدلك، والفرق بين الشعورين عظيم الى حد يؤكد لك ان الناس الذين لا يلمسون يحسون معظم الوقت كأنهم موتى او مهملون،

ولكن كم مرة يجب ان نمارس هذه التمارين؟

لاشباع الجوع الجلدي لدى الصغار، تنبغي ممارسة لمسات خاصة يومياً: على كل من الوالدين معانقة الطفل مرة واحدة في اليوم على الاقل، وتدليك ظهره او عنقه كل مساء وقت النوم، واقترح ان يمارس الاولاد الاكبر سناً تمريناً واحداً على الاقل لمدة ٢٠ او ٣٠ دقيقة في الاسبوع، على ان يفسح مجال المشاركة في هذه التمارين امام كل افراد الاسرة،

ولكن لا تلتزم صيغة جامدة ثابتة، فالملامسة تكون مهمة احياناً بعد رحلة طويلة، مثلا، حيث تزيل ايد لطيفة التعب والاجهاد عنا، ويسعف الاهتمام الذي تقدمه الاسرة بواسطة اللمس الفرد المتألم جسدياً او نفسياً،

ويبني اللمس في الاطفال قدرة افضل على التخاطب في مجالات العلاقات الانسانية كلها، كما يجعل الناس مطمئنين يعرفون حاجاتهم، وكرماء يعطون الآخرين ما يحتاجون اليه، واللمس يربي اولاداً اكثر تفوقاً، ويحضر آباء اكثر محبة وأوفر حظاً بالنجاح، ويصنع ازواجاً وزوجات اكثر تفاهما،

في اختصار: ان اللمس يغير الناس الى الافضل،

■ سيدني سيمون

الشرق الاوسط
مرأب السيّارات المسروقة

السيارات التي تسرق سنوياً من شوارع اوروبا وتباع في اسواق العالم، خصوصاً في الشرق الاوسط، تعد بالآلاف

إنّ الرحلة من جنوب المانيا الى سهل لومباردي الأخضر، مروراً بجبال الالب، ممتعة حقاً لما يتخللها من مشاهد طبيعية خلاّبة. لذلك كان طبيعياً، عندما عُقد مؤتمر لطب الاسنان في مدينة ميلانو الايطالية، أن يذهب أعضاء الوفد الالماني في سياراتهم الخاصة، ومعظمها من صنع شركة "مرسيدس" المرموقة. وكان عددهم ٣٤، إلاّ أنّ ١٨ منهم اضطروا الى العودة في القطار او الطائرة لأن سياراتهم سُرقت.

وقد غدت سرقة السيارات الفخمة – مثل المرسيدس والـ ب.ام.ف. والبورش والرولز رويس والفيراري والراينج روفر وبعض انوع البيجو والفيات – تجارة واسعة متعدّدة الجنسيات منذ العام ١٩٧٥، يتولى القائمون عليها اشباع نهم محبي السيارات المبهرجة في أجزاء كثيرة من العالم. وهذا يؤدي سنوياً الى اختفاء سيارات فخمة كثيرة من الشوارع الاوروبية، يراوح عددها بين عشرة آلاف و٢٠ الفاً، يتم شحنها براً وبحراً، وأحياناً جواً، الى الشرق الاوسط وافريقيا والولايات المتحدة وكندا، حيث تباع بضعفي ثمنها في اوروبا. ويقدّر الخبراء في دائرة السيارات المسروقة التابعة للشرطة الفرنسية ان واحدة من كل ثلاث سيارات تباع في البلدان العربية المنتجة للنفط اليوم تسرق من اوروبا. ويضيفون انه من غير السهل وقف هذه الاعمال. فالذين يقفون وراءها يتمتعون ببراعة يدوية وحماية كبيرة. ويقول احد خبراء سرقة السيارات في مركز الانتربول الرئيسي انهم "زمر متعددة الجنسيات احترفت السرقة ونظمت نفسها بمهارة فائقة بحيث لم يقع احد من عقولها المدبرة في قبضة القانون او تُعرف هويته".

وفي ما يأتي رواية محتملة للطريقة التي تتمّ بها السرقة: يذهب أحد المتمولين لشراء سيارة مرسيدس

«500 SLC» "من طراز ١٩٨٠، مزودة بهاتف ومقاعد جلد حمراء. ويخبره الوكيل المحلي انه يحتاج الى تسعة اشهر لتسليم السيارة.

وخلال أيام يعرض "رجل أعمال"، استدعاه مخبر يعمل لحسابه، على المتموّل أن يؤمن له السيارة التي يريد خلال شهر. ويتهافت هذا على قبول ذلك العرض المغري.

عندئذ يتصل "رجُل الاعمال"، المعروف في هذه المهنة باسم "الوسيط"، بعميل اوروبي محدداً له نوع المرسيدس التي يريدها. فينطلق العميل الى المرائب الخاصة بسيارات المرسيدس والفنادق الفخمة والمطاعم باحثاً عما طلب منه، حتى اذا وقع نظره على سيارة فخمة، طلب من أحد لصوص السيارات الماهرين ازاحتها من مكانها والهرب بها.

وسواء أكانت السيارة مزودة بقفل أمان وما شابهه او لم تكن، فانّ سرقتها، بالنسبة الى لصّ متمرس، هي من قبيل لهو الاطفال. وربما ساعده شريك - ميكانيكي او حاجب فندق - في الحصول على نسخة من مفاتيح السيارة. وربما كانت لدى اللص أساليب شخصية أكثر حنكة. وقد ارتني الشرطة الهولندية في امستردام علبة تحوي عدة خبير في امكانه اشعال السيارة والانطلاق بها - مهما يكن نوعها - في ٤٥ ثانية. ومن محتويات العلبةمرآة ذات مقبض طويل يستعملها أطباء الأسنان، وتمكن اللص من العمل تحت لوحة أجهزة القياس وهو جالس. ومنها أيضاً مثقاب يفتح أي قفل في ثوان. ولإدارة السيارة، على اللصّ وصل أسلاك الاشعال بمفك براغيّ او مبرد او حتى باليد.

حيل متطورة - هناك عصابة باريسية مختصة بسرقة سيارات من نوع بورش، ابتكرت طريقة اخرى للظفر بغنائمها. وكانت شركة بورش قد أضافت الى السيارة حيلة الكترونية لمنع السرقة، من شأنها قطع التيار الكهربائي ومنع وصول الوقود الى المحرك واطلاق صفارة إنذار في حال العبث بالسيارة. فحلت العصابة تلك المشكلة عن طريق جرّ السيارة بشاحنة مخصصة لهذا الغرض. وتوّصل اللصوص أخيراً الى تزويد شاحنات الأثاث بآلات رفع لإدخال السيارات المسروقة بسرعة الى الشاحنة.

وكيفما حصل رفع السيارة المسروقة، فهي تؤخذ فوراً الى مرأب وتزود بهوية جديدة. ويتمّ ابدال رقمي الهيكل والمحرك برقمين جديدين يُضّهر كلّ منهما على لوحة معدنية تركب فوق اللوحة القديمة. كما تعطى السيارة رقماً جديداً وتزود بوثائق تحمل اوصافها الجديدة. وتأتي هذه الوثائق من مصادر عدة، احدها شراء سيارة برسم الكسر واستعمال اوراقها ولوحاتها لإضفاء هوية جديدة على سيارة مسروقة من النوع نفسه. وفي حال عدم توافر هذه الاوراق "القانونية"، يلجأ افراد العصابة الى التزوير. وهم ابتكروا بضع وسائل، منها الحصول على اوراق رسمية غير مملوءة وأختام مطاطية تمت سرقتها من المكاتب المختصة في مختلف البلدان الاوروبية. وقد عثرت الشرطة

الفرنسية عام ١٩٧٩ على أكثر من الفي "بطاقة رمادية" لتسجيل السيارات في مخابىء كثيرة في باريس.

واذا توافرت هذه اللوازم جميعاً، فان اعطاء السيارة هوية جديدة - او "عذرية" كما يدعوها وسطاء السيارات احياناً - لا يستغرق أكثر من ساعتين. ثم يُعْهد بالسيارة الى سائق يأخذها الى أحد المرافىء الاوروبية: انتويرب (بلجيكا)، مرسيليا (فرنسا)، برشلونه (اسبانيا)، البيريه (اليونان)، او الى أحد المرافىء المنتشرة على امتداد الساحل الايطالي. وربما أخذت السيارة براً عبر يوغوسلافيا وبلغاريا وتركيا الى الشرق الاوسط. ويعتبر خبراء الانتربول ان الامل في استعادة السيارة يفقد متى تجاوزت حدود مضيق البوسفور في تركيا. وفي نهاية المطاف تسلم السيارة الى طالبها.

وتعبر فرق مكافحة سرقة السيارات عن قلق بالغ ازاء ازدياد جرأة اللصوص وثقتهم بأنفسهم، فضلا عن تنوع اساليبهم. فهم يطوفون الشوارع المكتظة، حتى في وضح النهار، حيث يجدون السيارات الفخمة موقفةعلى جانبي الطريق، فيعمدون الى سرقتها على مرأى من المشاة. وأكثر قحة من هذا الطريقة المعروفة في "المهنة" باسم "السرقة على الطريقة الايطالية"، حيث يتولى شريك في السرقة المرور بدراجته عن جانب سيارة متوقفة عند اشارة المرور الحمراء، متعمداً جرح طلاء السيارة بحافة الدراجة. وعندما يترجل سائق السيارة لتفقّد الحادث، يقفز اللص الى مقعده وينطلق بالسيارة.

العرض والطلب - إنّ طلب السيارات الفخمة المسروقة فاق العرض الى حدّ بعيد، مما جعل افراد العصابات يغزون مواقف السيارات في المدن على نطاق واسع، حيث يجدون عدداً كبيراً من السيارات الفخمة. وتحصل السرقة بخداع حارس الموقف او التواطؤ معه. وفي أي حال، فهو ليس على استعداد للجدل مع اشخاص صوبوا مسدساً الى رأسه. وهناك طريقة اخرى، وهي ان يذهب اللص الى صالة العرض المحلية التابعة لشركة مرسيدس او ب.ام.ف. ويطلب معاينة احدى السيارات التي لا يلبث ان يفر بها. وربما كانت اسهل الطرق الفرار بسيارة مستأجرة من مكتب مختص. فما ان يبدأ البحث عنها حتى يكون اللصّ قد انطلق بها وراء الحدود. وفي المانيا الغربية وحدها، فقدت ٤٠٠٠ سيارةمن مكاتب تأجير السيارات عام ١٩٧٩.

وأخيراً تمّ الكشف في بريطانيا عن عصابة متمرسة في السطو على هذه المكاتب، ووجد أنها تضم افراداً من بريطانيا وايرلندا والولايات المتحدة وكندا وهولندا والمانيا واسبانيا. وقد حمل هؤلاء جوازات سفر ورخص قيادة مزورة واستأجروا سياراتمن نوع مرسيدس ورانج روفر وفورد غرانادا، وقادوها عبر اوروبا الى الشرق الاوسط، "كالذاهب في نزهة عائلية عصر يوم احد، خالياً من الهموم"، على حدّ تعبير المدعي العام بريان اسكوت كوكس، الذي يضيف أن زوجين شابين من العصابة

اخذا معهما ابنتهما الصغيرة لإضفاء جو العطلة على الرحلة.

وليس ضرورياً ان يعرف السائقون انهم يقودون سيارات مسروقة، لكنهم يجهلون حتماً من يوجههم. وكما في مؤامرات من هذا النوع، توزع العملية على مراحل مستقلة. ويقول المدعي العام الالماني كارستن كوخ: "اذا قبضنا على أحد افراد هذه المهنة، فهو يكون عادة بمثابة السمكة الصغيرة. أما الكبيرة فلا تقع في الشرك".

وعلى اثر تلقي معلومات سرية، راحت الشرطة الالمانية تراقب شاحنة سيارات فارغة صُفت على جانب طريق هامبورغ - بريمن. وفي الثانية بعد منتصف الليل، ظهرت سيارتا مرسيدس كبيرتان على تلك الطريق وأدخلتا الشاحنة، وجاءت في اثرهما سيارة شفروليه وسيارة فولكسفاغن كبيرة. واوقفت الشرطة ثلاثة رجال كانوا هناك، أما الرابع فتمكن من الفرار. ولم تكن تلك بالغنيمة القليلة كما يقول المدعي العام كوخ، ولكن لم تؤد الى غنائم اخرى او كشف اسماء افراد العصابة الغائبين.

تفاؤل حذر - على رغم المشكلات الكثيرة التي تعترضهم، الا أن المحققين العالميين ابدوا تفاؤلا يشوبه الحذر بأنهم بدأوا يكسبون المعركة ضد العصابات. ومن الابتكارات المستجدة "خط احمر" للسيارات المسروقة يصل ثمانية مراكز للشرطة الاوروبية(★) بفرع انتربول المانيا الغربية في فيسبادن ويتولى، بمساعدة الادمغة الالكترونية، تزويد ضباط الجمارك على الحدود بمعلومات فورية عن السيارات المسروقة حديثاً.

ففي صيف ١٩٧٩، استبدّ القلق بمسؤولي الجمارك والشرطة في مالطا حيال عدد السيارات الالمانية الحديثة الفخمة التي عبرت العاصمة فاليتا وهي مأخوذة من ايطاليا الى بيروت ومدن ساحلية اخرى في الشرق الاوسط. واتصل المسؤولون بمكتب الانتربول الالماني الذي أرسل اثنين من خبرائه الى مالطا، ما لبثا ان وجدا أنّ ست سيارات مرسيدس واثنتين من نوع ب.ام.ف. من التي كانت تنتظر على رصيف الميناء سُرقت جميعاً في ايطاليا حيث كانت في حوزة مسافرين من المانيا الغربية وسويسرا وفرنسا وايطاليا. والشرطة المالطية اليوم على اتصال دائم بالانتربول الذي يساعدها في اكتشاف السيارات المسروقة التي تنتظر دورها للشحن على رصيف الميناء. وهذا التدبير أنهى اعتماد العصابات على ميناء فاليتا.

ومن الاسباب الاخرى التي تدعو الى التفاؤل أن المحققين الرسميين باتوا أكثر حنكة. وقد ادى حذر ضابط جمركي اخيراً في ميناء "لاسبيتزيا" شمال ايطاليا الى اكتشاف ثماني سيارات مرسيدس مسروقة وموضوعة ضمن صناديق ضخمة كُتب عليها "الواح زجاج للنوافذ". وافتضح امر عصابة اخرى بفضل انتباه مسؤول في الجمرك اليوغوسلافي لاحظ ان جميع سيارات المرسيدس التي مرت أمامه

(★) مراكز الشرطة الثمانية موجودة في: لندن، باريس، استوكهولم، روما، فيينا، لوكسمبور، بلغراد، بروكسل.

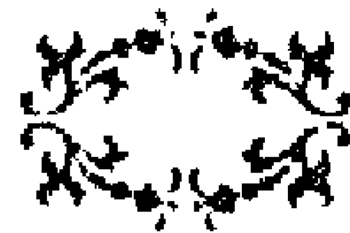
إلك اليوم تحمل لوحة فرنكفورت وتتدرج أرقامها كالآتي: ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، وهكذا. وربما تبين لأفراد العصابة أن السائق الذي كلفوه قيادة السيارة المسروقة هو في الحقيقة رجل شرطة سري. وقد باشرت الشرطة الجنائية في المانيا الغربية عمليات سرية لمعرفة مصدر السيارات المسروقة ومصيرها بغية التوصل الى اعتقالات واسعة النطاق.

يضاف الى هذا ان صانعي السيارات جعلوا عمل العصابات اكثر مشقة. فقد زودت شركة مرسيدس ابواب سياراتها بمزالج ضد السرقة وبأقفال مصفحة لعجلات القيادة ذات مفاتيح اسطوانية غير قابلة للتقليد. كما تولى مسؤول الامن في الشركة، كارل بيتشوكي احداث ذاكرة الكترونية مهمتها جمع معلومات كاملة حول كل سيارة انتجتها الشركة، تتناول اللون ورقم المحرك والهيكل وعلبة التروس واسم البائع والشاري، فضلا عن الاحتفاظ بالرقم الاضافي الذي حفر ووضع في مكان سري داخل السيارة من أجل معرفتها في حال تغيير جميع الارقام الاخرى اذا سُرقت.

وحذت شركات اخرى منتجة للسيارات الفخمة حذو المرسيدس في اعتماد ذاكرة الكترونية. واذا استعمل مسؤولو الجمارك هذه الآلة، فان عصابات سرقة السيارات تزول سريعاً. ويقول بيتشوكي: "في معظم الحالات، يكفي ارسال تلكس الى الشركة الصانعة ليعرف سريعاً ما اذا كانت السيارة مسروقة. وهذا يجب ان يحصل كلما قام شك حول هذا الامر".

ولكن مهما أمكن فعله في البلدان الاوروبية "المصدرة" لمحاربة عصابات سرقة السيارات، فالمسؤولية الاخيرة تقع على عاتق البلدان "المستوردة". وهناك شرطي متمرس اخبرني ما يأتي: "كلما توافرت سوق في العالم العربي والامكنة الاخرى لتلقي السيارات الفخمة المسروقة، فان العصابات ستبقى ناشطة". وأضاف بابتسامة عريضة: "العبرة هي ان يشتري المرء سيارة مستعملة بثمن زهيد".

■ كريستوفر ماتيوز



الكافيار سردين الاغنياء!

بعد اتمام تبضعها في محلات الاغذية الانيقة في ساحة مادلين الباريسية، لم تجد احدى سيدات المجتمع المخملي سيارة تاكسي تنقلها الى منزلها في وقت اقفال المحلات المزدحم. ودفعها يأسها للنزول الى محطة المترو (قطار تحت الارض) للمرة الاولى في حياتها. وفي وقت لاحق وصفت تلك الخبرة لاحدى صديقاتها بقولها: "لقد وقفت هناك محشورة مثل سائر الناس... مثل... الكافيار".

م.١٠.غ.



هنريك إبسن
شاعر الأزمنة الحديثة

قلة من الادباء نالت من الذم والتكريم في حياتها ما ناله هنريك يوهان إبسن. فكان في نظر بعضهم صوتاً مدوياً يروي الحقيقة، وفي نظر آخرين مفسداً للاخلاق. ولدى وفاته في مدينة كريستيانيا (اوسلو حالياً) عاصمة النروج في ٢٣ مايو (ايار) ١٩٠٦، كان يلقب "ابا الفن المسرحي الحديث".

وبالنسبة الى العلماء والنقاد والمعجبين، يبقى إبسن لغزاً. انه رجل صغير خجول اعترف بكبريائه الجامحة و"انانيته القوية". رجل هاجم الاخلاقية التقليدية لكنه التزم القيم البورجوازية كلها. متمرد نادى بتحطيم الاصنام من دون ان يتوانى عن التطلع الى رفع نفسه الى مصافها.

هذه الذكريات الحميمة تكشف بعض جوانب شخصية ابسن المعقدة والمضطربة.

ولد إبسن في سكين (النروج) في العشرين من مارس (آذار) ١٨٢٨. وكان ابوه رجل اعمال ثرياً اعلن افلاسه عندما كان هنريك في الثامنة. وسعى الفتى الى الهرب من عار الفقر عبر احلام اليقظة وقراءة مسرحيات الهواة واخراجها.

في امسيات الآحاد كان هنريك يدعو الجيران الى عروض يظهر فيها قدرته على الكلام من البطن. فيقف وراء صندوق كبير في احدى حجرات الجلوس، ويدهش جماهيره بعروضه الصوتية. ولم يكن احد يعلم ان شقيق هنريك الاصغر كان في الصندوق.

هيدفيك ابسن، شقيقة هنريك

كان حلم طفولته ان يصير رساماً، ولكن نظراً الى عدم توافر المال لدى العائلة، ترك إبسن البيت وهو في الخامسة عشرة والتحق بصيدلي ليتعلم

مهنة على يديه في قرية غريمشتاد ساحلية. وكانت حياته شاقة هناك.
كان هنريك يعمل ليل نهار. فبعد ساعات دوامه في الحانوت كان يشعر انه مجبر على الكتابة والرسم. فلم يبق له وقت كاف للنوم.

كريستوفر ديو، صديقه في غريمشتاد

بحثاً عن متنفس لكل ما يعتمل في نفسه غادر ابسن غريمشتاد بعد ست سنوات الى العاصمة كريستيانيا. وكانت مسرحيته الاولى، التي طبعها على نفقته الخاصة، بيع منها عدد ضئيل جداً من النسخ. فتخلص من النسخ الباقية على انها اوراق تالفة. لا ان مسرحيته الثانية عرضت عام ١٨٥٠ على خشبة مسرح كريستيانيا. في العام التالي عمل ابسن مؤلفاً مسرحياً مساعداً لدى المسرح الجديد في بيرغن. وخلال وجوده هناك، وقع في هوى ريكه هولشت ذات الخمسة عشر ربيعاً، وطلب يدها للزواج. لكن والد الفتاة منعها من رؤية الكاتب المعدم غير انها بقيت تجتمع به سراً، الى ان باغتهما ابوها وهما معاً. وهرب إبسن.
وبعد سنوات، عندما صار إبسن شهيراً، زار ريكه التي كانت آنذاك زوجة واماً تنعم باستقرار مريح. فقال لها متأملا: "ترى لماذا لم تأت علاقتنا ثماراً؟" فضحكت وقالت له: "الا تذكر يا عزيزي إبسن؟ لقد اسلمت ساقيك للريح". فقال: "اجل، اجل. لم اكن يوماً رجلا يواجه الخطر بشجاعة".

غيرهارد غران، كاتب سيرة حياة إبسن

عندما بلغ إبسن الثلاثين من عمره، تزوج سوزانا تورسن، ابنة كاهن في برغن. وانجبا صبياً في العام ١٨٥٩. ومع ان إبسن كان ألف آنذاك ما يزيد على ست مسرحيات، فانه لم ينل التقدير الذي شعر بأنه يستحقه.
ارغم الفقر ابسن على الظهور في ثياب رثة. وكان الناس يتحدثون عنه على انه عبقري مغرور بائس. وكثيراً ما كان الطلاب العائدون الى غرفهم ليلا يصادفون ابسن بلحيته السوداء ثملا متمدداً في قناة على جانب الطريق.

ا. زوكر، كاتب سيرة حياة إبسن

استولت على ابسن كآبة شديدة، فلم يكتب اي مسرحية طوال خمس سنوات. وجاءت نقطة التحول في حياته العملية حين بلغ السادسة والثلاثين. فبعدما احتال في الحصول على منحة حكومية صغيرة، غادر الارض التي وجد ان جميع قنوات ذكائه مسدودة فيها. وبدا كأن النفي الذي فرضه على نفسه في ايطاليا، والذي دام ٢٧ سنة، اطلق قواه الخلاقة. فانتج سلسلة من المسرحيات، كانت اولاها "براند" و"بيرغنت"، جلبت له الشهرة.
في ذلك الحين كان لدي على مكتبي في احدى ضواحي روما عقرب في زجاجة بيرة فارغة. وكانت هذه الحشرة تمرض من حين الى آخر، فأقذف لها بقطعة من ثمرة يانعة، فتنقض عليها في غيظ شديد نافثة سمها. وعندئذ تتعافى ثانية. اليس هذا ما يحدث لنا، نحن الشعراء، احياناً؟

إبسن في رسالة الى بيتر هانسن، المؤرخ الادبي الدنماركي

كان يعتري ابسن خوف من ان امرأ ما قد يمنعه من تحقيق هدفه، فكان يرفض ان يركب حماراً او يتسلق جبلا او يتنقل في مركب.

ا. زوكر

وصار إبسن يعيش لعمله، فلا يستقبل الا قلة من الزائرين ولا يرى عائلته الا وقت تناول الطعام.

الاصدقاء متعة مكلفة، وحين يوظف المرء ماله في الوصول الى هدف ما، فان وضعه لا يسمح بان يكون لديه اصدقاء.

إبسن في رسالة الى جورج برانديز، الناقد والمؤرخ الدنماركي

بعد فطور متقشف كان ابسن يعزل نفسه في مكتبه ويعمل حتى الحادية عشرة صباحاً، ثم يتنزه مشياً مرتدياً سترة "الفراك" (سترة رسمية طويلة مشقوقة الذيل) ومعتمراً القبعة الرسمية العالية، ومظلته في يده. ولدى وصوله الى مقهاه المفضل، كان يجلس مواجهاً مرآة كبيرة تمكنه من رؤية بقية الغرفة والوافدين الجدد. وبعد ان يمشط شعره امام مرآة صغيرة يحملها دائماً في اعلى قبعته، كان يرشف شراباً منعشاً ويقرأ الصحف بدءاً باسم الصحيفة وانتهاء باسماء مالكي المطبعة.

جون بولسن، صديق ابسن وكاتب سيرة حياته

أعلم ان لدي عيباً هو اني لا استطيع اقامة علاقة حميمة مع اشخاص يطلبون من المرء ان يعطي نفسه من غير قيد او تحفظ.

إبسن في رسالة الى بيورنشتييرنه بيورنسون، زميله في التأليف ومنافسه الادبي

وكي لا يسبب العالم له مزيداً من الالم، بنى ابسن قوقعة من الهجاء الساخر فوق كل ما هو لطيف وحساس في نفسه. ومات قلبه تدريجاً ومعه ماتت احلامه في السعادة الشخصية، وانغلق الباب المؤدي الى عالم الحب والصداقة.

جون بولسن

وفيما كبر ابسن في السن، استحوذت عليه فكرة نيل الاوسمة، حتى انه استجدى عام ١٨٧٠ ميدالية اجنبية من دون حياء، هي الميدالية التي تؤرخ تدشين قناة السويس في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٧٩. وكان ابسن حضر حفلة الافتتاح بدعوة من الخديوي.

هذا الوسام سيعزز مكانتي الادبية في النروج. وسيكون تعويضاً من الاهمال الذي تحملته في وطني.

إبسن في رسالة الى ممثل البلاط المصري

في اواسط سبعينات القرن التاسع عشر، بدأ إبسن سلسلة المسرحيات التي طرحت فكرته الرئيسية العظيمة: الفرد في نزاعه مع المجتمع. مسرحيته "بيت دمية"، ١٨٧٩، حققت له شهرة دولية وأثارت مناقشات حامية حول "الابسنية" التي غدت تعني اي نقد مسرحي للقيم التقليدية.

ان التأثير الذي احدثه ابسن في انكلترا يكاد يساوي عمل ثلاث ثورات وست حملات صليبية وغزوين اجنبيين وزلزال. والفتح النورمندي عام ١٠٦٦ لم يكن شيئاً بالمقارنة مع الفتح النروجي.

جورج برنارد شو

طوال حياته العملية، كان ابسن ير انتباهاً شديداً للتفاصيل في خصيات مسرحياته وتطوير حبكاتها أليف حواراتها البارعة.
عندما أباشر كتابة المسودة ولى، اشعر كأني اعرف شخصياتي مرفة عابرة بعد رحلة في القطار. عند المسودة الثانية ارى بوضوح كثر واعرف الاشخاص كما يعرفهم لمرء بعد تمضية شهر معاً في منتجع ترف. وعند المسودة الاخيرة اعرف شخصياتي معرفة شخصية وثيقة، نهم اصدقاء حميمون لن يخيبوا املي.

ابسن في ملاحظاته عن احدى مسرحياته

قال احدهم يوماً ان نورا، في مسرحية "بيت دمية"، كان لها اسم غريب. فاجابه ابسن على الفور: "آه، كان اسمها الكامل ليونورا. الا انه اختصر الى نورا عندما كانت فتاة صغيرة جداً. فأنت تعلم، طبعاً، ان والديها دللاها تدليلا مفرطاً". بقي ان تعلم ان المسرحية نفسها لم تكشف النقاب عن اي من هذه الامور.

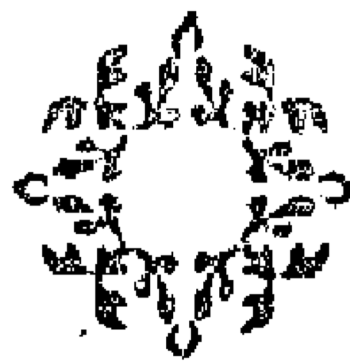
ادموند غوسه، كاتب سيرة حياة ابسن

في العام ١٨٩١، عندما كان ابسن في الثالثة والستين، عاد الى النروج وقد غدا بطلا قومياً. واصبح ارتشاف قدح البيرة في مقهى "غراند كافيه" في كريستيانيا طقساً من طقوسه اليومية.
في الحادية تماماً ترى امامك تلك الطلعة الصارمة الخشنة التي تحيطها لحية بيضاء عظيمة تبدو كأنها مشحونة بالكهرباء. فيهب جميع من في المقهى هبة رجل واحد، واقفين على اقدامهم في وضع تحية. وقال لي احدهم: "ذلك هو شاعرنا العظيم، هنريك ابسن".

رتشارد لو غاليين، ناقد انكليزي

ألف ابسن مسرحياته الاربع الاخيرة بعد عودته الى النروج: "الباني البارع" و"ايولف الصغير" و"جون غابرييل بوركمان" و"عندما نستيقظ نحن الموتى". وفي ١٩٠٠ اصيب بسكتة دماغية شلته. وخلال السنوات الست الاخيرة من حياته، لم يكن يعي العالم حوله الا في فترات متقطعة.
ترى هل كان لاي رجل آخر مثل هذه السلطة الشديدة على عالم الفكر في الازمنة الحديثة.

■ جيمس جويس



كيف تنام

كتب المؤلف بول غاليكو: "بين وقت وآخر تمرّ عليّ ليلة لا أنام فيها. لكن ذلك لا يهمني ولا يسلبني الراحة. فأنا اقرر ان ابقى مستيقظاً لاحاول استجماع الافكار لاحدى قصصي. إلاّ أن عقلي يقف خائفاً وساخطاً أمام فكرة حمله على العمل فوق طاقته، وسرعان ما يحسّ بخدر... فيغفو، وأغفو".

جيمس بندر، "كيف تنام"

رفقاً بالحيوانات أيها العلماء

يزعم مؤيدو هذه التجارب ان الحد منها يضر بالتقدم العلمي.
ولكن هناك عدد متزايد من العلماء يؤيد البحث عن بدائل من هذه التجارب

لم يغادر الاستاذ مدرسة الطب الا في موعد متقدم فوجد زوجته واطفاله نائمين عندما وصل الى بيته وانتابه فجأة شعور بالوحدة وهو يضع المفتاح في قفل الباب. ولكنه لم يكد يدخل حتى وجد سالومي ترحب به، فقد أخذت الكلبة الصغيرة تتقافز في ابتهاج شديد وهي تهز ذيلها وتلعق يد الاستاذ الذي كان يرفع معنوياته دائماً هذا البشر الدافق الذي تستقبله به سالومي.

وفي باكورة الصباح التالي عاد الاستاذ الى مدرسة الطب ودخل المختبر فلاحظ ان كلباً كان احد طلبته اجرى له جراحة بعد ظهر الامس لا تزال تبرز من حلقه الانبوبة الواصلة الى معدته، وانه لم يتلق دواء مضاد للالم. ورأى كلباً آخر نزف خلال الضمادات واستلقى ساكناً في بركة من الدم.

واستاء الاستاذ من هذا الاهمال وقرر ان يتحدث الى هؤلاء الطلبة في هذا الشأن. ولم يكن يصدر عن الكلبين اي صوت، لان هذه الحيوانات تخضع لدى وصولها الى المختبر لجراحة في اوتارها الصوتية فلا تعود تزعج بنباحها وزمجرتها الجيران في المباني المحيطة بالمختبر.

وعرض الاستاذ الحيوانات التي سيستخدمها طلبته في قسم الجراحة ذلك اليوم فرأى بينها كلبة وصلت لتوها وقد انتابها الخوف فأخذت تهز

يلها في تودد ذليل. وأحس الاستاذ انقباض لان الكلبة الصغيرة كانت شبه كلبته سالومي الى درجة دهشة، ومع ذلك فقد سجل ملاحظة ذكره بوجوب اعداد الكلبة الصغيرة لجراحة التجريبية.

ولا يعرف احد بالضبط عدد لحيوانات التي يفتك بها الباحثون كل عام، ولكن التقديرات الخاصة في لولايات المتحدة الامريكية وحدها تفيد ان هذا العدد يراوح بين ٦٤ مليونا و٩٠ مليون حيوان. وهذه الحيوانات تشمل الكلاب والقطط والقرود والخيل والافراس الصغيرة والعجول والاغنام والماعز والخنازير والطيور والفئران الكبيرة، والصغيرة. وهذه الحيوانات تستخدم كلها في تجارب تنطوي في اكثر الاحيان، على العناء والالم الشديد.

الوسيلة الوحيدة؟ – وتصر دوائر البحوث عموماً على ان الحيوانات الحية هي الوسيلة الوحيدة الموثوقة لاختبار العقاقير والمواد الكيمياوية ومستحضرات التجميل التي سيستعملها البشر.

ويعتقد الباحثون ايضاً أن التجارب التي تجرى على الحيوانات ضرورية في سياق البحث عن وسائل لعلاج الامراض ونواحي القصور التي تصيب البشر. ولا شك في أن كثيراً من الاكتشافات الطبية المهمة، من مصل الوقاية من شلل الاطفال الى طريقة الاستجابة للتوتر، قد تحققت بالفعل من خلال مثل هذه الحيوانات. ولذا فان الجامعات والمؤسسات الطبية والعلمية وشركات الادوية، ومنتجي مستحضرات التجميل والدوائر العسكرية تعتبر ان لها حقاً بديهياً في استخدام الحيوانات على اي وجه تراه.

لكن اعداداً متزايدة من العلماء بدأت تتساءل عما اذا كانت جميع التجارب التي تستخدم فيها ادوات اختبار مؤلمة – مثل انابيب فحص المعدة ومعدات الحرق واجهزة الاشعاع وادوات الصدم الكهربائي – تستحق العذاب الذي تجره على الحيوانات. أما الدكتورة باربارا اورلانز الاختصاصية بالفيزيولوجيا في معاهد الصحة الوطنية الامريكية، ورئيسة مركز العلماء لرعاية الحيوان الذي انشىء حديثاً، فانها تقول: "هناك اهتمام متزايد في الدوائر العلمية بأمر الحيوانات لم يجد له منبراً بعد. وسنحاول نحن رفع صوت العقل بين اوساط العلماء والمنظمات الرحيمة".

ويكمن مبعث هذا الاهتمام المتزايد لدى كثير من العلماء في الاكتشافات التي توصل اليها العلم نفسه. فنحن نعلم الآن ان كثيراً من الحيوانات تحس وتفكر وتمنطق الامور وتتصل ببعضها وبغيرها، بل وتسلك في بعض الاحيان مسلك الايثار تجاه بعضها. وقد ادت هذه المعلومات الى تضييق الهوة التي نرى انها تفصلنا عن سائر اعضاء المملكة الحيوانية، وهو ما يزيد من صعوبة التبرير العقلاني للتجارب القاسية.

وفي ضوء هذا التناقض في المواقف، فان الجمهور يبدي تميزاً لفصائل معينة من الحيوانات. فكثيرون يرون ان التجارب تكون جائزة عندما تسبب الالم لحيوان

مصنف في المرتبة الدنيا في مملكته مثل فئران الـ"هامستر" (★)ولكنها غير جائزة اذا اجريت على الكلاب.

التجارب النفسية ـ ومن الشائع اليوم اجراء التجارب النفسية التي يطلق عليها اسم تجارب "العجز العارف"، حيث تتعرض الحيوانات المحبوسة في اقفاص لصدمات كهربائية تستهدف دفعها الى القيام بمناورات معينة للحصول على الطعام، ثم يغير الباحثون قواعد اللعبة بحيث تضطر الحيوانات الى تعلم المزيد ثم المزيد من السبل لتجنب الصدمات الكهربائية. ومع اطراد تغيير القواعد، تيأس الحيوانات في النهاية فتستلقي على ارض القفص وتتلقى الصدمة تلو الصدمة بسلبية تامة. وقد حاول الباحثون ان يستنتجوا، بالمقارنة، مشابهات بين حال "العجز العارف" هذه وحالات الاكتئاب لدى البشر.

وهناك تجربة أخرى تعتبر نموذجاً لسلسلة من التجارب التي تجرى منذ العام ١٩٦٦ في معهد بحوث بيولوجيا الاشعاع التابع للقوات المسلحة الامريكية (في بتيسدا)·وتقوم هذه التجربة على تجويع عشرةمن القرود لمدة ١٨ ساعة، ثم يجري "حثها" بالوكزات الكهربائية على الجري فوق ارضية متحركة الى الخلف. وتتكرر هذه العملية اسابيع عدة يعقبها اخضاع القرود لاشعاعات "غاما" ـ نيوترون"، ثم يعاد اختبارها على الارضية المتحركة لمدة ست ساعات، ثم لمدة ساعتين يومياً حتى تموت.

واستهدفت هذه التجربة تكوين فكرة عن مدى تحمل الانسان للاشعاع.

ومن الحجج التي تساق لتأييد الاختبارات على الحيوانات ان هذه الاختبارات تجرىبموضوعية واتساق بفضل اجواء المختبر العلمية الا ان الاختبارات نفسها التي تجرى على انواع الحيوانات عينها كثيراً ما تسفر عن نتائج تختلف من مختبر الى آخر. ويسلم كثير من الباحثين بأن حالات التوتر الناشئة لدى الحيوانات بسبب الاقفاص المزدحمة او المعاملة الفظة او الالم او الخوف يمكن ان تؤثر على التمثيل الغذائي لدى الحيوانات وتؤدي بالتالي الى ارباك نتائج الاختبارات.

ومن المبررات الاخرى التي تساق، تأييداً للتجارب على الحيوانات، انها تتيح التنبوء بردود الفعل البشرية. لكن انواعاً مختلفة من الكائنات يمكن ان تستجيب بطرق مختلفة للمواد والمواقف الواحدة وعلى سبيل المثال، فان عقار الثاليدوميد لم يؤد الى احداث اي تشوهات في اجنة الكلاب والقطط والقوارض.

الآمال الزائفة ـ وطبقاً لما يقرره الطبيب البيطري تيرمان جرافتون المدير التنفيذي للجمعية الوطنية الامريكية للبحوث الطبية في واشنطن، فان الناس الذين يتحدثون عن بدائل منالحيوانات يخلقون آمالا زائفة "لأنهذه التكنولوجيات الجديدة لا يعدو كونها ملحقات لاستخدام حيوانات التجارب. وهي قد تقدم مؤشرات الى الاتجاه الذي يمكن ان يسير فيه نوع معين منالبحث، ولكنك لا بد ان تحتاج في النهاية الى حيوان

(★) حيوان من القوارض شبيه بالفار يعرف بـ"فارة حلب".

ذي وظائف بيوكيميائية متبادلة التغير حتى يمكنك تجربة اي عقار على نحو سليم" .

ومع ذلك فقد استعيض عن الحيوانات بطرق اختبار أخرى في بعض الحالات، مثل انتاج أمصال واقية معينة. وتشجيعاً للبحث عن المزيد من البدائل، فان هناك جماعات - مثل الصندوق الامريكي للبدائل من استخدام الحيوانات في البحوث وصندوق اللورد داورينغ في انكلترا - تقدم منحاً وهبات الى العلماء المشتغلين في البحوث الهادفة الى ايجاد بدائل من الحيوانات في اجراء التجارب.

وعام ١٩٧٨ قدم الصندوق الامريكي منحته الاولى ونالها البروفسور ايرل ويليام فليك استاذ البيولوجيا في كلية ويتمان في مدينة والاوالا في ولاية واشنطن. وسوف تساعد هذه المنحة على تمويل بحوثه الهادفة الى تطوير اختبار تستخدم فيه كائنات عضوية وحيدة الخلية تسمى "تتيراهايمينا" - بدلا من الحيوانات - في فحص المواد لاكتشاف احتوائها على "التيراتوجينات"، وهي عوامل يمكن ان تؤدي الى عيوب خلقية. ومن المتوقع ان يكون هذا الاختبار أقل واسرع وادق نتيجة واكثر رحمة من قتل الآلاف من حيوانات التجارب الحوامل. أما الدكتور جون بتريتشياني الحاصل على منحة من صندوق داورينغ فهو طبيب بحوث يعمل حالياً في ادارة الاغذية والعقاقير الامريكية، وقد توصل الى طريقة لتقدير طريقة نمو الاورام بحقن خلايا الاورام في الجلد المأخوذ من أجنة فراخ الدجاج التي لا يزيد عمرها على تسعة أيام، بدلا من حقنها في الحيوانات.

وكثيراً ما يتم اكتشاف طرق اختبار بديلة على ايدي علماء يبحثون عن وسائل اكثر بساطة واقل كلفة لبلوغ اهدافهم. وقد تمكن باحث السرطان الكندي هانز ستيتسن مثلا من تصميم اختبار لقابلية احداث الاصابة بالسرطان يستخدم فيه الخلايا البشرية. ولا يستغرق هذا الاختبار سوى اسبوع واحد ولا يكلف اكثر من الف دولار، في حين ان الطريقة العادية التي تستخدم فيها القوارض يستغرق تطبيقها ثلاث سنوات وتكلف ما يقرب من ٢٠٠٠٠٠ دولار.

الامل البعيد - واذا كانت هذه الطرق لا تغني، حتى الآن، عن استخدام بعض الحيوانات في اجراء الاختبارات النهائية التي تحدد سلامة اي مركب كيميائي، الا انها يمكن ان تنقذ حياة حيوانات اخرى لا حصر لها كانت ستذهب ضحية الاختبارات الاولية.

ويقول العالم البريطاني د.هـ. سميث في كتابه "بدائل التجارب على الحيوانات" ان هناك املا بخفض هذه الاعداد المتزايدة باطراد من حيوانات التجارب، ولكنه استبعد امكان الاستغناء القريب عن هذه الحيوانات، ثم سأل: "هل يعني هذا أننا نستطيع ان نفرض على الحيوانات أي معاناة، مهما بلغت قسوتها في سبيل ارضاء الفضول العلمي، على امل ان يثبت نفع ما نفعله ذات يوم؟ ان هذا في نظري امر غير مقبول اطلاقاً".

أما الاختصاصي في علم النفس البريطاني ريتشارد رايدر فهو يوجه اللوم الشديد الى الباحثين لانهم يريدون التمتع بميزتين متناقضتين في آن. فهم يدافعون عن عملهم من الناحية العلمية استناداً الى اوجه التشابه بين البشر والحيوانات، ثم يدافعون عنه خلقياً استناداً الى الاختلافات بين البشر والحيوانات.

وهنا تكمن العقدة الكبرى: ذلك ان هذه الاختلافات لم تعد محددة بوضوح مطمئن كما كانت الحال من قبل. فنحن نعلم الآن ان بعض الحيوانات يتمتع بذكاء يفوق ذكاء بعض البشر، مثل الاطفال الرضع والافراد الذين يعانون التخلف العقلي الشديد. ويسأل رايدر: "لنفرض ان مخلوقات تفوقنا ذكاء جاءت من مكان آخر في الكون واكتشفتنا، فهل تكون تلك المخلوقات آنئذ على حق في اجراء التجارب علينا نحن؟".

■ باتريشيا كيرتيس

فلك نوح!

في لقاء عقدته جمعية للبحوث العلمية فيمدينة فونتانا (ولاية ويسكونسن الامريكية)، تولى رئيس الجمعية تقديم احد رؤساء اللجان، واسمه شلبي شلبي، بأنه ينتمي الى شركة جونسون أند جونسون، إلا أن مركزه ليس مدينة والا والا. وعلق السيد شلبي على ذلك التقديم بأنه يحمل شهادتي دكتوراه، مما يعني انه الدكتور شلبي شلبي من شركة جونسون أند جونسون.

ب.ل.

لون العيون

أعلن دان لاندرز، استاذ التربية البدنية في جامعة بنسلفانيا، انه وزملاءه اجروا دراسة توصلوا فيها الى ان ذوي العيون البنية او العسلية اسرع استجابةمن ذوي العيون الزرق. وتزيد استجابة الناس كلمازاد قتام عيونهم، مما يعني ان اللون البني الادكن يفوق البني الفاتح في هذا المجال.

ويذهب لاندرز الى أن احد الاسباب عائد الىمادة الميلانين التي تعطي العينين لونهما. ويقول انه يمكن ان تكون للميلانين علاقة وراثية بمادة في الجهاز العصبيوظيفتها تسريع حركة الاعصاب. ويضيف لاندرز: "كانت تلك نظرية سريعة لم اعرها اهتماماً بالغاً في البداية. إلا أن الفحوص التي اجريناها في مختبر العلوم السلوكية اظهرت أن ذوي العيون القاتمة ادعى الى الحركة واسرع، بغض النظرعن الجنس والعرق والوضع الاجتماعي والاقتصادي وبقية العوامل التي درسناها".

مجلة "الحياة الجامعية"

٥ شروط للزواج الناجح

في الخطبة يتولى اثنان عرض شخصيتين ابدعاهما لتلبية حاجات الساعة، والزواج يبدأ فعلا حين يخلع كلّ منهما قناعه

قال الكاتب الساخر ساموبل رودجرز من القرن التاسع عشر: "لا يهم من تتزوج بما أنك ستجد حتماً صباح اليوم التالي انه كان شخصاً آخر".

صحيح أنّ الساخرين يبالغون دائماً، لكنه صحيح ايضاً أن مراحل الزواج الاولى التي يبدأ فيها الشريكان معرفة احدهما الآخر هي مزيج من الحلاوة والمرارة. ويجمع الخبراء على أن هناك خمسة امور محددة ـ وقد سميناها "تحديات" ـ من شأنها احداث الاضطراب في هذه الفترة، وأن السيطرة عليها شرط لنجاح الزواج.

التحدي الاول: معرفة الذات

إن معرفة ذواتنا هي شرط النجاح في اي علاقة. وهذه المعرفة تعني فهم الانفعالات التي تختلج في نفوسنا والرغبات والحاجات التي تحفزنا والمخاوف التي تجابهنا. ويقول هيربرت غليبرمان، أحد مؤسسي الجمعية الامريكية للمحامين المختصين بالقضايا الزوجية، ان هناك عنصراً مشتركاً بين تجارب معظم زبائنه. "فالعديد من الشبان غير واثق من نفسه. ولأن الواحد منهم لا يعرف ذاته، فهو لا يشعر بالراحة مع شريكه".

بيد أن الاطمئنان تجاه "الأنا" في الداخل ليس بالمسألة البسيطة. وبعض الناس يختارشريكاً يظن أنّ في استطاعته ان يستمد منه القوة والقدرة على مواجهة العالم. لكنّ المشكلة هي أن الآخر ربما كان يبحث عن الامر نفسه. ويصف غليبرمان هذه الحال بأنها حال "شخصين يقفان على ارجل ضعيفة". وربما وقف عدم الاطمئنان الذي يعانيه الزوجان في طريق المودة الزوجية.

وتقول مارلين موريس، التي تطبق العلاج النفسي على ازواج ينشدون المودة ويخشونها في آن، أنّ الواحد منهم يظن أنّ اقترابه من الآخر يغرّبه عن ذاته. "وربما شاء الاثنان إقامة المودّة ولكن جهلا كيف يتم ذلك. ولن يتمكن أحدهما من قبول شريكه إلاّ بعد أن يبدأ معرفة نفسه".

وليست هناك طريقة جاهزة

وبسيطة لإقامة الود، كما أنه ليست هناك طريقة جاهزة لاكتساب حس" قوي" بالذات. والأمران يستدعيان البحث عن الهوية واتخاذ القرارات. وعلى كل" امرىء أن يسأل نفسه: "ماذا اريد أن أفعل في حياتي؟ ومع من اريد أن أفعل ذلك؟" كما أن" الامرين المذكورين يستدعيان الجرأة على التغيير. والتغيير ممكن إذا انطلق المرء من الحب" الزوجي والرغبة في حياة مشتركة والتصميم على ركوب الاخطار النفسية. وهكذا يحصل النمو" في المعرفة وتتحقق المودة الفعلية.

التحدي الثاني: معرفة الشريك

كم هو الوقت اللازم لمعرفة الشخص الآخر على نحو صحيح؟

قد تلزم ذلك حياة كاملة، هذا اذا كنا مكبين. وربما كان أحدنا يشارك الآخر في سرير وبيت وحياة يومية، لكن فهم تكوين الآخر بكل تعقيداته، ثم ربط شؤونه بشؤوننا، يقتضي وقتاً طويلاً. وقد نباشر عملية الفهم بالحب" والرغبة الجنسية والاعجاب، لكن" ذلك ليس كافياً. فهناك حاجة ايضاً الى رؤية واضحة.

في حياة كل" منا مرحلة تتسم بنظرة مثالية الى المحبوب لا تنسجم، في الغالب، مع الشخص الحقيقي. ولدى اكتشاف الفوارق بين المثال والواقع، ليس من السهل قبولها. وتشير هذه الفوارق الى قصر نظر من جانبنا. كما أننا بطيئون جداً في التخلي عن الاوهام الرومنطيقية لكي ننظر واقعياً الى من نحب، فنراه في ضعفه وقوته، في ما يحب وما يبغض، في تفضيلاته واهتماماته التي قد تختلف عن تفضيلاتنا واهتماماتنا. والسر هو أن نحيا وندع الآخر يحيا. فحين تتلاقى القيم والمواقف، يمكن الزوجين الابتهاج بالمشاركة. أما حين تختلف، فيجب تقدير الفوارق.

ويقول عالم الاجتماع روبرت وينش في كتابه "العائلة العصرية" ان" ضرب المواعيد بين العشاق يشبه "التبضع من واجهات المحلات". أما الخطبة فهي "عملية مفاصلة"، يتولى فيها اثنان عرض شخصيتين ابدعاهما لتلبية حاجات الساعة. اذاً، فان كلا منهما يلبس قناعاً. ويجمع الخبراء على أن الزواج يبدأ فعلا حين تُخلع الاقنعة.

واحدى الطرق لفهم شريك حياتنا هي أن نكون صريحين معه ونعبر له عن حقيقة مشاعرنا. وكلما كشفنا له عن ذاتنا على نحو سليم، زادت ثقتنا به وسهل انفتاح الواحد على الآخر. كما أن" للاصغاء المتفهم أهمية كبرى في معرفة الآخر فعلا.

التحدي الثالث: معرفة الوالدين

كيف نوازن بين انطباعاتنا حول زواج اهلنا ومتطلبات زواجنا نحن؟

لقد وجد الخبراء أن" المتزوج حديثاً ينزع الى التفكير كالآتي: "لن أكرر الاخطاء التي ارتكبها والداي"، أو: "لقد كان زواج والدي رائعاً. وليس هناك سبب كي احيد عن مثلهما".

وقد تبين للخبراء، مرة بعد أخرى، أن" المرء لا ينفصل عما نُشىء عليه بالسرعة او بالنسبة التي يدعيها. لكنه، بالاحرى، يحمل على ظهره حقيبة الطفولة والمراهقة والبلوغ، التي لا تبارحه وهو زوج وأب. ويقول

احد الخبراء انه قابل ازواجاً كثيرين افزعهم أن يكتشفوا، في سني زواجهم الاولى، "أنهم أقرب الى والديهم مما ظنوا أو ارادوا".

ويقتضي الزواج أن يصل الشخص الى تعريفه الخاص لعبارات من نوع "زوج"، "زوجة"، "زواج" "واجبات". ويقول الباحث الامريكي المرموق والعامل في ميدان العلاج النفسي كارل رودجرز إنّ على الشخص فصل ما يتوقعه من نفسه ومن شريكه عن أفكاره حول والديه، لأنه، من دون هذا الفصل، لا يتمكن شخصان من "مواجهة احدهما الآخر في الزمن الحاضر".

والتحدي الحقيقي هو أن يكتفي المرء بتبني الجوانب الصالحة من حياة ابويه الزوجية ويكمل الصورة الزوجية بعناصر منه ومن شريكه. واذا كانت هناك جوانب من حياة الابوين الزوجية لا تنسجم مع الصورة التي وضعناها لزواجنا نحن، فمن الحكمة ابقاء تلك الجوانب خارجاً.

التحدي الرابع: فهم حياتنا الجنسية

صرحت زوجة في الثامنة والعشرين، مضت سنتان على زواجها، للمعالجة النفسية مارلين موريس بالآتي: "أعرف أن الطريق الى قلب الرجل تمر بأعضائه التناسلية".

ويعود ما تسمعه مارلين موريس من هذا الرأي اللاذع الى رغبة معظم النساء في ان يشعرن بأن هناك رجلا قريباً منهن. لكنها، معظم الاحيان، تستمع الى شكاوى من العزلة الجنسية، حيث تكون الميول والرغبات والمشاعر غير معبر عنها، وحيث يبقى احد الزوجين (أو الاثنان) صامتاً وخائباً ووحيداً.

إنّ فتنة الجنس يمكن ان تزداد خلال سني الزواج الاولى. كما يمكن ان تذوي بين ليلة وضحاها نتيجة الضغوط والواجبات في المنزل والعمل والعلاقات الاجتماعية والمشاكل المالية. وهكذا تتحول التجربة التي يجب أن تنشأ في تربة الراحة والعطف والمحبة الى عمل تتحكم به السرعة وغياب التفكير وعدم الاشباع.

وتقول مارلين موريس: "من الضروري أن يتكلم الشريكان عما يحبه كل منهما ويكرهه، وخصوصاً عما يبغيه من الجنس، وذلك ليس من أجل المتعة فحسب ولكن من أجل اضافة تعابير جديدة الى قاموس الحب. ان الجنس، بالنسبة الى الرجل، يعني الجماع معظم الاحيان. لكنه، بالنسبة الى المرأة، اوسع نطاقاً اذ يشمل، اضافة الى الجماع، أشياء اكثر رقة وعذوبة بينها الاستلطاف والحنان... وتقول المرأة غالباً: لا يمكنني أن اعبر عن عاطفتي تجاه زوجي لاني حين ابدأ ذلك فسرعان ما يريد الجماع، في حين قد لا اريد سوى لمسه وتقبيله تعبيراً عن حبي له.

ان حل هذه المشكلة هو التفاهم. وعلى كلّ زوج أن يبذل قصارى جهده لنقل مشاعره الى شريكه بمحبة ومن غير أذى. وهكذا لا يعود الجنس منفصلا عن الزواج، بل يصبح جزءاً منه لا يتجزأ، ويستأهل التقدير".

التحدي الخامس: تكييف الادوار

لقد طرأت تغيرات حاسمة في

الآونة الاخيرة على العلائق بين الجنسين والادوار المتوقعة من الرجال والنساء في المنزل والعمل. ويقول المحامي هيربرت غليبرمان: "هناك تبدل أكيد في مواقف الرجال التقليدية. فالازواج باتوا عموماً يقبلون تحمل المسؤولية في شؤون المنزل وتربية الاطفال".

ويهز خبير آخر رأسه قائلا: "أن معظم الازواج غير متأكدين من أنهم يريدون التخلي عن القيم والطرق القديمة. وفي بداية الزواج، ليست هناك افكار محددة عن ادوار كل من الزوجين. كما أنه ليست هناك نماذج جديدة لهذه الادوار. لكن الازواج، ولاسيما النساء، يريدون الرجوع الى الماضي والاعتصام بالطرق القديمة".

ويقول أحد علماء النفس: "ان الازواج اليوم يحاولون تحسّس شؤون احدهم الآخر. لكن الصراحة والانفتاح حيال هذه المسائل ليسا بالأمر السهل، خصوصاً بالنسبة الى الرجال. واذا تصورنا رجلًا أمكنه أن يقول بخفة: "لقد انزلت عن كاهلي عبء الاعالة"، فلا يمكن تعميم هذه الصراحة على جميع الرجال. وأظن أنّ الشباب وحدهم يمكنهم اللجوء الى حلول من هذا النوع".

إنّ التغيّر، أي قبول الادوار الجديدة، هو جزء من عملية النضج. لكنّ الازواج يجدون أنّ النضج عادة لا يحصل تلقائياً، وانّ عليهم السعي اليه. إلاّ أنّ هذا النوع من النضج الذي ينطوي على تحمّل المسؤولية وتعميق المشاركة، يحمل معه مقداراً أكبر من السعادة في نهاية الامر.

والاتفاق على طرق جديدة لاقتسام مسؤوليات الحياة الزوجية يأخذنا من جديد الى التحدي الاول، وهو معرفة هويتنا وفهم ذواتنا. والواقع أنّ التحديات الخمسة التي ذكرناها مترابطة في ما بينها.

أننا نتزوج على أساس من المحبة والرجاء، بعد أن نكون وجدنا احداً يشاركنا في حياتنا. واذا قبضنا على زمام هذه التحديات، نكون قد حققنا خطوة جبارة نحو مستقبل مفعم بالفرح وتحقيق الذات.

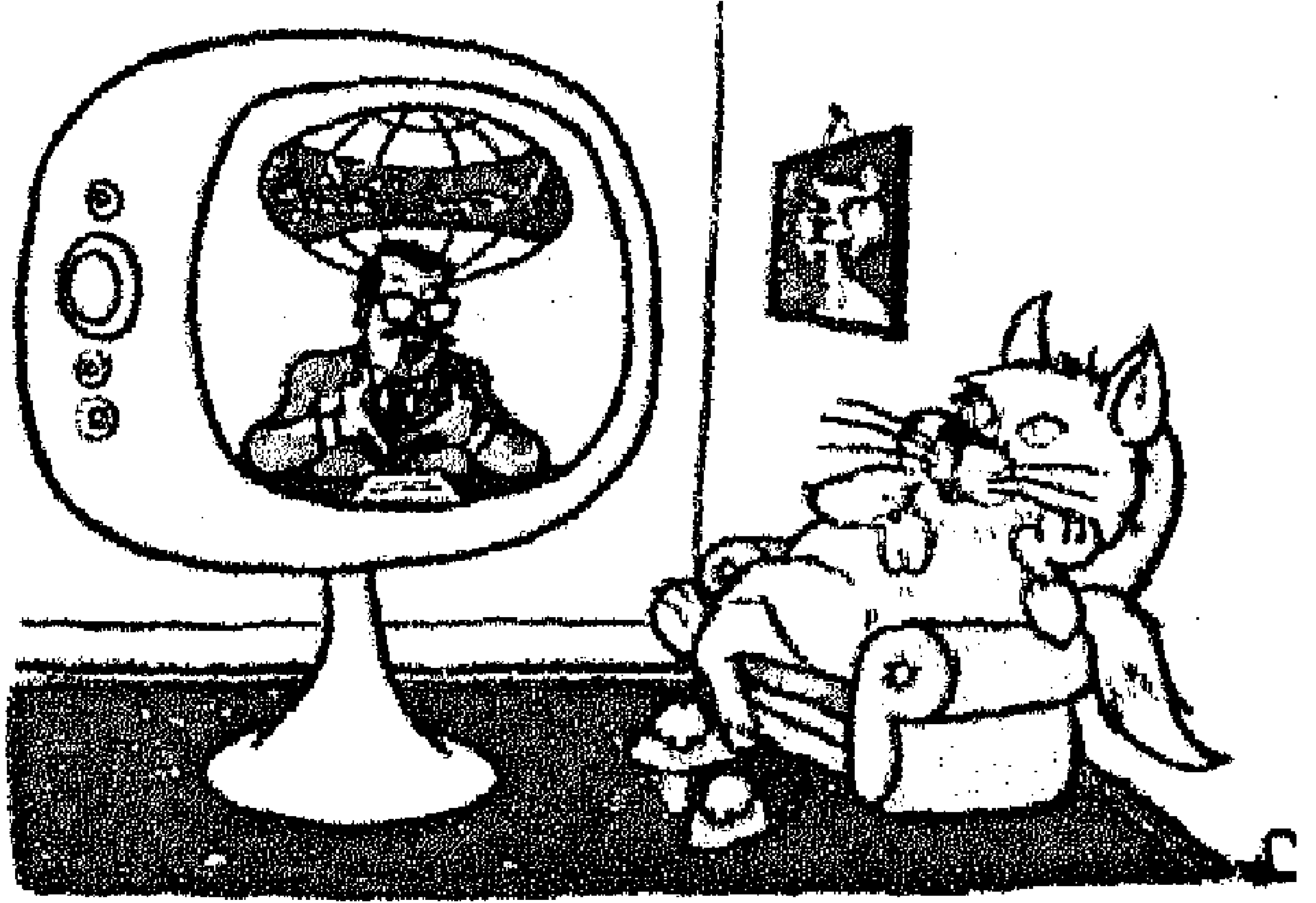
■ جوديت بارنارد ومايكل فاين

الكاتبان زوجان يضعان مؤلفات في حقل الزواج

الايام الضائعة

في مقابلة اذاعية، سئل مستيسلاف روستروبوفيتش، المدير الموسيقي للاوركسترا السمفونية الوطنية في الولايات المتحدة، اذا كان صحيحاً انه تزوج امرأته غالينا فيشنفسكايا، مغنية الاوبرا المعروفة، بعد اربعة ايام فقط من تعارفهما. فأجاب بحزن ظاهر: "نعم! لقد اضعت اربعة ايام".

ج.ش.



حكايات من العالم

جولييت القرن العشرين

على رغم ان جولييت التي تكلم عنها شكسبير في مسرحيته الشهيرة "روميو وجولييت" لا تعيش في بلدة فيرونا الايطالية ولا في اي مكان آخر، الا ان ادارة البريد في فيرونا تتلقى نحو مئة رسالة حب شهرياً، بلغات مختلفة، موجهة الى جولييت.

ويحيل البريد هذه الرسائل على البلدية حيث تطوعت باولا سيلا، وهي طالبة اقتصاد، لقراءة الرسائل والاجابة عنها في اوقات فراغها. وهكذا اصبحت هذه الفتاة سكرتيرة جولييت غير الرسمية.

د.ج.هـ.

الهنود اخترعوا القبلة

هناك مادة يدرسها الاستاذ فون بريانت، رئيس دائرة الانتربولوجيا (علم الانسان) في جامعة تكساس، اسمها "اصل القبلة" ويقول ان هذا التقليد اخترعه سكان الهند قبل اربعة آلاف سنة.

فقد وجد بريانت في كتابات الشعب الهندي "اشارة الى التحية بحك الانوف بعضها على بعض. وليس صعباً ان نتصور الخطوة اللاحقة، وهي التقاء الشفتين. والذي حدث له هذا وجد فيه اثارة اكبر من السلام بالانف".

ويضيف بريانت ان الرومان، في زمن لاحق، طوروا فن القبلة وحملوه معهم اينما ذهبوا حتى ليصح اعتبارهم مبشري هذا الفن.

"النيويورك تايمس"

حمام الهناء

الغناء في الحمام من الامور المألوفة لكن معظم الناس لا يحفظون كلام الاغنية كلها غيباً. وهذا اعطى احدى الشركات فكرة صنع علب صغيرة تحوي الواحدة منها ثماني اغنيات مطبوعة على ورق صقيل مقاوم للماء. وتقول التعليمات: الصق العلاقة على جدار الحمام، ثبت الورقة عليها. والان غنّ اغنيتك.

ر.هـ.

سَفينة الرّجَاء

طوال ١١ اسبوعاً
راح فريق طبي فرنسي
يعمل على متن
"جزيرة النور" التي حوّلت
مستشفى، مكرّساً
علمه ووقته وعطفه
لاعانة بعض بؤساء هذا العالم

GAMMA / LOCHON

"جزيرة النور".

بدت جزيرة بولاو بيدونغ الماليزية كالجنة تحت ضباب الصباح الرقيق. وكان شجر جوز الهند يرتفع على امتداد شاطئها الرملي. ووقفت سفينة بيضاء على بعد ٣٠٠ متر من الشاطىء، انحدر منها ١٢ راكباً الى زورق بخاري أنزلهم على أرض الجزيرة.

وما هي إلا دقائق حتى اختفت رمال الشاطىء تحت مدّ بشري هائل. فقد تجمع هناك عشرة آلاف شخص، وربما ١٥ ألفاً، من "لاجئي القوارب"، وهم بعض من مئات آلاف اللاجئين الذين استقلوا مراكب صغيرة وتحدّوا أهوال بحر الصين للهرب من فيتنام.

وقد هلك عدد كبير منهم في عرض البحر وانتهى آخرون الى مخيمات للاجئين كتلك التي اقيمت في جزيرة بولاو بيدونغ. وحين لامس الزورق البخاري الذي يحمل عدداً من الأطباء الآتين من فرنسا، ترافقهم ممرضة، رصيف الميناء، ارتفعت صيحات الترحيب الحماسية من الجموع المحتشدة.

كان ذلك في ١٩ ابريل (نيسان) ١٩٧٩. وقبل خمسة أشهر فقط، كان عدد قليل من الأشخاص الذين أسسوا جمعية صغيرة يؤمنون بجدوى ذلك العمل الانساني. والأفراد المؤسّسون هم الكاتبان جاك وكلودي بروييل

رئيسة الجمعية)، وفرنسواز غوتييه، مي ربة منزل عملت أمينة صندوق جمعية، والمحامي جاك ميكيل، استاذ القانون ماريو بيتاتي. وقرّ أيهم على تخصيص سفينة لمساعدة ولئك اللاجئين الآسيويين في البحر. تعاون معهم الدكتور برنار كوشنيه بعدد من زملائه في جمعية "أطباء بلا حدود"، وقوامها أطباء فرنسيون كرّسوا جهودهم، منذ العام ١٩٧١، لاعانة ضحايا الحروب والكوارث الطبيعية.

وطُلب الى الدكتور كوشنيه أن يكون ناطقاً باسم الجمعية. فعقد مؤتمراً صحافياً قال فيه: "عندما ترون الناس يغرقون، ترمون إليهم عوامة صغيرة. أما نحن فنريد أن نرمي إليهم سفينة كاملة". وللحال أخذت المساعدات تنصبّ على المؤسسة. فنظم أطفال بلدة دارني حفلة موسيقية جُمع فيها ٣٠٠٠ فرنك فرنسي. وجمع السجناء في إصلاحية بلدة "سان مارتان دو ري" ١٦٠٠ فرنك. وقدم متبرع من باريس ٥٠٠ فرنك من مدّخراته. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩، كان هناك مليون ومئتا ألف فرنك في خزينة الجمعية.

لكن وزارة الخارجية الفرنسية قابلت ببرود خطة مساعدة اللاجئين في البحر لما تنطوي عليه من تعقيدات ديبلوماسية. وهكذا فعل المدير العام لوكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة. ويقول الدكتور كوشنيه: "ذلك جعلني افكر في تحويل سفينة الى مستشفى وارسالها قرب احد مخيمات اللاجئين في جنوب شرق آسيا، وربما في جزيرة بولاو بيدونغ". ووافقت وزارة الخارجية الفرنسية على تلك الخطة المعدّلة، وتوسط مدير وكالة غوث اللاجئين رسمياً لدى حكومة ماليزيا لتسهيل المهمة. وهكذا سُمح لسفينة البعثة الفرنسية بأن ترسو شهراً واحداً على شاطىء بولاو بيدونغ، ثمّ مُدّدت الفترة الى ١١ شهراً تم فيها بناء مستشفى على الشاطىء ليجهّز بفريق أطباء فرنسي.

في ذلك الوقت كانت هناك سفينة شحن راسية في مياه "كاليدونيا الجديدة" (مستعمرة فرنسية جنوب غرب المحيط الهادىء) ويمكن استعمالها لتلك الغاية. وطُلب من برنار كوفير، وهو ربان سفينة شحن متقاعد، أن يستقل الطائرة ويذهب لمعاينة السفينة. وكان للسفينة اسم باعث على التفاؤل: "جزيرة النور" (★). وكان صاحبها، ميشال كوردييه، متزوجاً امرأة فيتنامية ويمارس دوراً في جمعية اخرى لاعانة لاجئي القوارب. ووافق فوراً على تأجير السفينة التي نالت إعجاب الربان كوفير. وتم تجهيز السفينة بغرف للعمليات والتصوير بالأشعة والتوليد والمختبر، ووُضع فيها ١٢٠ سريراً وكمية كبيرة من الأدوية والمعدات الطبية، وذلك في إشراف كوفير وبتبرعات سكان كاليدونيا الجديدة التي خفضت الكلفة الى الثلثين.

المستوصف المركزي – عندما نزلت المجموعة الطبية الاولى على شاطىء

★ Ile de Lumière

بولاو بيدونغ في ١٩ ابريل (نيسان) ١٩٧٩، واجه أفرادها ٣٦ ألف شخص محشورين في فسحة لا تتجاوز مساحتها الكيلومتر المربع، على رغم ان منظمة الصحة العالمية نصحت بأن يكون الحد الأقصى في مساحة كهذه ٣٠٠٠ شخص. لكن تلك الالوف أقامت هناك، تتهدّدها الكوليرا والطاعون والتيفوئيد والتيفوس. وكان بين اللاجئين ستون طبيباً فيتنامياً وثمانون أو تسعون ممرضة وقابلة، ولكن لم يكن لديهم عقاقير أو لقاح أو معدات طبية. وكل ما كان هناك كوخ من الحديد المموج سُمّي "مستوصفاً مركزياً" وأُرسل اليه المرضى الذين يواجهون خطر الموت. وقد شُيد ذلك الكوخ تحت الشمس الحارة، وكانت معداته أربع حشايا من القش استُعملت أسرّة، وبرّاداً قديماً يعمل بالزيت. وفي ذلك المستوصف عاين الطبيبان برنار كوشنيه وجان كلود سينيشال الدفعة الاولى من المرضى بعد ساعة من وصولهما.

أما في غرفة العمليات في عنبر السفينة فكان الحر شديداً على رغم مكيفات الهواء. وراح الجراحان باتريك لابورت واريك شيسون يعملان بلا توقف بعد وصول المريض الأول الذي كان اسمه لي وكان يعاني التهاباً حاداً في الصفاق (الغشاء المصلي الشفاف للتجويف البطني). وقد ارتدى كل من الجراحين سروالا قصيراً وثوباً فضفاضاً أخضر وخفين مطاطين. وفي أقلّ من ساعة فرغا من الجراحة بنجاح.

وحمل المريض الثاني الذي أُصيب بكسر ملأه الالتهاب وكان يحتاج الى تجبير. ويتذكر الدكتور لابورت أن "الحر كان أسوأ ما في الأمر. وكان علينا الركض الى الحمام بين جراحة واخرى لننعش أجسادنا بالماء". وكانت الممرضة جيزلين مارتان تتنقل كالمكّوك بين غرفة العمليات وغرفة "العناية الفائقة" حيث وُضع نحو ٣٠ طفلا وُصلت انوفهم بالأنابيب وأذرعهم بابر مصل الغلوكوز (مادة سكرية) لمعالجتهم من نقص الماء الشديد من أجسادهم.

وكان الظلام حالكاً والرطوبة مرتفعة جداً حين صعد الجراحان لابورت وشيسون الى السفينة وقد أعياهما التعب. وفجأة سمعا صرخة توجها على أثرها الى حافة السفينة. وارتفعت أصوات تقول: "لاجئو القوارب! لاجئو القوارب!" وحمل الزورق البخاري التابع للسفينة ١٧ شخصاً من رجال ونساء وأطفال هدّهم الارهاق.

ولم يكن بين اولئك الوافدين سوى امرأة شابة بقي لديها بعض النشاط وتمكنت من أن تروي كيف تاهوا ١٦ يوماً في بحر الصين بلا طعام أو شراب. واعترضت الشرطة الماليزية مركبهم وأجبرتهم على الرجوع الى البحر. ومات منهم خمسة أشخاص قُذفت جثثهم عن ظهر السفينة. وأخيراً لفظ الموج مركبهم عند الغروب على خليج صغير شمال بولاو بيدونغ. وهناك عثر عليهم الدكتور كوشنيه ومعاون ربان "جزيرة النور" ورنر برينيول. وكانوا في حاجة الى عناية مركّزة ومستمرة طوال ٤٨ ساعة لاعادتهم الى الحياة.

وعلى سريره في غرفة الأطباء

المشتركة، كتب الجراح لابورت في مذكراته الليلية: "لقد انقطعت انفاسنا وتلاشت أصواتنا. ولم يبقَ لواحد منا سوى غصة في حلقه".

البؤساء - في الأيام التالية قام الأطباء بزيارات خاطفة الى بيدونغ اظهرت لهم البؤس المخيم على اللاجئين. وقد حُشر عشرون شخصاً في كل من الأكواخ الحقيرة التي رُفعت على ركائز خيزران غارت في الوحل. واستُعملت أكياس النايلون كسقوف وجدران لتلك الأكواخ. أما الأسرّة فكانت أكواماً من الأشجار الصغيرة. وكانت الحرارة ٤٠ درجة مئوية، وماء الشرب الوحيد يأتي كخيط هزيل من مضخة واحدة. وكان الناس أحياناً يقفون ١٥ ساعة في طابور طويل للحصول على مقدار ضئيل من الماء. وكانت الآبار التي حُفرت قد نضبت سريعاً أو تلوّثت بما تسرّب اليها من اقذار وأوساخ بشرية. ولم تنشئ جمعية الهلال الأحمر الماليزية، وهي ممثلة وكالة غوث اللاجئين، مراحيض أو مجامع للاقذار. واكتفت بتوزيع الرز والحليب المجفف والحبوب المعلبة والدجاج مرتين في الاسبوع.

وقال لي الدكتور كوشنيه: "من أجل التصدّي الفعال لهذه الظروف الحياتية البائسة، كان علينا وضع نظام للعمل نتقيد به". فكان الأطباء يجتمعون حول طاولة الفطور في الثامنة صباحاً. ويبدأ اثنان منهم، برفقة الممرضة، عيادتهم اليومية الاولى، فيما ينطلق الجراحان الى غرفة العمليات ويباشر طبيب آخر التحاليل في المختبر. ويقول الدكتور سينيشال: "بما أن أحداً منا ليس اختصاصياً في التحليل، فقد تناوبنا العمل في المختبر".

وعند الظهر كانت تُمَدّ طاولة الغداء على ظهر السفينة ويلتهم أفراد الفريق طعامهم بسرعة. وفي الثانية يركب الطبيب المعيَّن للخدمة على الجزيرة الزورق البخاري الذي يعود به في الرابعة ومعه المرضى الذين يحتاجون الى دخول المستشفى. وفي السادسة يعود اللاجئون الذين تطوّعوا للخدمة على "جزيرة النور" الى الشاطئ في المركب البخاري.

وكان أفراد الفريق يتناولون طعام العشاء في الثامنة، على أمل ان يقضوا المساء في الاسترخاء والراحة. ولكن لم يمرّ مساء واحد من غير أن يدعى الأطباء والممرضون لمعالجة مريض طرأ على حاله خطر داهم.

ولم يمض وقت طويل حتى بات نجاح البعثة يعتمد على مساعدة اللاجئين أنفسهم. فقد توجه أطباء فيتناميون مع ١٢ ممرضة لمساعدة الفريق على ظهر السفينة، فيما عمل آخرون كمترجمين. وكان الحر يمنع خزن الدم في جوّ يبقيه صالحاً، فشكلت مجموعة متطوعين للتبرع بالدم في الحالات الطارئة. وكان عمال الكهرباء الفيتناميون يهرعون الى السفينة كلما توقف أحد مولدّي الكهرباء عن العمل.

أعيُن جاحظة - كانت أكثرية اللاجئين الى بيدونغ مؤلفة من الأحداث. فهناك ٥٠ في المئة دون الثامنة عشرة ونحو ٢٠ في المئة دون

الخامسة. وكان معظم الذين يتجاوزون سن الرضاعة يعانون سوء تغذية. ويقول الدكتور سينيشال: "حُمل الأطفال إلينا بالعشرات، وكانوا شاحبين وبلا شعر وأعينهم كبيرة وجاحظة. واذا أغراهم أحد على النظر اليه أشاحوا بوجوههم بعيداً. وقد حُمل بعضهم الينا وهو على الرمق الأخير، فلم نستطع إنقاذه بأيّ وسيلة".

ومن هؤلاء فو ـ مي ـ آن، وعمرها ١٨ شهراً، لكن وزنها لم يتجاوز وزن مولود جديد. وقد جيء بها إلينا شلواً أجهده الاسهال والتهاب اللثة والجَرَب. وتناوب الأطباء والممرضة جيزلين التي لا يعرف التعب اليها سبيلا البقاء الى جانب الطفلة أربعة أيام بلياليها، يحرصون على تثبيت المحقنة الوريدية وحسن دخول الاوكسيجين وعدم حدوث نوبة قلبية. وفي مساء اليوم الثالث تحسنت حال فو وظهر الابتسام من جديد على وجه أُمها، لكنها انتكست على نحو مفاجىء في السادسة والنصف من صباح اليوم التالي.

ويتذكر الدكتور لابورت قائلا: "كان دوري في العمل. وخضت تلك المعركة حتى النهاية. إلاّ أنّ فو ـ مي ـ آن لم تصمد أمام النوبة القلبية الثالثة. وألبستها امها ووضعت على رأسها قبعة صغيرة مزينة بالشرائط، ثم حملت الجثمان بين يديها وجلست ساعات تبكيها. وعلى رغم اني اواجه مشاهد الموت يومياً، إلاّ أني ذلك الصباح شعرت للمرة الاولى بالرفض يملأ كياني".

وعلى الطاولة نفسها وُلدت طفلة بعد ساعتين من رحيل فو، وهي المولود الأول على ظهر السفينة، وأطلقت عليها امها اسم داو ـ آن ـ سانغ الذي يعني، في اللغة الفيتنامية، "جزيرة النور".

لم تكن "جزيرة النور" مستشفى عائماً فحسب، بل كانت أيضاً سفينة تحنو على أيتام كثيرين. ومن اولئك فتى في الثانية عشرة اسمه دونغ، وقد هرب من فيتنام مع خمسة اخوة وأخوات له بعدما عجز والداهم عن تأمين المال الكافي لاعالتهم. ومنحت دائرة الهجرة الاوسترالية تأشيرات سفر للاخوة والأخوات الخمسة، لكنها لم تمنح دونغ تأشيرة لاعتلال صحته، وأصبح طاقم السفينة يعتبر دونغ جالب الحظ السعيد. وأطلق عليه الربان فرنسوا ابرلان لقب دونغ ـ دونغ تحبباً، وأبقاه الى جانبه، وعلمته الممرضة جيزلين، بمساعدة الجراح لابورت، اللغة الفرنسية. وكان طبيب التخدير فلادان رادومان يطمئنه دائماً بقوله: "لا تخف يا دونغ، فاننا لن نتركك". وبرّ رادومان بوعده. واليوم يعيش دونغ مع الدكتور رادومان وزوجته وأطفالهما الأربعة في مدينة نيس الفرنسية.

وهناك شخص آخر اسمه لو وصل الى بيدونغ ومعه سروال قصير وقميصان. وكان لو طالب طبّ لكنه في بيدونغ عمل على ظهر المستشفى العائم وأضحى، في وقت قصير، صديقاً للطبيبين لابورت وشيسون. وما ان عاد هذان الى فرنسا حتى ساعدا لو في الحصول على تأشيرة هجرة. وفي يوليو (تموز) ١٩٧٩، بدأ

يحضر صفوف الطب في جامعة
وان، المدينة التي يمارس فيها
جراحان مهنتهما٠

داعاً يا بيدونغ — في الثانية عشرة الدقيقة الخامسة والأربعين عصر لجمعة ٥ يوليو (تموز) ١٩٧٩، أطلقت "جزيرة النور" أعنة الرحيل٠ وكانت لأسابيع الأحد عشر شهدت ثلاث جموعات متعاقبة من الأطباء الذين عالجوا ١٩٢٥ شخصاً على ظهر السفينة وأجروا ١٥٥ جراحة استُعمل فيها البنج العمومي، فضلا عن ١٨ عملية توليد شاقة اجريت ثلاث منها بالطريقة القيصرية٠ كما التقطوا ٥٠٠٠ صورة بالأشعة لارسالها الى السلطات المختصة بشؤون الهجرة في الولايات المتحدة وكندا وفرنسا٠ وقاموا بحملة تلقيح واسعة٠ وكان المستشفى العائم مجهزاً بسبعين سريراً ومعدات جراحية ومخبرية ومولد كهرباء ومحروقات وعقاقير٠

وكان أعضاء الفريق لا يزالون متأثرين بحفلة الوداع التي اقيمت على شرفهم الليلة السابقة٠ فقد تحلق اللاجئون على ظهر المستشفى العائم وقدموا الى أفراد الفريق هدايا تذكارية من صنعهم، وهي مشابك شعر حُفرت من خشب جوز الهند وميداليات ودبابيس زينة قُصّت من العلب الفارغة٠ وعانقت جيزلين المرضى واحداً واحداً، وهمست "وداعاً" في آذان الأطفال الذين اعتنت بهم طوال أسابيع٠ وحيا الدكتور كوشنيه اولئك الرجال والنساء الذين "كانوا يصارعون الأقدار حفاظاً على كرامتهم"٠

ولم يخلُ الوداع من ذكريات أليمة، خصوصاً عندما شُرع باخلاء الأسرة من المرضى الذين كانت حال بعضهم لا تزال سيئة٠ غير أن تعليمات السلطات الماليزية كانت صارمة: لا يحق لأي لاجىء مغادرة الجزيرة على ظهر تلك السفينة٠

وفي الاولى من بعد ظهر ذلك اليوم، كان في وسع الذين أبحروا على متن "جزيرة النور" أن يسمعوا رنين السلاسل وضرب مطارق العمال المشغولين ببناء المستشفى٠ بينما راحت السفينة تمخر المياه الرمادية٠ وتجمهر آلاف اللاجئين على الرصيف والحاجز الممتد في البحر يطلقون صيحات الوداع٠ وقال لي الدكتور ماريو دوران، بعد أشهر من عودته الى فرنسا: "لا يزال وداع بيدونغ يوجع فؤادي"٠

وفي ٧ يوليو (تموز) ١٩٧٩، دخلت "جزيرة النور" ميناء سنغافورة وعلى متنها ٨٣٧ لاجئاً صعدوا اليها في بحر الصين٠ وسُمح لهم جميعاً بدخول فرنسا بناء على تعهُّد الرئيس فاليري جيسكار ديستان٠ وأكملت "جزيرة النور" مهمتها بنقل الأغذية التي أرسلتها وكالة غوث اللاجئين الى جزر أنامباس الاندونيسية٠ وأخيراً عادت الى مكانها الأصلي، وهو مرفأ نوميا في "كاليدونيا الجديدة"، في ٧ فبراير (شباط) ١٩٨٠، بعدما رفضت السلطات الكمبودية السماح لها بنقل المساعدات الطبية الى كمبوديا وطلبت الاقتصار على نقل الغذاء٠ واليوم تعمل "جزيرة النور" كسفينة شحن بين "كاليدونيا الجديدة" واوستراليا ونيوزيلندة٠

■ فرجيني هنري

الدراجة العفريتة



الآن، حين يوقظ البرد في عظامي وجع الجروح القديمة، اذكر التفاصيل الحية لآخر اللحظات الرهيبة القليلة التي امضيتها على دراجتي

في عهد حداثتي كان لدى معظم اترابي دراجات هوائية تتميز بجودة الصنع واناقة الشكل أما دراجتي فكانت جسماً هائلا ذا دولابين عريضين، وليد اختلاط غير شرعي بين كومة مهملة من الخردة ومتجر للسلع المستعملة، اشترتها امي بسعر بقرة حلوب من ميكانيكي محلي "عبقري" كونها بسرعة فائقة.

وكنت على استعداد، في مقابل درهمين او حتى حبة كروية قاسية من الحلوى، لضربها بعصا غليظة حتى تتلاشى انفاسها. ولكني كنت في حاجة اليها كوسيلة نقل، نظراً الى صعوبة المواصلات في تلك الايام كما في يومنا هذا.

الأسوأ – ولعل اسوأ ما في دراجتي هذه، استحالة ركوبها بطريقة تتيح

شعور بدرجة من الوقار. فمقعدها فع في شكل ثابت لا يقبل التعديل، ى مستوى شخص يبلغ طوله ١٩٠ نتيمتراً، وكنت انا في حوالي ١٦٠ نتيمتراً. ومقودها يوحي بأنه سروق من دراجة للاطفال ذات عجلات لاث... وكانت النتيجة المؤلمة ان ؤخري، اينما توجهت على دراجتي، كان أعلى من عظم كتفي بسبعة نتيمترات او ثمانية.

كان المقعد من النوع الذي يصنع عادة لدراجات السباق. ولكي تكون فكرة صحيحة عما كنت اشعر به وأنا عليه، عليك ان تمضي ساعة او ساعتين راكباً نبوتاً رفيعاً احيط بمنديل. ومع ذلك، فقد كنت، بفضل هذا المقعد، اسرع مخلوق على عجلتين.

وكانت للدراجة اطوار غريبة. فما ان تبدأ بالهبوط بها على هضبة شديدة الانحدار طويلة ومنحنية، حتى يتناول جنزيرها سروالك ويدسه بين اضراس العجلة المسننة. وانها لحيلة بارعة، لا لانها تمنعك من استعمال الفرامل (المكابح) الخلفية فحسب، بل لانها تشدك مقيداً الى آلة موت تندفع في سرعة فائقة. وكم مرة انفصل جنزيرها وانت في أمس الحاجة اليه. ومن عادة هذا الانفصال ان يحدث بينما انت تحاول ان تهرب لتنجو من احد ذئاب الغابات الامريكية الشمالية الضخمة التي يستخدمها الجيران ككلاب حراسة.

ويصدف احياناً ان يبقى الدولاب الامامي ثابتاً في مكانه اسابيع عدة من دون ان ينفك ويشرد. وكنت اعتبر هذا "الانضباط" خدعة لاغرائي بالاطمئنان. ثم فجأة، وبينما أكون منطلقاً في سرعة لأصل البيت باكراً اذا بالدولاب الامامي يفلت ويبتعد فترتطم الشوكة بالارض وتقذف بي. وقبل ان الملم انفاسي، يكون الذئب منتصباً فوقي محدقاً الي كأنه يقرأ على بطني قائمة طعام ليقرر ماذا يأكل اولا.

تحد صارخ – وعلى رغم كرهي لهذه الدراجة، فلا يسعني الا الاعتراف بأنها كانت مستعدة لأن تأخذني الى حيث اشاء. كان يمكنها ان تجتاز جدولا، وتثب فوق اخشاب متراكمة، وتشق طريقها عبر الدغل. وكانت، الى ذلك، وسيلة النقل الرئيسة في رحلات التخييم.

وحتى اليوم ارى بعضهم يستخدمون الدراجات الهوائية في مثل هذه الرحلات. فهم ينطلقون على دراجات سياحية مزودة بعشر سرعات، واضعين رزمة صغيرة على رفرف العجلة الخلفي هي عدة التخييم. أما نحن، فكنا نبدو في رحلاتنا على دراجات ذات سرعة واحدة، كأننا نحمل فيلا صغيراً على المقود وأمه على المؤخر.

كان تحميل الدراجة في رحلة تخييم تحدياً صارخاً لكل قوانين الطبيعة. فالقدر الصغيرة ذات المقبض تفوق في وزنها احدى الدراجات السياحية. الى خيمة من قماش "التربولين" المشمع او المزفت تستخدم في الشتاء لتغطية اكوام التبن، وطعام معلب وفؤوس وبلطات ومناشير ومدى ضخمة، وحراب كأنها من مخلفات الحرب العالمية الثانية، تلف كلها في خيمة "التربولين" التي تربط بمئات الامتار

من الحبال، ثم ترفع كلها على سواعد عشرة فتيان الى الرفرف الخلفي للدراجة. وما يبقى يطوى في ارجوحة من شبك ويربط الى المقود الصغير.

ذكريات! — والآن، حين يوقظ البرد في عظامي اوجاع آلاف الجروح القديمة، أذكر التفاصيل الحية لآخر اللحظات الرهيبة التي امضتها دراجتي ككيان مستقل متماسك.

كنا اشبه بعصابة صعاليك من الغجر وقد ابتدأنا منذ قليل رحلة تخييم. وكنت، كالعادة، متقدماً كثيراً على الآخرين ومقعد الدراجة الطويل النحيل يستحثني الى أمام. وكانت هناك هضبة تبعد خمسة كيلومترات عن منزلي، ويا ليتها سميت "هاوية الموت" او "تل الوداع". وكان من عادة الخشابين ان يقودوا شاحناتهم في اثناء النزول من الهضبة وقد وضعوا احدى القدمين على عتبة الترجل خارج الباب المفتوح وقبضوا بأحدى اليدين على سبحة صلاة، بمن فيهم الملحدون...

وما ان بلغت قمة الهضبة واخذت في الهبوط حتى شاهدت احد ذئاب جيراني صاعداً التل، وكان، على ما يبدو، عائداً الى البيت بعد ليلة شاقة امضاها في قتل الابائل. ومن مسافة ٥٠ متراً، استطعت ان ارى وجهه يشرق حينما لمحني مندفعاً نحوه بسرعة، كأنني الشيطان فوق دولابين. فربض مترقباً، والفرح يشع في عينيه.

واختار الجنزير تلك اللحظة بالذات لكي يلف سروالي حتى منتصف المسافة الى الركبة. وتوقعت ان يتخلى الدولاب الامامي عني في اي لحظة. ولوت الطريق المليئة بالاخاديد عظامي، وتطايرت الفؤوس والمناشير والحراب في الهواء، وهددت الحزمة الخلفية الهائلة بالانهيار علي. وفي محاولة يائسة، سددت ركلة سريعة الى الذئب، ثم نفضت ساقي بقوة فحررتها بعدما تمزق السروال، وقذفت بنفسي في الفضاء، ووثبت اربع وثبات واخيراً استخدمت انفي كمكبح وانزلقت ثم توقفت.

حتى ان الذئب اهتز من وقع الارتطام، وراح يحدق الى الحطام في رهبة صامتة انسته ساقي السليمة التي كان يقبض عليها بشدقيه.

وعندما ابليت بعد فترة، اشترت لي امي بسرعة فائقة سيارة من ميكانيكي محلي "عبقري" كان كوّنها بسرعة فائقة، ولهذه قصة اخرى مختلفة.

■ باتريك ف. ماكمانوس



عادم المستقبل

عُلقت الملاحظة الآتية على عربة يجرها حصان:
سيارة اختبارية للمستقبل، تسير على الشعير والعشب. تحذير: اياك ان تدوس العادم (الانبوب الذي يطرد ابخرة المحروقات).

ش.م.

عادة صارخة — على سخريتنا — يدلي بها الممثل الأمريكي الشهير حول هذا العصر

وودي ألـــن:

نحن تائهـون في الكون

اكثر من اي وقت مضى، يقف لانسان اليوم امام مفترق طريقين، ؤدي الاول الـى القنـوط وانـعـدام لامل، ويفضي الثاني الى الابادة لشاملة. لهذا دعونا نصلي من اجل لحكمة في الاختيار الصائب.

اني لا اتكلم كمن فقد احساسه جدوى الحياة، ولكن كمن اقتنع تماماً بانعدام اي معنى للوجود. وربما كان من اليسير اساءة تفسير هذا الموقف باعتباره تشاؤماً مع انه ليس كذلك، وانما هو اهتمام سليم بمأزق الانسـان العصـري وحيرته.

تتلخص مشكلة الانسان، بأبسط تعبير، في السؤال الآتي: "كيف يمكن العثور على معنى للوجود في عالم محدود لا تتجـاوز قياسـاتـه عـرض خصري واتساع قميصي؟"

انه سؤال عويص للغاية، خصوصاً اذا ادركنا ان العلم خيب آمالنا.

صحيح انه تغلب على امراض عدة وحطم سر الوراثة وأوصل الانسان الى القمر. ولكن على رغم ذلك، اذا انفرد رجل في الثمانين بنادلتين فاتنتين في الثامنة عشرة من عمرهما، فلن يحدث شيء على الاطلاق. صحيح ايضاً ان العلم أرآنا كيف نعقم الجبن، وفي ذلك - ولا شك - امتاع للبطون. ولكن مـاذا عن القنبلـة الهيدروجينية؟ هل رأيت قط ماذا يحدث حين تسقط احداها عرضاً عن منضدة؟

اين العلم منا حين نتأمل في ألغاز الابدية؟ أيعقل ان يرى الانسان روحه تحت المجهر؟ وكيف نشأ الكون؟ وما المقصود بقولنا ان الانسان فان ؟ من الواضح اننا لا نقصد الاطرآء. مما يؤسف له ان الدين، هو الآخر، خذل بعض الناس في مجتمعنا. وكثيراً ما افكر في سعادة الانسان البدائي لأنه آمن بوجود خالق قادر محب لخلقه

ويعني بكل شيء. لكني، مع ذلك، اتصور خيبة الرجل في ذلك الزمن حين بدأت زوجته تتسع حجماً وتزداد وزناً.

اله التكنولوجيا – إن ما فعله اولئك الذين فقدوا الايمان بوجود إله خالق هو انهم جعلوا من التكنولوجيا الهاً. ولكن هل لدى التكنولوجيا جواب شاف اذا كانت محمصتي الكهربائية لا تعمل على نحو سليم منذ اربع سنوات، وكلما وضعت في فتحتيها قطعتين من الخبز قذفت بهما بعد ثوان كصاروخين في الهواء؟ وقد تسببت ذات مرة في كسر أنف سيدة أحببتها كثيراً. هل نوكل حل مشكلاتنا الى البراغي والصمولات والتيار الكهربائي؟

مصيبتنا هي ان رجالنا السياسيين فاسدون او غير جديرين، او انهم يحملون هاتين الصفتين السلبيتين معاً، وان الحكومة لا تتجاوب مع احتياجات الرجل الصغير، في حين ان الواحد منا لا يستطيع، اذا كان أقصر من متر وسبعين سنتيمتراً، ان يقنع نائباً بالرد على مكالمته الهاتفية.

انا لا أنكر ان الديموقراطية لا تزال ابدع نظام حكومي، وانه لا يجوز في ظلها، على الاقل، سجن الانسان جوراً او ارغامه على الجلوس في مقعد ليشاهد عرضاً ما على احد مسارح برودواي!

تحديات كثيرة – الا انه لم يسبق للانسان، في اي وقت من التاريخ، ان توجس خيفة مثلما يفعل الآن كلما أعمل سكينه الكهربائي في قطعة من اللحم خشية ان ينفجر في وجهه. والعنف من طبيعته ان يولد مزيداً من العنف. ومن المتوقع ان يصبح الخطف، بحلول ١٩٩٠، نمطاً من انماط التعامل الاجتماعي.

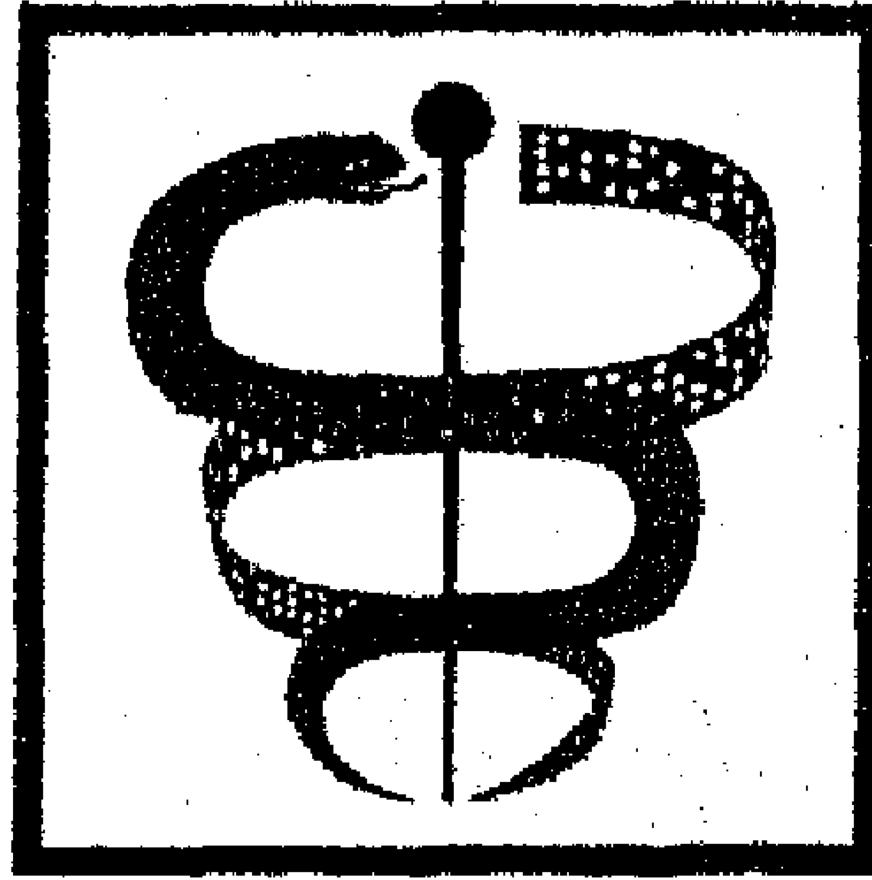
كما انه من شأن تكاثف عدد السكان ان يفاقم توتر العلاقات الى حد بترها. وتفيد ارقام الاحصائيات ان في العالم اليوم أناساً أكثر مما نحتاج اليهم حتى في نقل اضخم آلة بيانو! وما لم نطالب اليوم بوقف التناسل، فلن يتسع العالم عام ٢٠٠٠ لاقامة مأدبة عشاء إلا اذا رضينا بوضع المائدة على رؤوس الغرباء، ولكن سيتحتم عليهم عندئذ ألا يتحركوا بتاتاً زهاء ساعة حتى نفرغ من العشاء. ومن الطبيعي ان تشح الطاقة الى حد لن ينال معه صاحب السيارة قسطاً من البنزين اكثر مما يكفيه للرجوع بسيارته الى الوراء بضعة سنتيمترات.

وبدلا من ان نواجه التحديات، ترانا نتلهى عنها بالجنس والمخدرات. ونحن نعيش اليوم في مجتمع اكثر اباحية مما ينبغي. وليس لنا محور روحي، بل نحن تائهون وحدنا في خضم الكون، فيما ينزل بعضنا ببعض ألوان العنف الوحشي والقسوة بسبب يأسنا وألمنا. لكننا، لحسن الحظ، لم نفقد بعد احساسنا بالنسبة والتناسب.

ومجمل الكلام هو الآتي: من الواضح ان المستقبل ينطوي على فرص عظيمة سانحة، لكنه ينطوي ايضاً على مزالق. والمهارة هي ان نتحاشى المزالق ونتحين الفرص، وان نعود الى عقر دورنا في حدود السادسة مساء!

■ وودي الن

أصداء من عالم الطب



مسكن فعال من غير ادمان

بات وشيكاً صنع عقار مسكن للالم، له مفعول المورفين من غير ان يؤدي الى الادمان. وقد اجرى ٢٠٠ طبيب اختبارات لهذا العقار، واسمه "صوديوم زومبيراك"، على ٣٢٠٠ مريض، واعتبره بعضهم ثورة في عالم العقاقير المسكنة.

ويقول الدكتور وليم بيفر، استاذ العقاقير والمخدرات في جامعة جورجتاون في واشنطن: "قبل ابتكار هذا الدواء، لم يكن هناك اي مسكن للالم يؤخذ عن طريق الفم اكثر مفعولا من الاسبيرين. ثم اتضح ان "زومبيراك" يتفوق على جرعة الاسبيرين العادية ويجاري المسكنات التي تعطى عن طريق الحقن بالابر".

وفي اثنين من الاختبارات، تبين ان العقار الجديد اكبر فعالية من الكودين في ازالة الالم الذي يعقب الجراحة. وبينت دراستان اخريان ان هذا العقار بديل صالح من حقن المورفين بالنسبة الى الالم الذي يعقب الجراحة وآلام السرطان. كما اظهرت دراسة خامسة ان "زومبيراك" لا يولد الادمان.

نشرة اخبار الطب العالمية

الدم الاصطناعي

بعد استئصال البروستات من جراء تورم سرطاني، كان المريض البالغ عمره ٦٥ عاماً في مركز فوكوشيما الطبي في اليابان ينزف بلا انقطاع. ولم تكن في المركز كمية دم كافية من فئة النادرة لنقلها اليه.

فقرر الجراح كينجي هوندا حقنه بمادة "فلوزول ـ دأ" المكونة من الاوكسيجين والكربون، والتي حلت محل الهيموغلوبين (مادة داخل كريات الدم الحمراء) في نقل الاوكسيجين الى خلايا جسمه، ريثما تؤمن كمية الدم المطلوبة. وبعد نجاح تلك العملية في ابريل (نيسان) ١٩٧٩، لجأ الاطباء في مركز فوكوشيما ومستشفيات اليابان الاخرى الى اعتماد هذا البديل الوقتي. وطبقوا هذا العلاج على اكثر من خمسين مريضاً كانوا يعانون نزفاً قوياً، فأصبح هؤلاء المرضى اوائل من يتم انقاذ حياتهم بالدم الاصطناعي.

ويبحث العلماء المختصون عن مادة كيميائية فضلى تخدم كبديل من الدم. وهم متفائلون بالتوصل اليها، لكن المسألة وقف على الوقت والعمل الشاق.

ت.م.، مجلة "العلوم"

طائرة التضامن الأوروبي

الاوتوبيس الجوي، تحد اوروبي لامريكا
يحلق بثقة ويتهافت عليه الكثيرون



رغب رائد الفضاء فرانك بورمان، الذي يرئس اليوم شركة "ايسترن آرلاينز" الامريكية، في شراء طائرة جمبو نفاثة صنعها كونسورسيوم (اتحاد شركات) اوروبي صغير ومغمور يدعى "آربوس اندوستري"، الا ان بورمان اراد دليلا على جودة الطائرة، اذ لم يسبق لهذا الكونسورسيوم ان باع اي طائرة في الولايات المتحدة. فكيف يحصل على هذا الدليل؟

على هذا السؤال رد رئيس "الاربوس" برنار لاتيير وهو جالس في مكتب بورمان في ربيع ١٩٧٧: "هذا امر سهل. سأسلمكم اربعاً من طائراتنا "الاربوس" لمدة ستة اشهر... مجاناً". تلك كانت خطوة جريئة، اذ لم يسبق لاي شركة تصنع

Illust: Harry Scharre

ائرات ان عرضت على زبون ان ستعمل طائراتها قبل شرائها.

بعد ذلك ببضعة اشهر كان الآربوس يطير على خط الشركة لامريكية بين نيويورك وفلوريدا. خلال الاشهر القليلة التالية اثبتت لطائرة جدارتها الفائقة، اذ ان اقل ن اثنين في المئة من رحلاتها أخرت لاسباب ميكانيكية. كانت آنذاك اقل النفاثات العاملة في الطيران المدني ضج يضلا عن كونها توفر ما لا يقل ن ٣٠ في لوقود استناداً الى وعدد



المقاعد) بالمقارنة مع طائرات مماثلة من فئتها.

كل ذلك ترك انطباعاً حسناً في نفس بورمان، فقدم طلباً لشراء ٢٣ طائرة آربوس واحتفظ بحقه في شراء تسع طائرات اخرى، تساوي مجتمعة نحو ٨٠٠ مليون دولار. ويتذكر لاتيير بسعادة: "شربنا كثيراً من الشمبانيا تلك الليلة".

جاذبية لا تقاوم ــ قبل غزو الآربوس السوق الامريكية الصعبة، بيع منها ٧٢ طائرة. وبعد ذلك تدفقت طلبات الشراء من مختلف انحاء العالم. فوقع الزبائن عقوداً لشراء ٨٢ طائرة في ١٩٧٨، وارتفع هذا الرقم على نحو مذهل، فبلغ ٢١٥ طائرة عام ١٩٧٩، جاعلا "آربوس اندوستري" ثانية اكبر شركة لصنع الطائرات المدنية في العالم بعد شركة "بوينغ" الامريكية.

ويقول لاتيير (٥١ سنة) بكثير من الحماسة: "لا تجرى اليوم اي مفاوضات مهمة لشراء طائرات الا ونبقى فيها حتى الجولة الاخيرة".

وهناك اليوم نحو ٢٠ شركة طيران تستخدم طائرات آربوس: من القاهرة الى كراتشي، ومن طوكيو الى تايبيه، وخطوط كثيرة سواها.

وحملت الآربوس حتى اليوم نحو ٦٠ مليون راكب الى اكثر من ١٠٠ مدينة في ٤٥ بلداً. والعدد يزداد باطراد.

وفي المركز الرئيسي لشركة "آربوس اندوستري" قرب مدينة تولوز الفرنسية، يتندر العمال بأن "للآربوس جسداً مغرياً يشتهيه رؤساء شركات الطيران". ولا عجب، فتكاليف الوقود المرتفعة اليوم تجعل طائرة الجمبو النفاثة، المتوسطة المدى وذات الهيكل الواسع والكلفة المتدنية، جذابة جداً. والركاب ايضاً يجزلون الثناء لمقصورة الآربوس الرحبة بمقاعدها الثمانية المتجاورة ورفوفها الفسيحة فوق الرؤوس التي تترك على الارض متسعاً للارجل لا للحقائب.

والطيارون متحمسون للآربوس. فالادمغة الالكترونية الخمس والسبعون في الطائرة تخفف وطأة العمل بتوليها او تسهيلها معظم مهمات الطيران الاساسية كالاقلاع وضبط السرعة والارتفاع ووجهة السير والهبوط في رؤية تقترب من درجة الصفر.

وتكمن وراء نجاح الآربوس اعوام

من الجهود بذلتها بلدان مختلفة. بدأت هذه الجهود عام ١٩٦٥، حين وافق ممثلون لشركات طيران، اجتمعوا في لندن لايجاد الطائرة المثالية لعقودهم المقبلة، على ان هذه الطائرة يجب ان تكون "جمبو" متوسطة المدى تتسع لما يراوح بين مئتي مقعد وثلاثمئة. ويجب ان تكون هادئة واقتصادية. والاهم من ذلك ان تكون ثمرة جهد مشترك، اذ ليس في وسع اي دولة اوروبية الانفراد بتنفيذ مشروع كبير كهذا. وفي العام نفسه بدأ صانعو طائرات من فرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا اعداد التصاميم للطائرة المنشودة. وبعد اعوام انضمت الى هذه المجموعة هولندا واسبانيا وبلجيكا.

بين الصوت والاقتصاد – يتذكر روجيه بيتاي، المدير العام لشركة "آربوس اندوستري": "قلنا لمصممينا اننا نريد طائرة تجني ارباحاً ثابتة وتتميز بثقة تامة وبصيانة سهلة". وفي بادىء الامر تذمر مهندسوه من ان الآربوس يبدو غير انيق بالمقارنة مع الكونكورد الفوق – الصوتية وذات الشكل المثير. وكانت الكونكورد حينئذ المشروع الكبير الذي يعد القائمين به بنيل الاحترام والاعتبار البالغين. الا ان بيتاي اقنع مهندسيه بأنه في حين كانت الكونكورد اول طائرة مدنية اخترقت جدار الصوت، فستكون الآربوس الطائرة التي تخترق "الجدار الاقتصادي" لتكاليف الوقود المرتفعة.

وكان التحدي اعظم لكونه عالمياً، فصانعو الطائرات المنتمون الى جنسيات مختلفة لهم تقنياتهم الخاصة. وتوقع كثير من المراقبين انهيار المشروع بسبب تناقضاته.

وكانت هناك تناقضات فعلاً، الا انها تحولت مزايا وفوائد. مثال ذلك ان لجنة من المهندسين تمثل الشركاء كانت تدقق في كل جزء من اجزاء الطائرة التي يبلغ مجموعها ٦٠ الف جزء. وكان احد مواضع الجدل باب الحمولات الكبيرة الخلفي. ففي معظم الطائرات المدنية يفتح هذا الباب الى الخارج، لكن احد الاعضاء اقنع الاخرين، بعد نقاش حاد، بأن باب الحمولات الذي يفتح الى الداخل سيكون اكثر اماناً. وبعد بضعة اعوام ثبت ان القرار كان حكيماً. فقد وقع حادث مشؤوم لطائرة "دي سي – ١٠" عندما انفتح باب الحمولات الكبيرة محدثاً هبوط ضغط انفجارياً في مقصورة الركاب ادى الى مقتل ٣٤٦ شخصاً في احدى اسوأ كوارث الطيران في التاريخ.

الا ان الحكومات المعنية، بعد فتور حماستها الاولى، اخذت تشك في ان المشروع سينجح اقتصادياً. فالتشارك الفرنسي – البريطاني في بناء الكونكورد وتطويرها صار يكلف مليارات الدولارات. وخُشي ان يقع الآربوس فريسة المشكلات المالية عينها. كما ان المهندسين طلبوا مبالغ طائلة لتطوير محركات الطائرة. وفي اوائل صيف ١٩٦٨ قررت فرنسا العمل على الغاء المشروع. ثم عين هنري زيغلر رئيساً لشركة "سود افياسيون"، وهي الشريك الفرنسي في مشروع الآربوس. وكان زيغلر مؤمناً بالآربوس.

الوليد الموعود – راح زيغلر ينادي

على الملأ: "هذه هي طائرة المستقبل، لا الكونكورد". ولانت الحكومة الفرنسية واعطته مهلة ستة اشهر اخرى. واتخذ زيغلر ثلاثة قرارات حاسمة انقذت الطائرة:

اولا، خفض تكاليف التطوير بشراء محركات جاهزة من نوع تستعمله طائرات اخرى.

ثانياً، لزيادة ايرادات الشحن، عدل هيكل الطائرة كي يتسع لصناديق حمولة من الحجم التقليدي.

ثالثاً، خلق بنية ادارية قوية يشرف عليها رئيس له حرية اتخاذ القرارات، بحيث لا يبقى مجال للمساومات كما في اللجان الحكومية التي عاقت مشروع الكونكورد.

وبقيت بريطانيا غير مقتنعة، وانسحبت كشريك رسمي في ابريل (نيسان) ١٩٦٩. الا ان الرسميين الفرنسيين والالمان الغربيين قرروا في ٢٩ مايو (ايار) متابعة العمل. وفي السنة التالية ابصر "كونسورسيوم آربوس اندوستري" النور.

وتقرر بناء الآربوس بطريقة تختلف عن بناء اي طائرة اخرى. ففي حين يركب صانعو الطائرات كل جزء في الطائرة من قطع يؤمنها ملتزمون عديدون، قرر الكونسورسيوم ان ينتج كل شريك اقساماً كاملة. وهكذا صنعت شركة "آيروسباسيال" الفرنسية حجرة الطيار، وانتجت شركتا "مسرشميت بولكوف بلوم" و"ف.ف.ف. فوكر" الالمانيتان هيكل الطائرة الرئيسي، وصنعت "كونستركسيونس ايرونوتيكاس" الاسبانية جهاز حفظ التوازن الافقي.

وعلى رغم انسحاب بريطانيا رسمياً، الا ان شركة "هوكر سيدلي افييشن"، وهي اليوم جزء من "بريتيش ايروسبايس كوربوريشن"، صنعت الجناحين بصفتها شركة خاصة وبالتعاون مع مصنع هولندي.

وجمعت كل الاقسام معاً من اجل التركيب النهائي في مدينة تولوز. واكتمل صنع الآربوس الرقم ١ في اغسطس (آب) ١٩٧٢، وما ان اقبل مارس (آذار) ١٩٧٤، حتى كانت الطائرة اجتازت جميع رحلاتها الاختبارية، وبات لدى اوروبا طائرة جاهزة للبيع.

الا ان المشكلة كانت ان شركات قليلة ابدت استعدادها للشراء. فالآربوس وصلت خلال فترة الركود الاقتصادي التي عقبت حظر النفط العربي عام ١٩٧٣. ودفع ذلك برنار لاتيير، الذي اصبح رئيساً للشركة بعد تقاعد هنري زيغلر عام ١٩٧٥، الى تقديم عرضه المدهش لفرانك بورمان.

وحققت المغامرة نجاحاً باهراً، حتى ان "آربوس اندوستري" تعتزم زيادة وتيرة انتاجها من ثلاث طائرات شهرياً في العام ١٩٨٠ الى عشر طائرات عام ١٩٨٥ وسيرتفع عدد العاملين فيها ايضاً، جاعلا الآربوس احدى الواحات القليلة في القارة الاوروبية التي لا تعاني بطالة متزايدة. ويعيش اكثر من مئة الف اوروبي على دخل مستمد من الآربوس.

حين تنصهر الاعراق – في زيارات الى مصانع عدة، راقبت الطريقة التي تركب بها هذه الطائرة الاوروبية

الرائعة· ابتدأت بالجناحين في مصنع "بريتيش ايروسبايس" في مدينة تشيستر الانكليزية· فهناك يصنع غلاف الجناح الرقيق من كتلة المنيوم ومعادن اخرى تزن طنين ونصف طن يجري فرزها الى نصف طن فقط بآلات تديرها حاسبات الكترونية، تتولى ايضاً تقطيع المعدن الى الاشكال المطلوبة· ثم يوصل الغلافان، العلوي والسفلي، آلياً بمسامير خاصة· وبعد تثبيت خزانات الوقود، يكتمل الجناحان الضخمان اللذان يكلف كل منهما مليون دولار·

وبينما كان جون سكوت، احد موظفي "بريتيش ايروسبايس"، يقودني في ارجاء المصنع ويريني معالمه المختلفة، راح يشرح سر نجاح الآربوس كجهد دولي· قال: "نحن شركاء وديون طبعاً، لكننا مع هذا نشعر بالاعتزاز الوطني وبروح المنافسة· ونعلم ان الالمان والفرنسيين سيفحصون هذين الجناحين، ولذلك نبذل اقصى جهدنا· وبما انهم يعتمدون علينا في مواصلة الانتاج، فلا يمكننا ابداً التأخر في التسليم"·

وفي هامبورغ في المانيا، سرت عبر قاعة جمع الاجزاء التي كلفت ٢٦ مليون دولار، حيث تصنع شركة "مسرشميت بولكوف بلوم" هيكل الطائرة، وطوله ٥٤ متراً· وقبل الجمع، تعالج الاجزاء كلها بطلاء مقاوم للتآكل وتختم بارقام تظهر مَن صنعها وفحصها· وهنا، كذلك، تجهز كل طائرة بالمعدات وفقاً لطلبات الزبائن· فبعضهم يريد آلات وشاشات للعرض السينمائي، والبعض الاخر يطلب آلات خاصة لصنع قهوة "الاسبريسو" في مطبخ الطائرة او طاولة تطوى في المراحيض لتبديل حفاضات الاطفال·

وسافرت من هامبورغ الى تولوز في اكبر طائرة نقل في العالم تدعى "سوبر غوبي"· وهي مهمة جداً بالنسبة الى نظام بناء الآربوس، اذ انها تنقل الاقسام الجاهزة من مصنع الى آخر في غضون ساعات، بدلا من الايام التي يستغرقها النقل البري او البحري · وقبل ان اصعد الى متنها، رأيت مقدم "سوبر غوبي" بأسره ينفتح ويُجَرّ الى داخله بعناية هيكل طائرة آربوس يزن ١٥ طناً·

وفي تولوز، أُخرج هيكل الآربوس من "غوبي" مجروراً على عجلات، ووضع في خط التجميع · وبعد شهرين يتم تركيب الجناحين وحجرة الطيار والذيل والمحركات، فتتجه الى ورشة الدهان لترش بالوان شركة الطيران التي اشترتها· وآنذاك يكون آربوس آخر مستعداً للطيران·

لقد تعلم الاوروبيون امثولات مهمة من الآربوس· فهم يدركون الان انهم قادرون على اجتراح المعجزات ومنافسة الآخرين في نجاح عندما يتعاونون، حتى في حقول تكنولوجيا عالية كالطيران المدني·

واذا امكن لرئيس "آربوس اندوستري" تحقيق ما يريد، فلن تكون هذه سوى البداية· ويقول لاتيير: "اريد ٣٠ في المئة من السوق العالمية· ولن تتضرر الصناعة الامريكية اذا تدنت حصتها من احتكار تام عملياً الى ٧٠ في المئة"·

والآربوس مستعد لمواجهة المنافسة. فهناك الان تسعة اشكال مختلفة من طراز "الآربوس – ٣٠٠أ" الاساسي وشقيقه الاصغر حجماً "الاربوس – ٣١٠أ"، بينها طائرة مخصصة للشحن. وهناك تصاميم لطائرات اخرى، بينها نموذج لطائرة اكبر حجماً وتتسع لمزيد من المقاعد.

فهل ينتصب الوافد الاوروبي الصغير بجرأة في وجه المارد الامريكي؟

احد الاوروبيين المؤمنين بقدرته على الصمود هو برنار زيغلر، ابن هنري زيغلر، وكبير الطيارين الاختباريين في "آربوس اندوستري" واحد نواب رئيس الشركة. فهو يقول بابتسامة تنم عن ثقة بالنفس: "ان قوة شركتنا مستمدة من المصدر نفسه الذي امد امريكا بالقوة. لقد صرنا نحن ايضاً بوتقة تنصهر فيها اعراق مختلفة".

■ جوزف هاريس



سحر عملي

البساط السحري، بالنسبة الى معظمنا، هو ذاك الذي لا يحتاج الى تنظيف.

ا.ت.

استنتاج منطقي

جلست اربع فتيات في مقهى المطار يرشفن القهوة وينتظرن وصول الطائرة التي تقل صديقتهن. وكانت كل منهن تنظر الى ساعتها بين فترة واخرى، الى أن قالت احداهن: "هناك متسع من الوقت أمامنا. فأنا أعرف صديقتنا جيداً، ويمكنني الجزم بأن طائرتها ستتأخر ساعة على الاقل".

ا.ط.

ضائعان!

وقفت موظفة شابة في مطار لوس انجلس الدولي توجه ركاب النازلين من احدى الطائرات بقولها: "فليقف الاجانب في صف على يميني، والمواطنون الامريكيون على اليسار". وكان هناك رجل وامرأة متقدمان في السن بدا عليهما الارتباك ووقفا بين الصفين. وعندما لاحظت الموظفة حيرتهما، كررت قولها: "الاجانب على اليمين والمواطنون على اليسار".

عندئذ تقدم منها الرجل وقال: "المعذرة يا آنسة. اين نقف نحن؟ أننا بريطانيان".

ف.س.

تعاطي الماريوانا يؤذي الدماغ ويضعف القدرة الجنسية

طوال هذا العقد تتراكم الأدلة، منذرة بان تدخين الماريوانا قد يكون ضاراً بالصحة الى درجة بالغة. وفي السنوات القليلة الماضية زادت الدراسات المثيرة التي اجريت حول هذا الموضوع من قتام الصورة المبينة لمدى الضرر الذي تلحقه الماريوانا بمختلف اجهزة الجسم، وعلى الاخص بالدماغ والوظائف التناسلية. واليوم يلاحق شبح سلالة بشرية مشوهة الباحثين العلميين والاطباء العياديين على السواء.

بدأ العلماء من انحاء العالم يرسلون اشارات التحذير الى الملايين الذين يدخنون الماريوانا. فقد تراكمت الادلة التي تشير الى ان الذين يتعاطون هذا المخدر ربما كانوا، من غير ان يدروا، يلحقون الضرر بادمغتهم ويعملون على التقليل من فرص انجاب الاطفال الاصحاء تماماً.

وقد نشأت هذه التحذيرات نتيجة للاجتماعات التي عقدها العلماء حديثاً للافادة عن آخر ما توصلوا اليه في بحوثهم حول هذا الموضوع. وفي يوليو (تموز) ١٩٧٨ قدم خمسون باحثاً من ١٤ بلداً، في الندوة الدولية التي عقدت في مدينة ريمس في فرنسا حول اضرار الماريوانا، دراسات جديدة حول الآثار الضارة للماريوانا على الجهاز التناسلي والرئتين وجهاز الايض الخلوي والدماغ. وفي شهر مارس (آذار) ١٩٧٩، في المؤتمر الذي عقد في ولاية فرجينيا الامريكية في رعاية المعهد القومي الامريكي للنظر في الاضرار التي تنجم عن اساءة استعمال الادوية، كشف المنقبون عن

المزيد من الآثار الضارة للماريوانا على الجهاز التناسلي.

وفي المؤتمر الذي عقد في مدرسة الطب التابعة لجامعة نيويورك، بعد ثلاثة اشهر من المؤتمر السابق، اضاف الاطباء والعلماء النفسيون اضراراً جديدة اكتشفوها على قائمة الاخطار التي يحدثها ادمان الماريوانا.

وفي شهر يوليو (تموز)، واستجابة لتلك الادلة المذهلة، تولت لجنة خاصة في مجلس النواب الامريكي بحث اخطار الماريوانا على الصحة. وقال رئيس اللجنة: "ان الولايات المتحدة هي اكثر بلد في التاريخ يسيء استعمال المواد المخدرة، واكثر المخدرات المحظورة التي يساء استعمالها هي الماريوانا". وكشف عن دراسة اجريت عام ١٩٧٨ تبين ان واحداً من كل تسعة طلاب في المدارس الثانوية كان يتعاطى الماريوانا على اساس يومي او شبه يومي، اي بزيادة نحو ٨٠ في المئة على النسبة التي سجلت خلال السنوات الثلاث السابقة. كذلك كشفت الدراسة ان تدخين هذا المخدر اصبح شائعاً اليوم بين الطلاب الذين تراوح اعمارهم بين ١٣ سنة و١٥ سنة، وان الاقبال على تدخين الماريوانا بات على ارتفاع متزايد بين الطلاب الذين تراوح اعمارهم بين ٨ سنوات و١٢ سنة.

وقد اصبحت جميع آثار الماريوانا واخطارها على الدماغ والجهاز التناسلي تدق ناقوس الخطر الداهم نظرا الى سرعة تسرب المخدر الى الدماغ والاعضاء الجنسية. وهناك مادة في الماريوانا تعرف باسم "كانابينويد - (٦١" يحتوي عليها نبات القنّب الهندي (الحشيش)، وهي قابلة للتحلل في الدهن وسريعة التسرب الى اعضاء الجسم التي تشتمل على الدهنيات حيث تستقر وتتحلل تدريجاً. وقال احد الباحثين: "تبقى هذه المادة المخدرة في جسم الشخص الذي يتعاطاها الى ما بعد زوال شعوره بالنشوة".

اما الخصائص التي تؤثر في عقل الشخص الذي يدخن الماريوانا فتتلخص في مشتقاتها المعروفة باسم "دلتا - ٩ - ت هـ س"، والتي امكن التعرف اليها عن طريق الاشعاعات، وفي العادة، تمكث مشتقات هذه المادة في السيجارة الواحدة من خمسة ايام الى ثمانية قبل زوالها من الجسم. اما اعضاء الجسد التي تشتمل على نسبة عالية من الدهنيات فهي الدماغ والخصيتان والمبيض. فما أثر تجمع الماريوانا في هذه الاجهزة؟

لعل الطبيب النفسي الدكتور روبرت جيلكيسون من كليفلاند (ولاية اوهايو) هو الثقة في هذا الموضوع. وقد جاءه عام ١٩٧٦ شاب مراهق يدعى ستيفن، جميل الطلعة، طويل القامة، وكان طالباً نجيباً في ما مضى. اشتكى ستيفن من حصوله على علامات منخفضة وعلى صعوبة في التركيز وتذكر الدروس، وقال: "كل شيء كنت احبه بات مملاً، وحتى البنات اللواتي كنت استحسن مصادقتهن صرت اميل الى تجنبهن".

اكتشف الدكتور جيلكيسون ان ستيفن صار يعكس كتابة الحرفين b و d، وهو أمر يعد علامة مميزة

للذين يعانون عسر التعلم. واقترح عليه اجراء فحص كهربائي لقراءة ذبذبات دماغه. وعلى اثر هذا الفحص جاءه التقرير ليكشف عن نتائج غير طبيعية وتضرر في الدماغ يجب الا يصيبه في هذه السن. بعبارة اخرى كشفت الذبذبات الكهربائية موجات اشبه بتلك التي يطلقها دماغ شخص يراوح عمره بين ست سنوات وثماني سنوات.

اعترف ستيفن بانه مدمن الماريوانا. وقد نصحه الطبيب النفسي بوقف هذا المخدر لمدة شهرين، فوافق بعد ان هزته تلك النتيجة المفزعة.

وبعد ثمانية اسابيع تحسنت ذبذبات دماغه على رغم انها لم تبلغ المستوى الطبيعي. وعلق الدكتور جيلكيسون: "المهم ان تحسناً طرأ على العلامات التي يحصل عليها ستيفن، وهذا التحسن شمل مزاجه وذاكرته وميله الى المزح وطريقته في الحديث". وتشجع ستيفن اثر ذلك، ووافق على مواصلةالامتناع عن تدخين الماريوانا لمدة شهرين آخرين. وبعد هذه الفترة كشفت ذبذبات دماغه انها كانت طبيعية بالنسبة الى سنه.

وبسبب عمله مع ستيفن، أكب الدكتور جيلكيسون على دراسة لا تزال قيد البحث. وهي فحص الذبذبات الكهربائية لثلاثة واربعين مراهقا كانوا يدخنون الماريوانا مرتين في الاسبوع على الاقل خلال الاشهر الاربعة الماضية ولكن توقفوا عن التدخين لمدة ٤٨ ساعة سابقة للاختبار. واظهرت نتيجة هذه الفحوص الثلاثة والاربعين — كما اظهر الفحص الذي اجري على ستيفن — نقصاً في النضج وبلبلة في الدماغ.

تغييرات مثيرة — وقد عرض الدكتور روبرت هيث، رئيس قسم الامراض العصبية والنفسية في مدرسة تولين الطبية، اشرطة غير متحركة على المشاركين في ندوة ريمس تبين الخلايا المكبرة المستخرجة من ذلك القسم في دماغ قردة ريسوس الذي يتحكم تحكما مباشرا بالدوافع الجنسية والاحساس بالشهية والانفعالات. وهو قسم الدماغ المتشابه كثيراً في الانسان وقرد ريسوس الذي يستعمل للتجارب المخبرية. وقد جرى تعريض هذه القردة لدخان سيجارتين او ثلاث سجائر صغيرة من لفائف الماريوانا في اليوم، تبلغ فيها نسبة الـ "ت.هـ.س." ثلاثة في المئة، علماً بان هذه النسبة في لفائف الماريوانا التي تباع للمدخنين اليوم تراوح بين ٣و٦ في المئة في اللفافة الواحدة.

وبعد اجراء الاختبار ظهرت في خلايا ادمغة القردة تغييرات مثيرة، بما في ذلك رواسب غير طبيعية من مواد قائمة بين طيات الخلايا العصبية التي لوحظ فيها اتساع. ويقول الدكتور هيث ان هذا من شأنه احداث ابطاء او انقطاع في حركة الرسائل الذهنية التي يتناقلها الدماغ. ولوحظ ايضاً تكتل غير طبيعي للاكياس الصغيرة في اطراف الخلايا العصبية التي تشتمل على المنشطات الكيميائية للدماغ، مع زيادة كبيرة للمواد الغريبة في نواة الخلايا العصبية. وتعد هذه الظواهر من اعراض ضعف الدماغ.

وفي مؤتمر سابق لاحظ الدكتور يث سرعة حدوث هذه التغييرات، قال: "تشير الملاحظات العيادية الى نه يمكن ان يتعاطى الناس لمسكرات سنوات عدة قبل ان يصابوا تلف بالغ في الدماغ. ولكن يبدو من لاختبارات التي اجريت على القردة نه اذا لجأ الانسان الى تدخين لماريوانا لمدة قصيرة نسبياً على نحو براوح بين معتدل وشديد، فسرعان ما تبدأ اعراض عطب الدماغ بالظهور". ومن هذه الاعراض ضعف تذكر الامور التي حدثت منذ فترة غير بعيدة.

وقد افاد اختصاصي الامراض العصبية الدكتور وليم ستيوارت عن حال مقاول بناء في الثامنة والعشرين من عمره كان يدخن الماريوانا يومياً، لكنه لم يتعاط غيرها من المخدرات ولم يشرب الا البيرة. فبعد خمس سنوات من ادمانه ذلك المخدر، كان ينظر الى الخرائط في مكتبه ثم يسير نحو عماله بقصد شرح العمل لهم. وما ان يصل اليهم حتى ينسى ما يريد قوله. وعلى رغم توقفه عن تدخين الماريوانا لمدة سنتين، لم يطرأ اي تحسن على تذكره للأحداث غير البعيدة. وكانت النتيجة انه خسر مقاولاته واصبح يعمل لحساب مقاول آخر كعامل عادي يتولى دق المسامير!

ان قلق الاطباء العياديين الذين يطلعون على مثل هذه النتائج لا يقل عن قلق الباحثين. ويلخص الدكتور ميتشيل روزنتال، رئيس مؤسسة "فينكس هاوس" لمعالجة المدمنين، النتائج التي توصل اليها الاختصاصيون في علاج حالات الادمان بالآتي: "عندما يتوقف الاحداث عن تدخين المخدرات، يستعيدون عموماً ما فقدوه من تذكر الامور غير البعيدة. لكنني رأيت ايضاً بعض الاحداث من مدمني الماريوانا، او الماريوانا مع مخدر آخر، الذين لم يطرأ اي تحسن عليهم نتيجة العلاج".

تأثر النشاط الجنسي - لعل اهم تكوين في خلايا الدماغ العصبية كتلة صغيرة من الاغشية وسط الدماغ تعرف طبيا باسم "هيبوثالاموس" (اي ما تحت السرير البصري)، ومنها تتدلى كتلة اصغر هي الغدة النخامية التي تنظم عمل الغدة الصماء والهرمونات التي تتحكم بالنشاط الجنسي والوظائف التناسلية. هاتان الغدتان هما اكثر الغدد تأثراً بالمخدرات.

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، قدمت الدكتورة جوان بومان بالاشتراك مع الدكتور كولودني، وكلاهما من معهد ماسترز وجونسون في مدينة سانت لويس (ولاية ميسوري)، تقريراً عن الدراسة التي اجرياها على ٢٦ امرأة تراوح اعمارهن بين ١٨ سنة و٣٠ سنة، كن يدخن الماريوانا ثلاث مرات في الاسبوع او يومياً لمدة لا تقل عن ستة اشهر قبل الدراسة. وقد تبين ان نسبة ٣١ في المئة من دورات الحيض الشهرية لتلك النساء قد تميزت بقصر فترة افراز الهرمونات الصفراء في مقابل ٩،٧ في المئة لدى النساء اللواتي لا يدخن الماريوانا. وقصر فترة افراز المبيض للهرمونات الصفراء قد يعني نقصاً في غذاء الجنين. كما اظهرت الدراسة ان تلك النساء كن يعانين نقصاً في البروكلتين، وهو الهرمون

الضروري لانتاج الحليب لدى الامهات الحديثات التوليد.

وهناك مسح آخر اجراه الدكتور كولودني على ٥٠٠ رجل تراوح اعمارهم بين ١٨ سنة و٣٠ سنة ممن ادمنوا الماريوانا مدة ست سنوات او سبع، فكشفت الاحصاءات هبوط النشاط الجنسي لديهم على نحو ملحوظ. وافاد الدكتور جون هول، رئيس قسم الامراض الداخلية في مستشفى كينغستون في جامايكا ان ٢٠ في المئة من مرضاه الذكور الذين ادمنوا الماريوانا مدة خمس سنوات او اكثر يشكون من العنة (العجز الجنسي).

ويبدو ان البحوث التي اجريت على القردة الذكور تشير الى ان اعطاءها مخدر الحشيش ادى الى هبوط نسبة الحيوانات المنوية لديها، كما لوحظ تشوه في شكل هذه الحيوانات. وقد كرر الدكتور وايلي همبري من كلية الاطباء والجراحين في جامعة كولومبيا هذه البحوث على بعض الرجال، وذلك باعطائهم جرعات عالية من الماريوانا، فكانت النتيجة هبوطاً كبيراً في نسبة الحيوانات المنوية لديهم ايضاً.

"روليت وراثية" - بما ان الرجال ينتجون دائما ملايين الحيوانات المنوية، فربما عاد تكوين هذه الحيوانات الى طبيعته بعد الامتناع عن المخدر. لكن تأثير المخدر على النساء قد يكون مستديماً. ويقول الدكتور اكيرا موريشيما من جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك: "تولد الانثى وفي احشائها نحو ٤٠٠ ألف بييضة. واذا تضررت هذه البييضات، فلا امل في اصلاح الضرر. وقد اثبتت البحوث العلمية ان الاضرار الناجمة عن تدخين النساء للماريوانا هي اضرار لا تزول، بل تتراكم في المبيض وفي مناطق اخرى من الرحم".

وفي مركز بحوث تابع لجامعة كاليفورنيا في بلدة ديفيز، اعطيت القردة الاناث من فصيلة ريسوس التي تتشابه اجهزتها التناسلية وأجهزة النساء فطائر من الزبيب المطعمة بمقدار معين من مادة "ت.هـ. س." التي تشتمل عليها الماريوانا، يعادل مقدار سيجارة أو اثنتين مما تدخنه النساء من هذا المخدر. وقد اعطيت هذه الجرعة للقردة الاناث كل يوم لمدة ثلاث سنوات، فكانت النتيجة ان ٤٤ في المئة من القردة الحوامل انجبت وليدا ميتاً او محتضرا، في مقابل خسارة ١٢ في المئة فقط - وهي نسبة تعتبر عادية في حالات الولادة - لدى اناث القردة التي لم تعط شيئا من هذه المادة المخدرة. وعلى رغم ان اطفال القردة التي ولدت ميتة، بتأثير اعطاء الام جرعات المخدر المشار اليها، ظهرت طبيعية، فقد اجرى الاختصاصيون فحوصاً مجهرية على عينات من الانسجة المستأصلة من كل منها، فوجدوا فيها شذوذاً لم يلاحظوه في الانسجة المستخرجة من اطفال القردة الاخرى التي لم تعط امهاتها تلك المخدرات.

وتقول الدكتورة ايتل ساسنرات التي اشرفت على هذه الاختبارات: "لقد تصرف الاطفال الذين بقوا على قيد الحياة على نحو مغاير للآخرين،

بدوا عيوباً في مقدرتهم على انتباه، وهذا الفرق المسلكي هو نتيجة التلف الجزئي الذي اصاب دماغ في المراحل الاولى من تطور جنين، ان العامل القادر على التأثير في الوظائف والخلايا الجنسية لدى الذكور والاناث، كما في الجنين، يجب ان يعتبر مصدراً محتملا للضرر الفطري الذي يصيب هؤلاء الصغار الذين يبقون على قيد الحياة".

وفي العام ١٩٧٤ اكتشف الدكتور غبريال نحاس من كلية الاطباء والجراحين في جامعة كولومبيا – ويعتبر رائداً في بحوث الماريوانا – ان التعرض لمادة "ت.هـ.س." من شأنه التقليل من قدرة الخلايا الفردية على تنظيم الحياة وفقا للنمط السلالي الطبيعي الذي تشتمل عليه الجزيئات الخلوية. وثبت ان تلك المادة تثبط عمل الخلية الطبيعي وانقسامها، مما يؤدي الى موت الخلية واتخاذها شكلا ومسلكاً غير طبيعيين. وقد اثار اكتشاف الدكتور نحاس اهتمام العلماء في ١٢ مركزاً للبحوث في الولايات المتحدة وخارجها، الذين اجروا اختبارات مماثلة وتوصلوا الى النتائج نفسها. ويحذر الدكتور نحاس قائلا: "ان مدمن الماريوانا اليوم لا يلحق الضرر بعقله وجسمه فحسب، بل ربما كان يلعب لعبة روليت (مقامرة) سلالية، ويلقي ظلالا من الشك على صحة اولاده واحفاده الذين لم يولدوا بعد".

ويعلق بعض المدمنين على نتائج هذه البحوث بالآتي: "ان الذين يتعاطون الماريوانا لهم اطفال اصحاء تماما". ويرد عليهم الدكتور بيترسون من المعهد القومي المتخصص في موضوع سوء استعمال الادوية بقوله: "على رغم مرور آلاف السنين على احتساء الخمر، لم يكتشف الاطباء الا اخيراً ان شرب كميات غير كبيرة من الكحول يمكن ان يؤدي الى ولادة اطفال لا يتمتعون بصحة جيدة. لذلك، على الامهات الحوامل اللواتي يتعاطين تدخين الماريوانا التنبه الى اشارات التحذير الحالية قبل فوات الاوان".

ويحذر الدكتور روبرت ديبون، المدير السابق للمعهد المذكور: "لم يحدث في التاريخ أن اقبل الشباب على تدخين الماريوانا على هذا النطاق الواسع. لذلك، فان شبابنا اليوم يحولون انفسهم الى حيوانات اختبارية. والبحوث التي اجريناها حتى الآن تشير بوضوح الى اننا سنحصل على نتائج رهيبة".

■ بيغي مان



اهون الشرين

من السيىء ان يكون اطفالك مرضى وأنت صحيحاً. لكن معظم الناس يوافقون على ان الاسوأ من هذا هو ان تكون أنت مريضاً واطفالك اصحاء.

ن.ن.



أبي ذو اليدين الدافئتين

كانتا كبيرتين وماهرتين، ولم تخذلاه الا في امر واحد. وعندما ودعته، اودعتهما ما افتقدتاه طوال وجودهما

كانت يداه خشنتين وقويتين جداً. كان في وسعه ان يشذّب اشجار الفاكهة برقة وان يصارع بشدة ليسرج بغلا مشاكساً. وكانت له المقدرة على ان يرسم مربعاً وينشره بدقة وسرعة. يعرف عنه استعداده لتسديد قبضة عنيفة الى حنك صلب. الا ان اكثر ما اذكره هو الدفء الخاص الذي كنت استمده من تينك اليدين واحس به ينفذ عبر قميصي، فيما يمسك بي من كتفي، خافضاً رأسه ليدنو من اذني، ويلفتني الى صقر ازرق اللون او ارنب نائم في وجاره. كانتا يدين جيدتين وماهرتين ولم تخذلاه الا في امر واحد: لم تتعلما الكتابة اطلاقاً.

كان أبي امياً. لقد انخفض عدد الاميين في بلادنا، ولكن مجرد بقاء امي واحد يجعلني أشعر بالحزن، متذكراً ابي وما تحمّله من الم لأن يديه لم تمسكا القلم يوماً.

دراسة فاشلة – ابتدأ والدي حياته الدراسية في الصف الابتدائي الاول، وكان جزاء الجواب الخطأ عشر ضربات بالمسطرة على راحة اليد

Condensed from New York Sunday Magazine (November 30, 75) (c)' 75
by New York News, Inc., New York.

المبسوطة. ولسبب ما، بدا ان الاحرف والارقام والدروس لم تستقر في شكلها الصحيح داخل رأسه ذي الشعر الذي اخذ يبيض وهو في السادسة من عمره، او لربما كان مصاباً بمرض اعاقه عن تعلم القراءة، لذا اخرجه ابوه من المدرسة بعد اشهر عدة وعهد اليه في عمل داخل المزرعة.

بعد ذلك بأعوام حاولت زوجته، بثقافتها التي لم تجاوز الصف الابتدائي الرابع، ان تعلمه القراءة. وفي وقت لاحق، كنت امسك قبضة يده الكبيرة بيدَيّ الصغيرتين وأساعده على رسم احرف اسمه. كان يخضع للمحنة، وسرعان ما يأخذ في التململ، فيلوي اصابع يديه، ويدلك راحتيه ويعلن انه ضجر، ثم يخرج ويمشي وحيدا في نزهة طويلة.

التجربة المريرة ـ وذات ليلة، ظن ان احداً لا يراه، فانسل خارج البيت متأبطاً كتاب قراءة ابنه للصف الابتدائي الثاني، وعمل بكد واجتهاد على حل الغاز الكلمات، ولكن من دون جدوى. عندها ألصق جبينه بالصفحات وطفق ينتحب: "يا الهي، يا الهي، حتى في كتاب أطفال؟". ومذذاك، لم يكن لاي قوة ان تقنعه بتناول القلم والورقة.

ومن المزرعة الى تشييد الطرق ثم العمل في مصنع، كانت يداه الماهرتان طوع بنانه وكان عقله متوقداً، وارادة العمل لديه لا تضاهى. وابان الحرب العالمية الثانية، عمل في تمديد الانابيب واصلاحها في احد احواض السفن وفي تركيب الاحشاء المعقدة للسفن الحربية الضخمة. وحملت اليه حماسته وكفايته عرضاً ليصبح رئيساً للعمال، الى ان اخضع لاختبار المؤهلات. فقد كان في وسع اصابع يديه ان ترسم خطا عبر النسخ الهندسية الزرق فيما يتصور ذهنه الانابيب المتشابكة عبر قلب السفينة. وكان في مقدوره ان يتذكر كل التواء وانعطاف في الانابيب. الا انه لم يكن يستطيع القراءة او الكتابة.

وبعدما توقف حوض السفن عن العمل، ذهب الى مصنع للقطن حيث كان يكدح ليلا ويسترق من ساعات نومه الوقت الضروري لادارة المزرعة. ولما اقفل المصنع، اخذ والدي يخرج من البيت كل صباح باحثا عن عمل، ليعود ليلة بعد ليلة ويقول لأمي وهي تعد العشاء: "انهم لا يرغبون في من لا يستطيع الخضوع لاختباراتهم".

الكلمة الجانية ـ كان من الصعب عليه ان يقف امام رجل ما ويرسم "علامة" امام اسمه. على ان اقسى اللحظات كانت حين وضع "علامته" ازاء اسم كتبه شخص آخر نيابة عنه، ثم رأى رجلا آخر يأخذ منه بهذه الخدعة صك ملكية مزرعته العزيزة. وعند انتهاء "الصفقة"، وقف امام النافذة، وعلى مهل، قلّب القلم الذي كان لا يزال في يديه، محدقاً الى سفح الجبل من دون ان يراه. وتوجهت انا الى مبنى صغير فوق النبع بعد ظهر ذلك اليوم وبكيت طويلا.

وبعد بحث طويل، وجد والدي عملا في مصنع قطن آخر، فانتقلنا الى قرية مجاورة من مئة منزل متشابه. ولم يتكيف والدي قط مع حياة المدن. وبهتت زرقة عينيه، واصيب الجلد

وق عظام وجهه ببعض التهدل. لكن يديه حافظتا على قوتهما، وظل دفئهما يتسرب اليّ كلما حضنني وطلب اليّ ان اقرأ له في الكتاب المقدس. كان يشعر باعتزاز كبير بقراءتي ويصغي ساعات وانا اتخبط بين العبارات المعقدة العسيرة.

القلق المضني — وسمع مرة في الاذاعة واعظاً يروي عن الكتاب المقدس انه قال "ان الرجل الذي لا يعيل عائلته هو أسوأ من لص وكافر ولن يدخل ملكوت السماء ابدا". وكثيرا ما طلب الي ان اقرأ له ذلك المقطع، الا انني لم اعثر عليه. وفي بعض الاحيان، كان يجلس الى المائدة يقلب صفحات الكتاب المقدس، علّ اعجوبة تحدث فيقع على هذا المقطع في صفحة يفتحها وفاقاً... ثم يجلس محدقاً الى الكتاب، فأدرك انا انه يسائل نفسه اذا كان الله يرفض دخوله السماء لان يديه عاجزتان عن الكتابة.

وحين ذهبت امي ذات مرة لتزور اختها خلال عطلة نهاية الاسبوع، توجه ابي الى الحانوت وعاد ومعه طعام العشاء فيما كنت منهمكا في تركيب آخر عربة صنعتها في منزلي. وبعد الوجبة قال انه سيفاجئني بفاكهة طيبة نتناولها معاً، ودخل المطبخ فشعرت بأنه يفتح احدى العلب. ثم خيم هدوء مطبق. فتوجهت نحو باب المطبخ، فرأيته واقفاً امام البالوعة وفي يده علبة مفتوحة وهو يتمتم: "كانت الصورة

تشبه الاجاص تماما". وخرج من البيت وجلس على درجات السلم الخلفي، فأدركت انه أحرج امام ابنه. كان مكتوباً على العلبة "بطاطا بيضاء كاملة"، لكن الصورة على الورقة كانت فعلا تشبه الاجاص الى حد كبير.

وذهبت وجلست بجانبه، وتمنيت عليه ان يدلني على النجوم.

نهاية الطريق الشاق - بعد ذلك بأعوام توفيت امي، فحاولت ان اقنع والدي بالمجيء للعيش مع اسرتي، غير انه اصر على البقاء في منزله الصغير ذي الهيكل الخشبي القائم عند طرف البلدة ضمن بستان صغير مع بضعة حيوانات داجنة. كانت صحته تتقهقر، وتكرر دخوله المستشفى مصابا بنوبات قلبية خفيفة.

وآخر ذكرى عزيزة حملتها عن ابي كانت عندما راقبته يسير عبر مرج على منحدر التل مريحاً تينك اليدين الكبيرتين الدافئتين - وقد شوهتهما الشيخوخة وغضنتهما - على اكتاف ولدي الاثنين، وتوقف ليلفتهما، على نحو ينم عن ثقة بهما، الى بركة ماء كنا، انا وهو، نسبح فيها ونصطاد السمك. تلك الليلة توجهت مع اسرتي جوا الى حيث كان لي، وراء البحار، عمل جديد وبيت جديد. وبعدها بثلاثة اسابيع، توفي والدي في اثر نوبة قلبية.

عدت وحدي لاحضر الجنازة. واعرب لي الدكتور غرين عن بالغ اسفه لمصابي. وفي الواقع اخبرني انه منزعج بعض الشيء لانه كان كتب الى ابي وصفة نيتروغليسرين جديدة، وقد ركب الصيدلي الوصفة، ومع هذا لم يعثر مع ابي على وعاء الحبوب.

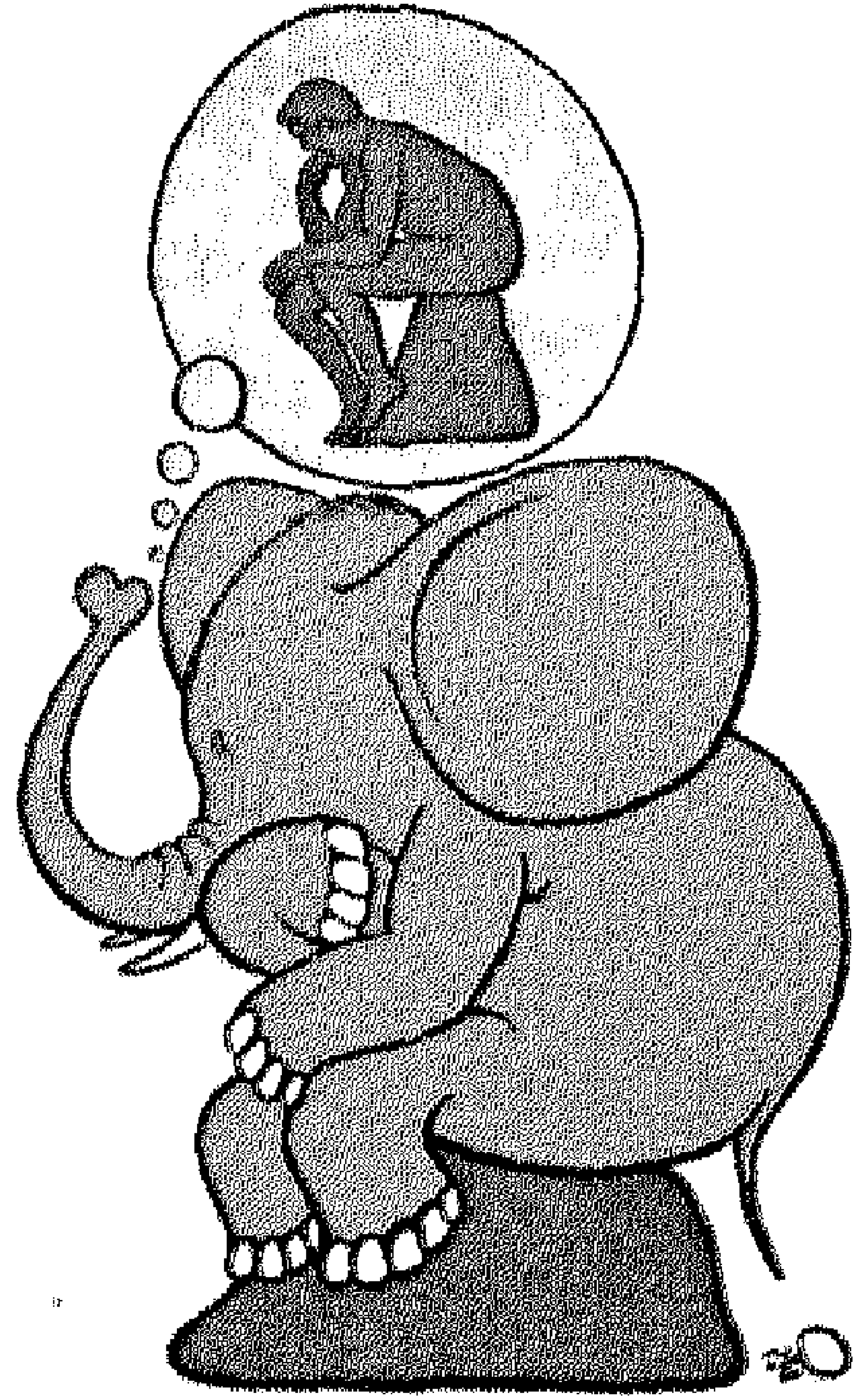
قبل ساعة من صلاة الجناز في الكنيسة، وجدت نفسي واقفاً قرب حديقة ابي، حيث وجده احد الجيران، ملتاعاً لأرسم في التراب باصابع يدي الموضع الذي كان رجل عظيم قد بلغ فيه نهاية عمره. وبعد قليل استقرت يدي على قرميدة (آجرة) نصفها مدفون في التراب، فرفعتها والقيت بها جانباً، قبل ان الاحظ تحتها وعاء بلاستيكياً طريا ملتويا وقد دُق في التراب الناعم.

وفيما كنت ممسكاً بوعاء حبوب النيتروغيسلرين، تراءى لي منظر ابي وهو يصارع لينزع الغطاء، ويحاول يائسا ان يحطم الوعاء بالقرميدة. فادركت لماذا خسرت تانك اليدان الكبيرتان الدافئتان صراعهما مع الموت. فهناك، على غطاء الوعاء، قرأت بضع كلمات مطبوعة: "غطاء يعصو على الاطفال - ادفعه الى اسفل وابرمه لتفتحه". وأكد الصيدلي في ما بعد انه، منذ وقت قريب بدأ يستعمل الوعاء الجديد الذي روعيت فيه سلامة الاطفال.

قلم الى... هناك - واقدمت على عمل كنت ادرك انه غير منطقي. فنزلت الى السوق وابتعت قاموس جيب له غلاف من جلد وطاقم اقلام ذهبية. وعندما ودعت والدي الوداع الاخير، اودعتها كلها تينك اليدين الكبيرتين العتيقتين اللتين كانتا كثيرتي الدفء ذات يوم، لكنهما، ويا للأسف، لم تتعلما الكتابة.

■ **كالفين ر. ورثنغتون**

تأمُّلاتٌ معاصِرة



الخلود الرخيص

مرة ذهب فتى الى معلم جليل وسأله: "كم من الوقت يلزمني لبلوغ مرتبة التنور؟"
فأجاب المعلم: "عشر سنين".
الفتى: هذا الوقت كله؟
المعلم: اعذرني، لقد اخطأت. انك تحتاج الى عشرين سنة.
الفتى: لماذا اضفت الى المدة التي ذكرتها اولاً؟
المعلم: الحق انه في حالك انت، يبدو ان هناك حاجة الى ثلاثين سنة.

ف.ك.

"المواطن الصالح"

اذا كان حب المرء للغابات يدفعه الى المشي عبر اشجارها نصف النهار، فهو يُعَد متسكعاً. اما اذا قضى النهار كله في قطع هذه الاشجار وتعرية الغابة فهو يعد مواطناً دؤوباً وصالحاً.

هنري ديفيد ثورو

الزائف والحقيقي

ما يجعل المرء قوياً هو ما يهضمه، لا ما يأكله. وما يجعله غنياً هو ما يوفره، لا ما يجنيه. وما يجعله مثقفاً هو ما يتذكره، لا ما يقرأه. وما يجعله متديناً هو ما يفعله، لا ما يبشر به.

فرنسيس بيكون

العلم الذي ينفع

لا تحاول ان تبدو اكثر علماً من الذين حولك. بل ضع علمك في موضع ساعة اليد التي تخفيها الى حين تُسأل عن الوقت.

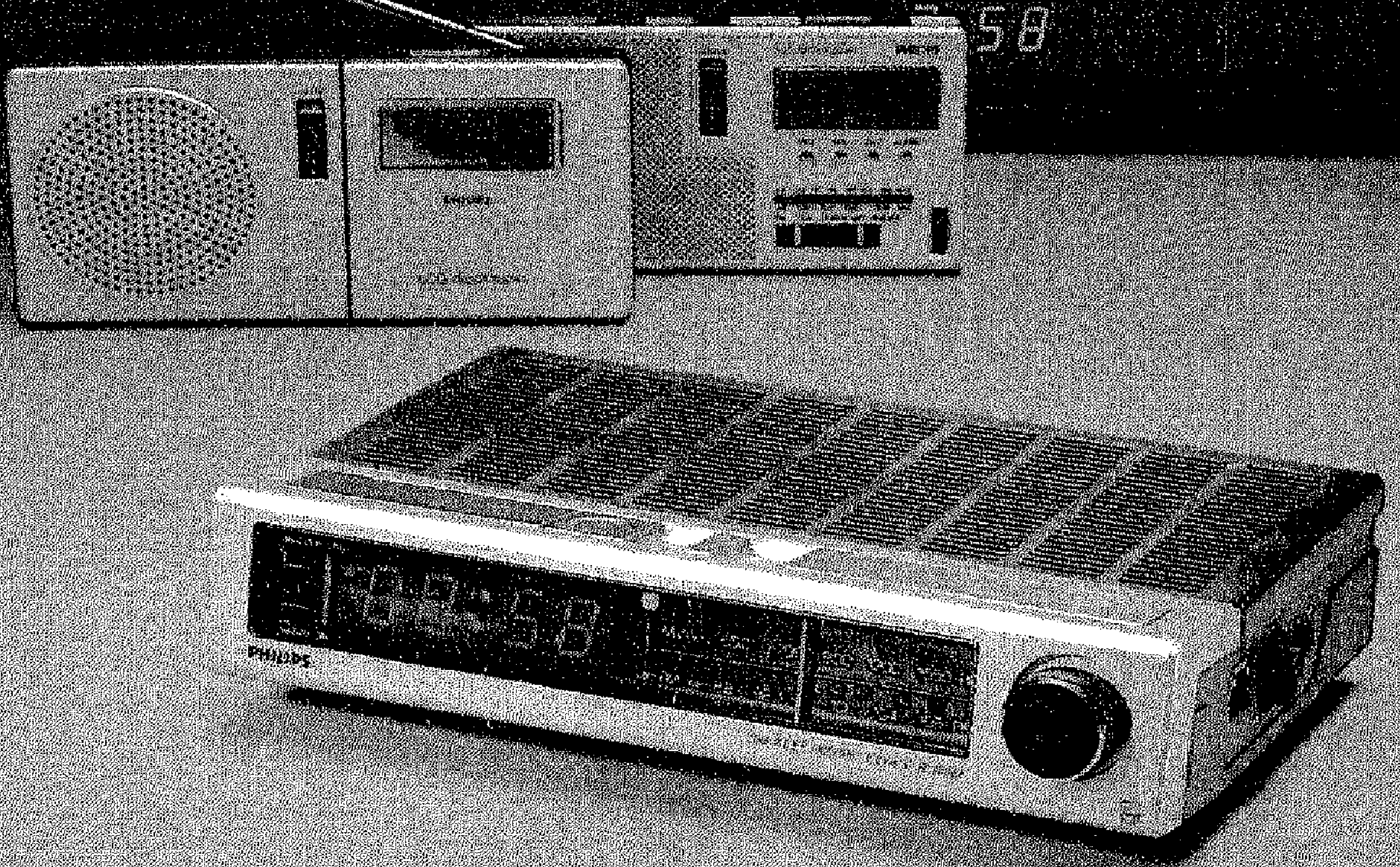
اللورد تشسترفيلد، في رسالة الى ابنه

السعي الى الصلاح

تذكر ان الفرصة لن تتاح لك اطلاقاً لانجاز اعمال بطولية. لكن فرصة انجاز اعمال صالحة تتجدد يوماً بعد يوم. وعلى المرء ان يسعى الى الصلاح: لا الى المجد.

ف.ف.

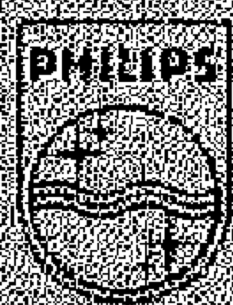
حان الوقت لاستيقاظك
براديوات فيليبس ذات الساعة!



استيقظ على الطريقة التي تحبها . وذلك بفضل راديو فيليبس ذي الساعة الرقمية الالكترونية المتقدمة استيقظ على برنامجك المفضل . أو على رنين جرس ان كنت تفضل اشارة منبهة عادية اما اذا كنت من الذين يصعب ايقاظهم . فان ساعة الراديو تكرر ضبطها لتنبيك مرة بعد اخرى حتى وان ذابت انت على استكانها !

اتريد ان تتحقق ان كنت متأخراً ! طراز المائدة يعرض الوقت بأرقام ضوئية سهلة القراءة طيلة الاربع والعشرين ساعة . كما يعرض الوقت بانذار متقطع في حالة انقطاع التيار من المنبع . اما طراز الراديو النقالي ذو الساعة فيعرض الوقت بوضوح طيلة ١٢ ساعة . زد على ذلك ان الراديو ذا الساعة يبقى مشتعلا حتى تستسلم للنوم وينقطع التيار تلقائيا في موعد مسبق الضبط بين صفر دقيقة و ٥٩ دقيقة

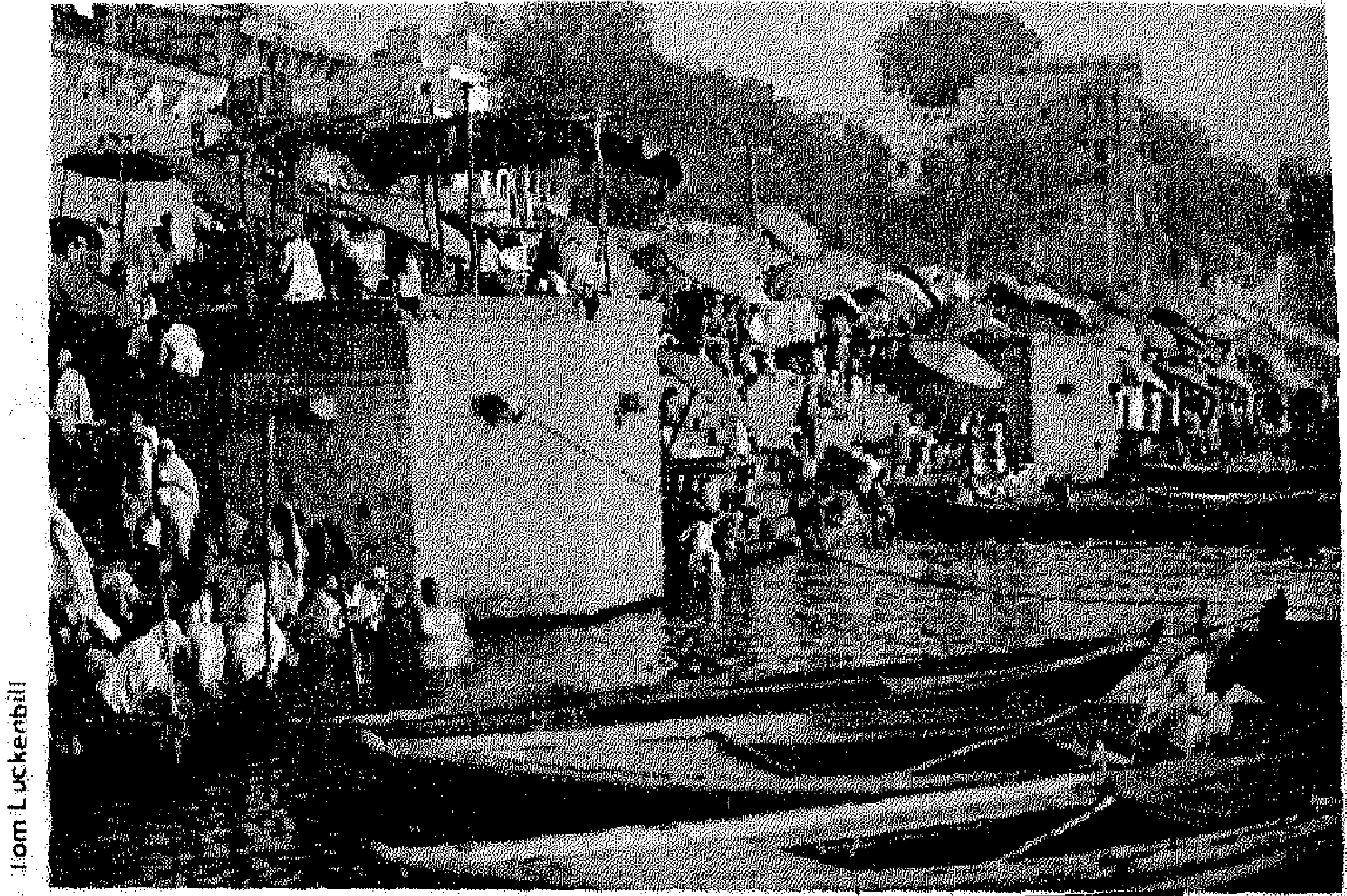
سواء اوقع اختيارك على طراز مائدة ام راديو نقالي ذي ساعة رقمية . فانك ستحصل حتما على استقبال ممتاز وكفاءة يعتمد عليها . بطريقة فيليبس . لقد ابدعت فيليبس تشكيلة ستسعدك يوما بعد يوم . ساعة رائعة . وراديو رائعا . جهازا مثاليا يجمع بين الاثنين . فاستمتع بفيليبس . الشركة التي تحرص على راحتك بابتكاراتها التكنولوجية المتقدمة !



فيليبس
الأفضل لكم دوما

الغانج
نهر الهند المقدّس

ان القيام برحلة عبر امتداد الغانج، من المرتفعات المكللة بالثلج حتى البحر، اشبه بالنظر الى مشكال يضم مجموعة لا حصر لها من الاشكال الهندسية المتعددة الالوان او موكبا فخما لا ينسى



حجاج يستحمون في مياه الغانج المقدسة على ضفاف مدينة بيناريس.

انه ينبع كجدول تفجر لتوه عالياً في جبال الحملايا، وسط ابراج جليدية صغيرة تتوجها ارياش من الثلج الذي عصفت به الريح. واذ يتدفق هابطاً نحو الجنوب فوق صخور متناثرة وجلاميد منحوتة، فانه يثب عبر غابات مليئة بشجيرات صريمة الجدي ذات زهر غني بالرحيق وبأشجار الدودودندرون البرية القرمزية. وحين تزداد سرعة انحداره فانه يدير مطاحن الحبوب التي اقامها قاطنو التلال، ثم يمر بازاء زاهد هندوسي منفرد يجمع الحطب وهو شبه عار وسط البرد الموجع. وعبر السهول الشمالية الخصبة، تتشمس تماسيح ذوات خطوم طويلة فوق ضفتيه، وتذرع مياهه الغنية بالطمي مراكب هادئة محملة فحماً.

ان مرتفعات من الرمل تتشكل فوق قاعه، ثم تختفي. وضفتاه اللتان يفصل بينهما ثلاثة كيلومترات في فصل الجفاف وتتباعدان الى قرابة ١٣ كيلومتراً في موسم المطر. وبعد ان ينزلق عبر النجد الهندي المائل وسط احد اكثر اقاليم الدنيا كثافة بالسكان، فانه يتدفق اخيراً في القنوات الكثيرة للدلتا التي تعج بالنمور الى خليج البنغال الصاخب. لقد اجتاز مسافة تقرب من ٢٥٠٠ كيلومتر ونضح المياه من منطقة تبلغ مساحتها ٧٢٠ الف ميل مربع وخلف فوق السهول مخصباً من الطمي يصل عمقه الى ثمانية كيلومترات او اكثر.

ذلك هو الغانجا، او الغانج المقدس، نهر الشفاء في نظر شعب الهند.

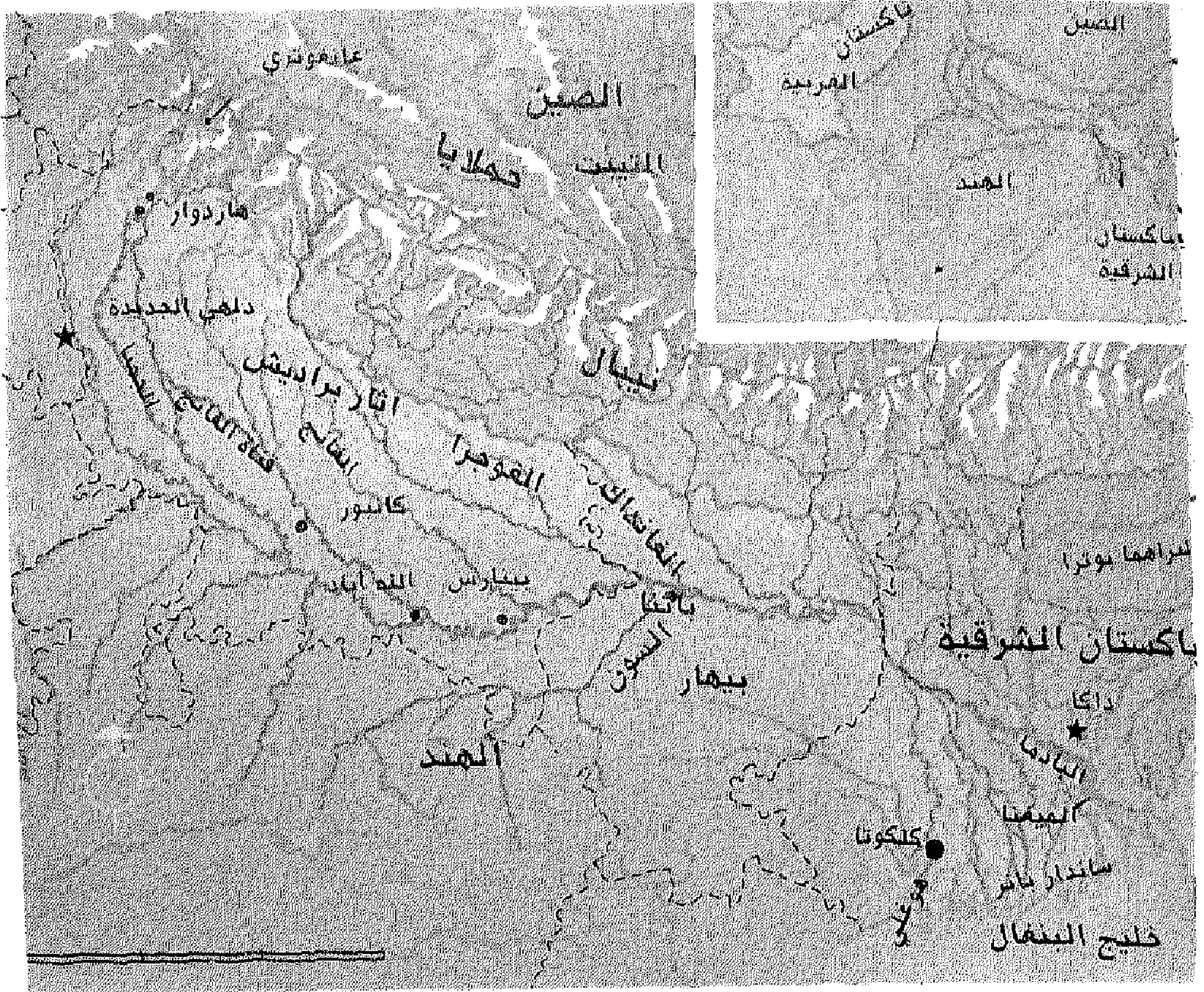
غسل الجسد والروح - يهرع الهندوس اليه كما يهرع الطفل الى امه. وبالفعل، فالغانج هو "غانجا ما" او الغانج الام. وفي المناطق الريفية من الهند فان "القسم بالغانجاجال" (اي بمياه الغانج) هو قسم لا يجوز الحنث به. ويرفع الحاج الذي يقف في النهر حتى وسطه يديه المملوءتين مياهاً الى شفتيه متمتماً بالصلاة. ويبلغ ايمانه بالنهر حد الاعتقاد أنه سوف يتطهر من الاثم اذا ما هو اغتسل به. وأما الموت على ضفتيه المقدستين فيعني اليقين بالنعيم في الحياة الآخرة.

لقد عدت الى وصل ما انقطع بيني وبين الغانج في ولاية اتار برآديش، حيث يكون النهر هبط في اتجاه السهول. وفي المرة الاخيرة التي زرت هاردوار، وهي مدينة قديمة يؤمها الحجاج، كان اكثر من مليون هندوسي قدموا ليستحموا في النهر. وفي اثناء زيارتي هذه كانت الشوارع مكتظة بالتاكسيات وبالتونغا (عربات ذات عجلتين)، فضلا عن المشاة. وكانت فرقة موسيقية تصعد انغامها في حفلة زفاف. وفي حين كانت بقرات شاردة تنعم النظر في مخازن الاطعمة، فان راهباً متسولا فظاً من جماعة "السانياسي" يضع شالا قرمزياً على كتفيه اخذ يحدق الينا بجدية.

ان الشوارع الرئيسة تقود نحو الهار - كي - بايري، او "التدرج نحو الله"، وهي اكثر اغواط (او درجات) الاستحمام قدسية في المدينة، حيث تغسل مياه النهر السريعة والباردة اقدام الورعين.

ان الحجاج عالم مصغر عن الهند الهندوسية: المزارع والعالم، والغني والفقير، والمنجم والتاجر، والارملة والعاجز يتشبثون جميعهم بحلقات حديد ناتئة من افريز النهر من اجل السلامة. وهم يأتون غالباً من مسافات بعيدة جداً ويصبرون على الحر والضجيج والذباب والجموع الكثيفة والطعام الرديء واللصوصية ليحققوا هدفهم في الحياة الا وهو غسل الجسد والروح في النهر المقدس.

وبالفعل يسير كثيرون مئات الكيلومترات لتحقيق هذا الهدف. وعند الغسق، يمكثون على ضفاف الغانج للقيام بالآرتي، اي الصلاة، ويرسلون فوق المياه مراكب من اوراق الشجر صغيرة تحمل كل منها شعلة يومض نورها وسط المياه الفضية، ويرحلون مع برود الصباح وقد حمل



بعضهم الى اهله جراراً من مياه الغانج المقدسة. وتوضع هذه الجرار في سلال مصنوعة من اغصان لدنة تتدلى من قضبان طويلة تعلق فوق اكتافهم.

مارد متقلب ـ في اتجاه الجنوب، ينساب الغانج بهدوء عبر المناطق الريفية حيث تتوسط مجموعات الاكواخ المبنية من الطين والآجر المتلاصقة، حقول القمح والدخن والشعير. وتتمرغ الجواميس السود التي يبلغ وزن كل منها نصف طن في البرك الموحلة في حين يضع راعيها، وحارسها، رجلا فوق رجل مثل كركي المستنقعات. وتنبعث من المزارع رائحة قصب السكر الباعثة على الغثيان. وتصطف العربات التي تجرها ثيران أمام بوابات معمل السكر لتفرغ حمولتها من سيقان القصب النحيلة الغضة والحديثة القطع. ويقف طاووس على حائط آجر ناشراً الوانه القزحية بكبرياء، فيما يقعقع جرار قربه معلناً موسماً مزدهراً جديداً من مواسم "الثورة الخضراء". والغانج شاهد على ذلك كله.

وهو يرى ايضاً مدينة كانبور الغنية والقذرة، التي تكثر فيها معامل النسيج ومدابغ الجلود والمصانع الحربية التي تجسد قفزة الهند الصناعية والمحن الناجمة عنها. ان ما يزيد على مليون ونصف مليون

نسان يعيشون هنا – مليون منهم يحتشدون في مساكن يتألف الواحد منها من غرفة واحدة، او في اجزاء من مثل هذه المساكن، وخمسون الفاً ينامون على الارصفة.

ان الغانج يسيل وديعاً في طرف المدينة، غير انه في ١٩٦٧ حول مجراه فجأة الى مسافة ثمانية كيلومترات مخلفاً وراءه الطمي والرمال ومخاوف المواطنين من تعطل موارد الطاقة والمياه. وقد عملت ١٩ رافعة على مدار الساعة في رفع الاوحال حتى تمكنت من اعادة تحويل مقدار من الدفق عبر قناة يبلغ عرضها ١٥٠ متراً وتتصل بالمارد المتقلب.

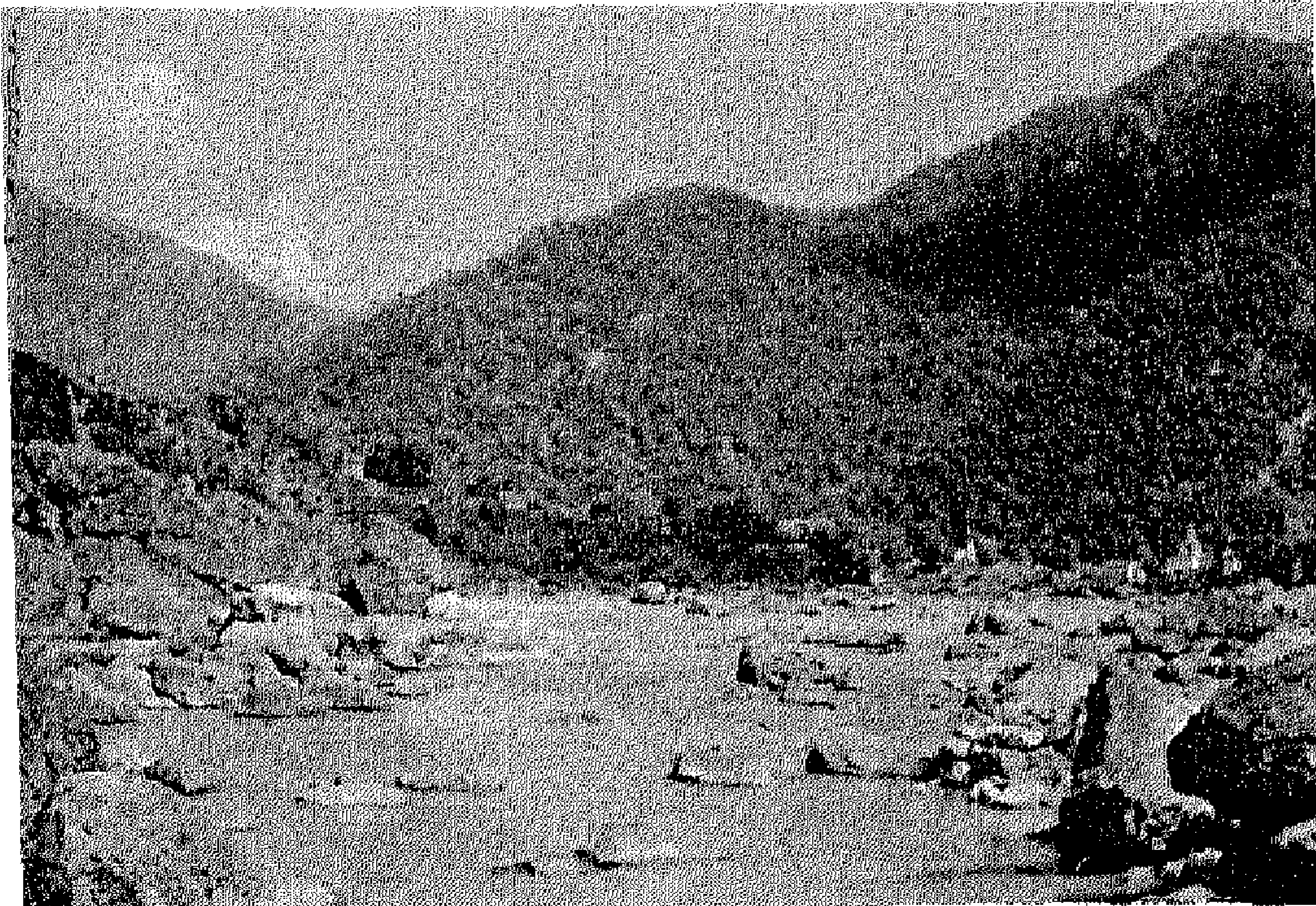
وعلى غرار النيل، يغذي الغانج التربة. اذ انه يفيض في فصل الامطار الموسمية ناشراً طبقات مترسبة من الطمي الخصب.

ان الفيضان كارثة، واما الطمي فهو نعمة وفيرة. وتغطي الفيضانات الحقول المقسمة على نحو هندسي كما لو انها الوان مائية تقطر فوق اوراق الرسم. ويقفل تدفق المياه كل الطرق، وتنهار اكواخ الطين وتتوقف الحركة كلياً في النهر.

في الله آباد يلتقي الغانج الجمنا، وهو نهر نبيل كذلك ينبع في الحملايا. ويقترب اللون الابيض المائل الى البني لاحدهما من اللون الازرق للآخر، الا ان خط التمايز بينهما يبقى واضحاً. ويعتقد الهندوس ان نهراً ثالثاً غير مرئي يجري هنا كذلك ويشكل ملتقى مثلثاً يعرف بال"سانغام"، وهو المكان الاكثر قدسية في الهند. ويأتي ملايين الهندوس ليستحموا في هذه البقعة وخصوصاً ابان مهرجان كمب ميلا الديني، الذي يحتفل به في هذا المكان مرة كل ١٢ عاماً. ويقدر عدد المستحمين في اثناء المهرجان بخمسة ملايين نسمة، يغطس معظمهم في النهر في اعقاب ال"نانغا" او الرجال المقدسين العراة الذين يقودون الدفعة الاولى من المؤمنين في الثالثة صباحاً. وفي هذه البقعة بالذات، وأمام قرابة ثلاثة ملايين هندي كانوا يراقبون المشهد من الشاطىء، نثر رماد المهاتما غاندي في الغانج عام ١٩٤٨، ومن ثم رماد رئيس الحكومة جواهر لال نهرو في ١٩٦٤.

لا غنى عنها – هنا يجري الغانج

Francis-Bruel, Paris



نهر الغانج ينساب عند سفح جبال الحملايا، قبل ان تنضم اليه روافده.

كولوربارست للتصوير الفوري

بجهاز
مبيت للضوء
الخاطف!

LIGHTEN
DARKEN

COLORBURST
A KODAK INSTANT CAMERA MADE IN USA

COLORBURST

كولوربارست
للتصوير الفوري
ألوان ساطعة من كوداك

عزم جديد، بعد ان انضم اليه لجمنا، نحو بيناريس، احدى اقدم دن الهند. ان بيناريس اشبه بمتحف ترائر واقمشة مطرزة وهي مركز لعلوم الهندوسية والفنون الاسلامية. لكن قصورها وشوارعها القديمة ثيبة وخربة. وحده الغانج والحجاج ذين يؤمون هذا المكان يمنحون يناريس الحياة.

وعلى غرار زائري بيناريس، اقبت طقوس الاستحمام من زورق مجاذيف وسط النهر، ولفتني حاج شاب كان يودع امتعته الضئيلة كاهناً راهمياً يجلس ازاء النهر تحت مظلة من اغصان الاسل. وكان رأس الحاج حليقاً، وقد طلى جسده بالزيت اتقاء لالتصاق وحل النهر به. وحينما غطس في المياه المدومة ردد صلاة قديمة م الهند نفسها: "يا الله، ايها شمس الساطعة بالوان الاشعة، يامن إلف مجموعة جلالات، ارحم متعبدك متواضع". ثم رسم الكاهن علامة قدسة على جبين الحاج بعجينة من شب الصندل.

بعد ذلك زرت غوط حريق، او لمنطقة التي تحرق فيها جثث لموتى، في اسفل النهر على اكمة ظللها اشجار النيم. وهنا كان لنادب الرئيسي اضرم النار بشعلة من لمعبد. ولم المح اي دموع، فالهندوس يأملون بانعتاق الانسان بالموت وحلول نفسه في جسد افضل.

واذ كنت اراقب الحجاج وهم يستحمون في مياه النهر ويشربون منها، فقد سألت دليلي عن امكان وجود تلوث في هذه المياه. فاجابني معبراً عن ايمان الهندوس جميعاً بطهارة النهر، قائلا بلهجة حازمة: "هناك معادن في قاع النهر الى الشمال تطهر المياه حين تجري فوقها". (يصعب ان يكون ذلك صحيحاً لان الاوحال والمياه القذرة ونفايات المصانع تطرح في الغانج في كثير من الاماكن).

وتابعنا رحلتنا في ولاية بيهار الغنية بالحديد والفحم حيث يعيش شعب الهند القبلي الذي يحرث الارض او يعمل في المصانع والذي، على غرار اسلافه، يغني ويرقص في بيدر القبيلة بعد فراغه من العمل اليومي. وهنا يتسع النهر على نحو مثير ليضم اليه الغوجرا والسون والغانداك، وهي انهر جبارة. وفوق باتنا، وهي عاصمة الولاية، هناك سدود في وجه الفيضانات ترتفع الى علو ستة اقدام على ضفتي النهر.

"على السماء ان تؤازر الارز" هذا ما قاله لي احد مسؤولي ولاية بيهار قبل سنوات وفي وقت كان الجفاف قد انتاب نصف بيهار. لكن المطر لم يأت: كانت الحقول العارية والمقفرة ترتعش تحت الشمس، وقد سرت في حقول كانت مشققة. غير ان الارز كان وفيراً في الاجزاء التي يرويها الغانج. وكانت العربات التي تجرها الثيران تنقل الى السوق اكياساً كبيرة يكاد الارز يتفجر منها.

كان سهلا ان يرى المرء ماذا يعني الغانج للهند الريفية.

نهاية الارض – بعد ذلك يدخل النهر، في رحلة الى خليج البنغال، بلدا آخر، هو باكستان الشرقية. ومن جديد ينضم الغانج الى انهر اخرى هي: البراهما بوترا، والجامونا، والبادما، والميغنا التي لا تلبث ان تتفرع وتتوزع مياهها في قنوات عدة تتجه

كلها الى البحر بصفتها "مصبات الغانج".

وفي العام ١٩٧١ كانت غيوم النزاع والحرب الاهلية تخيم فوق منطقة الدلتا الاستوائية التي يبلغ عرضها ٤٠٠ كيلومتر. وكان موضوع النزاع سد فراقة الذي تبنيه الهند فوق النهر على بعد ١٧،٦ كيلومتراً من حدود باكستان الشرقية لأن هذا السد، عندما ينجز، سيحول المياه عن الغانج ليغذي نهر هوغلي في الهند المسدود بالطمي والذي كان في السابق المجرى الرئيسي للغانج، وهو الآن منفذ كلكوتا الحيوي على البحر. وتقول الهند انه سوف يظل في الغانج من المياه ما يفيض عن حاجات باكستان، غير ان باكستان تتخوف على مزارعها وغاباتها ومواطن صيد الاسماك فيها في اثناء الفصل الجاف وتنكر حق الهند في العبث بالمياه الدولية.

كانت كلكوتا، اكبر مدن الهند



الدلتا وقد غمرتها المياه في فصل الامطار الموسمية.

التي يعيش داخلها سبعة ملايين نسمة، القلب النابض للفنون والآداب والفلسفة البنغالية، والعاصمة المالية للهند الشرقية. اما اليوم، ومع انها لا تزال مدينة نابضة بالنشاط، فهي تعتبر اكبر "مدن التنك" في البلاد. فالفقر فيها مفجع، ويعد بعشرات الالوف الناس الذين لا يعرفون اين سيبيتون او متى سيأكلون. ورفع الاوحال باستمرار هو وحده الذي يبقي نهر هوغلي صالحاً للملاحة.

وعلى بعد قرابة مئة كيلو متر اسفل كلكوتا يجري نهر هوغلي في متاهة شاسعة من الغابات والانهر الاستوائية تعرف بـ"ساندار بانز" اي "الدغل الجميل" وتمتد هذه المتاهة داخل باكستان الشرقية. وثمة نوع غريب من الاسماك يسمى صوري الوحل يجري على الضفاف. اما نمر البنغال الملكي الذي غدا ضحية صيادين ينتهكون القوانين من دون حياء، فأنه ينتهك القوانين بدوره فهو يسبح في الليل ليختطف حطاباً نائما في زورق مربوط اعلى النهر.

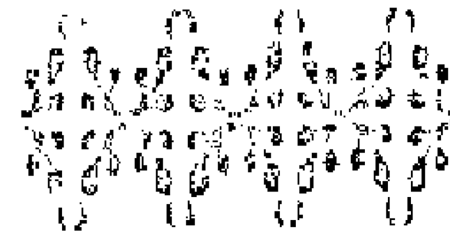
وحين يهطل المطر الموسمي تصبح كل الدلتا الواقعة شرق كلكوتا بحراً داخلياً.

لكن الغانج هو دائم التدفق، ويبدو النهر والخيوط المائية المتفرعة عنه لامعاً وسط الدلتا الخصبة. وتتولى النساء البنغاليات ذوات الشعور الفاحمة الطويلة والعيون اللوزية نقل نبتات الارز الصغيرة وزرعها في التربة الطفالية. وتتموج الاوراق الخضراء لاجمات الشاي وتومض في اراضي التلال القريبة. أما رجال القبائل الذين يحملون اقواسهم وسهامهم فيشقون طريقهم ببطء في

عشب السافانا متجهين الى الاسواق. وتنفخ في المجاري المائية الاوسع مفداقيات تشرف على مراكب مسطحة محملة بضائع متجهة الى تلال البنغال. ويتخلل الدخان المنبعث من النار المشتعلة في القرى اشجار النخيل المنتصبة على جوانب النهر. ويظل النهر دائما وسط المشهد. ولا يزال العالم الهندوسي يأتي اليه الشفاء، كما فعل منذ الوف السنين.

ويقول نهرو في وصيته "ان الغانجا هو نهر الهند الاثير على شعبها، الذي تشابكت حوله ذكرياتها العرقية وآمالها ومخاوفها، واغاني ظفرها وانتصاراتها وهزائمها. لقد كان الغانجا رمز ثقافة الهند وحضارتها السرمدية،متغيراً ابداً ودائم التدفق، غير انه يظل دائماً الغانج نفسه".

■ جون فرايزر



مهنة غير عادلة

اخبرتني راهبة زارت ايرلندا حديثاً انها ذهبت يوماً لترى الحجر الشهير في قلعة بلارني، اذ تقول الاسطورة ان من يقبل الحجر يكسب قدرة على التملق والاسترضاء. وحين سألت حارس الحجر عن شعوره تجاه عمله، أجاب: "انها مهنة عقوقة يا اختاه. فبعدما اقوم بالعمل كله بمفردي يأتي الناس الى هنا ليقبلوا الحجر".

م.م.

جمهور سيىء النية

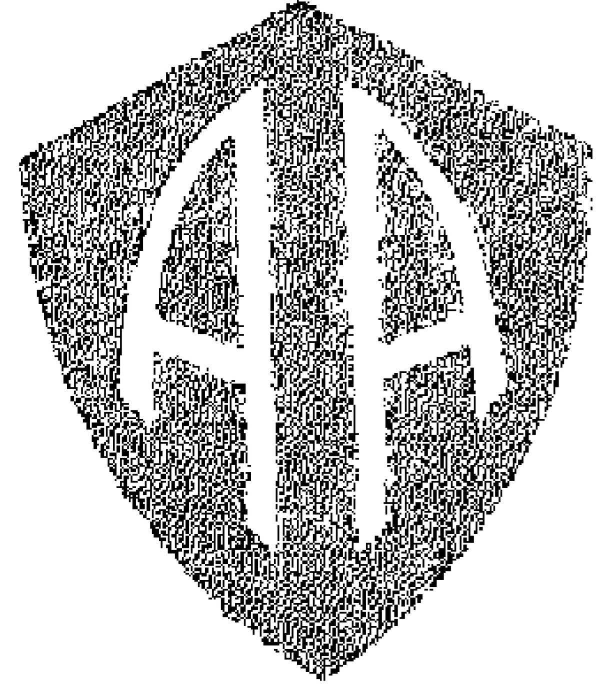
زخريا فيرنر شاعر رومنطيقي من القرن الثامن عشر، عُرف بتجاوزاته القانونية. لكنه صار كاهناً، وجال كنائس فيينا عام ١٨٠٩ يلقي عظات ملتهبة عن الخطايا الشهوانية. وفي أحد الايام راح يخطب في جمهور كبير، متكلماً عن "تلك القطعة الصغيرة من اللحم التي هي اخطر عضو في جسد الانسان". وشحبت وجوه الرجال واحمرت وجوه النساء وهو يستفيض في الكلام عن العواقب المريعة لسوء استعمال ذلك العضو الصغير. واستمرت عيناه الثاقبتان تقدحان شرراً وهو يتابع شرحه النابض بالحياة.

وقبيل انتهاء العظة، انحنى قليلا فوق المذبح وصاح بالمستمعين: "هل اسمي لكمتلك القطعة الصغيرة من اللحم؟" وران صمت مطبق على المكان. وفتحت النسوة حقائبهن ليخرجن منها املاح الشم التي تستعمل في حالات الصداع والاغماء. أما هو فانحنى مرة اخرى واستجمع صوته في صرخة مدوية: "هل اريكم تلك القطعة الصغيرة من اللحم؟" فصمت الناس مرتعبين وانقطعت أنفاسهم.

عندئذ عبرت على وجه فيرنر بسمة حكيمة ماكرة، وخفض صوته قائلا: "سيداتي وسادتي ـ انظروا! هذا هو مصدر خطايانا"... ومدّ لسانه خارج فمه.

د.م.غ.

فندق رأس الخيمة

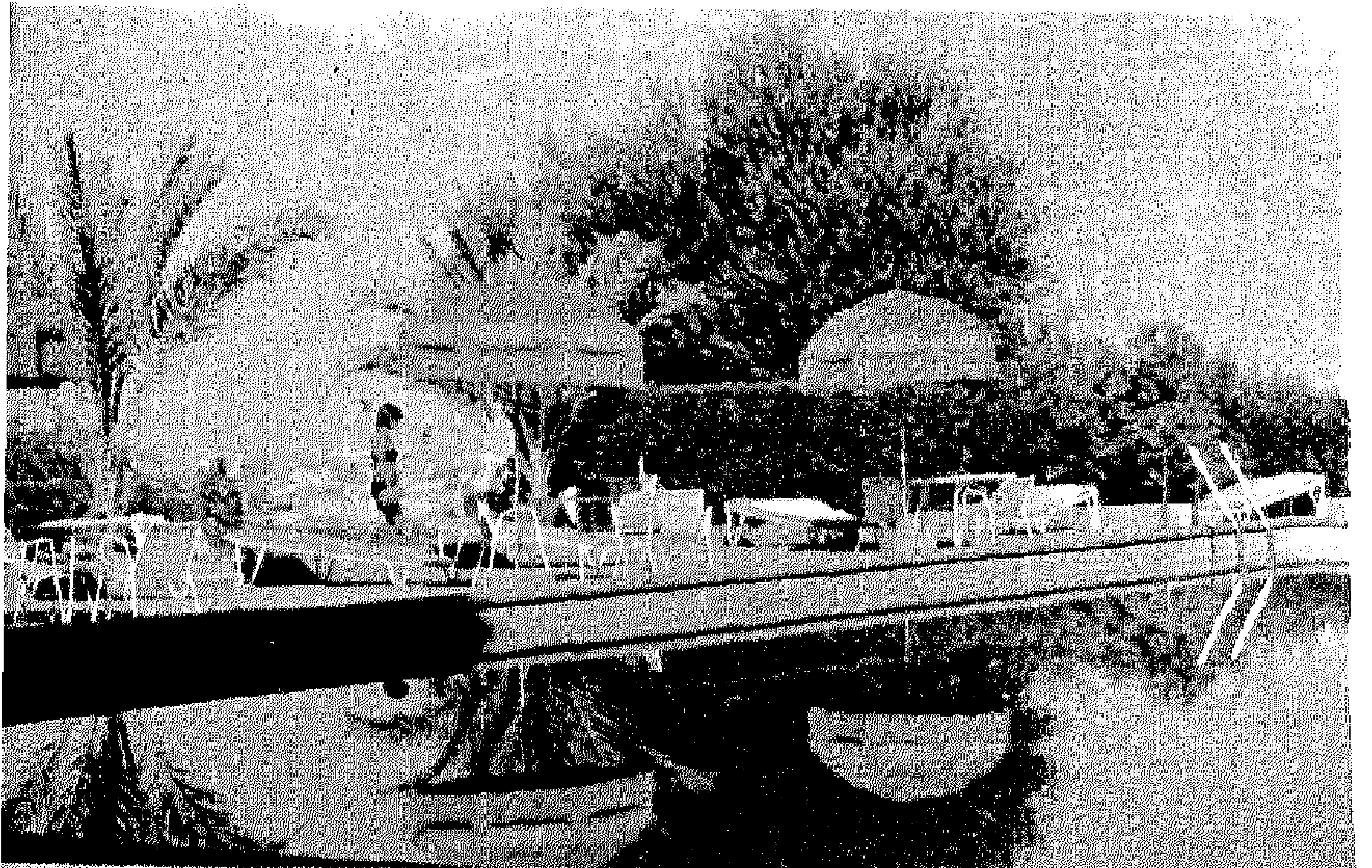


يتمتع بتقاليد مجموعة أبيلا في الخدمة والضيافة



تمثل فنادق مجموعة ابيـ
ومرافقها السياحية قطاعاً متوس
هو في اطراد.

وتنتشر مجموعة ابيلا في أنـ
الشرق الاوسط، وهي آخذة فـ
الامتداد الى القارة الاوروبية، وا
رأس الخيمة في دولة الامارا
العربية المتحدة، تملك المجمو
فندقاً يضم ١٠٨ غرف وعشريـ
"بانغالو" مشجرة اضافة الى العد
من دور الضيافة في بلدان الشـ
الاوسط.



طريقك الى الصحة واللياقة الجسدية وطول العمر...
قطعها على قدميك

الرياضة المثالية

حين بدأت رياضة المشي للمرة الاولى، كان ذلك وسيلة للهرب. فبعد صباح متعب في المكتب، كنت أقوم بنزهة منعشة وقت الغداء، تتيح لي تنشّق الهواء النقي وتحسّس أشعة الشمس. ثم وجدت أن نزهة اخرى في نسيم الليل البارد هي طريقة ممتازة للاسترخاء.

ولن أنسى، ما حييت، ذلك الشعور الذي انتابني في امسية شتوية وأنا أسير عبر الشوارع المهجورة بعد ساعات طويلة مرهقة قضيتها في المستشفى. فقد تحررت فجأة من الضغط والتعب. وسرعان ما تبخر قلقي حيال مرضاي وهمومي الشخصية كما كانت تتبخر أنفاسي المشبعة بالرطوبة في تلك الليلة الجليدية.

وبعدما اتخذت من المشي رياضة ثابتة، ارتفعت معنوياتي فيما راح وزني وضغط دمي ينخفضان تدريجاً. وباشرتُ مراجعة المواد الطبية المكتوبة حول المشي. وحين قارنتُ ذلك بملاحظاتي العيادية كطبيب للعائلات، تبين لي أن المشي سبيل الى صحة أفضل وجسم أجمل وحياة أطول، مهما كانت السن التي نشرع فيها بهذه الرياضة.

ان المشي، كالسباحة وركوب الدراجة والركض، رياضة هوائية تعتمد على الاوكسيجين الذي ترفع نسبته في الجلد والعضلات، مما يقوي طاقة الجسم ومناعته ويزيد من عمره. وربما كانت هذه الرياضة عنصراً رئيسياً لتجنّب أمراض القلب والدورة الدموية.

ولعل المشي أقل الرياضات الهوائية عسراً. لذلك كان أدعى الى القبول بالنسبة الى غالبية الناس. والمشي بسرعة معتدلة يرفع من جدارة الجهاز الدموي - التنفّسي عن طريق حَفْز الرئتين والقلب. لكن هذه النتيجة، في حال المشي، تأتي تدريجاً، وإن تكن في حال الرياضات الاخرى تتم على نحو أسْرَع.

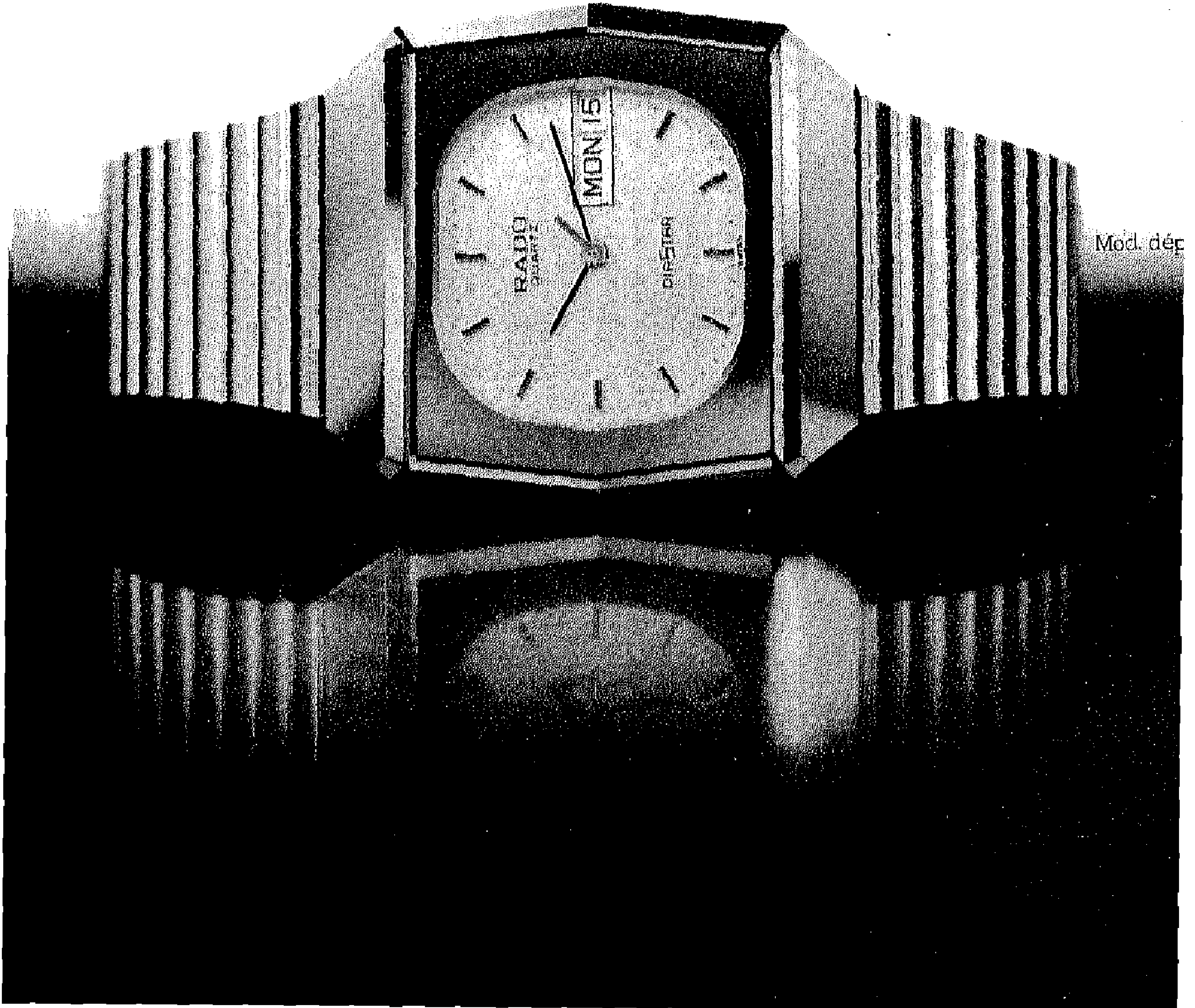
وقد أظهر اختبار أُجري على مجموعة من الرجال تراوح أعمارهم

مقياسُ الزمَن

ليسَ صدفة أن تكون رادو إحدى الساعات
السويسرية الرائدة في العالم ، فالكمال الفني هو بديهيٌ
في جميع موديلاتها . خذ مثلاً حركة الكوارتز المتناهية في
دقتها بحيث تضمن عدم زيادة فرق التوقيت عن بضع ثوان في السنة .
ثم إن ساعات رادو هي أكثر من مجرّد منتجات للدقة . إن جاز التعبير ،
إنها تمثل فلسفة في المفهوم والتصميم نادرة في عالم اليوم حيث أن
رادو لازالت تؤمن في الجديد الغير مطروق وترفض
كل مايعيقها في بحثها عن الكمال .

RADO رادو

مقياس الأناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن



بين الأربعين والسابعة والخمسين يمشون بخطى سريعة أربعين دقيقة يومياً لمدة أربعة أيام في الاسبوع، أن التحسّن الذي طرأ على صحتهم يوازي التحسّن الذي طرأ على مجموعة اخرى ذات أعمار مشابهة، يتابع أفرادها المشي الوئيد لمدة ثلاثين دقيقة يومياً خلال ثلاثة أيام في الاسبوع. وكان افراد المجموعتين يمارسون رياضتهم في الفترة نفسها. وقد سجلت دقات قلوبهم السريعة وكمية الشحم في أجسادهم هبوطاً ملحوظاً. وهذا التقدم برهان على بعض منافع المشي المهمة، بل الحيوية.

الدورة الدموية والتنفّس – هناك أدلة على أن المشي يوسع الجوانب الضيقة في شرايين القلب التاجية، مقللا من امكان الاصابة بنوبة قلبية. واذا كان هناك شخص عصبي المزاج ويدخن السجائر في الوقت نفسه – واجتماع الأمرين آفة قتالة – فالمشي يحسّن حاله عبر خَفْض نسبة أول اوكسيد الكربون والنيكوتين المرتفعة جداً في دمه. وربما زاد المشي أوعيته الدموية مرونة، مما يقلل من امكان انفجارها تحت الضغط وبالتالي من امكان اصابته بنوبة قلبية.

وبين المرضى الذين اعالجهم رجل في الرابعة والستين، وهو مصاب منذ زمن بضغط مرتفع ومرض في شرايين القلب التاجية، سألني ان كان يجوز له ممارسة نوع من الرياضة يحسن حاله. فأجبته بأن هناك نشاطاً مثالياً لمثل حاله هو: المشي. ولم يقتنع بذلك حتى أوضحت له أن في امكانه البدء ببرنامج معتدل يفضي به الى المشي لمدة ساعة كل يومين، قاطعاً مسافة تراوح بين ثلاثة كيلومترات وخمسة. وبعد انقضاء ستة أسابيع، كان صاحبنا يمشي مسافة أربعة كيلومترات يومياً. ونقص وزنه قرابة ثلاثة كيلوغرامات، فيما هبط ضغطه على نحو ملحوظ.

الوزن والتناسُب – إن البدانة مرتبطة بالعجز والموت المبكر الناجمين عن أمراض عدة، خصوصاً ارتفاع الضغط واعتلال القلب واختلال الجهاز التنفسي. الا ان زيادة الوزن لا تشكل بالضرورة داء فتاكاً ما لم تصاحبها أعراض مثل السكري وارتفاع ضغط الدم والتدخين والقعود عن العمل والحركة. وفي هذه الحالات، يصبح انقاص الوزن ضرورياً. وأفضل طريقة لتحقيق ذلك هي تبني برنامج مدروس للأكل والرياضة، يوازن بين سعرات الحرارة الداخلة عن طريق الطعام والسعرات الخارجة عن طريق الرياضة.

ولكن ألا تفتح الرياضة شهية المرء وتجعله يأكل أكثر؟

الجواب عن هذا السؤال هو النفي. وهناك دراسات أظهرت أن الرياضة تنقص الشهية بما لها من أثر على ذلك الجزء من الدماغ المتعلق بالقابلية على الأكل، كذلك بابعاد جَرَيان الدم عن القناة الهضمية وحَفْز العضلات على إذابة الشحم في الدم عوضاً عن إذابة السكر.

كما أن المشي يحرق السعرات الحرارية. وهناك حاجة الى ٣٥٠٠ سعرة حرارية داخلة أو خارجة لاضافة ٤٥٣ غراماً الى الوزن أو إنقاصها منه. وبما أن المشي المعتدل لمدة ساعة

نظــام المشــي:

الوقت، السرعة، المسافة

ينطوي المشي على عناصر المرح والسهولة والمرونة. وهذا يفسر لماذا يثابر ممارسو هذه الرياضة عليها، في حين تشهد أنواع الرياضة الاخرى عدداً كبيراً من المنسحبين. لكن النظام ضروري لكل حقل. ولكي يكون المشي فعالا، يجب ان يمارَس بانتظام لمدة تراوح بين ٤٥ دقيقة و٦٠ دقيقة كل مرة خلال ثلاث مرات على الأقل في الاسبوع. واقترح ان يبدأ البرنامج بفترة تكييف تستغرق ستة أسابيع، خصوصاً من أجل المتقدمين في السن والذين لم يتعودوا الرياضة.

يُبْدَأ بالمشي ١٥ دقيقة مرة كل يومين خلال اسبوعين. وترفَع المدة الى ٣٠ دقيقة في اليومين خلال الاسبوعين اللاحقين، ثم تصل تدريجاً الى ٤٥ – ٦٠ دقيقة أربع مرات في الاسبوع.

وليس طول الخطوة أو قصرها مهماً بالنسبة الى الراحة. وقطع ثلاثة كيلومترات في الساعة ببطء أو خمسة كيلومترات باعتدال أمر مقبول. أما قطع ستة كيلومترات ونصف كيلومتر بسرعة فهو أمر شاق ومرهق بالنسبة الى معظم الناس وليس ملائماً في المدى الطويل. وتجدر الاشارة الى أن الوقت الذي يقضيه المرء في المشي أهم من حجم الخطوة. وتجب المحافظة على نظام ثابت. واذا كان أسهل على شخص ان يمشي نصف ساعة يومياً من أن يمشي ساعة كل يومين فهذا حسَن. كما أن المشي ١٥ دقيقة صباحاً و٣٠ دقيقة ظهراً يعادل المشي المستمر طوال ساعة كاملة. ولكن للحصول على أفضل نتائج الرياضة الهوائية، يحسن ألا يقلّ وقت المشي في المرة الواحدة عن ١٥ دقيقة. وعلى الراغب ان يضع برنامجاً ينسجم ومتطلبات عمله، ولكن عليه ان يبذل كل جهده للتقيد به. ويمكن ان يكون البرنامج مرناً، من غير ان يقل عن ثلاثة أيام في الاسبوع.

وهذه بعض نصائح اضافية:

- ☐ على رغم ان المشي من أسهل التمارين وأقلها ارهاقاً، الا أنه تجدر استشارة الطبيب قبل الاقدام على ذلك.
- ☐ تجنّب المشي بعد الأكل مباشرة، وكذلك في الطقس الشديد البرودة أو الحرارة أو العَصْف أو الرطوبة.
- ☐ لا تدفع جسدك الى الأمام الا طلباً للتنفّس. وإذا شعرتَ بالتعب فتوقّف واسترح.
- ☐ ضع في رجليك خفين واطئي الجوانب للحصول على أكبر مقدار من الراحة والأمان.
- ☐ امش برفق وهدوء، ولكن لتكن كل خطوة من خطواتك قوية. وبعد وقت من التمرين، ستحصل على الخطوة التي تلائم طولك ووزنك.

يحرق ٣٠٠ الى ٣٦٠ سعرة، فالمشي لمدة ساعة كل يومين يؤدي الى إحراق ٦٨٠ غراماً في الشهر وثمانية كيلوغرامات في السنة، شرط ان يبقى معدل الطعام ثابتاً. ومن أجل انقاص الوزن بسرعة أكبر، على المرء ان يمشي ساعة يومياً ليخسر ١٫٣٦ كيلوغرام في الشهر و١٦ كيلوغراماً في السنة.

وبين مرضاي امرأة تعمل وراء طاولة في مكتب، وهي أثبتت جدوى هذه الطريقة. وقد كانت في صحة جيدة ووزن مقبول بالنسبة الى طولها. لكن أعلى فخذيها كان ضخماً ومترهلا. ولم تكن الحمية عن الطعام حلا فعالا في حالها.

صَبَاحُ الخَيْر!



نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

وقد بدأت تمارين تستغرق عشر دقائق يومياً من أجل تقوية بنيتها وضبطها. لكنها لم تلبث ان أقلعت عنها بعد أسابيع لأنها كانت "مرهـِقـَة". وتوجهت بعد ذلك الى منتجـَع من المياه المعدنية حيث تسنت لها السباحة واستخدام بعض الآلات. لكن أعمالها الملحة لم تتح لها استعمال تلك الطريقة بانتظام.

ورفضت نصيحتي لها بأن تقطع مسافة الـ١٥٠٠ متر بين مسكنها ومكتبها مشياً حين علمت أنها لن ترى النتيجة قبل شهر على الاقل. وقلت لها: "ولكن ماذا تخسرين؟ ان أسوأ ما يمكن حدوثه هو أنك ستوفرين بعض المال والوقود واجور ايواء السيارة في مرأب".

وأخيراً حاولت ما قلتـُه لها، وهي لا تزال تفعل ذلك حتى الآن. والنتيجة أنها اليوم تلبس ثياباً تقل قياساً واحداً عما مضى، وأن عضلات معدتها أشد وبطنها غير منتفخ، وأن فخذيها فـَقـَدا تلك الصفة العجينية الهشة.

على طريق الشيخوخة — ربما كان للعناصر الوراثية أثر في مدة العيش، لكن الطريقة التي يعيش بها المرء ذات أثر على طول أيامه ونوعية حياته في مرحلتها الاخيرة. ومعلوم ان كل عقد يلي السن الثلاثين يحمل معه نقصاً في قدرة القلب على ضخّ الدم بنسبة ٦ الى ٨ في المئة، وارتفاعاً في ضغط الدم بنسبة ٥ الى ٦ في المئة، وخسارة في عضلات القلب بنسبة ٣ الى ٤ في المئة. وتفقد أوعية الدم قابليتها على التمدد، كما تفقد الرئتان مقداراً كبيراً من مرونتهما.

وكلما قل نشاط المرء، كانت الشيخوخة أسرع اليه وضعفت مناعته تجاه المشكلات الجسدية والنفسية. ولا نبتعد عن الصواب حين نربط بين التقاعد الذي يحمل معه القعود عن العمل وذلك التخلـّف الذهني الذي يسمى "الخـَرَف".

وهناك شخص عمل في حقل البناء ابتداء من السن الخامسة عشرة وكان ذا بنية جسدية متفوقة. وما ان تقاعد حتى قصر نشاطه اليومي على مشاهدة التلفزيون والاكثار من المآكل الخفيفة. وبعد ثماني سنوات على هذا المنوال، زاد وزنه ١٣،٥ كيلوغراماً وأ ُصيب بالتهاب في مفاصل عظامه. وكان أفراد عائلته، بدافع محبتهم له، عوّدوه العيش بتلك الطريقة الخاملة.

وهذا الشخص لا يفعل شيئاً اليوم أكثر من النوم والأكل. لكنه يحس دائماً بالتعب وأحياناً كثيرة بالكآبة. ولو وضع في برنامج تقاعده المشي مسافة طويلة يومياً والأكل باعتدال، لكان اليوم يستمتع بهذه الفترة من حياته التي طالما تاق اليها، متحرراً من ضعفه الجسدي والذهني.

ومهما تكن بلغتَ من العمر، فاليوم هو الوقت المناسب للتفكير في سلامتك الجسدية كما تفكر في الراتب الذي يأتيك من التقاعد أو التأمين. والحق أن المشي طريقة دفاع فعالة ضد هجمات الأمراض الفتاكة والشيخوخة. انه طريقة وهبتك اياها الطبيعة لضبط جسدك.

■ فريد ستوتمان

دكتور في الطب

اهتمام جديد يجتذب الهواة
في انحاء العالم

جمع البطاقات البريدية


Picture Postcards of the Golden Age A Collector's Guide by Tonie and Valmai Holt.

)، رسم ايفا دانييل، (١٦٠)

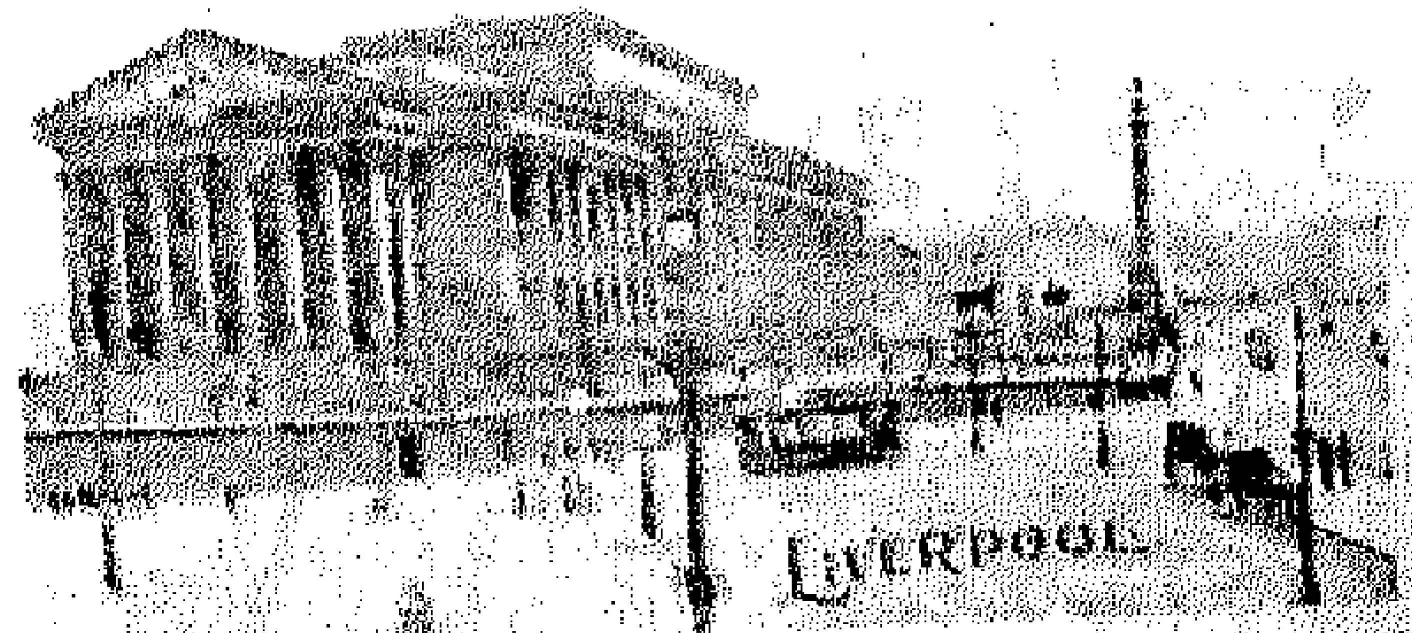
في العام ١٩٦٥ دفع المحاسب اللندني ديفيد بيرلمان بنساً انكليزياً واحداً ثمناً لبطاقة بريدية رسمها عند منقلب القرن فنان يدعى الفونس موشا. هذه البطاقة، وهي صورة موقعة تمثل امرأة طويلة الشعر في ثياب منسابة رسمت باسلوب "آر نوفو"، اي الفن الحديث، الذي ازدهر في تلك الفترة، ثمنت اخيراً بمئة جنيه استرليني اي بزيادة ٢٤ الف ضعف. هذا التطور يوضح سبب تحول جمع البطاقات البريدية الى أحدى الهوايات الاكثر رواجاً اليوم. هناك الآن نحو مليون هاو متحمس في اوروبا الغربية والولايات المتحدة وتنتشر انديتهم في كل مكان. وفي العام ١٩٧٩، في اكثر من ٣٠٠ معرض

ول بطاقة بريدية في العالم؛
كوريسبوندنتس – كارته" النمسوية؛
١٨٦٠

جزء تفصيلي من بطاقة مولان رو
لطاحونة الحمراء) للرسام الفرنسـ
الشهير تـولـوز – لوتريك؛ ١٨٩٨



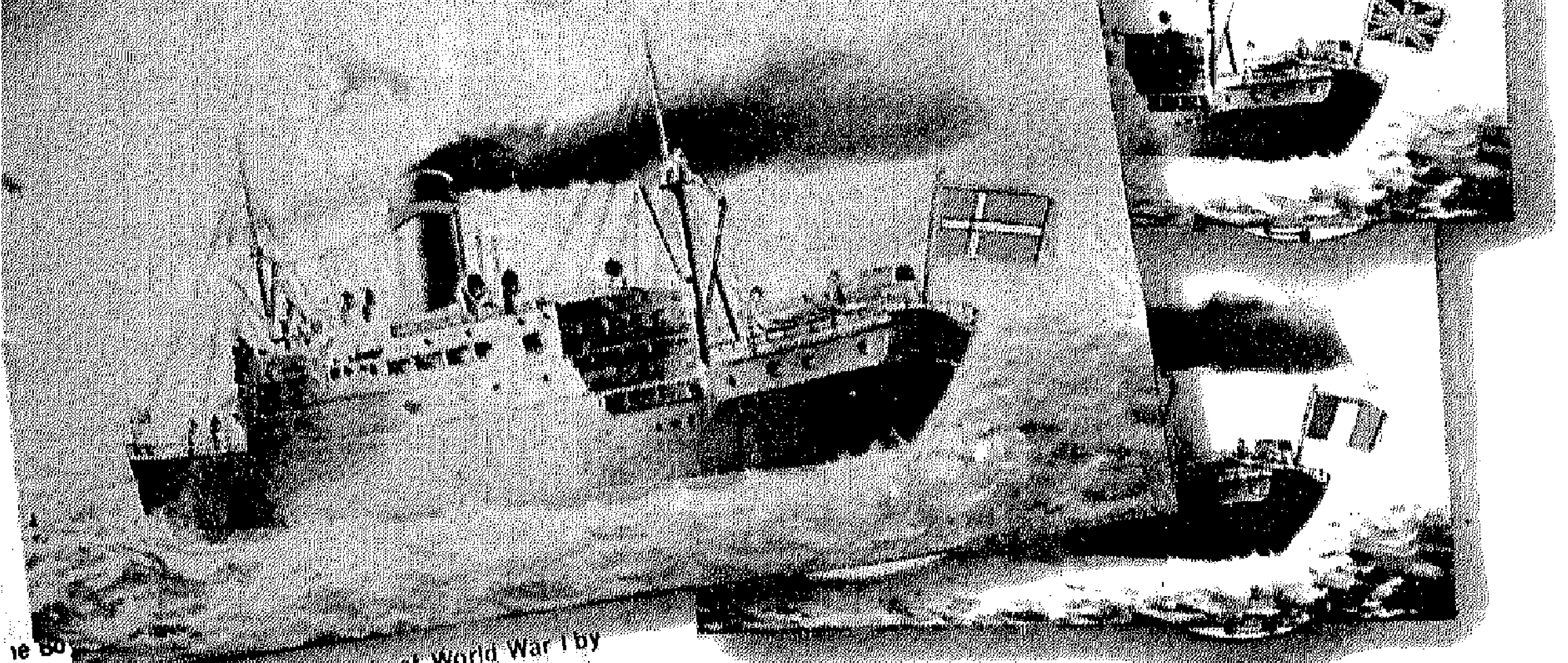
Correspondenz-Karte.



بطاقة معدنية من سلسلة جونارد؛
تمثل مدينة ليفربول الانكليزية؛
١٩٠٥

"بطاقة ميكانيكية" موالية للالمان تدين السفن التجارية البريطانية لرفعها اعلاماً محايدة لخداع الغواصات الالمانية، دولاب الهواء الظاهر في البطاقة اتاح تغيير الاعلام؛ ١٩١٥

England and the Merchant Flag Humbug



The Postcards of the Golden Age: A Collector's Guide by Tonie and Valmai Holt.

Tonie and Valmai Holt Collection.

...World War I by

بطاقات البريدية في اوروبا غربية، تبادل مئات الوف الزائرين، وافدين من بلدان بعيدة مثل وستراليا والارجنتين واليابان، لايين البطاقات التي بلغت قيمتها ٢٠٠ مليون فرنك فرنسي (نحو ٥٠ مليون دولار). وهناك كثير من دور لبيع بالمزاد العلني، وبينها مؤسسات شهيرة مثل "سوثبي" في لندن، تضيف البطاقات البريدية الى مبيعاتها.

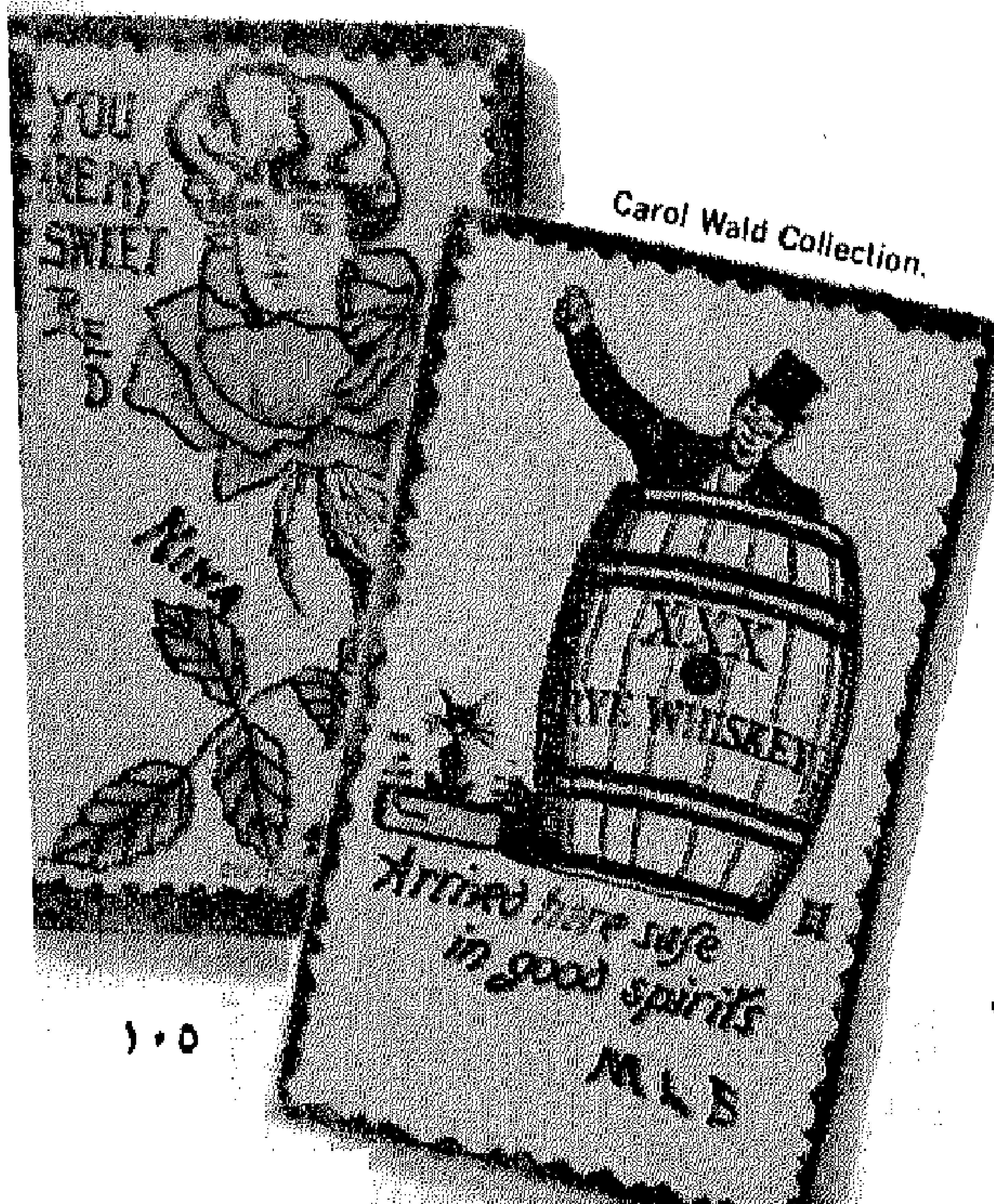
ولا يعلم احد كم يبلغ عدد البطاقات البريدية المختلفة في العالم. ولكن يبدو ان الحد الادنى هو عشرة ملايين. وهي تكاد تعالج كل موضوع يخطر في البال. وتضم مجموعة نفيسة لدى هاوية باريسية اكثر من ١٥٠٠ بطاقة عن كذبة ابريل (نيسان)، يعود عهدها الى ما قبل العام ١٩١٤. وينحصر اهتمام هاو آخر في بطاقات مصورة تمثل المقابر وشاهدات الضرائح. ويهتم المؤرخون بالبطاقات القديمة لانها، في اعتبارهم، سجل احداث لم تدخل كتب التاريخ قط: مباراة لجمال الاطفال في مقاطعة بريتاني الفرنسية عام ١٩٠٠، حريق في متجر كبير للالبسة في مدينة بطرسبورغ الروسية (لينينغراد حالياً) عام ١٩٠٤. ويقول الكاتب البريطاني كيث ووترهاوس: "البطاقات البريدية تكتب تاريخ الحياة العادية".

كلنا مبتدئون — تنسب البطاقات البريدية الى استاذ الاقتصاد النمسوي عمانوئيل هيرمان، الذي اقنع



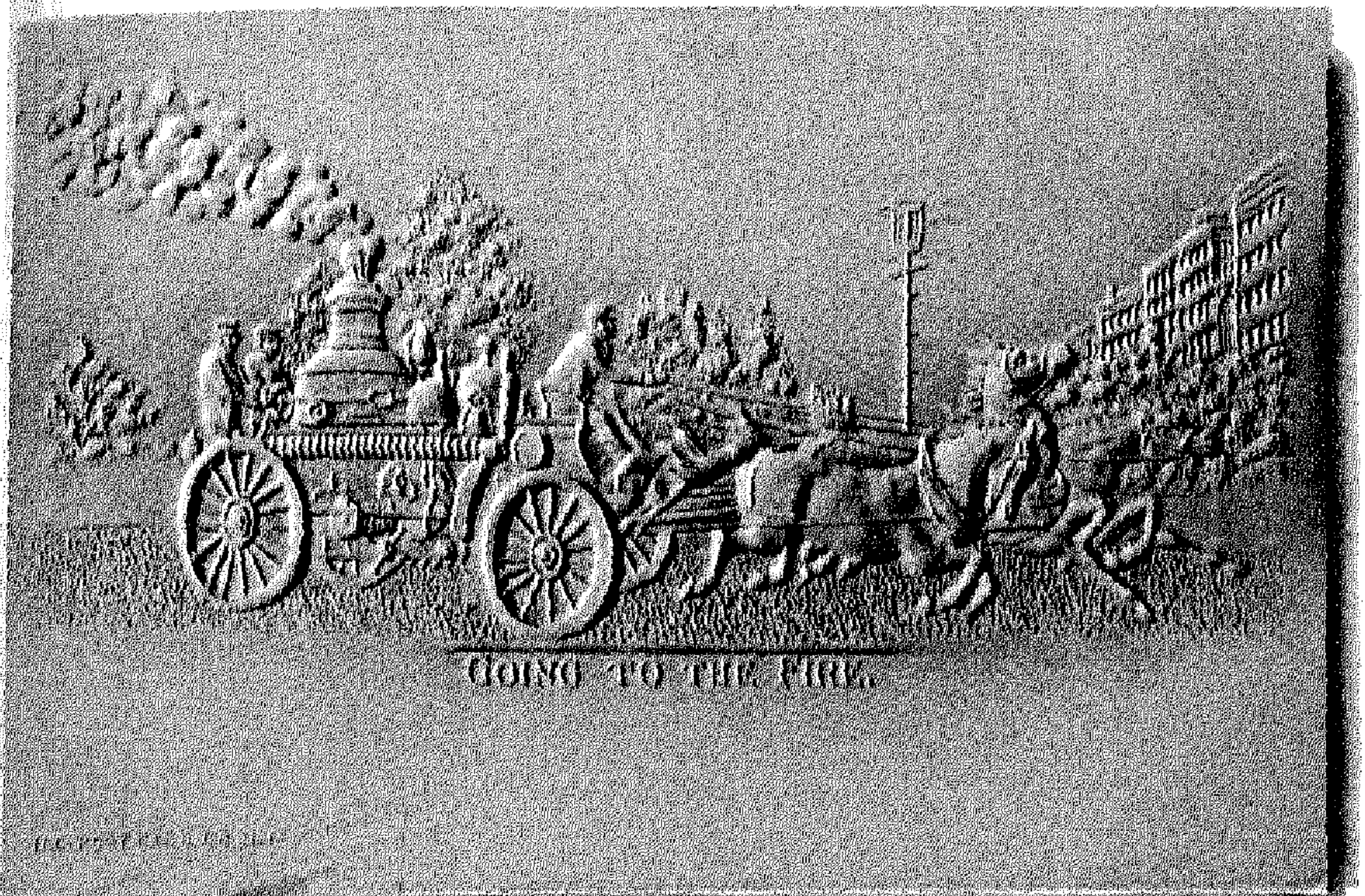
Carol Wald Collection.

بطاقة بريدية لعيد الميلاد تمثل الروائي الانكليزي تشارلز ديكنز، وهي احدى ست بطاقات في مجموعة لادباء بريطانيين، ١٩١٠.



Carol Wald Collection.

بطاقات مبتكرة مصنوعة من جلد، مختومة ومعنونة على الظهر، ١٩٠٧.



بطاقة مزينة بنقش نافر، ١٩٠٠.



بطاقة اعلانية لمطاعم "ترموس رانينغ بورد موتور تورانتس"، ١٩٠٥.



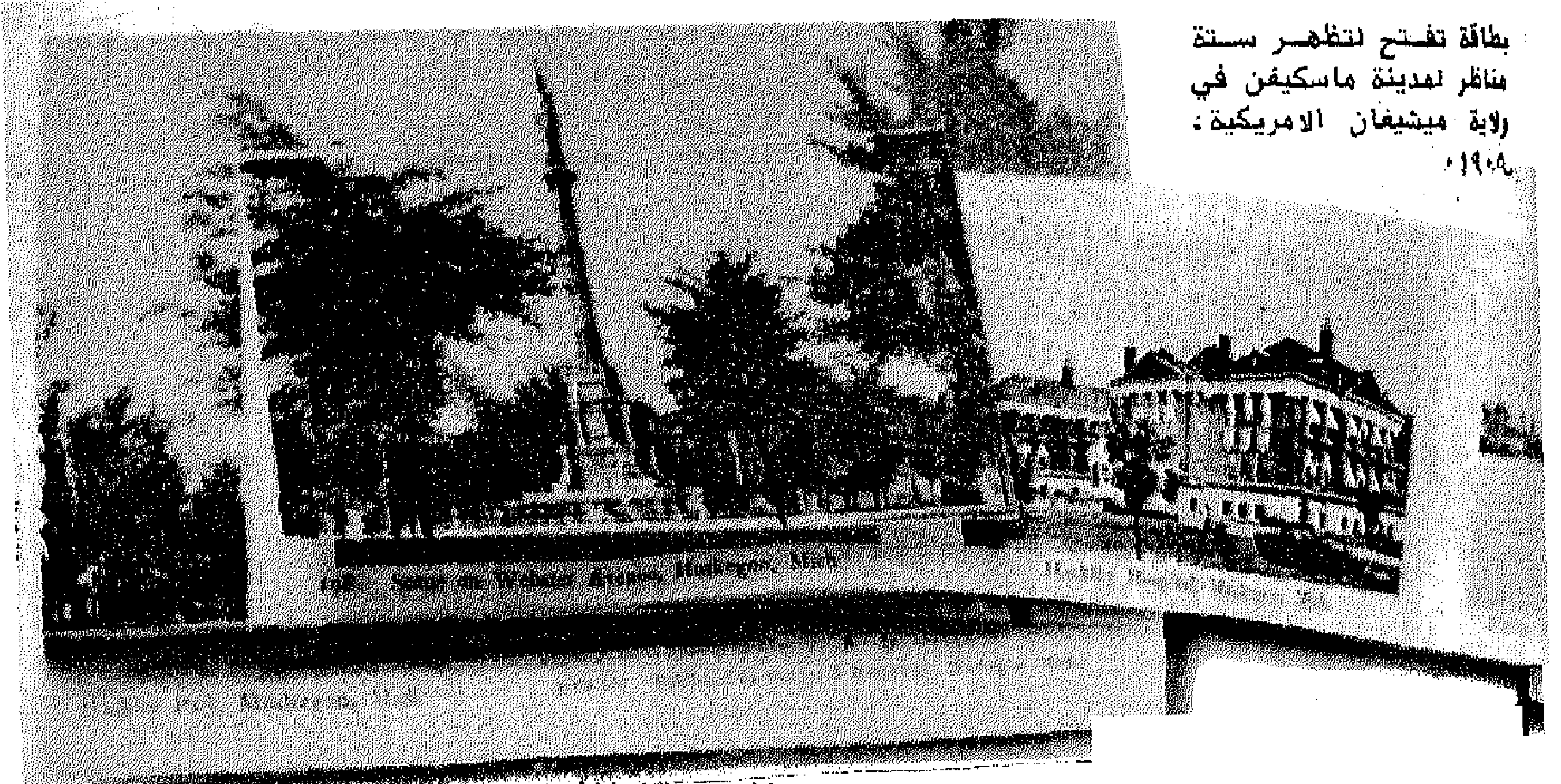
Carol Wald Collection

مسؤولي ادارة البريد النمسوية في ١٨٦٩ بعرض بديل رخيص من الرسائل المغلقة. وأرسلت اكثر من ثلاثة ملايين بطاقة بالبريد في الاشهر الثلاثة الاولى.

ووضعت البطاقة البريدية قيد التداول في بريطانيا بعد ذلك بسنة واحدة، في اول اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٧٠، وكذلك في المانيا واللوكسمبور وسويسرا. وفي ١٨٧١ بدأ استخدامها في بلجيكا وكندا

الشمالية. الا ان العامل الاكبر في ازدهارها هو الجمع بينها وبين الصور الفوتوغرافية. ويقول بعض الخبراء ان اولى البطاقات المصورة صدرت بمناسبة معرض باريس عام ١٨٨٩. وهي تمثل برج ايفل الحديث البناء آنذاك.

واليوم يمكننا تقدير قيمة كل بطاقة تقريباً. ويعود معظم الفضل في ذلك الى هاويين فرنسيين هما جيرار وجويل نودان، مؤسسا الدليل



بطاقة تفتح لتظهر ستة مناظر لمدينة ماسكيفن في ولاية ميشيغان الامريكية: ١٩٠٨.

الدنمرك وهولندا، ووصلت في العام ١٨٧ الى سيلان (جزيرة سري لانكا حالياً) والنروج واسوج وروسيا، وفي لعام ١٨٧٣ اعتمدتها التشيلي وفرنسا وجزيرة نيوفاوندلاند الكندية ورومانيا وصربيا (في يوغوسلافيا) واسبانيا والولايات المتحدة. وسرعان ما تبعتها بقية بلدان العالم.

في سبعينات القرن التاسع عشر كانت البطاقات البريدية تستعمل على نطاق واسع في اوروبا وامريكا

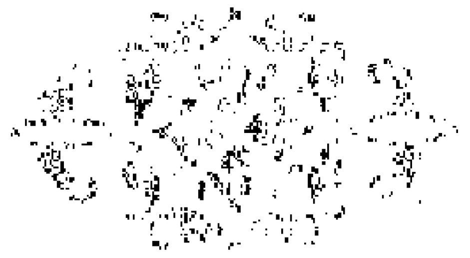
السنوي الذي يحمل اسمهما. وبفضل دليل نودان، المزود باكثر من ٣٥٠ صورة ايضاحية، يستطيع الهواة الخبراء والمبتدئون الحصول على تفاصيل عن البطاقات البريدية ونصائح حول تصنيفها وقائمة بالتجار والجامعيين، ومعجم للاصطلاحات الخاصة. وتصدر الآن منشورات مماثلة لدليل نودان في بريطانيا والمانيا الغربية وبلجيكا وايطاليا والولايات المتحدة.

وقد يكون لدى كثير من الراغبين في ممارسة هواية جمع البطاقات البريدية عدد كبير منها من غير ان يدروا. ويرجح ان هناك في اوروبا وحدها ما لا يقل عن ٣٥ مليون بطاقة يعود تاريخها الى ما قبل العام ١٩١٤، معظمها مهمل او منسي في صناديق عتيقة. ولذلك يقول الهاوي طوني هولت، وهو ضابط متقاعد في الجيش البريطاني: "الخطوة الاولى التي عليك اتخاذها هي التنقيب في قبو بيتك".

وتتعدد فرص اقتناء بطاقات حديثة بثمن زهيد. فاضافة الى البطاقات التذكارية التي تصدر في مناسبات الاعياد السنوية والمعارض الفنية والمؤتمرات، يحسن بالهواة المبتدئين ان يراهنوا على البطاقات الدعائية التي تصدرها المتاجر والفنادق والمصانع والمؤسسات الاخرى. وينبغي لمثل هذه البطاقات ان تتناول حدثاً اصلياً وان تحمل صورة فوتوغرافية جيدة لم تظهر في اي مكان آخر. ويمكن القول ان بطاقة تحمل رسالة وطوابع مستعملة هي، عموماً، اكبر قيمة وأغلى ثمناً من بطاقة غير مكتوب عليها. والامر الآخر الذي على الهاوي معرفته ان نطاق المواضيع هو من الاتساع بحيث يجدر به ان يتخصص بموضوع او مواضيع محددة.

ونظراً الى بساطة قواعد الجمع ووفرة المراجع، يقول هاو الماني: "العظيم في هواية جمع البطاقات البريدية هو ان الذين يبدأون الآن لا يشعرون بارتباك امام خبرة الهواة القدامى. فنحن جميعاً لا نزال نتعلم".

■ برنارد كابلان

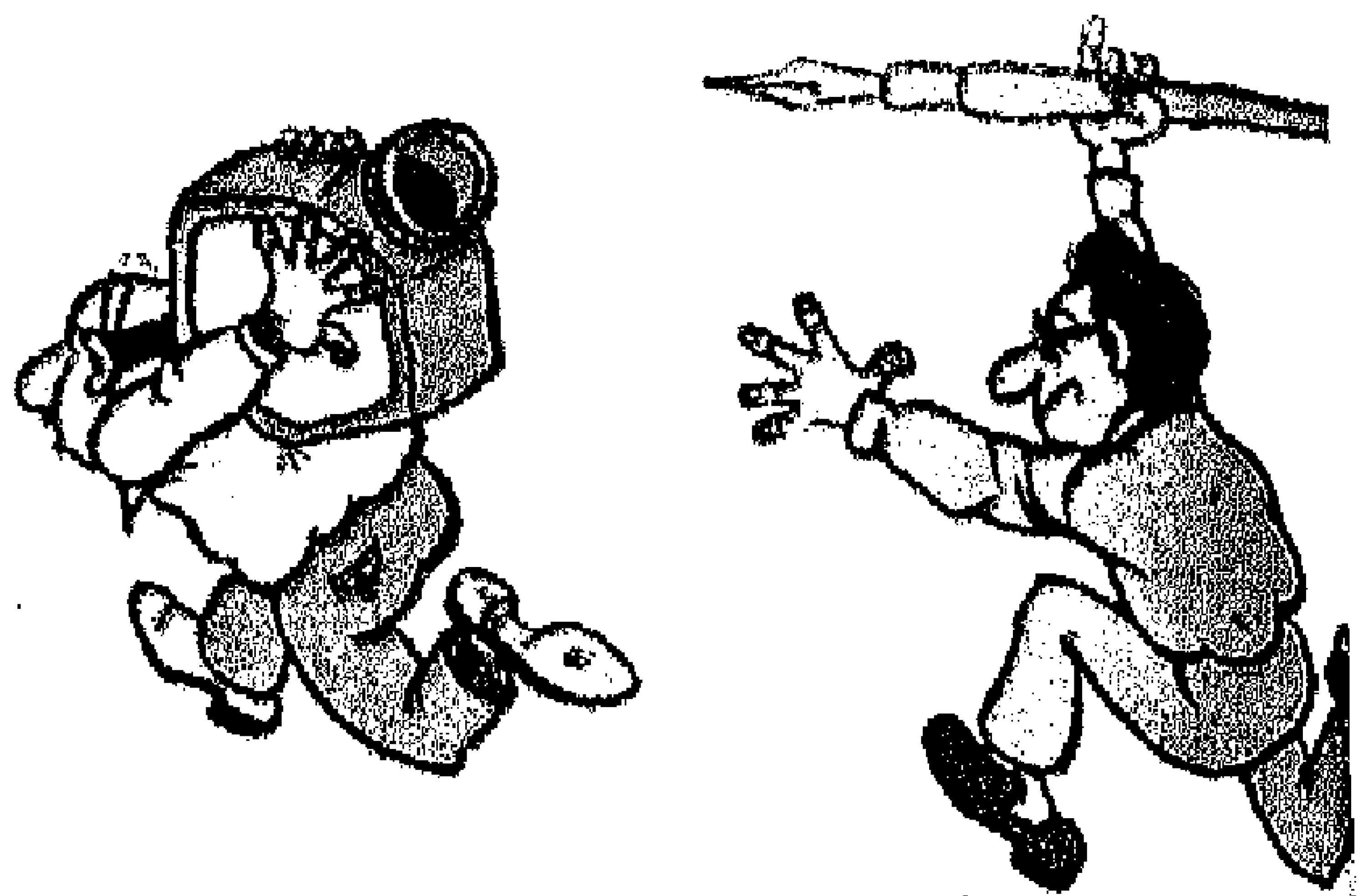


ماحك جلدك مثل ظفرك

قبل سنوات، عندما كان فريد هاريس عضواً في مجلس الشيوخ الامريكي عن ولاية اوكلاهوما، تجاوز عدد معاونيه العشرين شخصاً. وكان بينهم كاتب الخطابات والباحث وحافظ المواعيد ومنسق الرحلات ودافع الرسوم وحاجز الامكنة في المطاعم ومبعد القاصدين ومرافق الزوار والمتكلم على الهاتف وسائق السيارة والحاجب ومستلم الرسائل وكاتب الرسائل وشاري الهدايا لزوجة هاريس في عيد ميلادها، وآخرون سواهم.

ويقول هاريس: "لقد تقلصت قدرتي على متابعة شؤون الحياة اليومية"، اذ لم يعد مضطرا الى ان يقف في الصف هنا او هناك انتظاراً لدوره، او الى ان يضع ثيابه بنفسه في محل التنظيف. ويتابع : "لدى انتهاء ولايتي في مجلس الشيوخ، كان علي ان اتدبر الحصول على رخصة لقيادة السيارة، وعلى خرق لتنظيفها، وان اكتشف طريقي من المطار الى احد الفنادق وسط المدينة. لكني وجدت متعة كبيرة وأنا اتعلم من جديد كيف اعيش كما يفعل الناس العاديون".

ج.و.



دائرة المعارف

دائرة هذا الشهر اصوات لبعض الكائنات من انسان وحيوان ونبات وجماد وامام كل صوت اربعة اجوبة واحد منها صحيح وعلى القارىء ان يختار منها ما يراه صحيحاً قبل ان يقلب الصفحة ليقابله مع الجواب الصحيح وبذلك يستطيع ان يسبر مستواه.

١٠ **الصفير**: للحية ـ للنسر ـ للقيد ـ لاول صوت الحمار.

٢٠ **الرغاء**: للبعير ـ للعجل ـ للثعلب ـ للخيل.

٣٠ **المعمعة**: للقيد ـ للرحى ـ للعظام ـ للرعد.

٤٠ **القعقعة**: للنصال ـ للقيد ـ للرحى للنعال.

٥٠ **الجعجعة**: للعظام ـ للقوس ـ للرحى ـ لصوت حركة الدرع.

٦٠ **القلقلة**: للمطر ـ للقدر ـ للمفتاح ـ للباب.

٧٠ **الخـفـق**: لصوت حنين الابل ـ لرنة القوس ـ للنعال ـ للحرب.

٨٠ **القصقصة**: للعظام ـ لصوت النار ـ لآخر صوت الحمار ـ للجمال.

٩٠ **الهزيم**: لصوت اوراق الشجر المتساقطة ـ للرعد ـ للموج اذا علا ـ لحركة الدرع.

١٠٠ **الهبوب**: للرعد اذا تلاه مطر ـ للريح ـ لاهتزاز ورق الشجر ـ للعاصفة.

١١٠ **الغطغطة**: لصوت النائم اذا ارتفع ـ للنار ـ للقدر ـ للقطا.

١٢٠ **الضُّباح**: للأفعى ـ للثعلب ـ للشاة ـ للبعير.

١٣٠ **الهدير**: للجمال ـ للخيل ـ للذباب ـ للأسد اذا جاع.

١٤٠ **الطنين**: للجرس ـ للذباب ـ لآخر صوت الحمار ـ للضفدع.

١٥٠ **الفحيح**: للمياه المنسابة ـ للهر اذا استثير ـ للأفعى ـ للصرصار.

١٦٠ **الصأي**: للفرخ ـ للهر ـ للقلم ـ للباب.

١٧٠ **الثغاء**: للجمل ـ للحمام ـ للشاة ـ للدجاج.

١٨٠ **الصليل**: للنصل ـ للمفتاح اذا ادخل في القفل ـ للحديد ـ للماء المنساب.

١٩٠ **الخوار**: للظليم ـ للعجل ـ للخيل ـ للحمام.

٢٠٠ **العرار**: للعظام ـ للافعى ـ للهر ـ للظليم.

٢١٠ **الدوي**: للقلم ـ للباب ـ للريح ـ للمطر.

٢٢٠ **الرنّة**: للزجاج اذا تحطم ـ للقوس ـ للصخر اذا سقط ـ للعود.

٢٣٠ **الصريف**: للباب ـ للقلم ـ للشجر ـ للرحى.

٢٤٠ **الازيز**: للغراب ـ للجن ـ للرعد ـ للفيل.

٢٥٠ **الأطيط**: للجن ـ للنائم ـ للقلم ـ لصوت حنين الابل.

٢٦٠ **الحفيف**: للشجر ـ للرذاذ ـ للقلم ـ للباب.

٢٧٠ **الشهيق**: لأول صوت الضفدع ـ لآخر صوت الحمار ـ للماء المتدفق ـ للنار.

٢٨٠ **الهسهسة**: لصوت حركة الدرع ـ للنعال ـ للجن ـ للافعى.

٢٩٠ **العزيف**: للجن ـ للشجر ـ لصوت الكلب من دون نباح ـ لابن آوى.

٣٠٠ **الزفير**: للمحتضر ـ للنار ـ للريح ـ للقلم.



الأجوبة الصحيحة

١٠ الصفير: للنسر.
٢٠ الرغاء: للبعير. ويقال ايضاً للنعام او الضبع.
٣٠ المعمعة: للحرب. ويقال ايضاً لصوت الحريق في القصب ونحوه.
٤٠ القعقعة: للقيد.
٥٠ الجعجعة: للرحى. ويقال ايضاً لاصوات الجمال اذا اجتمعت.
٦٠ القلقلة: للمفتاح.
٧٠ الخفق: للنعال.
٨٠ القضقضة: للعظام.
٩٠ الهزيم: للرعد.
١٠٠ الهبوب: للريح
١١٠ الغطغطة: للقدر.
١٢٠ الضُّباح: للثعلب. ويقال ايضاً للارنب وللقوس.
١٣٠ الهدير: للجمال. ويقال ايضاً للرعد، وللبعير اذا ردد صوته في حنجرته.
١٤٠ الطنين: للذباب. ويقال ايضاً للناقوس.
١٥٠ الفحيح: للافعى.
١٦٠ الصأي: للفرخ. ويقال ايضاً للفيل.
١٧٠ الثغاء: للشاة.
١٨٠ الصليل: للنصال. ويقال ايضاً للحديد اذا وقع بعضه على بعض.
١٩٠ الخوار: للعجل.
٢٠٠ العرار: للظليم.
٢١٠ الدويّ: للمطر. ويقال ايضاً للرعد.
٢٢٠ الرنة: للقوس.
٢٣٠ الصريف: للقلم. ويقال ايضاً للباب.
٢٤٠ الأزير: للرعد.
٢٥٠ الأطيط: لصوت حنين الإبل.
٢٦٠ الحفيف: للشجر. ويقال ايضاً للحية.
٢٧٠ الشهيق: لآخر صوت الحمار.
٢٨٠ الهسهسة: صوت حركة الدرع. وتقال ايضاً لصوت حركة الحلي.
٢٩٠ العزيف: للجن.
٣٠٠ الزفير: للنار. ويقال ايضاً لأول صوت الحمار.

المستوى
٢٥ ـ ٣٠ ـ ممتاز.
١٩ ـ ٢٤ جيد.
١٣ ـ ١٨ مقبول.

مـن لا يخطئ؟

عالم نفسي يحلل الاخطاء البشرية ويقترح بعض الطرق لمعالجتها

"حين قدمت الي الفاتورة في مطعم الفندق الذي كنت نزيله، وقعت عليها، ونظرت الى ساعة يدي بعدما عجزت عن تذكر رقم الغرفة".

هذا المثل يعبر عن خطأ نموذجي، جمعت ما يزيد على المئتين منه خلال سنتين. والاخطاء امور مسلية، وهي تحدث لنا جميعاً، وهي، في العادة، غرائب لا تضر الا عندما تسبب لفاعلها الارتباك.

لكن هناك أخطاء تحصل في أداء بعض المهمات، وهي ضارة. فمرة وجه مراقب طيران أمراً الى قائد طائرة بالهبوط على المدرج الايسر في حين كان يقصد الايمن. وهذا من أكثر الاخطاء الكلامية شيوعاً. وهو، في تلك الحال، كاد أن يؤدي الى كارثة. غير أنه، لحسن الحظ، لم يفعل. ومن الاخطاء الشائعة أيضاً نسيان اشعال مصابيح السيارة الامامية لدى القيادة ليلا. وهذا الخطأ يصحح غالباً ـ ولكن ليس دائماً ـ قبل وقوع حادث. وقد

Condensed from Psychology Today (April' 80) (c) 1980 By Ziff-Davis Pub Co. New York, N.Y.

بات الخطأ البشري اليوم من أهم أسباب الحوادث.

لقد لجأ مؤسس التحليل النفسي، سيغموند فرويد، الى تحليل الاخطاء عله يكتشف الاعتقادات والدوافع الحقيقية التي تميز أصحابها. وممن درس حالاتهم رئيس مجلس النواب الادنى في النمسا الذي افتتح احدى الجلسات بقوله: "اني أعلن اقفال هذا الاجتماع". وفي رأي فرويد أن ذلك الفعل ينم عن دوافع لا واعية: "فقد كانت لدى الرئيس رغبة كامنة في فض الاجتماع الذي لم يرج منه خيراً".

غير أني أعتقد أن العقل البشري يشبه دماغاً الكترونياً بالغ التعقيد، وأن الزلل يحصل عندما تحجب المعلومات الخاطئة المعلومات الصحيحة. ولنذكر أن علم الآلات الحاسبة وبرمجة المعلومات كان بدائياً في أيام فرويد الذي لم تراوده فكرة بأن آلة برمجة المعلومات البشرية يمكن أن تخطىء. واذا شئت التعبير عن أفكار فرويد في كلام معاصر، قلت أن الاخطاء تأتي من اصطراع الوظائف الذهنية وتداخلها.

كيف نفسر حال الطيار الذي يهبط بطائرته وعجلاتها مرفوعة؟ أنقول ان لديه رغبة كامنة في قتل نفسه؟ ربما صح هذا. لكن هناك تفسيرات أبسط من ذلك، وهي تصح أيضاً.

وأبادر الى القول أن معظم الافعال هي نتيجة عمليات غير واعية. فنحن نزمع على عمل. وما أن نحدد الهدف حتى تبرز العمليات الذهنية والجسدية الآيلة الى تحقيقه. فعندما أقود السيارة من مركز العمل الى البيت، تأتي العمليات الضرورية بحكم العادة. ويكفي أن اقرر الهدف، من غير التفات الى التفاصيل.

ترى هل أرغب في التوقف عند محل لبيع السمك وأنا في طريقي؟ اذا كانت لدي رغبة في ذلك، وجب أن تحضر في ذهني فكرة "محل السمك" وأنا أعبر النقطة الحساسة بين مركز العمل والمنزل. واذا غابت الفكرة عن ذهني عند تلك النقطة، فسأبلغ المنزل ولا سمك في يدي.

والاخطاء المختلفة تتولد عن انحراف وظائف ذهنية مختلفة. وعلى سبيل الايضاح، سأحاول تصنيف هذه الاخطاء تحت أسماء معينة تبعاً للوظائف الذهنية:

أخطاء الوصف - "فيما كانت طائرة ركاب متجهة من هوستن الى مونتريال، سقطت فوق الحدود الامريكية - الكندية. وأثيرت مسألة سياسية رئيسية حول ذلك الوضع: في أي بلد يجب أن يدفن الناجون؟".

ان معظم الناس يقفون محتارين تجاه هذا السؤال، لا يعرفون أي بلد يختارون. والواقع أن هذه الرواية نسجت خصيصاً لارباك العقول غير الحذرة: فالموتى هم الذين يراد دفنهم، لا الاحياء. والقصة صيغت بحيث تجعلنا خاملين ذهنياً، متوقعين أن يكون الناجون هم الموتى. وخطأنا أننا لم نفكر في عبارة "الناجين" على نحو عميق.

أخطاء الانتقاء - هذا النوع الآخر من الاخطاء شائع أيضاً في أفعالنا اليومية. ومن نماذجه ما يأتي:

في استعدادها لاستقبال ضيوف، أحضرت ربة منزل قالب حلوى ووعاء

سلطة بعناية فائقة. وبعد ذلك وضعت الحلوى في البراد والسلطة في الفرن.

هذا الخطأ غير المتعمد يجعلك أيضاً تتناول طعام صديقك من صحنه الذي يشبه صحنك، أو تضع غطاء علبة السكر على فنجان القهوة الذي يماثله في الحجم.

وهناك طالب دراسات عليا يعمل في اشرافي، عاد الى منزله بعد جولة عمل ميداني. وخلع قميصه ورماه في بيت الخلاء عوضاً عن وضعه في غرفة الغسيل. وقد كان خطأه غير مقصود.

أخطاء الاعداد والتنفيذ ـ بعد اختيار ما نريد فعله، ربما كان من السهل جداً أن نخفق في تحقيقه. وربما نسينا قصدنا ونحن نسعى الى تحقيقه. فهناك زميل أخبرني أنه، قبل بدء العمل في مكتبه البيتي، توجه الى غرفة النوم ليدرك، بعد وصوله الى هناك، أنه نسي لماذا ذهب.

ويضيف: "عاودت دخول الغرفة بضع مرات، عل شيئاً فيها يذكرني بما أبغي". الا أن شيئاً لم يذكره. وأخيراً ذهب الى مكتبه حيث وجد أن نظارتيه متسختان. وعاد الى غرفة النوم بارتياح، يسعى الى المنديل الذي أراد تنظيف النظارتين به.

الاخطاء الآسرة ـ هذا النوع من الاخطاء حلله وليم جيمس في كتابه الذائع الصيت في علم النفس حين قال أن "الاشخاص المشتتي الذهن يدخلون غرف نومهم لارتداء ملابس العشاء، وهناك يخلعون ثيابهم قطعة قطعة ويرتمون في السرير، لان خلع الثياب هو ما يفعلونه أيضاً حين يريدون النوم".

هذه الاخطاء من أكثر الاخطاء البشرية طرافة. وهي تقوم على مبدأ بسيط: "اعتمد عادة راسخة، تجد أنها استولت على تصرفاتك". وفي بريطانيا لدي زميل يعنى بدراسة الاخطاء، وقد روى ما أخبره اياه أحدهم:

"أردت اخراج سيارتي. ولكن قبل بلوغ المرأب، توقفت لاضع في رجلي حذائي الطويل الساق وسترتي البستانية كما لو أردت العمل في الحديقة".

من السهل اكتشاف أخطائنا حين تكون نتائجها بهذا المقدار من الوضوح. واحيانا تتجلى النتائج بعد لحظات من حدوث الفعل. فحين تضع وعاء القهوة على النار صباحاً ولا قهوة فيه، يتبين لك خطأك عندما تبدأ السكب.

ويزداد امكان الخطأ البشري مع ازدياد الاجهاد. ولنأخذ وضعاً يؤدي فيه خطأ تافه الى عواقب جسيمة: محطة نووية. ان غرف المراقبة الصغيرة التي تشتمل عليها محطات كهذه قد لا يتجاوز طولها الثلاثين متراً، مع ٧٠٠ آلة يلزمها الفحص والصيانة بين وقت وآخر.

والصعوبة في مراقبة أجهزة من هذا النوع تأتي من نقص في التصميم ومن كون الآلات العصرية لا تأبه بالناس. وفي مختبر البحوث الذي أشرف عليه، نحاول فهم العناصر الرئيسية لعملية خزن المعلومات في العقل البشري، مع تركيز على الطرق التي يعتمدها الماهرون في اختيار أفعالهم وتنفيذها، وكذلك على ارتكابهم الاخطاء. وعلى رغم أن

غاية البحث الرئيسية نظرية، الا أننا نطمح الى اعطاء المخططين أفكاراً لتخطيط برامج تعمل لمصلحة الناس وليس ضدهم. وغايتنا ليست الغاء عواقب الخطأ الاليمة فحسب، بل جعل التفاعل بين الانسان والآلة ممتعاً ومثمراً وخلاقاً.

ترى كيف يتصرف بائع في مخزن كبير؟ انه يلجأ الى استخدام أرقام كثيرة من أجل تسجيل أصغر السلع. وعوضاً عن حمل الناس على تأدية عمل الآلات لمصلحة الآلات، علينا أن نعكس الآية ونجعل الآلة تعمل لمصلحة الانسان. وفي الامكان القامها بتفاصيل كثيرة تبعاً لحاجتنا.

وقد بينت دراساتي للاحداث الصناعية والجوية والنووية أن الآلة، معظم الاحيان، هي المسؤولة عن الخطأ، لا الانسان الذي يديرها. وجدير بالذكر أن العقل الذي يخطىء هو العقل نفسه الذي يبتكر ويتكيف للاوضاع الجديدة.

■ دونالد نورمان

استاذ علم النفس في جامعة كاليفورنيا (سان دييغو)، حيث يدير أيضاً برنامج علوم المعرفة.



في الثمانين

حين تبلغ الثمانين تكون قد تعلمت كل شيء. لكن المشكلة هي أن تتذكر ما تعلمت.

ج.ب.

بين العمل والذات

كتبت راقصة الباليه الانكليزية مارغو فونتين في سيرتها الذاتية: "أهم ما تعلمته عبر هذه السنوات هو التمييز بين اخذ العمل جدياً وأخذ الذات جدياً. فالامر الاول واجب، أما الآخر فقاتل".

في التأني السلامة

في ابريل (نيسان) ١٩٧٨، طلب جون فرانتز من مكتبة سان فرنسيسكو (كاليفورنيا) العامة كتاب "حياة تشوسر وعصره" من تأليف جون غاردنر. وبعد اشهر من الانتظار بلا جدوى، اشترى نسخة من الكتاب وقرأها ثم اهداها الى المكتبة، مما حث المكتبة على الاسراع الى اعلام فرانتز بتلبية طلبه في ديسمبر (كانون الاول)! وجدير بالذكر ان فرانتز هو امين المكتبة.

هـ.ك.

كتاب الشهر

يوم أمطرت السماء سما

ملخص من كتاب بقلم جون فولر

يوم أمطرت السماء سماً

"كانت هناك بلدة تتناغم فيها جميع أشكال الحياة مع البيئة المحيطة. وما لبثت أن حلت بها آفة، فأصيبت فراخ الدجاج بعلل غريبة، ومرضت الماشية والخراف ونفقت. وخيّم ظلّ الموت على كلّ مكان. وسرت بين المزارعين أخبار عن امراض كثيرة ضربت أفراد عائلاتهم. وازدادت حيرة الاطباء الذين واجهوا انواعاً من المرض لم يعهدوها من قبل.

"وفي المجاري وبين الواح الخشب التي تكسو السقوف، ظهرت بقايا مسحوق أبيض كانت حبيباته تساقطت قبل أسابيع كالنفناف على سطوح المنازل والمروج المعشبة وغطت الحقول والسواقي.

"وعلى رغم أن هذه البلدة لا توجد في الواقع، إلاّ اني لم اسمع بأي منطقة عانت الويلات التي اصفها هنا".

... حين سجلت الكاتبة راشيل كارسون، المعنية بشؤون البيئة، هذه الكلمات عام ١٩٦٢ في روايتها "الربيع الصامت"، لم تكن تدري أن مأساتها الخيالية ستتحول حقيقة مرة بعد زمن ليس بطويل!

تمتد طريق ميلانو – كومو العصرية شمالا نحو جبال الالب والبحيرات الايطالية التي تغنى بها الناس منذ فجر التاريخ. وفي منتصف الطريق، على فسحة خضراء ناعمة تغطي وادي ـو، وُضعت علامة تحمل اسم سيفيزو، وهي بلدة تقطنها ١٧ الف نسمة. وتكتظّ على امتداد الطريق مصانع حديثة هي جزء من ميلانو الصناعية. ولكن لا تزال هناك حقول من القمح والذرة وبساتين فاكهة مخضرّة وصفوف طويلة من شجر التوت وفيلات صغيرة بناها أصحابها بأيديهم وعرق جباههم.

وبين تلك الفيلات يشرئب منزل جينو زورزي الذي شيده صاحبه في عطلة نهاية الاسبوع والفرص الاخرى خلال عشرين سنة. وكان كلّ شيء في ذلك المنزل متقناً: أرضيته المكسوة بالخشب المزخرف، انواره الخافتة، جدرانه المتينة التي ترد حرّ الصيف وبرد الشتاء الآتي من جبال الالب، سطحه القوي الذي يعلوه قرميد أحمر. والى جانبه في شارع كارلو بورتا كانت هناك منازل اخرى بناها اصحابها بعناية مماثلة، ومعظمها تتصدره جنائن خضر مخصبة.

وكان يوم السبت ١٠ يوليو (تموز) ١٩٧٦ مناسَبة خاصة لآل زورزي جميعاً، إذ كانت الابنة جوليانا مزمعة على الاحتفال بعيد ميلادها الثامن عشر على شرفة المنزل ذلك المساء. وكانت والدتها عند الظهر منهمكة في تزيين الطاولة الموضوعة على الشرفة. وفي الثانية عشرة والنصف دخلت لتناوُل طعام الغداء مع زوجها في المطبخ. وما ان اصبحت في الداخل حتى علا صوت ناعب مشؤوم لم يسمعا مثله من قبل.

وفي منزل قريب في شارع كارلو بورتا، كانت السيدة ليشيو كاسيو تتناول الغداء مع افراد عائلتها، وهم ابنتاها إلدا (١٣ سنة) وباولا (١٠ سنين) وابنها كارلو (٢٠ سنة) الذي كان عاد لتوّه من المكتبة، حاملا بعض الكتب في الهندسة المعمارية التي يدرسها في جامعة ميلانو. وكانت الى جانبه قطتاه السياميتان ليلي وفاني. وسبق لكارلو ان أفاد من موهبته الهندسية لمساعدة والده في تصميم المنزل الذي بناه آل كاسيو، على غرار آل زورزي، خلال فترة من الزمن.

وكانت السيدة كاسيو على وشك إنهاء طعامها حين أجفلت من صوت مرعب. وكانت الساعة على الجدار تشير الى الثانية عشرة والدقيقة السابعة والثلاثين.

قبيل الثانية عشرة والنصف من ظهر ذلك السبت في يوليو (تموز)، كان فيرو روماني، احد فنيي مصنع ايكميزا الكيميائي الواقع على مقربة من سيفيزو الى الشمال، على وشك إنهاء غدائه هو الآخر. ولم يكن ذلك اليوم يوم إنتاج كبير في المصنع. فقد انتهى العمل في السادسة صباحاً، ولم يبق إلاّ عشرة من أصل ١٦٣ (★) موظفاً، كان عليهم إجراء

(★) وفي يوليو (تموز) ١٩٧٦ امرت السلطات الايطالية باقفال المصنع مما ادى الى تعطل موظفيه الـ١٦٣ عن العمل الا ان هؤلاء ما لبثوا ان وجدوا اعمالا اخرى في المنطقة في آخر العالم التالي.

بعض الصيانة والتنظيف. وكان المصنع ينتج، إضافة الى المواد الاولية التي تصنع منها العطور ومواد التجميل، مادة "تريكلوروفينول" يصنع منها سائل كيميائي يستعمل لابادة الاعشاب الضارة، ومادة أخرى مبيدة للجراثيم تدعى "هيكسا كلوروفين".

ولم يكن مصنع ايكميزا ينتج هاتين المادتين لحسابه الخاص. فهو كان يصنع التريكلوروفينول، المعروف باسم "ت.ك.ف" (TCP) للشركة السويسرية الأم جيفودان التي هي، بدورها، فرع من "هوفمان – لاروش"، احدى أكبر الشركات الصيدلية في العالم. وكانت شركة جيفودان تستعمل الـ"ت.ك.ف" لصناعة الهيكسا كلوروفين، وهو العنصر الفعال في كثير من أنواع الصابون المعقم.

وكان المفاعل الكيميائي الذي يصنع مادة "ت.ك.ف" أغلق صباح ذلك اليوم. وبعد الغداء توجه فيرو – الذي لا يعمل في ذلك القسم – مع عدد من زملائه الى مقهى المصنع. وقبل ان يتناول القهوة، ذُهل لسماع صوت غير عادي، فقفز هو والآخرون في المقهى. وتلا ذلك الصوت صفير منحسر. وخرج فيرو وزملاؤه ركضاً. لقد كانت هناك غيمة رمادية ضخمة تخرج بفعل الضغط الكاسح من صمام الامان في المفاعل الكيميائي. وبعد دقائق رأوا حبيبات دقيقة تشبه الرمل والغبار تتساقط وتملأ المكان حولهم. وما لبثت ان لفتهم غمامة بيضاء كثيفة تتصاعد منها رائحة الدواء والكلورين.



واسرع فيرو عائداً الى المصنع ليرى كبير العمال يقتحم غرفة المفاعل وعلى وجهه قناع للوقاية، وادار هذا صماماً يحمل الماء الى جهاز التبريد التابع للمفاعل لإخماد الحرارة المتراكمة. وانقضت أكثر من خمس دقائق من غير أن يحصل شيء. واستحالت الغيمة كتلة ضخمة راحت تزحف بقوة لا تُرَدّ في اتجاه ميلانو نحو الجنوب، مخيمة على جزء من سيفيزو. وفي وقت قصير قطعت ما يزيد على الخمسة كيلومترات، وكانت حبيباتها البيضاء تنهمر بهدوء فوق سطوح المنازل والحقول. ولم يدر أحد آنذاك أنّ تلك الحبيبات كانت تحمل سماً زعافاً هو افتك ما عرفه الانسان.

عمل عادي

عندما سمع جينو وملينا زورزي الصدى الصافر الذي أعقب الانفجار: هرعا الى شرفة منزلهما. هناك كانت الغيمة الكثيفة تغطي السماء وراء المنازل المجاورة على بعد لا يتجاوز

لكيلو متر، وتزحف في اتجاههم. كانت تلك الكتلة الضخمة بنية اللون في البداية، ثم اخذت تتقلب من لون الى آخر. وبعد هنيهة عبرت فوق رأسيهما واتجهت ببطء نحو الجنوب.

وانفصلت عن الغيمة الكبيرة غمائم مارقة استقرت في كل مكان، على الشجر والعشب والطرق، وكذلك على الزينة التي فرشتها ملينا على الطاولة. وغطت وجهها بمنديل محكم الربط وأخذت تنقل الصحون عن الطاولة.

وخاطبت زوجها قائلة: "كم هو مؤسف أن يحصل هذا الأمر المزعج يوم عيد جوليانا!"

وسعل جينو زورزي وحكّ عينيه بعدما احس بوخْز فيهما، وهرع يغلق النوافذ ومصاريعها.

وفي منزل آل كاسيو خرجت السيدة كاسيو واولادها لمشاهدة ذلك الذيل العملاق الزاحف نحوهم. ولكن حين سقطت الحبيبات الرطبة عليها، أدخلت اولادها بسرعة الى المنزل وأغلقت مصاريع النوافذ.

وقصد أبنها كارلو منزل صديق مجاوراً بعدما شعر بالخطر. وكانت هناك امرأة متقدمة في السنّ أغمي عليها لضعف في قلبها. فتعاون كارلو وصديقه على تنشيطها، ثم استدعيا الشرطة المحلية.

وعلم كارلو أن الغيمة تسربت من مصنع ايكميزا المجاور على اثر حادث. لكن ذلك لم يشف غليله، فقرّر أن يذهب وصديقه الى المصنع. وهناك قيل لهما ان لا داعي الى القلق لأن الامور ستعود الى طبيعتها بعد أن تنجلي الغمامة. وحين رجعا الى شارع كارلو بورتا، سمعا بعض الجيران يتذمرون من ألم في رؤوسهم وإحساس بالحريق في جلدهم وأعينهم. لكنّ ذلك لم يكن أمراً جديداً، وإن زاد حدة عن آثار التلوّث التي عهدوها من المصانع الكثيرة في منطقتهم.

في تلك الأثناء كانت ملينا زورزي مكبة على تنظيف الشرفة المطلة على الحديقة استعداداً للاحتفال بعيد ابنتها جوليانا، ونظفت الطاولات بعناية، رافعة عنها الغبار الابيض. ثم تناولت بعض ثمار الخوخ والدراق والمشمش الفاخر ووضعتها في أوعية لتتوسط الطاولات. وعلى رغم الرائحة اللاذعة، كانت حفلة عيد ميلاد جوليانا مفعمة بالحيوية واستمرت حتى ساعة متقدمة من الليل.

وصباح اليوم التالي نظف آل زورزي الشرفة ثم ركبوا حافلة أخذتهم في وقت باكر الى منطقة البحيرات حيث كان ابنهم الصغير فابيو (٨ سنوات) مخيماً مع رفقاء له. ولاحظت السيدة ايتاليا برونو، شقيقة ملينا زورزي، أن الغبار الناعم الذي تساقط في اليوم السابق غاب ليحلّ مكانه غلاف زيتي لماع غطى الشجر والنبات والحقول والحدائق ولم يترك شيئاً.

وفي منزل آل كاسيو، أفاقت السيدة كاسيو على صداع جعل جسمها يرتجف فيما كانت عيناها متورمتين. وقررتأن تزور عيادة الطبيب في اليوم التالي اذا استمرت تلك الاعراض.

وكان محافظ سيفيزو، فرنشيسكو روكا، يطالع كتاباً في منزله ذلك

الأحد حين قصده اثنان من فنيي مصنع ايكميزا، وأعلماه أنّ مادة كيميائية - يُظنّ أنها مادّة "ت.ك.ف" المهيجة ولكن غير الفتاكة - تسرّبت من المصنع. ووعدا بتسليمه تقريراً مسهباً يوم الاثنين بعد فتح المصنع. وأخبراه انه تم إرسال عينات من المادة المتسربة الى سويسرا، وانه، حتى ظهور نتائج تحليل تلك المادة، يجدر به نصح أهالي المنطقة بعدم تناول الفاكهة والخضر من حدائقهم. وأخذ المحافظ بتلك النصيحة، وابلغ السلطات الصحية المحلية التي باشرت تحقيقاً حول الأمر.

وانصرف الاحداث في شارع كارلو بورتا والشوارع المجاورة الى نشاطاتهم المعهودة أيام الآحاد. وكان ذلك الاحد دافئاً ومشمساً، والبركة في مركز التسلية تغري بالسباحة على رغم رائحة الدواء المنبعثة منها. وكان الأحداث في ملعب البيسبول المنحرف الشكل يمارسون اللعب بحماسة، فيما كان الاولاد الأصغر سناً يتقلبون ويتمرغون على العشب. وكان بعضهم يقطف ثمار الدراق والمشمش والخوخ عن الشجر، بينما راح اهلهم يقطفون الخضر من حدائقهم كعادتهم أيام الاحد.

وصباح الاثنين بدا أن الامور عادت الى نصابها في مصنع ايكميزا. وبقي كلّ شيء في مكانه باستثناء مفاعل "ت.ك.ف" والآلات المجاورة. وتشاور العمال في ما بينهم حول ما قدروا انه حصل. فهم كانوا يعلمون أنّ المفاعل يعمل بحرارة تراوح عادة بين ١٤٠و١٧٠ درجة مئوية ولا يمكن أن يكون صمام الامان انفجر ما لم تتجاوز الحرارة الـ ٢٤٠ درجة مئوية، وهو ارتفاع هائل غير متوقع. لكنهم لاحظوا أن الريح التي هبت يوم الأحد، لحسن الحظ، بددت الغيمة ودفعتها مسافة أبعد في اتجاه الجنوب.

وتبين للسلطات الصحية المحلية أن الحادث لم يترك أثراً سلبياً في موظفي المصنع. وفي ضوء هذه النتيجة، حمل مسؤولو المصنع تقريراً متفائلا الى المحافظ.

وانطلق فنيو المصنع خارج حدوده يجمعون عينات اخرى من اوراق الشجر والعشب والتراب لشحنها الى سويسرا. وهم انجزوا عملهم بهدوء من غير ان يدري به أحد.

قلق متزايد

ذهبت السيدة كاسيو الى طبيب العائلة صباح الاثنين، وكانت تشكو انتفاخاً في بطنها وعينيها وألماً في ظهرها وصداعاً مستمراً في رأسها. وجلّ ما قاله الطبيب لها أن تلك الاعراض يجب ان تكون ردّ فعل قوياً على شيء ما. لكنه لم يدر إذا كانت الغيمة او سواها السبب.

وكان قلق السيدة كاسيو المبهم يزداد على نحو لا يُرَدّ. وأخبرها حدسها أنّ الغبار المتساقط من الغيمة سيصيب افراد عائلتها الآخرين حتماً. وتأكدت مخاوفها صباح اليوم التالي، الثلثاء، حين رأت وجه طفلها مغطى بطفرة جلدية كثيفة.

وما ان حلّ صباح الاربعاء ١٤ يوليو (تموز)، وهو اليوم الرابع الذي تلا حادث مصنع ايكميزا، حتّى كان

لاطباء قد أغرقوا بحالات مشابهة حال ابن كاسيو. وأخذوا يقارنون النتائج، وباتوا على قناعة أن الغيمة هي سبب المرض. لكنهم كانوا عاجزين عن اتخاذ خطوة حاسمة لأنهم جهلوا طبيعة التلوث وبالتالي العلاج الملائم. ولم تكن نتيجة التحليل قد وردت من سويسرا، وأعلن مسؤولو ايكميزا ان كل ما يعرفونه هو أن الـ"ت.ك.ف" مادة مهيجة. وعلى رغم ان الاعراض كانت معتدلة، إلا أن انتشارها على نطاق واسع ولد خوفاً عاماً لدى أهالي سيفيزو الذين يسكنون في دائرة المصنع. وتحوّل الطفح الجلدي القبيح على أرجل الاطفال ووجوههم وأذرعهم من سيىء الى أسوأ. وكان القدر يخبىء لهم شيئاً آخر.

قبل موعد العشاء يوم الأربعاء، كان ليشيو كاسيو ينظر من غرفة الجلوس في منزله عبر الشرفة وهو قَلِقٌ على زوجته وأولاده. فالسيدة كاسيو تلازم الفراش منذ يومين من دون تحسّن في حالها وحال أولادها. ورأى كاسيو أن المنزل والأرض لا يزالان على حالهما، وإن يكن بعض ورق الاشجار قد اصفرّ. وكانت السماء زرقاء وشمس المساء تضرب أشجار الحديقة مخلفة القاً وردياً بهيجاً.

وشاهد كاسيو أبا حنّاء يحوّم منفرداً في الخارج، لكنه كان يحلق على نحو شاذ في أتجاه شرفة المنزل. وبعد ثوان معدودات هوى ابو الحناء على حافة الشرفة مثل ورقة ذاوية ثم دخل عبر الباب المفتوح وسقط بجانب كاسيو شلواً هامداً.

وتقدّم كاسيو من العصفور الذي كان على الرمق الأخير، وحمله الى الشرفة محاولا بث الحياة فيه عن طريق حرارة يديه. غير انه بقي على حاله. وحمله فوق حافة الشرفة بيديه الاثنتين ظناً انه سيطير من جديد، لكنه لم يفعل، بل سقط عمودياً على الأرض تحت الشرفة.

وفي وقت لاحق، بينما كان كارلو كاسيو يدرس في غرفته ومعه قطتاه السياميتان ليلي وفاني لاحظ أن ليلي تمددت على الأرض بصعوبة غير معهودة، ثم وقعت على جنبها. أما فاني فراحت تمشي في الغرفة بترنّح كما لو كانت ثمِلة. وأخذت الاثنتان تبكيان بأنين غريب عميق.

ودُهش جينو زورزي حين رأى، وهو في نزهته المسائية، كلب صديقه يدنو منه وهو يتهادى ويرتجف على غير عادة الكلاب الحيوية الحركة.



فريق لمكافحة التلوث، تابع لمعمل ايكميزا، اثناء العمل.

١٢٥ مليون
العبها واربح معـ

أكبر يانصيب في أوروبا
يتيح لك مرة اخرى
فرصة شائقة للربح ،
يتوافر لك فيها امكان لم يسبق لـ
يجعلك من اصحاب الملايين
بين ليلة وضحاها

- فقط ٤٠٠٠٠٠ ورقـة تعرض للبيع
- في مقابل ٤٠٠٤٨٦ جائزة مضمونة في كل دورة!
- ويبلغ مجموع الأرباح: ١٤٥٦٣ مليون مارك الماني .
- سبع جوائز كبرى كل منها بمليون مارك

الضمـــان

ان دفع هذه المبالغ مضمون
في الدورة الواحدة (نصف عام)

٧ × مليون	=	٧٠٠٠٠٠٠	مارك
٨ × ١/٢ مليون	=	٤٠٠٠٠٠٠	مارك
١٢ × ١/٤ مليون	=	٣٠٠٠٠٠٠	مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠ دم	=	٦٠٠٠٠٠	مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠ دم	=	١١٢٠٠٠٠	مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠ دم	=	٩٠٠٠٠٠	مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠ دم	=	٨٨٠٠٠٠	مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠ دم	=	٧٨٠٠٠٠	مارك
٣٠ × ١٠٠٠٠ دم	=	٦٠٠٠٠٠	مارك
٣٠٣ × ١٠٠٠٠ دم	=	٣٠٣٠٥٠٠٠	مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠ دم	=	٢٢٠٠٠٠٠	مارك
١٦٨٠ × ٢٠٠٠ دم	=	٣٣٦٠٠٠٠	مارك
١٣١٤٠ × ١٠٠٠ دم	=	١٣١٤٠٠٠٠	مارك
١٨٤٨٠٠ احتى ٨٠٠ دم	=	٨٥٠٤٠٠٠٠	مارك
٤٠٠٤٨٦ جائزة مجموعها		١٤٥٦٣٠٠٠٠	مارك

منذ ٣٢ سنة ويانصيب "سودوتش كلاسنلوتري" يصنع رابحين سعداء، وما زالت أعدادهم تتزايد عاما بعد عام، نظرا الى الفرص الممتازة التي يتيحها لاصحاب الحظوظ، كونه لا ينفق شيئا من دخله على التبرعات الخيرية، وكون الرابحين يتسلمون جوائزهم خالية من الضرائب.

ومن المعروف ان المارك هو من أقوى العملات في العالم، وفي ذلك حفز للكثيرين على شراء ورقة من هـذا اليانصيـ تشرف الحكومة عليه. وفي استطاعة أي فرد ان يشترك والأمر سهل وبسيط. يجري اعلام الرابحين شخصيا و بمعرفة الحكومة وفي اشرافها . اذا شئت ان تصبـ محظوظا فلا تتأخر، بل اكتب اليوم للحصول مجانا على اليانصيب وصورة الطلب الخاص بقسيمة الاشتراك:

GREGOR FRANKFURT

STATE ACCREDITED LOTTERY OFFICE

ORLD WIDE SERVICE
tate Accredited Lottery Office
REGOR
isterstraße 24, P.O.Box 119020
6000 Frankfurt/Main (W.-Germany)

ease mail order form and Free brochure with details for the next cycle of the DDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE

Mr./Mrs./Miss

Street address (or P.O.Box-No.)

City (Postal code No.)

Country

Please print or type all entries.

عد ذلك مباشرة شاهد جينو بضعة يور تحوّم فوق رأسه بحركة واهنة، سقط اثنان منها أرضاً.

وانقضى ذلك الاربعاء من غير ان يصل المحافظ روكا على معلومات فية عن الموضوع. وكان قلق الأطباء لعائلات يزداد. وفي مصنع ايكميزا لغ امتعاض العمال حداً بعيداً حين شعروا بأن المسؤولين في الشركة يحجبوا عنهم جزءاً من الحقيقة.

وخرجت السيدة زورزي ظهر لخميس الى حديقة منزلها لاختيار جاجتين للعشاء. ولكن أذهلها ان ترى نبتات البندورة (الطماطم) شبه محترقة واوراقها ذاوية وسهلة التفتيت. ومرّت بجانب قن الارانب، وصُعقت حين رأت الدم ينزف من آذان الحيوانات وأعيُنها. ثم ركضت بحذر نحو قنّ الدجاج وفتحت بابه لترى جميع الفراخ نافقة. وعلى الفور تذكرت أنها وأفراد عائلتها لم يكفوا عن أكل الحيوانات والخضر من حديقتهم منذ ظهور الغيمة المشؤومة قبل خمسة أيام. فما ترى سيحل بهم؟ فجمدها الخوف مكانها.

وبقي انتشار الخبر محدوداً لأنه لم يلقَ أي اهتمام من الصحافة والاذاعة. وانتقلت أخبار الطيور والحيوانات من فم الى آخر. أما الأعراض التي ظهرت على الناس فظُنّ أنها مجرّد اضطراب في المعدة او طفرة في الجلد تستدعي الصبر. وكان فقدان المعلومات بالنسبة الى الأطباء مثاراً للانزعاج أكثر منه مثاراً للخوف. وعلى رغم تفشي الاستياء في المصنع، إلا ان عدم الاكتراث بقي هو السائد.

ونُظر الى الأخبار التي تناقلها الناس كاشاعات، واعتُبرت التحذيرات التي وُجهت من مكتب المحافظ مسألة محلية محصورة في نطاق المصنع.

وكان بعد ظهر الجمعة أن حُمل طفل ذو سنتين الى المستشفى وعلى جسمه قروح مبثوثة. وفي اليوم نفسه اجتمع محافظا سيفيزو وميدا المجاورة بمسؤولين عن مصنع ايكميزا، غير أن كل ما سمعاه منهم كان أنهم يحثون الشركة الام في سويسرا على الاسراع في تحديد طبيعة السم. لكنهم أضافوا انهم لا يرون حاجة الى مزيد من التدابير الوقائية، بل يرتأون دعم التدابير السابقة بملصّقات حول الموضوع.

الرعب المحدْق

صباح السبت كان مكتب المحافظ قد أُغرق بالطلبات والشكاوى، وهو لما يزل ينتظر المعلومات من شركتي جيفودان وهوفمان - لاروش. وبينما هو ينتظر، ورده مزيد من الاخبار المشؤومة. فقد أُدخل ١٨ طفلا آخر المستشفى والقروح الكبيرة تغطي أجسادهم. كما أُدخل بعض البالغين الذين أُصيبوا بالغثيان والتقيّؤ، وبينهم السيدة كاسيو التي ساءت حالها على نحو ملحوظ.

وكانت الطيور تتساقط من السماء باعداد كبيرة وتقع نافقة في الحقول. وأخذت القطط والكلاب تسير مترنحة في الشوارع ويسقط بعضها جثثاً هامدة. وراحت الأرانب والدجاج تنزف بأعداد أكبر. واستمر الألم يبرّح بالقطتين السياميتين ليلي وفاني اللتين تخصان كارلو كاسيو.


طفل مصاب بالتآكل الجلدي قيد العلاج.

ولم يعد أنينهما يطاق. وحملهما كارلو الى الطبيب البيطري عله يسكن ألمهما.

واستقبل الطبيب البيطري مواطنه كارلو بهدوء في عيادته التي غصت بحيوانات لم يجْدِ ها العلاج لأن ذلك المرض المهلك كان لغزاً. وفحص الطبيب ليلي وفاني وأصدر حكمه على الفور: انهما منتهيتان. ووافقه كارلو على أنه يجب تخليص القطتين من عذابهما.

في تلك الأثناء كان الاهتمام محصوراً في سيفيزو. واعتبر سكان القرى المجاورة أنفسهم محظوظين لأنهم كانوا أبعد منها عن المصنع. والواقع ان سكان بلدة سيزانو ماديرنو، الواقعة على بعد ثلاثة كيلومترات جنوب ايكميزا، اعتبروا أن الروايات المتسربة من سيفيزو اشاعات تنقصها البراهين.

ولكن في العشرين من يوليو (تموز)، أي بعد انقضاء عشرة أيام على الحادث، سمع طبيب سيفيزو البيطري من زميله في سيزانو ماديرنو ان الدجاج والبط والأرانب كانت تنفق كذلك في البلدة الاخرى... لقد زحف التلوّث بصمت خارج حدود سيفيزو.

وفي ميلانو علم مراسلو الصحف، متأخّرين، أن حادث الغيمة السامة قد يكون ذا أبعاد خَطِرَة. وكان احدهم، برونو امبروزي، يعمل في قسم الاخبار في التلفزيون. وخوّلته معلوماته الكيميائية ان يعرف، بعد الاطلاع على تقرير موجَز حول الموضوع، أن الحادث ربما تجاوز كونه حادثاً صناعياً عادياً.

وبعد مقابلته محافظ سيفيزو، تبين له ان الجميع كانوا غير واثقين من تركيب الغيمة. وتعجب من كونهم لم يتصلوا بمعهد ماريو نيغري في ميلانو، وهو مؤسسة ذات شهرة في بحوث الكيمياء الطبية.

وتناول امبروزي هاتف المحافظ واتصل بالدكتور لوشيانو منارا، رئيس مختبر البحوث الأيضية في المعهد. ومن مختبره وجد منارا أن مادة "ت.ك.ف"، حين تتجاوز حرارتها الـ ٢٠٠ درجة مئوية، تنشأ عنها مادة "ديوكسين". ولا بد من ان تكون الحرارة تجاوزت ذلك الحد بما أن صمام الأمان فُتح خلال الحادث.

وانتابت الدكتور منارا قشعريرة بعدما قرأ الشرح المتعلق بالديوكسين. فسم الديوكسين يفوق

سم الـ "ت٠ك٠ف" مليوني مرة، علماً ن مقدار نصف غرام من الـ "ت٠ك٠ف" يكفي لاهلاك نصف الحيوانات التي تتناوله كما بينت الاختبارات٠ وبين المقالات التي راجعها منارا عن الديوكسين واحد جاء فيه انه "أقوى سم جُزيئي معروف حتى اليوم"٠ وأشار الى أن سميته تحجب مفعول الزرنيخ والاستركنين٠

أما أثر الديوكسين على الناس فليس بأقل منه على الحيوانات٠ فهو قد يصيب الكبد والكليتين على نحو جاد، وقد ينتج منه مرض جلدي فتاك بعد فترة أقصاها أربعة أشهر من التعرض له٠ وظهر من الفحوص التي أُجريت على حيوانات مخبرية أن تعرضاً خفيفاً للديوكسين كاف لاحداث خلل وراثي ان لم يكن لاحداث تغيُّر في الخصائص الوراثية يؤدي الى السرطان٠

وأخبر الدكتور منارا صديقاً له أن الدقائق التي قضاها في مطالعة المادة المكتوبة حول الديوكسين كانت "أشد عشر دقائق هولا عشتها في حياتي٠ فلا أنا ولا أهالي سيفيزو كانت لنا أي فكرة عن ذلك السم الفتاك٠ ولم أشأ ان أقضّ مضجع السكان، ولكن كان علي ان أخبرهم الحقيقة"٠

وحين اتصل امبروزي مرة اخرى بعد عشر دقائق، نقل منارا اليه الخبر الأليم، قارئاً عليه خصائص الديوكسين٠ وتضخم أثر ذلك التقرير في اليوم نفسه حين اتصل الخبراء بالمحافظ من سويسرا، مؤكدين احتواء عينات التراب والنبات والحيوان التي أُرسلت اليهم على مادة الديوكسين٠

وفي الخارج بدأت السماء تمطر، مع عواصف رعد قوية٠ وأخذت الأنوار تشتعل بتقطُّع بينما شعر المحافظ روكا كأن نوبة هذيان انتابته٠ فهو كاد لا يصدق ما نُقل اليه٠ وأحس برأسه يخفق فيما كان الرعد والأنوار المترجرجة تزيد الوضع رعباً٠

ما الفعل؟

في الأيام العشرة التي أعقبت تسرب السم، لم يقف العلماء السويسريون مكتوفي الأيدي٠ فهم كانوا على علم ببضعة حوادث صناعية سابقة تسربت فيها مادة الـ"ت٠ك٠ف" من مصانع في انكلترا وألمانيا وهولندا والولايات المتحدة، وأدت الى تكوّن الديوكسين من غير قصد٠ وعلى رغم ان التلوث انحصر في المصانع، الا ان العواقب كانت أليمة٠ فقد توفي عدد من العمال على نحو بطيء، وظُنّ أن بلايا عدة انتشرت، منها السرطان وأمراض الكبد والكلى الحادة والتسمم العام وتفسخ الجلد٠ وكانت نتائج تلك الأمراض تظهر ببطء، على امتداد أسابيع وأشهر وحتى سنوات٠

غير أن الأدهى من هذه جميعاً هو ثبات الديوكسين٠ فهو لا ينحل في الماء٠ واذا حل في مكان فقد يبقى فيه سنوات٠ والمصنع الذي تسربت منه تلك المادة في هولندا فُكك حجراً حجراً وكُسي بالاسمنت وأُلقي في قاع البحر٠ أما في انكلترا فقد نُظف المصنع الملوث بعناية فائقة٠ ولكن بعد أشهُر ثمانية وُجد الديوكسين في بعض أجزاء المبنى٠

من هنا كان أمام العلماء المعنيين بحادث ايكميزا أن يقرروا ما اذا كانت الغيمة تحتوي على الديوكسين وبأي مقدار. ومن سوء التقادير أن يكون تحري الديوكسين معقداً وبطيئاً.

وبيّن تحليل اولى عينات التراب والغبار المرسلة من ايكميزا أن هناك كميات هائلة من الديوكسين في غرفة المفاعل. وأُعطيت أوامر بجمع عينات اخرى من مناطق تبعد أكثر فأكثر عن المصنع لتقرير نطاق انتشار السم. واذا ظهر ان الديوكسين تسرب الى المناطق السكنية والزراعية والتجارية بمقادير كبيرة، فمعنى ذلك ان هناك حلا واحداً ممكناً، وهو اخلاء المنطقة الشامل وعزلها التام عن بقية المناطق.

وتبين من تحليل العينات التي أُرسلت خلال الاسبوع الاول أن نسبة السم لم تهبط. ولدى حلول اليوم العاشر - وكانت الفحوص أكدت نوع السم - اتُّخذ قرار فوري باعلام السلطات الايطالية بوجود مادة الديوكسين، على رغم أن نطاق التلوّث لم يكن حدد بعد.

فتحركت السلطات بسرعة، فأمرت باقامة مركز طوارىء في مدرسة ابتدائية حديثة في سيفيزو، ودعت الهيئات الطبية المحلية والمجاورة الى تزويده بالموظفين والمعدات. وأُنذرت قرى الجوار، وهي سيزانو ماديرنو وميدا وديزيو، بأن التلوث قد يصيبها جزئياً. وأُعلنت حال طوارىء فيها. وفجأة لاحت في الافق احدى أشد المشكلات الاجتماعية والطبية تعقيداً، وهي مشكلة لم يواجه الرسميون والعلماء والأطباء والأهالي مثيلا لها.

ترى أي برنامج طبي يمكن انشاؤه لفحص جميع الناس في سيفيزو والمناطق المحيطة؟

وعند أي نقطة خارج حدود المصنع ينتهي هلاك الحيوانات وتلوث المزروعات والأعشاب؟

وأي المنازل والمكاتب والمصانع تجب تخليتها؟

وأين يمكن ايواء السكان؟

وماذا عن السيارات والشاحنات التي كانت تثير الغبار وتحمل الديوكسين معها؟

وكم من الديوكسين انتقل الى أجسام البالغين الذين يعيشون في المنطقة عبر الخضر والحيوانات التي أكلوها؟

وماذا عن الأطفال الذين - اضافة الى تناول الطعام الملوّث - لعبوا فوق العشب؟

ربما بلغ عدد الذين أُصيبوا الآلاف. وهم لم يكونوا مضطربين فحسب، بل كانوا يقاسون أسوأ الظروف والضغوط. ولم يشأ الرسميون ان يتكلموا حول الأمر قبل اخلاء المنطقة تجنّباً للذعر الذي يخلفه ذلك. وحملت الأمطار معها وعداً كاذباً بأنها ستذيب الديوكسين وتنظف الأرض من آثاره. ولكن سرعان ما تبين ان ذلك مستحيل، وأن الديوكسين باق.

القطاع "أ"

اتُّخذت تدابير كثيرة وُضعت كلها موضع التنفيذ في آن. فجُمعت الحيوانات النافقة وحُدّدت مواضعها

لمعرفة مدى انتشار الديوكسين. وأجرى الدكتور كارلو بيناغي، مدير المعهد الاقليمي للطب البيطري في ميلانو، مجموعة من التشريحات لتحديد سبب الوفاة وضخامة التلف الداخلي الذي أصاب تلك الحيوانات.

وما ان شرّح الدكتور بيناغي الحيوان الأول، وهو أرنب، حتى أجفل ولم يصدق ما رأى. فقد كانت الأنسجة تحت الجلدية منتفخة على نحو غير طبيعي. وكانت القصبة الهوائية تعرضت لنزف كبير وأصيب الكبد والكليتان بأذى جسيم. وقال بيناغي لزميل له: "لم اشاهد في حياتي المهنية تلفاً داخلياً بهذا الحجم".

وعلى جبهة اخرى، راح الدكتور جيوفاني غالي والدكتور فلامينيو كاتابيني من معهد ميلانو للعلوم الصيدلية يحللان عينات من النبات والتراب في محاولة لمعرفة القطاعات الملوّثة. ووضع المختبر الصيدلي نفسه في حال طوارىء، مجنداً نحو مئة فني لاجراء ٤٠٠ اختبار في الاسبوع. والديوكسين فعال بحيث أن جزءاً من المليون منه ينطوي على سم زعاف. وتبين من تحليل العينات الاولى، وهي الأكثر تلوثاً، أنها أقوى من ذلك بـ ٣٠٠ الى ٤٠٠ مرة.

وفي الوقت نفسه أخذ فيتوريو ريفولتا، وزير الصحة في مقاطعة لومباردي، يقارن نتائج تحليل التراب والنبات مع نتائج تحليل العينات الحيوانية. وعلّقت نتيجة المقارنة على خريطة كبيرة في مكتبه، مع ذكر جميع التفاصيل والامور الصغيرة. ووُضعت على الخريطة فوق مقاطعات سيفيزو وميدا وسيزانو ماديرنو اشارات حمراء صغيرة في أماكن وجود الحيوانات النافقة. وظهر ان التلوث ضرب الطريق الممتدة من كومو الى ميلانو على الجانبين، حتى مسافة ١٥٠٠ متر جنوب المصنع. وعُلّق تحذير لأصحاب السيارات والسائقين يقول: "منطقة ملوثة. اغلق النوافذ. لا تتوقف. اقطع الطريق على مهل".

ووُضعت الاشارات الحمراء على الخريطة حول المنازل في شارع كارلو بورتا والشوارع المجاورة، وغصت بها الأماكن مثل ملعب البيسبول ومركز التسلية وبركة السباحة والمقبرة ومركز سيفيزو التجاري، كورسو ايسونزو. وهال ريفولتا ان يرى أن معدّل الحيوانات النافقة في هذا القطاع بلغ ٩٠ في المئة.

كما أُلصقت على الخريطة اشارات خضراء تعين وجود حيوانات مصابة وهالكة في منطقتين معزولتين شرق القطاع الرئيسي وغربه، على مسافة ١٥٠٠ متر من معمل ايكميزا، في الجزء الجنوبي من سيفيزو. والمنطقتان تقعان في بلدة سيزانو ماديرنو، حيث راح الطبيب البيطري يحصي الحيوانات النافقة والتي هي على وشك الهلاك. وبين فحص هذه الحيوانات أنها مصابة بأذى وتلف في أنسجتها تحت الجلدية، وفي الكبد والكلية كذلك، وهي الظواهر التي اخافت الدكتور بيناغي. وأخيراً عُلّقت لافتات صفراء فوق الأماكن الخالية من الاصابات بين الحيوانات.

ولدى التدقيق في الأوراق الملصقة على خريطته، سرّ ريفولتا ان يرى

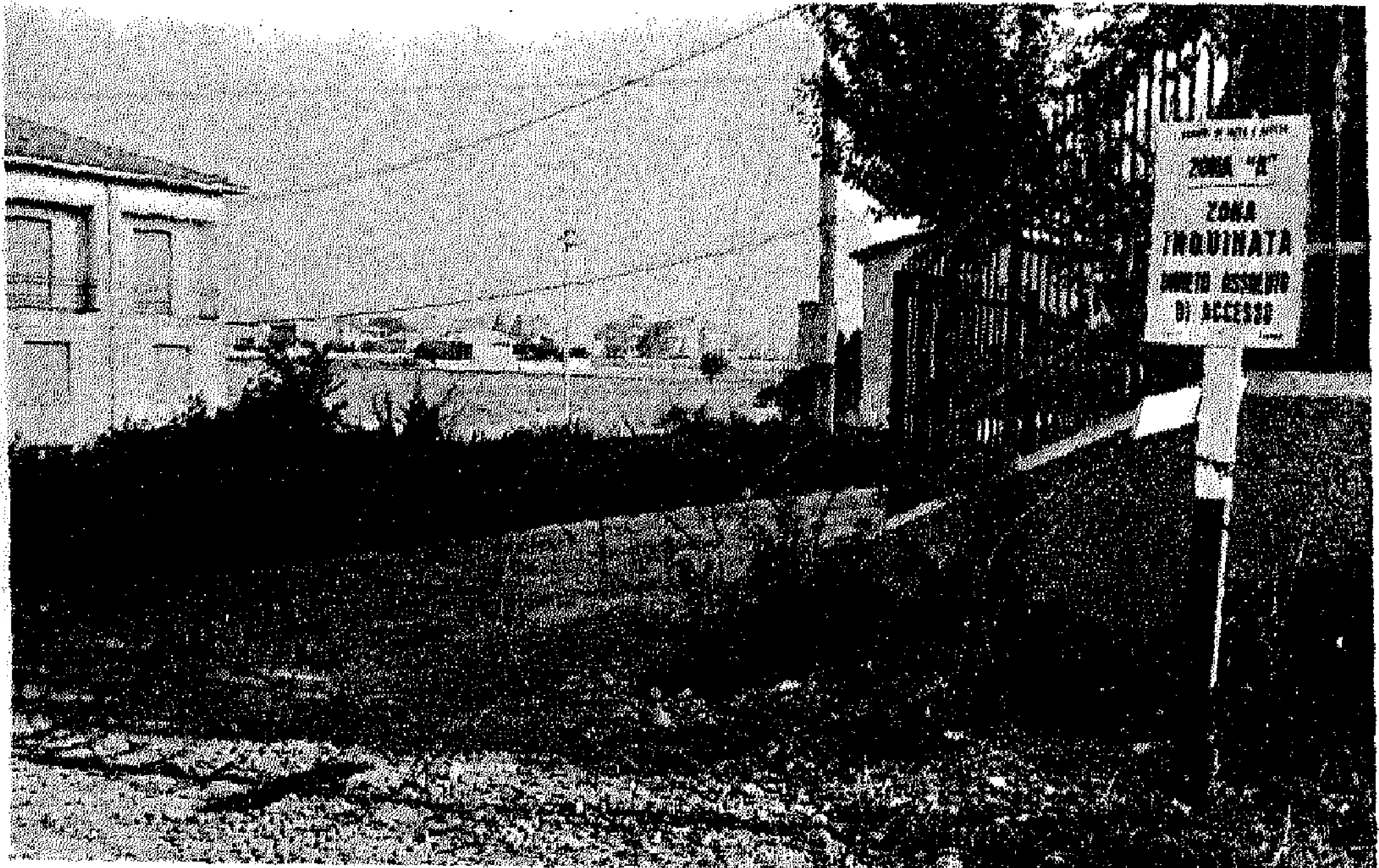
ان الغيمة المشؤومة لم تضرب ذاك الجزء من سيفيزو الذي يسكنه أكبر عدد من الناس. الا ان الجزء المصاب كان كافياً، إذ بلغ طوله كيلومترين وعرضه نصف كيلومتر.

هذه المنطقة التي رُمز اليها باللون الأحمر سُميت "القطاع أ". والمنطقة ذات اللون الأخضر سُميت "القطاع ب". وهناك منطقة يشترك فيها الأصفر والأخضر وقليل من الأحمر لم يقرَّر وضعها نهائياً، وقد سُميت "القطاع ر". وبعد استشارة السلطات المحلية والاقليمية والقومية، أصدر ريفولتا أوامره على مضض باخلاء "القطاع أ" يوم السبت ٢٤ يوليو (تموز). وكان على أكثر من ٢٠٠ شخص أن يغادروا المكان بعد انقضاء اسبوعين على الكارثة، وبينهم آل زورزي وآل كاسيو والعائلات الاخرى في شارع كارلو بورتا.

وجاء أمر الاخلاء مفاجئاً بحيث ان المهيأين له كانوا قلة. وأخذ آل زورزي وآل كاسيو وجيرانهم ينظرون الى رجال الشرطة المحلية والشرطة العسكرية القومية يقتربون بانكسار. وقادوا الناس برفق بالغ الى السيارات والحافلات. ولم يُسْمَح لهم بأخذ قطع أثاث أو أدوات منزلية. واقتصر كل منهم على حقيبة ثياب.

"اذا كان ضرورياً، فالى الأبد"

بُعيد الاخلاء الاول، بدأت فرقة عسكرية تمد شريطاً من الأسلاك الشائكة حول "القطاع أ"، بلغ طوله عشرة كيلومترات. وعُلقت لافتات لابعاد الناس عن المكان. ولم يُسْمَح بدخول القطاع الا للاطباء البيطريين والمتطوعين الذين راحوا يقتلون كل حيوان يصادفونه، وكانوا جميعاً يرتدون ثياباً خاصة ويضعون



خلف الاسلاك الشائكة تقع "مدينة الاشباح" في القطاع "أ".

أقنعة، ورُفعت متاريس تشير الى "القطاع ب"، وأُمر بقتل جميع الحيوانات في هذا القطاع أيضاً وفي "القطاع ر" كذلك.

ولم يكن ذلك بالعمل الجميل. فقد دخل الرجال مدينة أشباح ترافقهم حراسة مسلحة، وراحوا يتعقبون الدجاج داخل حظائره المسيجة ويقبضون على الأرانب في زرائبها ويقتلونها بهدوء ثم يضعونها في أكياس نايلون سوداء لارسالها الى المختبر البيطري في ميلانو حيث سيتم فحصها. وقُضي على قرابة تسعين ألف حيوان وطير بهذه الطريقة وذلك لتجنُّب انتشار التلوث وتحديد المناطق الواجب اخلاؤها. وكان على الرجال تعقُّب البط والخراف والماعز وبقية الحيوانات في تلك المنطقة وذبحها، كما كان عليهم اتلاف البيض والجبن والحليب. وأُمر الصيادون بعدم أكل صيدهم بل ارساله الى السلطات الصحية. وأُتلفت قفران النحل وعسلها على امتداد خمسة كيلومترات من المنطقة الملوثة.

وفي "القطاع ب" حيث كانت العائلات لا تزال في منازلها، نفذ الرجال مهمتهم الشاقة على مضض ولم يلقوا اعتراضاً من الأهالي الذين ران على وجوههم الحزن واليأس. وهناك عدد كبير منهم اشترك في عملية الذبح، وفي ذهنه سؤال صامت: هل سيحين دورنا لاخلاء منازلنا؟

ولم يكن سؤالهم غير ذي بال. فالخريطة في مكتب ريفولتا كانت تُظهر زيادة في عدد الحيوانات النافقة في "القطاع ب"، فضلا عن احتواء النبات والتراب على كميات كبيرة من الديوكسين. وكان ريفولتا يمقت فكرة الاضطرار الى اصدار اوامره الى عدد آخر من الناس باخلاء منازلهم. ولكن تبين له في ٢٩ يوليو (تموز) ان لا بد من توسيع "القطاع أ". وهذه المرة أُمر نحو ٦٠٠ شخص بمغادرة بيوتهم.

ومد أفراد الجيش مزيداً من الأسلاك الشائكة، وكبرت مدينة الأشباح. ولكن لم يتعد الخراب الملموس وجود جثة قط هنا وشلو طائر هناك. وبقيت المنازل داخل الأسلاك الشائكة سالمة من الأذى وستائرها مغلقة كما تركها أصحابها. وبدت البلدة جثة ضخمة ممددة على الأرض. لكن العشب كان لا يزال أخضر وأشجار الفاكهة محملة بالثمار. ووقف مراسلو الصحف، الذين فرغوا أخيراً من تغطية أخبار هزة أرضية هائلة حلت بالجزء الشمالي الشرقي من ايطاليا، مشدوهين أمام تلك الكارثة الجديدة التي لم يسبق لها مثيل. فهي كانت مخيفة وخفية ومن صنع الانسان، وقد حصلت بهدوء ومن غير مقدمات.

ولم يكن من أقل واجبات الوزير ريفولتا معرفة ما يجب فعله لوقف تلوّث الأرض والمنازل. فهذا النوع من الجهود لم يسفر الا عن نتائج ضئيلة في الأحداث السابقة. ففي حادث المصنع الهولندي، أُصيب العمال الذين كانوا ينظفون المنطقة الملوّثة بتفسّخ في الجلد. وتقول احدى ربات البيوت: "كان ذلك مرعباً، ولم ابصر في حياتي ما يشبهه. وقد ظهرت على وجوه الرجال بقع سوداء كبيرة".

واستشار ريفولتا عدداً من خبراء وقف التلوث، لكن أياً منهم لم يزوّده بحل مباشر. واقترح الخبراء الايطاليون احضار وحدة كيميائية عسكرية مزوّدة بخراطيم تقذف النار على العشب وأوراق الشجر. لكن ذلك من شأنه احداث مشكلات فورية، إذ أن الديوكسين لا تقضي عليه تلك الحرارة، بل يحمله الدخان واللهب الى مسافات بعيدة. ولا يمكن اتلاف الديوكسين الا بتعريضه لحرارة تتجاوز الألف درجة مئوية، وهذا يقتضي جهاز ترميد يبنى خصوصاً لتلك الغاية.

وقد أتفقت الدكتورة آن ووكر، وهي اختصاصية في أمراض الجلد كانت عالجت العمال في أعقاب حادث المصنع الانكليزي، مع علماء آخرين على ان آثار الديوكسين في المدى الطويل قد لا تظهر قبل عشر سنين أو ١٥ سنة. وفي حديث قاس وصريح الى الصحافة، قالت ما يأتي: "أرى أن يخلي جميع الناس منازلهم في الأجزاء المتضررة من سيفيزو، مع عدم السماح لهم بأخذ أي شيء معهم، حتى ثيابهم. ثم يجب اغلاق المنطقة وهجرها الى الأبد اذا اقتضى الأمر. وهذا وحده يكفل عدم توسيع رقعة التلوّث".

وارتأى خبير من وزارة الصحة الأمريكية، بين تدابير اخرى، هدم جميع البنايات وتعرية الأشجار في "القطاع أ"، فضلا عن إقامة حفرة تحرق فيها جميع الأوراق والأماليد والأغصان الملوّثة تحت حرارة تبلغ ١٢٠٠ درجة مئوية.

أما النصائح التي أسداها الخبراء حول الامور التي لا يجوز فعلها فلم تكن أقل أهمية. فالى الأخطار الناجمة عن احراق المواد الملوثة تحت درجة حرارة دنيا، يُخْشى حفر التراب إذ لا مكان يمكن القاؤه فيه.

وقرّ رأي معظم الخبراء على أنه يجدر رش المنطقة بسائل زيت الزيتون الذي قد يخفف قليلا من مقدار الديوكسين حين تضربه أشعة الشمس. وكانت شركة جيفودان تُعد اختصاصيين وتجهيزات لتنفيذ ذلك العمل. غير ان السلطات الايطالية ارتأت ان الصدوع والشقوق في الأرض وسطوح البنايات لن تنال ما يكفي من أشعة الشمس.

وأجمل ريفولتا المسألة بيأس من وراء مكتبه الذي اغرقته الطلبات والتوسلات الداعية الى العمل السريع: "لا احد يملك فكرة واضحة عن طريقة وقف تلوث المنطقة أو الوقت الذي يستغرقه ذلك".

العذاب البشري

إن عدم معرفة الدواء القاضي على سم الديوكسين ولد مشكلة قائمة في ذاتها. فقد كانت الاسعافات الأولية للتخفيف من عواقب الاصابة بال "ت.ك.ف" بسيطة نسبياً. أما آثار الديوكسين في المدى البعيد فبقيت مجهولة، مما سبب الخوف والقلق.

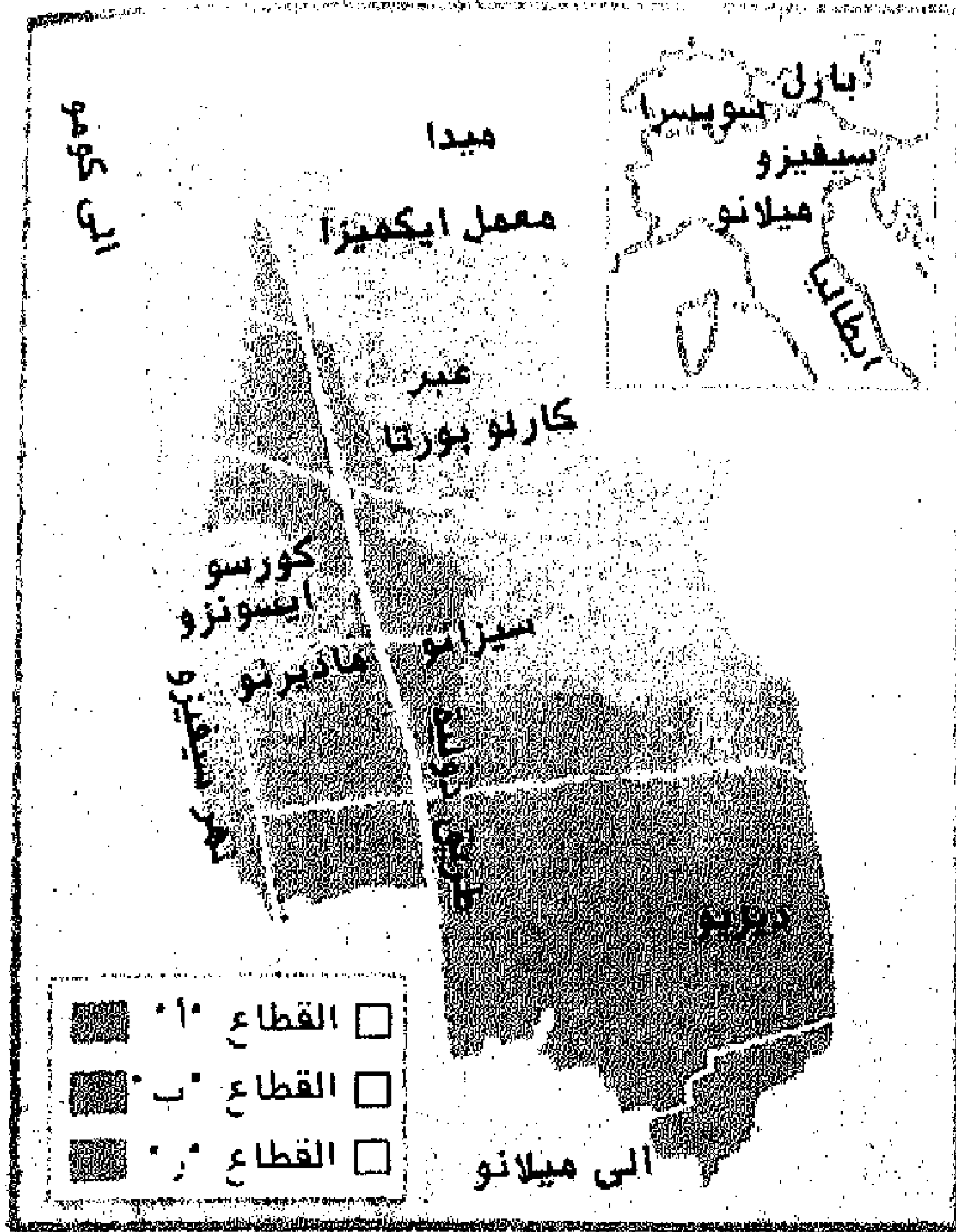
وقد أُصيب نحو ٥٠٠ شخص بشقوق جلدية مؤلمة وخلل في الكبد والكليتين. ولم يكن من السهل معالجة هؤلاء وسواهم من المرضى. وكان العلاج يتطلب اجراء اكثر من ٣٠ اختبارا لكل شخص، فضلا عن اعتماد أكثر وسائل التشخيص تطوراً. وغص مركز الطوارئ المقام في مدرسة

سيفيزو الابتدائية بآلاف السكان الذين قصدوه لاجراء فحوص دم·

وجُمع عدد كبير من الأنابيب من مئات المرضى الذين تسنى سحب عينات من دمهم في الأيام القليلة الاولى· وفي ٢٨ يوليو (تموز)، كان قد أُجري نحو ٣٠ ألف تحليل دم لـ ١٥٧٧ شخصاً· وكان هدف برنامج الطوارىء الرئيسي تتبُّع ٨٠٠٠ شخص تعرَّضوا لاصابات قوية· وهناك اكثر من ٢٠٠ ألف شخص آخر حول المنطقة المصابة سيقدَّم اليهم أفراد الفريق الطبي علاجاً أخفّ·

وكانت هناك تدابير وقائية ملازمة للبرنامج الطبي· فكان سكان "القطاع ب" الذين سيطلب منهم اخلاء منازلهم اذا كشفت الفحوص عن اصابات خطيرة، يذكرون دائماً بعدم لمس الأرض أو الشجر وبعدم أكل مزروعاتهم ودواجنهم وبارسال أولادهم خارج القطاع ليلعبوا في أماكن خُصصت لهم·

ومن أخطر الامور على الاطلاق ما واجهته النساء الحبالى من امكان وضعهن أطفالا مشوَّهين، علماً أن الاجهاض في ايطاليا جريمة يعاقب عليها القانون· ولكن بُعيد حادث مصنع ايكميزا، اتخذ وزير الصحة الايطالي الجديد، وهو من الحزب الديموقراطي المسيحي، تدابير لتسهيل عمليات الاجهاض في المنطقة المصابة· إلا أن الكنيسة الكاثوليكية بقيت متصلبة في موقفها التاريخي المعروف من الاجهاض، وان يكن احد المسؤولين صرَّح بأن الكنيسة لن تصدر أحكاماً ضد النساء اللواتي يقررن الاجهاض·



وقصدت أكثر من مئة امرأة حبلى المراكز الطبية في المنطقة طلباً للمشورة· وواجههن الأطباء بالحقيقة كما هي: ما من شك في ان الحيوانات المخبرية أظهرت تشوّهاً جنينياً على أثر حقنها بنسبة ٠،٠٥ في المليون من الديوكسين· أما الأثر بالنسبة الى الجنين البشري فلا يزال مجهولا· وتُرك القرار لصاحبة العلاقة التي وقفت حائرة أمام قوى ثلاث: ضميرها وعقيدة الكنيسة والقوانين الايطالية الغامضة حول هذا الموضوع· ولم يكن يسيراً اتخاذ ذلك القرار، وقد اختارت ٣٣ امرأة حاملا الاجهاض·

من المحتاج؟

حين أخذت معالم الكارثة تتضح تدريجاً، خصصت الحكومة الايطالية اعتماداً قيمته ٤٠،٤ مليار لير ايطالي (نحو ٤٨ مليون دولار) لمواجهة برنامج الطوارىء الصحي والاسكاني

وقد رفع هذا المبلغ، في ما بعد، الى ١١٥ مليارا. وفي الوقت نفسه أعلن ادولف جان من مدينة بازل السويسرية - وهو رئيس مجلس ادارة "هوفمان - لاروش"، أن الشركة ستعوّض جميع الخسائر المادية الناجمة عن الحادث (دفعت لاحقاً ١١ مليوناً و٥٠٠ ألف دولار وفتحت اعتماداً آخر في ميلانو) وتتعاون مع الحكومة الايطالية لوقف أثر الديوكسين. (★★)

إلا أن الشركة اتُّهمت بالابطاء في الاعلان عن حقيقة الكارثة واصدار التحذيرات الضرورية. ويرد غي فالدفوغل، رئيس شركة جيفودان، على ذلك بالآتي: "لم يُذكر الديوكسين منذ البداية لأننا لم نتأكد من وجوده قبل ٢٣ يوليو (تموز). وفي اليوم نفسه سلمنا النتيجة للسلطات الايطالية".

ولكن هل كان محتماً صنع صمام الأمان بحيث تتسرب محتويات المفاعل الى الجو لدى فتح الصمام عوضاً عن انصرافها الى برميل نفايات أو وعاء خاص؟

كان جواب فالدفوغل عن هذا السؤال مقتضباً: "لا نستطيع التعليق فعلا على هذا الأمر. وجل ما نعرفه أننا لا نملك حتى الآن تفسيراً صحيحاً لما حصل، وان أمكننا القول ان الحادث نجم عن اجتماع خلل فني وخطأ بشري".

في تلك الأثناء كان الاهالي المهجّرون يقيمون في فنادق مخصصة لهم. ولئن تكن ظروف اقامتهم مريحة، الا ان المقطع المفاجىء الذي حل بحياتهم شل حركتهم وأربكهم. فهم اشتاقوا الى جميع مقتنياتهم الخاصة وقضت مضجعهم فكرة الأمراض التي يمكن ان تصيب أولادهم.

وارتسم على وجوههم سؤال كبير بلا جواب، وهو: كيف يمكن أي شركة، مهما بلغ حجمها، تعويض خسارتهم؟

صحيح ان الخراب المادي كان كبيراً، ولكن كان متعذراً تقدير الألم والعذاب والدمار النفسي والتهجير وفقد الوظائف والخسائر المادية المباشرة وغير المباشرة.

والى ذلك، كانت هناك مسائل اخرى تسترعي الانتباه. وقد كانت الصحيفة البريطانية المرموقة "العالم الحديث" من الصحف الاولى التي أقامت موازنة بين المنافع والأضرار الناجمة عن مشاريع كيميائية من هذا النوع. وجاء في أحد مقالاتها: "لقد تبخرت أهداف مصنع سيفيزو (والمصانع المماثلة) لدى اعادة النظر في الأخطار الهائلة التي سببها". واقترح المقال ابدال الهيكسا كلوروفين (المطهر الجراحي) و"٢،٤،٥ - ت" (مبيد الحشرات الضارة) بمواد اخرى مأمونة.

وكان لذلك الرأي ما يدعمه. فقد تبين أن مادة الهيكسا كلوروفين، وهي من مخلفات الـ "ت.ك.ف"، أدت الى وفاة ٣٧ طفلا في فرنسا من جراء استعمال مسحوق يحتوي على نسبة ٦ في المئة من تلك المادة عوضاً عن

(★★) في خريف ١٩٧٢ خصصت مجموعة لاروش - جيفودان مبلغ عشرة مليارات ليرة وزعت على المتضررين، افراداً ومؤسسات، حصلت السلطات الايطالية على جزء منها. وقد فتح في ميلانو مكتب خاص لتوزيع هذه المساعدات.

نسبة الـ ٢٠ أو الـ ٤٠٪ في المئة المألوفة. كما وُجد أن كثيراً من المواد التي تزيل رائحة العرق تخلف رواسب خطرة في مجرى الدم اذا انطوت على واحد في المئة فقط من الهيكسا كلوروفين.

واستمر الانتظار المقلق بالنسبة الى الأهالي المهجَّرين. ومع حلول شهر سبتمبر (أيلول)، أي بعد شهرين من الحادث، ازداد التذمر من الآلام الداخلية، ولاحظ بعضهم امتزاج الدم ببوله. وبقيت القروح الجلدية الكبيرة من غير شفاء. غير أن تآكل الجلد، وهو العلامة الأكيدة على التسمم بالديوكسين، لم يكن ظهر بعد. ومعلوم أن أعراضه لا تظهر قبل أربعة أشهر من الاصابة به.

وبرز السؤال الآتي: مَن الأكثر تعاسة - عائلات "القطاع أ" المحصورون ضمن فنادقهم أم عائلات "القطاع ب" الذين تحوّلت منازلهم الى شبه سجون؟ فقد كان عليهم تنظيف أحذيتهم قبل دخول المنزل. ولكن ماذا عن أجسامهم؟ وكيف يمكنهم التخلص من الخرق والمناديل الورقية التي يستعملونها للتنظيف؟

وواظبوا على إرسال حيواناتهم النافقة الى قاعة المدرسة المحلية في أكياس ورق. وكانوا يحملونها كما يحملون أكياس التبضّع، ويرمونها على الطاولة بتجهّم، ثم يغادرون الباب صامتين. وكان الأطباء البيطريون يرقمون الجثث ويحصونها بعناية، ثم يرمونها بقسوة في ثلاجتين استعداداً لنقلها الى مختبر ميلانو. وران على المكان جو من الهدوء اليائس.

واتسعت رقعة "القطاع ب" من ٥٠ هكتاراً الى مئة هكتار، ولكن لم تُطْلَب تخلية منازل اضافية. وبعد تمحيص الأمر، ارتأى الوزير ريفولتا أن الضغط النفسي الذي ينشأ عن التهجير يفوق الأخطار المادية الملازمة للبقاء.

مستقبل مجهول

كان ذلك اليوم في مطلع الخريف، والأولاد في فندق ليوناردو دا فينشي القريب من سيفيزو يلهون بين الكنبات والكراسي، غير عابئين بالآثار السوداء والحمراء التي خلفتها القروح على وجوههم، فيما كان الأهالي الأكبر سناً يجيبون عن أسئلة الصحافيين الذين تحلقوا بأعداد كبيرة حولهم.

واغتاظ آل كاسيو وآل زورزي حين تذكروا الأيام الخوالي التي صرفوها بسعادة في شارع كارلو بورتا بالمقارنة مع خمولهم القسري في ذلك الفندق. وقالت السيدة كاسيو: "اننا نحاول تجاهُل الأمر كله. لقد أخبرنا الأطباء أن الديوكسين تراكم داخل أجسادنا وأن وضعنا خَطِر. اننا نريد منازل. لقد قمنا بأعمالنا ولم نزعج أحداً. واذا شئنا بَيْعْ منازلنا اليوم فلن يشتريها أحد. لقد تحول "القطاع أ" صحراء مقصورة على الفئران".

وقال جينو زورزي: "علينا الضحك على أنفسنا، فحاولوا أن تضحكوا معنا، اننا لا نبغي تضخيم الامور، لكننا نريد الاستمرار في حياتنا".

وتملّك الاهالي شوق جامح الى رؤية بيوتهم الخاصة. ورضخت السلطات لذلك الالحاح، سامحة لعدد

من العائلات باحضار بعض الأغراض التي تركوها في حجرات صغيرة وخزائن مقفلة ظنّ أن الديوكسين لم يصل اليها.

وكان آل كاسيو من الذين دخلوا "القطاع أ" عبر الأسلاك الشائكة. وأمرهم الحراس بلبس بزات بيضاء كالتي يلبسها رواد الفضاء، وبوضع أقنعة وقفازات وأحذية خاصة. واقتيدوا الى منازلهم برفقة مسلّحة. وما ان وطئوا عتبة الدار حتى انفجرت السيدة كاسيو بالبكاء. وطلبت من زوجها أن يسرع إذ هي لم تتحمل البقاء طويلا. وذهب الى خزانة أنزل منها حقائب ثقيلة تحوي الثياب الشتوية. وهز الجنود رؤوسهم بالموافقة. وانطلقت السيدة كاسيو لاحضار كتب كارلو المدرسية التي ووفق على اخراجها لأنها كانت ضمن خزانة مقفلة.

وألقيا نظرة على خشب الأرضية المزركش الذي بقي نظيفاً كما تُرك، وعلى أثاث غرفة الجلوس والمطبخ الخالي من العيوب والحمام المكسو بالبلاط. وكان كل شيء على حاله. وانفجرت السيدة كاسيو مرة اخرى بالبكاء. وللتو غادرا المنزل. ومرا على دائرة الحراسة حيث أُدخلا خياماً خاصة لنزع البزات البيضاء واحراقها. ونظف رجال الشرطة الأغراض التي حملاها كما نظفوا سيارتهما.

وعلى رغم هذه التسهيلات التي منحتها السلطات الايطالية، إلا أنّ الضغط في الفنادق التي احتلها المهجّرون بلغ حدّاً لا يُطاق. فقد تحلق أفراد عائلات "القطاع أ" في المطاعم بوجوه كالحة وأصوات ملجومة. وكانت أحاديثهم تدور حول موضوع واحد: لقد بدا لهم أنّ عملية وقف التلوّث أخفقت ولم تسفر عن نتائج ايجابية. وخشوا أن يكون الديوكسين تغلغل في كل شق ومكان نافذ وورقة ولحاء شجرة وثمرة وعشبة وحبة تبن وتراب. وتساءلوا اذا كان ممكناً تفتت السم كلياً. وبات وقف التلوث الآن مقتصراً على منع السم من تجاوز حدود صحراء "القطاع أ" الشقية.

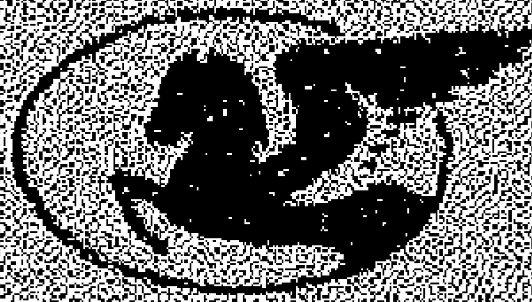
ولكن لم يعلم أحد بدّقة المواقع التي يمكن أن يكون الديوكسين بلغها او استقر فيها. لقد ابتهجت الطيور التي تغتذي على الجيف بأكل الجيف المصابة بالسمّ فطارت بعيداً. فهي لا تحترم الحدود المصطنعة. وأثارت الشاحنات والآليات العسكرية الغبار بعجلاتها. وحملت الريح الآتية من جبال الألب التراب والذرات الصغيرة الى أمكنة غير معروفة، ربما كانت على بعد عشرات آلاف الأمتار. وانتقلت الطيور والحيوانات البرية والفئران من المناطق المصابة الى أجزاء لا يعرفها أحد.

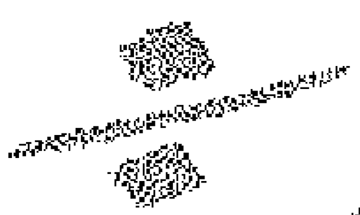
ولم يكن ممكناً إنجاز جهاز الترميد الذي يعمل بحرارة ١٢٠٠ درجة مئوية ويكلف الملايين قبل سنتين. ووُضعت الجثث في أكياس نايلون، بعضها فوق بعض، خلف جدار المقبرة، من غير أن تكون هناك طريقة للتخلّص منها. وكان على المسؤولين رشّ أوراق الخريف الساقطة بصمغ كيميائي يغطي السم ورميها بحذر. وما لبث أن تبين ان المطر الغزير ساعد الديوكسين على اختراق التراب

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ ـ محرم ١٤٠١

المختار

من ريدرز دايجست





البحرين تدخل عصر ما بعد النفط (ص ١٧)

...جولة (ص ٧٤)

اكتشاف ...د للحضارة (ص ٤٧)

...ن ٥٠٤ق ـ سورية ٣٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الإمارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين
ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٢٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٣٠٠ف
...٥٠٠م ـ المغرب ٣د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا واميركا الشمالية ٢٢٥د

AL MUKHTAR

حين ظهرت مقادير منه في الترسّبات النهرية·

وبعد انقضاء ثلاثة اشهُر على الحادث، أخذت أعراض التآكل الجلدي طريقها الى الظهور، فنتأت أكياس صغيرة بلون القشّ الى جانب بثور وحبوب ودوائر كبيرة ذات رؤوس سوداء، اضافة الى الاعراض الاولى التي كانت مادة "ت·ك·ف" سبباً لها· وارتفعت الاصابات الى ١٨٧ في آخر ١٩٧٧، وكان بين المصابين السيدة زورزي وآل كاسيو·

وجُرِّبت دهون ومراهم كثيرة· واستعمل مرهم الكورتيزون في بعض الحالات، وغُطيت وجوه المصابين بأقنعة لم يظهر منها سوى الفم والعينين· وأجري زرع جلد لبعضهم·

ومع حلول العاشر من اكتوبر (تشرين الاول)، لم يعد أهالي سيفيزو المهجرون يطيقون لجم مشاعرهم، فعبروا عنها بصراحة، طارحين المنطق جانباً· وصادروا حافلتين مع سائقيهما اللذين انطلقا بالمحتجين عبر الطريق الرئيسية في اتجاه بلدتهم· وانطلقت وراء الحافلتين قافلة من السيارات حملت نحو ٥٠٠ مواطن يائس·

وفي الثامنة والنصف صباحاً بلغت الحافلتان المصادرتان المفرق المؤدي الى سيفيزو· وهناك صدهما خفيران مسلحان· وتوقفت الحافلة الاولى ونزل منها الأولادالذين كانت تحمل عدداً كبيراً منهم· وتوجهوا نحو الخفيرين يتقدمهم بعض الرجال· ولم تصدر عن الخفيرين اي مقاومة، بل تراجعا· وازاح المتظاهرون المتاريس بلطف ووضعوها على جانب الطريق· وبعد قليل تجمعت السيارات على طريق ميلانو – كومو على امتداد كيلومترات·

واخترقت الحافلتان وقافلة السيارات التي تتبعهما "القطاع أ"، متوجهة الى دار البلدية· وخرج المحافظ روكا لملاقاتهم، آمراً رجال الشرطة بالتراجُع وهو يقول لهم: "لا أريد استعمال العنف ضدّ مواطني الذين لاقوا من العذاب ما يكفي"·

وفي وقت لاحق وصل المسؤولون الاقليميون من ميلانو· ورجا وزير الصحة ريفولتا الناس ان يعودوا الى فنادقهم· وحذرهم مسؤول آخر من الاخطار التي ينطوي عليها دخول "القطاع أ"·وحصلت بعض الصدامات وطرح السكان عدداً من المطالب· ووعد المسؤولون بتحقيق بعض الامور التي يستحيل تحقيقها حتى وان تكن لديهم الرغبة في ذلك·

وبدأ بعض المتظاهرين يتحركون داخل "القطاع أ"· وفجأة توقفت السيارات وانطلق ركابها كالسيل العارم فوق الطبقةالعليا من الارض التي تحمل الديوكسين في اتجاه منازلهم، من غير ان يضع أحد منهم الثياب الواقية· ولم يكن ذلك جزءاً من خطة مدروسة، بل كان تعبيراً عن الخيبة والكآبة العميقتين·

واعتصم عدد منهم داخل المنازل· ووقف زوجان خارج منزلهما ينظران اليه بصمت· وذهبا نحو مرآب السيارة، ووجدا في طريقهما مفك براغيّ وآلة لجز العشب·وشاهدا داخل المرآب كيس بطاطا موضوعاً على رفّ والبراعم قد افرخت منه· ولم يتغير شيء منذ تركهما المكان·

وحمل بعضهم معه سلالا خاصة بالنزهات وأكلوا بمرح يقارب الجنون على طاولات منازلهم. وأخذ الجيران يزورون بعضهم بعضاً كسابق عهدهم، كأن شيئاً لم يحدث خلال الايام الـ٩٣١ الماضية. لكنّ فرحهم أخذ يخبو تدريجاً وهم يعودون الى فنادقهم على غير نظام- جماعة يهيمن عليها الخوف واليأس وينتظرها مصير مجهول.

الربيع الصامت

في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧، وُلد ستة أطفال لأمهات من المنطقة المنكوبة. وظهر أول الأمر انهم لا يعانون أي مشكلة، الى أن حمل احدهم على جناح السرعة الى مستشفى في بلدة بافيا. واظهرت الجراحة أن الوليد مصاب بخلل بالغ في جهازه المعوي. ترى هل يكون الديوكسين السبب؟ لم يكن لدى أي طبيب جواب شاف عن ذلك السؤال. وجدير بالذكر أنّ العلماء اجروا آلاف التحليلات طوال اربع سنوات قبل اكتشاف العلاقة بين مادة الثاليدوميد والتشوه لدى الولادة. لذلك كان على امهات سيفيزو الانتظار قبل الحصول على نتائج مثبتة احصائياً.

وفي شهر فبراير (شباط)، توفيت جينوفيفا سينو، وهي في السادسة والخمسين، من جراء سرطان في الكبد وكانت تعيش وعائلتها في "القطاع أ" قرب آل زورزي وآل كاسيو. وكان لديها حفيدان تعرضا لأسوأ اصابة جلدية، وملأتهما البثور حتى غُطي وجهاهما ورأساهما بخوذة ضخمة من البلاستيك الأبيض... ترى هل كشف تشريح جثة جينوفيفا وجود الديوكسين فيها؟

وكانت هناك علامات شؤم أخرى. فقد انفجر مرض تآكل الجلد كأن له ثأراً على سكان سيفيزو. وسُجلت ١٣٠ إصابة أكيدة تجاوزت أطفال المناطق المنكوبة الى أطفال من مناطق اخرى.

وأمر باغلاق جميع مدارس سيفيزو ليتم تنظيفها بدقة. ووجدت كميات من الديوكسين في موقعين. وقُدّر أن يكون التلاميذ الذين يعيشون بالقرب من القطاعين "أ" و "ب" حملوا الديوكسين في نعال أحذيتهم.

وفي مطلع مارس (آذار) رَشَحَ خبر سيىء آخر. فقد بين تشريح جثة جينوفيفا سينو وجود الديوكسين في كبدها، من غير ان يكون ذلك سبب وفاتها.

وحين أطلّ الربيع على إقليم لومباردي وبدأت براعم التوت والتين تتفتح، ظلت بهجة الربيع بعيدة عن سيفيزو. ووجدت عائلات مهجرة كثيرة شققاً سكنية في سيزانو ماديرنو وسواها من القرى المحيطة، من دون أن يكون للعديد من هؤلاء، وبينهم آل زورزي وآل كاسيو، كبير أمل في العودة الى البيوت التي بنتها ايديهم. وفي "القطاع أ" المهجور، خلف الأسلاك الشائكة، حمل الفنيون المتشحون البياض مكانس كهربائية وراحوا يكشطون طبقة التراب العليا التي تغطي الحدائق وساحات البيوت. واستعملوا آلات اصغر لتطهير المنازل. وأرسل الغبار والتراب وعينات اخرى الى المختبرات لتحليلها. لكن عدم ورود نتائج التحاليل أغاظ المواطنين. كما اغتاظ المسؤولون الذين تأرجحوا بين

رغبتهم في قول الحقيقة والحاجة الى تطويق الذعر.

وفي منتصف ابريل (نيسان)، اكتشف الديوكسين على حين غرة في ١٥ مصنعاً في "القطاع ب" في بلدة سيزانو ماديرنو. واغلقت المصانع فوراً لمدة عشرة أيام بغية تنظيفها. وفي مايو (أيار) وجدت كميات هائلة من الديوكسين في ميدا، شمال المناطق التي اعتبرت ملوثة. وصدرت اوامر فورية بتنقية المنطقة. ولكن ترى هل باءت جميع المحاولات بالفشل.

وفيخريف ١٩٧٧ انجزت السلطات الايطالية تنظيف ثلث "القطاع أ"، متيحة لثلث العائلات المهجرة العودة الى منازلها.

في آخر يوليو (تموز) ١٩٨٠ اي بعد مرور اربع سنوات على الحادث، لا تزال مساحة ٥٠ هتكاراً ملاصقة للمصنع معتبرة منطقة محرمة (منذ يوليو ١٩٧٦). الا ان اعمال التنظيف لم تتوقف في هذه المنطقة وتأمل السلطات بانهاء هذه المهمة خلال السنوات الثلاث المقبلة. وثمة خطط لاقامة متنزه فوق المنطقة التي ستدفن فيها الفضلات السامة. وقد اعيد اسكان اربعين عائلة مهجرة في منازل شيدت على نفقة شركة جيفودان. وشفي المصابون الـ١٨٧ بالتآكل الجلدي وعاد النشاط الزراعي والصناعي والحياتي الى القطاعين "ب" و"ر" البعيدين عن المصنع. وتم الاتفاق بين مجموعة هوفمان ـ لاروش /جيفودان والسلطات الايطالية على قيمة التعويضات التي ستدفعها المجموعة الى المتضررين والتي قدرت بـ١٠٠ مليار لير. وصرح لويجي نو، العضو السابق في مجلس الشيوخ الايطالي والذي اشرف على تنسيق عملية اعادة السكان المهجرين من سيفيزو: "مع تحسن الوضع، هناك خطر بدأ سكان سيفيزو والمسؤولون الايطاليون نسيانه كما لم يعد ثمة داع الى اتخاذ اي احتياطات لازمة لمواجهته. ان همنا الرئيسي يجب ان يركز على تسريع عملية تنظيف المناطق المصابة".

■ جون فولر



قيل في الزكام

في هذا الوقت من السنة، يمتلىء الهواء بعطس الناس وزكامهم وسعالهم. فان أصابك الزكام الموسمي، فاتخذ من مآسي الآخرين وحكمهم عبرة وعزاء:

إنّ للحاكم المستبد سلطاناً على الارض اكثر من اي شخص آخر. ولكن لا يمكنه ان يوقف عطسة.

مارك توين

الزكام في ذاته ليس مزعجاً لولا نصائح الاصدقاء.

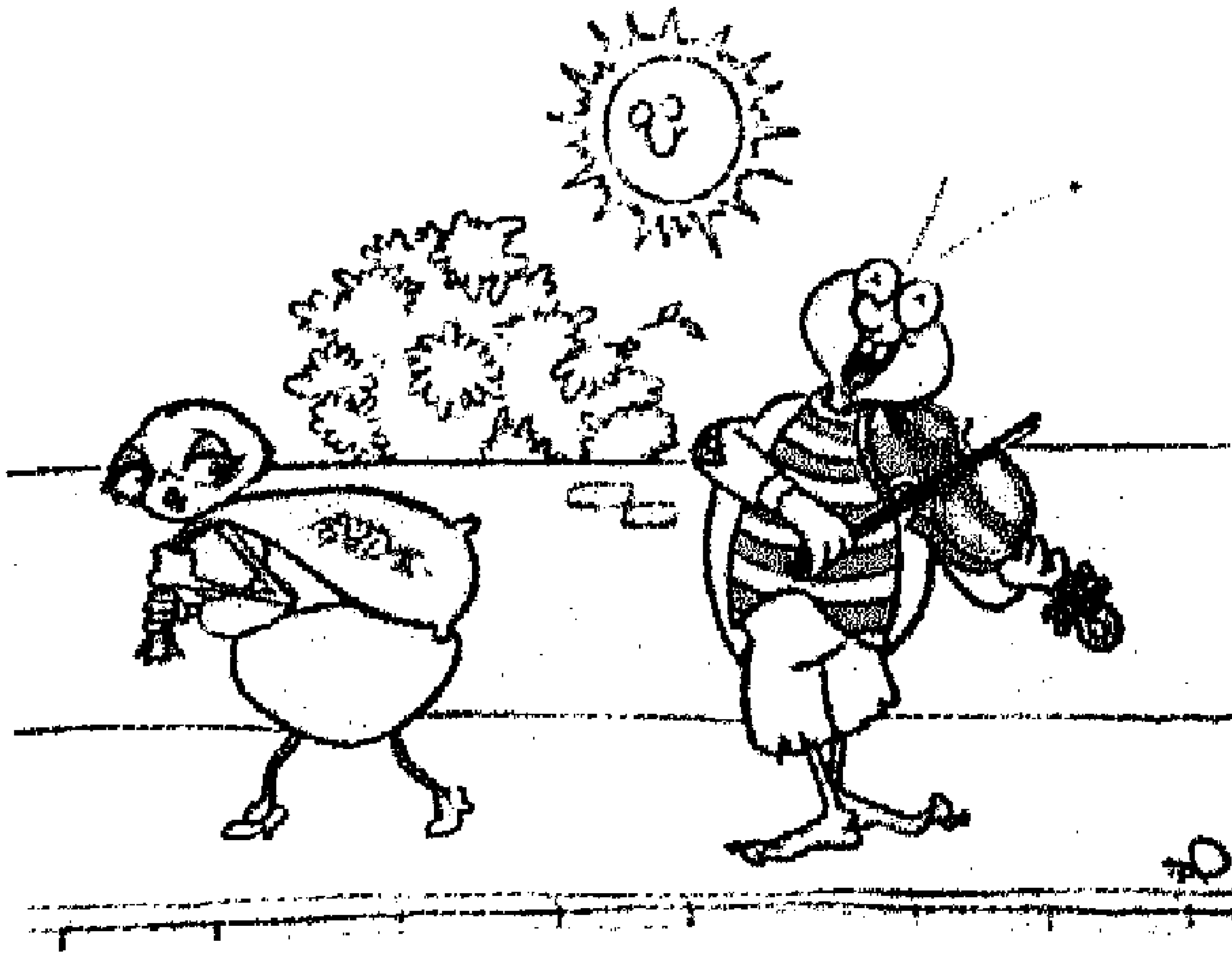
ك.هـ.

بعض الناس لا يعرف الراحة الا اذا اكتشف مصدر زكامه.

ج.ا.س.

اذا داويت زكامك فأنت تشفى في اسبوع. أما اذا تركته وشأنه، فهو يزول في سبعة ايام.

ا.غ.



حديقـــة أفكار

■ اذا شئت أن تكون لاذعاً فكن مقلاً ، لان الكلمات كأشعة الشمس: كلما كانت مكثفة كان حرقها اعمق.

روبرت ساوثي

■ ان حياتي هي في قبضة اي احمق يستطيع اثارة غيظي.

ج.هـ.

■ الذين يقاومون النار بالنار يحصلون عادة على الرماد.

ا.ف.ب.

■ لم انظر قط داخل ذاتي. فكيف لي أن أحكم على أفعال الآخرين؟

م.م.

■ المستقبل هو الماضي عائداً على طريق اخرى.

ا.هـ.غ.

■ لا ترتفع أمام المتواضعين ولا تتضع أمام المرتفعين.

ج.د.

■ المكافأة الوحيدة على فعل حسن هي تحقيقه.


رالف والدو امرسون

■ نحن ننزع الى تصديق اولئك الذين لا نعرفهم لانهم لم يخدعونا اطلاقا.

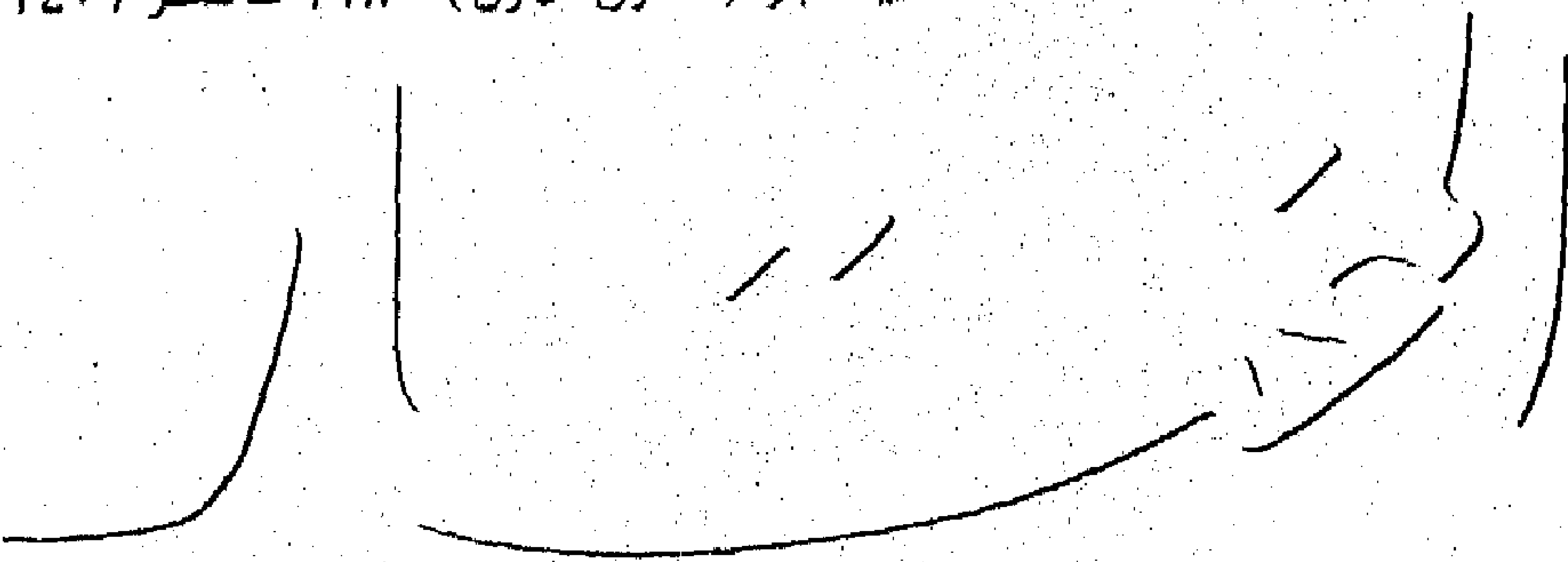
ساموپل جونسون

■ المساومة تعني تغيير السؤال ليلائم الجواب.

م.م.



ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠ ـ صفر ١٤٠١





من ريدرز دايجست

كيف نداوي لنسيان

(ص ٢٠)

الاهوار لؤلؤة العراق الساحرة

(ص ٣٦)

قصة الصراع العنصري في جنوب افريقيا

(ص ١٠٨)

لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٢٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف
تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٤د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

العصر الجديد

تخويل جي في سي كمورد رسمي للانظمة

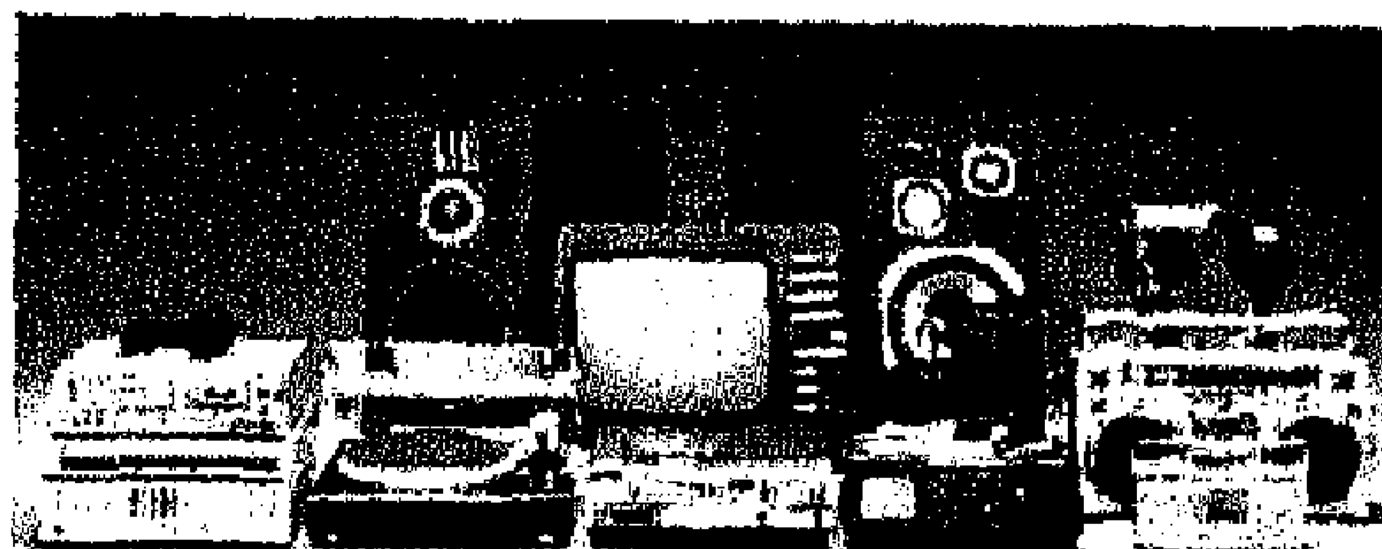
كلما لاحت تباشير عصر جديد فـي الانظمة السـمعية وانظمة الفيديو، كانت جي ·في ·سي · السباقة ·

اننا نفخر باعلان قرب دخولنا عصراً اكثر تقدماً في انظمة الفيديو وذلك باطلاقنا تقنية تبشر بانقلاب حقيقي في عالم الفيديو · انه نظام اسطوانة الفيديو V.H.D.

وهذا الابتكار يمثل تطوراً مثيراً الى درجة اننا شعرنـا بأن علينا الاحتفاء بالمناسبة على نحو خاص ·

وقد ارتأينا اشراككم في هذا الحـدث عبـر حـملة اعلامـية ننظمها من خلال الادوار النهائية لبطولة العالم في كرة القدم التي تمتد حتى بطولة كأس العالم في ١٩٨٢ ·

وربما تتساءلون انفسكم: لم حملة رياضية؟ والجواب هو اننا في جي ·في ·سي ·، نتمثل بالروح الشابة، وبالحيوية والشجاعة التي يحتاج اليها المرء ليصبح رياضياً عظيماً · فنحن نشعر بأننا كذلك كرسنا جهوداً مماثلة حتى استطعنا تجاوز العقبات وتحقيق النجاح المتواصل طوال ٥٣ عاماً. وقد حفلت هذه المرحلة بالتحسينـات الـرائـدة فـي الانظمة السـمعية وأنظمة الفيديو ·

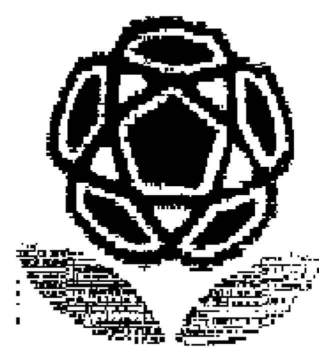


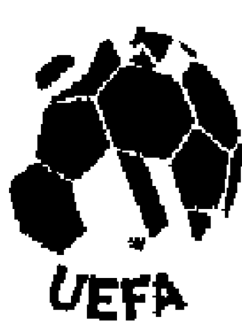
في المرة المقبلة عندما تهتف لفريقك المفضل فكر فينا · فنحن في جي ·في ·سي، نطلق كذلك بعض النشاطات المثيرة ·

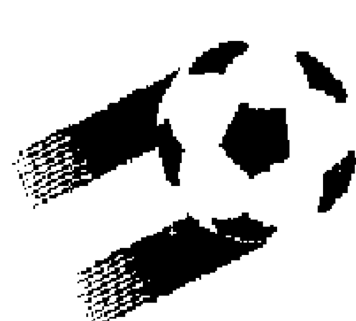
جي في سي

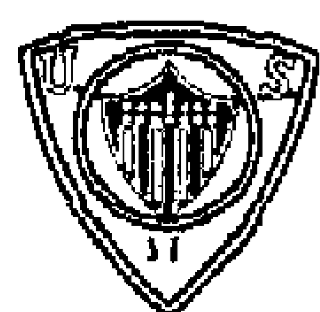
JVC

VICTOR COMPANY OF JAPAN, LIMITED



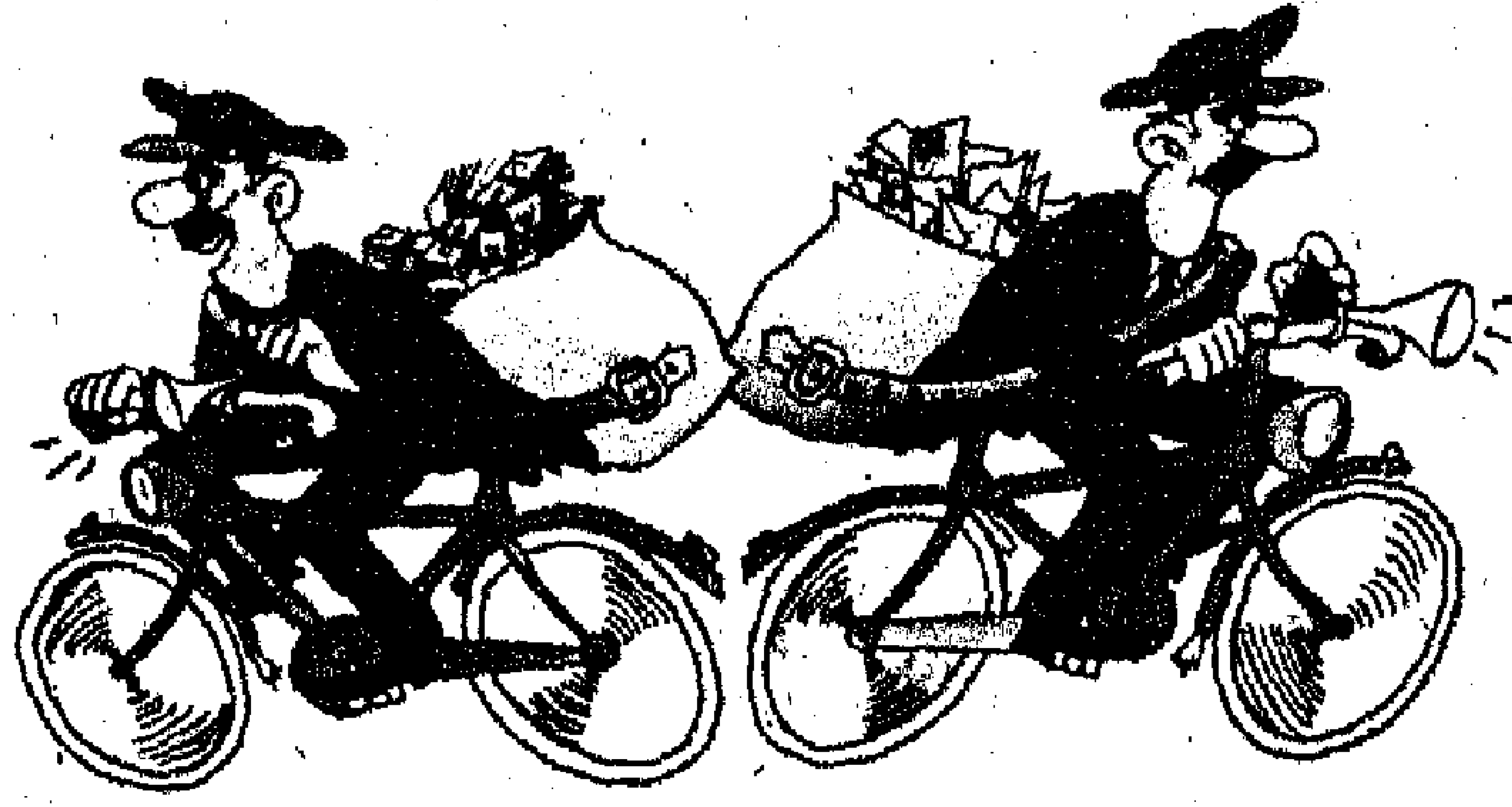












اكتب واربح

ل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في لمقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة تتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع بدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة أفكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة أفكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

مجلة المختار من ريدرز دايجست
شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني
ص.ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.

استبدلنا مقاييس الدقة العالمية باخرى جديدة وما زال سعينا مس

سَيكو تمنح عَالم السّاعات إشراقة جد

ديو ديسبلي كوارتز



DUO DISPLAY

مع تمسك سيكو الدقيق بالجودة التامة والدقة العالية فانها تقدم
لكم الآن اشراقة جديدة : ساعات ديو ديسبلي كوارتز ، والتي تتضمن تشكيلة
غنية تلائم الجميع . انها بالاضافة الى امتلاكها لميزات الساعات ذات العقارب
كالمنبه وزر التوقيت والتاريخ (اليوم والتاريخ) ودقة التوقيت فهي
تزودك بالمزايا المبهجة لساعات سيكو كوارتز الرقمية
تعالوا وشاهدوها لدى موزعينا الرسميين

سَيكو

SEIKO

سباق يوم تصبح فيه جميع الساعات بهذا الطراز





المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب .
رئيس التحرير المعاون: رمزي بخعازي .
امانة التحرير: راغدة حداد .
الاخراج: امل الزين عيد .

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا .
مدير التحرير: ألان دوليرو .

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس .

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية - بيروت

الخدمات الصحافية:
شركة النهار ش.م.ل. بيروت .

التحرير:
شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية،
ص.ب ٤٤٦ - ١١ التلكس (الموقت) LE ٢٣٢٣٣
ANAHAR بيروت . التلفون ٣٤٠٠٥٦ - ٣٤٠٠٤٤

الادارة والاعلانات والاشتراكات:
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ - ١١، التلكس LE ٢٢٤٨٨
التلفون ٣٤١٥٩٧ - ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.

الصف والتنفيذ:
المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت .

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات .
بيروت .

الغلاف: جوق ملائكة (باتيك)

AL MUKHTAR min Reader's Digest

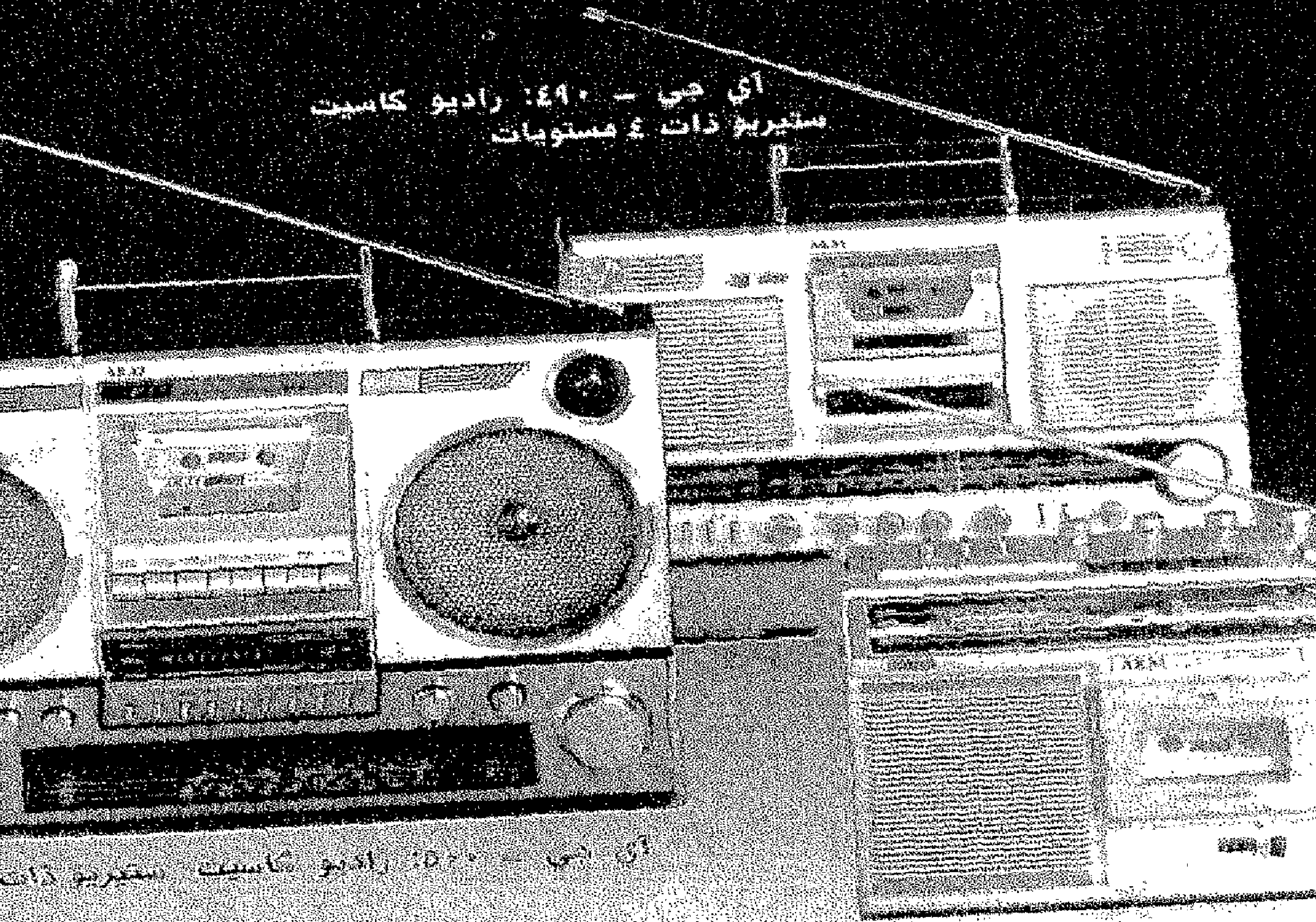


December 1980 No 25 (New Series). Vol 3

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٥ لغة

في راديو كاسيت أكاي

مهما كنت تفعل، وانى كنت متوجها: هناك دائما شي
يجعل الاوقات اكثر متعة. انها راديو كاسيت اكا
الستريوفونية. وهي رائعة بتنوعها، اداء وشكلا. وتتمت
بالميزات الفنية والغنى الستيريوفوني الذي اعتادت اكاي ا
تقدمها اليكم، فضلا عن الاسعار التي لا تضاهى.
لتكن الراديو كاسيت اكاي رفيقكم الدائم فتجعل اوقاتك
اكثر متعة.



راديو كاسيت ستيريو
ذات ٣ مستويات

AKAI

ماذا تعرف عن الغذاء؟

حاول الاجابة عن اسئلة هذا الاختبار،

ثم تحقق من صحة اجوبتك للحفاظ على صحتك

ماذا تعرف عن الغذاء؟

اذا كانت معرفتك مماثلة لمعرفة لشارين الذين أجابوا عن أسئلة وجهتها ادارة الغذاء والدواء الامريكية ضمن ثلاثة اختبارات منذ العام ١٩٦٩، فأنت تشارك غالبية من الامريكيين في بعض الاخطاء الشائعة.

وهناك عشرة من الاسئلة الآتية مستمدة من الاختبارات المذكورة، وسؤالان ينطويان على أخطاء مشابهة متعلقة بانقاص الوزن. والمطلوب الاجابة بعبارة "صحيح" أو "خطأ".

الاسئلة

١. يكفي أن تأكل أنواعاً مختلفة من الطعام للحصول على تغذية ملائمة.

٢. الذين لا يأكلون اللحوم والطيور والسمك يمكنهم أيضاً التمتع بصحة جيدة.

٣. الطعام الذي تتناوله بين الوجبات الرئيسية مفيد كالطعام الذي تتناوله خلال تلك الوجبات.

٤. الخضر الطازجة المطهوة في المنزل هي، في جميع الحالات، أكثر تغذية من الخضر المعلبة أو المجلدة.

٥. الوقعة الغنية بالبروتيين والقليلة الكاربوهيدرات (السكر والنشاء) هي خير سبيل الى انقاص الوزن.

٦. عندما تحاول انقاص وزنك، ابتعد عن النشويات كالخبز والبطاطا.

٧. اذا كان وزنك كما يجب أن يكون، فهذا دليل على حسن التغذية.

٨. اذا تناولت مقداراً من الفيتامينات يفوق المعدل، فهذا لن يعطيك حيوية وطاقة أكبر.

٩. الفيتامينات الطبيعية أكثر تغذية من الاصطناعية.

١٠. المتقدمون في السن يحتاجون الى كمية الفيتامين نفسها التي يحتاج اليها الشباب.

١١. الفيتامين الذي يحتوي عليه النبات النامي في تراب فقير مستنفد أقل من الذي يحتوي عليه النبات النامي في تراب غني.

١٢. النبات الذي ينمو بمساعدة الاسمدة الكيميائية مغذ كالنبات النامي على السماد الطبيعي.

الأجوبة

١. خطأ.

التنوع لا يضمن التغذية الحسنة. ويمكن أن يستمد الشخص البالغ غذاء متوازناً، يضمن له ما يكفي حاجته الجسدية من سعرات حرارية وبروتيين وفيتامين ومعادن، اذا اعتمد طعامه اليومي هذه الفئات الأربع الرئيسية:

- عنصران أو أكثر من الألبان، أي الحليب ومشتقاته من جبن ولبن وما شابه.
- عنصران أو أكثر من اللحوم: اللحم، الدجاج والطيور، السمك، البيض، بدائل اللحم كالحبوب الجافة والعدس والجوز.
- أربعة عناصر أو أكثر من فئة الخبز: الخبز، المعجنات، الحبوب ومشتقاتها.
- أربعة عناصر أو أكثر من الخضر: الخضر والفاكهة.

٢. صحيح.

هناك كثيرون يظنون أن النباتيين يفرّطون بصحتهم حين يتجنبون اللحم والدجاج والسمك. ولكن إذا تناول المرء ما يكفي من الألبان والبيض وبدائل اللحم، فهو يحصل على المقدار الضروري من البروتيين.

٣. صحيح.

إنّ القيمة الغذائية تعتمد على أصناف الطعام التي نتناولها، لا على الوقت الذي نتناولها فيه. فالطعام الخفيف المؤلّف من بيضة مسلوقة أو برتقالة ذو قيمة غذائية جيدة. أما الاكثار من الأطعمة الخفيفة ذات السعرات المرتفعة والتغذية القليلة فقد يكون ضاراً بالصحة، خصوصاً اذا حلت هذه الأطعمة مكان الوقعات الرئيسية المغذية.

٤. خطأ.

لقد بينت اختبارات ادارة الغذاء والدواء الأخيرة أنّ ثلاثة أرباع الشارين تقريباً مقتنعون بأنّ الخضر الطازجة التي تطهى في البيت تحمل على الدوام قيمة غذائية أرفع من قيمة الخضر المعلّبة أو المجلّدة. والحقّ أنّ الفرق الغذائي يكمن في طريقة أعداد الخضر وليس في كونها طازجة أو معلّبة وأنّ غلي الخضر المفرط، على سبيل المثال، يقضي على الكثير من عناصرها المغذية. واذا غُليت الخضر في مقدار كبير من الماء زُلّ عنها لاحقاً، فهو قد يحمل معه كمية كبيرة من الفيتامين القابل للانحلال في الماء. كما أنّ إبقاء الخضر مدة طويلة تحت درجات حرارة غير مناسبة أو في أوعية مكشوفة قد ينقص عناصرها الغذائية، سواء أكانت طازجة أو معلّبة.

٥. خطأ.

ليس هناك شيء سحري متعلق بالبروتيين. وخلاصة القول أنه عليك استهلاك سعرات اكثر أو تناول سعرات اقل من أجل إنقاص وزنك.

وجدير بالذكر أنّ أحد أكثر الأوهام انتشاراً حول الوزن هو أنّ الكاربوهيدرات، وليس السعرات المفرطة، سبب الشحم.

انّ الوقعات الغنية بالبروتيين والفقيرة بالكاربوهيدرات تحتوي عادة على كمية مرتفعة من الشحم (الذي هو، في أنظمة غذائية من هذا النوع، مصدر ٧٠ في المئة أو أكثر من السعرات). وكلّ مقدار من الشحم يحتوي على ضعفي السعرات التي يحتوي عليها المقدار نفسه من البروتيين أو الكاربوهيدرات.

والنظام الغذائي الذي يحدّ كثيراً من الكاربوهيدرات قد يكون ضاراً بالصحة عموماً. فمعظم الوظائف الجسدية تعتمد الكاربوهيدرات وقوداً أساسياً أو وحيداً. وفي حال عدم وجود كميات كافية منها، يضطر الجسم الى اعتماد وسيلة أقل جدارة، وهي تحويل البروتيين والشحم الى كاربوهيدرات. والافراط في تناول الشحم سيىء كذلك في حال الأشخاص الذين يعانون أمراضاً في أوعية القلب التاجية، كما ان الافراط في تناول البروتيين قد يكون سيئاً بالنسبة الى الذين يعانون خللاً في الكلى.

٠٦ خطأ.

اذا أوقفْتَ تناول النشويات كالبازلا والبطاطا والخبز والحبوب، تكون قطعت مصدراً ممتازاً للفيتامين "ب" بأنواعه والفيتامين "ج" وسواهما من العناصر المغذية.

الى ذلك، نجد أن مقداراً معيناً من الخبز أو البطاطا يحوي سعرات تقلّ عما في مقدار مماثل من لحم خاصرة البقر أو فخذ البقر أو العناصر الغذائية الاخرى الغنية بالبروتيين.

٠٧ خطأ.

ان الوزن الملائم لا يعني بالضرورة أنّ النظام الغذائي المتّبع غنيّ بالفيتامين والمعادن. فالميزان يساوي بين السعرات التي تحتوي عليها قنينة صودا قليلة الغذاء وبيضتان. أما كيمياء الجسم البشري فلا تساوي بين الشيئين.

٠٩ صحيح.

ومعلوم على نطاق واسع أنّ الفيتامين الوافر يزوّد الجسم بمقدار أكبر من الحيوية والنشاط. واذا كان غذاؤك مفتقراً جداً الى الفيتامين، فهذا يضعف العمليات الحيوية داخل جسمك. ولكن اذا تناولت من الفيتامين فوق ما تحتاج اليه، فهذا لن يجعل جسمك يؤدي وظائفه على نحو أفضل، تماماً كما أنّ امتلاء خزان سيارتك بالوقود فوق سعته لن يعطي السيارة حركة أفضل.

٠٩ خطأ.

وهناك كثيرون يظنون أنّ الفيتامين "ج" الذي تحتوي عليه ثمرة برتقال طازجة أكثر نفعاً من كمية مساوية من الفيتامين المركب. والواقع أنه لا فرق بين الاثنين. فالفيتامين المصنوع في مختبر له الخصائص والبنْية الكيميائية عينها التي لفيتامين مستخرج من النبات أو بعض أجزاء الحيوان.

٠١٠ صحيح.

المتقدمون في السنّ يحتاجون الى كمية الفيتامين نفسها التي يحتاج اليها الاصغر سناً. وانّ الحاجات الغذائية – باستثناء السعرات – لا

تتبدل كثيراً في المراحل المختلفة من حياة الشخص البالغ. ولئن تكن حاجة الجسم الى أنواع معينة من الفيتامين ترتفع في حال بعض الأمراض، الا أنّ هذا يصحّ على الشباب والشيوخ معاً.

١١. خطأ.

التراب الغني لا يجعل النبات النامي فيه أغنى من حيث الفيتامين. ذلك أن الفيتامين الذي تحمله مآكلنا ينتجه النبات نفسه عبر عمليات تقررها الخصائص الوراثية، وهو لا يأتي من التراب. الا أنّ المعادن التي ينطوي عليها النبات تأتي من الأرض.

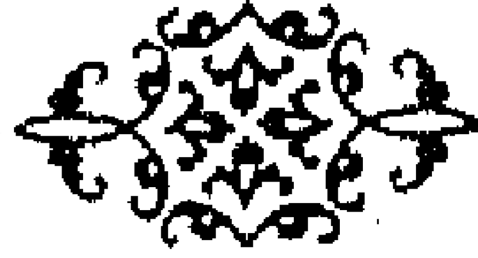
١٢. صحيح.

انّ علماء النبات لا يعترفون بالتمييز بين أسمدة "طبيعية" واخرى "كيميائية". والنوع الأخير لا يمكن النبات استعماله مباشرة. فهو يجب أن يمرّ أولاً عبر البكتيريا التي في التراب لتفتته الى عناصر غير عضوية. والعناصر غير العضوية التي يمتصها النبات هي في الأسمدة الطبيعية مثلها في الأسمدة الكيميائية.

النتيجة

اذا جمعت ثماني اجابات صحيحة على الأقل، ففي امكانك أن تعدّ نفسك من العارفين بشؤون الطعام والتغذية بالنسبة الى المقاييس العصرية. ولكن لا تنسَ أن التغذية علمٌ معقّد ونامٍ، وأنّ ما نعده حكمة تقليدية اليوم خاضع للتغيّر في ضوء المعلومات المستجدة.

■ ملخّص من "تقرير المستهلك"



عشرة تحت الصفر

كنتُ اهنىء احدى تلميذاتي في صف لتخفيف الوزن على خسارة نحو عشرة كيلوغرامات بعد دورة استغرقت ١٦ اسبوعاً. وسألتها اذا كانت ثيابها اتسعت، فأجابت بسرعة: "كلا. غير انها لم تعد تؤلمني".

ج.ش.

حقل تجارب

لدي صديقة هندية قطعت عهداً على نفسها بأن تبقى نباتية طوال حياتها. وأدهشني ان أراها يوماً على الغداء تأكل قطعة من الدجاج برفق. وسألتُها اذا حصل ذلك التغير بتأثير زوجها الذي لم يكن نباتياً. فأجابت:

"أجل. لقد جعلني أكتشف ملذات اللحم".

ر.ب.


HONDA

ساحرة الشرق الأقصى

انها منهج تفكير وسر موروث وتقليد اجتماعي راسخ. تلك هي لعبة "الماجونغ"

توفي عامل مصنع في هونغ كونغ ن ٣٥ عاماً نتيجة نوبة قلبية اصابته ندما خسر ٣٠ دولاراً في لعبة لماجونغ. وطلق عامل كهرباء زوجته انها تلعب الماجونغ ليل نهار مهملة لاولاد وشؤون المنزل. كما اجبرت سيدة في الستين على ملازمة الفراش بسبب آلام مبرحة في ظهرها ناتجة من انهماكها اللاواعي في اللعب لمدة ٧٢ ساعة متواصلة.

ما هي هذه اللعبة التي يموت في سبيلها الرجال وتهمل النساء من اجلها بيوتهن؟

انها مجرد لعبة تستعمل فيها رقاقات البلاستيك او العاج. لكن محترفيها في انحاء آسيا يرون وجه الحياة مختلفاً من دونها.

وفي هونغ كونغ، عاصمة الماجونغ، يمارس اللعبة اكثر من مليونين، اي نحو ٦٠ في المئة من السكان. وهم يتداولون خلالها ما لا يقل عن ٥٠٠ الف دولار كل يوم. وفي جلسة واحدة قد يراهن بعض رجال الاعمال على مئات الالوف. وتتردد اصداء قعقعة رقاقات الماجونغ في الابنية السكنية حتى وقت متقدم من الليل.

وللعبة شعبيتها في العالم. وينتج مصنع كبير في هونغ كونغ نحو ١٤٠٠ مجموعة من رقاقات الماجونغ شهرياً، يصدّر ٧٠ في المئة منها بما يراوح بين ١٠ دولارات و٣٠٠ دولار للواحدة. وتضم جمعية الماجونغ اليابانية ٤٠ الف عضو موزعين على مئة فرع. ويجري كل فرع مباريات شهرية يشترك الفائزون فيها في مباريات اليابان الوطنية التي تنظم ست مرات في السنة.

ولعبة الماجونغ من البساطة بحيث يتعلمها الاولاد بسرعة بالغة. وتتألف مجموعة الماجونغ الكاملة من ١٤٤ رقاقة موزعة على مجموعات عدة تحمل نقوش خيزران او دوائر او حروفاً صينية. وتكدّس الرقاقات

Condensed from Asian Wall Street Journal (October 27,'76)

وسط الطاولة في مربع يتكون ضلعه الواحد من صفي رقاقات مقلوبة رأساً على عقب. وفي البداية، يأخذ كل لاعب مجموعة من ١٣ رقاقة يصفها بعضها الى جانب بعض لتشكل ما يشبه الجدار او اليد. ثم يتناوب اللاعبون على اخذ الرقاقات من المربع طارحين في المقابل الرقاقات التي لا يحتاجون اليها. وهدف اللعبة تركيب "يد" من اربع مجموعات على الاقل، تضم الواحدة منها ثلاثة ارقام متتالية من المجموعة نفسها اضافة الى زوج متشابه.

وعلى نقيض لعبة البريدج، فلاعب الماجونغ لا يلحقه حرج من اخطائه. فقد يرتكب اللاعب اخطاء عدة من دون ان يلاحظه الآخرون، لان كل لاعب ينظر الى اليد التي يركبها هو. اما الرقاقات التي يتم التخلص منها فتوضع مقلوبة على الطاولة وتخلط على الفور.

لعبة بحرية – يظن المؤرخون ان لعبة الماجونغ نشأت عن لعبة ورق عرفت في السنوات الستمئة الماضية، منذ عهد اسرة مينغ المالكة. اما الاسطورة فتعزو اختراع الماجونغ الى صياد صيني يدعى تزه، زعم انه اول من نظم اسطولا للصيد في مياه البحر العميقة. ومضى تزه يستنبط تسلية تصرف انتباه الصيادين الذين يصابون بدوار البحر عن الامواج المتلاطمة. فكانت الماجونغ التي يقال انها انست الصيادين الريح والمطر. وأحد الشواهد على صحة هذه الرواية هو اطلاق اسماء الرياح الاربع على جولات الماجونغ: الشمال، الجنوب، الشرق والغرب.

ولا تزال الماجونغ حتى يومنا هذا لعبة البحارة الصينيين المفضلة. كما يجني اولئك الذين يؤجرون البحارة مجموعات رقاقات الماجونغ ارباحاً لا بأس فيها. ونقل البحارة الصينيون اللعبة الى عمال الموانىء في انحاء العالم.

ويندفع عشاق الماجونغ الى شرح سبب جاذبية اللعبة. ويقول رايموند هوي، بطل جزيرة هونغ كونغ للعام ١٩٧٦: "ان في الماجونغ سحراً خفياً يحفز اللاعب الى مزيد من اللعب". والفتى لاعب بارع هزم الف متبار، مع انه يمارس اللعبة منذ ثلاث سنوات فقط. وهو اوضح ان هذه اللعبة تمتاز بأنها تمارس بطرق مختلفة لا تحصى وباستحالة تقدير قوة الخصم.

اما علماء الاجتماع فلهم تفسيراتهم المعقدة. ويقول الاستاذ ونغ شاو لام، عميد كلية العلوم الاجتماعية في الجامعة الصينية ان الماجونغ تمثل دوراً مهماً في تنفيس الحيوية الفائضة والتخفيف من الاجهاد، وهما علتان يشكو منهما الناس في الاماكن المزدحمة – كما هي الحال في هونغ كونغ – وحيث تنعدم وسائل التسلية. وفي مركز سبو لام للعلاج النفسي، الذي تديره مصلحة السجون من اجل مساعدة المصابين بهوس الاجرام، يلعب السجناء الماجونغ كعلاج جماعي او كسلوى. اما المتقدمون في السن وربات البيوت فيلعبون الماجونغ لطرد الملل.

ويقول كازو شيمادا، وهو استاذ في جامعة القلب الاقدس في اليابان،

ان الماجونغ بالنسبة الى اليابانيين والصينيين هي "الطريقة الفضلى لتحسين العلاقات الاجتماعية". فهم لا يحيون حفلات كوكتيل كما يفعل الغربيون. لذلك اضحت الماجونغ الوسيلة التقليدية للتعارف والاختلاط بالمجتمع. ومن المعروف ان رجال الاعمال يتعمدون الخسارة امام موظفي الحكومة بغية الحصول على رخصات اذونات رسمية. كما اصبح من المتعارف عليه ان يفسح المرؤوسون، الذين يطمحون الى ترقية، المجال امام رؤسائهم كي يغلبوهم.

وتعتبر الماجونغ المحك لاختبار الصهر واختياره. فيدعو اهل الفتاة الصينية طالب يدها الى قضاء ليلة في لعب الماجونغ معهم. وهم يرون ان الشاب سينسى اصول السلوك المهذب فتنكشف شخصيته الحقيقية في اللحظات الحرجة.

ونظراً الى استئثار هذه اللعبة بقوى الفرد كلها، فليس من المستغرب ان يحاول الاباطرة والحكومات في آسيا قمعها عبر العصور. لكن احداً لم يفلح في ذلك. وفي هونغ كونغ اجازت السلطات البريطانية، على مضض، ممارسة اللعبة منذ ٢٢ سنة، ورخصت لانديتها مصرة على تسميتها "مدارس الماجونغ"، كي لا يبدو انها تغض الطرف عن لعب القمار. وهناك اليوم اكثر من ٩٠ "مدرسة".

وفي ١٩٤٩ حظرت الصين الشعبية ممارسة الماجونغ. لكن السياح يفيدون ان المواطنين ما زالوا يلعبون الماجونغ في السراديب او الاقبية مستعملين رقاقات خيزران منزلية الصنع. واذا قبض على احدهم وهو يلعب، فانه يجبر على اللعب مدة ٢٤ ساعة متواصلة في رقابة الشرطة. وعقاب كهذا لاي من عشاق الماجونغ ليس عقاباً قاسياً.

■ فيرونيكا هوانغ



عطاء لا ينضب

الطبيعة وحدها تفعل الامور الجسيمة من دون مقابل.

ا.هـ.

قطار الافكار

بينما كنت اسافر في الهند، حيث الفلسفة طريقة حياة، ذهبت الى محطة القطار لاحجز مكاناً مع سرير. وبدأت اقول للموظف: "المعذرة. هل من الممكن..."

لكنه قاطعني بقوله: "في هذه الحياة، كل شيء ممكن، والانسان وحده لا شيء. وما الحياة سوى شيء عابر. الا أن جميع الاشياء يمكن تحقيقها".

واستمر على هذا النمط بضع دقائق قبل ان اتمكن من مقاطعته قائلا: "هل يمكنني حجز مكان مع سرير على قطار كالكتا السريع الثلثاء المقبل؟"

فحدق الموظف الي وقال من غير تردد: "في ذلك الوقت، هذا غير ممكن".

ب.هـ.



نوبة قلبية تفاجئ قائد الطائرة فوق الغيوم!

ست ساعات من الدروس هي كل خبرته في الطيران، وها هو في محنته يسترجع تفاصيل كل ثانية منها

اخترقت طائرة "سيسنا ١٨٢"، ذات المقاعد الاربعة، الغيوم الدائرية واتجهت ثابتة نحو الشمال، وكانت اقلعت من مدينة هاملتون في اقليم اونتاريو الكندي صباح الرابع من يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨، وفي مقعد مساعد الطيار استرخى رجل اعمال في التاسعة والاربعين اسمه دونالد برات كان يهوى الطيران منذ زمن بعيد، وبدأ برات يمزح مع الربان بيتر كيروان (٥٨ سنة) والمهندس بول سميث (٣٩ سنة)، حول ما اذا كانوا سيصلون فعلا الى بلدة سبانيش



الصغيرة قرب بحيرة اليوت حيث تتولى شركة برات تدعيم سطح احد الملاعب.

وكعادة برات في رحلاته بطائرات مستأجرة، كان يراقب كل ما يفعله الطيار. فهو يعلم ان خطة الطيران التي تم الاتفاق عليها مع مطار هاملتون المدني قبل الاقلاع نصت على "انظمة الطيران البصري"، اي ان الطائرة ستبقى على علو يمكن من فيها من رؤية الارض.

وعندما لاحظ برات ان الطائرة بدأت ترتفع وتخترق الغيوم سأل كيروان: "الى اي علو تستطيع هذه الطائرة ان تحلق؟" فأجاب الطيار: "الى ارتفاع ٤٨٠٠ متر".

فوجىء برات بالجواب، فرمق قائد الطائرة بنظرة سريعة ما لبث بعدها ان أحس بقشعريرة وبقليل من الهلع. فهو لاحظ على وجه كيروان توتراً، وفي يديه اهتزازاً واضطراباً. فحدق اليه، فاذا به يشير الى المذياع. وفجأة تدلت يده اليسرى وانهار الى الامام نحو برات.

وبدأت الطائرة الهبوط سريعاً وفي شكل لولبي أثار الغثيان.

الكلمات الثمينة – كان برات في السادسة عشرة عندما تلقى ست ساعات في دروس الطيران، وذلك منذ ٣٣ سنة وعلى طائرة صغيرة جداً من طراز "بايبر ج – ٣كب". ومع انه لم يكمل تدربه، فان تلك الدروس القليلة رسخت في ذاكرته. وكان يقرأ كل ما يقع عليه عن الطيران. وخلال رحلات العمل الجوية كان يحلو له الجلوس بجانب الطيار، كما فعل ذلك اليوم.

استأجر كيروان لرحلته هذه طائرة "سيسنا ١٨٢" الملقبة "الطائرة الغفور"، وهي طائرة سهلة القيادة تكاد تطير تلقائياً. واقلعت بهم قبيل الحادية عشرة صباحاً. كانت الرؤية جيدة ثم بدأت السحب تلف الطائرة. وانحنى سميث من المقعد الخلفي

ليسأل كيروان كيف يستطيع معرفة الاتجاه الذي تسير فيه الطائرة وهو لا يرى الارض. فأشار كيروان الى معين الاتجاه الاوتوماتيكي على لوحة اجهزة القياس، وقال: "نحن على اتصال بمحطة راديو اوين ساوند. وما دامت هذه الابرة تشير الى الصفر، فذلك يعني اننا نتجه نحو موجة تلك المحطة". واضاف انه ما لم يتم ضبط معين الاتجاه الاوتوماتيكي حين تبلغ الطائرة شمال اوين ساوند، فان الابرة ستدور نصف دائرة مشيرة الى ١٨٠ درجة.

وبين كيروان للمهندس سميث بعض الادوات الاخرى: الأفق الاصطناعي الذي يظهر انحراف الجناحين ودرجة انحدار الطائرة، ومؤشر الصعود، والصندوق الاسود الذي يتم بواسطته الاتصال بالرادار. ولم يدر في خلد سميث آنذاك انه سيحتاج الى تذكر كل كلمة من كلمات الطيار بعد برهة وجيزة.

كان لوقوع كيروان مغشياً عليه تأثير الصدمة على رفيقيه. وخيم الصمت برهة على المقصورة الصغيرة، ثم صرخ سميث: "بيتر، بيتر، ما بك!" ولم يجب بيتر. فأسرع سميث وفك حزام مقعده وبدأ يفرك عنق كيروان ويهزه.

وبحركة لا شعورية قبض برات على مقْرَن القيادة الخاص بمساعد الطيار. ولم يكن في وسعه رؤية لوحة اجهزة القياس من مقعده، الا ان سميث كان يراها.

وصرخ سميث فجأة: "اننا نهبط بسرعة ٤٥٠ متراً في الدقيقة". وتذكر برات دروس الطيران التي تلقاها في الماضي البعيد، وبدأ يسحب مقرن القيادة تدريجاً الى الوراء، فارتفع مقدم الطائرة قليلاً. غير ان القرص على جهاز الأفق الاصطناعي بين لسميث ان الطائرة تنزلق جانبياً على نحو خطر. فصاح سميث: "دونالد، اننا ننقلب!".

من عادة الثبات الملازم لطائرة "سيسنا" ان يجعلها تعود فتستوي تلقائياً. الا ان قدم كيروان كانت تضغط على دواسة توجيه الدفة اليمنى. فتحكم برات بالدواستين الموجودتين بجانبه، فاستوت الطائرة بينما الرجلان يرتعدان لادراكهما انهما يقودان، منفردين، طائرة من دون طيار.

وارتفعت الطائرة بثبات فوق الغيوم الى علو ٢٣٠٠ متر. كان السحاب كثيفاً، وكان على الرجلين ان يوجها الطائرة نحو الجنوب، بعيداً عن المياه المثلجة في خليج جورجيان وبحيرة هورون. وتذكر برات ما قاله كيروان عن معين الاتجاه الاوتوماتيكي، فوجه الطائرة بانعطاف خفيف الى ان صار في امكان سميث رؤية الابرة وقد بلغت ١٨٠ درجة. انهم يتجهون الآن نحو مدينتهم هاملتون.

فوق السحاب — في برج المراقبة في مطار تورنتو الدولي، لمح مراقب حركة الطيران، غاري مكدونالد (٢٧ سنة) الطائرة المجهولة على شاشة الرادار. فاتصل بمحطات الرادار الاخرى لمعرفة ما اذا كان اي منها على اتصال بالطائرة، فكان جوابها سلباً. فحاول ان يتصل لاسلكياً بالطائرة التي كانت تحلق آنذاك

شمال غرب تورنتو، تدفعها رياح سرعتها ٣٠ عقدة (نحو ٥٦ كيلومتراً في الساعة) في اتجاه الشرق نحو الخط الخاص بالطائرات النفاثة الآتية الى المطار. ولما لم يتلق اي جواب، حوّل، هو والمراقبون الآخرون، وجهة كل الطائرات الآتية واوقفوا اقلاع الطائرات الاخرى.

وفي "السيسنا" رفع برات المذياع عن لوحة اجهزة القياس وتكلم، فلم يسمع غير صفير الهواء. ثم تذكر الراديو. وفحص سميث اللوح المشبكي فتبين له ان القرص ثبت في اتجاه ١٢٥ عندما غادرت الطائرة هاملتون. لذلك ادار الزر حتى ظهر الاتجاه ١٢٥ من جديد. وكبس برات على زر الارسال فرن صوته بوضوح في برج المراقبة التابع لمطار هاملتون المدني: "لقد اصيب طياري بنوبة قلبية. انا اقود "سيسنا ١٨٢" على مبين الاتجاه الاوتوماتيكي من اوين ساوند".

وعلى الفور انتصب مراقب حركة الطيران في هاملتون، جيم اندرسون ووجه نداء بواسطة المذياع المتدلي من السقف: "حسناً. نداء حول المصاب بنوبة قلبية. نريد مزيداً من الشرح".

- الطيار بيتر كيروان...

وعثر مراقب يعمل مع اندرسون على خطة الطيران التي اتفق عليها مع كيروان ذلك الصباح. فقال لرفيقه: "هذا هو سجل رمز الراديو يا جيم. كان كيروان يطير برمز جزك".

فأعاد أندرسون النداء اللاسلكي: "ج زك، استلم. ما هو موقعك"؟

وفي الجو شعر برات بارتياح حين سمع النداء وأجاب: "انا على بعد ٦٤ كيلومتراً من هاملتون. اني فوق السحاب. ولست طياراً خبيراً".

"حسناً. رائع! هل انت قادر على قيادة الطائرة"؟

- اقودها وابقي طيرانها مستوياً في الوقت الحاضر. وأعرف مبين الاتجاه الاوتوماتيكي. اني اطير في اتجاه ١٨٠ درجة ونحن عائدون.

بدا صوت برات هادئاً الى حد افترض معه اندرسون انه مارس الطيران سابقاً ولا ينقصه سوى التمرين. فنصح برات- بالبقاء في اتجاه ١٨٠ درجة وبالمحافظة على ارتفاع ٩٠٠ او ١٢٠٠ متر كي لا ينقطع الاتصال اللاسلكي.

القوة الخامسة - في الطائرة تقاسم الرجلان الاتصال اللاسلكي، وفجأة لمح برات كوة في السحاب فقال لاندرسون ان في وسعه ان يرى الارض ويهبط. ودفع مقرن القيادة وجعل الطائرة تنقض مباشرة من خلال هذه الكوة التي بدت بحجم طابع البريد. وامامه مباشرة كان مطار. فتنفس الصعداء وجعل اتجاه الطائرة افقياً.

وبصوت كان لا يزال هادئاً، اتصل برات بأندرسون وقال له: "اظن انني فوق مطار كتشنر - واترلو". فسأله اندرسون اذا كان المدرج يمتد بموازاة طريق. ساعتئذ تولى سميث الاجابة قائلا: "كلا، هذا المطار هو... هناك حظيرة للطائرات لا بأس بحجمها". ثم اضاف باهتياج: "انه مطار تورنتو!"

وفي اللحظة، طلب اندرسون الى برات ان يردد الرقم ٧٧٠٠، وهو رمز

الطوارئ في تورنتو، بواسطة الجهاز الاسود في الطائرة، وذلك لتحديد موقعه الدقيق لمراقبي تورنتو ولاطلاق انذارات الطوارىء في انحاء منطقة المراقبة. وتم اخلاء مطار تورنتو حالا، واستدعيت فرق الطوارىء. وسأل مراقب حركة الطيران في تورنتو برات اذا كان طياراً مؤهلا وكم هي كمية الوقود في خزان الطائرة. فأجاب برات انه مارس الطيران منذ اعوام خلت، لكنه لم يقد طائرة في عمليات هبوط واقلاع منذ مدة طويلة (وهو في الواقع لم يقد طائرة في اي هبوط او اقلاع) واستنتج مكدونالد من هذا الجواب ان خبرة برات الحالية هي دون خبرته السابقة.

"حسناً اريدك ان تنعطف بالطائرة يساراً ثم تعود في اتجاه المطار، وتظل تهبط الى ان تصل الى ارتفاع ٦٠٠ متر. فهمت ان طياركم اصيب بنوبة قلبية. هل هذا صحيح؟"

- نعم.

"جزك، لدينا بعض معدات الطوارىء وهي في طريقها الى المدرج ٢٣ يساراً (المتجه من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي). انت ستهبط على المدرج ٢٣ يساراً".

في "السيسنا"، راقب سميث الاقراص بدقة وأطلع برات على معدل هبوط الطائرة. وصاح مكدونالد: "حسناً يا جزك، هل المطار باق في مجال رؤيتك؟"

- هل ذاك هو المدرج المقصود، ذلك الذي بجانب المرأب الكبير؟

"انه بجانب المرأب الثاني مباشرة، وهو الاقرب اليك الآن. انه المدرج ٢٣ يساراً وسنرفع انوار المدرج الى الدرجة الخامسة.

لا تدعهم يظنون! - ان رفع الاضاءة الى الدرجة الخامسة يجعل المدرج نيراً الى حد يكفي لجعله مشعاً حتى في وضح النهار. ويبلغ عرض المدرج الثاني ٦٠ متراً، اي انه مؤهل لاستقبال طائرة "بوينغ ٧٤٧" بينما لا يزيد عرض "السيسنا" على ١١ متراً. لكنه، بالنسبة الى برات، بدا شبيهاً بمكان ضيق لايقاف السيارة في شارع يعج بالحركة.

وقال مكدونالد: "توجه الآن الى اول المدرج ٢٣ يساراً. اضواء المدرج آخذة في الارتفاع. اهبط بالطائرة على النحو الذي ترتئيه، لان افضلية الهبوط هي لك وقد جمدنا هبوط الطائرات الاخرى".

- ما هي سرعة الانحدار؟

في المقعد الخلفي كان سميث يهمهم: "لا تستعمل هذه الاصطلاحات، فهم سيظنسون انك تعرف كل امور الطيران".

وأجاب مكدونالد: "مئة عقدة (١٨٥ كيلومتراً في الساعة) وربما اقل من ذلك قليلا. دع عجلات الطائرة تلامس أرض المدرج وهي تسير بسرعة تراوح بين ١١٠ عقد و١٢٠ عقدة. هذه السرعة تعطيك انسياقاً جيداً مع الريح".

كانت الطائرة تقترب من المدرج بسرعة ١٣٠ عقدة (٣٦٦ كيلومتراً في الساعة). وعلى مسافة ثلاثة كيلومترات من ارض المطار، خفف برات السرعة. وطمأنه مكدونالد: "انك تؤدي عملا رائعاً يا جزك، ويمكنك الهبوط الآن".

وهبطت سرعة الطائرة الى ١٢٠ عقدة فالى ١١٥ ثم الى ١١٠. وهتف سميث من الخلف: "يبدو كل شيء على ما يرام".

ولكي يهبط، قبض برات على مقرن القيادة وشده فيما ضغطت قدماه على دواستي توجيه الدفة لابقاء الطائرة مستوية.

وتعالى صوت مكدونالد: "اذا شعرت بانك ستواجه صعوبة لدى الهبوط، فلا تتردد في الانعطاف والدوران".

لكن برات لم يكن في حاجة الى محاولة ثانية. فهبطت الطائرة بسرعة وحيث يجب وسمع صوت مكدونالد الهادىء في البرج وفي غرفة الرادار: "لقد هبطت الطائرة".

كان الهبوط سريعاً وكثير الاضطراب، لكنه لا يختلف عن عمليات هبوط كثيرة كان مكدونالد يرى الطيارين المؤهلين يؤدونها كل يوم. وفيما دبت الطائرة على المدرج، اسرع رجال الطوارىء اليها، ففتحوا الباب وبدأوا عملية التنفس الاصطناعي قبل ان يحملوا بيتر كيروان خارج الطائرة الى سيارة اسعاف نقلته الى مستشفى ايتوبي كوك العمومي، لكنه كان فارق الحياة.

وجاء احدهم بحرام ليلف به برات المرتعش. وقاده رجال الشرطة الخيالة الملكية الكندية الى سيارتهم الدافئة. لم يكن هناك ما يمكن فعله من اجل كيروان.

ولم يستطع سميث وبرات ان يفرحا بحظهما السعيد الا بعد مدة. فقد قال برات: "كانت حياتنا، نحن الاثنين، في ايدينا. كان علينا ان نتحرك وقد حالفنا الحظ".

■ ايلين بيتيفرو



... واكتفى بالحقيبة المفتوحة

بعد رحلة عمل الى باريس، عدت وزوجي الى الولايات المتحدة ومعنا اطفالنا الخمسة، وبينهم توأمان في سنتهما الاولى. ولدى وصولنا الى مطار نيويورك، وقفت انتظر دوري أمام دائرة الجمارك، بينما انصرف زوجي الى أمر آخر. وطلب أحد موظفي الجمرك مفاتيح الحقائب، وكنت محاطة بثلاثة من الاطفال وحاملة على كلّ ذراع أحد التوأمين. فأعطيت الموظف واحداً من الصغيرين لأبحث عن المفاتيح في حقيبتي. وبعدما نظر الي طوال دقائق وأنا ابحث عن الحقيبة، أعاد الي الطفل الذي كان يزعق وقال: "كفى يا سيدتي. لا شك في ان وقتك لم يسمح لك بتهريب اي شيء". وهكذا قُضي الامر من دون فتح اي حقيبة.

اليس أسهل أن نسمي الاشياء القليلة التي لا تؤذي الصحة من أن نسمي تلك التي تؤذيها؟

النسيان ليس علّة

اتبع التعليمات الآتية في تحسين ذاكرتك، وسوف تذهلك النتائج

هل تستهويك القدرة على حفظ الاسماء وتواريخ مولد الاصدقاء والمناسبات السنوية وارقام الهاتف والخطب، وعلى تذكر ما قرأته في الكتب والمجلات وما ورد في قائمة المشتريات بل وحتى المكان الذي تركت فيه مفاتيح سيارتك أو نظارتيك؟ حسناً، ان في الامكان تحقيق ذلك، كما يقول مؤلفا "كتاب الذاكرة"، وما عليك في رأيهما الا ان تمرن وتقوّي عضلة ذهنية واحدة هي ذاكرتك وهما يرشدانك الى هذا السبيل.

لا جديد بالطبع في فكرة تدريب الذاكرة او فن الاستذكار (منيمونيكس) كما تعرف علمياً، والتقاليد الشعبية تعجّ بشتى النصائح والاساليب لتنبيه الذاكرة، كأن تعقد خيطاً حول اصبعك. لكن ما اقدم عليه مؤلفا "كتاب الذاكرة" هاري لورين وجيري لوكاس هو انهما اختارا النظريات الجوهرية الاساسية من فيض ما قيل حول الذاكرة وصاغاها في قالب لغوي سلس وشائق.

وبلغت سهولة قراءته حداً جعل

مبيعات الكتاب ترتفع في غضون ثلاثة اشهر من صدوره (مايو/ ايار ١٩٧٤) لتحتل المرتبة الثانية بين أكثر الكتب رواجاً، واحتفظ الكتاب بهذه المنزلة اشهراً عدة وتجاوز ما بيع منه الـ ١٤٠ الف نسخة.

والحق ان مؤلفي "كتاب الذاكرة" انفسهما خليقان بالتذكر، فقد بدأ هاري لورين اهتمامه بالذاكرة قبل سبعة وثلاثين عاماً عندما حاول التخفيف من حدة آلام المعدة التي انتابته وهو طالب فعكف على تنمية ذاكرته الى حد بات قادراً على حفظ اسماء قرابة ٥٠٠ شخص من الجمهور في اثناء اشتراكه في برامج تلفزيونية. ثم شرع في تأليف عدد من الكتب بلغ مجموعها تسعة بينها كتابه "كيف تنمي طاقة متفوقة في الذاكرة" الذي بيع منه اكثر من مليون نسخة في عشر لغات.

وقع احد هذه الكتب بين يدي جيري لوكاس لاعب كرة السلة اللامع في جامعة اوهايو الامريكية الذي يبلغ طوله مترين وثلاثة سنتيمترات. ويعزو لوكاس نجاحه الجامعي الباهر وفوزه بجائزة فخرية في دراسته الى اتباعه نظم لورين في تقوية الذاكرة. واحترف لوكاس من بعد كرة السلة وانتهى به المطاف في نيويورك حيث بادر الى التعرف على لورين. وسرعان ما تعاون الرجلان في شتى المجالات. وغدا لوكاس، هو الآخر، قادراً على ادهاش النظارة بطاقته الخارقة على الحفظ.

اين السر؟ — والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو: كيف استطاع هذان الرجلان تحقيق مآثرهما علماً بانهما يقران بان مستواهما الذكائي عادي وغير خارق؟

يعتمد فن الاستذكار اساساً على الخيال، اي القدرة على تكوين صور ذهنية واضحة وضوح الاشياء المرئية للعيان. مما يعني ان المهمة الاولى في تدريب الذاكرة تقوم على ترجمة ما تريد تذكره الى صور واضحة المعالم. "والحيلة ـ كما قال لي لورين ـ هي في ان تستنبط صورة ذهنية غريبة او غير معقولة. وكلما امعنت في الغرابة كان وضعك افضل".

ويؤكد المؤلفان ان غالبيتنا لا تنسى شيئاً في واقع الحال، كل ما في الامر هو اننا لا نعي تماماً ما يحدث حولنا ساعة يحصل ذلك. مثلاً: لنفرض انك وضعت نظارتيك فوق جهاز التلفزيون وبعد دقائق رحت تبحث عنهما فلم تتذكر موضعهما. ان العلاج الشافي لهذا النوع من النسيان يقضي بان ترسم في ذهنك صورة غير معقولة. كأن تتصور، كما يقترح المؤلفان، هوائي التلفزيون وهو يخترق عدستي النظارتين فيحطمهما. ففي مثل هذه الصورة يمكنك ان تتذكر مكان النظارتين حتى بعد مرور ساعات طويلة على وضعهما هناك.

قلما ننسى وجوه الناس لأنها صور مرئية، اما تذكر إسمائهم فمسألة فيها نظر. ولكن ما من وسيلة تعينك على تذكر اسم ما اذا لم تسمعه أصلاً بوضوح تام. ولذا ينصح المؤلفان بان تطلب الى الشخص الذي تتعرف عليه ان يكرر اسمه مما يدل على اهتمامك بحفظه على نحو سليم وفي الوقت نفسه يعطيك هذا التكرار فسحة لأن

تلصق الاسم بالوجه عن طريق ابتداع صورة ذهنية مضحكة فتختار مثلا قسمة بارزة من الوجه وتقرن بها ذهنياً كلمة بديلة او كلمات لاسم الشخص تمكنك من طبعها في الذهن كصورة.

الرابط ضروري – أما بالنسبة الى حفظ قائمة المشتريات او الارقام المتعددة أو الخطب الطويلة وما شابهها فثمة حاجة الى اتباع اسلوب أشد احكاماً. ويضرب المؤلفان مثلا بسرد قائمة مؤلفة من عشر مواد غير مترابطة ويشيران الى سبيل حفظها، حسب ترتيبها، بالربط في ما بينها بصور غير معقولة. فاذا تضمنت القائمة الكلمات الآتية: طائرة، شجرة، مغلفاً، قرطاً، دلواً، غناء، كرة سلة، "سلامي"، نجمة، انفاً، يستطيع المرء ان يقرن بينها بتصور طائرة تنبت مكان شجرة تتفرع منها مغلفات تتدلى من شحمة الاذن في دلو مزين باقراط ويغني مثلما تغني كرة السلة بينما يلعب "السلامي" بكرة السلة ويتلألأ في السماء وجه فيه نجمة بدلا من انف. وبمثل هذه الصور يمكن المرء ادارة بكرة الصور في ذهنه كراً وفراً متذكراً في آن المواد وتسلسلها الصحيح.

لنضرب مثلا آخر: افترض انك تريد ان تتذكر احضار المصباح الذي أوصيت عليه منذ مدة وتريد ايضاً شراء ورق للطباعة. إن عليك استنباط رابط بينهما. اقرن المصباح ذهنياً بالورق. وقد يخيل اليك انك ستضع المصباح المضاء داخل الآلة الكاتبة! او ربما انت تريد كذلك ان تتذكر المرور على محل تنظيف الملابس لأخذ بذلتك. تصور انك ترتدي صفحات من ورق الطباعة. وهلم جراً.

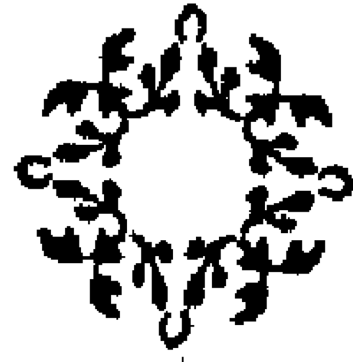
تصور الاعداد والكلمات – ان تصور الاشياء الملموسة والافعال التي نأتيها امر سهل نسبياً، بيد ان تصور المجردات من الاعداد والكلمات يحتاج الى وسائل اكثر تعقيداً منها استخدام الكلمة البديلة. وينصح المؤلفان، في هذا الصدد، بان تعمد لدى سماعك كلمة او جملة مجردة لا يسهل تجسيدها الى التفكير بشيء ما – اي شيء – له صوت مماثل او يذكرك بها وييسر تصورها في الذهن. ويصر الكاتبان مراراً وتكراراً على اهمية ايجاد افكار او عبارات بديلة خاصة بك انت لأن الصورة التي تكونها في هذه الحال لا ترسخ في الذاكرة فحسب بل من شأن عملية استنباط الصورة البديلة المناسبة ان تركز الذهن على ما تريد تذكره.

يتطلب حفظ الخطب اعتماد نظام الكلمة البديلة اضافة الى عامل الربط. وينصح "كتاب الذاكرة" في هذه الحال بان تكتب الخطاب اولا ثم تبدل كل فكرة رئيسية فيه بكلمة لها مدلولها او بعبارة يسهل ايجاد صورة لها، وتقرن من بعد بين الكلمات ذات الدلالة حسب التسلسل المطلوب. ومتى تذكر الفرد العادي الافكار الرئيسية سهل استذكار ما كان يريد قوله. وتنطبق هذه الطريقة ايضاً على القراءة لان التقاط كلمات او افكار رئيسية وترجمتها الى صور مرئية مترابطة يساعدان على الممارسة والمواظبة فيرسخ في ذهن المرء ما يقرأه بمجرد النظر. وقد يعيق هذا الاسلوب سرعة القراءة مبدئياً، لكن

الكاتبين يصران على ان اكبر مضيعة للوقت في القراءة هي الرجوع تكراراً الى النص المكتوب لتذكر ما غاب عن الذهن.

ويحتفظ لورين بصندوق ضخم من رسائل الشكر التي تسلمها من طلاب مثل لوكاس عزوا نجاحهم الجامعي الى اساليبه، ومن ممثلين وخطباء تغلبوا على الخوف بتعلم اساليب الحفظ بسهولة، ومن رجال ونساء فازوا بالوظائف نتيجة اعجاب اصحاب العمل ببراعتهم في تذكر الاشياء. لكن بين الرسائل واحدة يعتز بها لورين اكثر من سواها وهي الرسالة التي كتبها المقدم آرثر ت. بالارد (الابن) من سلاح الجو الامريكي بعد أسره في فيتنام الشمالية طوال ست سنوات. فهو كتب الآتي: "لم يكن لدينا ما نقرأه او ما نكتب بواسطته. فاعتمدنا اساساً على الذاكرة حفظاً لسلامة عقولنا. وقد حاولت خلال الاشهر القليلة الأولى في الأسر ان استعيد في ذاكرتي محتويات احد كتبك ثم علمت مئات من زملائي الاسرى ما حفظته عنك، واخذنا جميعنا نطبق اساليبك فتعلمنا آلافاً من الكلمات الاجنبية، والقصائد، والخطابات (القائمة في الواقع لا تنتهي) اني اردت فقط ان اعرب لك عن قيمة مؤلفاتك بالنسبة الينا جميعاً".

■ س.ا. شراينر (الابن)



العادة هي سلوك يصدر عنا من غير تفكير. وهذا يفسر وجود عادات كثيرة لدى معظمنا.

ف.ك.

خيبة بعد رجاء

قضيت وزوجي صباح أحد الايام برفقة حفيدنا ذي السنوات الأربع في حديقة حيوانات. ولما حلّ الظهر ذهبنا الى المطعم لتناول الطعام. وجاءت الخادمة بقائمة المأكولات، فراح زوجي يبحث عن نظارتيه ليقرأ القائمة. فوجد أنه أضاع النظارتين. عندئذ قال حفيدنا: "أعرف أين نظارتاك يا جدي".

فأشرق محيا زوجي وسأل الصغير: "أين هما؟"

ـ انهما في حديقة الحيوانات. لقد سقطتا من جيبك عندما أنزلتَني من القطار لاشاهد الفيَلة.

وقال زوجي، محاولا كبت غيظه: "ولكن اذا كنت شاهدت النظارتين تقعان من جيب قميصي، فلماذا لم تخبرني؟"

فأجاب الصغير: "حسناً يا جدي! بعدما خطوتَ فوقهما، لم أعد أظن أنك ستحتاج اليهما".

ل.ك.


القارّة الفتيّة

كانت هناك في وقت ما، خلف المضيق المسمى "اعمدة هرقل"، جزيرة اكبر من آسيا الصغرى وليبيا مجتمعتين. وعلى جزيرة اطلنطيد هذه قامت مملكة عظيمة ورائعة.

(افلاطون في محاورة "تيماكوس" العام ٣٥٠ قبل الميلاد)

لقد ساد شبه اجماع على ان جزيرة اطلنطيد، التي افاض افلاطون في وصفها، ليست سوى اسطورة. الا ان ثمة براهين مثيرة تشير الى ان افلاطون ربما كان مصيباً

افاض افلاطون في وصف اطلنطيد في محاورة اخرى له هي "كريتياس". فقال انها كانت جزيرة شبه استوائية بلغت مساحتها حوالي ٤٠٠ الف كيلومتر مربع. وقدر عدد سكانها بعشرين مليون نسمة. وكانت تحميها من الشمال جبال اعتقد الاطلنطيون ان الههم يسكن اعلى ذراها. وكثرت فيها الينابيع الحارة، وطافت في غاباتها الفيلة والحيوانات الافريقية الاخرى. وقطعت القنوات سهولها الخصبة عرضاً وطولا لنقل الغلال وتأمين الري لموسمي حصاد وافرين في السنة. واحاط عاصمتها، التي ارتفع فيها هيكل اله البحر بوسيدون، سور هائل "مكسو" بالبرونز. كما التمع الذهب والفضة في قصورها وهياكلها.

وقال افلاطون ان الاطلنطيين ظلوا طوال قرون (٢٠٠٠ الى ٩٠٠٠ قبل الميلاد) يحكمون المدنية المسيطرة على نصف العالم، فحكموا امبراطورية متوسطية امتدت الى حدود، مصر وايطاليا. وسعوا الى خلق امة يسود فيها الاخاء والخلق الرفيع. ثم استبد بهم "هاجس السعي الخاطئ الى الكسب المادي والقوة" وحاولوا اخضاع البحر الابيض المتوسط بأسره. فردهم اجداد الاغريقيين على اعقابهم.

"وفي يوم وليلة رهيبين"، قال افلاطون، ابتلع البحر اطلنطيد.

افتراض جريء — بعد موت افلاطون صرف النظر عن اطلنطيد بصفتها اسطورة. الا انها استمرت تفتن عشاق التاريخ والالغاز. وحدد اصحاب النظريات المختلفة موقعها في اسوج وجنوب افريقيا وكريت وجزر الباهاما وسيلان (سري لانكا). وصدر حول الموضوع نحو عشرة آلاف كتاب ومقالة، اغناها سحراً واثارة كتاب

اوتو هاينريك موك "سر اطلنطيد".

وموك مهندس من مدينة فيينا عاصمة النمسا، سجل باسمه براءة ٢٠٠٠ اختراع وساعد في تطوير الشنّر كل الذي يزود الغواصات بالهواء النقي محدثاً ثورة في حرب الغواصات ابان الحرب العالمية الثانية بتمكينه غواصات "اليوبوت" الالمانية من البقاء اسابيع تحت الماء. وكان ايضاً عضو فريق البحوث الذي طور اول صاروخين، "ف - ١" و"ف - ٢".

الى ذلك، اجرى موك دراسات في الجيوفيزياء والتاريخ قادته الى بحث مثير لحل احجية اطلنطيد. وفي هذه المهمة استعان بمهارته كعالم رياضيات وباطلاعه الموسوعي على العلوم الحديثة. وكانت النتيجة كتاباً لاقى رواجاً كبيراً، صدر في المانيا عام ١٩٧٦ بعد موت مؤلفه بعشرين عاماً. وفنّد الخبراء كثيراً من نظريات موك، الا ان مراجعي الكتاب شعروا انه يعرض فرضية شائقة حول هذا اللغز القديم الذي يحيط قارة مفقودة.

بدأ موك بافتراض جريء: "ينبغي اعتبار وصف افلاطون واقعياً من غالبية نواحيه". ثم نقب في حقول علوم مختلفة بغية العثور على ادلة تؤيد صحة رواية افلاطون - او لا تكذبها على الاقل.

قال افلاطون ان اطلنطيد قامت وراء مضيق هرقل، الذي يظن موك انه مضيق جبل طارق. واذا صح هذا الافتراض فهو يعني ان اطلنطيد كانت في جوار مجموعة جزر الازور، التي تقع على مسافة ١٢٠٠ كيلومتر الى الغرب من اوروبا. ويشير علماء الآثار الى انه، في تلك الحال، لا بد من وجود ادلة على حضارة متقدمة في اوروبا، حيث يفترض انه كان لاطلنطيد مستعمرات. غير ان الآنية الفخارية والاسلحة البسيطة التي استخدمها الانسان النياندرتالي (رجل الكهف) في ذلك العصر تشير الى حضارة عصر حجري.

ويذكر موك انسان كرومانيون الذي يعود عهده الى ما قبل التاريخ. كان انسان كرومانيون اطول قامة من انسان نياندرتال واكثر تطوراً منه، ونسبت الرسوم الجميلة التي عثر عليها في بعض كهوف اسبانيا وفرنسا، وتمثل اناساً رشيقين ذوي بشرة حمراء، الى انسان كرومانيون. وفاقت مجوهرات هذا الانسان واسلحته وادواته صنا نياندرتال فناً وجمالاً. و مدافن كرومانيون خمن جاؤوا من الغرب سالكير التيار من المحيط الاطل بأن الكرومانيونيين كانو كما لاحظ ان علماء الآثار اصل حضارتهم المتقدم مغايرة تماماً لاسلوب ا بساطة لدى النياندرتاليين

اوجه شبه مذهلة - علينا ان نتذكر ان قسماً كبيراً من اوروبا ايام اطلنطيد كان يغطيه الثلج والجليد. ولم تبدأ الانهر الجليدية بالتراجع الا قرابة العام ١١٠٠٠ قبل الميلاد. وكانت اطلنطيد، في حال وجودها فعلاً، تسد الطريق امام تيار الخليج الذي ينطلق الآن من خليج المكسيك عابراً المحيط الاطلسي الى بريطانيا حيث يدفىء الساحل الاوروبي. واعتقد موك ان هذا النهر

الاوقيانوسي العظيم ضمن لاطلنطيد مناخاً معتدلا ربما ازدهرت فيه حضارة راقية.

ورأى موك ان العلاقة بين اطلنطيد وتيار الخليج توضح عادات التزاوج المحيرة التي يتميز بها سمك الانقليس (الحنكليس) الاوروبي. فهو يولد في بحر سارغاسو، جنوب غرب جزر الآزور، ويطفو مع تيار الخليج في رحلة الى اوروبا تستغرق ثلاث سنوات. وفي هذه الرحلة الجنونية يكون فريسة لكل الحيوانات الضارية في المحيط. وفي اوروبا يدخل هذا السمك الانهر وجداول المياه العذبة. وبعد مدة تراوح بين عشر سنين وخمس عشرة سنة يعود الى سارغاسو ليتوالد.

لماذا يتبع الانقليس الاوروبي هذا النمط الخطر؟ الجواب في رأي موك هو ان انهر المياه العذبة في اطلنطيد لم تكن تبعد عن سارغاسو الا مسافة قصيرة عندما تكونت غرائز الانقليس الاوروبي، فاتاح ذلك له بعض الحماية من اعدائه البحريين. ومع عمى الغريزة استمر الانقليس في سفره عبر تيار الخليج حتى بعد اختفاء اطلنطيد.

ويرى موك ان اطلنطيد، بموقعها المركزي، ربما خلقت صلات بين امريكا والعالم القديم. وابرز هذه الصلات اللافتة اوجه الشبه بين اهرام مصر واهرام امريكا السوسطى والجنوبية. ولا تقل عنها اثارة الصفات المشتركة بين شعب الباسك في اسبانيا وهنود المايا (شعب قديم في امريكا الوسطى) الذين بنوا معظم اهرام العالم الجديد. فهذان الشعبان يتقاسمان مظهراً جانبياً نسرياً للوجه وأنفاً معقوفاً. ومع ان لغة الباسك فريدة من نوعها، فان موك يكتب عن مبشر من الباسك ذهل عندما اكتشف ان قبيلة معزولة من

المايا الاقحاح في غواتيمالا فهمته. واستخدم كلا الشعبين عصي حفر متشابهة لتليين الارض قبل زرعها، كما ان لعبة الباسك الشعبية "بيلوتا"، التي يلعبها بكرة قاسية صغيرة فريقان يضم كل منهما رجلين، هي الرياضة المفضلة ذاتها لدى الهنود المكسيكيين كما وصفها الاسبان الغزاة.

نذير الكارثة – واذا كان البحرابتلع اطلنطيد حقاً، كما كتب افلاطون، فهل بحث احد عن الجزيرة – القارة المفقودة تحت الامواج؟ هذا هو السؤال الذي انطلق منه موك ليفكر في اللغز. وبفضل جغرافية المحيطات، باتت لدينا الآن صورة كاملة عن قاع الاوقيانوس: فهناك سلسلة جبال تحت الماء يبلغ ارتفاعها ٢٧٠٠ متر وتقسم الاطلسي قسمين. وهي تمتد من ايسلندا في الشمال الى ما قبل جرف القطب الجنوبي بمسافة قصيرة. وقرب جزر الازور، تصبح سلسلة الجبال هذه نتوءاً ضخماً يبلغ عرضه نحو ٤٠٠ كيلومتر من الشرق الى الغرب وطوله ١٠٩١ كيلو متراً، مع وجود جبال بركانية تحت سطح الماء في الشمال (تبرز بعض القمم من البحر لتؤلف جزر الازور). ويتفق حجم هذا النجد الغائر وشكله اتفاقاً مذهلا مع وصف افلاطون لاطلنطيد.

هنا ينقلنا موك الى ساحل امريكا الشمالية، قرب مدينة تشارلستون في ولاية كارولينا الجنوبية. فقد كشف مسح جوي عام ١٩٣٠ صورة طوبوغرافية (★) تشبه ساحة قتال.

وينتشر في هذه المنطقة نحو ٣٠٠٠ فوهة بركان، بعضها دائري وبعضها الآخر بيضوي الشكل. والاهم من ذلك ان لكل من هذه المنخفضات جداراً في الجانب الجنوبي الشرقي. وهذا، في رأي خبير الصواريخ موك، دليل قوي على ان الجلاميد التي احدثت الحفر جاءت من الناحية الشمالية الغربية للسماء.

هذه الحفر في كارولينا تبدو صغيرة اذا قورنت بمنخفضين ضخمين يقعان في مكان ابعد على الساحل نفسه، انهما يشكلان "خندق بورتوريكو" ويبلغ عمقهما ٩٠٠٠ متر ومساحتهما ٧١٧ الف كيلومتر مربع. فما الذي احدث هذين الاخدودين الهائلين في قاع البحر والوف الحفر الاخرى؟

يشير افلاطون الى "انحراف النجوم عن مسارها، ودمار كل ما على الارض بالنار".

ويستنتج موك ان النجم المنحرف كان كويكباً، من مجموعة ادونيس على الارجح التي تدور حول الشمس في مدارات غير متراكزة. ويسمي النجيم المقتحم "الكويكب أ"، ويعتقد انه اندفع بسرعة مثل صاروخ ضخم من السماء الشمالية الغربية. ويقدر موك ان قطر هذا الجرم الفضائي الهائل بلغ عشرة كيلومترات.

وعلى ارتفاع ٤٠٠ كيلومتر بدأ "الكويكب أ" يطلق الوهج الاحمر الذي يبعثه الهيدروجين المحترق، مخلفاً وراءه ذيلا من الغازات المحترقة يراوح طوله بين ٣٠ و٥٠ كيلومتراً. وفي اقل من دقيقتين اخترق "الكويكب أ" الجزء الاكثر كثافة من

(★) الطوبوغرافيا هي الوصف او الرسم الدقيق لسطح الارض.

غلافنا الجوي وانفجر. وهوت قطعتان عملاقتان، تزن كل منهما مليارات الاطنان، في البحر لتشكلا خندق بورتوريكو. ومزقت شظايا اصغر حجماً الارض في ولايتي كارولينا الجنوبية وكارولينا الشمالية.

ألم ورعب – سبب "الدوي العظيم"، كما يسميه موك، انفجاراً رهيباً. وشقت قطعتان هائلتان من "الكويكب أ" قشرة الارض عند احدى النقاط الحساسة، اي سلسلة الجبال الاطلنطية، فحركتا كل بركان فيها.

ويرسم موك صورة مليئة بالالم والرعب! فقد هزت اطلنطيد زلازل هائلة هدمت المنازل والهياكل وحولتها حطاماً. ويضيف: "وقعت الجزيرة بأسرها في شرك ناري. وتفجرت من اعماق الارض حمم متوهجة تدفقت في مياه الاطلسي فخلقت بخاراً حارقاً. وارتفع البخار بسرعة فائقة. وانطلقت اعمدة الاعاصير تعلوها سحب فطرية الشكل، وتجاوزت التروبوسفير (او الطبقة السفلى من الغلاف الجوي). وتكونت فوق المنطقة كلها سحب هائلة من البخار والرماد البركاني".

وعلى نحو فاجع بدأت اطلنطيد تغرق في المنخفض الذي احدثته الحمم المتفجرة. ويحسب موك ان اختفاء الجزيرة – القارة استغرق ٢٤ ساعة بالضبط، ولم يترك سوى قمم البراكين التسع المغطاة بالحمم والتي تشكل اليوم جزر الازور. وهكذا، "في يوم وليلة رهيبين" اختفت اطلنطيد.

كان لاصطدام "الكويكب أ" بالارض تأثير عالمي. فتتابعت الكوارث الواحدة تلو الاخرى، وهزت الزلازل كل قارة. ويستنتج موك ان الزاوية الشمالية الشرقية لامريكا الجنوبية غارت في الاطلسي، بينما نهضت الزاوية الشمالية الغربية فوق المحيط الهادىء رافعة الهياكل والمدن من مستوى سطح البحر الى مرتفعات جبال الانديز الحالية. وحملت الرياح السائدة غمامة سوداء عملاقة مليئة بالغازات المميتة فخنقت البشر والحيوانات حيثما حلت.

وبحثاً عن الدليل اللازم، يتحول موك الى هلاك حيوانات الماموث (فيلة منقرضة) السيبيرية. فقد كان في سيبيريا قبل العصر الجليدي عشرات الالوف من هذه الحيوانات المكسوة بالفرو والتي تعتبر من اضخم مخلوقات الارض. ويتصور موك ان الغمامة السوداء المميتة قتلت هذه الوحوش العظيمة فجأة، وفي بطونها آخر وجبات تناولتها. واليوم لا تنمو في سيبيريا انواع النباتات التي اقتاتها الماموث. ويظن موك ان احداً لم يستطع اعطاء تفسير مرض للصقيع الفجائي الذي جمد حيوان الماموث "ابن عم الفيل"، محولا سيبيريا الى ما يشبه ثلاجة هائلة. ويعتقد موك ان اصطدام الكويكب جعل الارض تتذبذب في دورانها، فأمالت القطب الشمالي الى حد يكفي لاحداث التغيير السريع في المناخ.

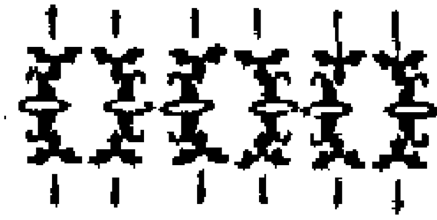
ويفترض موك ان الغمامة السوداء الهائلة المؤلفة من الرماد البركاني والبخار حملت كميات عظيمة من المياه التي خلقت ما سماه الكتاب المقدس "الطوفان". واشار افلاطون كذلك الى "بحر من الوحل" جعل الابحار وراء مضيق جبل طارق متعذراً

لوقت طويل. وفي العام ١٩٢٢ بدأ عالم الآثار السير ليناردوولي الحفريات في اور، عاصمة سومر القديمة في بلاد بابل (العراق). وتحت قبور الملوك الاوائل عثر وولي وفريقه على طبقة من الطين تبلغ سماكتها ٢،٥ امتار، الا انها خالية تماماً من الآثار، لا قدر فيها ولا قطعة نقود. لقد زال نهائياً كل ما وجد قبل هذا الطوفان.

هنا نجد التفسير الافضل لغياب ذكر اطلنطيد، اذ يقدر موك ان استعادة الجنس البشري رشده وحياته السوية بعد كارثة "الكويكب" استغرقت ٣٠٠٠ سنة. وخلال معظم ذلك الوقت حومت فوق اوروبا الشمالية غمامة سوداء هائلة من الرماد البركاني. وبالنسبة الى الذين نجوا من الطوفان وعاشوا تحت الغمامة، كانت الحياة صراعاً قصيراً وقاسياً من اجل البقاء. وكانوا يتجولون تحت سماء سوداء ضاربة الى اللون البني، بانت الشمس من خلالها وهجاً احمر باهتاً.

وبحلول الوقت الذي استرد الجنس البشري بداءة المدنية، نحو الالف الرابع قبل الميلاد، لم يبق من اطلنطيد غير اسمها. لقد اندثرت جميع آثار علومها وفنونها ولغتها. واحتاج الجنس البشري الى ٦٠٠٠ سنة اخرى ليجمع بكثير من الكد والجهد المعرفة التي استخدمها موك ليسبر اعماق المحيط ويكتشف في السماوات فوقه تلك النجوم المنحرفة التي يستنتج انها دمرت اطلنطيد.

■ توماس فليمنغ



الطبيب للمريض: "اليك الخبر المفرح أولا: هناك مرض جديد سيُطلَق اسمك عليه.

صحيفة "الأسد"

طويلا... ستنتظر

موظّف الهاتف للمتكلم: "المدير يتكلم على الخط الآخر، فهل تودّ ان تنتظر؟ واذا كان كذلك، فهل تريد الاستماع الى موسيقى كلاسيكية أو شعبية أو صاخبة؟"

هـ.م.

للجهل فوائد

أعطى أحد الكتّاب النصيحة الآتية: "إذا كنت تعد قائمة بأسماء اشخاص للذهاب في رحلة مشتركة، فاحرص على ان تضمّنها اسم شخص جاهل لا يتورّع عن طرح جميع انواع الاسئلة، لأن هذا سيؤمن لك مقداراً هائلا من المعلومات التي لن تأتيك عن طريق اخرى".

الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون

عدد الاولاد الذين يصدمهم طلاق والديهم ينمو بالملايين، وبات يشكل ازمة اجتماعية تهدد بزعزعة متانة الاسرة في العالم

مظهرهم الخارجي يوحي بانهم لا يختلفون عن الاولاد الذين تبقى أسرهم متماسكة سليمة. فهم يرتدون سراويل الجينز البالية نفسها، وفي بسماتهم تلمع دعامات الأسنان المعدنية، ويمضون ساعات لا حساب لها في الاستماع الى الموسيقى العصرية، الصاخبة. لكن الطلاق يبقى سلسلة موجعة مؤثرة من الازمات التي تفصل اولئك الاولاد عن الآخرين وان هو لم يعد يعتبر وصمة عار.

عددهم هائل في ذاته. ففي الولايات المتحدة وحدها هناك حالياً اكثر من ١١ مليون ولد دون السن الثامنة عشرة حصل طلاق بين والديهم. وسنوياً يواجه مليون طفل آخر صعوبات جمة بسبب تفكك أسرهم. ويقدر ان ٤٥ في المئة من الاطفال الذين يولدون سنوياً في الولايات المتحدة يعيشون في كنف واحد من والديهم في وقت معين قبل بلوغهم الثامنة عشرة. ويقول البرت سولنيت، مدير مركز دراسة الطفل في جامعة ييل في نيو هيفن في ولاية كونيتيكت: "الطلاق هو احدى ازمات الصحة العقلية الاكثر خطورة وتعقيداً التي تواجه اولاد الثمانينات".

خامرني شعور بأني كنت السبب، وان الله ربما كان يعاقبني. ولذلك حاولت ان اكون صالحة فعلا عن طريق عدم ايقاظ امي قبل موعد المدرسة وتحضير فطوري بمفردي راجية ان يغير الله رأيه. لكن ثلاث سنوات مضت حتى الآن. ومع هذا، فعندما أسأل ما هي امنيتي، تراني ما زلت اتمنى ان يعود ابي الى البيت.

فتاة في التاسعة

وعلى رغم الانتشار الواسع للطلاق، فان قلة من الاولاد تملك الاستعداد الكافي لمواجهته. وحتى عندما يصل خبر الطلاق الى الطفل برفق، يقول

خبراء الاسرة، فان رد الفعل يكاد يكون واحداً: صدمة يعقبها انقباض فنفي فغضب فاحتقار للذات. ولدى الاولاد الذين لم يبلغوا سن المراهقة يلي ذلك شعور بانهم هم المسؤولون بطريقة ما.

حتى الأطفال الذين تراوح اعمارهم بين الثانية والرابعة قد يشعرون بأنهم تسببوا في الطلاق، وكثيرا ما ينكفئون الى سلوك اتكالي فيطالبون بأن يُطْعموا مثلا او يعودون الى الحفاضات (غيارات الاطفال).

والاطفال بين السادسة والثامنة كذلك ينسبون الى انفسهم مسؤولية الطلاق. غير ان مخاوف اضافية تساورهم وابرزها الخوف من ان يتخلى الجميع عنهم ومن ان يفقدوا محبة الجميع. ويشرح جون تدسكو، رئيس قسم علم النفس في مركز دي موين لتوجيه الطفل في ولاية أيوا: "ان سنهم تمكنهم من تفهم الوضع، لكنهم يفتقرون الى القدرة على التكيف معه". ويوافق خبراء كثيرون على ان هذه هي السن الحرجة بالنسبة الى اولاد الطلاق.

ويحاول بعض الاولاد، خصوصاً الصبيان الذين ترك آباؤهم البيت، ان يصبحوا هم الوالد المفقود. وقد انهك صبي في السابعة نفسه بسهره الليل كله ليحمي امه وشقيقته من اللصوص.

وبين التاسعة والثانية عشرة، تكون العاطفة الطاغية على الاولاد غضباً موجهاً نحو الوالد الذي يظنونه البادئ بالطلاق. لقد اتهمت فتاة في التاسعة أمها بأنها طردت اباها من البيت. وهي قالت لعاملة اجتماعية: "تتصرف امي مثل طالبة جامعية، فهي في الحادية والثلاثين، ومع هذا ترقص وتضرب مواعيد للشبان وتريد دائماً ان تكون مع اصدقائها".

وللاولاد بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة مجموعة مختلفة من المشاكل. فهم لا يلومون انفسهم كثيراً على انفصال والديهم، لكنهم يحملون عبء ما يسميه تدسكو "معضلة الولاء". وتقول فتاة من شيكاغو في الرابعة عشرة من عمرها: "امي لا تريدني ان احب أبي، والعكس بالعكس. فهي تخبرني قصصاً تسيء الى أبي. وهو يروي لي قصصاً عنها".

ويمثل جنس الطفل دوراً في تأثره بالطلاق. ويقول عالم النفس في جامعة فرجينيا، إ. مافيس هذرنغتون الذي أنجز دراسة حديثة عن ٧٢ اسرة امريكية مطلقة من الطبقة الوسطى، ان لتأثير الصداقة اثراً ابلغ لدى الصبيان. فالجميع يتوقعون منهم اموراً لا يتوقعونها من البنات، ونتيجة لذلك يتلقون من امهاتهم ومعلميهم وأندادهم مقادير من التشجيع والمساعدة ادنى كثيراً مما تتلقاه البنات.

مآسي الصغار - الهاجس الذي يستحوذ على الاولاد جميعهم، بصرف النظر عن فارقي السن والجنس، هو جمع الوالدين بعد افتراقهما. وقد امضى طفل من شيكاغو لا يتجاوز عمره السنتين ونصف السنة ساعات قلقة محاولا ان يضع يد ابيه في يد امه. وقضت ابنة تسع سنوات في نيويورك الشتاء كله من دون ان ترتدي سترة (جاكيت)، محاولة ان تقع فريسة مرض يكفي لجعل والديها يضطران معا الى العناية بها. وهي تقول بحزن: "كانت نتيجة كل جهدي ان اصبت بحالات زكام عدة".

بعد الزواج الثاني

في الولايات المتحدة نحو ٤ ملايين زوج أم (يسمى بالعربية الراب") وزوجة أب (الرابة) و٦،٥ ملايين ربيب من زواج سابق دون الثامنة عشرة. ومع انه يحلو للبعض ان يفكر في ان مثل هذه الاسر، "المكونة من جديد" او "المندمجة" تحيا في نعيم الزواج الثاني، فان هذا النعيم قد يكون قصير العمر. ذلك لان صدمة الزواج الثاني للأسرة، مهما ارتفعت الآمال والتوقعات، لا تفوقها قوة الا ازمة الطلاق. ونظراً الى عدم وجود خطوط هادية لسلوك الأسرة "المعاد تكوينها"، فان خبيراً واحداً على الاقل يعزو المعدل الأعلى للطلاق في الزيجات الثانية – ٤٠ في المئة في مقابل ٣٣ في المئة في الزيجات الاولى – الى ضغط محاولة حل جميع المشكلات الناشئة.

وكثيراً ما يشعر الاولاد الذين يدخلون أسرة ابيهم وزوجته او اسرة امهم وزوجها بهزيمتين اثنتين: الاولى عجزهم عن منع الطلاق، والثانية عجزهم عن منع الزواج من جديد. وقد يتحمل الراب" او الرابة وطأة الغضب الذي يضمره الاولاد للوالد الذي يشعرون بانه هجرهم وتخلى عنهم. ولزيادة البلبلة، كثيراً ما يرث اولاد الزواج الثاني مجموعة جاهزة من الأخوة والأخوات من الراب" او الرابة، وهم ليسوا مستعدين لهؤلاء الاقرباء.

وعلى رغم المشكلات، فان عالمة النفس املي فيشر وزوجها جون، وهو طبيب نفس (ويعمل كلاهما في مؤسسة امريكية تعنى بشؤون الزيجات الثانية) يعربان عن تفاؤل حذر في ما يتعلق بفرص نجاح هذه الزيجات. وتقول املي فيشر التي اشتركت مع زوجها في تأليف كتاب عن هذا الموضوع: "لقد رأى الاولاد تمزق علاقات الراشدين إما عن طريق الموت واما عن طريق الطلاق، واما امهم فرصة رؤية زوجين يعملان معاً على نحو ايجابي. ويمكن ان يمنحهم هذا ايماناً بمستقبلهم".

الا ان تقدير ما قد يحدث يبقى غير ثابت بالنسبة الى معظم اولاد الطلاق. فلا احد يعلم علم اليقين ماذا سيكون التأثير في نهاية المطاف. ويلاحظ آرثر نورتون، رئيس فرع الزواج والأسرة في مكتب الاحصاء الرسمي الامريكي: "تقليدياً، كانت الأسرة هي التي تنقل القيم الاجتماعية. فهل ان عدم الاستقرار في الاسرة سيجعل المؤسسات الاجتماعية غير مستقرة؟ حتى الآن يصعب الجواب عن هذا السؤال".

لن تشعر بالانتماء والاستقرار بعد ذلك ابداً، بل تنتقل من مكان الى آخر. وانا لا اشعر أني في بيتي عندما اكون في بيت ابي، كما احسني غريبة جداً حين تكون صديقته موجودة.

فتاة في الخامسة عشرة

ان التكيف مع الحياة بين بيتين ووالدين هو امر معقد ومحير. وتكاليف المقاضاة ولوازم بيتين يمكن ان تخفض مستوى حياة الاسرة الى حد كبير. ووجد تقرير صدر حديثاً عن مكتب الاحصاء الرسمي الامريكي ان ٣٥ في المئة فقط من الامهات المطلقات او المنفصلات او اللواتي تزوجن ثانية او العازبات يتلقين نفقة عن الاولاد الذين هم في رعايتهن. وكان على امرأة مطلقة تعاني ضائقة مالية في لوس انجلس ان تنقل اولادها الثلاثة الى منزل والديها الصغير في الجانب الآخر من المدينة. وبذلك الانتقال لم يخسر ابنها البكر والده وبيته فحسب، بل مدرسته واترابه ايضاً.

والاكثر تمزقاً هم الاولاد الذين

تجرى حولهم نزاعات قضائية تتعلق بالوصاية عليهم، والمحاكم هنا تواجه دعاوى ذات تعقيدات وملابسات غير مألوفة، وتتراكم القضايا الطويلة والأليمة لدى المحاكم العائلية نتيجة لتفاوض الوالدين على الوصاية المشتركة او اصرارهم على الانفراد بالوصاية، ونتيجة العدد المحزن من الازواج الذين يرفضون حمل عبء اي وصاية.

ولتجنب الالم الناتج من منازعات الوصاية العقيمة يتحول الوالدون اكثر فأكثر نحو الوصاية المشتركة، فيتقاسمون مسؤولية متساوية في رعاية الطفل والعناية به. وهذا يعني عادة ان الاولاد يتنقلون كالمكوك بين بيتي والديهم. ففي هيوستون في ولاية تكساس يمضي شقيقان، في السادسة والتاسعة من العمر، ليلة مع امهما وليلة مع ابيهما وزوجته، ويتم التبادل نفسه في عطل نهاية الاسبوع. لقد مضى على تطبيق هذا الاختبار اربع سنوات، ويبدو انه يجري بنجاح، او يكاد. فالتقرير المدرسي للصبي الأصغر سناً الذي لا يزال في الحضانة ممتاز في ما عدا اشكالا واحداً: لم يكن متأكداً اين يقيم.

اذكر قبيل عيد ميلادي السادس عندما قال ابي في اثناء الغداء انه سيتركنا، حاولت ان اقول: "لا يا ابي، لا تفعل"، لكنني لم استطع النطق، وتغيرت حياتي في تلك اللحظة. كنت سعيدة دائماً وفجأة اصبحت حزينة.

فتاة في الثامنة

كم تطول فترة التكيف لدى اولاد الطلاق؟ هذه ايضاً تختلف تبعاً لسن الطفل ولاستقرار حياته في اعقاب الانفصال. ويستنتج العالم النفسي هذرنغتون ان الصدمة تبدأ تخف بعد سنة او سنتين من الانفصال. ووجدت احدى الدراسات التي اجريت على اولاد الطلاق بعد خمس سنوات من انفصال والديهم ان نحو ٣٣ في المئة منهم بدوا مرنين الى حد سهل عليهم التكيف وفقاً لحياتهم الجديدة، وان نسبة مماثلة تتدبر امورها ببعض الارتباك. اما الباقون فيعانون اثر الصدمة وينظرون خلفهم الى حياتهم السابقة بتوق شديد.

وتحاول المؤسسات واصحاب الاختصاص معالجة مشاكل الطلاق بطرق جديدة. فبدأت المدارس تتنبه الى الحاجات الخاصة لاطفال الاسر المطلقة. ويقدم "معهد ماكلين للاستشارات المدرسية" في بلمونت في ولاية مساتشوستس برنامجاً يدرب المعلمين على افضل السبل للتعامل مع المطلقين واولادهم. وبدأت مدارس عدة برامج هدفها اكتشاف الاولاد المضطربين في مرحلة باكرة. وفي لكسنغتون في الولاية نفسها تألفت جماعة تضم ٣٠ فتى وفتاة تراوح اعمارهم بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة وتدعى "جماعة الاولاد المطلقين". ويعمل هؤلاء على مساعدة انفسهم بأنفسهم ويجتمعون مرة في الاسبوع في اشراف احد مرشدي المدارس الثانوية، وذلك لتحليل مشاعرهم ومساندة بعضهم بعضاً.

"الناجون" – تستعين المحاكم بذوي الاختصاص لمساعدتها في تقرير قضايا الوصاية وحقوق زيارة الاولاد. وبدلا من الاجراءات القضائية الحافلة بالخصام المرير حيث يتقاتل المحامون دفاعاً عن موكليهم من غير

اعتبار لمصلحة الطفل العليا، تحيل بعض الولايات الامريكية هذه القضايا على محاكم التوفيق حيث تستطيع الاسر التوصل الى تسوية بمعونة فريق ثالث غير متحيز، او تعين وصياً يمثل الطفل. وفي قضايا التنازع على الوصاية في ولاية وسكونسن، يطلب القانون من المحكمة ان تعين محامياً للطفل.

وفي لوس انجلس، حيث تتوسط محكمة التوفيق بنجاح في ٥٥ في المئة من القضايا، تستخدم المحكمة ١٢ مستشاراً عائلياً لتقويم امور الوصاية فضلا عن هيئة للمحققين من عمال اجتماعيين يحملون درجة جامعية عالية (ماجستير) ويجرون دراسات عن الاسرة لتقرير الجهة التي تستطيع ضمان مصلحة الطفل. ويقول مارفين فريمان، الذي تقاعد من منصب القاضي المشرف على محكمة الاحوال الشخصية في لوس انجلس: "انهم يحلون من المشاكل اكثر مما يحل جميع المحامين والقضاة معاً".

وبرامج الاستشارات تساعد في حل المشاكل ايضاً. ففي مقاطعة هنبين في ولاية منيسوتا الامريكية، مثلا، تقدم دائرة خدمات المحاكم برنامجاً مجانياً يدعى "اختبار الطلاق" للاسر التي توشك على الانحلال. وفي احدى الحلقات تبحث النواحي القانونية والاجتماعية والعاطفية للطلاق ويجري اطلاع الاسر على الوسائل المتاحة لمساعدتها في التغلب على الصعوبات.

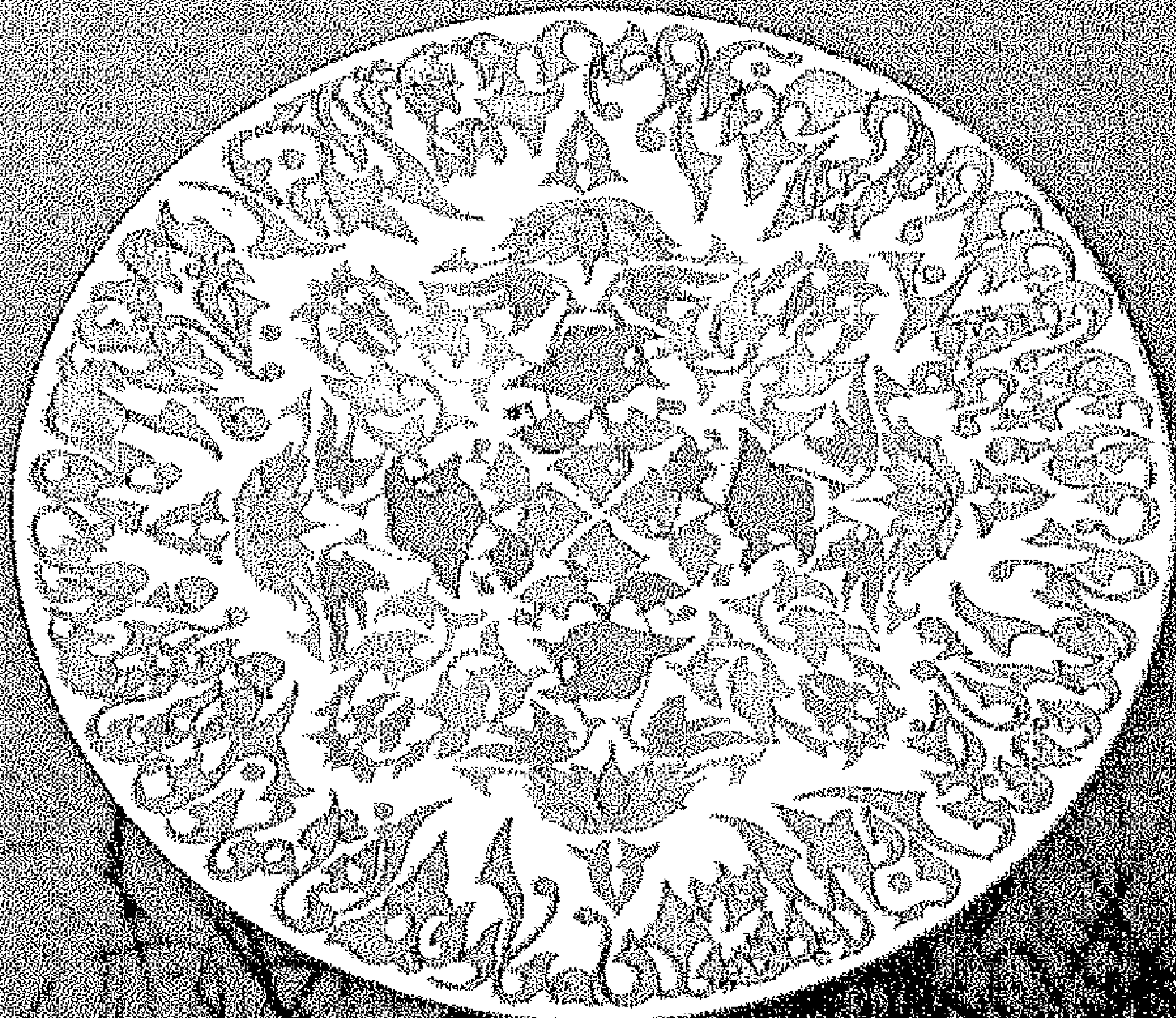
ويمكن تخفيف وطأة الطلاق منذ البداية اذا ابلغ الاولاد على نحو لائق وطمئنوا الى مستقبلهم. وينصح عالم نفس الاطفال لي سالك الوالدين باطلاع الطفل على خططهما معاً اذا أمكن وبعدم أخفاء كربهما. ويقول سالك، وهو نفسه أب مطلق يتولى الوصاية على ولديه: "ان اهم ما يتعين على الوالدين فعله هو ان يقولا للطفل انهما لن يطلقاه هو ان هما طلق احدهما الآخر".

ومع ان الطلاق ليس سهلا على اي ولد، فان بعض الاولاد يخرجون منه بجروح قليلة. المختصون في شؤون الاسر يسمون امثال هؤلاء الاولاد "الناجين"، ويقولون انه يمكنهم ان يصبحوا اكثر اعتماداً على النفس واكثر راحة متى افلتوا من جو النزاع العائلي. وتقول نانسي وستون مديرة "عيادة الاسرة المشرفة على الطلاق" في سانتا مونيكا في كاليفورنيا: "هؤلاء الاولاد ينسجمون تماماً مع كلا الوالدين". وثمة من يزعم ان الطلاق يمكن ان يكون ايجابياً للاولاد، فمن الواضح ان الكثيرين هم افضل حالا خارج الاسر التي يكثر فيها الشجار بين الابوين. وتقول لينور فايتسمان، العالمة الاجتماعية في جامعة ستانفورد ومديرة مشروع بحوث قانون الطلاق في ولاية كاليفورنيا: "لا احد يعلم مدى التمزق الذي يسببه اصرار الاسر الشقية على التماسك. فما من احد اجرى دراسة عن حال كهذه".

ويقول احد ابرز المحاضرين والكتاب الامريكيين المتخصصين بشؤون الطلاق ان هذا قد يكون اكثر ايذاء من الموت. ويضيف: "الفرق الكبير هو ان الموت له نهاية. اما الطلاق فلا ينتهي ابداً".

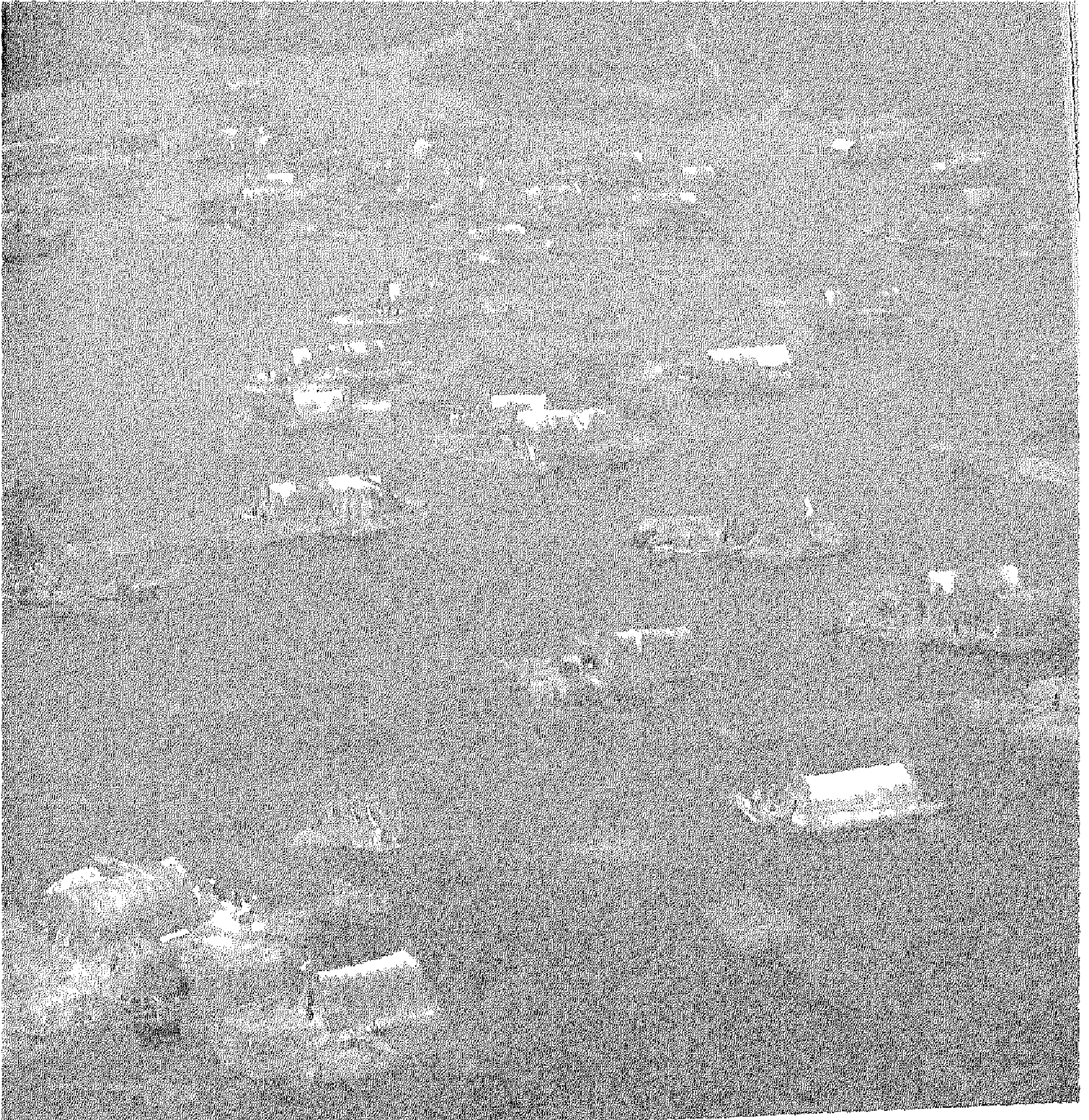
■ مجلة "نيوزويك"

أهوار العراق



في تلك العزلة المهيبة
وتتاح أكواخ القصب فوق الماء
كمراكب راسية في بحر هادئ

حفظ من عذاب وباء
عند الإله النبيل العظيم الإحسان
قرب عن ما تعالى



يخيّل الي الآن اني عرفت عرب الأهوار (في جنوب العراق) منذ زمن طويل، الا اني، قبل لقائهم في يوم مشمس من العام ١٩٥٢، كدت لا أعي وجودهم. كل ما كنت اعلمه انهم يعيشون في ارض سومر القديمة المنبسطة بين نهري دجلة والفرات. ومع ذلك، فحين دعاني الرحالة المستعرب الكبير ويلفرد تيسيغر لمرافقته الى عالم عرب الأهوار الذي تكتنفه الاسرار، قبلت الدعوة بلهفة.

التمست اجازة اسبوع من عملي، وسرعان ما وجدتني اغادر البصرة شمالا في سيارة أجرة متداعية، الى البلدة الصغيرة الرابضة على ضفة النهر والتي حددها تيسيغر ملتقى لنا.

بعد ثلاث ساعات اجتزنا خلالها مئة كيلومتر، وصلت السيارة الى درب موحلة حافلة بالاخاديد وتوقفت قرب

ية صَحَيّن ·

سايغال ·



مجرى مائي كبير · ولمحت في الماء زورقاً جميلا اسود على بعد بضعة امتار · وقف تيسيغر بجانب الزورق ومعه أربعة رجال تقدموا نحوي مصافحين · فقال تيسيغر: "هؤلاء الشبان هم من عرب الاهوار · وهم سيُعْنَون بك · اصعد الى الزورق من وسطه تماماً والا انقلب عليك" · وغطس الشبان مجاذيفهم في الجدول البني الباهت، وانطلقنا الى عالم آخر، عالم يضيع فيه المرء، يمتد فوق مساحة ١٥٥٠٠ كيلومتر مربع · نظرت عبر صفحة الماء الجلية كالزجاج، فرأيت زواحف تدب عميقاً وأسماكاً مضطربة · وقال تيسيغر: "هذا هو الهور" ·

كانت الايام القليلة التالية ساحرة · وكنا نندفع خارج أدغال القصب الى بحيرات فسيحة باهرة ومشمسة · رأينا المِعْدان، وهم رجال الهور، يصيدون السمك برماح طويلة ذات خمسة رؤوس حادة وهم واقفون كل في مقدم زورقه ·

ومكثنا في قرى الهور، حيث ترتاح أكواخ القصب على الماء "كأسطول سفن مضاءة راسية في بحر هادىء" كما وصفها أحد الكتاب ·

والزوارق ضرورة حياتية للتنقل بين تلك الاكواخ ·

كان الجمال الطبيعي للمكان أخاذاً: طيور الرفراف (★) الأرقش تغوص حولنا منقضة على الاسماك، واسراب اللقالق تحوم عالياً في شبه دائرة، وأساطيل ناصعة كالثلج من بجع جليل يقصد البحيرات للصيد، فيما يحوّم نسر واحد في السماء · وكان دَغْل القصب الذي اخترقناه يختلج بالحياة البرية: ثعالب الماء، طيور مالك الحزين، وسواها · وغالباً ما يرتفع في السكون صوت فتى يُطلق لحنجرته العنان في اغنية حب وهو يحصد الأسل (او السَّمار، وهو نبات تستخدم اوراقه الاسطوانية الطويلة في صنع الكراسي) ·

(★) الرفراف: طائر يعيش قرب الانهر ويقتات بالاسماك ·

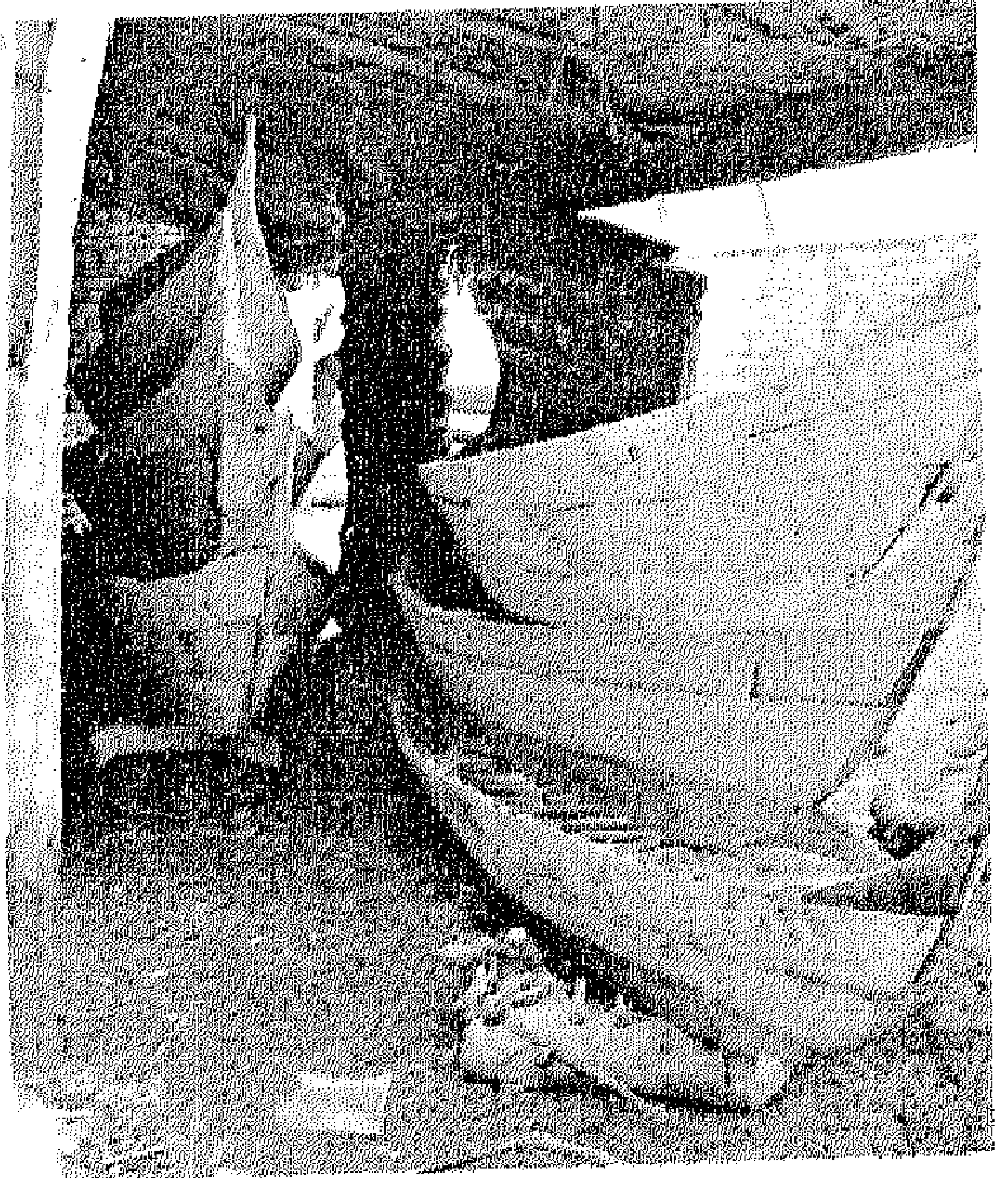
Photos: Nik Wheeler/ Black Star

المختار

تسمير الالواح الجانبية في المشحوف.



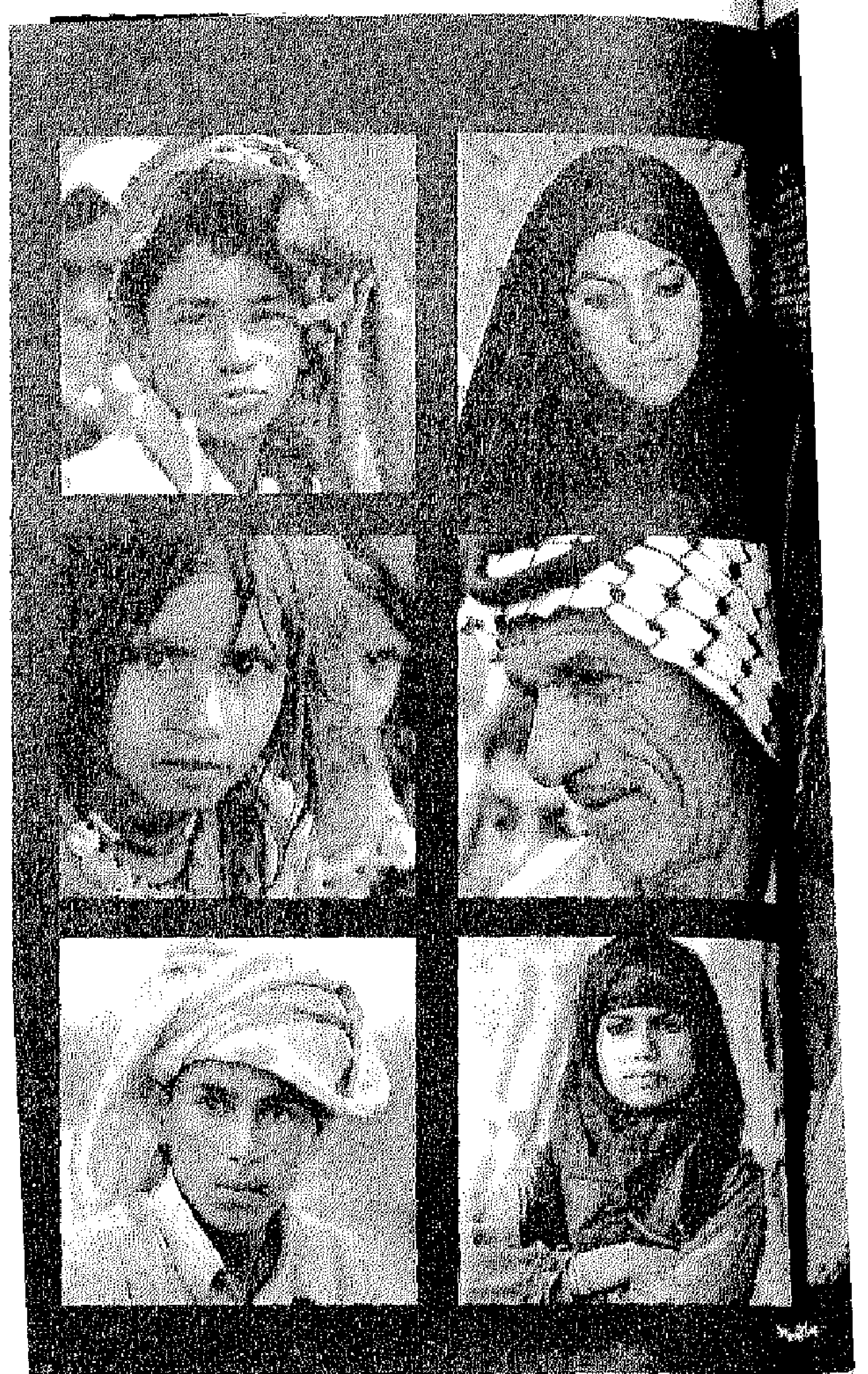
قوارب المشحوف الجاهزة تنتظر طليها بالقار.



في تلك العزلة المهيبة بنى الاله انليل - كما تروي الاسطورة - منبراً عائماً من القصب على وجه الغمر. ثم خلق الغبار ونثره حول المنبر. هكذا كوّن العالم . ان حنيناً كونياً يشد المرء الى هذا المكان.

بيوت من قصب - كان السومريون أول من تعلم القراءة من شعوب جنوب العراق. وفدوا في وقت ما قبل نحو خمسة آلاف سنة، واختلطوا بالشعوب المحلية. فأسسوا في منطقة الهور حضارة ذات عظمة لا تضاهى. وكانت مدن سومر مستعمرات واسعة أنيقة، ذات هياكل وخنادق وأسوار دفاعية. وكان يحكم كلا منها ملك. وفي المدن الهاجعة في أسرّة القصب العملاقة على الضفاف، وُلدت الكتابة، محفورة بقصب على ألواح طينية نُبشت منها مئات الألوف. وما زال هناك كثير للاكتشاف. فَمَن يعرفُ ماذا يكمن تحت مياه الاهوار؟

وشعب الاهوار اليوم يتكلم العربية لا السومرية، فهذه انقرضت منذ نحو اربعة آلاف سنة. غير أن عرب الاهوار ما زالوا يبنون زوارقهم بالطريقة التي بنى بها السومريون مراكبهم



ن اليمين افقياً: عروس من سايغال، تلميذ ن القباب، صُحَين: قوي ومرح وجليل، فتاة من عشيرة الفريجات تبرجت بالقطع لنقدية التقليدية، فتاة من عشيرة فرطوس في قرية نصايف بن جاسم، صبيّ من عشيرة البومحمد في العمارة.

قبل سبعة آلاف سنة. والمشحوف مركب شراعي صغير وسريع مبني من خشب التوت العراقي القاتم بأبسط الادوات، كالمنشار والمطرقة والمثقاب (واليوم يدخل في صنع هذه المراكب خشب مستورد من ماليزيا واندونيسيا).

ويغلب على الظن ان السومريين احضروا جواميسهم المائية الاولى من الهند. واليوم نشاهد سلالة هذه الجواميس المائية متقوقعة بأجسادها الثقيلة السوداء على المنابر الصغيرة المستديرة القائمة في كل كوخ.

ونادراً ما تُنْحر هذه الجواميس من أجل لحمها، لكن لحليبها وروثها اعتباراً خاصاً. فروثها يجفف قطعاً مربعة رقيقة تزود مواقد أكواخ الاهوار، اما حليبها فيشرب أو يُصنع منه اللبن الدسم أو السمن.

وبيوت الاهوار مبنية اليوم، كما كانت تبنى في عهود السومريين، من القصب: صف خلف صف من أعمدة قصب غليظة تُثنى وتقرن معاً في اطار مقوّس، تدعمه ركائز قصبية تربط بها حصر من قصب أيضاً تغطي السقف والجدران. وتطورت هذه الطرق قرناً بعد قرن، لتجنب ساكني الاهوار الحر والبرد معاً.

إن كلا من هذه المنازل مبنيّ على جزيرة صغيرة خاصة. ومع ذلك فقلما نجد جزيرة طبيعية بينها. يخلق الانسان الجزيرة، تماماً كما خلق انليل العالم.

فما على المرء الا ان يقرر حجم منزله. ثم يكوّم جبلا صغيراً من نبات الأسل ويدوس برجليه في الماء داخل سياج قصبي يرتفع فوق وجه الغَمْر. فحين تبلغ الاكوام الخضراء، المكدسة والمداسة، سطح الماء يُطوى السياج فوقها. ومن ثم تتابع عملية تكديس القصب ودوسه حتى يصبح في حجم جزيرة صغيرة. ومن اجل بناء جزيرة اكثر متانة، يمكن مد

رجال الاهوار يصيدون السمك برماحهم في بحيرة الدغيمة.

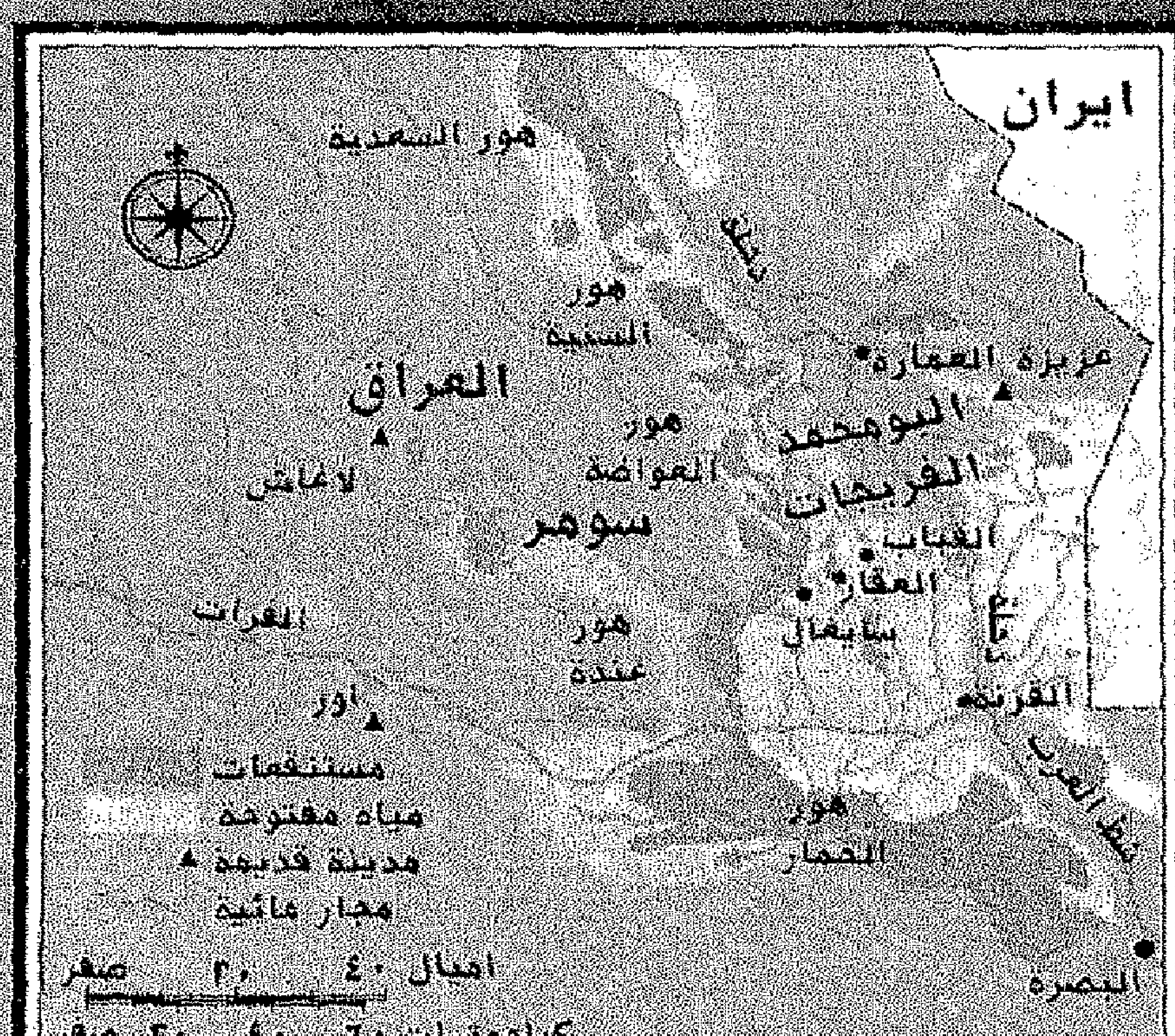
طبقات من الطمي بين طبقات القصب والاسل.

هب ازلي – بعد زيارتي الاولى برفقة نيسيغر عدت الى الاهوار مراراً، فاكتشفت انها ليست دائماً غارقة في اشعة الشمس. كان يكتنفها فجر ضبابي رمادي معتدل البرودة، رياح باردة تنتحب، وتساقطُ مطر يهسهس عبر الماء. في ذلك الوقت بدت البحيرة العملاقة خطرة، كأنها من رصاص. ومع ذلك كنت احبها.

ثم مرت عشرون سنة ونيّف قبل ان أعود، عام ١٩٧٣، الى الاهوار للمرة الاخيرة. وبعدما عبرنا دجلة عند العمارة، انبسطت الارض والسماء تماماً كما كنت اذكر. لكنني أدركت ان هناك تغييرات حصلت. وتوقفت السيارة أمام حافة الماء حيث التقيت نيسيغر قبل احدى وعشرين سنة. وتوقف محرّك الزورق الذي حملني الى الهور مرتين وسط المجرى المائي، لكننا تلوينا مع النهر بتمهل وتؤدة.

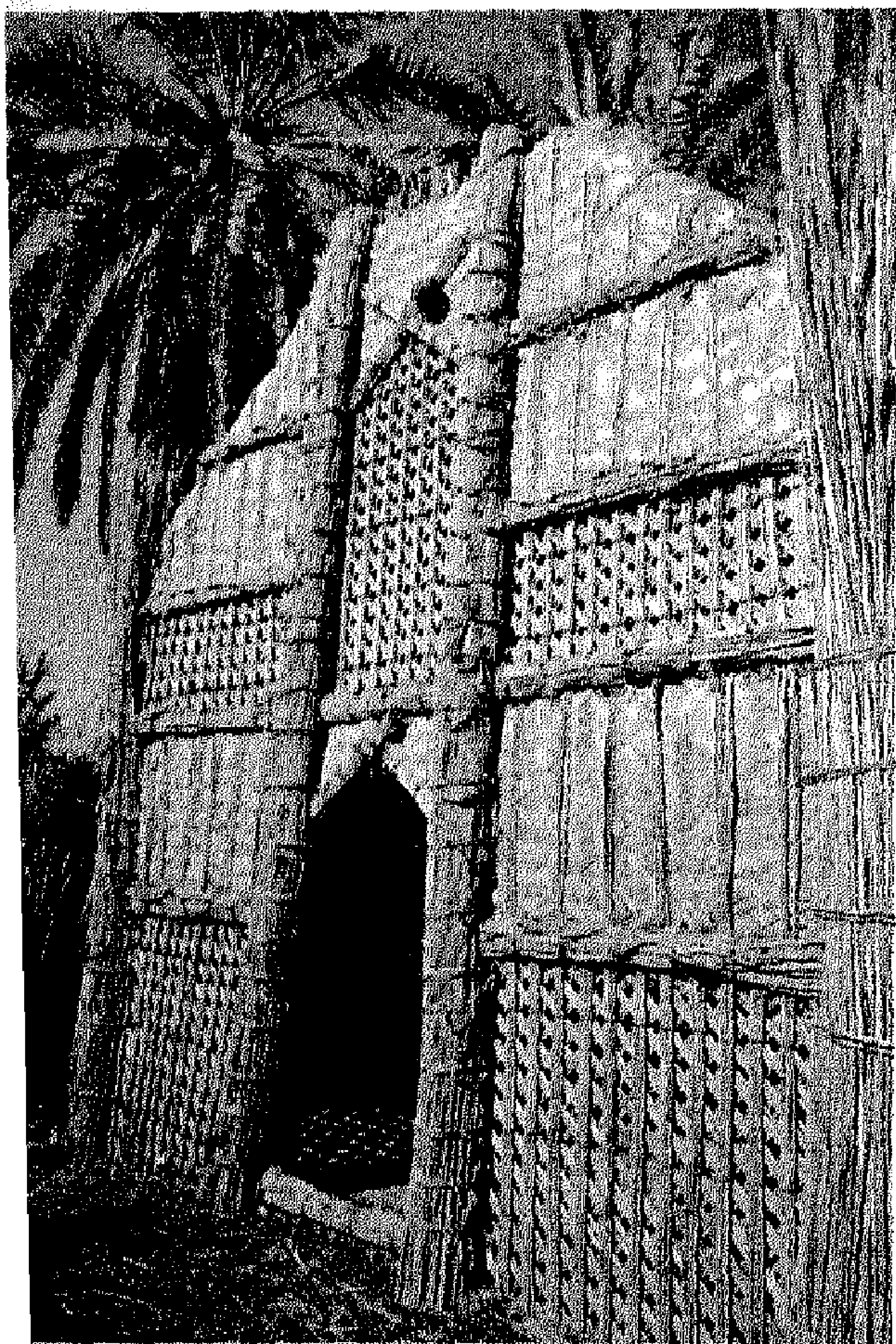
أسراب الزفراف الأرقش تهبط من أشجار الصفصاف كما كانت تفعل دائماً. والسلاحف الصغيرة القاتمة تنزلق كعادتها الى جحورها الوحلية حين كان الزورق يفري الماء قريباً في اتجاهها. كانت الشمس البرتقالية اللون الفاضبة، عينها، تنطفيء رويداً في ضباب مسائي بنفسجي رقيق.

بيد أني رأيت في الافق وراءنا


ايران
هور السعدية
هور
السنية
عزيزة العمارة
العراق
البومحمد
هور
الحويزة
لاغاش
الفريجات
سوهر
القباب
العقار
الفرات
هور
عندة
سايقال
القرنة
أور
مستنقعات
مياه مفتوحة
مدينة قديمة
مجار مائية
هور
الحمار
شط العرب
أميال ٤٠ ٢٠ صفر
البصرة

العودة بالقصب والاسل ٥



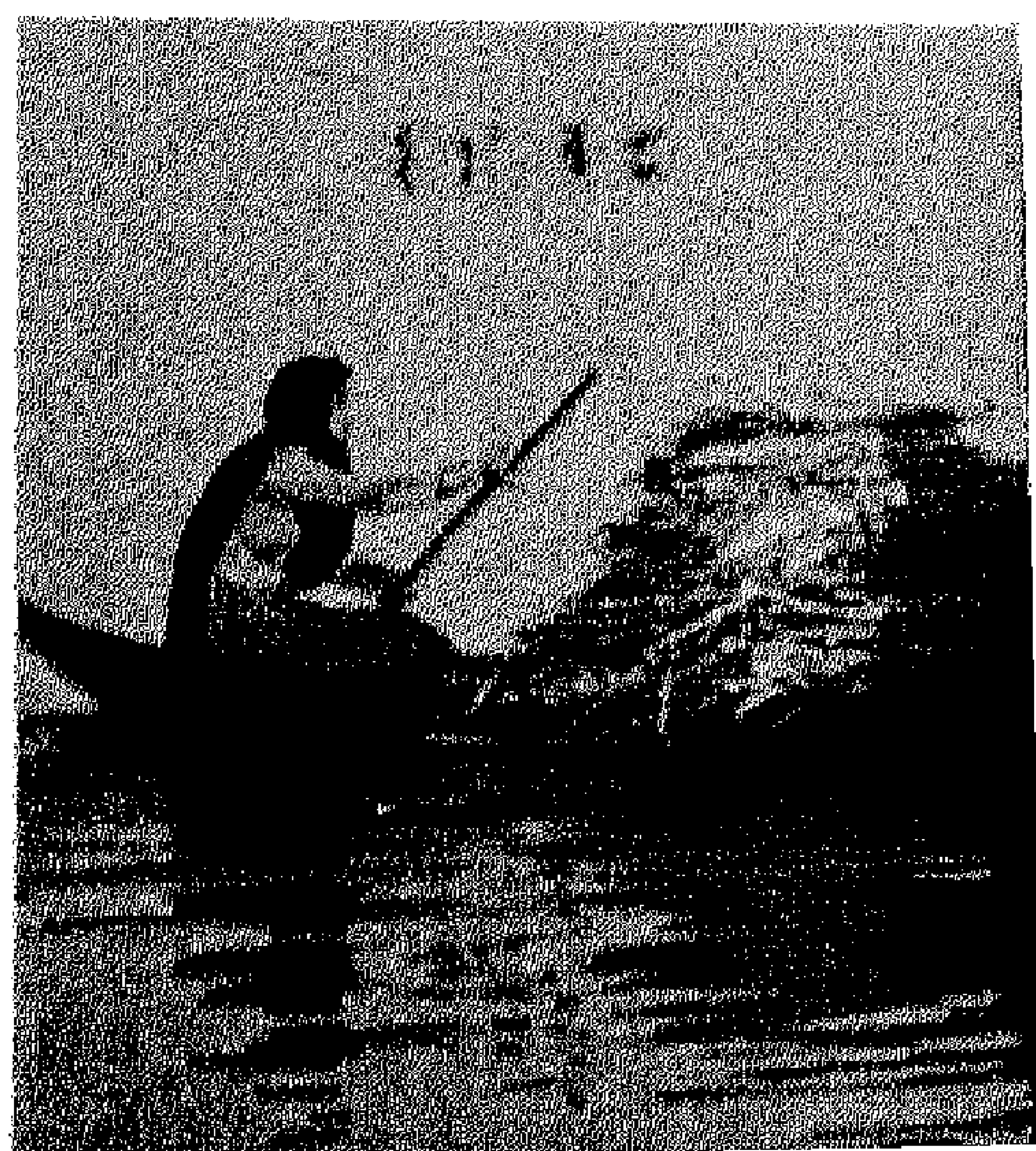


"اني رأيت بيتاً يشبه كنيسة من قصب ..."



داخل "مضيف" الحاجي يونس في العقار.





بناء شاهقاً يشبه المصنع. وقال صاحب الزورق: "ذاك هو مصنع السكر الجديد". كانت قرية القباب تشتمل على أكثر من مئة منزل. وفيها مدرسة: هضبة كبيرة مكسوة بالقصب والأسل، سبع حجرات قصبية للدراسة، ومنزل قصبي، صغير للمدرسَيْن الشابين. صبيان القرية وبناتها جميعاً يذهبون الى المدرسة كل صباح. وتذكرت اني التقيت أهالي اولئك الاولاد قبل سنين، عندما كانت فكرة المدرسة تدهشهم.

ما هو مستقبل الاهوار؟

ان دلائل التقدم لكثيرة: هناك اطباء وممرضات وعيادات وآلات لغربلة الحبوب واطلالة أفضل على أسواق المدن وزيادة في الأراضي الصالحة للزراعة. وثمة خطط لمشاريع أكبر: السيطرة على الطوفان، مد شبكات الري، تحلية المياه، استصلاح الأراضي وبناء مصانع لتحويل القصب الى ورق. ويقول المخططون: "امهلونا عشر سنين وسنصنع المعجزات".

في غضون ذلك تبقى الاهوار دائبة النشاط وفي الامكان زيارتها. وهناك استراحات للسياح في قرية القرنة، نصفها من القصب ونصفها الآخر من الآجر، تمر بها الزوارق التي لا تهدأ ابداً. وما زال رجال الاهوار يرتدون العباءات، وقسمات وجوههم تتسم بالدقة والوسامة كما كانت من قبل. وتبقى المضافات القديمة، تلك الروائع الهندسية الفريدة، رابضة على ضفاف الفرات مثل قصور ذهبية محدودبة الظهر.

لكن في الاهوار كذلك منظراً طبيعياً لا يمحى: ابعاد السماء الشاهقة، وضخامتها التي تقزم كل شيء. وتحت قبة السماء تلك رجل يحمل حربة ويوازن زورقاً على صفحة ماء تبدو كأنها تمتد الى حافة الدنيا.

■ غافين يونغ



مهنة عقوقة

اني اطلق اسم "صحافة" على كل كتابة تصبح غداً أقل طرافة مما هي اليوم.

اندريه جيد

صحافة آخر زمان

قال أحد الصحافيين ان رئيس التحرير أرسله مرة لانقاذ هرّ عالق في شجرة:

"حملتُ مع المصور سلماً طويلة، ولكن ما كدنا ان نضعها على الشجرة حتى نزل الهرّ من تلقائه. ولم يبقَ أمامي سوى امر واحد، وهو أن أحمل الهرّ واعيده الى الشجرة ليلتقط المصور صورة لي وأنا أنزله.

"وفي اليوم التالي صدرت الصحيفة وفيها صورتي وأنا أنقذ الهرّ المنكوب. إلاّ أن الصحيفة المنافسة لنا نشرت صورتي، وأنا أضع الهرّ فوق الشجرة".

س. د. ت.

الضحك خير دواء



صانعو التاريخ

في خطاب القاه صاحب دار نشر كبيرة أمام مؤتمر للكتاب، قال ان" مؤلفة" اتصلت به هاتفياً للاستعلام عن مخطوطة سلمتها الى الدار قبل أشهر. فسألها: "هل كانت رواية تاريخية؟"
ـ كلا. على الأقل" لم تكن هكذا عندما أرسلتُها اليك.

ر.ك.

مكواة الهاتف

فيما كان رجل مخمور يسير في الشارع واذناه متقر"حتان، صادف صديقاً سأله عما حدث. فأجاب: "تركت زوجتي المكواة الحامية بجانب الهاتف. ورن" جرس الهاتف، فرفعتُ المكواة الى اذني عوضاً عن رفع السماعة".
ـ ولكن ماذا أصاب اذنك الثانية؟
"لقد اتصل الوغد مرة" أخرى!"

ج.د.ه.

غزل ريفي

كانت فتاة من المدينة تزور الريف، وهناك صادفت مزارعاً ونشأت بينهما صداقة. وبينما كانا يتنزهان في المزرعة ذات مساء، شاهدا ثوراً يحك" أنفه بلطف على أنف بقرة. عندئذ قال المزارع: "هذا يدفعني الى فعل الامر نفسه".
فأجابته الشابة: "حسناً، تقدم! أنها بقرتك".

ب.ل.ن.

يكفيني ما في البيت

سمع رئيس محكمة يقول لسيدة تريد الانضمام الى هيئة المحلفين: "أشك في أن تتمكني من العمل في هذه المحكمة. فأنتِ لا تصغين الى ما أقوله في البيت، ولذلك لن يمكنك الاصغاء الى ما أقوله هنا". ثم ظهرت ابتسامة عريضة على وجهه، وطلب من زوجته التوجه الى غرفة اخرى في المحكمة.

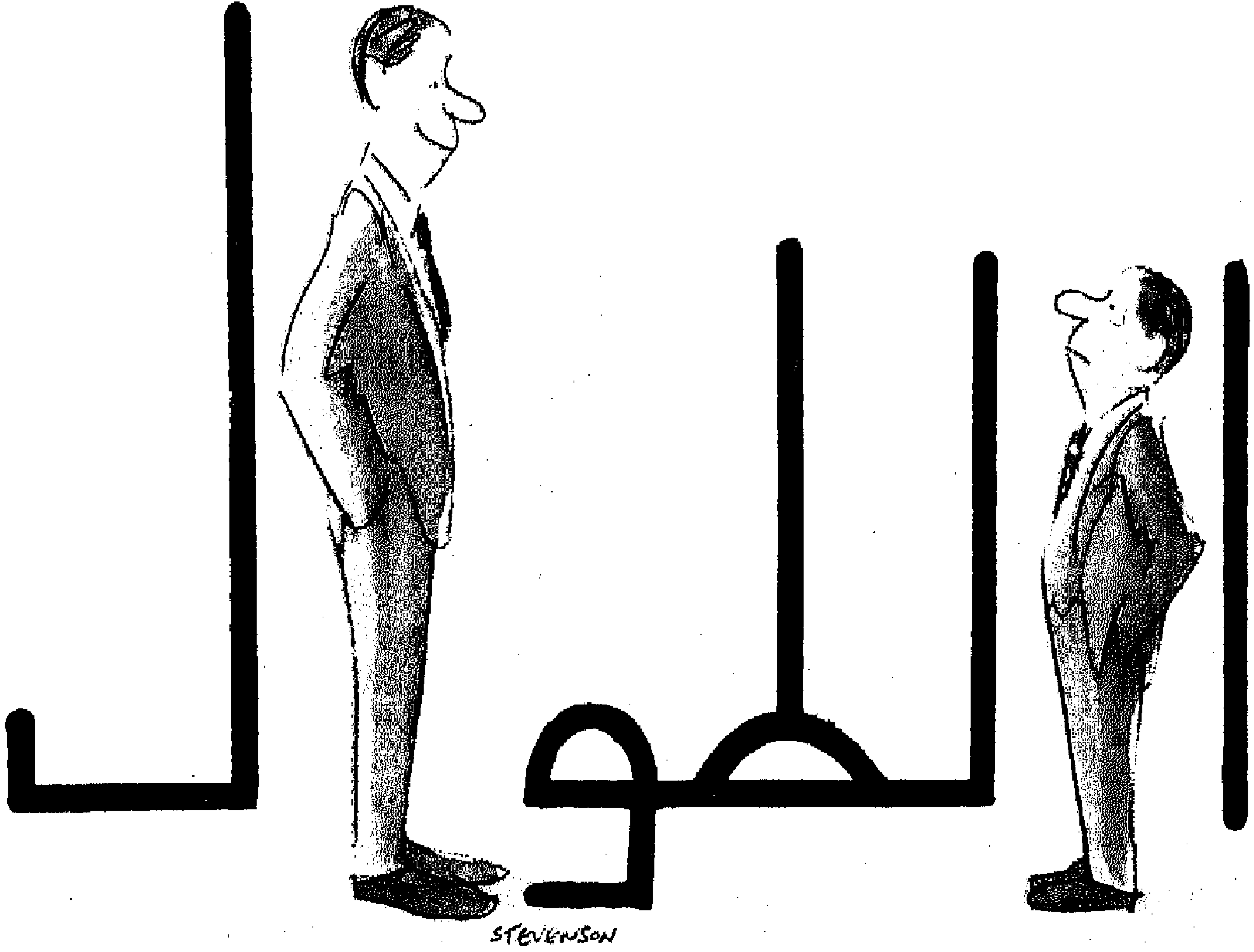
يونايتدبرس

المحلول العجيب

هرع طالب كيمياء ذات صباح الى صفه وأعلن بحماسة وابتهاج انه اكتشف محلولا يذيب كل" المواد": الخرسانة المسلحة، الفولاذ، الزجاج... فما كان من الاستاذ الا" أن سأله بهدوء: "والآن، هل لك أن تخبرنا في أي" وعاء ستضع ذلك المحلول العجيب؟"

ن.ت.ت.

مجموعة تقارير تبين انحياز
المجتمع لمصلحة الافراد الطويلي القامة



مفتاح الحظ!

وقف ليلاند دك منتظراً أمام مبنى نادي "دوكين" التابع لجامعة بيتسبورغ في ولاية بنسلفانيا الامريكية والمقصور على فئة معينة من الناس، وراح يتسلى بمراقبة الاعضاء وهم يدخلون النادي. ولفتته صفة واحدة تميزهم جميعاً، وهي انهم "كانوا طوالا على نحو مماثل"، حسبما يذكر دك من وقفته تلك قبل سنوات حين كان يشغل منصب مدير هيئة الموظفين في جامعة بيتسبورغ.

اسرت تلك الملاحظة تفكير دك الى حد قرر معه مسح عينة من متخرجي جامعة بيتسبورغ لاجراء مقارنة بين طول القامة ومعدل الراتب الشهري الذي يتقاضاه المتخرج في مستهل حياته العملية. وخرج بنتائج تحمل دلالات واضحة.

فبين ٩١ متخرجاً في صف واحد، وصل معدل الراتب الاولي للفئة التي

يقل طول افرادها عن ١٨٣ سنتيمتراً الى ٧٠١ دولار في الشهر، بينما بلغ معدل الراتب الشهري للذين هم في هذا الطول تماماً ٧١٩ دولاراً. كما تبين ان المتخرجين الذين يبلغ طولهم ١٨٥ سنتيمتراً حصلوا على رواتب معدلها ٧٢٣ دولاراً، في حين ان معدل الراتب الشهري، لمن كان طولهم ١٨٨ سنتيمتراً بلغ ٧٨٨ دولاراً. وهذا يعني ان نسبة الفرق في الراتب بين أفراد الصف الواحد الذين يبلغ طولهم ١٨٨ سنتيمتراً و١٨٠ سنتيمتراً هي ١٢ في المئة، علماً ان العلاوة المالية للمتفوقين علمياً لم تتجاوز الـ ٤ في المئة.

وأعطت النتائج التي حصل عليها ذلك عام ١٩٦٧ أول تأكيدات علمية ملموسة على حقيقة اشتبه في امرها منذ أمد بعيد، وهي ان بين المكافآت التي يمنحها المجتمع افراده الطوال المكافأة المالية.

وعلى أثر ظهور هذه النتائج، تولى الممول الاستثماري آدم بوكسر اعداد سجل وثائقي واف شرح فيه أثر الطول على دخل الفرد في الولايات المتحدة. وربط بوكسر، بالاشتراك مع زميله الاقتصادي المختص بشؤون العمال لي بنهام، بين الدخل وطول القامة في عينة قوامها ١٧ ألف طالب عسكري في سلاح الجو الامريكي كان قد سجل طول كل منهم عام ١٩٤٣. ومن هذه العينة فئة مؤلفة من عشرة آلاف طالب أبلغوا عن رواتبهم بعد مرور ١٢ عاماً وفئة ثانية من خمسة آلاف فعلت الامر نفسه بعد ٢٦ عاماً.

وخلص بوكسر وبنهام الى ان الذين يبلغ طولهم ١٨٣ سنتيمتراً وما فوق يمكنهم، حتى بعد اعتبار العوامل الاخرى كنسبة الذكاء والمستوى العلمي والوضع الزوجي، ان يضمنوا لانفسهم دخلا مالياً سنوياً يزيد بمعدل ٨ في المئة على دخل الذين يقل طولهم عن ١٧٠ سنتيمتراً، وذلك لمجرد كونهم أطول قامة. ويوجز بوكسر استنتاجاته بعبارة مقتضبة: "وجدنا تفاوتاً محدداً في الدخل يعزى الى الطول وحده".

مكافآت كثيرة – لا يقتصر تقدم الطوال على الناحية المالية وحدها. فهم سباقون ايضاً في ميادين أخرى كثيرة. والطول، كما يبدو، يفوق الاحجام الاخرى في التسابق على المكافآت الاجتماعية والجنسية والرياضية والسياسية والعملية. والذكر الطويل في الولايات المتحدة، فضلا عن كسبه ارفع الرواتب، قادر على ان يكون اوفر حظاً من سواه في لقاء الترحيب من النوادي والفوز بقلوب خير النساء والارتقاء الى اعلى المناصب. بل ان الدراسات التي اجريت حول انتخابات رئيس الولايات المتحدة اظهرت ان الناخبين لا يكتفون بتأييد المرشح الاطول، بل يسمون احياناً مرشحهم، ظناً منهم – وطالما أخطأوا – أنه أطول من منافسيه. ويصف الاقتصادي المعروف جون كنيث غالبريث (وطوله ٢٠٣ سنتيمترات) انحياز المجتمع الامريكي الى جانب الطول، واصفاً ذلك بأنه "افظع التحاملات وأيسرها غفراناً".

في مسعاي لمعرفة شعور الناس تجاه طول قاماتهم، عمدت الى توزيع عدد من الاستمارات. وتلقيت ٢٠٠

جواب. ووجدت انه يندر ان تقع على شخص واحد، مهما بلغ طوله، راض تماماً عن قامته. فالطوال يشتكون من صعوبة الحصول على ملابس ملائمة واصدقاء مناسبين ومقاعد مريحة في الطائرات. ومعتدلو القامة ـ ولو كانوا أكثر ميلا الى قبول طول قاماتهم ـ يقر معظمهم بالرغبة في ان يكون أكثر ارتفاعاً. والقصار، اي اولئك الذين لا يبلغون الحد الاوسط للطول وهو في امريكا ١٧٥ سنتيمتراً للرجال و١٦٢ سنتيمتراً للنساء، يتمنون، بلا استثناء، ان تكون قاماتهم أطول.

أما الراضون عن الطول الذي وهبوه فهم أقلية. وطالما لجأ الناس، لدى ذكر طولهم، الى الخلط بين الواقع والخيال. هناك، مثلا، مجموعة من الموظفين الجدد تبين لدى قياس طول ٣٠ واحداً منهم انهم لجأوا، عند ملء طلبات التوظيف، الى رفع ارقام طولهم الحقيقي بمقدار سنتيمترين او اكثر لجعله رقماً ملفتاً في نظرهم.

من مقاييس الرجولة ـ غالباً ما عزا الاشخاص، ولاسيما الرجال، الذين التقيهم بحكم العمل الى انفسهم طولا ليسوا هم عليه في الواقع. والسبب ان الطول، بالنسبة الى الرجال، هو من مقاييس الرجولة. ويقول احد علماء النفس: "الرجال هم اولئك الذين يبلغ طولهم ١٨٣ سنتيمتراً وما فوق"، علماً ان طول هذا العالم هو ١٨٠ سنتيمتراً. وغالباً ما يضيف، لدى ذكر طوله، السنتيمترات القليلة الناقصة، لمجرد الافتراض ان طوال القامة أقوى وأقدر من سواهم، مما يسفر عن تفضيل الطوال لدى اختيار الموظفين.

لقد عمد استاذ التسويق في جامعة شرق ميتشيغان، ديفيد كورتز، الى استفتاء ١٤٠ مسؤولا عن توظيف مديري البيع حول اختيار واحد من مرشحين متكافئين تماماً من حيث المؤهلات، طول احدهما ١٨٥ سنتيمتراً والآخر ١٦٥ سنتيمتراً. فأجاب ٧٢ في المئة انهم سيوظفون المرشح الاطول قامة. وأعرب ٢٧ في المئة عن عدم التمييز بين الاثنين، فيما قال شخص واحد فقط انه سيوظف الاقصر قامة. ومنذ نشر نتائجه هذه، لقي كورتز استجابة كبيرة من مديري شؤون التوظيف في شركات مختلفة، "ومعظمهم يقر بحقيقة ما تقدم ذكره".

واكتشف مسؤول عن اختيار مديرين تنفيذيين في سوق نيويورك المالية (وول ستريت) ان الطول شرط أساسي في الوظائف التي تقتضي صرف معظم الوقت مع الناس. وهو يقول: "حين ترسل شخصين مؤهلين متساويين لوظيفة ذات راتب سنوي مقداره ٥٠ ألف دولار، تجدهم، كل مرة، يختارون الرجل الاطول".

ويقول توم مشلينغ، مدير الاعلام سابقاً في شركة، "آي. بي. إم"، ان ثمة قانوناً غير مكتوب في ما يتعلق بممثلي الشركة "المنظورين"، كالمسؤولين عن المبيعات والعلاقات العامة والاعلام، ظل يحتم تفضيل الطوال على سواهم عبر تاريخ الشركة. وهو يقول: "ليس في القانون تشريع ينص على ذلك، لكنك تدرك بالفطرة الصورة المطلوبة. ومعروف ان رجال المبيعات في "آي.بي.ام". يبدون اشخاصاً

مغامرين ومكافحين وذوي شخصيات طاغية. والطول عنصر يساعد على ابراز هذا المظهر". ويضيف مشلينغ ان الشركة كلها كانت مشبعة بمثل ذلك الانحياز في التوظيف.

النساء أيضاً — ان عامل الطول في ميادين العمل لا يقتصر على الذكور. فالنساء اليوم يحاسبن باطراد بموجب الاحكام التي تنطبق على الذكور. وحتى وقت قريب، كانت النساء الضئيلات الحجم يتمتعن بمكانة مرموقة لكونهن المثل التقليدي الاعلى من حيث رقة الجسم واناقة الهندام والحشمة. لكن رقة الجسم لم تعد امراً مرغوباً، بل باتت تعني قصر الباع. لذلك تجد المرأة التي تقل طولا عن الرجل القصير صعوبة مزدوجة في ميدان الوظائف. وهذا عين ما اختبرته النائبة في الكونغرس الامريكي شيرلي تشيزولم بعد اتمام دراستها الجامعية، اذ هي رفضت حتى كمساعدة استاذ نظراً الى صغر حجمها.

وظلت على هذه الحال حتى انفجرت ذات يوم ثائرة لكرامتها وصاحت: "لا تحكموا على قدراتي من خلال حجمي". وعندئذ فقط اعطيت فرصة تجريبية تكللت بالنجاح.

وفي الوظائف التي تتطلب علاقات عامة تعطى الافضلية للنساء الفارعات. وتقول موظفة في مؤسسة للاستثمار في "وول ستريت" طولها ١٨٠ سنتيمتراً: "يمدني الطول بالهيمنة". وهي، في حضور الرجال، لا تشعر بمشكلة عدم اخذها على محمل الجد. وذلك عائد جزئياً الى الثقة التي يوحي بها طولها. لكنها لا تشك في ان للخوف كذلك شأنه مع زملائها من الذكور الاصغر حجماً.

من العسير جداً وضع سجل وثائقي عن التحيز ضد القصار، علماً ان التمييز ضد الاقليات والفئات العرقية والنساء ظاهرة درست الى حد لم يبق بعده زيادة لمستزيد. لكن التمييز على اساس الطول لا يزال موضوعاً لم يمسه اي تمحيص جدي حتى الآن. ولعل من المناسب هنا تسجيل الآتي: ان قصار القامة هم انسب الناس خلال عقد الثمانينات، نظراً الى انهم اقل استهلاكاً للموارد ويشغلون حيزاً ضئيلا ويتناسبون بسهولة مع احجام كل السيارات!

■ **رالف كايس**



السكرتيرة والمفتش

قالت سكرتيرة لاخرى: "ان مفتش العمل لا يحوّل انظاره عني في المدة الاخيرة. لكني لست ادري كيف اتصرف لارضيه: هل انهمك في عملي ام ابدي تجاوبي مع نظراته؟"

ف.ن.س.

زَرْعُ الكُلى

أنا أموت

فتحيا كليتي وتحيى

منذ اوائل الستينات انقذت عمليات زرع الكلى حياة الآلاف.
واليوم يوصي المواطنون بوهب كلاهم بعد الموت
لانقاذ آلاف أخرى

نقل احد ضحايا حوادث السيارات في مدينة انديانابوليس الى مستشفى ولاية انديانا وهو مصاب بجروح خطيرة في رأسه، وخلال الايام الثلاثة التالية، فيما حافظت الآلات والعقاقير المعطاة من خلال الاوردة على عمل جهازي التنفس والدورة الدموية لدى المريض الفاقد الوعي، اجرى الاطباء اختبارات عدة شديدة التعقيد، لكنهم لم يجدوا اثراً لاي نشاط عصبي في المريض. فاستنتجوا انه اصيب بموت دماغي تام.

ولأن الضحية، وهو ذكر في الثالثة والعشرين من العمر، كان يتمتع بصحة جيدة قبل وفاته، فقد اثار الاطباء امكان الافادة من كليتيه لانقاذ حياة مريض، او اكثر، في خطر. وقد وافقت زوجته ووالدته على ذلك.

بقي على الاطباء ايجاد شخصين في حاجة ماسة الى الكليتين ويلائم جهاز المناعة الجسدية لديهما جهاز المناعة في جسد الواهب.

فاذا لم تكن مولدات المضادات (١) في دم الواهب والموهوب وفي انسجتهما هي نفسها او متشابهة جداً

(١) مولد المضاد هو مادة ينشأ عن حقنها في الجسم اجسام مضادة لها.

- وهنالك مئات الالوف من التوافقات الممكنة - فان الاحتمالات الغالبة هي ان "الجهاز الدماغي" لدى الموهوب سينبذ كلية الواهب.

وفي محاولة للعثور على ملاءمة كافية، ارسلت فئة دم الواهب بالمبرقة الكاتبة في المستشفى الى دماغ الكتروني تديره المؤسسة الجنوبية الشرقية لتأمين الاعضاء (سيوبف) في مدينة رتشموند في ولاية فرجينيا. وبعد بحث استغرق ٣٠ ثانية، وشمل نحو ١٥٠٠ مرشح سجلهم ٤٠ مركزاً من مراكز زرع الاعضاء في منطقة تضم ١٧ ولاية امريكية، لفظ الدماغ الالكتروني ورقة طبع عليها اكثر من مئة اسم.

ومع ان جميع الاشخاص الذين وردت اسماؤهم في القائمة لديهم فئة الدم نفسها وواحد او اكثر من مولدات المضادات الملائمة، فان اثنين منهم فقط لديهما ما يكفي من الخصائص المناسبة لاعتبارهما مرشحين رئيسيين: احدهما في انديانابوليس والآخر في بتسبرغ (ولاية بنسلفانيا).

وحالما نقل دماغ "سيوبف" الالكتروني هذه المعلومات الى انديانابوليس، استأصل فريق من جراحي الزرع كليتي الضحية وغسلهما بمحلول حافظ ووضعهما في اناءين مليئين بالثلج، وحملت سيارة اسعاف احد الاناءين بسرعة فائقة عبر المدينة، بينما نقل الآخر باليد الى بتسبرغ على متن طائرة نفاثة. وبعد مضي اقل من ثماني ساعات على عملية الاستئصال كانت الكليتان قد زرعتا بنجاح في جسمي المريضين.

هذه الاحداث تمثل ما يسميه الاطباء "سوقاً دولية مشتركة" للكلى. فبواسطة منظمات غير ربحية نظير "سيوبف" ومؤسسات مماثلة في اوروبا وكندا وغيرهما، اصبح ممكناً الآن الاستعانة بالدماغ الالكتروني لتحديد ملاءمة الاعضاء، المتوافرة للزرع في اي جزء من العالم، الخصائص الدفاعية لدى المرضى في اجزاء اخرى. مثال ذلك ان "الشبكة المتحدة لتقاسم الاعضاء" (٢)، تؤمن الملاءمة بواسطة الدماغ الالكتروني لـ١٣٦ مركزاً لنقل الاعضاء من اصل ١٥٥ مركزاً - في الولايات المتحدة. وهي قادرة على عرض خصائص الانسجة لدى اكثر من ٤٥٠٠ مرشح في ٤٢ ولاية. ويقول الدكتور هـ.م. لي، استاذ الجراحة في كلية الطب في فرجينيا: "المسافة ووسيلة النقل عاملان مهمان في اختيار المرشحين. لذلك نعطي الافضلية للمرضى الموجودين في اماكن قريبة من مصدر الكلية الموهوبة".

الا ان الاطباء الامريكيين يصادفون احياناً اعضاء تتميز بمجموعات نادرة من مولّدات المضادات. وبدلا من اضاعة هذه الكلى التي تصعب ملاءمتها - وهناك نقص شديد في الاعضاء الموهوبة - يعرضها الاطباء على شبكات الملاءمة بواسطةالادمغة الالكترونية في انحاء العالم.

الامل الوحيد - قبل الستينات، كان الامريكيون المصابون بأمراض في الكلى يتعذر شفاؤها محكومين بموت بطيء، وباكر. اما اليوم ففي امكان ٩٠ في المئة منهم البقاء احياء بفضل

(٢) المقصود هنا بالأعضاء، اعضاء الجسم. وتعرف الشبكة باسم "يونوس".

كلى اصطناعية تزيل الفضلات السامة من الدم. على ان جراحة زرع الكلية تمثل، بالنسبة الى كثيرين، السبيل الوحيد الى حياة شبه طبيعية. أما الذين يتعذر ابقاؤهم على قيد الحياة بواسطة عملية غسل الدم المتكررة، فان زرع الكلية هو املهم الوحيد.

الدكتور جون فان رود، من جامعة لايدن في هولندا، كان اول من اقترح فكرة اقامة نظام لملاءمة الكلى بواسطة الدماغ الالكتروني عام ١٩٦٧. وهو يقول: "في الايام الاولى لعمليات الزرع، كان ثمة اعتقاد ان الافراد الذين تربطهم قرابة الدم يمكن ان يتمتعوا وحدهم بأجهزة مناعة متماثلة".

ثم اكتشف العلماء في اوائل الستينات انه تتوافر من حين الى آخر ملاءمات لمولدات المضادات بين اشخاص لا تقوم بينهم رابطة دم او عصب. "وكان لهذا الاكتشاف دلالة مهمة"، يقول الدكتور فان رود، "هي اننا اذا استطعنا حشد مجموعة كافية من المرضى ذوي الكلى المتعطلة لتمكنا من العثور في مكان ما على خصائص ملائمة لاي كلية تقريباً من الكلى الجاهزة".

في اول الامر كانت عملية استقصاء المعلومات عن مولدات المضادات تتم في اللحظة الاخيرة بواسطة مقارنة مباشرة بين الواهب والموهوب، على ان تجري في مستشفى واحد او مستشفيين متجاورين. ففي العام ١٩٦٧، مثلا، بدأ الدكتور ديفيد هيوم من كلية الطب في فرجينيا برنامج تبادل غير رسمي مع مراكز لزرع الكلى في ولايات جنوبية شرقية اخرى. وفي مايو (ايار) ١٩٦٨، اعد الدكتور فان رود ملفاً متواضعاً، بواسطة الدماغ الالكتروني، يشمل ٣٠٠ مريض مرشح، ودشن نظاماً يدعى "يوروترانسبلانت"، او عمليات الزرع الاوروبية، في جامعة لايدن (هولندا). وسرعان ما اضحت ملفات الدماغ الالكتروني اكبر حجماً وأفضل مضموناً. مثال ذلك ان "سيوبف" تأسست عام ١٩٦٩ لتنسيق المشاركة في اعضاء الجسم بين تسعة مراكز طبية في ولايات ماريلاند وفرجينيا وكارولينا الشمالية وجورجيا ودائرة كولومبيا التي تضم العاصمة واشنطن.

وفيما ازداد عدد جراحات الزرع، بات واضحاً ان الاجراء الجراحي - او عملية الزرع في ذاتها - لا ينطوي على اي خطر يذكر. وفي ما يتعلق بالكلى نفسها، فان ما يراوح بين ٥٥ و٦٠ في المئة من الكلى المنقولة من اجسام اشخاص متوفين في الولايات المتحدة تستمر في العمل اكثر من سنة واحدة، ونحو ٥٠ في المئة اكثر من خمس سنوات (نسبة النجاح اعلى كثيراً في الكلى المنقولة من اقرباء الدم). ويقول الخبراء ان هذه الارقام يمكن تحسينها متى ازداد عدد الكلى المتيسرة بحيث يصير من الممكن العثور على ملاءمات افضل.

المسافرة الغالية - للتعرف عن كثب الى الطريقة التي تعمل بها "السوق المشتركة" للكلى، تأمل في الاحداث الآتية التي بدأت في ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩:

قرابة السابعة والنصف مساء تلقى اد مايرز، وهو منسق نقل الاعضاء في جامعة الطب في كارولينا الجنوبية،

بمخابرة هاتفية من مستشفى ميموريال في مدينة سافانا في ولاية جورجيا تعلمه بان كليتين سليمتين متيسرتان في المستشفى. فاستقل مايرز طائرة حملته الى مطار سافانا حيث تسلم الكليتين وطار عائداً بهما الى تشارلستون. وهناك اجرى عليهما فنيو المختبر تجربة لتحديد فئة انسجتهما.

وفي الخامسة والنصف صباحاً تم تحديد الفئة وتلقيم الدماغ الالكتروني المعلومات التي حصل عليها الخبراء. وفي غضون دقائق بدأ جهاز المبرقة الكاتبة يبث المعلومات. وما لبث ان وجد في جامعة الطب في كارولينا الجنوبية مريض يعالج بغسل الدم ولديه ثلاثة مولدات للمضادات ملائمة تماماً كما ليست لديه اي موانع يمكن ان تحول دون اجراء عملية الزرع. وخلال ساعة جُمع فريق طبي واستدعي المريض الى المستشفى لتحضيره للعملية. وبعد ذلك بساعتين فقط، كان عضوه الجديد في مكانه ويؤدي وظيفته.

ماذا في شأن الكلية الاخرى؟

وجد مايرز شخصين في منطقة "سيوبف" يتمتعان بمولدي مضادات ملائمين. ولكن صرف النظر عنهما لوجود عوامل قد تؤدي الى مضاعفات وانتهى البحث في ملفات مناطق اخرى الى نتيجة سلبية. وفي هذه الاثناء اضحى عامل الوقت مهماً. فالكلى المحفوظة في الثلج تبقى قابلة للحياة مدة ٢٤ ساعة فقط. ويمكن الحفاظ على الكلية مدة اطول بوضعها في آلة نابضة حيث تنضح بمحلول حافظ، فيحتفظ بحيويتها لمدة ٥٤ ساعة.

وأخفقت مخابرة هاتفية الى كندا في العثور على مرشح مناسب. وأجرى مايرز اتصالا هاتفياً آخر مع مدير مركز "يوروترانسبلانت" في هولندا. وعاد هذا فاتصل به بعد ساعة ليقول ان مرشحاً اكتُشف في بروكسل عاصمة بلجيكا.

وفي الثالثة والنصف بعد الظهر، نقلت الشرطة بسرعة فائقة مايرز والكلية الموضبة في آلة نبضية متنقلة، وتدار بقوة البطارية، الى مطار تشارلستون حيث ركب الطائرة الى اطلنطا. واستقبله هناك ممثل لاحد الخطوط الجوية ومعه كرسي متحرك. يقول مايرز: "ركبت الكلية كرسي المعاقين فيما رحت انا اجري الى جانبها حتى بلغنا سلم الطائرة". وبعد ذلك بدقائق كان مايرز على متن طائرة متوجهة الى لندن، والآلة مربوطة الى المقعد المجاور له.

وفي لندن انتقل مايرز بسرعة الى طائرة اخرى قطعت به الشوط الاخير. واستغرقت الرحلة ساعة واحدة هبط بعدها في مطار امستردام وقد انهكه السفر. وهناك أمّن له مرور سريع عبر الجمارك الهولندية، ثم أدخل سيارة اسعاف كانت تنتظره. وبعد ذلك بدقائق كان هو وحمولته النفيسة في لايدن، حيث اعاد الفنيون تحديد فئة الانسجة وملاءمتها، وهذا اجراء يتم قبل كل عملية زرع للتثبت من صحة التصنيف.

وفي الاولى والدقيقة الخامسة والاربعين بعد ظهر ٢ فبراير (شباط)، حسب توقيت مدينة تشارلستون، نقل مايرز والكلية في سيارة اسعاف الى بروكسل التي تبعد

نحو ساعتين ونصف ساعة، وقبيل الخامسة بعد الظهر ابتدأت عملية الزرع. وتسنى لمايرز ان ينام بضع ساعات قبل ان يستقل الطائرة عائداً، وقبيل صعوده الى الطائرة وصلته رسالة تفيد ان الكلية المزروعة بدأت تؤدي وظيفتها. وبعد اشهر بلغ مايرز ان المريض والكلية على ما يرام.

ويتم سنوياً زرع اكثر من ثلاثة آلاف كلية منقولة من اجسام اشخاص متوفين في الولايات المتحدة وحدها. وقد ارسلت كلى مجموعة من واهبين امريكيين الى المكسيك وكندا واوروبا واميريكا الجنوبية والاتحاد السوفييتي. وهناك امكانات للمزيد من عمليات الزرع في حال توافر امدادات كافية بالكلى. ففي الولايات المتحدة وحدها يعالج الان اكثر من ٤٥ الف مريض بعمليات غسل الدم المتكررة، ونحو ٣٠ في المئة منهم مؤهلون لعمليات الزرع. ولكن المؤسف ان النقص في الكلى الموهوبة سيضطر معظمهم الى الانتظار طويلا قبل العثور على كلية مؤاتية. ومنهم من قد لا يتسنى له ذلك، فيبقى خاضعاً لمعالجة غسل الدم مدى الحياة، وهي عملية تستغرق ما بين اربع ساعات وست ساعات متواصلة بمعدل ثلاث مرات في الاسبوع.

ان استعمال "بطاقات الواهبين الموحدة" او ما يشبهها يمكنه القضاء على جانب كبير من هذا النقص. ذلك لان "قانون هبة الاعضاء الجسدية الموحد"، الذي اقر في الولايات الامريكية الخمسين كلها، يجعل اي شخص قادراً، من الناحية القانونية، على وهب اعضائه بعد الموت. وفي حال عدم وجود بطاقة الواهبين، يستطيع اقرب انسباء المتوفى اجازة هذا العطاء. كما ان جميع الولايات تترك حيزاً فارغاً في اجازة قيادة السيارات لتدوين هذه الرغبة.

ويقول جين بيرس، المدير التنفيذي لمنظمة "سيوبف": "ان هدفنا الادنى تلبية حاجات جميع الذين ينتظرون عملية زرع. ويتوقف ذلك على كرم الشعب".

■ ستانلي انفلبارت



الرياضي العجوز

لا يعلم جوني كيلي، وهو في الثانية والسبعين، اين حلّ بالضبط في سباق الركض في بوسطن عام ١٩٧٩، وهو السباق الثامن والاربعون الذي يشترك فيه منذ العام ١٩٢٨. وقال: "كنتُ في الصفوف الخلفية. وعلى رغم اني قطعت المسافة خلال ثلاث ساعات واربعين دقيقة، متأخراً ثماني دقائق عن العام الماضي، الا أن ذلك كان رائعاً. وقد قابلني المتفرجون على طول الطريق بهتافات حماسية. وكان كل متبار يتجاوزني يتمنى لي حظاً سعيداً".

وفي منتصف المباراة، سمع كيلي راكضيْن وراءه يتحدثان عنه. فقال أحدهما: "انظر، هذا كيلي العجوز. اتمنى أن اركض مثله عندما ابلغ سنه". وقال الآخر: "ليتني أعيش حتى تلك السن".

صحيفة "النيويورك تايمس"

مارك توين
يروي حكايات
عن مخلوقات غريبة

اربع دراسات عن الحيوان
للمؤلف الامريكي الفذ مارك توين

الذئب المحتال والكلب الغرير – بعد تناول طعام الافطار شاهدنا على ارض الصحراء اول قيوط (ذئب صغير في شمال امريكا) انه مثال القباحة، هزيل بارز الاضلاع، اشعث الشعر، رث، ما ان يلمحك حتى يرفع شفته فتبرز انيابه. ثم يهرول بخطى طويلة نحو شجيرة مريمية (قصعين) ملقياً نظرة من فوق كتفه بين الفينة والفينة، حتى يصبح خارج مرمى المسدس، فيتوقف ليتأملك ملياً ويتابع سيره خبباً مسافة خمسين متراً ليتوقف مرة أخرى. ويختفي عن ناظريك حين يختلط لونه الاشهب بلون شجيرة المريمية. أما اذا بدرت منك اشارة عداء فانه يطلق لقوائمه العنان حتى يبتعد عن مجال سلاحك.

وللذئب هذا مع الكلب قصص طريفة. منها انه اذا طارده كلب يترك له مجالا للاقتراب منه، ساعتئذ يندفع بسرعةأكثر الى أمام. ويخيل الى الكلب انه يكاد يصل اليه، فيزيد جهده وسرعته. واذ يصير الكلب على بعد ستة امتار منه، ويكون الاجهاد اخذ منه مأخذه، يقفز الذئب قفزات تباعد بينهما ثم يخفف سيره. وهكذا، بين احتيال الذئب وانخداع الكلب، يرى هذا نفسه منهوك القوى، والذئب ما زال ممتنعاً عليه.

وتبلغ المعركة ذروتها بين محتال ومخدوع، حين لا يعود بين الاثنين سوى مترين فقط. فيشعر الكلب بارتياح لاقترابه من طريدته، غير ان هذا الارتياح ينقلب صدمة عنيفة حين يدير الذئب وجهه ناحية الكلب وقد بدت عليه امارات شماتة وهزء، كأنه

Condensed From The Books «Roughing It,» «A Tramp Abroad», and «Following The Equator,» by Mark Twain, Published By Harper & Row, Publishers, Inc., New York, N.

يقول له: "الآن، انتهى وقت العبث"، ويطلق لقوائمه العنان، فاذا الكلب وحيد وسط الغبار المتراكم والقفر الفسيح.

ماذا تكون نتائج الصدمة في الكلب؟ دوران في كل اتجاه وتسلق لكثبان الرمل القريبة،وتحديق الى الأفق، وهز عميق متواصل للرأس، ثم، عودة منهزم الى وراء وانضمام الى آخر العربات في القافلة. فالخائب يخجل من الاختلاط بصحبه، وهو يختار مكاناً وضيعاً مدة اسبوع، كأنه اسبوع حداد، ريثما ينسى، وينسى سواه مغامرته المضحكة.

النملة الغبية – يبدو لي ان مسألة ذكاء النمل مبالغ فيها كثيراً. فعندما اقول ذلك اعني النمل العادي، اذ ليست لدي الخبرة في النمل السويسري والافريقي العجيب الذي يدلي باصواته في الانتخابات ويحتفظ بجيوش مدربة ويملك العبيد ويناقش في امور الدين.غير اني مقتنع بأن النملة العادية غبية. أنا اعترف بكدها ومثابرتها، فهي اكثر المخلوقات كداً ونشاطاً. غير ان لي مأخذاً عليها هو رأسها الغبي.

تذهب النملة لتفتش عن مؤونة فتفوز بغنيمة، فماذا تفعل؟ هل تذهب الى بيتها؟ لا، لانها لا تعرف اين هو بيتها، وقد يكون على مسافة متر واحد من مكان وجودها ومع ذلك لا تتمكن من العثور عليه. وفي معظم الاحيان تكون الغنيمة شيئاً لا يفيدها ولا يفيد سواها، ويكون حجمها سبعة اضعاف ما يجب ان يكون. انها تفتش عن غنيمتها في الاماكن غير الملائمة، فترفعها في الهواء بكامل قوتها وتسير بسرعة جنونية فتصطدم بحصاة، فتتسلقها وتسير الى الوراء جارة الغنيمة وراءها. واذ تتعثر، تقفز قفزة غاضبة وتقبض على غنيمتها بوحشية، وتجذبها يمنة ويسرة، تدفعها الى الامام، ثم تدير ظهرها وتسحبها وراءها. واذا ازداد غضبها فهي ترفعها في الهواء وتسير بها بعنف في اتجاه جديد.

وتمرّ نصف ساعة تكون النملة خلالها بعدت ١٥ سنتيمتراً عن المكان الذي بدأت مسيرتها منه، فتلقي بحملها. وبعدما تأخذ قسطها من الراحة، تتابع سيرها على غير هدى، وبسرعتها ذاتها. وفجأة تعثر على غنيمتها نفسها، ولأنها غبية، لا تتذكر انها شاهدت هذا "الشيء" من قبل، فتقبض عليها وتسير في المتاهات نفسها التي كانت سلكتها...

اخيراً تتوقف لتستريح. فتأتيها احدى "الصديقات" وتشير الى ان قائمة الجندب الذي حظيتا به العام الفائت كانت مكسباً ممتازاً، آخذة على عاتقها مساعدتها على نقل الغنيمة الى وكرها، وهكذا تمسك كل منهما بأحد طرفي قائمة الجندب وتبدأ تشد بكل قواها في اتجاهها، فتخفق التجربة، لأن كل شيء يبقى مكانه. ويبدأ تبادل الاتهامات، فالاقتتال، وتأخذ كل منهما بفك الاخرى تعضه، الى ان تهويا منهوكتين وقد فقدت احداهما قرناً او قائمة.

وبعد هذه المعركة تتصالحان، وتعودان ثانية الى جر قائمة الجندب

بالطريقة ذاتها، وتتوصلان الى سوء المصير ذاته. اخيراً تقرران ان قائمة الجندب المجففة ليست سوى نوع رديء من المكتسبات. فتفترقان على امل العثور على ما قد يكون اكثر نفعاً واعم فائدة.

الكلب الغريب العجيب – في القطار من بارودا الى بومباي في الهند، كنت جاراً لرجل نبيل يصطحب كلباً رائع المنظر، ذا صوف اسود ناعم صقيل، وقد وسمت اطرافه بزركشة لافتة. كان، على رغم طوله، قليل الارتفاع عن الارض بسبب قصر قوائمه وتقوسها نحو الداخل.

ولولا رأسه وذنبه وبعض الحركة في جسمه، لظننته مقعداً طويلا واطئاً. وهذه المسافة التي تفصل بين مقدمه ومؤخره جعلتني افكر في ان بنيته واهنة، وانه عندما يكبر لا بد من ان يضعف وتخور قواه. وتمنيت لو ان قوائمه اكثر من اربع، اذاً لأمكن استخدامه على نحو افضل واثمر.

دعتني لياقتي الى عدم الاهتمام بهذا الكلب، لاعتقادي ان وضع صاحبه كوضع شخص يصطحب طفلا غير طبيعي. ولشدّ ما كانت دهشتي عندما لاحظت الرجل النبيل فخوراً بكلبه ومفاخراً.

فقد اخبرني ان هذا الكلب فاز بجوائز في اكثر من عرض للكلاب اقيم في الهند وانكلترا. واضاف ان الناس كانت تصطف لمشاهدة كلبه عندما كانا يسيران في شوارع لندن...

لزمت الصمت كي لا امس شعوره، اذ كان في استطاعتي ان اوضح له ان من الطبيعي وقوف الناس مندهشين، في اي شارع من شوارع العالم، لرؤية كلب ضخم طويل واطىء، شرط الاّ يفرض عليهم اي رسم في مقابل هذه المشاهدة.

وقلت في نفسي، لو كانت لي أنا بنية هذا الكلب، لكنت فزت بجوائز اكثر.

ولم يكتف رفيقي النبيل بترديد اسماء المعارض حيث فاز كلبه بجوائز، بل اضاف انه، اي الكلب، غنم صيداً وافراً في الهند وافريقيا، وهذا يعني ان كلبه يصطاد الفيلة. واني اقسم، ان هذا الكلب لا يصلح لصيد الفيلة نظراً الى قلة نشاطه وفتور همته وضعف شخصيته وانتفاء العنف عن قسمات وجهه. واتصوره في غابة للفيلة لا يجروء على المطاردة ولا حتى على الهرب اذا شاهد فيلا يتجه ناحيته، بل، جلّ ما يستطيعه هو الركوع على ركبه الاربع، والاسترسال في... الصلاة!

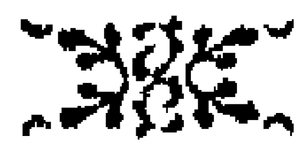


الجمل المرهف الاحساس - حدث ذلك عند منبع نهر الاردن في سوريا، وقد عهد الى جمل في المحافظة على معطفي بينما كان الاهتمام منصباً على ضرب اوتاد الخيام. فراح الجمل يتفحص حمله باهتمام زائد كمن يفكر في من يصنع له معطفاً مثله. وبعدما انتهى من تأمله بدأ يفكر فيه كمادة للاكل. وهكذا، وضع خفه عليه وانتزع بأسنانه احد كميه وبدأ يمضغه ويبتلعه تدريجاً، وعيناه تنفتحان وتنغلقان بتناغم وكأنه في انجذاب روحي، او كأنه لم يذق في حياته شيئاً بلذة هذا المعطف.

بعد ذلك لمظ ومسح مشفريه مرة او مرتين وتناول الكم الثاني، ثم اتبعه بالياقة المخملية. وبدا مطمئناً مرتاحاً فيما خيل الي ان الياقة كانت اطيب شيء في المعطف. ثم جاء دور الاذيال مع بعض كبسولات القدح وحبوب السعال وبعض معجون التين.

بعد ذلك سقطت من المعطف المراسلات التي اعددتها لصحيفتي. فاغتنم الجمل الفرصة وراح يلتهمها - تحارير مكتوبة بخط اليد لترسل الى الصحف في بلادي. غير ان الجمل فاته انه يسلك طريقاً وعراً حين بدأ يصل الى الحقيقة المرة. فهنا نكتة هزته هزاً وخلخلت اسنانه، وهناك بيانات كادت ان تفقده رباطة جأشه وشجاعته، الى بيانات يعجز، حتى الجمل، عن ابتلاعها من دون التعرض للعقوبات... كل هذه، خصوصاً الاخيرة منها، جعلته يتقيأ ويلهث وعيناه جاحظتان وقائمتاه الاماميتان منفرجتان، الى آخر ما هنالك. وما ان مضت دقيقة او اقل، حتى سقط بلا حراك ولقي حتفه بعد حشرجة لا يحسد عليها.

اقتربت منه وسحبت المخطوطات من بين شدقيه، وكم كانت دهشتي عظيمة عندما تبين لي ان هذا المخلوق الحساس أماته اختناقاً بيان من الطف البيانات واقعية واكثرها اعتدالا، مما سبق وقدمته في حياتي الى شعب اولاني ثقته.



من الممكن دائماً استئجار الذئب كراع في مقابل ثمن بخس.

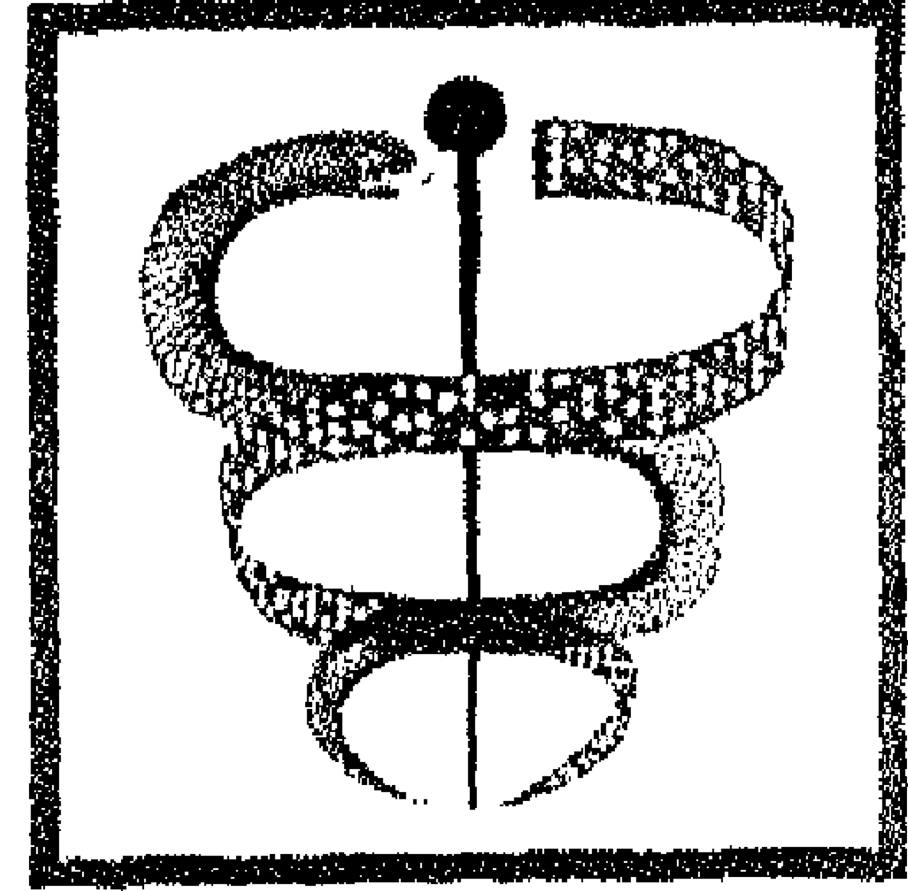
مثل روسي

من كاتب الى كلبه

اهدى المؤلف جفري كونفيتس كتابه "الحارس" الى "روفوس الذي أعد" الفصل السابع والعشرين للنشر". وروفوس هذا هو كلب المؤلف، ووزنه نحو ٨٢ كيلوغراماً. ويفسر كونفيتس الامر كما يأتي: "هذا الفصل كان يقلقني كثيراً. وتركته احد الايام على الطاولة. ولدى عودتي الى المنزل وجدت ان" روفوس علك اوراقه جميعاً. ولم يكن لدي" نسخة من الفصل، فاضطررت الى اعادة كتابته. وجاءت الصيغة الجديدة أفضل من السابقة. لذلك قررت إهداء الكتاب الى الكلب".

ر.م.

أصداء من عالم الطب



الجنس خلال الحمل

لا تزال مسألة الجنس خلال الحمل، منذ وقت طويل، تشغل الطب. وقد نصح أطباء التوليد غالباً بتجنب الجماع قبل أربعة أسابيع أو ستة من الولادة. والآن يأتي تقرير حول الموضوع، من شأنه ان يقلق الزوجين المعنيين.

فقد تولى عالم الأمراض ريتشارد ناي من جامعة بنسلفانيا تحليل نحو ٢٧ ألف حالة حمل، ووجد أن وفيات المولودين الجدد التي تعقب التهابات النخط، وهو السائل الذي يملأ السلى ويحيط بالجنين في الرحم، هي أكثر شيوعاً بالنسبة الى الأزواج الذين تجامعوا خلال الشهر الأخير من الحمل. ويذهب هذا التقرير المنشور في "مجلة نيو انغلاند للطب" (٢٩ نوفمبر /تشرين الثاني ١٩٧٩) الى أن هناك مشكلات اخرى، بينها عسر التنفس واليرقان، منتشرة بين مواليد النساء اللواتي مارسن الجماع في شهر الحمل الأخير بزيادة ضعفين عما هي بين مواليد النساء اللواتي انقطعن عنه.

ويتفق ناي وأطباء التوليد على أن التدبير الصحيح ليس حظر الجنس أو الحد منه كثيراً طوال فترة الحمل. ويشيرون الى أن دراسة الحالات التي أجروها تمت بين ١٩٥٩و١٩٦٦. وربما كانت الوسائل العصرية المتطورة للعناية بالحوامل والمواليد الجدد أزالت بعض الخطر الناجم عن ممارسة الجنس خلال الحمل. وفي مقدمة كتبها للمقال المذكور، يقول الدكتور آرثر هيربست، رئيس دائرة التوليد والطب النسائي في جامعة شيكاغو، انه يجدر بالنساء اللواتي اختبرن الاجهاض، او اولئك اللواتي بدأ عنق الرحم لديهن يتمدد، ان يمتنعن عن الجماع في الثلث الأخير من الحمل.

مجلة "تايم"

قياس السعادة

أظهرت دراسة طويلة الأمد حول التكيف النفسي والجسدي، نشرت نتائجها أخيراً في "مجلة نيو انغلاند للطب"، أن الرجال السعداء في الوظيفة والزواج والتسلية يتمتعون بحياة أطول وأصح من حياة الرجال التعساء في تلك الميادين.

وقد تولى الدكتور جورج فيلانت من جامعة هارفرد وزملاؤه قياس الصحة النفسية والجسدية لدى ١٨٨ رجلا، من العام ١٩٤٢ حتى اليوم، طالبين منهم الاجابة عن اسئلة تطرح مرة أو اثنتين سنوياً، مع مقابلات مطولة مرة كل سنتين. وتولى تقويم النتائج أطباء لا علم لهم بحال الأشخاص النفسية والجسدية السابقة. وبين الرجال الـ٥٩ الذين صنفوا "أصحاء نفسياً" عام ١٩٦٧، كان هناك ٩٧ في المئة أدرجت أسماؤهم في خانة "الصحة الممتازة" عام ١٩٧٥. أما التعساء والقلقون والمضطربون فكانوا عرضة لمشكلات صحية حادة.

يونايتد برس

اطفائيو الجنس الآخر

دخلت المرأة عالم اطفاء الحرائق محاولة اثبات جدارتها

راح متطوعون يضعون اقنعة الاوكسيجين ويكافحون النار المضطرمة في مطعم قرب مدينة دايل في ولاية فرجينيا الامريكية. وفجأة دوى صوت جرس ينذر بانخفاض خطر في خزان الهواء، فاندفع اطفائيٌ الى الخارج وتعاون مع احد المتفرجين على ازاحة الحزمة المغطاة بمادة رقيقة جداً. ساعتئذ رفعت شيرلي بيرنز خوذتها وشكرت الرجل بينما انسدل شعرها الاشقر الغزير فوق معطفها الواقي. فصاح الرجل متعجباً: "يا الهي! امرأة!"

ليست شيرلي بيرنز الاطفائية الوحيدة. فالعديد من السيدات في الولايات المتحدة، فور سماعهن صوت صفارات الانذار بالحريق، يندفعن تاركات كل شيء: البضائع التي ابتعنها، ورق اللعب في نوادي البريدج، مقاعد المزينين في دور التجميل، وسواها. ولم يعد عمل السيدات مقصوراً على الادوار الثانوية المساندة كجمع الاموال وتقديم القهوة، فقد ملأت سيدات متزوجات وامهات وجدات فراغاً ملموساً في سلك الاطفاء، وضاعفن درجة حماية الحياة والممتلكات، فنلن اعجاب زملائهن الرجال، وربما حسدهم كذلك.

وتعتمد المتطوعين غالبيةُ مصالح الاطفاء في امريكا، وعددها ٢٨٠٠٠، لان المدن الصغيرة، وخصوصاً في الضواحي، تعجز عن دفع رواتب كاملة لكل الاطفائيين. وظلت هذه المصالح حكراً على الرجال حتى وقت قريب.

وببراعة فائقة، تروي تيريزا كراوس من مدينة سنتر سيتي في ولاية نيوجرسي الامريكية، قصة مشاهدتها ذات صباح في العام ١٩٧٣ بيتاً يحترق من أساسه. وتقول: "لم يستجب احد لطلب النجدة لان الاطفائيين المتطوعين كانوا بعيداً في اعمالهم".

وأثر الحادث في نفس كراوس

فتسجلت مع صديقتها بيتي لو ددلي في دورة تدريب محلية لفترة ستة اشهر وتعلمتا مكافحة انواع الحرائق المختلفة، وادارة المطافيء والخراطيم ومضخات الصهاريج وتشغيلها. وتقول السيدة ددلي معلقة: "لا علاقة لعملنا بتحرر المرأة. ان الواجب يدعونا الى ان نكون هنا".

وقبلت السيدات في المدن الامريكية الاخرى التحدي. واعربت السيدة كاترين غياجر، من مدينة باركر في ولاية كولورادو الامريكية (٥٦ عاما) عن تأثرها بالخسارة الجسيمة الناتجة من اشتعال الاغصان اليابسة المقطوعة خلال فصل الصيف. وكانت معظم هذه الحرائق تنشب في اثناء النهار، حين يكون الرجال في اعمالهم في دنفير على بعد ٥٠ كيلومتراً.

وعرضت السيدة غايجر ان تكافح النسوة الحرائق خلال النهار. وبناء على اقتراحها، عقدت ٣٤ سيدة اجتماعاً تنظيميا في العام ١٩٧٣، وانضمت ٢٢ منهن الى مصلحة الاطفاء. فتدنت النسبة المئوية للخراب الناتج من هذه الحرائق.

هل يقدرن؟ — ويتطلب عمل الاطفاء قوة بدنية وثقة بالنفس واقداما. فهل يمكن سيدة ان تخرج شخصاً مغمى عليه، يبلغ وزنه ١٠٠ كيلوغرام، من بناية مشتعلة؟ لا، على الارجح. لكنها تقدر ان تسحبه فوق بطانية. انه اسلوب مقبول ويتبعه الرجال. لذا تبذل ثلاث نسوة الجهد الذي يبذله رجلان من اجل تحريك خرطوم الضغط العالي.

وتقول سيدات عديدات ان قوتهن تتضاعف في وقت الشدائد. ففي مدينة كينغوود في ولاية تكساس الامريكية، تعاونت السيدة بيتي آن فيريس (٤٢ عاماً) مع سيدة اخرى — وكلتاهما من مصلحة المتطوعين لمكافحة الحرائق — على نقل سرير مشتعل الى ممر مجاور. وبعد وقت قصير، وجدتا انهما غير قادرتين على زحزحة السرير من مكانه.

ويسهل بعض التعديلات التقنية عمل الاطفاء على الرجال والنساء.

ويمكن لاصغر النساء حجماً ان تجر خرطوماً يبلغ طوله ٦٠ متراً وقطره ٣،٨ سنتيمترات، بواسطة اسلوب جديد لتثبيت الخرطوم في الصهريج.

ولا ننس بعض المشاكل التي تعترض عمل النساء في هذا الحقل. ففي مدينة كينغوود عجزت "الاطفائيات" القصيرات عن قيادة الشاحنات لأن اقدامهن قصّرت عن بلوغ الدواسات. وتعذر على بعضهن الركض بأحذية الاطفائيين، والاهم من كل ذلك، ان الخوذات لم تراع شعورهن المصففة المرفوعة...

وتستعيض النساء من ضعفهن بتصميمهن وثباتهن في العمل. وكانت لوري هوفمان بين اول الحاضرين الى مكان حريق هائل احدثه انفجار ليلي في مصنع للزجاج البركاني في ضواحي مدينة بيغ باين في ولاية كاليفورنيا الامريكية. وأمر قائد المجموعة جون مرزانو بتسليط الخراطيم على النار من ثلاثة اتجاهات. واطلق كل اطفائي يقف في الطليعة غازاً غير قابل للاحتراق ليشكل سحابة تقيهم الحر وتسمح بالاقتراب من النار. وما ان تقدموا

حتى لفحتهم الحرارة. فاتكأ مرزانو على خرطومه وكشر عن اسنانه، وتطلع الى اليمين فرأى لوري هوفمان تقود طليعة الفرقة المهاجمة.

وصب الاطفائيون الماء على النار مدة ثلاث ساعات واضطروا الى السهر حتى الصباح حين اخمدت النار. وصرح مرزانو بعد ذلك: "لا يسعني ان اثني على لوري بما فيه الكفاية. وكم اود ان اراها تعمل الى جانب كل اطفائي في مكافحة النيران".

ويرى السيد لو ويتزمان، وهو رئيس مؤسسة عقود لمكافحة الحرائق في مدينة سكوتسدايل في ولاية اريزونا الامريكية، ان وظائف مكافحة الحرائق ستوزع بالتساوي بين النساء والرجال في غضون السنين العشر المقبلة. "ان النساء يكملن الرجال. فهن يسعين الى انقاذ المنزل لا الى مجرد اخماد الحريق". علماً بأن ١٥ امرأة من اصل ٦٠٠ متطوع وأجير، يعملن الآن في امرة ويتزمان.

ويحول الاطفال دون اشتراك امهاتهم في اعمال الاطفاء. ولكن المشكلة حلت في ترينيداد وبعض المدن الاخرى بواسطة مكاتب تأجير اشخاص يعنون بالاطفال في اثناء غياب والديهم. فحين تدوي صفارات انذار الحريق، تتجه الفتيات المراهقات والسيدات المتقدمات في السن الى منازل حددت لهن سلفاً، فيما تهرع الامهات الى مكان الحريق.

ويألف المرء الصعوبات الجسدية والنفسية في عمل الاطفاء، بعد الخبرة والممارسة. كما ان للتدريب دوراً فعالا. ويقدم فرع التدريب على الوقاية من الحريق في جامعة تكساس للزراعة والميكانيك، الذي بدأ العمل منذ ٥٠ سنة، بعض افضل التدريبات. ففي الصباح يتلقى الطالب امراً بالزحف داخل بناية سوّدها الدخان المتصاعد منها. ثم يرى نفسه بعد الظهر يخوض في معمعان النار المائجة التي سببها اشتعال زيت الوقود. وفي ضوء القمر يكافح حريقاً هائلا.

والتحقت السيدة كارين اكر، (٣٧ عاما) من مدينة كينغوود في ولاية تكساس، وهي أم لفتاتين مراهقتين، بهذه المدرسة ثلاث مرات. واحتلت الطليعة في تمارين الدورة الاخيرة التي اشتركت فيها. وكافحت حريقاً تلو آخر وهي ترتدي المعطف الواقي. وبعد التمرين الاخير، ارتمت فجأة على الارض من شدة العياء. وتعلق على ذلك: "اظن اني اجهدت نفسي كثيراً لاني حملت التمرينات على محمل الجد".

وتعمل ٢٥ امرأة من بين ٨٠ اطفائياً في اشراف السيد ستيف دالاس، رئيس مصلحة مكافحة الحرائق في مدينة دايل في ولاية كولورادو الامريكية. ويقول السيد دالاس: "لا اعرف ماذا افعل اذا تخلت السيدات الاطفائيات عن مساعدتنا لان عملهن قيم للغاية. وقد نسخر احياناً منهن، لكننا نراهن يسعفن المصابين ويهاجمن النيران ويقدن الصهاريج كأي رجل اطفاء. ان هذا يبدو خارقاً بالنسبة الى الاجانب، لكن الخوارق تتحول لدى سيداتنا اموراً روتينية بسيطة".

■ جاي ستولير


(c) Philippe Halsman

"كان عالمي دافئاً ومريحاً وصامتاً ... كان نعيماً"

س.د.

دالي
الفنّان البَهلوان

ان سلفادور دالي، أمير المهرجين في ميدان الرسم الحديث، ليس في الحقيقة مهرجاً على الاطلاق. فهو يقضي سبعة اشهر من كل سنة لا يتوقف فيها عن الرسم. أما بقية السنة فيقضيها في مهرجان من الجنون المهتاج.

تراه في روما يخرج من جوف بيضة هائلة معلناً: "هأنذا أولد من جديد!"

وفي باريس يصل الى جامعة السوربون في سيارة رولزرويس مطلية بالأسود والأصفر وملأى بثمار القنبيط، لينبىء جمهوره بان كل فن يبدأ في أساسه بهذا النوع المتواضع من الخضر. ويأتي صحافي ليجري مقابلة معه، فيقترح عليه دالي: "هيا بنا نتسلق تلك الشجرة حيث يمكننا أن نحظى بالراحة".

«Crucifixion», Metropolitan Museum of Art, gift of the Chester Dale Collection, 1955, NYC.

وينظر الصحافي ليري كرسيين كبيرين معلقين بين اغصان الشجرة.

هل دالي مجنون حقاً، أم أن الأمر كله تمثيل سوريالي (★) للتضليل والتسلية؟ ان تقرير ذلك أمر عسير، على رغم كثرة الذين حاولوه. وقد كتب الناقد الفني وينثروب سارجنت في ذلك: "ليس هناك شيء غير طبيعي في دالي. إنه، ببساطة، انسان ضد الطبيعة".

لكن فهم دالي الفنان امر أسهل. فهو رجل يحظى بالتقدير من متاحف العالم الكبرى. وعندما حصل متحف المتروبوليتان في نيويورك على لوحة دالي "الصلب"، عرضها في قاعة المدخل الكبرى. أما المدير الراحل لمتحف البرادو في مدريد فرنسيسكو كانتون، فقرّظ دالي بقوله: "إنه فنان تقليدي يثير الاعجاب، كما أنه في الوقت نفسه مجدد عظيم".

بدأت "ظاهرة" دالي في ١١ مايو (أيار) ١٩٠٤، عندما ولد في بلدة فيغيراس الاسبانية قرب الحدود الفرنسية. وجرياً على طريقته المتميزة، يصر سلفادور فيليبي خاثينتو دالي على أنه ولد قبل موعده بشهرين لأن حياته الفكرية - أي عبقريته - بدأت وهو جنين في شهره السابع. ولا يزال دالي حتى اليوم مهووساً بحياته قبل ولادته. وهو يرسم بيضات، ويبني بيضات، بل إن غرفة نومه بيضوية الشكل.

في سنواته الدراسية الاولى كان دالي مخفقاً في معظم الامور. لكنه تعلم فن العرض وأتقنه. وذات يوم دفعته حماسته المفرطة الى التدحرج على سلم طويلة ليستقر في أسفلها بعنف وقد أصيب برضوض شديدة. لكنه سعد كثيراً بما حظي به من ثناء وتقريظ. ومنذ تلك اللحظة، أصبح كلما اقترب من درج يتجمع رفاقه التلاميذ متطلعين. وكان ملجأه - بين عروضه العنيفة تلك - هو بيته، في غرفة الغسل حيث يقضي الساعات جالساً في حوض ضخم. في هذه الغرفة بدأ دالي الرسم. وكانت لوحة ألوانه لوحاً للغسيل، أما "لوحات الرسم" فكانت أغطية صناديق القبعات القديمة. ومع ان سنه لم تكن تتجاوز السابعة، إلا أن رسومه كشفت عن مقدار كبير من الأصالة والابتكار.

وفي ما بعد، عندما التحق دالي بمدرسة الفن في مدريد، احتفظ بشعره طويلا تحت قبعة سوداء كبيرة ("كنت أول هيبي في التاريخ"). وكان يحمل عصا ذات رأس فضي. وأراد يوماً ان يظهر اعتراضه على تعيين أحد الأساتذة، فانسحب بطريقة مسرحية من اجتماع لجمعية عمومية، مثيراً هياجاً طالبيا أسفر عن استدعاء الشرطة للسيطرة على الموقف. وأوقف دالي، وكان في الحادية والعشرين، واقتيد الى السجن. وبعد ذلك بسنة طرد من مدرسة الفن نهائياً.

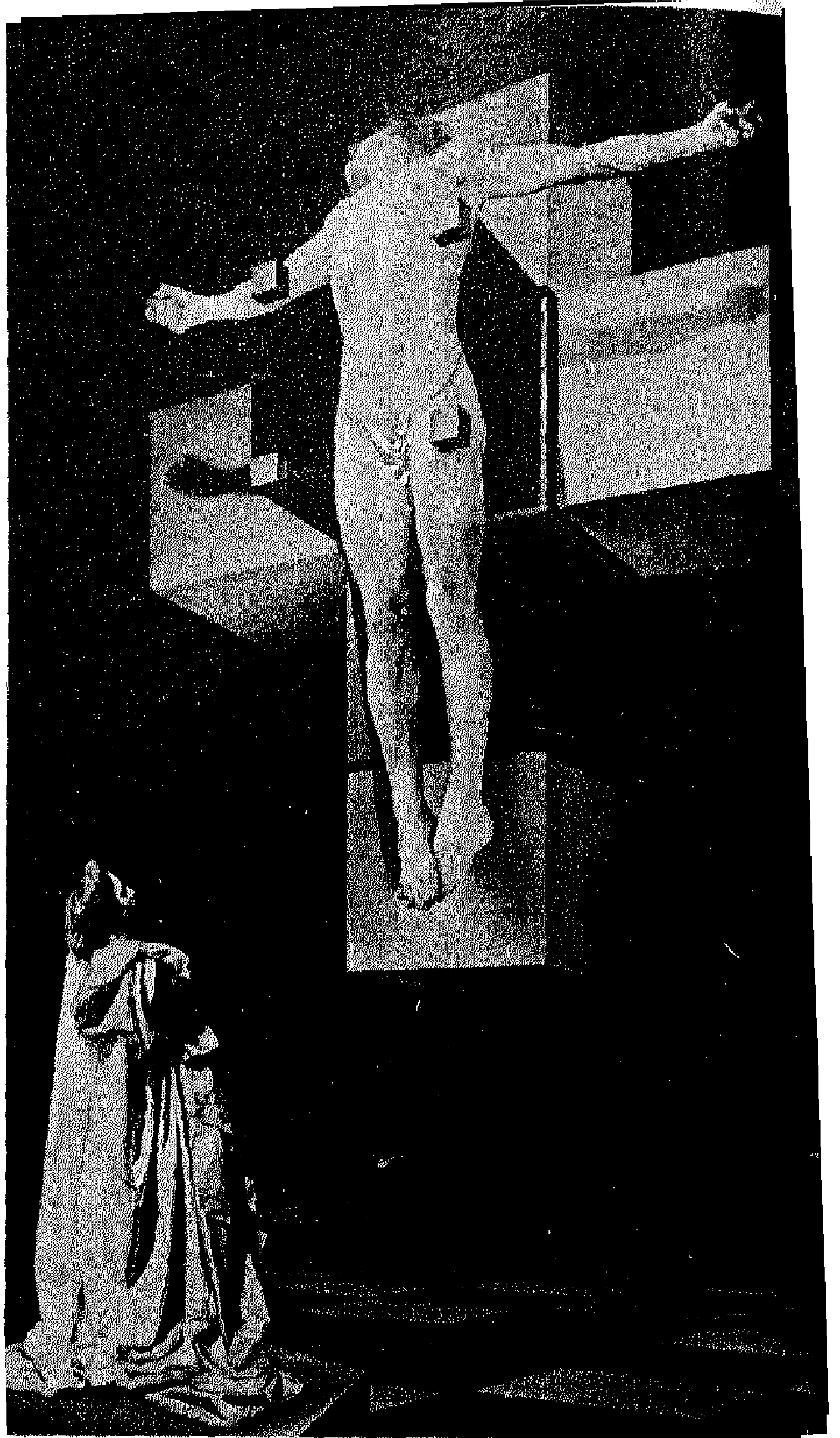
الكوابيس الملونة - في العشرينات المجنونة من هذا القرن كان دالي ينتج بين لوحتين وثلاث لوحات كل أسبوع: تكعيبية، وانطباعية، وتنقيطية. وفي العام ١٩٢٥ أقام المعرض الاول لأعماله في برشلونة،

(★) السوريالية مذهب فرنسي حديث في الفن والادب يهدف الى التعبير عن نشاطات العقل الباطن بصور يعوزها النظام والترابط.

كان السورياليون يؤمنون بضرورة التخلص من القواعد التقليدية. واجتذبهم عالم اللاوعي غير العقلاني الذي كان يستكشفه آنذاك سغموند فرويد، فراحوا يتجولون في عالم الأحلام بشباك خيالهم كي يصطادوا فراشاته البديعة والغريبة.

وانتهوا الى التمرد تماماً على المنطق التقليدي، فأسبغوا على القمامة صفة الجمال وعلى الفوضى صفة أسمى أشكال التنظيم (وكان هؤلاء السورياليون وحلفاؤهم رواد ادب اللامعقول).

وعلى هذا النحو أصبح هذيان السوريالية ميدانا لدالي يصول فيه ويجول، تماماً مثلما أينعت غرائبه السابقة المسلية بسرعة حتى اصبحت نزوعاً راسخاً الى الحياة الاستعراضية الصارخة.



"الصلب"، ١٩٥٤.

فقوبل بحماسة كبيرة من النقاد. واقترح عليه مواطنه بابلو بيكاسو اقامة معرض في باريس. ووصل دالي الى العاصمة الفرنسية عام ١٩٢٧، حيث أبهجه أن يكتشف أن أعماله تتفق مع فلسفة فنية جديدة هي السوريالية.

وكان دالي حتى ذلك الحين رساماً لامعاً، لكنه غير موحد الأسلوب، تنتقل فرشاته اللبقة بمرونة لا جهد فيها من أسلوب الى آخر. أما الآن فقد تبلورت رؤياه في مشاهد أحلام تنطبع في الخيال فلا تغادره صورها

ذات الخطوط الحادة الواضحة والانطباعات الآسرة التي يفيض منها شعر عجيب. واكتسبت رسومه تأثيراً طاغياً أشبه بما يراه الذاهل في الغيبوبة: يغسلها ضوء نجمي بارد فتبدو طيعة لمنطق سري يفيض من كون آخر مختلف.

وحين عاد دالي الى اسبانيا، التقى هيلين دياكانوف ايلوار التي أطلق عليها اسم "غالا". وهي روسية المولد تكبره بعشر سنين وذات جاذبية لافتة تعوض افتقارها الى الجمال. وربط الاثنان حياتيهما فوراً. فكان لاتحاد سلفادور وغالا طعم اتحاد دانتي وبياتريس أو بترارك ولورا... حياة أشبه بالفردوس الأرضي.

لم يقف تأثير غالا عند القضاء على نوبات دالي وقلقه وأعراضه الهستيرية، بل انها أسبغت النظام على حياته أيضاً. وهي أدركت للوهلة الاولى أنه كاتب بمقدار ما هو رسام، فشجعته على إنتاج كتابه الأول. ومنذ ذلك الحين، انجز دالي عشرين كتاباً تصدّر أحدها، وهو "مذكرات عبقري"، قائمة أكثر الكتب رواجاً فترة طويلة.

وتحمل بعض لوحات دالي توقيع "غالا – دالي". كما ان غالا تظهر في كثير من هذه اللوحات وسواها: عند أسفل الصليب في لوحة "الصلب"، وعلى الراية التي يحملها كولمبس عالياً في لوحة "اكتشاف كريستوفر كولمبس امريكا". ودالي على وعي كامل بدينه لهذه "النحلة التي تحمل الي عسل الالهام". وفي كل مرة تدخل محترفه، كان ينهض من مكانه بهيئة رسمية ويصفق لها. وفضلا عن ذلك كانت غالا العقل الحاد اليقظ الذي يتولى أمر مفاوضات العقود واستثمار الأموال التي يملكها دالي.

اني اعود – كانت اوائل الثلاثينات سنوات قحط وجوع. وتحول دالي في يأسه الى مخترع. ومضت غالا تذرع شوارع باريس محاولة ان تبيع تصاميمه الغريبة – من كراس وأحواض استحمام وأظافر تعكس النور كالمرآة وأحذية نسائية ذات رفاصات عالية من الصلب. لكن ذلك كله لم يسفر عن اي نتيجة.

وكان اثنان من أصدقائهما السورياليين لقيا نجاحاً في أمريكا، حيث بدأ دالي يتمتع ببوادر شهرة. وهكذا ابحر دالي وغالا الى الولايات المتحدة على متن السفينة "تشامبلين"، في الدرجة الثالثة، بتذاكر سفر دفع بيكاسو ثمنها – هكذا قال دالي. وأثبت دالي خلال الرحلة أنه بحار حريص، إذ اصر على ارتداء حزام النجاة ليل نهار طوال الرحلة الناعمة التي لم تصادف موجة عالية واحدة.

وعندما بلغت السفينة نيويورك جاء مخبرو الصحف يبحثون عنه. وكان بين اللوحات التي عرضها عليهم لوحة تمثل غالا عارية وعلى كتفها شرائح من لحم الضأن. فجحظت عيون الصحافيين عجباً وتساءلوا: "ولماذا شرائح الضأن؟"

فأجاب الرجل القصير ذو الشارب الطويل الرفيع: "المسألة غاية في البساطة. إني أعشق زوجتي، وأعشق شرائح الضأن. وها هما معاً... منتهى الانسجام".

واذا بافعال دالي التي اعتمدها

طوال حياته كوسيلة للعلاج والتسلية تصبح، فجأة، حديث المدينة. وذات صباح ظهرت في برودواي (شارع الفن في نيويورك) سيارة تاكسي جهزها دالي بالأنابيب كي تنتج مطراً اصطناعياً، وقد جلس في مقعدها الخلفي "كولمبس"، أو نسخة طبق الاصل عنه، وهو يحمل لوحة كتب عليها: "اني أعود". وجذبت هذه الدعاية الناس الى حيث يعرض دالي لوحاته، وراحوا منها يشترون.

وقد أدى التهريج بطبيعة الحال الى لفت الانظار الى عمل دالي وما يتسم به فنه من امتياز محلق. ووضعه النقاد في مرتبة الأساتذة الفلمنكيين (البلجيكيين) العظام امثال جان فان آيك. ففي تلك الفترة الباكرة كان الرسامون يخلقون درجات اللون بأن يضعوا أولا طبقة رقيقة من اللون الزيتي ويتركوها لتجف، ثم يدهنوا فوقها طبقة اخرى رقيقة تظهر الأولى جزئياً من خلالها، ويكرروا هذه العملية حتى يتم التوصل الى درجة اللون المنشودة. ولا يزال دالي يتبع هذا الأسلوب الفني.

وبمقدار ما يتبع دالي أسلوباً تقليدياً في رسومه، فهو يختار للوحاته موضوعات بعيدة عن التصور المألوف، توغل في اللاواقعية الى درجة تخرجها عن نطاق القوانين الطبيعية للزمان والمكان والجاذبية. فنرى فيها ساعة جيب تتدلى من مكتب كأنها قرص من الجبن، لكنها مع ذلك تبدو حقيقية تماماً لتنبئك بالوقت الدقيق. ونرى المسيح (عيسى) في لوحة "الصلب" وقد تعلق جسده بالهواء منفصلا عن الصليب، لكنه يبدو على رغم ذلك مثبتا اليه بالمسامير.

ترى ما معنى ذلك كله؟ يقول بعض النقاد ان دالي يحاول "أن يصوغ الأحلام في صورة ملموسة". وهذا تفسير لا يختلف كثيراً عن سواه في صدقه وانطباقه. ولا جدوى اطلاقاً من سؤال دالي نفسه، إلا اذا كنت على استعداد لأن تقبل منه رداً في شكل ساعة تشبه قرص الجبن.

على اي حال فان قصة دالي هي من اكثر القصص غرابة في عصرنا. فهو رجل اوشك على الموت جوعاً في أوائل الثلاثينات، وأصبح اليوم ثرياً يملك الملايين ويتمتع بشهرة يكاد لا يضارعه فيها رسام آخر. وفي معرضه الاول في باريس، لم يتجاوز ثمن افضل لوحاته الخمسمئة دولار. ومنذ عهد قريب بيعت احدى لوحاته في نيويورك بـ ٢٤٥ الف دولار. وكانت رسومه تبشر بما أصبح يعرف أخيراً بفن "الأوب" و"البوب" وحركات الادراك الحسي في الفن، وهي تزين اليوم جدران ٤١ من متاحف الفن العالمية، وتثري عدداً من أبرز المجموعات الخاصة. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٧٤، افتتحت الحكومة الاسبانية متحفاً مخصصاً بأكمله لأعمال دالي. وهناك متحف مماثل في مدينة كليفلاند الامريكية.

ويقول دالي: "ان هناك أياماً أشعر فيها بأني أوشك على الموت من فرط الرضا". ويجمع الخبراء على أنه اذا حدث ذلك فعلا فستبقى اعماله تعبيراً حياً عن عبقرية من أعظم العبقريات المبدعة في عصرنا.

جورج كنت

كيفما تسافر...



أوميغا: تصميم رائع

أوميغا من سامسونايت هي الجمع الكامل بين التكنولوجيا الحديثة وروعة التصميم.

صنع إطارها من مادة المغنيزيوم الصلبة القوية والخفيفة مما جعلها تواكب عصر الفضاء.

أوميغا تؤمّن الحماية الكاملة لمحتوياتها.

كل جزء من أجزاء أوميغا مصنوع من أفضل المواد نوعية، هيكلها من مادة الـ"ABSOLITE" يجعل منها الحقيبة التي لا تزاحم من حيث القوة والمتانة.

أضف الى ذلك جهاز الزر الضاغط والقفل المرقّم الذي يجعل من أوميغا صفقة كاملة ورابحة.

أوميغا حقيبة اليد لكل رجل عصري.

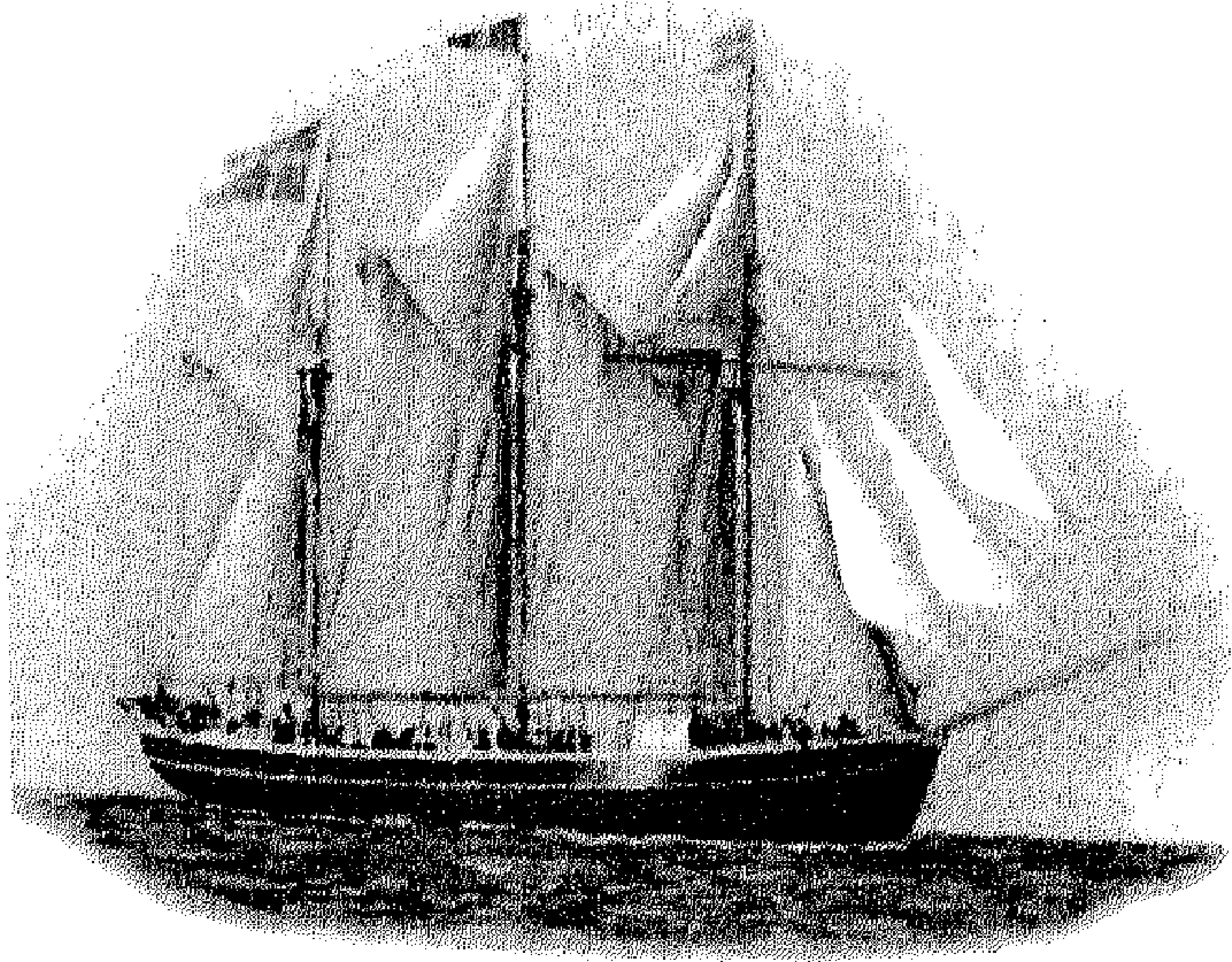
إنها أصليّة ~ إنها سامسونايت



Samsonite® سامسونايت®

حقائب سامسونايت الأصليّة - مصنوعة في الولايات المتحدة

الاصلاحية العائمة



على متن
سفينة فريدة
يعاون هذا البحري
الاحداث الجانحين
على العودة الى المجتمع

وجد كارستن سورنسن نفسه في مأزق، وهو مراهق دانمركي جانح قبض عليه خمس مرات بتهمة سرقة السيارات. وها هو الآن، وقد بلغ السابعة عشرة، يصبح مدمن مخدرات. وحين التمس ان يبحر على متن "الفالتون" التي يقودها القبطان الشهير موغنز فرون نيلسن، كان بلا امل او مستقبل.

وأبحر كارستن على ظهر الفالتون، وهي اصلاحية عائمة تستقبل الاحداث الجانحين. فعانى في مستهل رحلته التي دامت نحو سنة نوبات البرد والعرق، اذ انه توقف تماماً عن تعاطي المخدرات. لكنه سرعان ما تعلم، بمساعدة زملائه، ان يكون عضواً عاملا في طاقم السفينة: فيدير الصواري ويوازن الاشرعة ويصبح بحاراً. وكانت كلمات التشجيع تأتيه من القبطان باستمرار. والآن، بعد خمس سنوات يعيش كارستن حياة هادئة ومستقرة على البر.

بعد عشر سنين من اطلاق الفالتون في وجه موجة الاجرام التي اجتاحت الغرب، تمكن موغنز فرون نيلسن من تحقيق نتائج باهرة عجزت عن مضاهاتها المؤسسات الخيرية والسجون. فمن اصل ٤٦٤ شاباً وفتاة ابحروا مع موغنز (٧٠ في المئة منهم مؤهلون لدخول السجن) لم يعد الى الاجرام الا تسعة. ونسبة اخفاق موغنز هذه اقل من اربعة في المئة، في حين تتوقع المؤسسات الجزائية عودة اكثر من ١٦ في المئة من السجناء الذين تطلقهم.

الا ان موغنز لا يغفر لنفسه اي

Photos by Erling Mondelmann

اخفاق. وهو يقول: "اني لا استطيع ان انام جيداً كلما فكرت في هؤلاء التسعة. وطالما تساءلت عن سبب عجزي عن معالجتهم".

ونظرية موغنز في اعادة تأهيل الاحداث بسيطة. لقد افترض ان طاقم السفينة نموذج مصغر للمجتمع. فاذا استطاع الجانح ان يتكيف مع مسؤولية الحياة والعمل على متن السفينة، فربما امكنه ان يسلك السلوك نفسه حين يعود الى البر. وقد اثبتت التجربة صواب رأيه.

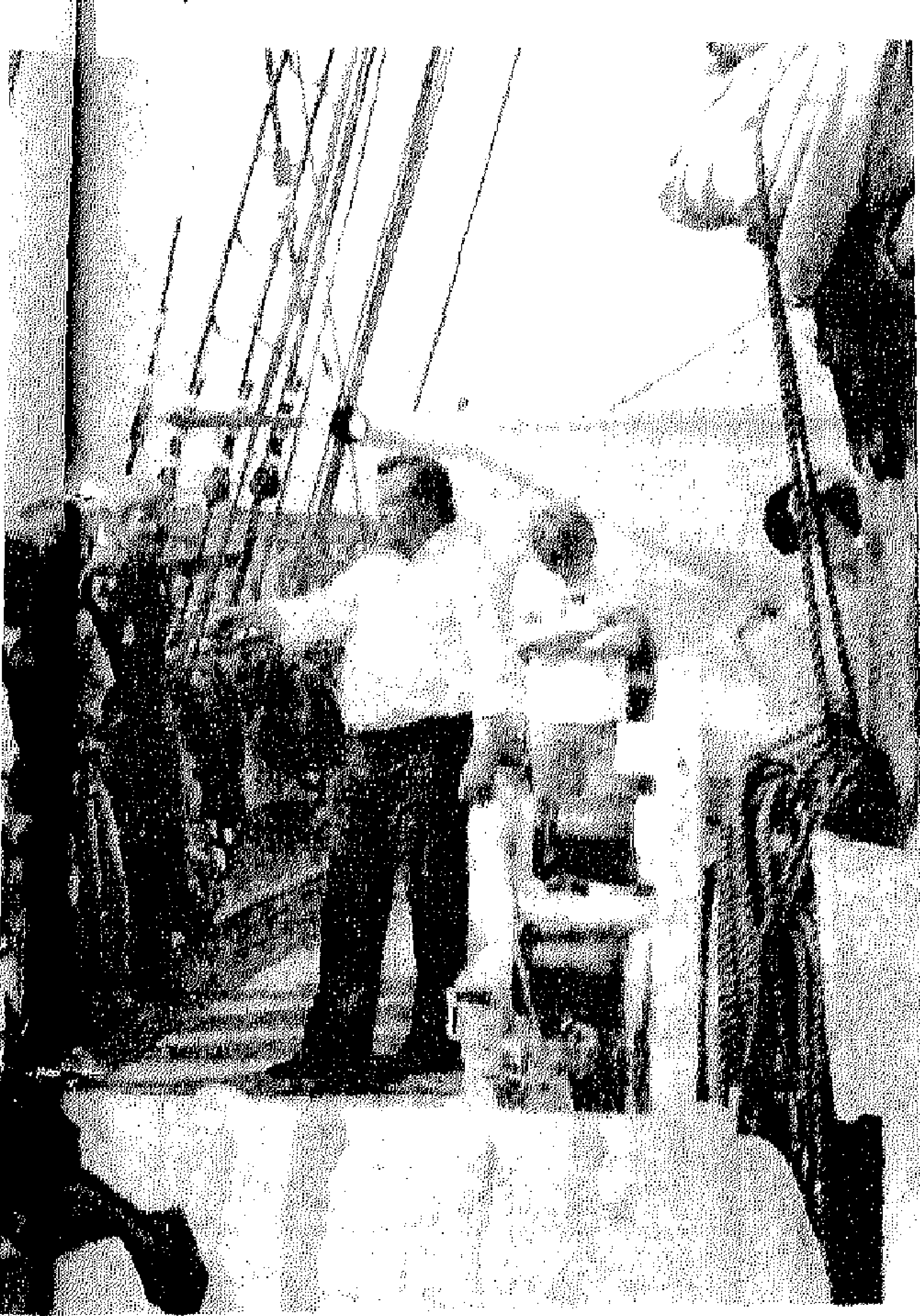
ماذا فعلت بولدي؟ – بدأت تجربة موغنز الفريدة عام ١٩٦٧، حين طلبت منه شركة لانتاج الافلام ان يرمم سفينة شراعية قديمة ذات ثلاثة صوار تدعى "الاوديسيوس"، لاستخدامها في تصوير احد الافلام. ونظراً الى قلة الاموال المخصصة لهذا المشروع فقد عمل بمفرده على اصلاح السفينة الراسية في مرفأ آلبورغ الدانمركي.

وبعد عودته الى السفينة ذات يوم، وجد أن احد زوارق النجاة قد سرق ولمح صبيين يقودان الزورق بصعوبة حول المرفأ. فاستقل موغنز زورقاً آخر وتعقبهما حتى قبض عليهما. وقال للصبين اللذين كانا يرتجفان: "اذا كنتما تودان ان تغرقا، فلا تستعملا زورقي. كما ان عليكما استئذاني لاستعارته اولا، وان ترتديا اثواب النجاة ثانياً، وان تتعلما التجذيف ثالثاً". ثم خطرت له فكرة اطلعهما عليها: "سأدربكما على الملاحة اذا عاونتماني على اصلاح "الاوديسيوس". فكل ساعة عمل اعطيكما في مقابلها ساعة من الدروس العملية".

ونجحت خطة موغنز، وسرعان ما بلغ عدد مساعديه ١٦ شاباً اقوياء البنية يعملون على تبديل الالواح الخشبية وتنظيف السفينة وطليها. وفي غضون ستة اشهر اضحت "الاوديسيوس" صالحة للابحار من جديد، كما غدت لائقة لتصوير مشهد سينمائي رائع.

وذات يوم زار والد احد التلاميذ – العمال في السفينة موغنز وسأله: "ماذا فعلت بولدي حتى تحسن سلوكه وتقدم تحصيله الدراسي؟"

وجاء معلم مدرسة مرة ليناقش في امر شاب آخر، مؤكداً انه لص. فرد موغنز ضاحكاً: "لقد تولى هذا الشاب



القبطان موغنز فرون

امانة صندوق السفينة، ولم نفقد كوروناً (★) واحدة". وقفل المعلم راجعاً وهو يهز رأسه.

وأخيراً اهدى تجار شاطىء آلبورغ الى موغنز ٢٠٠٠ كورون كي يشتري لنفسه وللشباب ما طاب لهم، واعلنوا: "هذه هي السنة الاولى التي لم يكسر زجاج نافذة واحدة في اي متجر".

ثم ابحر موغنز مع طاقمه الكامل الذي اتقن فن الملاحة. وقصد كوبنهاغن، عاصمة الدانمرك، ليسلم السفينة. وقبل عودة الشبان الـ١٦ الى آلبورغ، طلبوا من موغنز ان يعود خلال سنتين في سفينة أخرى.



انبعاث الفالتون — مرّ موغنز بفترة يائسة في حداثته، اذ كان مصاباً بالعمى القرائي (اضطراب مخي يتميز بالعجز عن القراءة). فهرب من المدرسة وهو يكاد لا يحسن كتابة اسمه. وتنقل بين عدد من الوظائف الوضيعة قبل ان يجد وظيفة خالية على متن احدى السفن الشراعية القليلة المستخدمة في نقل البضائع. وبعد ان امضى في البحر سنتين قاسيتين، التحق بمدرسة بحرية ونال شهادة قبطان.

وفيما كان موغنز يتسلق صواري سفينة التدريب، لاحظ لدهشته انه على رغم اخفاقه على البر فانه كان يثق بنفسه وهو في البحر. وفي اثناء خدمته العسكرية برتبة ملازم بحار، لاحظ انه كلما كان العمل المطلوب من رجاله نافعاً زاد انضباطهم.

ولكي يتمكن موغنز من العودة الى شبان آلبورغ، سعى الى الحصول على وظيفة عامل اجتماعي آملا بأن يقنع رؤساءه بمساعدته في انزال مركب الى البحر يكون بمثابة اصلاحية للاحداث. لكن موغنز لم يكن حائزاً درجة جامعية، فاضطر الى القبول بوظيفة حاجب. وعلى رغم ضآلة راتبه، فانه استطاع التجول عارضاً فكرته.

وفي نهاية المطاف اتيحت لموغنز اذنان صاغيتان، اذ ان كراملين بيدرسن، مدير متحف سفن الفايكينغ في روزكيلده، قرب كوبنهاغن، راقه ان يضم سفينة شراعية الى مجموعة المتحف. كما ابدى الصناعي الراحل

(★) الكورون عملة دانمركية تعادل ٠،١٨ دولار.

يسكير رغبته في اهداء هذه السفينة لى الشعب الدانمركي لمناسبة مرور ٥٠ سنة على تأسيس شركته. وتطابقت افكار الرجال الثلاثة.

في البداية حاول موغنز ان يستعيد "الاوديسيوس"، لكن ثمنها كان باهظاً. ثم علم برسو "الفالتون" في ميناء آلبورغ، وهي سفينة شراعية ذات ثلاثة صوار بنيت عام ١٩١٥. وقد جردت لاحقاً من اشرعتها وتحطمت صواريها وعمود مقدمها. ثم انها جهزت بمحرك بخاري فلم تعد سفينة شراعية.

وذات يوم، فيما كان موغنز يتفحص السفينة من الداخل، سمع ضجة على السطح، وصعد ليجد ثلاثة من الشبان الذين ساعدوه في اصلاح "الاوديسيوس" - وكانوا سمعوا بعودته الى المدينة - يجرفون الثلج عن ظهر المركب. ولما رأوه بادروه: "لا بد من انها السفينة التي وعدتنا بها. سوف نساعدك في ترميمها". وفي اقل من خمسة اشهر، ابحر الشبان بقيادة قبطانهم على متن السفينة المرممة قاصدين روزكيلده.

وشعر موغنز بأن الفالتون لم تصنع لتعرض في متحف. فهي في رأيه على موعد مع عالمنا المعاصر. وطلب من العمال الاجتماعيين المهتمين بمساعدة المراهقين الجانحين ان يحيلوا عليه القضايا المستعصية. وعلى رغم عدم اقتناع هؤلاء بفكرته،

الا انهم سلموه بعض الجانحين الصعبي المراس. وفي يوليو (تموز) ١٩٧٠، ابحر موغنز مع طاقمه الاول من الاحداث الجانحين.

عطف وحزم - استفاد موغنز من تجربته في البحرية. فكلما ازداد عمل الشبان، قلت المشاكل التي يفتعلونها. ولم يجد موغنز صعوبة في جعل الاحداث يعملون طالما ان الغاية من العمل واضحة امامهم. فسطح السفينة، مثلا، يجب ان يمسح كل يوم لان ذلك يساعد خشبها على التماسك. ثم ان موغنز لم يكن مستبداً متعسفاً، فكان الاحداث يعدون بانفسهم جداول العمل ويقترعون على الاتجاه الذي ستسلكه السفينة.

وعلى اثر نجاح الرحلات الاولى، باشر موغنز نقل طلاب المدارس على متن الفالتون في نزهات بحرية قصيرة خلال فصل الصيف. وساعد ذلك في تأمين المصاريف. لكن موغنز كان يهدف الى اكثر من ذلك، فأنه جعل بحارته، الذين كانوا ناقمين على المجتمع والذين يبلغ عددهم ١٢ عادة، يعلمون طلاب المدارس فن الملاحة. وحين ادرك الاحداث المنحرفون مسؤولياتهم بدأوا يعملون بجد، تماماً كطاقم آلبورغ الاصلي.

وأثارت حماية موغنز للاحداث الجانحين تخوف الشرطة. وذات مرة عثر احد رجال المباحث على شاب مطلوب من العدالة على متن الفالتون. لكن موغنز رفض ببساطة ان يسلم الشاب الى الشرطي. وتوصل الرجلان في النهاية الى حل وسط يسمح للشاب بالبقاء على ظهر المركب اذا اعترف بجرمه. ثم حذر الشرطي موغنز بقوله: "لكن اذا خيب الشاب آمالك، فسيصبح اسيري".

واعترف الشاب بجنحته من دون اكراه.

ثم ابحر مع السفينة ليهجر نهائياً حياة الجرائم. وفي السنوات التالية ارسل رجل المباحث ذاك، وهو اليوم مفتش في دائرة الشرطة، العديد من الشبان الذين حكم عليهم بالسجن الى الفالتون، ورآهم يعودون الى المجتمع افراداً صالحين.

ليس موغنز عاطفياً غير واقعي ولا صارماً ولا ملتزماً بالتعاليم الشائعة. فاذا كان المراهق في حاجة الى عطف منحه منه كفايته. واذا ثار احد الاحداث وتهدده بالضرب، تمكن بفضل قوته الجسدية من السيطرة على الموقف. وحدث ان تحولت مقصورته يوماً الى ركام بعد ثورة غضب كهذه.

وقد اتيحت لي مشاهدة اسلوب موغنز في المواجهة المباشرة عندما انضممت الى طاقم الفالتون في رحلة صيفية على ساحل النروج المتعرج. وفيما نحن نتحدث مع القبطان في مؤخر السفينة وقف بالباب شاب ناحل كان في يومه الاول على متن الفالتون - وهو يوم مزعج عادة. وقد تخوف موغنز من احتمال هرب برايون، اذ كان وجهه مكفهراً على نحو ملحوظ. واجلس موغنز الفتى وقال له: "اسمع، اذا كنت تريد ان تضيع حياتك، فهذا شأنك. ولكن اعلم ان الفالتون هي هنا لمساعدتك. كما انني انا وزملاءك مستعدون لمعاونتك على بناء حياة افضل. واذا نجحن عجزنا عن مساعدتك فاننا لن نخسر شيئاً". ولم يهرب

برايون، بل ان اساريره انفرجت في غضون ثلاثة ايام، ورأيته يبتسم ويروي الطرائف فيما كان يفرك الفالتون ويصقلها.

القدوة الحسنة – تعلم الفالتون المرء كيف يعيش ويتعامل مع الآخرين. وذات يوم خرج موغنز من غرفة القيادة على صوت عراك في الخارج. ووجد تيم، وهو شاب عيي" (لفظه غير واضح) وذو سجل حافل بالعنف، في عراك مع كريستيان، وهو لص مراهق بارع. ووقف الشابان بخجل امام القبطان وقد ظهرت على وجهيهما آثار القتال. فقال لهما: "في استطاعة كل منكما ان يقاتلني. ولكن عليكما الآن ان تنظفا كوات غرفة القيادة واحدة واحدة، احدكما من الخارج والآخر من الداخل. وحذار ان يبتسم احدكما للاخر، فانتما متخاصمان. هذا امر!"

وبعد نصف ساعة كان كل من تيم وكريستيان يبتسم خلسة في وجه الآخر فيما هما ينظفان الكوات. ثم دعاهما القبطان الى تناول كأسين من البيرة في مقصورته حيث ضمد جروحهما. وراقب كل من الشابين زميله وهو يتألم من اليود المصبوب على جروحه. واخيراً تعانقا.

وقال موغنز لاحقاً: "سوف يمسيان على خير ما يرام. فليس هناك اولاد اشرار. ان الحزم هو نصف العلاج، والمحبة هي النصف الآخر. وسلاحنا الوحيد هنا هو القدوة الحسنة".

وتراوح مدة اقامة الشبان في الفالتون بين ستة اشهر و١٨ شهراً، اي عندما يرون، هم وموغنز، الوقت مناسباً للعودة الى المجتمع. وتدفع الحكومة الدانمركية عن كل مراهق مسجل على متن الفالتون مبلغ ثمانية آلاف كورون (١٤٤٠ دولاراً) كل شهر لسد التكاليف. وهذه الهبات لا تكفي لتغطية مصاريف السفينة. وقام موغنز برحلات عدة من اجل جمع الاموال.

وتساهم "جمعية اصدقاء الفالتون" في جمع الاموال من اجل ابعاد الضائقة المالية عن السفينة. وتقدم بعض الشركات المتعاطفة مع المشروع، اضافة الى المساعدة المالية، عروض عمل للشبان الذين يغادرون الفالتون. ويعود ذلك الى ان ارباب العمل وجدوا، بعد الاختبار، ان التدريب في الفالتون هو رمز للجودة. وعلى نقيض الاحداث الذين يتدربون في الاصلاحيات التقليدية، يفتخر شبان الفالتون بمدرستهم التي تخرجوا فيها ويرتدون سترات رسم عليها شعار السفينة.

وفي ليلتي الاخيرة على متن الفالتون اقيمت حفلة. فحمل موغنز غيتاره وغنينا. وبدا تيم وكريستيان، اللذان تلاكما في الصباح، صديقين حميمين. وملأ اندرز باخ كأسي. واندرز هو احد سارقي الزورق التابع للاوديسيوس. وبعد ان تخرج كمهندس (وهو الان في الخامسة والعشرين) عاد ليعمل مساعداً شخصياً لموغنز على ظهر الفالتون.

وقال لي اندرز: "لقد عدت الى الفالتون لاني اود ان اكمل العمل الذي بدأه القبطان، فأساعد الشباب في الافادة من حياتهم. وهذا افضل صنيع اعمله في حياتي".

■ موريس شادبولت

امنح اولادك المزيد من الفائدة كل شهر

إنه العدد الأول من مجلة الفتيان الشهرية الرفيعة المستوى باللغة العربية تصدر بعد أن وضعت فيها مؤسسة "والت ديزني" أفضل ما لديها من خبرة في عالم الصغار.



ثمانٍ واربعون صفحة بألوان "ديزني" الجذابة تغمر حياة فتيانكم بالفائدة والمتعة والسرور.

علاوة على ذلك، فان ادخال شخصيات "والت ديزني" على العديد من مواضيع المجلة يجعل اولادكم ينجذبون نحو اشياء يحبونها ربما تعجز المدرسة عن توفيرها لهم في كثير من الاحيان.

فالعدد الاول من سمور يحتوي على مواضيع متنوعة شيقة مثل اختراع الدراجة الطائرة، وقصة كرة القدم وقوانين هذه اللعبة الشعبية مزدانة برسوم جميلة، والقيثار الكهربائي والاصوات القوية التي يحدثها وغيرها من المواضيع في التاريخ الطبيعي والتسلية، كل ذلك كي تضفي جواً مليئاً بالسرور والمتعة والفائدة على جميع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم بين ٩-١٥ عاماً.

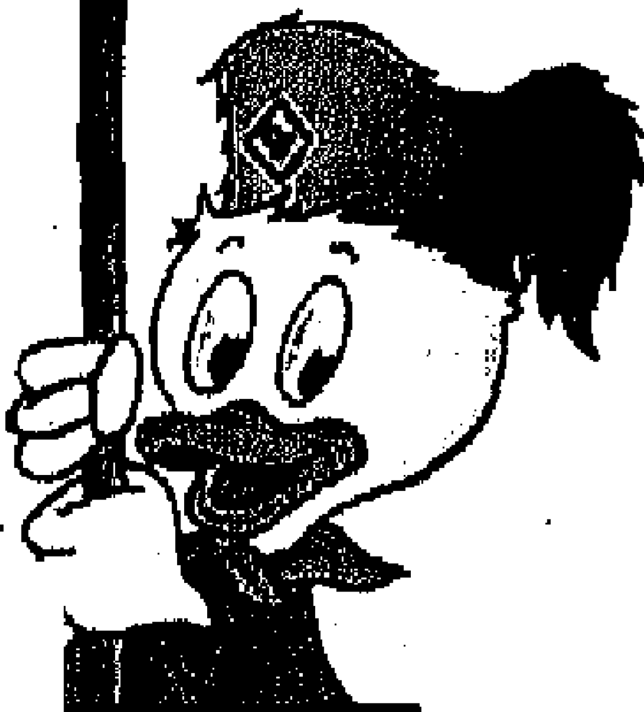


الأكثر من كل هذا هو انهم يتعلمون أشياء جديدة دائماً.

فإن كان مبتغاك الحصول على الافضل لأولادك فما عليك سوى الحصول لهم على سمّور الآن.

سمّور

مجلّة الأولاد الجديدة الحافلة بالفوائد





هما صديقان: احدهما رجل علم ومنطق، طالب جامعي في السنة الرابعة، والآخر رجل اهواء لا يكبح له جماح، مقعد، أبكم، مشلول اليدين، والى ذلك هو طالب جامعي في السنة الثالثة. وصداقة هذين الاثنين الفريدة مثل يحتـذى فـي العـلاقـات الانسانية

قصّة صَديقَين

توجه بيل رش ومارك دامك الى ملعب جامعة نبراسكا في الولايات المتحدة لحضور مباراة في كرة القدم. وكعادة الجامعي الذي يتخصص بعلم الحاسبات الالكترونية (الكومبيوتر) بدا مارك انيقاً.

اما بيل الذي يدرس الصحافة، فيدل مظهره على الاهمال وانعدام الترتيب، اضافة الى قصر في يده اليسرى حال دونها والوصول الى اسفل سترته، فبدا احدب، على رغم انكاره هذه الصفة.

وجوانب حذاءي بيل القديمين بالية دائماً، اما النعلان فجديدان. ويتجلى القبح والفوضى في اشنع مظاهرهما في الرباطات الاربعة البيض القديمة المعقودة في شكل اقواس تشد ركبتي بيل ورسغيه الى انبوب من معدن الكروم ملتو ومتصل بكرسيه المتنقل المجهز بمحرك. ويطلب بيل الى عمال مشغل كلية الهندسة في الجامعة اصلاح كرسيه المتنقل مرة في الشهر على الاقل، لانه يدأب على الضغط على عجلاته وتحطيم مساند القدمين فيه.

وحين يثور، يحرك بيل ذراعيه بسرعة ويضرب الارض برجليه، باسطاً يديه في كل اتجاه. فيسيل لعابه على قميصه، وتتبلبل الاحرف والكلمات المنضـدة علـى لـوح الكتـابة الـذي

يستعمله، فيعمد احدهم الى ابعاد يديه عن اللوح الموضوع فوق ذراعي الكرسي المتنقل.

ويستعمل بيل في الكتابة عصا نحاسية متصلة بجبهته يبلغ طولها ٣٠ سنتيمتراً. اما اذا تردد بعضهم في ابعاد يدي بيل، فان هذا يكتب بانفعال: "لا تخشوا،فانالن اسقط". واذا صادف ان سجل بيل عبارة طريفة على لوحه، فانه يطلق صيحة تشبه خوار ثور "الموظ" الامريكي عند الجماع، كما يصفه احد اساتذته.

اما مارك فهادىء ومتواضع وخجول، يتميز صوته بالانخفاض وبالنبرات السريعة والدقيقة.

ويختلف نمط عيش كل من بيل رش ومارك دامك. فيبدو بيل محاطاً بأناس يتبسطون في الحديث معه ويتبادلون واياه الطرائف الساخرة. ويقول الممرضون الذين يغسلون بيل ويلبسونه ويطعمونه، انهم لا يطمعون في الدولارات الثلاثة التي يتقاضونها في مقابل كل ساعة عمل، وانما هم يواظبون على عملهم لانهم يستمتعون بحديث بيل وردوده الطريفة على اقتراحاتهم الكثيرة: كأن يسمح لاحدى المجلات النسائية بالتقاط صور تظهره عارياً، او يتلقى دروساً في الغناء. وبيل مولع بالفتيات، ويعيش حياة اجتماعية صاخبة. اما مارك، فيعترف بأنه يحب الوحدة. وتجده في ساعة متقدمة من الليل ساهراً في مركز الكومبيوتر يحدق الى خريطة لمواقع النجوم امضى ساعات طوالا في برمجتها.

وعلى رغم هذا التباين، فان بيل ومارك يتفقان على امرين: انهما اذكى من معظم الذين يعيشون معهما، وانهما يبدوان شاذين في نظر طلاب الجامعة، وان تكن تلك الصفة لازمت بيل رغماً منه، واقترنت بمارك بمحض اختياره. لذلك تصرفا في اثناء مباراة كرة القدم كزائرين من عالم آخر. ففي اللحظة التي سجل بطل الجامعة الهدف الثالث وعلا تصفيق ٧٦ الف متفرج وهتافهم، همس مارك في اذن بيل: "هل تريد ان تغادر المكان؟" وانحنى ليسمع الجواب: "نعم. فهذا ممل الى اقصى الحدود".

السنوات الضائعة — ولد بيل في مدينة اوماها في ولاية نبراسكا الامريكية. وتم اخراجه من رحم امه بواسطة جراحة بعدما انزلق الحبل السري من موضعه وعاق وصول الاوكسيجين الى خلايا دماغ الجنين طوال ساعة. وأعلم الطبيب المولد السيدة رش بان طفلها مصاب بالشلل الدماغي نتيجة عطل اصاب الجزء الذي يتحكم بالوظائف الارادية في الغلاف الدماغي. واوضح لها ان تلك الاصابة ليست مميتة وان لا خطر من تفاقمها، وان الشلل الدماغي يورث حالات عمى او صمم او تخلف عقلي في كثير من الاولاد الذين يصابون به.

ومع نمو بيل، اكتشف اهله ان طفلهم يسمع ويرى. كما تأكدوا من انه لم يكن متخلفاً عقلياً، اذ كانت عيناه تتبعانهم انى توجهوا بانتباه وذكاء. وفي السن الرابعة بدأ يقرأ، مما اثار دهشة والدته التي كانت تقرأ له احياناً.

وفي الحادية عشرة اخضع الاستاذ

والمعالجون في مدرسة الدكتور ج.ب. لورد للمعاقين جسدياً في اوماها، عنق الصبي لسلسلة من التمارين. وصنعوا له لوح الكتابة، وأتوه بآلة كاتبة كهربائية، ووصلوا بجبهته اول عصا للكتابة.

وما يذكره بيل عن حياته قبل ذلك الوقت هو الثورات العصبية المتتابعة. كما يذكر ١١ سنة من المعالجة الجسدية بالاطواق الفولاذية التي وضعت حول رجليه، وجراحة اجريت لتقويمهما مندون ان تمكنه من المشي. ولا تغيب عنه ذكرى ١١ سنة من معالجة مشكلة البكم لديه لم يقدر خلالها على التكلم. كما تعلق بذاكرته ١١ سنة من المعالجة بالعمل (★) لم يتمكن في اثنائها من استعمال يديه. وكان اول ما نجح فيه هو استعمال عصا الكتابة. فكان ذلك، على حد قوله، "منفذاً للهرب من سجن الوحدة".

وبدأ بيل يزيد اوقات درسه حتى غدا اول طالب يتخرج بشهادة ثانوية في مدرسة ج.ب. لورد. ولما نجح في امتحانات الدخول الى الجامعة - وقد طبع الاجوبة بعصا الكتابة - التحق بجامعة نبراسكا في لينكولن حيث التقى مارك دامك.

شب مارك في بلدة صغيرة في ولاية نبراسكا الاميركية. وأمضى معظم اوقاته في تركيب المعدات الالكترونية ومشاهدة افلام علمية - خيالية، فضلا عن جمع الكتب العلمية - الخيالية. وعندما كان في السنة النهائية من المرحلة الثانوية، اشترك في معرض لعلوم. وأحرز اول نجاح له في ثلاثة مشاريع: اطلاق قمر اصطناعي الى كويكب "سيريز"، وتطوير آلة حاسبة، وتصميم ذراع اصطناعية اوحى اليه بها عمه الابتر ارموند. واحتلت الذراع الاصطناعية المرتبة الاولى في معرض نبراسكا الكبير للعلوم والهندسة، ومعرض قسم الهندسة للعلوم الدولية والهندسة.

ودخل مارك الجامعة بمنحة. واقام في مهجع "سيليك" حيث الصق بباب حجرته بطاقة كتب عليها: "مؤسسة ام.سي.دي. للاستشارات. الرئيس: مارك دامك".

ام.سي.دي. هي شركة حقيقية، وقد رفض رئيسها - والموظف الوحيد فيها - ستة عروض للعمل في مجال الحساب الالكتروني، وصرف كل اوقات فراغه في اربعة اشهر - ومازال يقضي بضع ساعات كل اسبوع - في دراسة مشروعه الجديد وتنفيذه.

وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨، منحته مصلحة خدمات اعادة التأهيل، والهيئة المتحدة للشلل الدماغي في نبراسكا، وجامعة نبراسكا، ٣٠٠٠ دولار من اجل تصميم جهاز ناطق لبيل، خصوصاً ان الاخير كان يتمنى دائماً ان يتكلم على رغم كون لوح الكتابة الذي يستعمله وسيلة تخاطب فعالة.

وبغية تركيب مخارج الالفاظ، دفع مارك ٤٠٠ دولار لشراء جهاز يبث صوت شخص يتكلم الانكليزية بلهجة اسوجية، وكيّف بعض الاجهزة مثل عقل الكتروني صغير وشاشة فيديو، وجهاز لادارة الاسطوانات ولوحة

(★) طريقة في المعالجة قوامها تكليف المريض اداء عمل خفيف يصرفه عن التفكير في نفسه ويعجل في شفائه.

مفاتيح معدلة. وكان العمل في هذا القسم سهلا، اما برمجة النظام على نحو يفيد منه بيل فقد استغرقت ٥٠٠ ساعة من العمل.

بريسلي الاسكنديناقي – في فبراير (شباط) ١٩٧٩، حمل بيل اثنان من اصدقائه على كرسيه المتنقل، أصعداه الى الطبقة الثالثة من مجمع "سيليك". وبذلك اتيحت له الفرصة ليشاهد غرفة مارك للمرة الاولى. واعمل بيل عصاه في لوحة المفاتيح، فانبعث من الجهاز صوت غير مفهوم، ثم صوت يقول "محبة" بلهجة اسوجية.

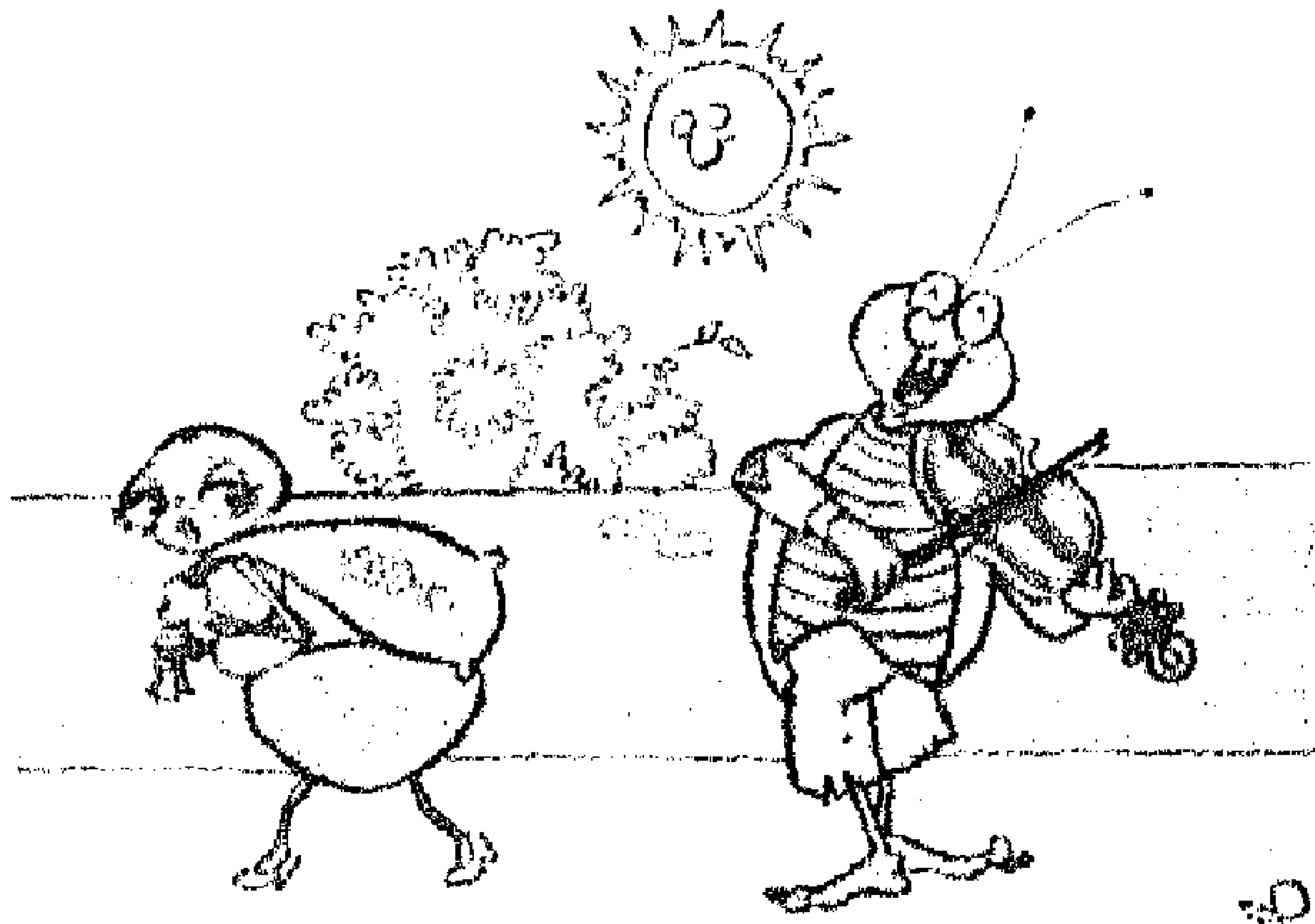
وازدادت اصطلاحات الجهاز الناطق، المودع الآن غرفة بيل، على نحو ملحوظ. ويقول بيل: "من مزايا الجهاز ان بعض كلماته بذيئة". ولدى بيل مرادفات يختار منها الكلمة التي يريد، وما عليه الا ان يضغط الزر الايمن كي تُسمع احدى الكلمات الـ٣٤ الشائعة، المنقوشة على لوحة المفاتيح، ومن بينها التأوهات والقهقهات. اما اذا لم تكن الكلمة منقوشة على لوحة المفاتيح، فالمهمة اكثر تعقيدا.

وينبغي استعمال نظام صوتي مؤلف من ارقام تشير الى قوة النبرة التي تلفظ بها احرف العلة، لان جهاز الكومبيوتر لا يمكنه التنبوءبالتقلبات المفاجئة في نهج التعبير باللغة الانكليزية. وعملية النطق بطيئة اذ لا بد من استعمال عصا الكتابة لطبع كل رمز على حدة. من هنا، زود مارك الجهاز بمعجم من ٨٠٠ كلمة وعبارة انتقاها بيل نفسه. ويتعرّف الكومبيوتر الكلمة وينطقها حالما يخطها بيل على لوحة المفاتيح. ويحوي معجم بيل كلمات مثل: مرحباً، انا بيل رش، هل انت تعمل الآن؟ اني في حاجة الى بعض المعلومات، يعيد تأهيل، غير منفصل، النجدة! شخص ما، لا تخف مني!

ويعكف مارك الآن على انتاج جهاز ناطق صغير يمكن لبيل ان يحمله على كرسيه المتحرك. وما يلفت هو الارتفاع المفاجىء في قيمة فواتير الهاتف المقدمة الى بيل، اذ استطاع للمرة الاولى في حياته ان يجري مخابرة عبر هاتفه المجهز بمكبر للصوت. ومع ان بيل طلب ان يكون صوت جهازه اشبه بصوت الفيس بريسلي، الا انه مقتنع الان بأن شخصيته الاسكندينافية تناسباحدى جمل معجمه: "ماذا تنوين ان تفعلي مساء السبت؟"

وتبقى علاقة بيل رش ومارك دامك مبنية على اسس من التخاطب اعمق جذوراً وأشد رسوخاً من العلاقة المبنية على سهولة المحادثة التي يوفرها الجهاز الناطق. وفي ذلك يقول مارك: "ذات مرة قرأت كتاباً علمياً – خيالياً يروي مؤلفه، كليفورد سيماك، قصة مسافرين من عالمين مختلفين تواردت افكارهما وتشابهت قبل ان يتصافحا". ويضيف: "يخالجني الاحساس نفسه مع بيل. لقد ادركت اننا كنا نتعلم ان نتخاطب فعلا حين بدأ الحلم يراودني. فعندما نتحدث، لا يستخدم بيل لوح الكتابة او المطبعة الكهربائية او الجهاز الناطق، وانما تتلاقى افكارنا فأشعر كأنه يتكلم كأي شخص عادي".

■ آن فاديمان



حديقة أفكار

■ ان عيون الآخرين هي التي تحطمنا. فلو كان الجميع عمياناً ووحدي المبصر لما سعيت الى منزل جميل او أثاث جميل.

بنجامين فرانكلين

■ الأول من ابريل (نيسان) هو اليوم الذي نتذكر فيه ما نحن في الأيام الـ٣٦٤ الباقية.

مارك توين

■ كن شكوراً للامور الصغيرة. صحيح أن العالم يزدحم بالكائنات، ولكن تصور ما كان سيحدث لو وضع سيدنا في فلكه اربعة ازواج من كل نوع بدلا من زوجين.

ا.ك.

■ هناك فرق بين حشر أنفك في شؤون الآخرين ووضع قلبك في شجونهم.

ك.ش.ن.

■ المغفرة فعل عجيب: انها تدفىء القلب وتبرد الجرح.

و.ا.و.

■ المصابون بالقلق يهدرون وقتهم في تبديد الدخان بدلا من اخماد الحريق.

ك.م.د.

■ العلم في ذاته ليس له بُعْد خُلُقي. إنه كالسكين: يتغير فعله بين جراح ومجرم.

و.ف.ب.

■ فليعرف من يشاء الرّقص انه يقف على رجل واحدة.

ل.ر.

■ ليس هناك واجب نستخف به أكثر من واجب السعي الى السعادة.

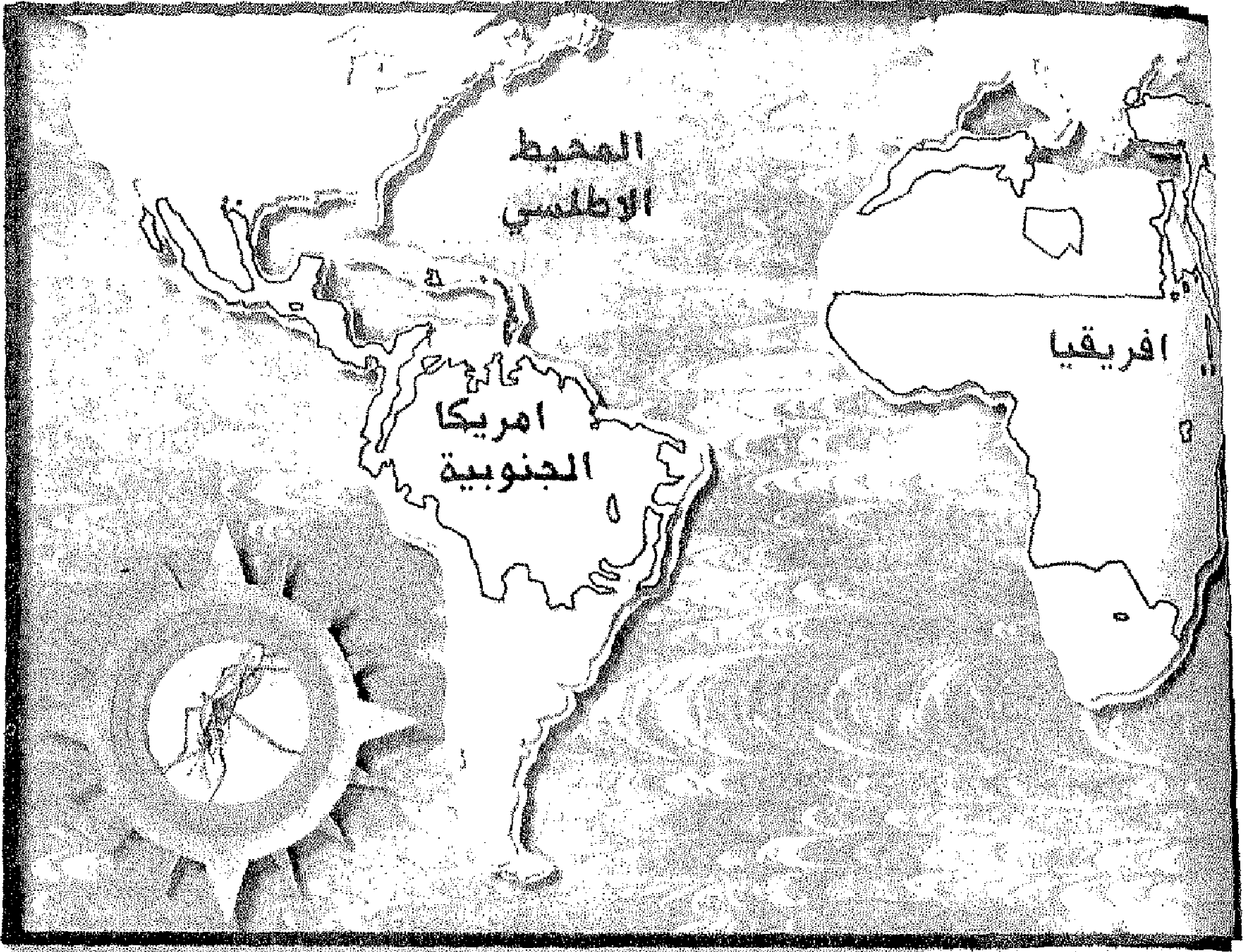
روبرت لويس ستيفنسون

ظـن العالـم انـه قضـى علـى الملاريـا، لكـن انـتشـار هـذا المرض في ازدياد مريع الآن



في اوائل يونيو (حزيران) ١٩٧٩، وصلـت الـى احـدى قـرى النيـجـر الشرقي، في افريقيا الوسطى، سيارة جيب تابعة لمنظمة الصحة العالمية وفـي داخلهـا اثنـان مـن الخبـراء بالاوبئة. ولوحظ ان هدوءاً غريباً يسود ما يجب ان يكون اكثر الساعات نشاطاً فـي "يـوم السـوق". وكـان السبب انه في الاشهر الاخيرة اجتاح المنطقة مرض الملاريا (البرداء). وفقد معظم الاسر ولداً او ولدين، واصاب الـمـرض عـدداً كبيـراً مـن البالغين حتى ان قلة منهم فقط استطاعت ان تستجمع الطاقة الكافية لتأدية عملها اليومي.

وما وجده الخبيران فـي هذه القـرية ليس نادراً ولا مقصوراً على افريقيا. فالدكتور جوزف هـ. بول، عالم الاوبئة في المنظمة، يقول: "الملاريا هي، الى حد بعيد، مشكلة الصحة العامة الاولى في العالم". والمنظمة نفسها تقول ان ثلث سكان العالم يقيمون في مناطق يزداد فيها خطر الملاريا، ويصاب سنوياً بهذا المرض اكثر من ١٥٠ مليوناً. والاسوأ هو ان بين ضحاياه مئات الالوف من الاولاد. وفي مناطق افريقيا الاستوائية حيث ترتفع نسبة الاصابة بالـوبـاء يـمـوت بالملاريا ما بين ستة اطفال وثمانية من كل مئة طفل قبل ان يبلغوا السنة



الاولى من عمرهم. وهو في جنوب شرق آسيا احد اسباب الوفاة الرئيسية بالنسبة الى الاولاد الذين هم دون السن الرابعة عشرة. والامر الاكثر مدعاة الى الخوف هو انه حتى في اوروبا وامريكا الشمالية اللتين تنتقل اليهما الملاريا بواسطة اشخاص قادمين من افريقيا وآسيا وغيرهما تجاوز عدد الاصابات الضعفين في الاعوام الخمسة الاخيرة، كما ان معدل الوفيات بالملاريا هو في ارتفاع.

وكان معظم خبراء الملاريا اعتقدوا قبل اقل من ١٥ سنة، ان هذا الوباء هو الى زوال. فعند نهاية الحرب العالمية الثانية وعد مبيد الحشرات د.د.ت. بقطع حلقة الاتصال بين البعوضة، التي تحمل طفيليات الملاريا، والانسان. ومن اواسط الخمسينات الى اوائل الستينات انتشر في انحاء العالم نحو ٥٠٠ من خبراء منظمة الصحة العالمية ليتعاونوا مع الوف المواطنين في حملة دولية لاجتثاث الملاريا. وفي الارياف رش عمال المنظمة المحليون مبيد الحشرات على الجدران الداخلية للمنازل، حيث يرتاح البعوض، وفوق المياه الراكدة، حيث يتكاثر. وفي المدن والقرى وزع المعاونون الطبيون المستحضرات المضادة للملاريا.

Map: George Buctel

وفي اقل من تسع سنين انخفض عدد المصابين بالملاريا سنوياً في الهند من ٧٥ مليوناً الى مئة الف ابلغ عنهم. وفي اقل من ١٥ سنة اختفى هذا المرض تقريباً في تركيا وتمت السيطرة عليه في المناطق الاستوائية من آسيا وامريكا الجنوبية والوسطى. وبدا انه من الممكن احراز انتصار في المستقبل القريب على اوسع الامراض انتشاراً بين البشر.

هل تأخرنا؟ – لكن الانتصار لم يعد ممكنا الآن. فخلال السنين العشر الاخيرة قطع وباء الملاريا شوطاً كبيراً في سبيل استعادة مركزه السابق. وكان رقم العام ١٩٧٥ (وهو آخر الارقام المتاحة) بالنسبة الى الهند وحدها ستة ملايين اصابة، وهو يمثل زيادة ٦٠ ضعفاً خلال عقد. وفي جنوب شرق آسيا يكاد عدد المصابين بالملاريا يتضاعف سنوياً. وفي تركيا بلغ عن وقوع ١١٥ الف اصابة في اعقاب وباء عام ١٩٧٦.

الى ذلك هناك بلدان في اقصى الشمال مثل البلدان الاسكندينافية تظهر فيها عشرات الاصابات بالملاريا المستوردة كل عام.

ماذا وراء انبعاث الملاريا؟

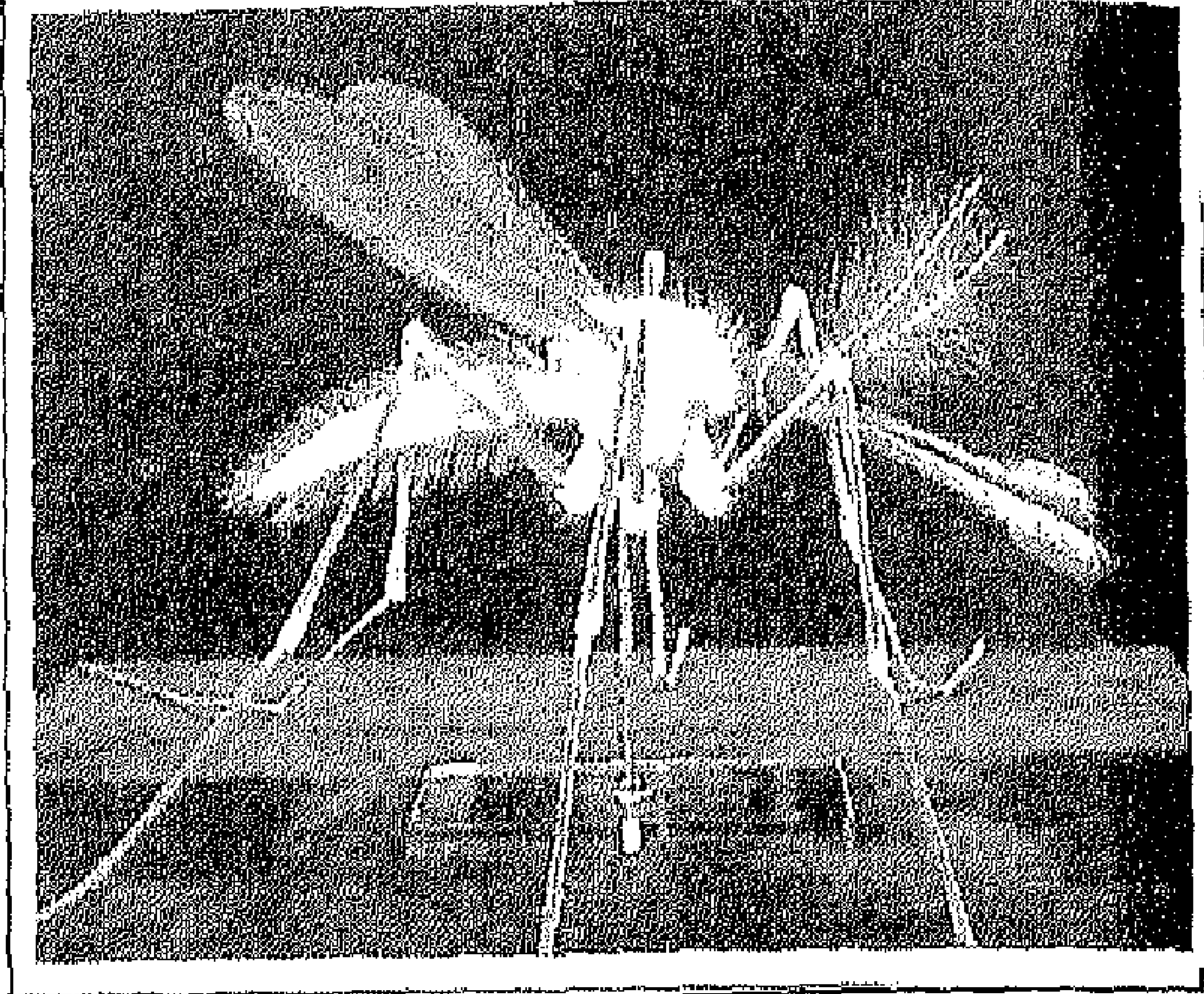
انه البعوض، في المقام الاول. البعوض الجائع والمتكاثر في انحاء العالم. ويوضح ل.ج. بروس – شوات، الاستاذ الفخري لعلم الصحة الاستوائية في جامعة لندن، انه "خلافاً لمعظم الامراض المعدية التي تنتقل عبر الهواء او بالاتصال البشري المباشر، فان الطفيليات التي تسبب الملاريا يجب ان "تحقن" في الجلد لتدخل مجرى الدم". ومن اجل هذا الغرض، امنت الطبيعة امداداً متنقلاً من المحاقن يتمثل في بعوض الانوفلين. والمناخات الدافئة والرطبة هي الاكثر ملاءمة لهذه الحشرات الموجودة في كل مكان تقريباً.

وانثى البعوض هي المسؤولة عن نشر المرض. ففي حين لا يرشف الذكر سوى عصارة النبات، تمضي الانثى ليلة من كل ليلتين او ثلاث ليال في بحث محموم عن وجبة طعام دافئة الدم تغذي بها بييضاتها النامية. واذا احتوى الدم الذي امتصته على طفيليات ملاريا فان هذه تنمو في جسم الانثى ثم تنتقل الى جسد بشري يوفر لها وجبة طعام اخرى...

ويقول بروس – شوات: "من الناحية النظرية، يجب الا تبدو عملية تحطيم دورة الانتقال هذه انها مهمة صعبة. فبعد ان تغتذي انثى الانوفلين بالانسان، تتجه عادة الى مكان آخر داخل الدار حيث تهضم طعامها. وتستغرق هذه العملية ساعات عدة. وهكذا فاذا رشت الجدران والسقوف بمبيد للحشرات، امكن القضاء على البعوض، حامل الملاريا، قبل ان تتاح له فرصة نقل المرض الى ضحية جديدة".

وهذا ما حدث بالضبط في اول الامر. ففي المناطق الموبوءة بالملاريا في تركيا رشت السطوح الداخلية للمنازل بطبقة رقيقة من الد.د.ت. ويتذكر احد الموظفين هناك ان "الد.د.ت. كان رخيصاً، سهل الاستعمال وفعالاً".

ثم عاد بعوض الانوفلين الى الظهور في اماكن كانت مبيدات


الانوفليس: نموذج لبعوضة الملاريا.

الحشرات تستعمل فيها بسخاء، خصوصاً للسيطرة على الآفات الزراعية. ويقول بروس - شوات انه "في حين اباد الد.د.ت. فعلا معظم البعوض في احدى المناطق، فان عدداً صغيراً منه كان دائما يفلح في النجاة. ولدى تكاثرها لوحظ ان لبعض الاجيال الجديدة منها مناعة وراثية ضد المبيد الكيميائي". وحدث الامر نفسه لدى انتاج انواع جديدة من مبيدات الحشرات.

من جهة اخرى بدأ البعوض يتحايل علينا ويخدعنا. فقد اكتشف خبراء منظمة الصحة العالمية انه بدلا من ان يستريح البعوض داخل المباني، بعد ان يلسع ضحاياه، بات يتجه الى خارجها مستقراً على نبات غير مرشوش.

ما سبب هذا التغيير في سلوك البعوض؟

يتكهن احد الباحثين في منظمة الصحة العالمية بأن "البعوض بات قادراً على تجنب اماكن الراحة التي هي من صنع الانسان وتسبب له ازعاجاً".

ويبدي بعض طفيليات الملاريا ايضاً مقاومة متزايدة لعقار "الكلوروكين" الذي يستخدم عادة للوقاية من المرض ولمعالجته كذلك. ويقول بروس - شوات في هذا الشأن ان: "الملاريا تؤدي الى نشوء اربع من طفيليات "البلازموديوم" المترابطة في ما بينها. وتسبب احداها وهي تعرف بـ"فالكيباروم" اعلى نسبة من الوفيات. ولسوء الحظ، يظهر الفالكيباروم مقاومة مطردة للكلوروكين".

واذا لم يكن الشخص الذي لسعته بعوضة معدية يتناول عقاراً مضاداً للملاريا، او اذا لم يعد العقار فعالا، فان الجرثومة ستتغلغل داخل كريات الدم الحمراء مما يرسخ المرض.

اعراض الملاريا - وتظهر الاعراض الحادة للملاريا عادة بعد اللسعة المعدية بما يراوح بين ٩ ايام و١٤ يوماً في شكل قشعريرات ارتعاشية وآلام في العضلات وحمى تصل الى ٤١ درجة مئوية يرافقها عرق غزير. وعلى رغم ان معظم المصابين يشفون في غضون اسابيع فان هؤلاء غالباً ما يتعرضون للاصابة بامراض اخرى معدية ويظلون يشعرون بالاعياء اشهراً عدة. وفي حالات اشد خطورة قد تصاب الضحية بتشنجات وتغرق في غيبوبة. ويذكر الدكتور ارمينيو اونوري اختصاصي الملاريا في منظمة الصحة العالمية "انه يمكن ان يكون للملاريا تأثير مدمر على التقدم الاقتصادي في البلدان النامية. وهناك اليوم في العالم مناطق عدة ضرب فيها هذا المرض القوة العاملة وشل نشاطها كلياً".

Photo: Property of the American Museum of Natural Science

ان سبب انتشار الملاريا في المناطق الاستوائية واضح، ولكن كيف نفسر ظهوره في اوروبا واميركا الشمالية حيث تم اجتثاث المرض وحيث لا تتاح للبعوض فرصة كبيرة لان يتغذى بدماء بشرية تحوي طفيليات معدية.

احد اسباب انتشار الوباء هو الانتقال الحر، وغير المراقب، للعمال المهاجرين. ففي منطقة اضنه في غرب تركيا، مثلا، يتدفق نحو ٧٠٠ الف شخص بين مايو (ايار) وسبتمبر (ايلول) من كل سنة للعمل في الحقول. وتجد اناث البعوض في دم بعض العمال الزراعيين طفيليات البلازموديوم فتمتص مقادير منها وتنقلها الى ضحايا جديدة. وحين يعود العمال الى بلدانهم او ينتقلون الى اجزاء اخرى من اوروبا، يحملون الطفيليات في اجسادهم وينشرونها حيث يحلون.

بيد ان السبب الرئيسي لظهور الملاريا في اوروبا واميركا الشمالية هو نمو حركة السفر جواً: فمعظم الاصابات ظهرت لدى مسافرين عادوا من منطقة يرتفع فيها خطر الاصابة بهذا المرض. مثال ذلك ان مديراً لاحدى شركات النفط الهولندية استقل طائرة نفاثة حملته في زيارة قصيرة الى منطقة عمليات شركته التي تحفر آبار نفط في البحر قرب الساحل الاندونيسي. وفي مطار جاكارتا انتقل الى طائرة مروحية (هليكوبتر) توجهت به الى احدى منصات الحفر. وامضى الساعات الاربع والعشرين التالية في البحر على مسافة تبعد عن الشاطىء نحو كيلومتر ونصف كيلومتر، ثم عاد الى هولندا متبعاً الطريق نفسها.

الا ان الامر الذي لم يكن يدري به مدير الشركة هو ان بعوضة محملة بالبلازموديوم قد لسعته. ولم تظهر الاعراض الحادة الشبيهة بأعراض النزلة الوافدة (الانفلونزا) الا بعد ١١ يوماً. ولحسن الحظ اخبر رجل الاعمال طبيبه عن رحلته، وكشف تحليل عينة من دمه اصابته بالملاريا. فاخضع الرجل لعلاج مكثف وشفي كلياً.

دور السفر جواً - كيف نفسر تلك الاصابات التي اكتشفت لدى اوروبيين او امريكيين لم يغادروا بلادهم قط؟

يقول السيد موريس باييه، رئيس معهد الطب وعلم الاوبئة الافريقية في مستشفى كلود برنار في باريس: "في حين انه من الصعب تعقب المصدر، فثمة ادلة على ان بعض الضحايا يلسعهم بعوض ناقل للملاريا في وطنهم". فلفترة وجيزة خلت، مثلا، تذكر ثلاثة حمالين في مطار شارل ديغول قرب باريس انهم تعرضوا للسع البعوض وهم يعملون في مخزن الامتعة على متن طائرة نفاثة جاءت من افريقيا. ويبدو ان البعوض دخل الطائرة في اثناء تحميلها واستطاع تحمل رحلة الطيران الطويلة الى باريس. وقد اصيب العمال من جراء ذلك بمرض استغرق علاجه وقتاً طويلا تحمل خلاله هؤلاء الالم الشديد.

ومع ان عدد الاصابات في اوروبا واميركا الشمالية لا يداني مجموع الحالات المسجلة في العالم النامي، فان سلطات الصحة العامة قلقة.

ويقول بايبه: "مع النمو المطرد للسفر بالطائرات النفاثة، علينا ان نجعل كلا من الجمهور والاطباء يعون ان الوباء يمكن ان يحدث هنا". وفي فرنسا انشأت سلطات الصحة العامة "خطاً هاتفياً ساخناً" لتقديم المعلومات حول الملاريا. مثال ذلك ان امرأة شابة اتصلت هاتفياً في الآونة الاخيرة وقالت انها حامل منذ شهرين وستسافر الى فولتا العليا مع طفلها ابن السنتين. وسألت: "هل العقارات الواقية، مثل الكلوروكين، ستؤذي اياً منا؟".

فاجابها الطبيب المناوب: "ليس ثمة ما يمنع النساء الحوامل او الاطفال الصغار من تناول الكلوروكين. وانني انصحك، في الواقع بان تبدأي وولدك تناول هذا العقار فور وصولكما الى البلد المقصود وان تتابعا تناول هذا الدواء لمدة شهرين على الاقل بعد عودتكما".

وماذا في شأن البلدان النامية حيث ينتشر المرض من غير ضوابط؟

يقول الدكتور ج.هـ. بول، من منظمة الصحة العالمية: "اننا ندرك ان ليس ثمة حل سهل. فالاجراء الذي ينجح في اندونيسيا قد لا يكون له ادنى تأثير في نيجيريا. وعلى كل بلد ان يعالج المشكلة من وجهة نظر مختلفة تأخذ في الاعتبار مناخه وحجمه والمقاومة التي يكون البعوض او الطفيليات قد حققتها". وفي ايران والهند يجري العلماء المحليون وخبراء منظمة الصحة العالمية تجارب على سمك "الغامبوزيا" الذي يقتات بيرقان البعوض لخفض اعداد الاخير. وحققت المكسيك بعض السيطرة على البعوض عن طريق الرش الدوري لحقول الرز بغية اخراج يرقان البعوض منه والقضاء بالتالي على هذه الحشرة.

اما بالنسبة الى المقاومة فان لعبة القفز والتجاوز بين الانسان والطبيعة مستمرة. فلقد طور العلماء عقاقير عدة جديدة اظهرت فعاليتها ضد كل اشكال مقاومة الكلوروكين لدى الطفيليات. احد هذه العقاقير "السلفادوكسين" الذي يستخدم مع عقاقير اخرى في جنوب شرق آسيا وامريكا الجنوبية وافريقيا. وفي المنطقة نفسها تختبر منظمة الصحة العالمية عقاراً آخر يدعى مفلوكين.

ويلخص بروس - شوات الوضع: "ما زال علينا ان نقطع شوطاً بعيداً قبل التغلب على الوباء. وحتى ذلك الوقت، ستبقى الملاريا اولى مشكلات الصحة العالمية".

■ ستنالي ل. انفلبارت

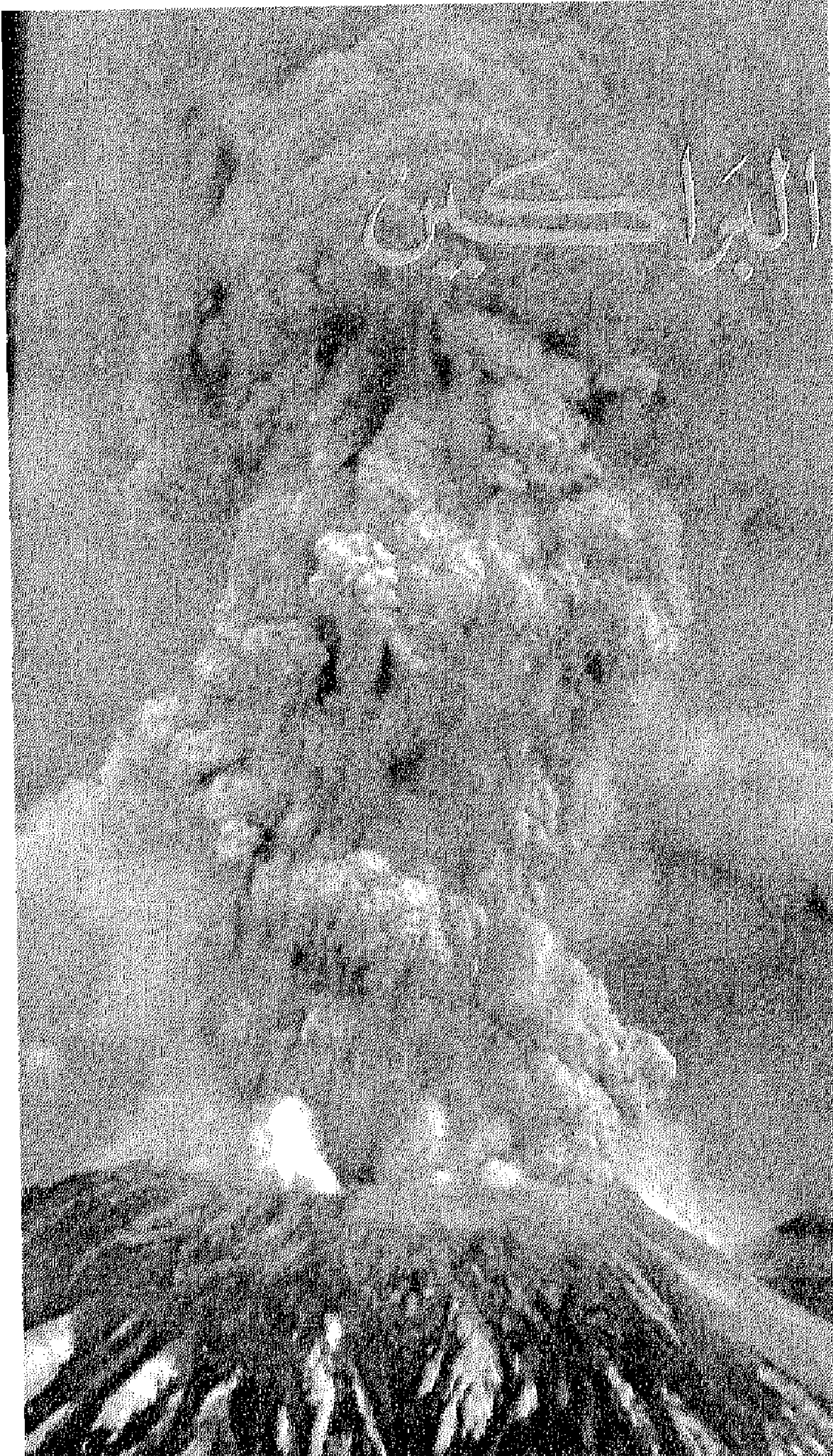


للرجل العادي ٣٠ كيلوغراماً من العضلات ونحو ١،٣٦ كيلوغرام من الدماغ... وهذا يفسر اموراً كثيرة!

ت.س.

اسفر انفجار بركان في ولاية واشنطن الامريكية اخيراً
عن خراب كبير امتد مئات الكيلومترات
وأصاب ولايات عدة بأذى بالغ

حين تغضب البراكين



Roger Werth, Longview Daily News Woodfin Camp

"فانكورفر، فانكوفر لقد وجدته!"

هذا التحذير الهائج اطلقه على الراديو في تمام الثامنة والدقيقة الحادية والثلاثين من صباح ١٨ مايو (أيار) ١٩٧٩ خبير البراكين ديفيد جونستون (٣٠ سنة) الذي تسلق موقعاً على جبل القديسة هيلانة في ولاية واشنطن الامريكية يرتفع ثمانية كيلومترات، وهو ضمن سلسلة كاسكيد المغطاة بالثلج والتي تقع على مسافة ٦٥ كيلومتراً شمال شرق بورتلاند (ولاية اوريغون). وكان جونستون يتفحص بمنظاره نتوءاً خطراً تحت فوهة البركان الذي بقي يقعقع طوال ثمانية أسابيع،

ويرسل النتيجة الى مركز الدراسات الجيولوجية في فانكوفر، واشنطن.

وبعد مرور دقائق على إنذاره، انطلق انفجار هائل من الغازات المحتقنة يعادل قوة قنبلة هيدروجينية من ١٠ الى ٥٠ ميغاطن (قوة انفجارية تعادل قوة انفجار مليون طن ت - ن - ت)، مفتتاً قمة جبل القديسة هيلانة كلها. وفي برهة تحوّلت القمة المتناسقة المخروطية الشكل، البالغ ارتفاعها ٢٩٥٠ متراً، الى سطح مشوّه يقلّ ٤٠٠ متر عن ذلك. وقذفت سُحُب الرّماد الحار بقوة نحو السماء، وراحت كتل الوحل العملاقة المكوّنة من الثلج الممزوج بالغبار تنزلق عبر المنحدرات، تدفعها أمواج الغاز المتلظي الخارج من فوهة البركان. واستقرت هذه الكتل في الوادي، محطمة ملايين الأشجار في طريقها.

وفي لحظة الانفجار كان ديفيد كروكيت (٢٨ سنة)، وهو مصوّر لشركة تلفزيون "كومو" في سياتل، واقفاً على طريق لنقل الأخشاب عند سفح الجبل. وسمع صوتاً هائلاً، ورفع نظره ليرى جداراً من الوحل مسرعاً نحوه. وبفعل السيل، انشقّ الجدار نصفين عبر كل منهما عن أحد جانبيه. وبذل كروكيت محاولات يائسة للهرب من ذلك المكان، وظلّ يسير على الطريق متكلماً عبر آلة التصوير الصوتية التي يحملها:

"إنني متجه نحو الضوء الوحيد الذي يمكنني أن أراه. الرماد يحرق عينيّ! يا الهي، هذا هو الجحيم! من الشاقّ جداً أن يتنفس المرء هنا والظلام يعمّ المكان. آه لو كان لي أن أتنشق الهواء. الرماد ينهال عليّ بقوة. ترى هل يلفني الظلام أم تراني مائتاً؟ إلهي، أريد أن أحيا!"

وعاش كروكيت فعلا بفضل طائرة هليكوبتر للانقاذ حملته من الجبل بعد عشر ساعات. ولكن انقطعت اخبار جونستون بعد ذلك.

وقد قُتل في ذلك الانفجار ٢٥ شخصاً على الأقلّ. وهناك أربعون آخرون لا يزالون مفقودين ويُخْشى ان يكونوا لقوا حتفهم. وبين هؤلاء هاري ترومان، وهو عجوز في الرابعة والثمانين كان يعيش بالقرب من بحيرة الروح على بعد ثمانية كيلومترات شمال القمة. وهو رفض الانتقال الى مكان آخر لأنه، كما قال، "لا أحد يعرف عن هذا الجبل أكثر مما يعرف هاري. والجبل لا يجرؤ على الانفجار في وجهي". وشوهد هاري للمرة الأخيرة مساء السبت الذي سبق الانفجار وهو يسقي حديقة منزله. وبعد اسبوع استحال بيته وجواره كتلة وحل وماء ينبعث منها البخار.

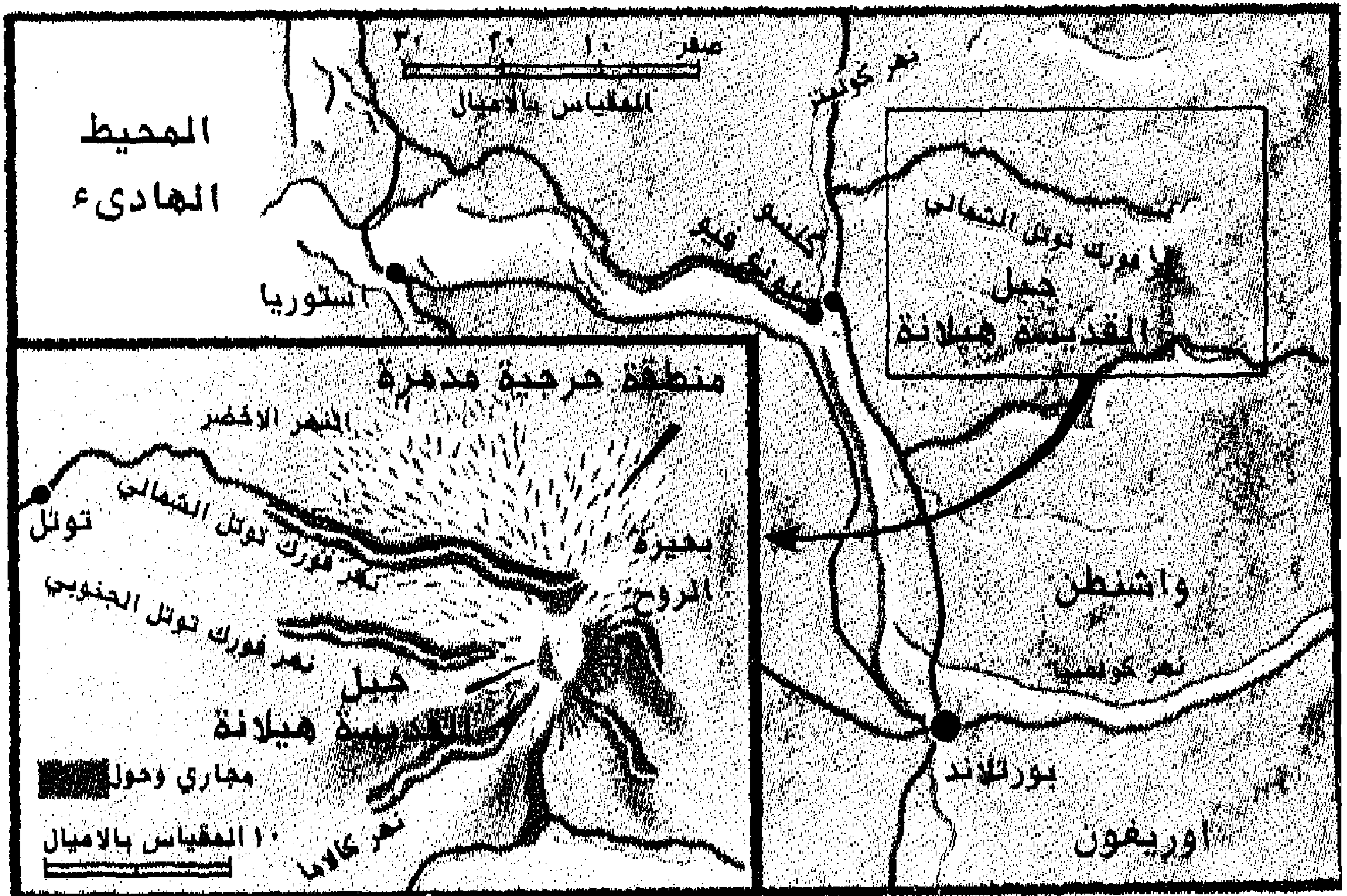
ظلام في الظهيرة - بدأ انفجار جبل القديسة هيلانة باعتدال في ٢٧ مارس (آذار) ١٩٧٩. ويقدّر علماء الأرض أن حجم الحطام الذي خرج من الجبل بلغ ٢،٦ كيلومترات مكعّبة. وكان الانفجار مساوياً لانفجار بركان فيزوف الايطالي الذي حدث عام ٧٩ للميلاد وأغرق بومبيي وهيركولانيوم في خضمّ من الرماد والوحل. وأتى انفجار جبل القديسة هيلانة على ٣٨٨ كيلومتراً مربعاً من الغابات بقيمة ٦٠٠ مليون دولار، وعلى مساحات واسعة

مزروعة قمحا وحبوباً اخرى تمتد نحـو ٧٠٠ كيلومتر شرقاً، كما طمر ٩٥٠٠ كيلومتر من الطـُّرُق بالرَّماد٠

وفي محاذاة الجبل، أتى الانفجار على ١٩ كيلومتراً من فرع نهر توتل الشمالي الذي كان محافظاً على نقائه الأصلي، محوّلا إياه الى قفر كسطح القمر، كما صبّ ٤٢ مليون متر مكعّب من الحطام البركاني في نهر كولومبيا في بلدة لونغفيو٠ وقدّرت كلفة تنظيف النهر بـ٤٤ مليون دولار على الأقل٠ وأفسد الوحل البركاني ١٢٣ منزلا على امتداد نهر توتل، بما يتخللها من جسور وطـُرُق ومظاهر اخرى من العمران البشري٠

وحملت الريح حطام الجبل المتفجر نحو الشمال الشرقي، فيما كانت طبقات كثيفة من الرماد الذي ظهر كالثلج المتسخ تسقط على الجزء الشرقي من واشنطن٠ وبدا نصف النهار في بلدة ياكيما ذات الخمسين ألف نسمة، والتي تبعد ١٣٧ كيلومتراً الى الشمال الشرقي من البركان، كأنه نصف الليل٠ وتحوّلت قرى لسان ايداهو وغرب مونتانا التي تبعد ٦٠٠ – ٧٠٠ كيلومتر شرقاً وتقوم فيها المناجـم ومـزارع الماشيـة مناطـق أشباح لا يستطيع أحد ان يتجوّل في شوارعها المختنقة بالغبار من غير أقنعة طبية وما شابهها٠ وأُغلقت المدارس والمصانع ومعظم المحلات والمكاتب٠

أيضاً وأيضاً – انقضى أسوأ ما في الأمر خلال أربعة أيام، أو هكذا خُيِّل الى الناس، لكنّ جبل القديسة هيلانة لم ينتهِ أمره٠ وحدث انفجار آخر عنيف في عطلة نهاية الاسبوع في ٢٤ مايو (أيار)، وتدافع البخار والغبار



في انفجارات متقطعة طوال الاسبوع اللاحق. وبعد خمود البركان من جديد، صرّح العلماء بأنهم - نظراً الى تاريخ الجبل المتفجر - لا يستبعدون أن يستمر في تصريف البخار والغبار والزجاج البركاني طوال السنين العشر أو الخمس عشرة التالية.

وأدى الانفجار الثاني الى خسائر في الحبوب والغابات والممتلكات بقيمة مليار ونصف مليار دولار. وأُرغم مسؤولو مطار بورتلاند الدولي على تعليق العمل فيه، علماً أن أهالي بورتلاند يحبون وصفها بأنها "المدينة الأشدّ إغراء بالعيش". وفي مقاطعة كاوليتز الزراعية في ولاية واشنطن، وجد الغبار طريقه الى المحوّلات الكهربائية، مما أسفر عن انقطاع التيار. وأُرغم تجدد انهمار الرماد والخوف من انجراف الكتل الوحلية سكانَ القرى المجاورة للجبل على النزوح الى مخيّمات وقتية. وكانت تلك المرة الثانية التي يُخْلون منازلهم.

وفي الأيام التي تلت الانفجار الثاني، انطلقت القرقعة من جديد، مشيرة الى أنّ الصخور التي ذوّبتها الحرارة تتحرك مرة اخرى في باطن الجبل. وأمل علماء الأرض في أن يكون الانفجاران العنيفان أدّيا الى تسريب مقدار من الغاز يمنع حصول انفجار عنيف آخر. إلا ان آمالهم ذهبت أدراج الرياح. فيوم الخميس ١٢ يونيو (حزيران)، انفجر البركان الملتهب مرة اخرى بقوة تساوي قوة الانفجار الثاني.

كان جبل القديسة هيلانة انفجر للمرة الأخيرة عام ١٨٥٧، يوم كانت المنطقة قفراً. وعلى رغم أن انفجارات ١٩٧٩ تصنّف في مرتبة معتدلة، إلا أن الذين زلّت أقدامهم من القمة المحمومة أو الذين كانوا في عداد الأشخاص الـ ١٩٧ الذين انقذتهم طائرات الهليكوبتر التابعة لسلاح الجو أو البحر رووا أخباراً بزّت روايات الناجين من الحروب.

الطيور الخرساء - بين العديد من علماء الأرض والمتنزهين على الأقدام والمخيمين قريباً من الجبل يوم ١٨ مايو (أيار)، روى الذين أفاقوا مع بزوغ الشمس أن الصباح كان هادئاً على نحو غير معتاد بحيث لم يُسْمَع صوت عصفور. والأكثر غرابة أن عدداً كبيراً من الناجين لم يسمع دويّ الانفجار لدى حدوثه، ربما لأن سرعة التموّجات البركانية تفوق سرعة الصوت. وعندما بلغهم الصوت، كان الارتجاج هزّهم الى حدّ لم يسمعوا معه شيئاً.

وكان بروس نلسون وسو راف من بلدة كلسو القريبة نَصَبَا خِيَماً مع أربعة أصدقاء أحداث قربَ النهر الأخْضَر. ومشوا يوم السبت في نزهة عبر "غابة مسحورة من الطحلب والشربين" على حدّ تعبير سو راف، ثم نصبوا الخيم على بعد ٢٢ كيلومتراً من قمة الجبل. وما أن بدأ بروس وسو وتيري كرال أعمال التنظيف صباح الأحد حتّى أحسوا بريح لافحة. ويقول بروس: "كنا باشرنا احضار الفطور حين قال أحد الرفقاء: يا الهي - لقد انفجر الجبل!" وتضيف سو: "وشاهدنا تلك الغمامة الصفراء والسوداء الكثيفة تزحف نحونا".

وأسرع تيري الى إحدى الخيم لاحضار كارين فارنر، ولفّ بروس ذراعيه حول سو بينما كانت الأشجار حولهم تتساقط والرماد الحارّ ينهمر. ويقول بروس: "بعدما دُفنا تحت الغبار، أخذنا أنا وسو نشقّ طريقنا للخروج منه، مما أحرق أيدينا. وامتلأ فمنا تراباً. وحين قلت لسو إننا سنموت، قالت ان ذلك هراء!" وفيما هما يزحفان تحت الشجر والرماد، أخذا يتقيآن بفعل الغازات في الهواء، واضطرّ كل منهما الى سدّ فمه بقميصه الداخلي. وأُمطرا بوابل من الحجار ضرب رأسيهما بشدة.

وحين أخذ الظلام ينحسر أخيراً، انطلق بروس وسو يبحثان على رفيقيهما. ولم يجدا سوى الرماد والشجر المقطوع حيث كانت تقوم خيمة كارين فارنر. وبعد خمسة أيام من الحادث، ذهب بروس الى الموقع حيث وجد كارين وتيري جثتين هامدتين. أما الزميلان الآخران، دان بالش وبريان توماس، فكانا حيّيْن، ولكن على الرمق الأخير. وتدلى الجلد المحترق من يدي دان الذي وقف مذهولا. وكان بريان لا يقل ذهولا عنه وهو مضطجع تحت أشجار مقطوعة وقد انكسر وركه. ورفعه دان، ثم حمله الثلاثة الى منجم قريب حيث بنوا كوخاً وضعوا فوق مدخله ألواح الأرز لحماية رفيقهم من أي اجتياح آخر للغبار.

وحاول بروس وسو ودان اكتشاف الطريق التي تفضي بهم خارج المنطقة المخرّبة. وكان دان أضاع حذاءيه وجوربيه بعد الانفجار، فمشى حافي القدمين، قافزاً فوق الأشجار المقطوعة معظم الوقت ليحمي قدميه من الغبار الحارق. وإذ لم يعد يمكنه المشي، طلب من رفيقيه الاستمرار وحدهما.

صحراء الرماد ـ انطلق بروس وسو في رحلة امتدت ٣٢ كيلومتراً من سفح الجبل واستغرقت ١٢ ساعة عبر ما سماه بروس "صحراء بيضاء حارة" من الرماد. وصادفا رَجُلا في الستين انضما اليه، وتغلب الثلاثة على مشقة السفر بانشاد بعض الاغنيات. وعند العصر سمعوا تحليق طائرات هليكوبتر فوق رؤوسهم. وتبين أنّ دان أُنقذ وأرسل قاطعي الأشجار بحثاً عن رفيقيه. وبعد إنقاذ الثلاثة عاد قاطعو الأشجار ورفعوا توماس من مكانه.

كان رولد ريتان (٢٠ سنة) وصديقته فينوس ديرغن (٢٠ سنة) من تاكوما، واشنطن، يخيمان عند موضع جيد لصيد السمك على ضفة نهر توتل، على بعد ٣٧ كيلومتراً من بحيرة الروح. وأيقظهما صوت مدمدم من النهر الذي غطته الأشجار المقطوعة. وركض الاثنان نحو سيارة رولد. غير أن المياه الفائضة من النهر انسكبت على رأسيهما ومنعتهما من الهرب في السيارة. ثم زحف سَيْل من الوحل عبر الغابة في اتجاه السيارة. فتسلقا سطحها اتقاء الوحل، لكنّ ذلك كان وقتياً. وسرعان ما قلبت كتلة الوحل السيارة الى الضفة ثم الى النهر.

وقفز رولد وفينوس عن سطح السيارة الى النهر الذي استحال في تلك الأثناء كتلة من الأشجار المقطوعة والوحول في حال غليان، وما يسميه رولد "حماماً من المياه الحارة": "ظننت أنه قُضي علينا.

المسافرون على طائراتنا "الجامبو"
تمتعوا دائماً بالضيافة الملكيّة

ن عدة ظلت فيلة "الجامبو" واسطة السفر والانتقال
، البلد النائي: تايلاند .
ي متن هذه الوسائط ضمنت الشخصيات المهمة
لة الملكية على رغم وعورة الطرق .
زال ذلك الجيلمن وسائط السفر صديقاً ذكياً ومطية
لخدمة الانسان .

لكننا اليوم: في الرحلات الطويلة: نؤمن للمسافرين من انحاء العالم جيلا اكثر تقدماً وعصرية من وسائط "الجامبو" طائرة "الجامبو ٧٤٧"

وفي رأينا المتواضع: لن تلمسوا معاملة ملكية اكثر وضوحاً كما على طائراتنا .

ستشعرون بها في حرارة الترحيب والخدمة ،

وستدركونها في ترف وسائل الراحة والتجهيزات .

وستتذوقونها ايضاً في مأكولاتنا .



طر معنا بنعومة كالحرير على متن جامبو تايلاندية ، أنت هنا لتنعم بضيافة ملكية .

وكانت فينوس تعلق بين الأشجار المقطوعة وتختفي مرة بعد أخرى. ولم أنفك أتسلق تلك الأخشاب للوصول اليها. ولحسن حظنا، فُتحت مسافة بين الأشجار مكنتني من الوصول اليها". واندفع الاثنان قرابة كيلومتر ونصف كيلومتر في اتجاه مجرى النهر قبل بلوغهما نقطة الأمان.

تباشير أمل – على رغم الخراب كله، فان آثار الانفجار في المدى الطويل أقل عنفاً مما كان يُخْشى في البداية. فقد ظن بعض العلماء أن الرماد ربما أدى الى مطر حمضي. لكن الاختبارات أظهرت أن الغبار ليس أكثر حموضة من عصير البرتقال. لذلك لن تكون آثار الانفجار على صحة الناس والبيئة ذات شأن يُذكر. أما الآثار الاقتصادية فستكون أكبر. ذلك لأن الاشجار المقطوعة تقدّر بملايين الدولارات، وإن يكن الخبراء المختصون يتوقعون انقاذ ٨٠ في المئة من تلك الأشجار ونشرها لتُستَعْمَل حَطَباً. وسيكتشف هواة صيد السمك والحيوانات، الذين كانوا يجدون على جوانب الجبل مكاناً ممتازاً لرياضتهم، أنه لا أثر للحياة تقريباً على امتداد دائرة ذات شعاع من ٢٤ كيلومتراً بدءاً من فوهة البركان. إلا أن بشائر الحياة البرية عادت أخيراً الى الظهور.

كما قُضي على الحياة النباتية ضمن خمسة كيلومترات من فوهة البركان. وفي رقعة عريضة مثلثة تمتد ٣٢٠ كيلومتراً شرقاً، أتلف الغبار نحو ١٠ في المئة من المحاصيل. وفي ولاية واشنطن وحدها، وجد ٢٢٠ ألف

شخص أنفسهم عاطلين عن العمل الى حين. وربما بقي عشر هؤلاء بلا عمل طوال سنة.

ومن المحتمل ان أكثر نتائج الانفجار انتشاراً، خارج المنطقة القريبة من جبل القديسة هيلانة، هو المسؤوليات الجسام المترتبة على أعمال التنظيف. فالوحول التي انصبّت في نهري كاوليتز وكولومبيا يجب رفعها من القاع. كما ينبغي بناء الطرق والجسور من جديد وتصريف المجاري المسدودة. وكان الغبار البركاني انهمر بمعدّل ١٨ ألف كيلوغرام في الهكتار وتغلغل في كل شيء: محرّكات الطائرات، مصانع تكرير المياه، علب تغيير السرعة في الجرافات الزراعية، آلات الغسل.

وسوف يقضي سكان أجزاء كبيرة من شمال غرب الولايات المتحدة أشهُراً عدة مع الرّماد الرملي الناعم، وهو شاهد محسوس على قوى الطبيعة الجبارة التي تتحكم بكوكبنا. ولئن يكن بركان جبل القديسة هيلانة، بالنسبة الى خبراء البراكين، طفلا، إلا أنه، في نظر اولئك الذين يعيشون في محيطه، يبقى كارثة كبيرة.

■ **ملخص عن مجلة "تايم"**



السلطان الحقيقي

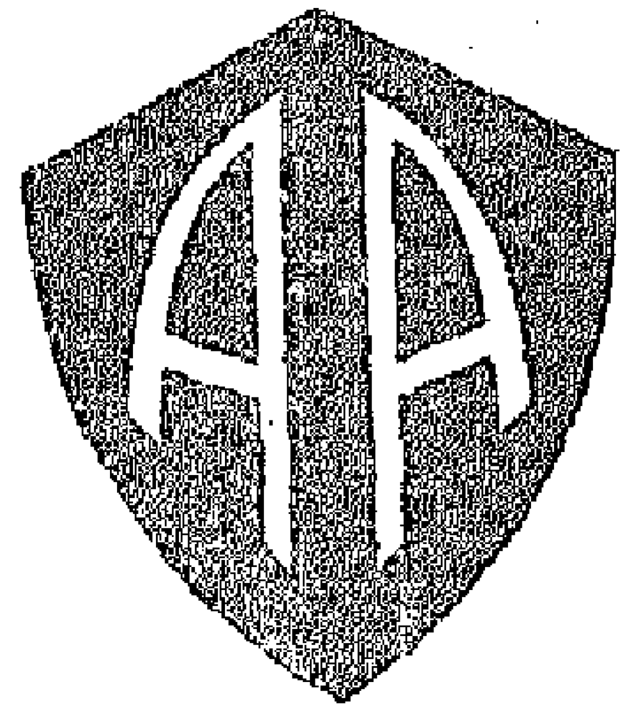
اذا اراد المرء ان يفرض سلطانه على الآخرين، فعليه ان يشعر بأنه مسؤول امام الله عزّ وجل. واذا لم يكن لديه هذا الشعور بالمسؤولية، بل مارس سلطانه من اجل غايات خصوصية، والنتيجة – كما نرى حولنا – هبوط مريع في نسبة الاحترام الذي يوليه الناس اي شخص في اي نطاق. اما اذا ادرك المرء انه مسؤول اخيراً امام قوة اعلى، فهذا سيمنحه نوعاً من الكبر يختلف كثيراً عن الانتفاخ.

سيسيل كينغ، صحيفة "التايمس"، لندن

الرحلة الطويلة

كنتُ ذات صباح في مصعد البناية التي اسكنها حين نظر الراكب الآخر في المصعد، وهو رجل تسعيني، الى حقيبتي وسأل: "الى أين أنتِ ذاهبة؟".
فقلت: "سأذهب في رحلة قصيرة". عندئذ قال العجوز: "أنا ذاهب في رحلة طويلة قريباً".
وتأثرتُ لما قال وأضفتُ: "انها رحلة كُتبت على كل منا، ولكل يومه. واذا حالفني الحظ لأبلغ سنك، فسأكون سعيدة عندما تحين رحلتي".
إلاّ أنّ نظرته تحولت من الاصغاء الى نفاد الصبر. ولم اكد انهي كلامي حتى قال: "أيتها الآنسة، اني ذاهب الى مكان يبعد مئة كيلومتر من هنا".

ج.س.



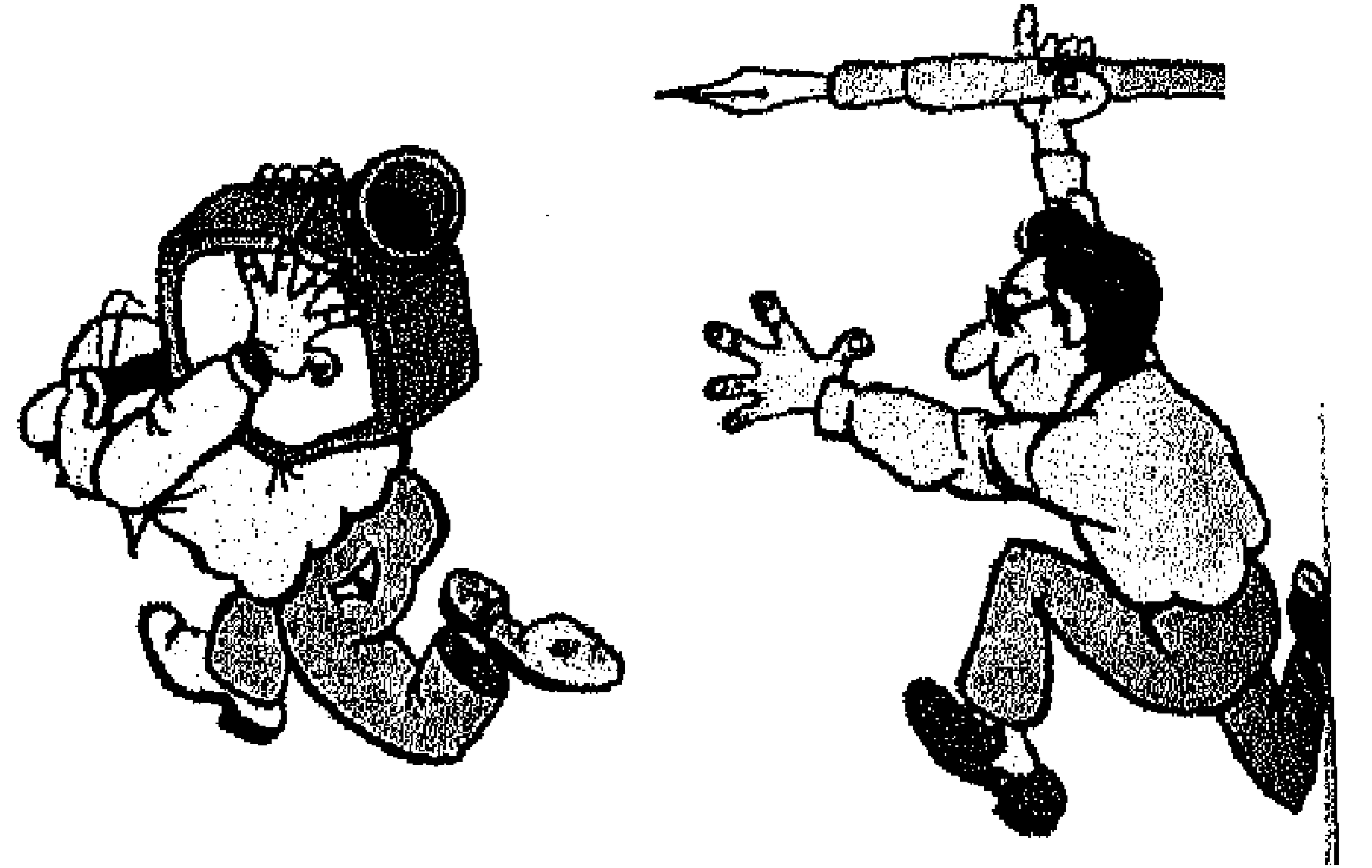
فندق رأس الخيمة

يتمتع بتقاليد مجموعة أبيلا في الخدمة والضيافة



تمثل فنادق مجموعة ابيلا ومرافقها السياحية قطاعاً متوسعاً هو في اطراد.

وتنتشر مجموعة ابيلا في أنحاء الشرق الاوسط، وهي آخذة في الامتداد الى القارة الاوروبية. وفي رأس الخيمة في دولة الامارات العربية المتحدة، تملك المجموعة فندقاً يضم ١٠٨ غرف وعشرين "بانغالو" مشجرة اضافة الى العديد من دور الضيافة في بلدان الشرق الاوسط.



دائرة المعارف

درّج العرب على اعتماد التثنية للدلالة على امرّين تربطهما صلة ما، وكلمات الدائرة في هذا العدد مثنّيات، وقد وضع امام كل منها ثلاثة اختيارات، المطلوب من القارىء ان يختار الجواب الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

٠١ الأمرّان: الصبْر والحنظل ـ الحب والكراهية ـ الفقر والهرَم.
٠٢ الأعذَبان: الريق والخمْر ـ الماء والسكّر ـ النبْع والمطر.
٠٣ الصامغان: اللوز والصنوبر ـ جانبا الفم ـ العيْن والأذُن.
٠٤ المِصْران: القاهرة والاسكندرية ـ الكوفة والبصرة ـ المشرق والمغرب.
٠٥ الحجَران: الفضة والذهَب ـ الماس والياقوت ـ الذهب والنّحاس.
٠٦ الديباجتان: المظْهر والحديث ـ الخدّان ـ اليدان.
٠٧ الأبيَضان: السن والظفر ـ السيف والكذب ـ اللّبن والماء.
٠٨ العَصْران: الأزل والأبد ـ الموت والحياة ـ الغداة والعشيّ.
٠٩ الأصغران: القلب واللسان ـ الجبان واللئيم ـ كوكبان.
١٠ ـ الطّريدان: الأرق والنعاس ـ الليل والنهار ـ قايين وهابيل.
١١٠ الرّافدان: دجلة والفرات ـ النهر والبحر ـ الشعر والنثْر.
١٢٠ المُجتنبتان: الميمنة والميسرة ـ السيف والخنجر ـ الخمر والميْسر.
١٣٠ السامعان: الصديق والحبيب ـ الصمت والظلام ـ الأذُنان.
١٤٠ الأخْضران: البحر والسماء ـ العُشب والشجر ـ الربيع والشباب.
١٥٠ الصّفران: المرَض والوهم ـ السمك والطير ـ شهران من السنة.
١٦٠ الحكَمان: الحظّ والزمن ـ الأشعري وابن العاص ـ سقراط وأفلاطون.
١٧٠ السّعْدان: الحبّ والمُلك ـ المال والبنون ـ الزُهرة والمشتري.
١٨٠ النّحْسان: البوم والماعز ـ زُحَل والمرّيخ ـ العقْم والبرَص.
١٩٠ الخافقان: القلب والعلَم ـ المشرق والمغرب ـ عرقان في الرأس.
٢٠٠ الحرَمان: مكة والمدينة ـ الأزهر وبيت المقدس ـ الجنة ومكان العبادة.
٢١٠ الدّاران: الدنيا والآخرة ـ البيت والمدرسة ـ بيت الاب وبيت الزوج.
٢٢٠ الهرّاران: المطر والشجر ـ الكلب والذئب ـ الكانونان.
٢٣٠ الأصفران: الزعفران والذهب ـ الشمس والقمر ـ الخريف والعاصفة.
٢٤٠ الكريمان: الابن والحفيد ـ الحجّ والجهاد ـ الضيف والأسير.
٢٥٠ الكريمتان: العينان ـ الناقة والنعجة ـ الزوجة والأم.
٢٦٠ الأخبثان: السلّ والطاعون ـ العقرب والحية ـ السهر والضجر.
٢٧٠ الأعميان: السّيْل والحريق ـ الموت والجهْل ـ الخلد والوطواط.
٢٨٠ الوذَرتان: الشفتان ـ الزوجة والجارية ـ الكرَم وحسن الحديث.
٢٩٠ الثقلان: الفيل والجمَل ـ الحرب والهمّ ـ الانس والجنّ.
٣٠٠ السّيدان: الحسَن والحُسين ـ القاضي وكبير القوم ـ امرؤ القيس والمتنبي.



الأجوبة الصحيحة

١٠ الامَرّان: الفقر والهرم. لقي منه الامرّين: اي الشر والامر العظيم.
٢٠ الأعذبان: الريق والخمر. ايضاً: الطعام والنكاح.
٣٠ الصامغان: جانبا الفم، وهما ملتقى الشفتين ومجتمعا الريق.
٤٠ المِصْران: الكوفة والبصرة. المصر: مدينة او حدّ بين ارضين.
٥٠ الحَجَران: الفضة والذهب. يقال: رُمي بحجَر الارض، اي بداهية.
٦٠ الديباجتان: الخدّان. يقال: فلان يصون ديباجته، اي وجهه.
٧٠ الابيضان: اللبن والماء. الشحم واللبن. الموت الابيض: الموت فجأة.
٨٠ العَصْران: الغداة والعشيّ. رجل كريم العَصْر اي كريم النسب.
٩٠ الاصغَران: القلب واللسان، ومنهما المثل: المرء بأصغريه.
١٠٠ الطريدان: الليل والنهار. الطريد من الايام: الطويل.
١١٠ الرافدان: دجلة والفرات، وهما نهران يلتقيان في القرنة في العراق فيصيران نهراً واحداً يصب في عبادان في الخليج العربي.
١٢٠ المجَنّبتان: من العسكر: الميمنة والميسرة. المجنّبة: المقدم.
١٣٠ السامعان: الاذنان.
١٤٠ الاخضران: العشب والشجر. يقال: رجل أخضر اما مدحاً واما ذماً، فاما تشبيهاً بالربيع واما بالحرباء.
١٥٠ الصفران: شهران من السنة سمي احدهما في الاسلام "المحرّم" وبقي الآخر على اسمه.
١٦٠ الحكَمان: ابو موسى الاشعريّ وعمرو بن العاص. اهل الحكمة: الفلاسفة.
١٧٠ السعْدان: الزّهرة والمشتري.
١٨٠ النحْسان: زحل والمريخ.
١٩٠ الخافقان: المشرق والمغرب، قيل لان النهار والليل يخفقان فيهما.
٢٠٠ الحرَمان: مكة والمدينة. الحرَم الاقصى: بيت المقدس. والاشهر الحُرُم اربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.
٢١٠ الدّاران: الدنيا والآخرة، دار الفناء ودار البقاء.
٢٢٠ الهرّاران: كانون الاول وكانون الثاني. الهرّ: الاسد والكثير من الماء واللبن.
٢٣٠ الأصفران: الزعفران والذهب. الصُفْر: يكنى بها عن الدنانير كما يكنى بالبيض عن الدراهم.
٢٤٠ الكريمان: الحجّ والجهاد. ومنه الحديث: خير الناس مؤمن بين كريمين.
٢٥٠ الكريمتان: العينان. كريمة الرجل: انفه وكل جارحة شريفة كالاذن واليد.
٢٦٠ الاخْبثان: السهر والضجر. ايضاً: البول والبراز.
٢٧٠ الاعميان: السيْل والحريق.
٢٨٠ الوذرتان: الشفتان. الوَذِرة: المرأة الغليظة الشفة.
٢٩٠ الثقَلان: الانس والجن. وقيل: اني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعائلتي.
٣٠٠ السيّدان: الحسن والحسين ابنا علي.

المستوى
٢٥ ـ ٣٠: ممتاز.
١٩ ـ ٢٤: جيد.
١٣ ـ ١٨: مقبول.

طريقة جديدة مثيرة في الرسوم المتحركة
تحيي قصصاً خيالية طالما حلمنا بمشاهدة احداثها

سيد الخواتم

قورن كتاب "سيد الخواتم"، للمؤلف الراحل جون رونالد رينيل تولكين (استاذ في جامعة اوكسفورد)، كعمل أدبي، باعظم الآثار الكلاسيكية في بريطانيا مثل "الملكة الجنية" لسبنسر و"الفردوس المفقود" لميلتون. وتثير ثلاثية (★) تولكين الضخمة رهبة واعجاباً من حيث انها ابداع مخيلة خالصة. فهي تشمل اختراع ابجديتين ولغتين جديدتين تماماً، وخلق جمهرة من المخلوقات الرائعة تقطن بلاداً غريبة شاسعة تدعى "الارض الوسطى".

والآن أنتج "سيد الخواتم" فيلماً سينمائياً، ضمن اسلوب جديد من الرسوم المتحركة ذي حركة واقعية مذهلة. وقد استغرق انتاجه سنتين ونصف سنة وكلف ستة ملايين دولار.

تجري حوادث القصة في "الارض الوسطى"، وهي بلاد خيالية وجدت في قديم الزمان وسكنتها مخلوقات



بعض كائنات "الهوبيت" التي تبتهج بالاكل والحفلات. عيونها المستديرة تعكس براءتها.

تسمى "هوبيت". يقول تولكين في وصفهم: "انهم اناس صغار الحجم، يراوح طولهم بين ٦٠و١٢٠ سنتيمتراً. يأكلون ويشربون بشهية شديدة ست وجبات في اليوم (اذا استطاعوا الحصول عليها). يتداعبون ويقيمون الحفلات ويتبادلون الهدايا. لا قدرة فائقة تميزهم ولا سحر، لولا مقدرتهم على الاختفاء بهدوء وسرعة حينما يمر بهم مصادفة قوم ضخام الجثث اغبياء، مثلي ومثلكم، يتعثرون في مشيتهم".

وثلاثية "سيد الخواتم" هي في الاساس قصة الصراع الابدي بين الخير والشر. فالهوبيت الصغير

(★) الثلاثية سلسلة من ثلاث مسرحيات او ثلاثة مؤلفات ادبية او موسيقية، كل منها تام في ذاته لكنه وثيق الصلة بالآخرين ويشكل واياهما موضوعاً واحداً.

الشجاع، فرودو باغينز يتطوع لاتلاف خاتم غامض يمنح الذين يقتنونه قوى هائلة. وعلى فرودو رمي الخاتم في نيران موردون النائية. وتطارد فرودو قوى الظلام التي تطمع في الخاتم لكي تحكم العالم. لذلك تعترض رحلته اخطار لا نهاية لها: هجمات ومكامن ومعارك واعتقالات وفرار.

رسوم متحركة بشرية ـ طوال اكثر من ٤٠ سنة كانت المغامرات المدهشة التي يخوضها فرودو واصدقاؤه تفتن منتجي الافلام. ولكن كيف يمكن جمع كافة المخلوقات الغريبة التي يذكرها الكتاب، والاعمال البطولية الخيالية والمناظر الطبيعية السوريالية (التي تتخطى الواقع) في فيلم؟

منذ اثنتي عشرة سنة، تملك شركة "يونايتد آرتيستس" الحقوق في تحويل القصة فيلماً سينمائياً. وخلال هذا الوقت انفق اثنان من مخرجيها المعروفين قرابة مليون دولار على خلق حوار للقصة من دون تصوير مشهد واحد من الفيلم. ذلك لأن كليهما كانا يخططان لانتاج فيلم ذي موازنة مرتفعة وقصة يمثل احداثها بشر احياء.

وفي العام ١٩٧٥ توصل رالف باكشي، وهو منتج افلام رسوم



لم توضع قبلا اي رسوم متحركة تشبه مشاهد المعارك في هذا الفيلم؛ حيث يتحرك في المعركة الواحدة احياناً ٥٠٠ محارب وحصان.

متحركة، الى اقناع يونايتد ارتيستس بأن الطريقة الفنية الوحيدة الصحيحة لاخراج الفيلم، بموازنة "معقولة"، هي في اعتماد الرسوم المتحركة، ليس بالطريقة التقليدية - رسوم كاريكاتورية ودمى تأتي بالحركات المرتجلة المتقلبة - فالاشخاص والحيوانات والوحوش الخرافية في "سيد الخواتم" يجب ان تتحرك على نحو مقنع كالممثلين في فيلم عادي، لتشكل "لوحات فنية متحركة" كما يصفها باكشي. ويجب ان تكون الخلفيات لوحات مجنحة كما لو ان فنانين عظاماً امثال رمبرانت او بروغل أوحوا بها.

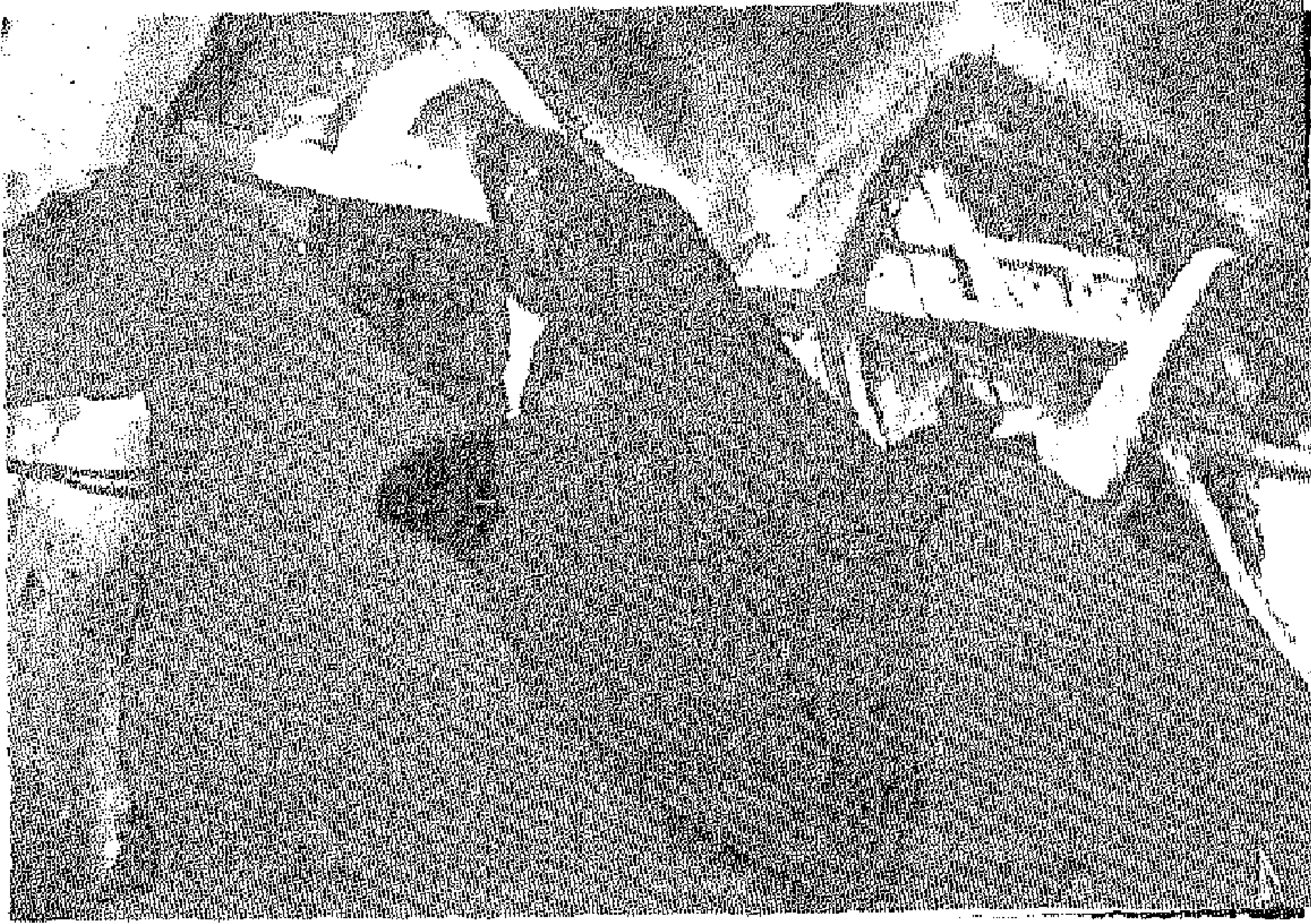
نشر المجلد الاول من ثلاثية تولكين، وهو "جماعة الخاتم"، في العام ١٩٥٤. وسرعان ما صار كتاباً كلاسيكياً رائجاً بين ابناء الجيل الجديد. واعيد طبعه مراراً ونقل الى ١٢ لغة بينها البولونية والفنلندية واليابانية. وهو يعتبر في مصاف الكتب المعاصرة المفضلة القليلة التي تخاطب جيلا من الاجيال مباشرة. وما يلفت، ان اكثر من خمسة ملايين نسخة منه بيعت في الولايات المتحدة وحدها في العام ١٩٧٧.

ونجح باكشي في اثارة اهتمام المنتج سول زينتز بالمشروع. وكان سبق لهذا ان عدل قصة كان اخراجها يعتبر مستحيلا وجعل منها فيلماً سينمائياً ناجحاً، هي "طيران فوق عش الكوكو". فاستوعب تصور باكشي على الفور ووافق على ارصاد ستة ملايين دولار للفيلم.

وكان باكشي في فيلم سابق، وفي بضعة مشاهد، جرب تصوير ممثلين احياء ونقل حركاتهم في رسوم متحركة. الا ان تلك المشاهد كانت اشكالا سوداً جامدة. وظن ان في وسعه صقل الطريقة لخلق شخصيات متحركة ذات ابعاد ثلاثة. فرسم، بقلم رصاص، لوحات للقصة متبعاً الطريقة المعهودة بحيث خصص اطراً لكل مرحلة من مراحل الحركة، وهكذا صور مشهداً عن فرودو. وأدى الدور رجل قصير القامة امتطى حصاناً ابيض على مدرج للطائرات في الصحراء. وصور مشهداً آخر لممثل يمشي في زي ساحر. وكان باكشي يقصد الحركة دون سواها.

وتم تكبير كل اطر هذين المشهدين. ثم رسمت تفاصيلها بالالوان على صفحات شفافة من "اسيتات السيلولوز"، تسمى "سيل". ولدى تصويرها متتابعة على فيلم سينمائي، كل على حدة، وتسليطها على شاشة، خلقت انطباعاً بأن شخصاً أو حيواناً يتحرك على الشاشة. وحين رأى باكشي المشاهد الاولى هذه، سحرته واقعيتها الهادئة.

احياء الاسطورة - انتقل باكشي وزينتز الى تنفيذ ما لم يسبقهما اليه احد: تصوير فيلم كامل بممثلين احياء وحيوانات حقيقية، وتحويله رسوماً متحركة. وجيء بممثلين من انكلترا - لحفظ لهجاتهم من دون صورهم - ونقلوا الى اسبانيا، حيث وجد عدد وافر من الاشخاص الاضافيين والخيل لمشاهد المعارك. وتم تصوير فيلم سينمائي طويل، حوّل بكثير من الجهد والكد رسوماً متحركة. وتوحي عينة من بعض مشاهد الفيلم الجديد، بالابتكار وقوة التعبير اللذين تتسم



هذه النظرة من خلال عين دودة الى "الراكب الاسود" الرهيب الممتطي صهوة جواده المطهم في غطرسة تطمس تقاسيم وجهه، تعطي فكرة عن القوة المسخرة في الطريقة غير التقليدية المعتمدة في الفيلم.

بهما هذه الطريقة للرسوم المتحركة. ويزيد طول الجزء الاول من "سيد الخواتم"، الذي يشمل حبكة "جماعة الخاتم" ونصف المجلد الثاني "البرجان"، على ساعتين. وقوامه اكثر من ١٧٠ الف اطار منفصلة من الرسوم المتحركة، اي بمعدل ٢٤ لوحة في الثانية. وكانت لكل مشهد خلفية منفصلة، فالمشهد كناية عن عدد من الصور المتتالية يجرى تصويرها من الزاوية ذاتها من دون اجراء تغيير في ترتيب آلات التصوير. ورسمت كل حركة على "سيل" منفصل. ويستخدم الفيلم قرابة عشرة آلاف لوحة للخلفية ومليون "سيل" مرسومة وملونة باليد.

ويقول باكشي: "لو اني توقفت لأحسب كل هذه الارقام، لما بدأت هذا الفيلم اطلاقاً".

وها ان المهمة اكتملت الآن، بالنسبة الى الجزء الاول على الاقل. وفي امكان الجمهور الذي يعرف عن كثب مخلوقات "الهوبيت"، و"الاورك"، و"الرينغريث" الرهيبة، و"الانت" الرقيقة، وسواها من الكائنات الخرافية السحرية التي تتحرك من خلال صفحات "سيد الخواتم"، ان يستمتع بهذه الاسطورة المفضلة في بعدها الجديد.


■ ولتر روس

مسرح العبث

كان الطقس بالغ الحرارة فيما راح الممثلون يتمرنون على أدوارهم في المسرحية الغنائية الشهيرة "صوت الموسيقى". وفي فترة الاستراحة خرجت بعض الممثلات، وهن في زي الراهبات، الى مقهى قريب، حيث جلسن وقتاً طويلا من غير أن يكترثن للمارة الذين تحلقوا خارجاً ينظرون الى راهبات خلعن الأحذية ورفعن الأردية حتى الركب، ووضعن أرجلهن على الطاولات ورحن يدخن ويشربن الجعة ويروين قصصاً لا تليق براهبات.

وأخيراً لاحظت "الراهبات" استنكار المشاهدين، فهرعن عائدات الى المسرح.

ل.ب.



كتاب الشهر

حماة الميثاق

ملخص من كتاب بقلم جيمس ميتشنر



حماة الميثاق

ان كتب جيمس ميتشنر ـ هاواي ،العيد المئوي ،ايبيريا ، تشيزابيك ، وكثيراً سواها ـ تباع بالملايين . وهي حوّلت أفلاماً سينمائية ومسرحيات غنائية وتلفزيونية . والى تأليف الروايات ، مارَس ميتشنر نشاطات في حقول السياحة والرياضة والسياسة والشؤون الدولية .

وخلال السنتين الماضيتين ، كرّس هذا الكاتب الامريكي الغزير الانتاج وقته لدراسة جمهورية جنوب افريقيا . وسكب دراسته في رواية صدرت هذا الخريف بعنوان "الميثاق" . وتصوّر القصة حياة جنوب افريقيا ، من مناجم الذهب القديمة في زيمبابوي الى رأس الرجاء الصالح الذي تعصف به الأعاصير ، كاشفة حياة أجيال من الزنوج والانكليز والهولنديين . لكن موضوع الرواية هو عائلة خيالية باسم فان دورن ، والمزارع التي كانت تملكها على شاطىء فريمير (بحيرة الحرية) خارج بلدة فنلو .

وصل آل فان دورن الى الكيب (رأس الرجاء الصالح) عام ١٦٥٤ ، قائدين رحلة بني قومهم في عربات تجرّها الثيران شرقاً عبر المرج المعشب . وكانوا رواداً أشاوس ، يُلهب حماستهم ايمانهم بأن الله أقام عهداً معهم ، مختاراً إياهم ليأخذوا تلك الأرض ويصدّوا عنها كل عدوان . لكن عقبات ضخمة اعترضت طموحهم أواخر القرن الثامن عشر : فقد اصطدم توسّع الافريقانيين (كما بدأ الهولنديون يسمون أنفسهم) شرقاً بالأمم السوداء القوية . وفي العام ١٧٩٥ احتلت انكلترا الكيب .

وكان ذلك بداية قرن كامل من العنف . فقد قام البيض ضدّ السود في بلاوكرانتز ونهر الدم ، كما قام السود ضد السود عندما أعلن شاكا ، مؤسس أمة الزولو ، حرباً قضت على الألوف . وأخيراً

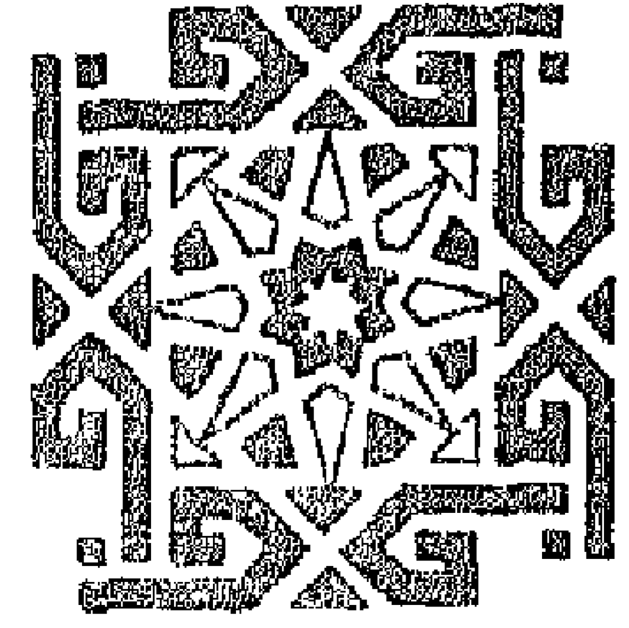
قصة الصراع بين السود والبيض في جنوب افريقيا

قام الافريقانيون ضد الانكليز في حرب البوير (١٨٩٩ - ١٩٠٢).

واحتل البريطانيون، المتفوّقون عدداً، مدن الافريقانيين الرئيسية. إلاّ أنّ هؤلاء أبوا الاستسلام، ونظموا أنفسهم في فرق صغيرة دعوها "المغاوير"، راحت تغزو المناطق الريفية وتضايق البريطانيين بهجماتها المتكررة. وكانت فرقة مغاوير فنلو في إمرة الجنرال باولوس دو غروت، وبين فرسانها ياكوبوس فان دورن، وهو من الجيل الثامن لعائلته في افريقيا.

أما الانكليز فردّوا على الغزو بضرب المزارع التي عاش المغاوير على خيراتها، مضرمين النار في الحقول والمباني، وحاملين النساء والأطفال والزنوج الذين خلّفوهم بلا مأوى الى مخيّمات اعتقال لقي فيها ٢٦ ألفاً (من البيض فقط) حتفهم بفعل المرض وسوء التغذية. وفي مخيّم كريسيسمير فقد ياكوبوس فان دورن زوجته واثنتين من بناته، وعقد أمله كله على ابنه الصّغير دتليف.

في التلخيص الآتي يعطينا جيمس ميتشنر صورة خيالية لحياة دتليف فان دورن وأثر الحرب في طفولته، ثم تربيته والايمان الصارم الذي استمدّه من الكنيسة الهولندية المتجدّدة ونتائج هذا كله في شؤون جنوب افريقيا. ويغدو دتليف تجسيداً للجيل الذي أعطى بلاده شكلها في القرن الحالي، وهو جيل محتشم ومتدين أساساً، لكنه يحمل في جوارحه جرحاً من الماضي وخوفاً تجاه المستقبل. وفي صياغة المبادىء التي اقاموا عليها حكومتهم، توّصل أبناء هذا الجيل الى مجموعة قوانين عرقية عُرفت باسم "التمييز العنصري"، وجاءت صفعة للحرية التي طالما تغنوا بها وخطراً على الأمة التي خلقوها بتضحيات لا تُقدّر.



بدأ عهد الدراسة الفعلية في حياة دتليف فان دورن يوم ارتقى التلة مع شقيقته، آتياً من مخيم الاعتقال في كريسييسمير لرؤية الخراب الذي حل بمنزله. وكان والده ياكوبوس والجنرال العجوز باولوس دو غروت ينتظران في الخرائب. وبعد تحية قصيرة اقتاداه الى منحدر معشب حيث رأى ثلاث شاهدات ضرائح تنتأ من الأرض على مسافات متساوية وتحمل أسماء امه واثنتين من شقيقاته.

وقال له الجنرال: "إياك أن تنسى أن النسوة هؤلاء قُتلْن على أيدي الانكليز".

كان دتليف في السابعة من عمره، وحصل ذلك عام ١٩٠٢.

وسألت اخته يوانا: "أين سنمكث؟" ولم يكن لديها من متاع الدنيا سوى الثياب التي تسْترها. وهذا ما كان يملكه دتليف أيضاً.

وأجاب والدها: "لقد سوينا العربة القديمة". وأخذ ولديه الى تلك العربة الأثرية الصغيرة التي حمل والده تجارت فان دورن عائلته فيها عبر دراكنسبرغ الى ليمبوبو، ثم رجوعاً الى فريمير. وكان ياكوبوس فان دورن والجنرال باولوس أقفلا عجلات العربة الكبيرة وصمماها بحيث تستعمل للنوم. ولكن يستحيل عليها أن تستوعب يوانا وأخاها ورجلين بالغين. وعندما رأى دو غروت نظرات ابنته الحائرة، ضحك وقال: "أنت وأخوك تنامان فوق، داخل العربة، ونحن الاثنين ننام تحتها". وهذا يعني أن والدها والجنرال العجوز ينامان على الأرض تحت العربة.

وسأل دتليف: "أبي، ماذا تفعلان اذا هطل المطر؟"

فأجاب دو غروت على الفور: "لن تمطر". وهي لم تمطر فعلا في الاسابيع الأربعة التي استغرقها بناء سقف فوق غرفة واحدة من منزلهم الريفي المتهدم.

وفي الاسبوع التالي أوقفوا العمل حين صرخ دتليف: "هناك اناس يتقدمون!". ونظروا بعيداً عبر المرج فرأوا رتلا من الناس يتقدم نحوهم. وتناول ياكوبوس بندقيته وقال: "انهم الكَفِيريون" (الشعوب الناطقة لغة البانتو في جنوب افريقيا).

ان مجموعات من السود الذين وجدوا أنفسهم بلا مأوى وغذاء أخذوا يغيرون على مزارع البوير في تلك المقاطعة وسط الفوضى التي أعقبت الحرب. ونهبوا كل ما وقعت عليه أيديهم، معاملين بخشونة كل مزارع حاول الاحتجاج. لكن تلك الجماعة بالذات لم تشكل خطراً. وما لبث دتليف أن صاح: "انه ميكا!".

وعندما شاهد ميكا نكسومالو ثلاثة أفراد من آل فان دورن وواحداً من آل دو غروت، انهمرت الدموع من عينيه. فهو كان يعرف أن غياب أفراد العائلتين الآخرين يعني أمراً واحداً. ذلك أنه كان عائداً لتوه من معسكر اعتقال حيث لم يبقَ له سوى اثنتين من زوجاته الأربع وثلاثة من أولاده التسعة.

وما ان علم دو غروت بمحنة نكسومالو حتى تملكته الكآبة. ورفع ذراعيه بمحبة بالغة نحو صديقه

الفارس وضمه الى صدره وقال: "يا أخي الكفيري"، طالما بقي رب في السماء فلن ننسى ما حلّ بنا معاً. ابق قريباً منا وسنمتطي جيادنا يوماً".

وهكذا عاد نكسومالو وقومه الى أكواخهم في فريمير. وباشروا عملهم صباح اليوم التالي من غير أن يوجهوا أي سؤال حول شروط استخدامهم. لقد استأنفوا العمل كما في الماضي.

وأخذ الجنرال دو غروت يتردد على مزرعة فان دورن لا سعياً الى طعام أو رفقة، ولكن للاشراف على تعليم الفتى دتليف. ومرة قال له: "يجب ألاّ تنسى أنّ جدّ أبيك، وهو من أفضل الرجال الذين ظهروا على وجه البسيطة، اقتيد يوماً الى محكمة انكليزية حين سُمح لشخص كفيري" بأن يشهد ضده". وكان دو غروت، ليلة بعد ليلة، يعرض أمام دتليف الأخطاء التي ارتكبها الانكليز. ولم ينفك عن تكرار العبارة الآتية: "اياك ان تثق بانكليزي. إنّ هؤلاء القوم نهبوا بلدك".

وكان تعليم دتليف شديد الفعالية، معطياً الثمار التي رجاها دو غروت. ومما قاله له: "لقد خضنا، أبوك وأنا، معاركنا معاً، وخسرناها. وأنت ستخوض معارك اخرى، ولكن ستكسبها".

فأجاب دتليف: "أنني اجيد الرماية. ويمكنني أن أصيب انكليزياً". عندئذ ضمه العجوز الى صدره وقال: "لا أحوَجك الله الى هذا. انك ستكسب معاركك بطرق أفضل".

– ما هي هذه الطرق؟

ولمس دو غروت جبين الفتى برفق وقال: "حروبك ستكسبها بالعلم. أنّ الانكليز يعرفون اموراً نجهلها نحن: الكتب، الرسوم، الأفكار الكبيرة. وما عليك إلاّ الذهاب الى مدرسة انكليزية وكشف أسرارهم". وهزّ دتليف رأسه، فتابع الرجل العجوز: "ستكون ألمع فتى رآه المعلم. وعليك بتعلّم اللغة الانكليزية بأسرع ما يمكن، لأنها المفتاح الى أسرارهم".

وأخرج دو غروت صحيفة من جيبه نشرت تقريراً للمندوب السامي الانكليزي ينطبق، من غير قصد، على طبيعة الحرب التي يواجهها البوير الآن:

"اذا كان عدد الانكليز، بعد عشر سنين، هو ثلاثة في مقابل كلّ اثنين من الهولنديين، فسيكون هذا البلد آمناً ومزدهراً. أما اذا عُكست الآية فسنواجه مشكلات لا تنتهي".

وانطلق دو غروت الماكر يشرح بهدوء الخطوة العملية الآتية: "ان الانكليز يبذلون قصارى جهدهم لاستقدام اكبر عدد من بني قومهم واغراقنا في خضم من الكتب الانكليزية والمسرحيات الانكليزية والتربية الانكليزية".

– ولكن ألم تطلب مني أن أدرس اللغة الانكليزية؟

"أجل، أُريد أن تتعلم كلّ شيء. وحبذا لو أخذتَ اللغة الانكليزية بعقلك وحفظت الهولندية في قلبك. لانه اذا جعلك أحد الغزاة يوماً تقبل لغته، فهو يجعلك عبداً له. وهكذا نُهْزَم".

وما ان تفوّه دو غروت بهذه الكلمات المرعبة حتى نهض من مكانه وأخذ يذرع الغرفة الصغيرة ويقول: "لقد هُزمنا، أبوك وأنا". وبصوت

الأسد الجريح تابع: "لكنّ الحرب الآتية سننتصر فيها. أنها حرب الأفكار. وسنشهد، أنت وأنا، اليوم الذي ستغدو الهولندية اللغة الوحيدة في هذه البلاد. ولن يُسْمَع صدى للانكليزية حين يجتمع ذوو السلطان". واشرأبّ فوق دتليف قائلا: "وإنك ستكون مسؤولاً عن ذلك".

طبقات الهلام

غالباً ما نقع في سيَر العظام، من رجال ونساء، على جملَة كالآتية: "كما ينبثق النور، سقطت عليها الفكرة التي نفخت فيها روح الحياة". أما في حال دتليف فان دورن فقد استحال هذا المجاز حقيقة.

وهو أصبح كذلك بفضل علبة من مسحوق الهلام (الجيلاتين) من اوروبا. وعلمت يوانا بوصول الهلام الى محلّ في بلدة فنلو المجاورة، فابتاعت قليلا منه وصنعت للرجال حلوى لها مذاق البرتقال والليمون الحامض. وذات يوم خطر للفتاة ان تضع قليلا من الهلام في كلّ كوب وتدعه يجمد، ثم تصبّ فوقه هلاماً من لون آخر فآخر حتى تحصل على خليط يرضي الذوق والنظر معاً. ونجحت محاولتها نجاحاً باهراً، اذ وضعت في أسفل الكوب طبقة من مسحوق العنب الأسود، وفوقها طبقة تفاح بنية تلتها طبقة حمراء فطبقة برتقالية وطبقة أخيرة صفراء. وجاءت أكواب الهلام عملاً فنياً بديعاً.

وحين دخل دتليف المطبخ، رأى الأكواب موضوعةً على حافة النافذة. وكان هناك كوب منفرد ضربته الشمس، فتألقت ألوانه وبدا كلّ منها كأجمل ما يكون.

ونادى الجنرال ووالده وقال لهما: "انظرا كيف يحافظ كل لون على كيانه من غير أن يلوث اللون الآخر. انه يومض كلؤلؤة". وأشار بإصبعه موضحاً طبيعة الجنس البشري كما قضى بها الله: "في الطبقة الدنيا يأتي السود، يليهم السمر ثمّ الهنود..." لقد ترجم الألوان الى أعراق بشرية: "وفوق ذلك اللون البرتقالي الذي يمثل الانكليز. وفوقها جميعاً الانسان الافريقاني، وهو الاصفى و...".

وقال دو غروت: "هكذا يجب أن تكون الامور".

انّ المعلم الأوّل الذي تتلمذ عليه دتليف في فنلو كان انكليزياً. لكنّ معلماً آخر برز الآن، وهو شاب ذو طابع مختلف تماماً. انه بيت كراوس الذي صرح، في اليوم الأوّل لتسلمه وظيفته، بأنّ عهد التربية الانكليزية انتهى عهده.

وامتطى كراوس صهوة جواده وخرج من فنلو للقاء ابناء شعب فريمير الذين خاطبهم قائلا: "ينبغي أن نقضي على جميع المناطق التي نحن فيها خاضعون. ولن نبقي من اللغة الانكليزية ألاّ على ما يقضي به القانون". وكان يتكلم بقوة جعلت يوانا فان دورن تصغي اليه بجذل، لأنّ كلامه كان عين ما اعتقدته.

ودعت المعلم الجديد ثلاث مرات الى فريمير للحديث معه طويلا. وبعد عودته في إحدى الليالي الى فنلو، قال دتليف مازحاً: "أظنّ أنّ كراوس خسر المعركة". ولم تكترث يوانا لمزاح أخيها الذي سحرته شخصية كراوس خلال زيارته اللاحقة.

وصاح كراوس بحماسة متزايدة: "ما نحتاج اليه في هذا البلد هو نظام ثابت يكون فيه الهنود والملوّنون

والسود كل في مكانه، يطيعون القوانين التي نشترعها نحن. وسيكون الانكليز أنفسهم خاضعين للقانون، ويكون الافريقانيون صانعي القرار".

ولم يتعجب دتليف حين دخل كراوس بعد خمسة أسابيع المطبخ وخاطب الرجال بحدة: "أني ويوانا قررنا الزواج. هناك عمل علينا تحقيقه، وأنا أطلب موافقتكم على اقتراحي". ووافق الجنرال ووالد يوانا، كما وافق أخوها بحماسة فائقة.

وغدت فنلو نموذجاً مصغراً للمجتمع الافريقاني. ووجدت في الجنرال دو غروت بطلا من حروبها الماضية، وفي كراوس معلماً متحمساً أراد إعادة تكوين العالم، وفي دتليف فان دورن مثال الفتى الذي يجسد آمال المستقبل. وبدا، من وقت الى آخر، أنّ جميع قوى ذلك المجتمع تضافرت لتجعل هذا الغلام أشدّ ذكاءً والتزاماً لقضايا بلاده.

وكان بيت كراوس صاحب النفوذ الاقوى في قلب دتليف الذي رأى المجتمع من خلال عيني ذلك الشاب المتقدتين. ورأى كراوس أنّ واجبه الرئيسي هو الحفاظ على المزرعة وبلدة فنلو. وحمل الجميع على متابعة الامور بأشدّ انتباه، وكان على استعداد دائم لتفسير ما يحدث. وفي اليوم التاريخي من العام ١٩١٠، الذي شهد اتحاد المستعمرات الأربع: كيب وناتال الانكليزيتين وفري ستيت وترانسفال الافريقانيتين، تحت قيادة حاكم عامّ ورئيس وزراء ومجلس نيابي، أعلن كراوس بابتهاج: "ها نحن وقفنا على طريقنا. فافرحوا أيها الفِتية، لأنّ أحدكم قد يصبح رئيس وزراء لبلد نال حريته التامة".

وذات صباح فاجأ كراوس تلاميذه حين أعلن لهم: "على كل منكم أن يأتي بوالديه وعربته، وسنذهب الى ووترفال - بوفن لنرى مشهداً رائعاً". ولم يفصح عن ذلك المشهد. الاّ أنه جمع التلاميذ والأهالي كلهم عند الثالثة عصر ذلك اليوم في محطة السكة الحديد في بلدة ووترفال - بوفن. ولدى ظهور القطار الآتي من بريتوريا، حمل وزوجته الأولاد على التصفيق والهتاف بحرارة.

وتوقفت ١٥ عربة غير مسقوفة، مخصصة لشحن الماشية، للرد على التحية. وأخذ التلامذة يحدّقون مندهشين الى وجوه مئات الصينيين الصفر، وهم البقية الباقية من العمال الذين استقدموا من الصين عام ١٩٠٤.

وكان المسؤولون الحكوميون والانكليز الذين أداروا مناجم الذهب ظنوا أنه من الممكن حمل ٥٠ ألف عامل مندفع، كلهم دون الثلاثين، على العمل في أعماق المناجم، من غير ترفيه أو اختلاط بالنساء، لمدة تراوح بين عشر سنين وعشرين سنة. وما لبث اولئك العمال الأحداث أن بدأوا يقامرون، مما روع الكنيسة الهولندية. وعندما أخذوا يقيمون علاقات مع نساء من صفوف السود والملونين والطبقات الوضيعة، صاح الوعاظ من أعلى منابرهم قائلين ان الله سوف يصبّ جام غضبه على الارض.

ثم طلب من جميع الصينيين مغادرة البلاد. وظُنّ أنّ افريقيا الجنوبية ستنفض عنها تلك الشائبة حين يغادرها ذلك القطار الى موزامبيق.

وأوضح كراوس الأمر بالآتي: "لكلّ امرىء على الأرض مكانه الذي ينتمي إليه وفيه يجب أن يبقى. لقد أعدنا الصينيين الى الصين. وعلينا إعادة الهنود الى الهند. والانكليز يجب أن يعودوا الى انكلترا. فهذه الارض ملك للافريقانيين".

ـ وماذا عن الكفيريين؟

"انهم جزء من افريقيا كما نحن جزء منها. غير أنهم أطفال، وواجبنا حمايتهم وحثهم على إطاعة قوانيننا. إنّ الكفيريين سيبقون معنا دائماً، وعلينا معاملتهم باحترام وحزم في آن".

وكان دتليف كلما سمع وعظاً من هذا القبيل، عادت به الذاكرة الى كوب الهلام بطبقاته الملونة، حيث وُضع كلّ لون في مكانه الملائم.

الوقفة الأخيرة

ذات مساء من اغسطس (آب) ١٩١٤، بعد تناول طعام العشاء، أزاح ياكوبوس فان دورن صحنه ونظر الى ابنه. وقال له بلهجة جافة: "لقد حان وقت اتخاذ القرار. دعنا نذهب لرؤية دو غروت".

وسارا الى المزرعة المجاورة حيث وجدا الجنرال العجوز في سريره. وهو كان رجلا متعباً في الحادية والثمانين، تأطّر وجهه الضامر لحية بيضاء طويلة. وكان أحدهم حمل إليه أخباراً مثيرة. وعندما رأى الجنرال العجوز الفتى دتليف يتبع أباه داخل الكوخ، أحس بالحياة تسري في أوصاله من جديد. وقال: "أذاً أنت ذاهب الى الحرب. أني فخور بك حقاً".

وسأل دتليف: "ماذا يقول؟"

ـ يقول انّ الحرب أُعلنت في اوروبا، وانّ المانيا، والحمد لله، تحارب انكلترا. ولا شكّ في أننا سنهبّ لنصرة المانيا أنا وأنت يا دتليف.

وقال الجنرال محذراً: "الرجل الذي يجدر بنا أن نهابه هو ذاك المدعو جان كريستيان سماتس. انه يريد أن يحملنا على خوض الحرب الى جانب الانكليز. فهو يحبّ كلّ ما هو انكليزي: البزات الرسمية، والملك، والناس الذين ينحنون إجلالا له. ويجب أن نبقي أعيننا مفتوحة تجاهه".

وقضوا شطراً كبيراً من الليل يبحثون في الخطط الواجب اتخاذها لضمان وقوف جنوب افريقيا الى جانب المانيا وتصور ما ينبغي فعله بعد أن يحرّرهم النصر الالماني من العبودية.

وكان دتليف قلقاً حيال تلك المسألة. ففي اعتقاده أنّ جان كريستيان سماتس، أحد قادة حرب البوير الذي يحتلّ الآن منصباً رفيعاً في الحكومة، رجل ذكيّ يمكنه تنفيذ الأوامر الملكية بجدارة. ولكن اذا لم يعلن الافريقانيون ثورتهم اليوم، فقد لا يكون في إمكانهم كسب حريتهم على الاطلاق.

وكان الزوار يترددون على الجنرال دو غروت في الامسيات. وهناك تعرف دتليف على زعماء قومه: الجنرال كريستيان دو ويت، الجنرال كوس دولا ري، الجنرال كريستيان بايرز، الزعيم الصارم ماني ماريتز. لكن القائد الذي أحدث أقوى أثر في نفسه كان كريستوفل ستين لما أظهره من بأس لا يلين وأحكام رزينة.

وحمل الاسبوعان الأولان من سبتمبر (أيلول) ١٩١٤ أحداثاً محمومة

باهرة. فقد أرسل باولوس دو غروت سعاة الى المغاوير، طالباً منهم أن يهبوا الى الحرب ساعة يعلن الجنرالات الوقوف الى جانب المانيا. ووضع بيت كراوس كتبه جانباً وانتظر بصبر نافذ بدء القتال. وصعد دتليف، وهو في التاسعة عشرة، الى تلال فريمير، وأخذ يتدرب على استعمال المدفع الرشاش.

وفي ١٢ سبتمبر (ايلول) استهل دو غروت سلسلة اجتماعات بحضور ممثل للقوات الالمانية المسلحة في جنوب غرب افريقيا، أكد فيها للزعماء المحليين أن "كل" شيء تم" إعداده. وباتت الانتفاضة وشيكة. وعهد الى ماني ماريتز في قيادة مغاويره عبر حدود جنوب غرب افريقيا الى المنطقة الالمانية. وطلب من الجنرال بايرز الاستقالة من منصبه الحكومي بعد اصدار ادانة شديدة اللهجة ضد" سماتس. أما الجنرال دو غروت فكان عليه جمع الرجال شمال شرق مقاطعة ترانسفال. وقرر الاستيلاء على بريتوريا والسلطات الحكومية فيها، وبسط سيطرة الالمان من المحيط الاطلسي غرباً الى المحيط الهندي في طنجنيقا (تانزانيا).

وفي ليل ١٤ سبتمبر (ايلول)، اعتلى دتليف صهوة جواده واتجه شرقاً الى فنلو حيث كان صهره جمع ٢٢ رجلا من المغاوير المحليين. وقادوا جيادهم طوال الليل في اتجاه نقطة قرروا اللقاء عندها لبدء الانتفاضة. ومع حلول الصباح، رأى دتليف الرجال حشوداً استعدت للمحاربة من جديد كي تقيم جمهورية في جنوب افريقيا. وصرخ الى كراوس قائلا: "لن يوقفنا شيء بعد الآن!".

وأخذت الضربات تنهال واحدة بعد اخرى. فالجنرال الذي عقدوا عليه أمل قيادتهم، وهو كوس دو لاري، مات برصاصة نابية. وبعد مدة حاول الجنرال بايرز، الذي كان مقيضاً لهأن يخلف دو لاري، الفرار عبر نهر فال فغرق ومات. وأجبر ماني ماريتز على اتخاذ موقف الحياد بعد عبوره الحدود. أما الجنرال دو ويت فطوق مع رجاله وارغم على الاستسلام.

ولم يصدر عن سماتس ادنى خطأ. وحملت القوة الالمانية المغيرة من جنوب غرب افريقيا على التراجع، فيما شلّت حركة الالمان في طنجنيقا. ولم يبق في الساحة سوى باولوس دو غروت وكريستوفل ستين، ضمن مساحة صغيرة في ترانسفال.

وذات ليلة من نوفمبر (تشرين الثاني)، بعد رحلة مضنية عبر المروج، خاطب دو غروت ياكوبوس ودتليف قائلا: "اني أشعر بالتعب". وصُنع سرير للرجل العجوز، كان الاول الذي ينام فيه منذ عشرة أيام. وحاول أن يتفوه بكلمة، لكنه سقط الى الوراء مفارقاً الحياة. وبوفاته بدأت آخر فرقة مغاوير تنحسر. وبذل كريستوفل ستين محاولة باسلة لابقاء الرجال معاً، وهدد بيت كراوس بقتل كل من يحاول الانسحاب.

وقال كراوس: "ان معركة اخرى واحدة، نصراً كبيراً واحداً، كافيان لحمل الالمان على الخروج من موزامبيق والهبوب لنجدتنا".

وأجاب ياكوبوس فان دورن: "ليس فيموزامبيق ألمان". الا أن عناد كراوسجعله ينظم الرجال في وضع لا يستطيعون معه الفرار من غير أن يصابوا بأذى. وفي تلك المناورة أصيب ياكوبوس برصاصة قاتلة.

وبعدما صلى دتليف على ضريح والده، قال: "أظن يا بيت انه خير لنا ان نعود الى البيت".

وكان ذلك من حسن حظهم. ففي اليومالتالي طوقت قوات الحكومة فلول المغاوير واعتقلت كريستوفل ستين. وكان هذا، في اعقاب حرب البوير، قبل وظيفة في جيش جنوب افريقيا وبقي فيها منذ ذلك الحين. لذلك عد خائناً. وفي حين عومل مئات الثائرين الآخرين باللين، الا أن سماتس أصر على احالة ذلك الضابط على المحكمة. وفي يوم مشؤوم من ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٤، قضت المحكمة باعدام ستين. واطلق الافريقانيون، ومنهم كثيرون لم يؤيدوا الانتفاضة، صيحة ذعر مطالبين بحياة ذلك البطل القومي. الا أن سماتس لم يذعن لتوسلاتهم.

وكتب دتليف الى ماريا ستين، ابنة الثائر، رسالة جاء فيها:

"لقد حاربتُ الى جانب والدك، ورأيته في أنبل مواقفه. وستبقى ذكراه حية في خاطري. لقد نُفذ فيه الحكم على نحو خال من العدالة. واذا شاهدتُ جان كريستيان سماتس يوماً، فسأفرغ رصاصة في رأسه".

والحق ان ذكرى ستين ستبقى حية ليس في ذهن ابنته فحسب، بل في ذهن شعب بأكمله يتوق الى أبطال. ان سماتس جعل من ستين شهيداً وفتح جرحاً لا يندمل في قلب الامة الافريقانية.

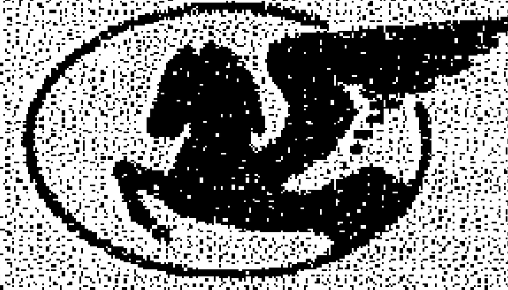
أحبب قريبك

كانت عودة دتليف الى المزرعة

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠ ـ صفر ١٤٠١

المختار

من ريدرز دايجست



كيف نداوي النسـ...

٥٠٪

... العراق الساحرة

... الصراع العنصري في جنوب افريقيا

(ص ١٠٨)

لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٣٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ...٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف ...تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٣د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢٤٥د

AL MUKHTAR min Reader's Digest, D...

اشتركوا اليوم في المختار

ادفعوا ١٢ دولارًا بدلاً من ٢٥ دولارًا
واربحوا جوائز تصل قيمتها الى ٥ آلاف دولار
(عرض خاص يستمر حتى آخر السنة)

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

تملأ القسيمة وترسل مرفقة بشيك مصرفي باسم

AL MUKHTAR min Reader's Digest

يعطى كل مشترك رقماً ويجري السحب على هذه الارقام في تاريخ يعلن في ما بعد وتنشر النتائج في الصحف.

ترسل القسائم الى العنوان الآتي:

مجلة المختار من ريدرز دايجست
شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني
ص.ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.

تعني عودة الى العلم. وبتوصية من القس" بارند برونغيرزما، واعظ فنلو، قبل دتليف في جامعة ستيلنبوش. وكانت تلك الجامعة المرموقة مركزاً للغة الافريقانية تزدهر فيه حماسة دينية متقدة ونظريات قوية حول شؤون جنوب افريقيا السياسية.

ومع نهاية الحرب في اوروبا، أعلنت الجامعة عن سلسلة من أربع محاضرات تتناول المرتكزات الخلقية التي يجب أن تقوم عليها اي حكومة في جنوب افريقيا. واهتم دتليف بالمحاضرات، خصوصاً لأن المحاضر كان القس برونغيرزما.

وفي افتتاح محاضرته الاولى، قال برونغيرزما ان مستقبل الامة يعتمد على الطريقة التي تنظم علاقاتها بالفئات العرقية المختلفة. وعرض المعلومات الآتية:

	عدد السكان الحالي	العدد المقدر للعام ١٩٥٠
ـ البيض	١،٤٥٤،٠٠٠	٢،٧٠٠،٠٠٠
ـ الملو"نون	٥٥٣،٠٠٠	١،٢٠٠،٠٠٠
ـ الهنود	١٦٤،٠٠٠	٣٦٦،٠٠٠
ـ البانتو (★)	٤،٥٩٨،٠٠٠	٨،٦٠٠،٠٠٠

ومن دون تعليق على قوة كل من الفئات الاربع بالنسبة الى الاخرى، طفق المحاضر يعرض موقف الكنيسة الهولندية المتجددة من مسألة العرقية خلال القرنين ونصف القرن الماضيين:

"تحت هداية جان فان ريبيك، مؤسس هذه الامة، مارس البيض والسود العبادة معاً. وهو أمر معقول اذ لم يكن له بديل. وبدأت المشكلات تبرز حين رفض العديد من البيض المناولة من الكأس نفسها التي يتقدم اليها السود. لكن طرقاً متعددة ابتكرت لتجنب تلك المشكلة.

"وفي المجمع المنعقد عام ١٨٥٧، أكد قادة كنيستنا على أن يسوع المسيح (عيسى عليه السلام) شاء ان يؤدي المؤمنون به فروض عبادتهم كجماعة واحدة. "ولكن اذا كان ضعف البعض يقتضي انفصال الجماعة، فليذهب القوم الآخرون الى مكان منفصل ومؤسسة مستقلة".

"ونتيجة لهذه الضغوط التي دامت قرنين، نشأت خطة تقضي بأن تكون هناك مبان ومؤسسات كنسية مختلفة، بعدد الفئات العرقية. واصبح للملونين والبانتو كنائس خاصة بهم تمكنهم ادارتها كما ترتضي اذواقهم، لكنها كانت متحدة جميعاً في أخوة المسيح".

ووردت في محاضرته معلومات وآراء كثيرة اخرى، لكنها خلفت انطباعاً بأن الكنيسة المسيحية واحدة وغير منقسمة، وأن الملونين والبانتو فضلوا ان تكون لهم كنيسة خاصة، وأن انقسام الكنيسة الراهن امر قضاه الله تعالى وباركه المسيح، وهو قابل للتطبيق على نحو بارز في مجتمع تعددي.

واقتصر الجزء الاكبر من محاضرة القس برونغيرزما الثانية على تعاليم العهد الجديد وطبيعة كنيسة المسيح على الارض. واستهلها بالآتي: "اذا كنا نعيش على أرض متعددة الاقوام: فان كل" مسألة نواجهها تثير مشكلات يمكن ان تتجاوزها الامم الاكثر تجانساً. أما نحن فلا يمكننا تجاوزها. وان معالجتنا لهذه المشكلات العرقية تقرر طبيعة وجودنا". ثم قرأ مقطعاً من انجيل متى:

(★) تجنب معظم سكان جنوب افريقيا المثقفين عبارة "كفيري" السلبية، وأبدلوها بعبارة "بانتو" الغامضة التي تصف لغة، لا قبيلة او قوماً.

"يا معلم، اي وصية هي العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع: "تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الاولى والعظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك".

(متى ٢٢: ٣٦ - ٣٩).

وانطلق برونغيرزما من هنا الى مقطع شريف آخر قال انه مفتاح جميع محاضراته، وعليه ينبغي ان تتبنى امة تخاف الله:

"جَسَدٌ واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. ربٌّ واحد، ايمان واحد، معمودية واحدة. اله وآب واحد للكلّ الذي على الكلّ وبالكلّ وفي كلكم"

(أفسس٤: ٤ - ٦).

وقال برونغيرزما: "ان روح يسوع المسيح تسكن في قلب كلّ رجل وامرأة وطفل في هذه البلاد، من غير تمييز بين أبيض واسود، ملون وهندي، امرأة ورجل، انكليزي وافريقاني. كلنا واحد في يسوع الذي يحبنا بمساواة ويرعانا بعدالة".

وأبدى المستمعون تململا حيال هذه العقيدة المتطرفة. وحين انهى برونغيرزما محاضرته مصراً على ان المسيحية تحث اتباعها على تطبيق هذه المبادىء الاساسية في حياتهم الخاصة والعامة، وخصوصاً في تنظيم مجتمعهم، قامت بين المستمعين جلبة تدل على عدم الرضا. لكنه غادر المنصة ببطء وشموخ ودونما اكتراث.

نظام ام حرية؟

بعدما اعتلى القس برونغيرزما المنبر بجرأة لالقاء محاضرته الثالثة، لم يلبث ان خاطب المستمعين بالآتي: "لنحكم حسناً يجب أن نحكم بعدل، ولنحكم بعدل يجب ان نحكم بحكمة. ترى ماذا يطلب منا المسيح؟" واختار مقطعاً غامضاً وعشوائياً يستعصي فهم مناسبته على شخص من خارج جنوب افريقيا:

"ولما حضر يوم الخمسين، كان الجميع معاً بنفس واحدة. وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كلّ البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كلّ واحد منهم. وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة اخرى كما اعطاهم الروح أن ينطقوا. وكان يهود اتقياء، من كلّ أمة تحت السماء، ساكنين في اورشليم. فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحير، وكلّ واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته (أعمال الرسل ٢: ١ - ٦).

ترى كيف تمكن اقامة سياسة أمة على هذا؟ واوضح برونغيرزما النصّ بالآتي: ان الله خلق الناس اخوة، لكنه سرعان ما قسمهم جماعات متميزة، مرسلا كل فرد الى قومه ومانحاً كلّ امة كياناً مستقلا. وهنا اطلق برونغيرزما صوتاً كهزيم الرعد، قارئاً المقطع الآتي:

"فرتيون وماديون وعيلاميون، وساكنو ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتُس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية التي نحو القيروان، ورومانيون مستوطنون وكريتيون وعرب، نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله" (أعمال الرسل ٢:٩ - ١١).

لقد شاء الله ان يكون الناس اقواماً مختلفة ليحتفظ كلّ قوم بخصائصه المميزة. وقال برونغيرزما أنه لو وجدت جنوب افريقيا زمن كتابة سفر "اعمال الرسل" لانتهى المقطع كالآتي: "كريتيون وعرب،

فريقانيون وانكليز، ملونون وآسيويونخوشا وزولو ـ كلّ منهم يتكلم لغته".

وعندما سمع دتليف هذا المقطع اطبق فكيه بدهشة. لقد وردت الاسماء المحلية في السياق نفسه الذي ظهر في كوب الهلام الملون، دالة على عالم خاضع للنظام، حيث الاقوام مختلفة ومستقلة، ولكل منها مكانه الخاص.

وفي محاضرته الاخيرة، قرأ الواعظ مقاطع مدهشة من العهد القديم، مذكراً بني قومه الافريقانيين بواجباتهم نحو الله، مفتتحاً الكلام بأن جماعته الافريقانيين هم من مختاري الله لأن الله تعالى يقول هذا:

"فالآن ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فان لي كلّ الارض" (خروج ١٩:٥).

وسأل برونغيرزما: "ماذا يعني أن تكونوا خاصة الله؟" وأعطى الجواب من مقطع مدوّ في سفر اللاويين:

"وقلت لكم ترثون انتم أرضهم وأنا أعطيكم اياها لترثوها أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، أنا الرب الحكم الذي ميزكم من الشعوب" (لاويين ٢٠:٢٤).

وقال برونغيرزما: "انه لحق أن تتميزوا، اذ ان لكم مهمات خاصة تؤدونها، وهي أن تحكموا بالعدل بين الناس". ولكن هل كان يجدر بكنيسة البيض أن تمنع السود من ممارسة شعائر العبادة فيها؟ أجاب برونغيرزما أن الكنيسة كانت على حق، مؤيداً رأيه بسفر "تثنية الاشتراع": "حين قسم العليّ للامم، حين فرّق بني آدم، نصب تخوماً لشعوب" (تثنية ٣٢: ٨). وأضاف:

"وفي ذلك اليوم لا يكون بعد كنعاني في بيت ربّ الجنود" (زكريا ١٤: ٢١). وقال: "اننا متميزون. ان كلاّ منا عظيم على طريقته. لقد اعطى الله كلا منا مكانه المناسب وواجباته الصحيحة، وعلينا أن نكون كما شاء الله لنا. ولكن سأنهي حديثي بكلمات يسوع المسيح التي بها افتتحتُ: "تحبّ الربّ الهك، وتحت قريبك كنفسك".

في تلك المحاضرات الاربع، وهي من أهم المحاضرات التي القيت في جامعة ستيلنبوش، افصح برونغيرزما عن التحدي الذي يواجه اي دولة دينية: كيف يمكن بناء مجتمع يجسد نظام العهد القديم وحرية العهد الجديد؟ أما دتليف فان دورن فلم يسمع سوى الشق الاول من هذا السؤال.

طريقة أفضل

في صفحة الكتاب المقدس البيضاء المخصصة للتواريخ العائلية، سجل آل فان دورن ما يأتي: "ان دتليف فان دورن وماريا ستين، ولدي اثنين من أبطالنا، تزوجا في ١٤ مارس (آذار) ١٩١٩".

لم تكن ماريا ستين، ابنة القائد الذي أعدم على يد سماتس، فتاة جميلة، بل كانت سمينة مثل والدها، وكان شعرها مشدوداً الى الوراء على الطراز القديم. لكن اخلاقها الفاضلة كانت تنتشر في كل الجهات، وهذا جعل دتليف يهيم بها. وقال له القس برونغيرزما: "انها شابة صالحة... انها بطلة في ذاتها".

في العام ١٩٢١ بلغ دتليف السادسة

والعشرين، وأصبح والداً لصبي قوي وسيداً على مزرعة نامية. وحين نشرت صورته في صحيفة، اظهرت مزارعاً ممتلىء الجسم بقدميين متباعدتين وحبل ملفوف حول بطنه الواسع، من غير ان يكون له عنق اطلاقاً. لم يكن هناك فاصل بين أسفل اذنيه وكتفيه. وحين كان يقف الى جانب ثيرانه الثقيلة، كان يبدو مشابهاً لها.

وفي تلك الاثناء، كان بيت كراوس حصل على وظيفة حكومية في جوهانسبورغ، هي الاشراف على العمال في مناجم الذهب. ولدى عودته الى فنلو زائراً، لاحظ دتليف حماسته حيال مهماته الجديدة.

وفي سيل عنيف من الكلمات، اوضح كراوس كيف غدت المدينة النامية مركزاً رئيسياً للبلاد: "ان المعارك الحقيقية تخاض هناك". واصر على أن يعود دتليف معه ليشهد بنفسه صراع العامل الافريقاني ضد ربّ العمل الانكليزي والرأسمالي، وخصوصاً ضد عمال البانتو.

وكانت تربية دتليف حتى ذلك الوقت رومنطيقية: الجنرالات القدامى يخوضون معارك خاسرة. لكن تربيته الواقعية باتت وشيكة. وهو اكتسبها اول الامر في ذلك القطاع من جوهانسبورغ المسمى فريديدورب، حيث تجمع آلاف المزارعيين الافريقانيين على اثر طاعون حل بماشيتهم وقحط شديد. وتوقف الزوار عند بيت صغير تحتله عائلة تروكسل: رجل طويل ناحل يفضل العودة الى المرج وزوجة عجفاء مهملة وأطفال جياع.

وقال بيت: "غداً نرى ما هو وراء الجوع". وفي اليوم التالي أخذ دتليف الى قاعة للعمال حيث قامت جلبة قوية حول القوانين الجديدة التي أعلنتها مصلحة المناجم. وقال أحد المحرضين: "انهم خفضوا نسبة العمال البيض". وكانت العادة في حقول الذهب أن يؤخذ عامل أبيض واحد بين ثمانية عمال من البانتو. "أما الآن فيريدون أخذ عامل ابيض ني م" بل عشرة عمال بانتو. وهذا يعني اضطهاد الافريقانيين".

وكانت بلدة فوردسبورغ، وهي مقاطعة بالقرب من فريديدورب تسكنها طبقة عمالية، حصناً قوياً للمضربين. وهناك أخذ دتليف الى سقيفة مخفية كان مزمعاً أن ينعقد فيها مؤتمر للعمال. وتمّ اجتماع بين الافريقانيين المتطرفين والعمال الذين استقدموا من مقاطعة كورنوول الانكليزية للقيام بأعمال وضيعة في قاع المناجم، بحضور ثلاثة من اليساريين الانكليز "هذه المرة سيسيل الدم. فهل ستؤازروننا؟"

تلك الليلة لم يذق دتليف طعم النوم، بل كان يرى تلك الوجوه الضئيلة ماثلة أمامه. فهو كان يدرك معنى المجاعة. وفجأة اخبر بيت ويوانا أنه قرر العودة الى البيت. وعندما اتهماه بأنه يرفض شعبه، قال لهما مؤكداً: "انني عائد الى هنا".

وهو عاد فعلا مع ثلاث عربات محملة بالطعام الفائض الذي امكنه الحصول عليه من فنلو. وقاد العربة الامامية بنفسه، بينما قاد ميكا نكسومالو العربة الوسطى وموسى، ابن ميكا، العربة الخلفية. وحملوا

الطعام الى وسط فريديدورب حيث وزعوه. وكاد أن ينشأ شغب في صفوف الناس.

وكان لتلك الزيارة نتيجة جانبية لم يقصدها دتليف ولا بيت. ذلك أن ميكا الذي تركت العربات الثلاث الفارغة في عهدته، أخذها الى قطاع من جوهانسبورغ يدعى سوفيا تاون احتشد فيه بنو قومه. وحين عاد ميكا ليخبر دتليف عن المكان الذي ذهب اليه، قرر هذا ان يرافقه ليرى كيف يعيش المزارعون السود.

وكانت سوفيا تاون ظهرت الى الوجود قبل عشرين سنة. وهي صممت أساساً كضاحية للبيض، لكن هؤلاء رفضوا بشدة الانتقال اليها بعد انشاء شبكة مجار قربها. وكانت الرحلة الى سوفياتاون، بالنسبة الى دتليف، اشبه برحلة الى الجحيم. فلم يكن في البلدة شوارع ومياه جارية، وكان عدد المنازل الصالحة قليلا جداً. وكان سكان البلدة خليطاً من البغايا وقطاع الطرق الاحداث والامهات المحتشمات اللواتي يحاولن حماية منازلهن في وجه الكوارث الطبيعية فيما ازواجهن يعملون بين عشر ساعات و١٢ ساعة يومياً ليحصل الواحد منهم على اجر بخس لا يتجاوز العشرين بنساً.

ونظر دتليف الى سوفياتاون فرآها بمثابة قرح كالح خبيث يهدد بالانتشار الى الجزء الابيض النظيف من المدينة، ممتداً في جسد المجموعة الافريقانية. وصعق حين عرف انه في امكان السود امتلاك الارض هناك، مما يعني انهم يستطيعون الاستقرار في المنطقة اذا شاؤوا. وقال في نفسه: "انه دمل مستور يجب أن يُفقأ".

وغادر دتليف سوفياتاون مدركاً ان السود كانوا متعطشين الى رفع شأنهم، وأن ذلك لا يتم الا على حساب الافريقانيين البيض. ووجد ان تروكسل وسواه من عمال المناجم البيض على استعداد للتعبير عن قضيتهم بقوة، وهي تقول بتفوق الانسان الابيض: "لقد شئنا أن تكون هذه الامة بيضاء يديرها البيض، لا سوداء يديرها السود".

ولم يستطع دتليف ان يصور لنفسه أن تلك الحشود السوداء في سوفياتاون قادرة على ادارة اي شيء. وحين أعلن اصحاب المناجم العتاة قوانين جديدة من شأنها طرد ٢٠٠٠ موظف ابيض من عملهم، عرف دتليف ان الامر لن يمرّ من غير اضراب.

وأدى ذلك التدبير الى معركة اعظم من انتفاضة ١٩١٤ المؤيدة للالمان وقف فيها العمال البيض يحاربون من أجل البقاء وأصحاب العمل يحاربون من أجل وضع ايديهم على الشؤون المالية، بينما وقفت الحكومة، بقيادة جان كريستيان سماتس، تحارب من أجل استمرار النظام الاجتماعي.

تلك كانت معركة حقيقية. وفي أحد المنعطفات شاهد دتليف ١٦ مدنياً وقد حصدهم مدفع رشاش. ونسف مبنى حكومي وقتل ١٤ جندياً. وفي يوم رهيب حلق تشكيل من الطائرات فوق المدينة والقى قنابل على العمال المحتشدين.

وبلغ عدد الوفيات ٥٠، ثم ١٠٠، ثم ١٥٣، فيما كان الطعام يتناقص والمباني تحرق عمداً. وسرت أخبار عن قطع المياه، وكان الاطفال في

١٢٥ مليونًا

العبها واربح معها

أضخم يانصيب
من نوعه في أوروبا
يفتح أمامك
فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون ، لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ:

- عدد البطاقات المبيعة ٤٠٠ الف فقط ،
- من هذه البطاقات، هناك ٢٠٠٤٨٥ بطاقة رابحة حتما ،
- كل بطاقة ثانية تشتريها تحمل معها جائزة ،
- الربح الاجمالي هو ١٢٥،١٣ مليون مارك الماني ،
- هناك خمس جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك ،
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك ،

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" أسس قبل ٣٥٠ سنة ،

ولاكثر من ثلاثين سنة، جعل من أمثالك أصحاب ملايين ، ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة ،

هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث أن ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم ، وغني عن القول ان المارك الالماني هو من أقوى العملات العالمية رسوخا ،

الضمان

ان دفع هذه المبالغ مضمون في الدورة الواحدة (نصف عام)

١ × ١،٥ مليون	= ١٥٠٠٠٠٠ مارك
٥ × ١ مليون	= ٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ١/٢مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٤ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠مارك	= ٦٠٠٠٠٠ مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠م	= ٩٠٠٠٠٠ مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠م	= ٨٨٠٠٠٠ مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠م	= ٧٨٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٠٠٠٠م	= ٦٠٠٠٠٠ مارك
٣٠٢ × ١٠٠٠٠م	= ٣٠٢٠٠٠٠ مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠م	= ٢٢٠٠٠٠٠ مارك
١٦٨٠ × ٢٠٠٠م	= ٣٣٦٠٠٠٠ مارك
١٣١٢٠ × ١٠٠٠	= ١٣١٢٠٠٠٠ مارك
١٨٤٨٠٠ × حتى ٨٠٠م	= ٨٥٠٤٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٤٨٥ جائزة مجموعها	١٢٥١٣٠٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا ، وهي معفاة من الضرائب الالمانية ، لكن الشركة ، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام ، وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة او اكثر ،

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة ، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخص لها حكوميا ، ويجري السحب علنا وقانونيا ،

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

الرجاء اضافة المبلغ المذكور ادناه لتغطية نفقات البريد، والاجور المصرفية

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحوبات عدة على البطاقات نفسها تجرى خلال نصف سنة، بمعدل سحب واحد كل يوم سبت ويتم ارسال النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة، مرفقة بمعلومات وافية وجلية، تمشيا مع تقاليدنا في المعاملة.

ويمكن أن يأخذ الشاري بطاقة كاملة او نصف بطاقة أو ربع بطاقة، فيكون نصيبه في الربح جائزة كاملة أو نصف جائزة او ربع جائزة ، وتتساوى جميع الارقام في الحظ ،

يانصيب في متناول الجميع!
بسيط مثل لعبة أطفال!

- يمكنك طلب بطاقة بملء القسيمة في اسفل الصفحة، او بكتابة رسالة الينا من غير قسيمة، محددا فيها طلبك ،
- عليك أن ترفق الطلب بالمبلغ المحدد، على أن يكون حوالة مصرفية أو بريدية او شيكا خاصا او حوالة مسافر أو حتى نقدا ، وفي الحال الاخيرة، يفضّل ايداع الرسالة البريد المضمون ،
- في المقابل ستستلم بطاقتك مع المعلومات المرافقة ،
- كذلك ستستلم لائحة دورية بالارقام الرابحة ،

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية ،
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك ،

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية ، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين ، فهذا من حق صاحب العلاقة وحده ،

خدمة حول العالم

اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان ،فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة ، والرجاء ، في هذه الحال ، أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا ، او أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة ،

لا تنتظر - اطلب بطاقتك الان!

عدد البطاقات الاجمالي محدود ، والافضل ان تحجز بطاقتك فورا ،

نعم! لقد وافقت على أن ألعب لعبة الـ١٢٥ مليونا ،

	مارك الماني	دولار امريكي	جنيه استرليني
☐ بطاقة كاملة	٦٠٠	٣٥٣	١٦٠
☐ نصف بطاقة	٣٠٠	١٧٧	٨٠
☐ ربع بطاقة	١٥٠	٨٩	٤٠
☐ بطاقة الحظ السعيد	٦٠٠	٣٥٣	١٦٠

(أربعة أرباع ذات ارقام مختلفة)

الرجاء اضافة المبلغ المذكور ادناه لتغطية نفقات البريد والخدمات المصرفية وما اليها:
٢٤ ماركا او ١٤ دولارا او ٧ جنيهات استرلينية -

اذا تم الدفع بغير الدولار الامريكي أو المارك الالماني أو الجنيه الاسترليني، فستعتمد قيمة العملة المحولة يوم تسلّم الرسالة ، المبالغ المحددة تشمل ثمن البطاقة خلال سحوبات دورة كاملة، أي نصف سنة، والمبلغ الاضافي يشمل جميع المصاريف الاخرى طوال هذه الفترة ،

جميع الحوالات توجّه باسم: W. GREGOR, Postfach 11 90 20, D-6000 Frankfurt/M.

☐ طيّه حوالة بقيمة مارك الماني/ دولار امريكي/ جنيه استرليني ،
☐ سادفع المبلغ فور استلامي البطاقة (أو البطاقات) التي طلبتها ،

الرجاء ارسال المعلومات المتعلقة بهذا اليانصيب باحدى هذه اللغات الى العنوان الآتي:

Mr./Mrs./Miss

Street address (or P.O.Box-No.) City (Postal code No.)

Country

الرجاء الكتابة بالاحرف الكبيرة أو الطباعة على الآلة ،

الشوارع يسقطون بالرصاص الطائش.

وسأل دتليف: "لماذا يقتل الافريقانيون بعضهم بعضاً؟" وأجاب تروكسل مدمدماً: "لأن الافريقانيين شاؤوا أن تبقى هذه الامة بيضاء".

كان تروكسل رجلا باسلا. وحين انذر الجنرال سماتس الاهالي بأنه سيقصف فوردسبورغ، رفض تروكسل اجلاء عائلته. وتمتم قائلا: "الرصاص ليس بشيء". ولكن حين بدأت شظايا المدافع تنهمر كي تدك الحصون، أخذ تروكسل يرتجف. وراح دتليف يهدئ من روع اطفاله من غير ان يصدق ان الحكومة كانت تفعل ذلك. وجعله استمرار القصف يقول في نفسه: "هذا هو الجنون. يجب ان تكون هناك طريق أكثر تعقّلا".

الأُخُوّة

عام ١٩٢٣، انضم دتليف الى الـ"برويدربوند" (الاخوة)، وهو تنظيم سري يهدف الى تحقيق تفوق الشعب الافريقاني. وبعد ثلاث سنوات من العمل الدؤوب، أراحه ان يرى أن جميع المدرسين في قطاع واسع من البلاد اصبحوا من الافريقانيين. وعين مئة موظف جديد في مصلحة السكك الحديد كانوا كلهم افريقانيين. وقدم بيت كراوس اقتراحاً أمام اجتماع شامل لمنظمة "برويدربوند" في بريتوريا يدعو الى انتهاج سياسة للسيطرة الافريقانية على جميع مرافق البلاد الرئيسية.

ومما جاء في تقرير كراوس: "دعوا الانكليز يتسلمون المراكز الامامية الكبيرة، وسنأخذ نحن الوظائف غير المنظورة وغير الجذابة وذات الرواتب الضئيلة". ومن عناصر هذه الخطة الرئيسية اكثار المراكز الادارية الصغيرة: "حيث تكون حاجة الى رجل واحد، دعونا نعين ثلاثة. وسواء أكانت هناك حاجة الى موظف او لم تكن، فلنخلق وظائف اكثر ونضع بين شروط التوظيف العبارة الآتية: "على المرشح أن يعرف لغتين". وهكذا نطوقهم بجماعتنا الى حد الاختناق".

وبانتهاء الثلاثينات، بات موقف كراوس السياسي اكثر تطرفاً. وبعد رحلة الى المانيا صرح بتبني سياسة هتلر العنصرية. وعلى رغم أن جنوب افريقيا صوتت على نحو محدود للانضمام الى الحلفاء، الا أن كروس لجأ الى العنف والارهاب خفية عن الشرطة، ونظم فرقاً ارهابية شنت هجمات سرية على الجيش ومنشآته ومخيمات التدريب. وهوجم الموالون للحلفاء وقتل بعضهم، ولا سيما الشباب الافريقانيين الذين عدوا خونة. وعلى رغم صيحات التحذير وعدم الرضا التي اطلقها القس برونغيرزما، فان كراوس استمر في اعماله وقتل في احدى المعارك. وقد بقيت يوانا كراوس، شقيقة دتليف، تعين زوجها حتى النهاية.

من ناحية أخرى، كانت ماريا ستين فان دورن ترى، ككثيرات من بنات قومها، استحالة قيام مصالحة مع الانكليز. لقد اهلك افراد عائلتها في مخيمات الاعتقال وقتل والدها بتهمة الخيانة. غير أنها لم تشجع دتليف على الاشتراك في النزاع المحلي. وكانت صلواتها موجهة ليس من أجل انتصار الالمان بل من أجل انكسار الانكليز، متمنية أن يصاب جان كريستيان سماتس بسوء بالغ.

ووقف آل نكسومالو مرتبكين. ولم يتغير رد فعلهم كثيراً عما كان خلال حرب البوير. وأذهلهم أن يكون سكان جنوب افريقيا البيض لجأوا الى العنف بعضهم ضد بعض دونما اكتراث الى ان غالبية الناس المعنيين هم من السود. لكنهم وقفوا موقف استسلام بالنسبة الى النتيجة، يعبر عنه قول ميكا العجوز في نهاية حياته الطويلة: "أيا يكن الرابح، فنحن خاسرون".

وفي العام ١٩٤٦، حين عاد دتليف وماريا مزارعين هانئين في فريمير، منحت الـ"برويدربوند" دتليف وظيفة في لجنة الشؤون العنصرية. وكانت اللجنة آنذاك منظمة تافهة الى حد أنّ دتليف تسلم منصبه من غير ان يشار الى ذلك في اي صحيفة.

وبعد سنتين أخفق جان كريستيان سماتس في الانتخابات، بينما حقق الرجال الذين اعتقلوا خلال الحرب لتأييدهم هتلر نجاحاً باهراً. واستقل دتليف وماريا القطار الى كيب تاون حيث قررا مباشرة العمل الشاق، الى جانب اكثرية في مجلس النواب، من أجل اعادة تنظيم البلاد.

وكان اول ما فعله دتليف تنغيص حياة الموظف الذي يعلوه رتبة، وهو أمين عام لجنة الشؤون العنصرية، الى حد حمله على الاستقالة. وبعد بضعة أسابيع استقال الموظف الانكليزي، وكان ذلك بداية للنزف الذي طهّرت بعده دوائر الدولة حتى غدت افريقانية برجالها وعقليتها.

وبتولي دتليف ذلك المنصب، اصبحت اللجنة على استعداد لتطويع جميع عناصر المجتمع بالقوة. وكان على فان دورن وضع الخطوط الاولية لتلك الخطة ومن ثم تحويلها الى مبادىء عملية ثابتة. وعمل بلا كلل في هذا النطاق. وكان باديء الامر موظفاً مغموراً. ولكن ما ان ظهرت انجازاته حتى غدا بطلا قومياً مرموقاً في مجال حماية شعبه.

وعلى غرار جماعة "المتطهرين" المتزمتين اينما وجدوا، بدأ دتليف عمله الاصلاحي في نطاق الجنس. وجاء مبدأه الاول بسيطاً: "لا يحق لاي شخص ابيض، ذكراً كان ام انثى وبغض النظر عن مركزه، الزواج بشخص غير أبيض". واذا حاول أن يفعل ذلك القي في السجن. واذا تزوج فعلا على هذا النحو عد زواجه باطلا.

وانطلق دتليف من هذا المبدأ الى احياء قانون قديم ينص على اعتبار العلاقات الجنسية بين شخصين من اي لونين مختلفين جريمة. وانتقل بعد ذلك الى اشتراع قوانين تحظر الاختلاط بين البيض وغير البيض في الامكنة العامة مثل المراحيض والمطاعم والحافلات وسيارات الاجرةوالمصاعد ومكاتب البريد وارصفة المحطات وحتى مقاعد الحدائق العامة. وطلب ذكر اسماء الفئات التي يمكنها استعمال كل من هذه المنافع. وانتشرت في البلاد لوحات وعلامات تقول: "للبيض فقط".

وأعان دتليف انصاره في مجلس النواب على المصادقة على قانون يمكن الحكومة من تقسيم البلاد، وخصوصاً كل مدينة بمفردها، قطاعات يخصص كل منها لفئة. واقتضى الامر اجلاء السكان غير البيض عن الاوساط الصناعية وقصرها

"رحلة طيبة جدًا على طول الطريق."

هذا تقرير حقيقي ومعتمد لأحد الركاب



Lufthansa

الخطوط الجوية الالمانية

على البيض، ومنها مساحات كبيرة في كيب تاون كان يحتلها الملونون الذين اجبروا على النزوح الى قطع ارض خصصت للبناء في منطقة كيب فلاتس المعرضة للريح. وقرر حصر البانتو في أماكن واسعة خارج حدود المدن المخصصة للبيض، شرط أن يكون بقاؤهم هناك مرتبطاً بالخدمات التي يقدمونها الى البيض.

وكان هناك عدد كبير من النواب، خصوصاً بين صفوف المعارضة، لم يدروا بوجود دتليف لانه لم يظهر قط في الواجهة. لكن الضغوط الدائمة واحتفاظه بوظيفته في حين فقد الآخرون وظائفهم جعلته يكسب، مع الوقت، نفوذاً أقوى مما يسمح به مركزه.

انتفاضات

في العام ١٩٥١ توصل دتليف الى حل" للعقدة المزعجة التي كانت تلازم الملونين. فهم لم يكونوا ينتمون الى عرق واحد: الابيض او الاسود او الملايي او الهندي او الهوتنتوتي، ولا الى دين واحد. فبعضهم كان مسلماً. ولم تكن لهم ارض خاصة، بل عاشوا في كل مكان. ولذا كانوا غير محددين فلا يجوز تجاهلهم.

وقالت يوانا: "انهم هجناء (آباؤهم وامهاتهم من اعراق مختلفة). واتمنى أن يكون في وسعنا تطهير البلاد منهم كما طهرناها من الصينيين".

ووافق دتليف قائلا: "انهم حقاً اولاد الخطيئة. وهم يشكلون عثرة بالنسبة الى الذين يخافون الله، ويذكروننا بتجاوزات آبائنا".

وعلقت ماريا: "ليس بخطايا آبائنا... فالذين توقفوا هنا كانوا بحارة نزلوا من سفنهم".

وردد دتليف: "أجل، انهم البحارة". وعقد العزم على أن يفعل شيئاً وهو يفكر في تلك اللطخة على جبين امته.

حين اسست بريطانيا الاتحاد عام ١٩١٠، ضمنت الدستور مادتين مهمتين لا يمكن تعديلهما الا بموافقة ثلثي الاعضاء في مجلسي النواب: المادة ١٣٧ أعلنت اللغتين الانكليزية والهولندية (الافريقانية لاحقاً) لغتين رسميتين متساويتين من حيث المرتبة، والمادة ٣٥ منحت الملونين حقاً دائماً في التصويت في مقاطعة الكيب.

وعلى رغم القانون المقيت الذي يحرم الملونين حق ترشيح انفسهم للانتخابات النيابية، الا انهم كانوا يصوتون الى جانب البيض. وفي العام ١٩٤٨، انصبت اصواتهم، وعددها خمسون الفاً، تأييداً لحزب سماتس. وفي سبع دورات حاسمة، شكلت اصواتهم هزيمة للمعارضة. لقد اصبحوا قوة متعاظمة، وبات ضرورياً حرمانهم حق التصويت.

وكانت تلك الخطوة شاقة، اذ لا اجماع عليها، وشغلت اهتمام دتليف طوال خمس سنوات. واصدر مشروع قانون لتجريد الملونين من حقوقهم. واخفقت المحاولة الاولى لتحويله الى قانون بعدما رفضته المحكمة العليا بحجة انه غير دستوري. عندئذ لجأ دتليف الى وسائل اخرى. وفي العام ١٩٥٦، بعد احداث مقاعد جديدة في مجلس الشيوخ ومضاعفة عدد اعضاء المحكمة العليا، اقر ذلك القانون.

ولم يكن غريباً ان تظهر بوادر

استنكار لتلك التدابير. وفي العام ١٩٦٠ اصبحت البلاد على وشك الانقسام حين اطلق رجال الشرطة وابلا من الرصاص على شاربنفيل، وهي مدينة يسكنها السود بالقرب من نهر فال.

وتضخمت حملة الاحتجاج التي قادها السود ضد القوانين المقيدة لحريتهم، كما ازداد القمع من جانب البيض. ووضع البرت لوثولي ـ الذي منح جائزة نوبل للسلام بعيد ذلك ـ خمس سنوات في الاقامة الجبرية داخل مقاطعته. وانقض رجال الشرطة بهراواتهم على النساء السود اللواتي كنّ يمشين في تظاهرات احتجاج. وفي ترانسكي وناتال، اسفرت الانتفاضات الشعبية عن عشرات القتلى والجرحى.

وفي مدينة شاربفيل قرر السود التعبير عن احتجاجهم بطريقة مسالمة،وهي اعادة الهويات التي تذكر عرقهم، وتسليم انفسهم للاعتقال، لانهم اعتبروا ذكر العرق على الهوية أمراً مهينا داخل بلادهم. وتجمع ١٥ الفاً منهم أمام دائرة الشرطة. فما كان من رجال الشرطة الا ان اطلقوا النار بغزارة من غير انذار، واوقعوا ٦٧ قتيلا واكثر من ١٨٠ جريحاً في صفوف المتظاهرين، وبينهم رجال ونساء واولاد.

وعندما أعلم دتليف بما حصل، قال: "لم يكن بدّ من ذلك. أننا نعمل لمصلحة البلاد، وهم يرفضون التعاون".

وفي العام نفسه اطلقت النار على رأس هندريك فيرفويرد، رئيس الوزراء، من مسدس يحمله شخص مسعور اقلقته التغيرات التي طرأت على الحياة القومية. لكن فيرفويرد نجا بأعجوبة. وفي اكتوبر (تشرين الاول) أجري استفتاء خول الحكومة فك جميع الارتباطات بالتاج الانكليزي واعلان البلاد جمهورية.

وبعد خمس سنوات تلقى فيرفويرد طعنة قاتلة من مجرم خلاسي (نصف اسود ونصف ابيض) دنا منه في زي خادم.

وقال دتليف لزوجته: "ما يجب فعله هو اصدار قوانين اشد وفرضها بطريقة افضل".

موت حي

ان ذاك النسيج الذي صاغه دتليف فان دورن من تقاليد قديمة وقوانين جديدة اصبح يعرف باسم "التمييز العنصري". ولنعرض احداثاً يومية من حياة المواطنين العاديين يبرز فيها أثر هذه السياسة.

في فنلو نشأت مدرسة بنات ذات سمعة حسنة في تخريج فتيات متفوقات في اللغة الافريقانية وفي الدراسة الجامعية اللاحقة. وكان رئيس المدرسة رولف ستيرك يفخر، على نحو خاص، بفتاتين هما بترا البرتين (٩ سنوات) ومينا فان فالك (١٠ سنين).

وانطلقت المشكلة من صف الحساب. فقد تمتعت الطفلة بترا بقدرة خارقة في ذلك الموضوع ونالت فيه أعلى العلامات، متفوقة على رفيقتها مينا. لكن هذا لم يزعج مينا التي قالت لامها: "اني لا أحب الارقام في اي حال، ولم احقق نجاحاً في ذلك النطاق".

الا أن السيدة فان فالك لم ترض بذلك، وارادت ان ترى الطفلة التي

تفوقت على ابنتها. ووافق الدكتور ستيرك على ذلك. وفي ما بعد، حين قدم شهادته أمام مجلس التصنيف العنصري، قال: "ما ان شاهدت السيدة فان فالك التلميذة بترا البرتين حتى ارتخى فكها وتجمدت اوصالها. ولاحظت ذلك التصرف الغريب لدى حدوثه، غير أني لم ادرك له سبباً".

ولم تتفوه السيدة فان فالك بكلمة، بل اكتفت بالتحديق الى بترا، ثم غادرت المدرسة مسرعة الى زوجها، وقالت له: "يا ليوبولد، هناك فتاة ملونة في مدرسة مينا".

ولم ينم فان فالك وزوجته معظم تلك الليلة بل سهرا يبحثان الخطوة الواجب اتخاذها. فالمساواة بين طفل ملون وطفل أبيض مسألة خطرة تعارض الاخلاق والقوانين.

وقررا وضع المسألة على عاتق ستيرك لما عرفاه عنه من جدارة وعناد في الدفاع عن الحقوق الافريقانية.

وان شكوى من هذا النوع في جنوب افريقيا تختلف عن شكوى في المجر تقول: "أظن ان لازلو روماني"، او أخرى في غرب انكلترا تقول: "اذا محصتم الامر لوجدتم ان ماسترسون ايرلندي فعلا". ففي البلدان الطبيعية لا تعدو هذه الاقاويل كونها احكاماً اجتماعية. لكنها، في جنوب افريقيا، تقرر الحياة، وأحياناً الموت.

وتحركت ادارة المدرسة على مضض وقامت باستجوابات لم تسفر عن نتيجة، فيما ارتأى ستيرك ان يسحب آل البرتين ابنتهم بترا ارادياً من المدرسة تفادياً للمشاكل. لكن عائلة البرتين رفضت ذلك الاقتراح.

واعلمت عائلة فان فالك بالامر، فرفعت دعويين تشرحان القضية بالتفصيل، ووجهتهما الى مدير دائرة النفوس في بريتوريا.

وحين التأم مجلس التصنيف العنصري، في احدى محكمتي فنلو، امضى الايام الاولى مستمعاً الى كل من أراد الادلاء بشهادته. وكان الهدف معرفة ما اذا كان أصدقاء عائلة البرتين وسواهم يصنفون العائلة في عداد البيض. واجمعت الشهادات على أن الامر هو كذلك.

غير أن الشهادة الحاسمة جاءت في اليوم الثالث حين حمل السيد البرتين وزوجته واثنان من اولاده الكبار في سيارة لاستجوابهم أمام ثلاثة من أعضاء المحكمة. ولم تكن بترا معهم. ووجهت اليهم الاسئلة الآتية: من هم اجدادكم؟ هل لديكم أصدقاء ملونون؟ اتقتصر كنيستكم على البيض؟

ودام الاستجواب ثلاث ساعات، فهم على اثرها أن عائلة البرتين، كأي عائلة أخرى في جنوب افريقيا، يطغى عليها النسب الهولندي، مع عنصر الماني قوي، وربما هوغونوتي (بروتستانتي فرنسي)، يرقى الى زمن بعيد. والمرجح انه لا يخالطهم عنصر ملايي او هوتنتوتي أو بانتي.

بعد ذلك باشر اعضاء اللجنة الكشف عن اجسام افراد عائلة البرتين. وكان لكل عضو - رجلا كان ام امرأة - طريقته في التحري عن الدم الملون استمدها من الخرافات المحلية. وعلمت السيدة فان فالك زوجها ان يبحث عن الادلة في النمش الجلدي وشحمة الاذن، قائلة له: "النمش يظهر على البيض، لا على الملونين".

وبعد معاينة آل البرتين، وجد السيدة البرتين وواحداً من ابنائها خاليين من النمش، بينما وجد نمشاً وافراً في جلد السيد البرتين والابن الآخر. وقال فان فالك: "الآن يأتي دور الآذان". وأعلن أمام جميع من في القاعة: "في الاذن البيضاء هناك فجوة، أما الاذن الملونة فلا فجوة فيها". وفي هذه الحال ايضاً، قسم آل البرتين نصفين معاكسين للقسمة الاولى.

لكن رئيس اللجنة، دتليف فان دورن، لم يكن يثق الا بالدليل الذي يقدمه الشعر. وطلب قلما وقال للحاضرين: "يُحْمَل القلم ويُلَفّ به الشعر الذي يأتي فوق الاذن مباشرة. فاذا كان الشخص ابيض، انحلّ شعره فور سحب القلم. لكن شعر السود، كما تعلمون، يبقى جعداً".

وحان الوقت لفحص الفتاة الصغيرة نفسها. واقتيدت بترا الى المحققين الثلاثة الذين راحوا يتفحصون يديها بدقة. فلم يعثروا فيهما على نمش، ويدققون في شكل الاهلة التي في اظافرها ويختبرون شعرها.

وقال لها السيد فان فالك: "امشي يا بترا الى آخر القاعة ثم عودي". وفعلت، فاتضح له أنها تمشي مشية الملونين.

وخاطبها السيد فان فالك بلهجة استرضاء: "الآن نأتي الى الامتحان الحاسم يا بترا". وطرح عليها السؤال الذي يعتقد بعضهم ان البرهان القاطع هو في الاجابة عنه: "اخلعي ملابسك".

ونزعت الصغيرة ملابسها بحياء، ولكن من غير ارتباك. وعندما شدت التنورة الى خصرها، لاحظ اعضاء اللجنة بوضوح المثلث الصغير في أسفل عمودها الفقري. وكان السيد فان فالك أكد لهم الآتي: "اذا كانت تلك النقطة سوداء، امكنكم أن تثقوا بأن دم البانتو يجري في عروقها". وبعد ذلك طَلَب من آل البرتين الانصراف.

وقبل مباشرة التصويت، دخل محقق من وزارة الداخلية وسلم فان دورن، رئيس اللجنة، تقريراً وضع بناء على توصيته، وفرغ من اعداده حالا. وكان هذا المحقق، مع اربعة معاونين من بريتوريا، قضوا الاسابيع الثلاثة الاخيرة يمحصون تاريخ آل البرتين الذي خرجوا منه بنتيجة مذهلة. لقد تبين لهم أن العائلة تحمل دماً ملوناً في عروقها.

وكان في العام ١٦٩٤ ان بترونيلا فان دورن، وهي من اجداد دتليف، شوهت سمعة عائلتها لدى زواجها برجل ذي نسب ملايي - هوتنتوتي. وكان هذا النوع من الزواج معروفاً في تلك الايام الغابرة حين لم تكن نشأت بعد طبقة الاكابر من الناس، ولم تكن تحذيرات العهد القديم اتخذت شكل عقيدة اجتماعية متطرفة.

وافلحت اجيال فان دورن المتعاقبة في اخفاء تلك الفضيحة، علماً أن فرع دتليف لا يمت بنسب مباشر الى بترونيلا. وطوال الجيلين اللاحقين، لم تحمل ذرية بترونيلا وزوجها اسم عائلة، ثم اندمجت بالطبقة الدنيا متخذة اسماً آخر. وتزوجت احدى حفيدات بترونيلا شخصاً من آل البرتين، وكان لون جلدها فاتحاً مثلهم. وبذلك طمست سيرة بترونيلا، ولكن ليس نهائياً. فمنذ ١٦٩٤، العام الذي حصلت فيه الفضيحة، حفظ بعض المدافعين الغيورين على النقاء

العنصري سجلا عن ذرية بترونيلا المتعاقبة. وهكذا كشف امر آل البرتين.

وكانت النتيجة سريعة وقاسية. وعلى اثرها حرم آل البرتين البقاء في المكان الذي سكنوه طوال السنوات الاربعين الماضية. فهم ملونون، وعليهم الانتقال الى احد الامكنة المخصصة لجماعتهم. واذ لم يكن هناك مكان من هذا النوع في فنلو، فقد اقتلعوا عائلتهم وانتقلوا الى كيب تاون حيث تعيش اكثرية من الملونين.

ولم يجدوا من مأوى سوى اكواخ ذات ثلاث طبقات بنيت اصلا كمخيمات انتقالية للعسكر. وغدت تلك المساكن، بالعائلات المكتظة بين جدرانها المهلهلة، من مظاهر العار في جنوب افريقيا.

واستأنفت بترا دراستها في مؤسسة اكبر من الاولى، يشرف عليها رجال ونساء ملونون التزموا قضايا قومهم. وفي اجتماع ضم الاهل والمدرسين، أخذ رئيس المدرسة والد بترا جانباً وقال له: "لقد اخبرني المدرسون يا البرتين ان ابنتك بترا تكاد تكون في عداد العباقرة. فعليك ان تفكر جدياً في مستقبلها".

– وماذا يمكن ملوناً فعله في هذه البلاد؟

"يجب الا ينتهي افقك عند حدود هذه البلاد. ان ابنتي ذهبت الى كندا، وهي تقول ان الجامعات هناك خصصت منحاً مالية كثيرة لطلاب مثل

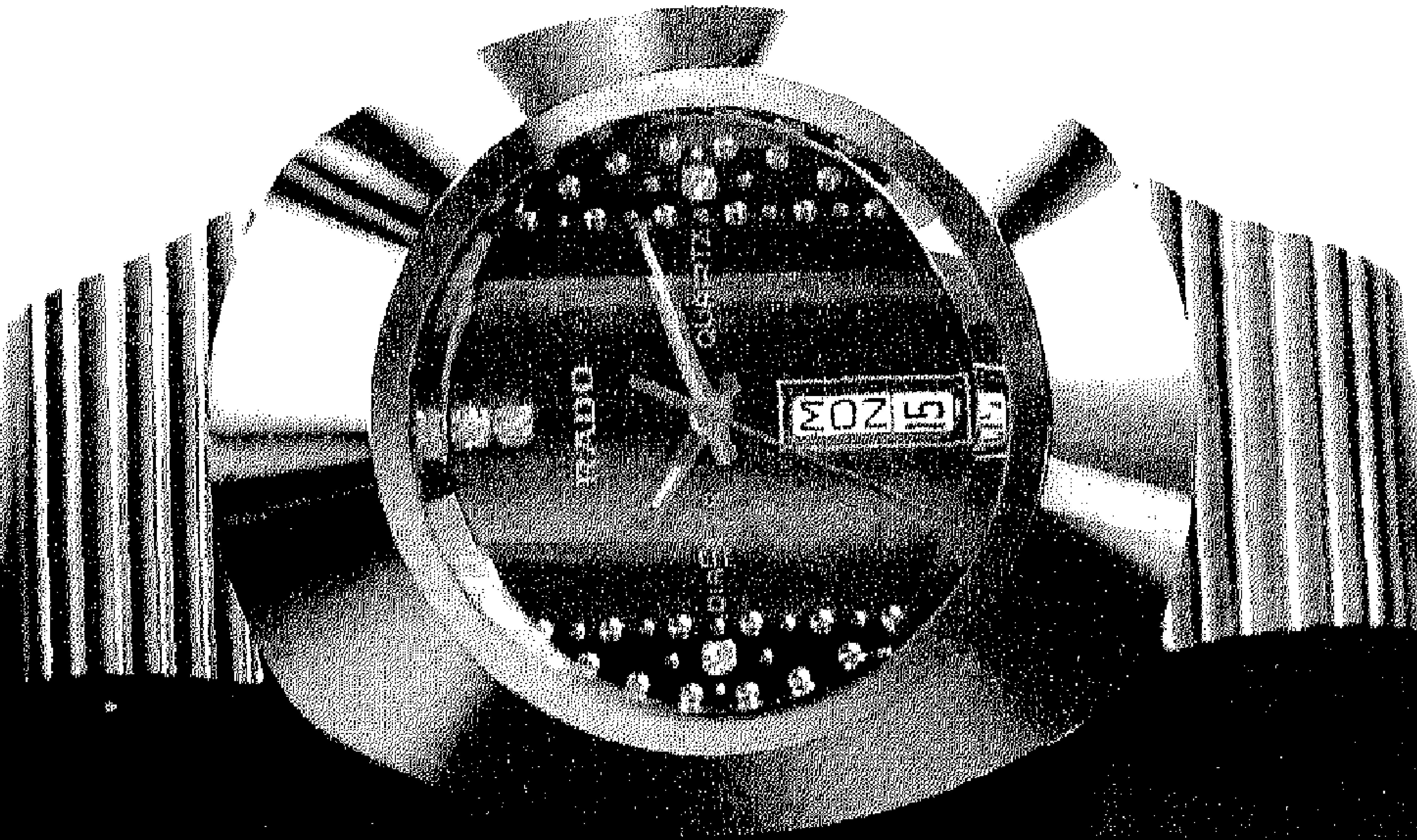


مقياسُ القيمَـة

مالكو ساعات رادو لا تهمهم تقليعات عـابرة
أو عالم لا يقيم إعتباراً للقيَم . إنهم يبحثون عن قيـم خـالـدة
- قيم لا تتأثر بالزمن - خاصة عندما يكون الزمن نفسه هوَ الموضوع .
لـذا نجـد مالكي رادو تربطهـم بساعاتهـم صلة خاصّة فهم ملمّون بجميع
خصائصها . ويعلمون أن باستطاعتهم الاعتماد على رادو إعتماداً كلياً ،
اليوم ... وغداً . وهـذه الثقـة العمياء برادو قد بنيت
علـى أسُـس مِن الشـعُور المتـبادل
بجـمـال أكيد ونوعية لا تضاهى .

RADO رادو

مقياس الأناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن



بترا. وهناك اماكن مماثلة في اوستراليا، وحتى في لندن".

وكانت تلك الافكار تتجاوز امكانات البرتين ومعرفته، لكنه ادرك ان عليه التمسك بها لأن رئيس المدرسة قال له: "ان ابقاء فتاة مثل بترا في هذه البلاد يعني الحكم عليها بالموت".

المنزل الموقّت

كان بلوك نجيكا في الرابعة والخمسين حين ألقى سلسلة محاضرات في مبنى تشستون في جوهانسبورغ، لكنه بدا أكبر سناً. وكان في سني شبابه مارس أعمالا شاقة في مجال الصناعة أكسبته مهارات كثيرة من شأنها ايصاله الى مراكز متقدمة حرمه أياها لون بشرته الأسود.

وبعد تعرضه لحادث في مسبك للمعادن خلف عاهةً في قدميه، أسعده جداً الحصول على وظيفة تقتضي توزيع الاوراق الرسمية باليد. وعلى رغم أن الراتب كان ضئيلا والتنقل بين البيت والعمل يستغرق وقتاً طويلا ومملا، الاّ أنه لم يجرؤ على الاستقالة. ذلك أنه كان يُسْمَح للشخص الأسود بالبقاء في جوهانسبورغ والسكن في سوويتو اذا مارس وظيفة واحدة مدة عشر سنين. أما اذا استقال أو طرد من عمله فهو يخسر هذا الحقّ، كما يخسر منزله وحقّ الاقامة في جوهانسبورغ. من هنا كان الاسود كعبدٍ من القرون الوسطى، مقيداً لا الى أرض بل الى مهنة. وهذا يعني أن في أمكان سيده أن يعطيه راتباً ضئيلا، من غير أن يتمتع بحقّ الاعتراض.

وذات يوم نزل بلوك عن الرصيف في شارع كوميشونر، حيث مرت شاحنة وقتلته. ولم تكن تلك الصدمة قاتلة بالضرورة. الاّ أنّ سيارة الاسعاف الاولى التي مرت من هناك كانت "للبيض فقط". وبقي بلوك ممدداً على الرصيف نصف ساعة قبل أن تصل سيارة اسعاف يمكنها نقله الى مستشفى. وما أن وصل الى قسم الطوارىء الخاصّ بغير البيض في أحد المستشفيات حتى أُعلن أنه توفي.

وفي اليوم الثالث بعد دفنه، استُدعيت زوجته ميريام الى مكتب مدير شرطة سوويتو حيث كان منزل نجيكا. وهناك أخبرها المدير أنها لم تعد زوجة عامل تحقّ له الاقامة في سوويتو، بل أضحت، على حدّ التعبير الشائع، "زائدة من دون فائدة"، فخسرت بالتالي حقّ البقاء في جوهانسبورغ.

وقال لها المدير: "يمكنك البقاء هنا لجمع متاعك. وعليك، بعد ذلك، التوجه الى سوتغروند".

- اني لم أذهب قطّ الى ذلك المكان، وأجهل حتى موقعه.

"لكنكِ من الخوشا كما تشهد هويتك".

- لقد ولدتُ في بلومفونتين، ولم امكث في منطقة الخوشا او أذهب إليها.

"القانون يقول أنك الآن نزيلة موقتة...".

ولم يأتِ طرد ماريا نتيجةً لسوء تصرف زوجها بماله. فقد قصد بلوك المدير وسأله اذا كان في وسعه شراء البيت الذي يسكنه. لكنّ القانون كان صريحاً هنا: "لا يحقّ لشخص غير

أبيض امتلاك أرض في سوويتو". وبما أنه لم يكن يحق لسكان جوهانسبورغ غير البيض العيش الا في سوويتو، لذلك لم يكن في استطاعتهم امتلاك منازلهم.

وبعد مرور بضعة أيام، اجتمع بعض النسوة مساء في مطبخ ميريام نجيكا لتعزيتها ووداعها. وخيم على الجمع جو من الرهبة لان النسوة عرفن أنه، في حال وفاة أزواجهن، عليهن الانتقال الى مكان بعيد مخصص للسود لم يسبق أن رأينه من قبل أو شعرن برابطة تجاهه... لكنه القانون.

وبعد أيام جاء مدير الشرطة ومعه شاحنة حكومية. ووضعت مقتنيات ميريام في الشاحنة ونقلت الى محطة السكة الحديد في جوهانسبورغ. وكانت الرحلة جنوباً متعبة في عربة الدرجة الثالثة المخصصة للسود والتي غصت بنساء من مدن مختلفة فقدن أزواجهن وأرسلن الى مواطن جديدة لم تبصرها عيونهن من قبل. كما كان في العربة شبان أخفقت أعمالهم في جوهانسبورغ.

وتوقف القطار عصر اليوم التالي في محطة صغيرة اسمها هيلاري سايدينغ في مقاطعة الكيب، حيث وزعت النساء على شاحنات. وأخيراً بلغن قرية مؤلفة من ٢٠٠ مسكن رديء أقيمت حديثاً على أرض متآكلة خالية من الشجر والعشب والحدائق. وكان هناك مخزن أضيء بمصابيح الكاز وبداية طريقين موحلتين. وتجمع المهجرون الذين حملوا الى هناك خلال السنتين الماضيتين ليسددوا نظرة ترحيب وعزاء الى الوافدين الجدد ويشجعوهم ما استطاعوا. وقال موظف حكومي للسيدة نجيكا: "أن نصيبك هو الرقم ٢٣٤". وأشار بيده الى احدى الطريقين الموحلتين وأضاف: "هناك تجدين لوحة تحمل الرقم".

وكانت اللوحة كل ما وجدته في ذلك المكان. فالرقم ٢٣٤ كان قطعة أرض خالية.

وقال لها الدليل: "هكذا بدأ الآخرون قبلك: حصلوا على حصصهم وباشروا العمل".

وكان لدى الحكومة خطة تقضي باستقدام ثلاثة ملايين و٨٠٠ ألف نسمة الى ذلك المكان. وهي نسبة واحد الى ستة من السكان. واذا ما قورن هذا بالولايات المتحدة، فهو يعني اقتلاع ٤٠ مليون شخص من بيوت جيدة ونقلهم الى بيوت رديئة... لكنه القانون.

مكتب الأمن القومي

على رغم ضروب الحرمان التي جاءت عن طريق سياسة التمييز العنصري، الا أن مواطني جنوب افريقيا السود لم يفقدوا جرأتهم. وكانوا يحلمون بقيامة يصبحون معها أحراراً من جديد، علماً أنه يجب تمييز طبيعة هذا الحلم بعد العام ١٩٧٥ (الذي حصلت فيه أعمال الشغب في سوويتو) وقبله. ويمكن إبراز هذا التغير الحاسم عبر المقارنة بين حياة شخصين من منطقة فريمير، هما دانيال نكسومالو، حفيد ميكا الذي خدم آل فان دورن سنوات طويلة، وماتيو ماغوبين الذي عمل والده في مزرعة مجاورة.

أظهر دانيال نكسومالو في طفولته وعداً بمستقبل باهر. وأرسل باكراً

الى مدرسة السود في فورت هير التي أدارها مدرسون سود كانوا يطمحون الى تحقيق يقظة بين شعبهم. وابتكر كل منهم طريقة كلام يخاطب بها طلابه الاذكياء: "الشرطة تمنعني من الاستمرار في كلامي، ولكن اسألوا أنفسكم اذا كان نابوليون قضى على الطموح القومي في أي من البلدان التي احتلها الى حين". وهكذا أدرك الطلاب النجباء في فورت هير أنّ ما حدث في أجزاء اخرى من العالم يمكن أن يحدث في جنوب افريقيا.

واكتسب دانيال نكسومالو من دراسته مبدأين قررا خط حياته: هناك واجب لمعرفة ما يحدث للسود في أماكن اخرى من العالم. لكنّ هذا يجب أن يحدث من غير أن يثير انتباه مكتب الأمن القومي المعروف باسم "بوس". وكان المبدأ الاول أدعى الى التنفيذ من الثاني. فكلما ازدادت معرفته بافريقيا واوروبا، كان يدنو أكثر الى نقطة الخطر.

ولم يكن من السهل أن يبقى باحث أسود ملتزم بعيداً عن أنظار "بوس". وحين أنهى دانيال نكسومالو دراسته في فورت هير، كان اسمه حُفظ في سجلات "بوس" في أربع مناسبات:

١ - في تقرير قدمه أحد الجواسيس عن تجمّع طالبي، جاء أنّ نكسومالو ألقى خطاباً هادفاً حول السكان السود في البرازيل، وضمنه مقارنات بالحال في جنوب افريقيا.

٢ - في مؤتمر يقلد الامم المتحدة، أسند الى نكسومالو دور اندريه غروميكو، وزير الخارجية السوفياتي. وهو لم يسعَ الى تمثيل ذلك الدور، لكنه قبله لملء مركز المندوب الروسي.

٣ - في مباراة كريكيت جرت في بورت اليزابيث، لاحظ أعوان "بوس" أنّ نكسومالو هتف ليس لفريق جنوب افريقيا بل لفريق انكلترا.

٤ - في مناسبات عدة، سُمع يغني نشيد الحرية الشائع في صفوف الطلاب، وذلك "بحماسة تتجاوز المطلوب".

وبدا واضحاً جداً أن المتاعب كانت تقف لدانيال نكسومالو بالمرصاد. وحين تقدم بطلب الى جامعة ويتووترزراند للدراسات العليا، عُهد به الى استاذ أبيض استدعاه يوماً الى مكتبه وصاح في وجهه: "أيها الاحمق! كيف تمكنك ممارسة أيّ نفوذ اذا كنت في السجن؟ انّ مهمتك هي أن تتعلم، ثمّ تعلم الآخرين".

وبعد نيله درجة الدكتوراه باجتهاد بالغ، أصبح نكسومالو رجلا مثقفاً يحدوه تصميم جارف على تحقيق تغيير جذري في بلاده من غير الوقوع في شرك "بوس". وفي السنة نفسها تخرج آخرون في جامعات مثل هارفارد واوكسفورد، حملوا أنفسهم تبعات جسيمة.

في تلك الأثناء كان ماتيو ماغوبين في مطلع عهده الدراسي، لكنه لم يبشر بمستقبل زاهر. فهو كان فتى ممتلىء الجسم، غليظ العنق، مقاوماً للنظام. وكان ممكناً أن يترك المدرسة وهو في الرابعة عشرة لو لم يكن والده، الذي يعرف آل نكسومالو، طلب من دانيال، وهو يحضر شهادة الدكتوراه، أن يتكلم مع ابنه.

وبتشجيع من دانيال، أكمل ماغوبين دراسته الثانوية ودخل جامعة زولولاند، وهي مؤسسة سوداء كان

نكسومالو استاذاً فيها . لكنّ ماغوبين كان يفضل على دروسه معشر الطلاب الثوريين الذين اعتادوا اللقاء حول طاولات المطعم. وأوقعه اشتراكه معهم في حبال "بوس". وبدأت المشكلة خلال رحلة في القطار الى دوربان، حين قاد ماتيو مجموعة من الطلاب الصاخبين الذين أنشدوا مختارات من أغانٍ ثورية:

ثمة شمس في الشرق
تعلو علواً،
ثمة قمر في الغرب
يسقط سقوطاً.
اني أتبع الشمس
مهما بلغت حدتها.
ها هو القمر يسقط في ظلام الليل.
مباركةٌ أنتِ أيتها الشمس!

وقبل نهاية الفصل الثاني قبضت شرطة "بوس" السرية على ماغوبين وأحالته على مركز للاستجواب في بلدة هملسدورب النائية حيث أُجريت سلسلة من التحقيقات الشائنة في إشراف كونراد كراوس، ابن بيت كراوس، الذي كان مصمماً على سحْق أقل بادرة عصيان أسود.

وما أن أُغلق الباب بعد دخول ماغوبين حتى قال كراوس لمعاونه الرقيب: "احمله الى هنا". ورفع الرقيب يده اليمنى وانهال بضربة قوية على ظهر ماغوبين دفعته الى الأمام. وبينما كان الثائر الأسْوَد يهوي على طاولة كراوس، ألقمه هذا ضربة من قبضة يده اليمنى سحقت وجهه. وسقط ماغوبين أرضاً، فوقف كراوس ومعاونه فوقه يوسعانه نخساً ورفساً حتى أُغمي عليه.

إن التحقيقات المتعلقة بشؤون الأمن، في أي جزء من جنوب افريقيا، مسألة تكتسي طابعاً مهيباً. فخلال سنوات مات نحو خمسين رجلا قيل انهم سقطوا عن غير عمد من الطبقة الثامنة في بناية أو شنقوا أنفسهم بملاءات الأسرة. لكن التحقيق في هملسدورب كان ضرباً من الفن ابتُعد فيه عن أخطاء من هذا النوع. وبعدما استعاد ماغوبين وعيه، وجد الرقيب يواجهه بمنخس كهربائي. وقال له: "اخلع ثيابك".

وأظهر بعض تردد جعل الرقيب يستدعي معاونَين جرّدا ماتيو من ملابسه. ووقف عارياً، فوجهوا المنخس الى أعضائه التناسلية وراحوا يراقبونه بارتياح وهو يقفز لتجنّب العذاب.

"شمس في الشرق"

ظلّ ماغوبين يُرفَس ويُنْخَس ويعذّب طوال الأيام الثلاثة اللاحقة. وأُطعم وسُقي وسُمح له بالخروج الى المرحاض كلما طلب ذلك، لكن تعذيبه لم ينقطع. وراح الضباط يغنون نشيد الحرية:

"ثمة شمس في الشرق،
تعلو علواً".

وسألوه: "ماذا تعني بالشمس في الشرق"؟

وكانوا ينهالون عليه بالضرب بعد كل إجابة.

وفي اليوم السابع وُجهت اليه التهمة الرئيسية الثانية: "يقول الناس انك أحد العاملين الناشطين لقضية السّود".

– أجل، إني أعمل من أجل نصرة السود. (لكمة على فكه).

"انك واحد من البانتو: كفيريّ أبله لا سلطان له على الاطلاق".

ـ نعم، أيها البوير، انني افريقي. (ضربة على فمه).

لم تكن "بوس" من القسوة بحيث تصمم عملية اغتيال. وكل ما رمت اليه كان التهويل على مثيري الشغب. وكان الخطر آتياً من أن المتهم الأسود يخسر حريته بعد تسعة أيام أو عشرة مليئة بالتحقيق معه. ويأتي تقرير المحكمة كالآتي: "المتهم الرقم ٥١: مات وهو يحاول الهرب".

ولم يكن هذا المصير بعيداً عن ماغوبين إلا بفضل رجل خارج السجن لم يكن يعرف ماغوبين على الاطلاق. كان ذلك الرجل اندريه مالان، وهو أبيض في التاسعة والعشرين من عمره عمل مراسلا لصحيفة "الغازيت" التي تصدر في دوربان. ويوم اعتقال ماغوبين، دخل مكتب مالان رجلان أسودان يحفزهما هاجس بأن ماغوبين هو مثال الشاب الأسود الذي يكشف عن عناد يحمل كراوس على نسيان التعليمات القائلة بعدم التمادي في العنف. وحذر الرجلانّ مالان بقولهما: "راقب ما يحصل".

وعلى أثر تلك الزيارة بدأ مالان سلسلة مقالات حول اعتقال ماغوبين، مطالباً الشرطة باصدار تقارير عن حاله الصحية.

وكان في جنوب افريقيا قانون يقول بأن في إمكان "بوس" اقتحام مركز أي كاتب، في أي وقت ومن دون تبرير. فاذا وُجدت أي ملاحظات أو مواد أو رسوم من شأنها ان تستعمل لكتابة مقال قد يسيء الى الحكومة، حق للسلطات اعتقال الكاتب أجلا غير محدود ومن غير تهمة محدّدَة.

وذات صباح اقتحمت جماعة مسلحة من "بوس" شقة مالان. وكان هذا أتلف معظم أوراقه، لكنهم وجدوا تقريراً واحداً نشره مجلس الكنائس العالمي في جنيف، وهو منظّمة مناوئة للتمييز العنصري. ووجدوا في هذا التقرير مسوّغاً لاقتياد مالان الى السجن.

وكان في وسع الشرطة الاستمرار في تحرياتها لحياة مالان ومعتقداته، لكن عنصراً جديداً برز. ففي مزرعة قريبة من فريمير كان يعيش شاب أسود ثائر اسمه جوناثان نكسومالو، وهو شقيق دانيال. وظلّ جوناثان يتابع أخبار اعتقال ماغوبين في الصحف حتى جاء يوم استنتج أن ماغوبين كان على وشك ان يُقتَل. وجمع أربعة من أصدقائه قائلا لهم: "كم رجلا يلزم لانقاذ ماغوبين ثم الهرب الى موزامبيق؟"

وعاد دانيال الى البيت في العطلة الدراسية. وكانت الجماعة تريد نصيحته، وأرسلت اناساً يستدعونه. ولدى وقوفه في باب الغرفة الصغيرة حيث اجتمعوا، أدرك أن خطوة واحدة داخل الغرفة تجعله عضواً في حركة ثورية مع امكان رميه في السجن مدى الحياة أو قتله. لكنه دخل الغرفة.

وقال: "أتمنى أن يمكنكم تحقيق ذلك من غير أسلحة".

فأجاب جوناثان: "هذا عام البندقية. واذا بلغنا موزامبيق، فماذا ينبغي فعله في رأيك؟"

وشعر الاستاذ نكسومالو بأنه هَرِم وغريب عن ذلك المكان. وكالعديد من المدرّسين، كان تلقى إنذاراً بأن تعليمه يؤدي الى نتائج غير مرغوبة، لكنه قبل التحدي بعمق.

"عند بلوغكم موزامبيق، اتحدوا. ولا تتخذوا أي خطوة حتى يصير في إمكانكم اعتماد النجدة من جميع الحدود: ناميبيا، زيمبابوي، بوتسوانا، موزامبيق. ثم تحركوا ببراعة وحذر: خطوة الى الأمام وأخرى الى الوراء. وفي عشر سنين ـ بعد أن يأتيكم العون من روسيا والمانيا الشرقية وكوبا ـ سينهار الطاغوت".

وذهب الرجال الخمسة الى هملسدورب، متخذين طرقاً مختلفة. وهناك تلاقوا وساروا بعزم الى مركز الشرطة واحتلوا مدخله، ثم أسرعوا الى الداخل مفتشين الغرف بحثاً عن ماغوبين حتى وجدوه.

وسألهم من خلال شفتين متورمتين: "ماذا يحدث؟"

ـ هيا بنا الى موزامبيق!

وانطلقوا خارج الثكنة من غير حاجة الى اطلاق رصاصة واحدة، وأخفوا مسدساتهم واتجهوا نحو منفاهم الاختياري.

الفصل الأخير

من أبهج الأيام في حياة دتليف فان دورن يوم ١٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٦، الذي دُعي فيه الى إلقاء الخطاب الرئيسي في احتفالات "يوم الميثاق"، وذلك في المجمّع السكني الجديد الذي أُقيم في اشرافه فوق بلدة سوفياتاون السوداء بعد إزالتها بالجرافات. وقد أُطلق على المكان اسم "تريومف" (النصر)، واحتلته عائلات بيضاء حافظت على نظافة بيوتها وتألّق الأزهار في حدائقها.

وجاء خطاب دتليف، من نواح عدة، تلخيصاً لرأيه في مستقبل قومه. وهذه مقاطع مهمة منه:

"إياكم أن تنسوا أن هذه الأرض لنا نحن الافريقانيين الذين دفعنا ثمنها بدمنا وحفظناها بايماننا. ان مؤسس هذه الأمة، جان فان ريبيك، عندما وطىء هذه البلاد للمرة الاولى عام ١٦٥٢، وجدها خالية من الخوشا والزولو الذين لم يكونوا عبروا غرب



ليمبوبو بعد. أما وقد أصبحوا هنا، فواجبنا أن نرعاهم وننظم شؤونهم ونحكمهم.

"ولكي نصون ما أعطانا الله في عهده معنا، خضنا معارك كثيرة وربحناها. وسنبقى دائماً على استعداد للذهاب من جديد الى معسكراتنا الدفاعية المحمية بسياج من عربات رداً لأي اعتداء علينا. ان الدفاع عن أنفسنا واجب لأن الله وضعنا هنا كي نعمل أعماله.

"أبنائي وبناتي! كونوا مستعدين جسدياً وروحياً لصد هجمات اعدائنا. صونوا هويتكم. لا تسمحوا للانظمة الارهابية بأن تقوم على هذا التراب: لا دعاية شيوعية، لا ضعف ليبرالي، لا مطارنة انكليكان ينشرون الاكاذيب. ومتى حاربتم فاعرفوا أنكم تنفذون ارادة الله الذي قضى بأن تكونوا هنا. هذه هي ساعة النصر الافريقاني".

وما أن نزل دتليف عن المنصة حتى أحس بألم في صدره. وأخذ يمشي مترنحاً حتى بلغ مقعده وجلس عليه. وما لبثت الآلام أن هاجمته بعنف مرة اخرى، مصحوبة بثقل في صدره أدرك أنه أمر خطير. وحُمل سريعاً الى جناح خاص في مستشفى جوهانسبورغ، واستُدعيت عائلته من فريمير.

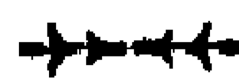
وكعادة المتقدمين في السن، مدّ دتليف يده المرتجفة الى حفيدته سوزانا ذات الشعر التبنيّ الشاحب ـ وقد أُطلق عليها اسم شقيقته التي قُتلت في كريسيبيسمير ـ وتمتم: "اقتربي أكثر يا ساني". وحين قبل يدها ـ وهو أمر غريب جداً من جانبه ـ أدرك الآخرون أن موته بات وشيكاً.

وقال لها دتليف: "ساني، يجب ان تفعلي دائماً، ما هو صواب لبلادك". وقد كان المبدأ الذي انتهجه لحياته العمل الشريف والفعل العادل. وكان على قناعة بأن التشكيك في مبادىء الرجال ذوي الارادة الصالحة يشكل خطراً على الوطن.

وبعد انقضاء العصر أخذت تعبر مخيلته صُور الاعداء الذين هددوا أرضه. وتلا طلبة سريعة من اللعنات ختمها بذلك الاسم المشؤوم: "كريسيبيسمير"! ومد يده مرة اخرى نحو حفيدته. وعندما رأى وجهها المشرق، قال بصوت خافت: "ساني، اياك ان تنسي ما فعلوه بنا في كريسيبيسمير".

ونهض على ذراعه وأخذ يصيح: "نسقوا العربات بشكل دائرة! ساني، قولي للسائقين أن ينطلقوا..." وسقط الى الوراء، لافظاً أنفاسه الاخيرة وهو يقول: "نبهوا أبناءكم... كل شخص يجب ان يبقى في المكان المعدّ له".

■ جيمس ميتشنر



الأنصاف انواع

أن يكون الحق كله الى جانبك نصف الوقت خير من ان يكون نصف الحق الى جانبك كل الوقت.

م.ف.



مجوهرات الكوارتز من صنع اوميغا صورت في مسرح لاسكالا في ميلانو

، اليسار الى اليمين : BA 891.8883 A, BA 891.8742B, BA 891.8872B أجزاء النماذج الثلاثة الداخلية مصنوعة من
كوارتز ، الاطار والسوار عيارهما ١٨ قيراطا . رابطها مثبت على الماس . ياقوتية بلورية . نماذجها مسجلة .

'يها من وكيل اوميغا الرسمي فقط ، واطلب معها الكفالة الدولية .

